

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

خراسان في العصر الأموي

"دراسة سياسية وإدارية٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م"

رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام

إعداد الطالبة

ناهد محمود حسين

إشراف

أ.د: شكران خربوطلي

١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

خراسان في العصر الأموي

"دراسة سياسية وإدارية ٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م "

بطاقة شكر وتقدير

أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره فهو القائل: "لئن شكرتم لأزيدنكم"، أشكره أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على إنعامه عليَّ بأن جعلني من طلاب العلم ووفقني لإتمام هذا البحث ويسر لي سبله. وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد ﷺ القائل: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله". وعملاً بذلك واعترافا بالجميل فأني أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة.. .إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة.. إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملي.. .إلى جميع أساتذتي الأفاضل وأخص بالشكر والتقدير:

إلى أستاذتي الفاضلة التي تفضلت بالإشراف على هذا العمل، وواكبته في مختلف مراحله، والذي كان لها أيادٍ بيضاء في التوجيه والمتابعة المستمرة وما بذلته من جهد مخلص وصبر جميل.. فجزاها الله كل خير فلها مني كل التقدير والاحترام... **الدكتورة شكران خربوطلي**

كما أنني أتوجه بخاص الشكر لراعي التاريخ ومربيه في جامعة دمشق، إلى من علمني التفاؤل والمضي إلى الأمام، ولم يبخل علي بوقته وجهده، رغم كثرة مهامه وارتباطاته العلمية فقد بذل لي جهداً كبيراً وفتح أمامي مجالات علمية كنت غافلة عنها وحل لي مشكلات استعصت عليَّ، فقد كان له الفضل في إخراج هذا العمل، فإلى هذا الأستاذ الفاضل أقدم جزيل الشكر، والذي لا يريد منا إلا الدعاء له، فأسأل العلي القدير أن يجزيه خير الجزاء وأن يبارك له في علمه وصحته ووقته وأن يعينه على كل خير أنه سميع مجيب... **الدكتور سهيل زكار**

وكذلك أشكر كل من ساعد على إتمام هذا العمل، وقدم لي العون ومد لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمامه فأتقدم بالشكر الجزيل إلى لجنة المناقشة المكونة من الأساتذة الأجلاء الذين أكرموني بعلمهم وهم:

الدكتور عمار النهار، الدكتور خليل الحسين، الدكتورة أرواد العلان

ستكون ملاحظاتهم في عقلي ووجداني بمنزلة القلب من الجسد فلهم مني كل الشكر والتقدير

وإلى من زرع التفاؤل في دربي وقدم لي المساعدات والتسهيلات والأفكار، الذي كان عوناً لي في بحثي هذا، ونوراً يضيء الظلمة التي كانت تقف أحياناً في طريقي.... **الدكتور حسام النايف**

شكر وامتنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلى بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك ... **الله جل جلاله**

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين ... **سيدنا محمد ﷺ**

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. و علمني العطاء بدون انتظار .. إلى القلب الطيب والروح العطرة ... إلى الوطن الدافئ .. إلى سندي وعوني .. إلى الإنسان العظيم أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد ... **أبي الغالي**

إلى شاطئ الأمان .. إلى ينبوع الحب والحنان .. إلى من في حضنها تتبدد كل الآلام والأحزان .. إلى ملاك الرحمة على وجه الأرض .. إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله .. إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر وطرزتها في ظلام الدهر على سراج الأمل بلا فتور أو كلل .... إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أطال الله في عمرها إلى أغلى الحبايب .. **أمي الغالية**

إلى من رافقني وتحمل عناء هذه الرحلة . .إلى الذي وقف إلى جانبي وكان دوماً يشد من عزيمتي ويمهد لي السبيل .. إلى الذي دفعني لمواصلة البحث العلمي .. إلى شمس الدجى وزهر الربيع وريعان الوفاء .. إلى الروح التي تسكن روحي .. إلى رفيق دربي وشريك حياتي أطال الله في عمره .. **زوجي الغالي**

إلى من أرى التفاؤل بعينهم .. والسعادة في ضحكتهم .. إلى من تطلع لنجاحي بنظرات الأمل .. إلى أنس الدنيا .. و عطر الياسمين .. والقلوب الدافئة المعطاءة .. **إخوتي وأخواتي الغوالي**

في نهاية مشواري أريد أن أشكر من كانت مواقفه نبيلة معي وتطلع إلي بعين الصدق والوفاء وكان بمثابة الأخ والصديق وبمثابة أهلي وأقاربي وأنا بعيدة عنهم .. **الدكتور مهند العلي**

الاهداء

وطني وبلدي الغالي ....

سورية الحبيبة

إلى قائد الوطن رمز شرف الأمة العربية....

السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد

إلى جيش الوطن رمز الشرف والإخلاص....

الجيش العربي السوري

إلى الذين بذلوا أرواحهم والغالي والثمين من أجل الحفاظ على أرواحنا....

شهداء سورية من مدنيين وعسكريين

إليكم أهدي بحثي

ناهد

خـراسان في العـصر الأمـوي

(دراسة سياسية وإدارية٤١- ١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م)

فهرس المحتويات	الصفحة

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما توافر من نعماته، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمَّد الذي بلَّغ الأحكام ومعالم الإسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن دراسة التاريخ العربي الإسلامي في صدر الإسلام والدولة الأموية، يعد أمراً مهما ذا فائدة كبيرة، لكونه يسلط الضوء على كثير من الحقائق التي تبين جهود العرب المسلمين في عمليات التحرير والفتح، سواء ما تعلق منها بالإنجازات العسكرية أو الإنجازات الإدارية، لاسيما جهود العرب المسلمين في فتح إقليم خراسان وتنظيم شؤونه الإدارية، دون التأثر بالنظم التي كانت سائدة فيه قبل فتحه، وقد انطلق العرب المسلمون في فتوحاتهم نحو الشرق لتأمين حدود بلادهم، فكان فتح خراسان وبلاد ما وراء النهر ونشر الإسلام فيها، وكانت في خراسان آنذاك حكومة محلية ساسانية مكونة من مجموعة من المرازبة؛ فضلاً عن عدد كبير من الدهاقين المسؤولين عن القرى والكور والمدن الصغيرة المنتشرة بكثرة في الإقليم.

لا يشكو العصر الأموي بصورة عامة من قلة الباحثين فحسب؛ بل من قلة الدراسات الموضوعية إلا في النادر أيضاً، وقد يرجع هذا إلى أن هذا العصر كان قد شهد اختلاف الاتجاهات والتيارات وتباينها، واشتباك المصالح وتعارضها، وكذلك تناقض الآراء مما قاد إلى التردد في دراسته، فقد أعطت الدراسات التاريخية انطباع عن الدولة الأموية فحواه أن همها الأول كان ينصبُّ على فرض الضرائب، وجمعها من البلاد التي خضعت للسيادة العربية إبان صدر الإسلام، وبعض هذه الدراسات كان يؤكد أن جلَّ عنايتها للشؤون المالية على حساب نشر الدين الإسلامي، حتى ذهب البعض إلى أن ثقل الضرائب المفروضة كان واحداً من أهم عوامل إنجاح الدعوة العباسية في خراسان، وربما كانت علة هذه الدراسات أنها لم تقرأ التاريخ قراءة واعية وموضوعية، أو أن بعضها عرض تلك الآراء لغاية في نفس واضعيها، فكان لابد من إلقاء الضوء عليها، ولاسيما تلك التي تتعلق بإقليم خراسان وإدارته الأموية، فكان ذلك دافع هذه الدراسة، فقد رغبت الباحثة في الخوض في غمار الدراسة حول إقليم خراسان من خلال إلقاء الضوء على جانب مشرق من جوانب تاريخ الخلافة العربية الإسلامية في منطقة بعيدة نائية عن مركز الخلافة، مع إدراك لمخاطر البحث ووعورة مسالكه وصعوبة الخوض فيه لأمور كثيرة يأتي في مقدمتها صعوبة الحصول على الكثير من المصادر والمراجع التي تتحدث عن هذه المنطقة ولاسيما المصادر والمراجع الفارسية، ويزيد من صعوبة البحث بعد المنطقة جغرافيا وصعوبة التعريف بمدنها وغرابتها في بعض الأوقات، كما أن الحوادث التي تتعلق بالموضوع متناثرة في المصادر الإسلامية المختلفة ولاسيما المصادر التاريخية التي تتبع أغلبها النظام الحولي في التصنيف، وهذا تطلب قراءة متأنية للكثير من هذه المصادر، لجمع المعلومات المتناثرة هنا وهناك وتحليلها حتى تكون الدراسة شبه شاملة من كافة الجوانب، كما واجهت

صعوبة بدراسة الأوضاع المالية والإدارية حيث تطلَّب ذلك جهداً ووقتاً إضافيين في القراءة من أجل انتقاء المناسب، لكن ذلك لم يثنِ عن المحاولة الطامحة إلى تقديم دراسة عن إقليم خراسان في العصر الأموي، تهدف إلى التعمق في دراسة الجوانب السياسة عامة وكافة الجوانب الإدارية في تلك الفترة؛ فضلاً عن أن هذا الإقليم لم يحظَ بدراسة شاملة للجوانب السياسية والإدارية والمالية بهذا الشكل فقد كانت هناك دراسات في جامعات القاهرة وبغداد إلا أن جميعها ألقت الضوء على جوانب معينة ومختصرة في بعض الأوقات، وعلى الرغم من أن إطار البحث محدد خلال الحقبة الأموية، فكان لابد من الحديث بشكل موسع قليلاً عن إقليم خراسان قبل الفتح الإسلامي فلا يمكن الاستغناء عن ذلك، لأنه يعد جزءاً أساسياً ومهماً لدراسة العصر الأموي، وأيضاً كان لزاماً على الباحثة عند دراسة الفتوحات في العصر الأموي الحديث عن بداية هذه الفتوحات في العصر الراشدي؛ لأن بداية الفتوحات وأهمها ومعظمها تم خلال هذه الحقبة، لهذا كانت حقبة البحث طويلة منذ ما قبل الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي؛ مع محاولة الاختصار و إبراز كافة الجوانب المهمة في هذه الدراسة؛ لأن هذا البحث يحتاج إلى مجلدات كثيرة لإنجازه لإيراد كافة الأحداث فيه.

وتألف البحث من مقدمة ودراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث مرتبة حسب أقدمية المؤلفين وخمسة فصول:

الفصل الأول: يتحدث عن خراسان قبل الفتح الإسلامي، وتم الحديث في هذا الفصل عن جانبين:

الأول: جغرافية عامة لإقليم خراسان: من خلال الحديث عن تسمية إقليم خراسان وحدوده وموقعه الجغرافي مستعرضاً لآراء الجغرافيين العرب حول حدوده ومدى اختلافهم في هذا الشأن، وكان هناك صعوبة كبيرة في ذلك، ولاسيما فيما يتعلق باختلاف روايات الجغرافيين حول حدوده وعلاقته بما وراء النهر، وتطور حدود إقليم خراسان في العصر الإسلامي؛ فضلاً عن أهم الأقاليم الجغرافية التي تقع ضمن هذا الإقليم وهي بلخ ومرو ونيسابور وهراة، وعرض لأهم النشاطات الاقتصادية هناك. حيث تكمن أهمية هذا الفصل في أنه يحدد النطاق الجغرافي للموضوع، من أجل التركيز على المنطقة موضوع البحث. وكان الهدف من ذلك هو رسم الحدود الجغرافية لإقليم خراسان الذي اختلف الجغرافيون العرب والقدامى والمحدثين والمستشرقين في تعيينها، وإعطاء صورة شاملة عن طبيعة هذا الإقليم وتضاريسه ومناخه وأهم مدنه وقراه ومعرفة خصائصه البشرية والفلاحية والحرفية، وتم ذكر ما فيها من مياه وأنهار وجبال، ثم ما قيل من مدح أو ذم في كتب الجغرافيين الأوائل أمثال المقدسي وابن حوقل والاصطخري وغيرهم، وتم وضع بعض الخرائط عن إقليم خراسان.

الثاني: الأوضاع العامة في خراسان قبل الفتح الإسلامي: من خلال دراسة الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في العصر الساساني وأهم ملوك تلك العصر؛ فضلاً عن إلى الأوضاع الدينية والحديث عن

الديانات الفارسية القديمة (الزرادشتية والبوذية والمانوية والمزدكية والمسيحية واليهودية) ومبادئها وانتشارها في خراسان في تلك العصر، وأيضاً الحديث عن الأوضاع الاجتماعية ومنها فئات السكان والأصول التي ينحدرون منها، والعلاقة العرقية التي تربط أهالي ما وراء نهر جيحون بمن يعيشون دونه، وكيف أنَّ المنطقة المحيطة بهذا النهر هي المنطلق القديم للأصول الآرية الإيرانية، والمنبت الأساسي لديانتهم، ودراسة طبقات المجتمع الساساني والصراع الطبقي السائد من خلال دراسة طبقة الفلاحين الدهاقين، وكل منهما له أهمية؛ لأنهما يمثلان طبيعة الحياة السائدة في الريف بخراسان قبل الإسلام ويمهد للمقارنة بالحياة في صدر الإسلام، وتناول الجانب الاجتماعي أيضاً الحديث عن الحياة الاجتماعية العامة في خراسان من خلال دراسة أوضاع الأسرة والزواج والطلاق والمرأة والأعياد الساسانية، كما تناول هذا الجانب الأوضاع الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ونقد جرى الحديث فيه عن نشوء نظام الدهقنة وعلاقته بالنظام الإقطاعي، ومشاركة الدهاقين في حكومة خراسان المحلية خلال العصر الساساني، وسيطرتهم على الكثير من الأراضي الزراعية، ومدى استفادتهم من التعاليم المجوسية في مجال العمل الزراعي التي تحد من تمرد أو خروج الفلاحين عن طاعتهم، وأهم الصناعات التي اشتهرت فيها خراسان في العصر الساساني وأهم الطرق التجارية فيها.

الفصل الثاني: يتحدث عن فتوح خراسان في العصر الراشدي والأموي: فقد تناول مراحل فتح خراسان منذ العصر الراشدي والجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون في عمليات فتح خراسان ابتداءً من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وما بذله يزدجرد "آخر ملوك الدولة الساسانية" من جهود لإعادة هذه البلاد إلى حكمه؛ وجدير بالذكر أن المصادر والمراجع الإسلامية التي تناولت فتح خراسان قسمت عمليات الفتوحات في العصر الراشدي تقسيمات مختلفة منها من جعلها قبل الفتنة الأولى ثم ما بعد الفتنة ومنها من تناول فتوحات كل خليفة على حدة مفصلاً في عمليات كل والٍ، فقد أرتئ البحث تناول الفتوحات في العصر الراشدي من خلال كل خليفة على حدة.

أما في العصر الأموي، فقد قَسَّمت الفتوحات إلى جوانب تم الحديث فيها عن الفتوحات في خراسان في عهد كل خليفة من الخلفاء الأمويين وذكر كل والٍ من الولاة في فترة كل خليفة، فتم تقسيم الفقرات بطريقة متسلسلة ومنظمة هذا يسهل على القارئ الاطلاع على الفتوحات في عهد كل خليفة على حدة، مع استعراض دور كل والٍ من ولاة خراسان في عمليات الفتوح، وأهم غزواتهم وإنجازاتهم والمشاكل الداخلية والخارجية التي واجهتهم مع الإشارة إلى حقب الاضطراب السياسي التي شهدتها الدولة الأموية وأثرها على حركة الفتوح الشرقية، كما تم الحديث عن الفتح وبداياته وأساليبه، وما كان من عهود ومصالحات بين القادة الفاتحين والجيوش التي تواجههم، وكان لابد من الإشارة إلى بعض الأعمال التي

قام بها الفاتحون مثل بناء المساجد والخانات وتوزيع الغنائم وما إلى ذلك، وختم الفصل بالحديث عن النتائج التي ترتبت على فتح خراسان.

الفصل الثالث: استيطان القبائل العربية في خراسان من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأموي وأثره على العصبية القبلية، وتم الحديث في هذا الفصل عن جانبين:

الأول: استيطان القبائل العربية في خراسان ومناطق توزعها: من خلال الحديث عن القبائل التي شاركت في فتوح خراسان، وتضمن التعريف ببني تميم المضريين العدنانيين وبطونهم وأفخاذهم ومناطق استقرارهم وإسهامهم في الفتوح وانتشارهم في خراسان، وبنو بكر الربعيين العدنانيين وبطونهم وأفخاذهم ومشاركتهم في الفتوح ومنازلهم الجديدة في البلاد المفتوحة وأهم الفروع البكرية التي استوطنت خراسان وزعمائهم، والتعريف ببني عبد القيس الربعيين العدنانيين وانتقال الكثير من فروعهم خارج الجزيرة إلى خراسان والبصرة، والتعريف بالأزد الكهلانية اليمانية وأشهر فروعهم في عُمان، ونزولهم البصرة وخراسان، والتعريف بأهل العالية، وتنظيم هذه القبائل بحسب نظام الأخماس الذي كان سائداً في البصرة، كما أشار هذا الجانب إلى الوحدات القبلية الإضافية التي تمثلت بأهل الشام والكوفة، كما يتحدث هذا الجانب عن استيطان العرب في خراسان ومراحل عملية الاستيطان هذه مبيناً عمليات التوطين التي قام بها بعض أمراء خراسان في العصر الأموي، فقد شهدت خراسان عمليات توطين متتالية منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي، موضحاً الأصول والقواعد التي انطلق منها العرب إلى تلك البلاد، ودور القبائل العربية في خراسان في هذه الفتوح وتثبيت الحكم الأموي هناك. كما أشار إلى مناطق توزيع القبائل العربية في تلك البلاد ومواطن استقرارها في نيسابور ومرو وهراة وبلخ، وأثر العصبية القبلية التي نشبت بين هذه القبائل في خراسان في تغيير مناطق سكن القبائل العربية.

الثاني: العصبية القبلية وحركات المعارضة في إقليم خراسان: تضمن هذا الجانب الحديث عن أهم الأسباب التي كان لها الأثر المباشر في إذكاء العصبية القبلية بين العرب هناك، والمواجهات التي حدثت بين المعارضين وولاة بني أميَّة وما تمخض عنها من نتائج. وعن الصراع القبلي في خراسان وموقف القبائل من الحوادث السياسية وصراع عبد الله بن خازم مع بكر بن وائل، واستعانة ابن خازم ببني تميم، ثم صراعه مع بني تميم زمناً طويلاً إلى أن قضوا عليه سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، وظهور عصبية الأزد متمثلة بآل المهلب، وعلو شأن الأزد في ولاية المهلب وابنه يزيد، وأسباب عزل آل المهلب عن خراسان سنة ٨٦هـ/٧٠٥م وعودة يزيد بن المهلب والياً في سنة ٩٧هـ/٧١٦م، والنمو المتزايد لعصبية الأزد بصفة خاصة واليمن بصفة عامة في ولاية أسد بن عبد الله القسري سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م وسنة ١١٧هـ/٧٣٥م. كما تناول هذا الجانب حركات المعارضة العربية ضد الحكم الأموي والمناوئة للسيادة العربية في خراسان، إذ كان من أبرزها حركة الحارث بن سريج المرجئي، وجديع الكرماني الأزدي، والمبادئ التي نادى بها كل

منهما، وكيف لجؤوا إلى الاتفاق فيما بينهما من أجل تحقيق النصر على الحكم الأموي في تلك البلاد، وكذلك معارضة يحيى بن زيد وأخيراً النتائج التي تمخضت عن العصبية القبلية وحركات المعارضة.

الفصل الرابع: الإدارة والسياسة المالية في إقليم خراسان، وتم الحديث في هذا الفصل عن جانبين:

الأول: الإدارة في إقليم خراسان: تم الحديث عن أهم التقسيمات الإدارية في جانبين يتحدث الأول عن الأوضاع الإدارية في خراسان قبل الفتح العربي وأهم التقسيمات الإدارية عند الساسانيين وأهم المناصب الإدارية؛ والثاني عن الأوضاع الإدارية في خراسان بعد الفتح العربي وتقسيم الإقليم إلى أرباع وما طرأ عليه من تغييرات مع إيراد روايات المؤرخين المختلفة في هذا الجانب، كما تم الحديث عن أهم الولاة وأعمالهم في خراسان والأسلوب الإداري التي كانت تحكم به تلك النواحي وتبعيتها الإدارية طوال عصر بني أمية وتعيينهم العمال على المدن الخراسانية وأهم هؤلاء العمال وذكرهم بحسب الأقاليم الإدارية، وتم الحديث عن جانب مهم هو تبعية خراسان إدارياً للعراق وأسباب ذلك، كما أشار إلى المؤسسات الإدارية التي استحدثت من جراء الفتح كالدواوين (ديوان الجند، الخراج، الخاتم، الرسائل، البريد)، والقضاء والشرطة، كما تم الحديث عن تعريب الدواوين. وكان الهدف من ذلك تنظيم علاقة هذا الإقليم مع حاضرة الخلافة، وشعورهم أنهم أصحاب رسالة جليلة وأنهم في مرحلة مهمة تضع على عاتقهم دوراً تاريخياً خطيراً.

الثاني: السياسة المالية في إقليم خراسان في العصر الأموي: تم الحديث عن بيت المال ونشأته، كما تم الحديث عن موارد إقليم خراسان والتي تضمن الجزية والخراج، ضريبة التجارة والعشور، الزكاة والصدقات، الفيء والغنيمة، فضلاً عن الضرائب الإضافية كالنيروز والمهرجان مع استعراض الآراء المختلفة حول ضرائب وهدايا هذا الإقليم، كما تم الحديث عن نفقات إقليم خراسان والتي تضمن العطاء والأرزاق والنفقات الأخرى، ورسم صورة عن النظم المالية التي كانت سائدة في خراسان قبل فتحها، ثم ما طرأ عليها من تغيير في ظل النظم العربية التي كانت سائدة بعد الفتح، ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسة امتدت إلى بلاد ما وراء النهر؛ لأنها كانت جزءاً من إقليم خراسان خلال العصر الساساني ثم التحقت إدارياً بخراسان بعد فتحها، فضلاً عن تعريب النقود، والحديث عن الإجراءات الإصلاحية لنظام الضرائب في خراسان في العصر الراشدي والعصر الأموي مع ذكر مصادر مالية خراسان من خلال عرض للفروض المالية في خراسان التي تضمنتها عهود الصلح بهدف الوصول إلى نوع الضريبة المقررة، وقد تعددت تسمياتها في المصادر الأولية، وتم الحديث في هذا الفصل عن الإجراءات المالية ومحاولات الإصلاح المالي ابتداءً بإصلاحات عمر بن عبد العزيز عن طريق إسقاط الجزية عن المسلمين من الأعاجم وفرض العطاء لهم، وعدّ الأرض الخراجية فيئاً موقوفاً على الأمة الإسلامية، ثم محاولتي أشرس بن عبد الله السلمي ونصر بن سيار، لمعالجة أوضاع الموالي وإسقاط الجزية عنهم، مع الإشارة إلى دور

الدهاقين في محاربة تلك الإجراءات من خلال عرقلة النظم المالية، ومحاولات الإصلاح المالي من خلال الدور الخطير الذي شغلوه للحد من انتشار الإسلام، واستقرار الأوضاع في المشرق، ولجوئهم إلى وسيلة كسر الخراج للضغط على الإدارة العربية وثنيها عن تنفيذ تلك الإجراءات وإجبارها على إلغائها حتى أنهم قد صوروا للولاة العرب أن السكان قد أسلموا تهرباً من الجزية؛ مما أدى إلى خلق مشكلة الموالي في خراسان.

الفصل الخامس: أثر خراسان في انهيار الدولة الأموية ودورها في قيام وانتشار الدعوة العباسية:

تم الحديث في الفصل عن بدايات الدعوة العباسية في خراسان وكيفية استغلال الشيعة الصراعات القائمة في خراسان، ودور القبائل العربية في خراسان في الدعوة العباسية من حيث مراحل الدعوة واتصال العرب بها، والجهود التي بذلها الدعاة العرب في سبيل نشر الدعوة؛ فضلاً عن استغلالهم العصبية القبلية من أجل التخلص من سطوة أمراء خراسان، ودور أبي مسلم الخراساني في الدعوة العباسية وموقف نصر بن الدعوة وإجراءاته ضدها، وتم الحديث عن إعلان الثورة العباسية ودعوة نصر بن سيار القبائل للتوحد ثم قيامه بحملة التشهير ضدهم وسياسة التحالفات التي قامت خلال هذه المدة وكيفية حدوثها ونتائجها والتي كان من أهمها سيطرة أنصار العباسيين على مرو وهروب نصر بن سيار منها، وإجراءاته العسكرية ضدهم، وموقف الخلافة الأموية من نداءات نصر المتمثل بموقف مروان بن محمد وموقف يزيد بن عمر ابن هبيرة والي العراق وموقف أهل خراسان من نصر والثورة العباسية، فقد تعرَّض الفصل بالدراسة والتحليل إلى مراحل سقوط خراسان وإعلان الدولة العباسية التي خرجت من السرية إلى العلنية، وخروج الجيوش العباسية من خراسان للاستيلاء على العراق والشام ثم ملاحقة آخر خليفة أموي إلى أن قتلوه في مصر، ثم الدور الذي قام به أبو مسلم الخراساني وقواته الخراسانية في إسقاط الدولة الأموية وقيام الخلافة العباسية وكان سقوطها بداية النهاية للدولة الأموية.

وانتهى البحث بخاتمة أوجز بها أهم وأبرز النتائج التي توصل إليها الدراسة، ومن ثم جرى تقديم قائمة بالملاحق وضعت في نهاية الدراسة والتي تضمنت التعريف بالأعلام والمصطلحات والأماكن التي وردت في ثنايا البحث مرتبة حسب حروف المعجم؛ ليسهل على القارئ العودة إلى كل اسم، ومن جهه ثانية الحرص على عدم إثقال البحث بالحواشي. وفي آخر البحث تم وضع قائمة تفصيلية بالمصادر العربية والفارسية، والمراجع العربية والمعربة، والأبحاث والرسائل الجامعية التي اعتمدت عليها الدراسة.

أما المنهج في إعداد هذا البحث فقد تم العمل على إقامته وفق الأسلوب العلمي المتبع في كتابة البحوث الأكاديمية، فهو منهج تشكل من مجموعة من المناهج أوَّلها المنهج التاريخي الوصفي الذي تم من خلال تطبيقه الوقوف عند الأحداث والوقائع التاريخية كما عرضها ورآها أصحابها؛ وذلك للمحافظة على روح الموضوعية والحياد، أما المنهج الثاني فهو المنهج التحليلي الذي كان الهدف من تطبيقه هو

الوصول إلى حقائق القضايا والآراء المتمثلة في منطلقات أصحابها العقائدية والمذهبية والفكرية، أما المنهج الأخير فهو المنهج النقدي الذي استطاع هذا البحث أن يقف بتطبيقه عند الحقائق الموضوعية لسير الأحداث في مسارها التاريخي المنطقي، وبه استطاع البحث أن يقف بثبات في أحكامه ضدَّ كلِّ المغالطات التاريخية مهما كان مصدرها.

وبعد.... فهذا خلاصة جهد الباحثة ووجهة نظرها وصبرها ومثابرتها لإكمال هذا البحث، وحسبها إنها أسهمت في تقديم صورة حاولت أن تكون متوازنة ملتزمة الدقة وتحري الحقيقة ومحاولة الكشف عن بعض الجوانب الغامضة، هذا ما استطعت بذله من خلال ما توفر لي من مصادر في دراسة هذا الموضوع وأنا لا أدعي الكمال فتلك من صفات الله عز وجل فبه أسدي خالص الشكر والمنَّة، فإن أعمالنا معرضة للذلل والخطأ، فإن وفقت فهذه نعمة وتوفيق من الخالق فله الحمد أولاً وأخيراً، وإن كان هناك تقصير أو خطأ فهو من نفسي وليس لي إلا أن استغفر الله العظيم من ذلك، وأسأل الله العلي القدير أن يكون عملي خالصاً لوجهه تعالى وأن ينفعنا بما عملنا ويرزقنا العمل به إنه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وفي الختام أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه، ولا يفوتني إلا أن أسجل شكري وامتناني لأساتذتي الكرام الذين كانت لهم الأيادي البيضاء في خروج هذا البحث إلى النور.

فأقدِّم جزيل الشُّكر والتقدير والإكبار إلى أستاذتي الدكتورة شكران خربوطلي التي رعت هذا البحث في كل مرحلة دعماً ومتابعة، ولما غمرتني من سعة صدر وعلم فياض، ولم تبخل عليَّ بوقتها ومشورتها، وحرصها على إنجاز هذا البحث، فأخذت بيدي إلى نهاية مسالكه مرشدةً ومعينةً بتوجهاتها العلمية الفذَّة وملاحظاتها السديدة النافعة، فجزاها الله خير الجزاء، وأدامها زخراً للتاريخ الإسلامي.

كما أتقدَّم بالشُّكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور سهيل زكار الذي كان له الفضل في تشجيعي على اختيار موضوع البحث، وتابع البحث في مراحله كلها مرشداً ومعيناً، وأكرمني بتوجهاته بين حين وآخر، وكان صدره رحباً لكل سؤال واستفسار يعترضني، فمنحني من علمه الكثير ووقته الثمين، وفتح ليَّ مكتبته لكل ما أحتاجه من كتب، فكانت لملاحظاته القيمة وتوجهاته السديدة كبير الأثر في تنقية البحث مما شابه من نقص، فله الشكر فجزاه الله خير الجزاء، وأدامه زخراً للعلم والعلماء وللأمة الإسلامية عامة.

وأتوجه بالشكر والتقدير والعرفان لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين تحملوا أعباء قراءة البحث، وما قدموه من ملاحظات قيمة التي تسهم في إخراج هذه الدراسة بحلة علمية أجود مما هي عليه، وما أبدياه من طيب المعاملة وحسن النصحية، وما بذلوه من جهود مشكورة، وأسأل الله تعالى أن يكون ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً، وأشكرهم لتفضلهم بقبول مناقشتي... فأتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ الدكتور عمار النهار الذي يعجز اللسان عن شكره على ما قدمه لي من توجهات علمية قيمة على طول

مسيرتي الدراسية فله مني وافر الدعاء والتقدير، وأدعو الله أن يجزيه مني خير الجزاء ويبارك له بعلمه وصحته ويمد في عمره. وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور خليل الحسين الذي تفضل بقبول مناقشة رسالتي وتقييمها وتحمل عناء ومشقة السفر من أجل ذلك فله مني كل الشكر والامتنان. كما أتقدم بالشكر إلى الدكتورة أرواد العلان التي تفضلت مشكورة بقراءة الرسالة وأغنتها بملاحظاتها القيمة، والتي كانت بمثابة الأخت والصديقة التي ساعدتني في الأمور التي استعصت عليّ في الكتب الفارسية فلها مني عظيم الشكر والامتنان.

كما أتقدم بالشكر إلى زوجي الدكتور حسام النايف الذي كان معي دائماً، يثبت عزيمتي، ويوجه شراعي الصغيرة في هذه اللُّجة العالية، تفقدَّني بعين المعلم الثاقبة، فبارك خطوتي حيناً، وردَّني عن الزلل حيناً آخر، فله مني خالص الشكر والحب والامتنان.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من تفضل بمساعدتي وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور فخري بوش لما قام به من جهد يشكر عليه في مراجعة هذه الرسالة لغوياً، كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور نزار عبد المحسن جعفر الأستاذ في كلية الآداب جامعة البصرة الذي كان له فضل كبير وجهد عظيم في إرسال كل ما احتجت إليه من مادة علمية من جمهورية العراق الشقيق، والشكر أيضاً إلى كافة الأصدقاء الذين زودوني بكتب قيمة من جمهورية مصر الشقيقة، كما أتوجه بالشكر إلى إدارة مكتبة الأسد الوطنية مديراً وموظفين لما قدموه من تسهيلات في أثناء إطلاعي على المصادر والمراجع فلهم مني خالص الحب والعرفان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق ٢٠١٧/٧/٢٣

دلالة الرموز المستخدمة في البحث

ص	صفحة
ج	جزء
ق	قسم
مج	مجلد
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ت	توفي
ع	العدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ق.م	قبل الميلاد
مر	مراجعة
ط	طبعة
د. ت	دون تاريخ نشر
د. م	دون مكان نشر
vol	Volume
p	page
Pt	Part

المقاييس (المسافات والأطوال)

الميل	= ٤٠٠٠ ذراع مرسلة= ٣٠٠٠ ذراع هاشمية =١٨٤٨ متراً.
الفرسخ	=١٢٠٠٠ ذراع مرسلة = ٩٠٠٠ ذراع هاشمية = ٣ ميل = ٥٥٤٤ متراً
المرحلة	من ٥ إلى ٦ فراسخ = ٢٨ إلى ٣٣ كم ومتوسطها ٣٠.٥ كم.
البريد	٤ فراسخ = ٢٢.١٧٦ كيلو متر.
اليوم	٢ بريد = ٨ فراسخ = ٤٤.٣٥٢ كيلو متر.

الفصل الأول
خُرَاسان قبل الفتح الإسلامي

أولاً: جغرافية عامة لإقليم خُرَاسان

١- تسمية خُرَاسان

٢- حدود خُرَاسان وموقعها وامتدادها

٣- أقاليم (أرباع) خُرَاسان

٤- مناخ خُرَاسان

٥- أنهار خُرَاسان

ثانياً: الأوضاع العامة في خُرَاسان قبل الفتح الإسلامي

١- الأوضاع السياسية

٢- الأوضاع الدينية

٣- الأوضاع الاجتماعية

٤- الأوضاع الاقتصادية

أولاً: جغرافية عامة لإقليم خُرَاسان

١- تسمية خراسان:

سميت خراسان في القديم بلد أشرنيه وسميت بأشورين بن سام بن نوح وهو أول من اعتمر الصقع بعد الطوفان(١)، ويذكر ابن رسته أن الفرس استخدموا كلمة خُرَاسان للدلالة على ربع مملكتهم الشرقي، الذي كان يقع شمال شرق إيران، حيث تعني خُرَاسان في الفارسية "أرض المشرق"(٢)، أما الجغرافيون العرب فقد أطلقوا كلمة خُرَاسان بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة الكبرى حتى حد جبال الهند(٣). وانقسم الجغرافيون والمؤرخون في دلالة كلمة خُرَاسان ومعناها؛ فقد أوردوا رواياتٍ عديدةً في معناها واشتقاقها اللغوي يتسم قسم كبير منها بعنصر المبالغة والمسحة الأسطورية، هذه الروايات مختلف بعضها عن بعض تماماً، ولا يربط بينها رابط، ومنها:

أ- ذكر أن تسمية خُرَاسان مأخوذة من خُرَاسان بن عالم بن سام بن نوح، ويؤكد أن "خرج خُرَاسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح، لما تبلبلت الألسن ببابل في يوم واحد، فنزل كل واحد منهما بالبلد المنسوب إليه إلى اليوم، فهيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون. ونزل خُرَاسان في هذه البلاد دون النهر فسميت كل بقعة بالذي نزلها"(٤).

ب- يرى آخرون أن خُرَاسان اسم فارسي مركب يتألف من شطرين "خُرْ" معناها كُل، أما "آسان" فتعني سهل أو بلا تعب، وبهذا تصبح "كُلْ بلا تعب" أو "كُل بالرَّفاهية"، وهذا آتٍ من طبيعتها الاقتصادية ودلالة على كثرة الخيرات والمحاصيل الزراعية التي تقدمها المنطقة لقاطينها(٥).

---

(١)- الحميري (محمد بن عبد المنعم ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٧٥م، ص٢١٥.

(٢)- ابن رسته، الأعلاق، ص١٠٣. قدامة بن جعفر: الخراج، ص١٣٩. الخوارزمي، (محمد بن أحمد بن يوسف ت٣٨٧هـ/٩٩٧م): مفاتيح العلوم، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م، ص١٣٧.

(٣)- لسترنج، بلدان، ص٤٢٣. دائرة المعارف الإسلامية، تر: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورسيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، ١٩٣٣م، ج٨، ص٢٨٢. العمادي، محمد حسن: خُرَاسان في العصر الغزنوي، تقديم: نعمان جبران، مؤسسة حماده للخدمات، الأردن، د.ت، ص١.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٣. الطبري، تاريخ، ج١، ص١٩٣. ابن الفقيه، مختصر، ص٣١٤. المقدسي، أحسن، ص٢٦١. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٥٠. الأنصاري (شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي طالب شيخ الربوة الدمشقي): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطربورغ، ١٨٦٥م، ص٢٢١.

(٥)- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسيّ ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ج٢، ص٤٨٩. الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ت٥٤٠هـ/١١٤٦م): المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح: ف.

ج- لكن الرأي الأقرب للصواب والذي اتفق عليه العديد من البلدانيين أن "خُرْ أو خور" باللغة الفارسيَّة القديمة تعني "الشمس" بالدَّريَّة، وأما "آسان" فهي موضع الشيء ومكانه وأصله، وبهذا يكون معناها "مكان شروق الشمس" أو "مطلع الشمس"[١]. وقد وردت بهذه الدلالة في شعر لأبي تمام الطائي (ت٢٣١هـ/٨٤٦م) في مدحه لعبد الله بن طاهر أمير خُرَاسان يقول:

أَمَطْلِعَ الشَّمْسِ تَنْوي أَنْ تَؤُمَّ بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلَّا ولكنْ مَطْلِعَ الجُودِ[٢]

وربما يعود سبب تسميتها بهذا الاسم إلى طبيعة أرضها التي جعلت سكانها يطلقون هذا الاسم على المنطقة، إذ يرون الشمس وكأنها بزغت منها وهم على مرتفعات إيران الشرقية[٣]. هذا الرأي يتفق مع الدراسات التاريخية والأثرية للمنطقة، والتي بينت أن شعوب المنطقة قد قدست مظاهر الطبيعة وعبدت الكواكب، وكان أكبر الآلهة عندهم هو إله الشمس (خور) أو (خور خشايتة) الشمس العليا، التي كانت تظهر بين الآلهة في الكتب الأوستية[٤]. فهي بلاد الشمس المشرقة التي تشمل مساحة واسعة تقع إلى الشرق من بلاد فارس وتترامى إلى نهر جيحون، وعرفت في العصور الميدية القديمة باسم "أريانا" نسبة إلى أصل سكانها الآري، ويبدو أن هذا الاسم قد حوَّر قليلاً حيث جاء في الأوستا في صورة "إيرايانا"[٥]، ولم ينتشر اسم خُرَاسان إلا في القرن الخامس الميلادي[٦].

٢- موقع خُرَاسان وحدودها وامتدادها

الناظر في كتب البلدان لا يجد تصوراً واضحاً عن حدود خُرَاسان؛ بل يجد أن حدودها غير ثابتة، فهي تتغير من وقت لآخر، فخُرَاسان في العصور القديمة أوسع من خُرَاسان في العصور المتأخرة، وكذلك المصادر القديمة البلدانية لا يوجد فيها ما يشفي الغليل، ويعطي تصوراً وحدوداً محددة ومعلومة، ومن هنا

=عبد الرحيم، دار القلم، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٨٤. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨٩. الحديثي، أرباع خُرَاسان، ص١٦.

[١]- البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٩٠. السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٣٣٧. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٥٠. أبو الفداء، تقويم، ص٤٤١. القلقشندي، صبح، ج٤، ص٣٨٩. دائرة المعارف، م٨، ص٢٨٢.

[٢]- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت٣٣٥هـ/٩٤٦م): أخبار أبي تمام، تح: خليل محمود عساكر وآخرون، تقديم: أحمد أمين، دار الآفاق الجديدة، ط٣، بيروت، ١٤٤هـ/١٩٨٠م، ص٢١٢.

[٣]- شاكر، خُرَاسان، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٧.

[٤]- كريستنسن، إيران، ص١٣٣. ديورانت، ول وايريل: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، محمود بدران وآخرون، دار الجيل ، بيروت، د.ت، مج١، ج٢، ص٤٢٥.

[٥]- محمد غبار، مير غلام: أفغانستان دَرْ مَسير تاريخ، مركز نشر اقلاب باهمكارى جمهورى، بهار١٣٤٨، ص٩-١٠.

[٦]- حبيبي، عبد الحي: تاريخ أفغانستان بعد از اسلام، مركز تحقيقات رايانهاي قائميه اصفهان، د.ت، ص١٤٠.

فهناك حاجة ماسة إلى دراسة هذه المنطقة من قبل المختصين، وتحديد معالمها المهملة المطموسة، وتحديد حدودها الجغرافية، وتوضيحها حتى تبقى أهمية المنطقة معلومة في أذهان أبناء الأمة.

وعلى الرغم من أهمية إقليم خُرَاسان في الدولة العربية الإسلامية فقد اختلف الجغرافيون العرب في تحديده بضم بعض المناطق إليه أو خلعها، فقد أدخل بعضهم[١] إقليم ما وراء النهر فيه، وأدخل البعض الآخر[٢] إقليم قُوهستان، كما أدخل البعض أيضاً[٣] إقليم سجستان.

ومع أن "سجستان" و "طبرستان" وبلاد ما وراء النهر قد أديرت من قبل العاصمة خُرَاسان في عهد كثير من الولاة الأمويين[٤] فإنّ صلة ما وراء النهر بخُرَاسان ظلت هي الأقوى لكون أراضي هذين الإقليمين امتداداً لبعضهما ومن دون حاجز يُذكر سوى نهر جيحون، ولقرابة الدم التي تربط بين سكانهما، ثم أنَّ بلاد ما وراء النهر لم تدر كولاية مستقلة عن خُرَاسان طوال العصر الأموي[٥].

ومن المحتمل أن يكون اختلاف البلدانيين في حدود خُرَاسان وإطارها الجغرافي نتيجة لتباين الأوضاع السياسية وحالة الاستقرار في كل من خُرَاسان وبلاد ما وراء النهر، ولا سبيل إلى تعيين حدودها تعييناً دقيقاً، وإن كان القدماء قد عينوها حسب مقاييسهم الجغرافية، وتحديدهم للجهات الأربع[٦]. هذا وقد تحكمت بمسألة الحدود جملة عوامل، أهمها: مدى توسع الإمبراطوريات الإيرانية المتعاقبة على جبهتي الشمال والشرق، ومدى قدرة المركز الإمبراطوري على ضبط هذه الحدود والمحافظة عليها، ثم الهجرات والانسياحات البشرية التي غيرت ديموغرافية المنطقة أكثر من مرة[٧].

فخُرَاسان في العصر الساساني يكتنفها الغموض بعض الشيء، فقد كانت الحدود الشرقية للإمبراطورية الساسانية أيام الفتح العربي تقف عند نهر المرغاب وبالتحديد عند القسم الأسفل من هذا النهر وحتى

---

[١]- ابن الفقيه، مختصر كتاب، ص٣١٤. ابن خرداذبه، المسالك، ص١٨. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٥٠.

[٢]- البلاذري، فتوح، ص٥٦٧. ابن رسته، الأعلاق، ص١٠٥. قدامة، الخراج، ص١٧٢. ابن حوقل، صورة، ص٣٦١.

[٣]- ابن خرداذبه، المسالك، ص١٨. المقدسي، أحسن، ص٢٩٣.

[٤]- قلمّا انفردت طبرستان بوال مستقل، بينما استقلت سجستان بوال خاص بها في أحيانٍ كثيرة مثلاً: إنَّ الربيع بن زياد الحارثي كان عليها من قبل زياد بن أبيه ووليها بعده عبيد الله بن أبي بكرة إلى أن مات زياد، ثم وليها عبَّاد بن زياد إلى عام ٦١هـ/٦٨٠م، هذا وتولى ولاة خُرَاسان في العصر الأموي سجستان كجزء من أعمال خُرَاسان، وذلك كما في أيام أمية ابن عبد الله، وقتيبة بن مسلم، ويزيد بن المهلب في ولايته الثانية. البلاذري، فتوح، ص٣٨٥. خماش، خُرَاسان، الموسوعة العربية، ط١، دمشق، ٢٠٠٣م، مج٨، ص٧٧٢. كما أن المقدسي يؤكد أن سجستان جزء من خُرَاسان. أحسن التقاسيم، ص٢٦٠. وعن فتح سجستان عام ٢٣هـ/٦٤٣م. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٤٣.

[٥]- العفنان، القبائل العربية في خُرَاسان وبلاد ما وراء النهر، ص١٨.

[٦]- الاصطخري، مسالك، ص٢٢٧. ابن حوقل، صورة، ص٣٥٨.

[٧]- عيزوقي، محمود: أوضاع خراسان أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٨-٩٥هـ/ ٦٩٧-٧١٣م) دراسة سياسية-اجتماعية-اقتصادية، إشراف: نهى حميد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠١١م، ص٢٠.

شمال مرو، وأن خُرَاسان الساسانية كانت تقتصر على منطقة نيسابور، ومدينتي مرو ومرو الروذ[١]. هذا وقد ذكر المؤرخون والجغرافيون الكثير من الروايات عن حدود خراسان مع اختلافات كثيرة بين هذه الروايات[٢]. كما أن ياقوت الحموي يعترض على إدخال خوارزم وما وراء النهر ضمن خُرَاسان، معللاً أنَّ هذه البلاد وإن كانت تحت إدارة والي خُرَاسان واسم خُرَاسان يجمعها فإنها ليست منها، ويطلق على بلاد ما وراء النهر اسم بلاد الهياطلة[٣]. غير أنه وخلافاً على إطلاق اسم الهياطة على بلاد ما وراء النهر، فإنه في الأراضي التي تقع على الجانب المقابل من جيحون سكنها في عصور ما قبل التاريخ أناس ينحدرون من أصول إيرانية خالصة، وأن أقدم المستعمرات هناك كانت تلك الرقعة من الأرض التي تمتد من أخسيكت القديمة عند حدود فرغانة الشرقية حتى بخارى، كما أن الكثير من أسماء مناطق وأنهار ما وراء النهر فارسية قديمة في أصلها[٤]. فالجغرافيون الذين حصروا منطقة خُرَاسان بما دون نهر جيحون، جعلوا هذا النهر حداً فاصلاً بين اثنين: الإيرانية والطورانية، غير أن الجاحظ قد خالف هؤلاء الجغرافيين في قولهم وبين خطأ هذا الرأي حيث قال: «أزعُم أنَّ الخُرَاسانيَّ والتركيَّ أخوانِ، وأن الحيِّز واحد، وأنَّ الأعراق في الأصل إن لم تكن راسخة فقد كانت متشابهة، وحدود البلاد المشتملة عليهم إن لم تكن متساوية فإنَّها متناسبة، وكلهم خُرَاسانيٌّ في الجملة وإن تميَّزوا ببعض الخصائص، فافترقوا ببعض الوُجوه»[٥]. كما أن الهياطلة والترك لم يظهروا على المسرح السياسي للمنطقة حتى القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ويشير بارتولد إلى أنه ابتداء من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، صارت معاهدات الصلح المعقودة بين حكام إيران وتوران تنص في معظم الأحوال على أن نهر جيحون (أموديا) هو الحد الفاصل بين الطرفين، وليس قبل ذلك[٦].

---

(١)- كريستنسن، إيران، ص٤٨٢.

(٢)- انظر هذه الروايات مع الاختلافات الواردة فيها عند: الاصطخري، مسالك، ص٢٥٣. ابن حوقل، صورة، ص٣٥٨، ٣٦١. مجهول، حدود العالم، ص٨٠. المقدسي، أحسن، ص٢٦٠. السمعاني، الأنساب، ج٢، ص٣٣٧. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٥٠-٣٥١. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ج١، ص٤٢٩. القزويني، (زكريا بن محمد بن محمود ت٦٨٢هـ/١٢٨٤م): آثار البلاد وأخبار العِبَاد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٣٦١. لسترنج، بلدان، ص٤٣٣، ٤٤٩، ٤٦٢. العلي، تقسيمات خُرَاسان، ص٧٤٤.

(٣)- معجم، ج٢، ص٣٥١.

(٤)- فامبري، أرمنيوس: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد الساداتي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٨٧٢م، ص٤١، ٤٤. لسترنج، بلدان، ص٤٧٦.

(٥)- الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر ت٢٥٥هـ/٨٦٨م): رسائل الجاحظ، تح: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١، ص٩-١٠.

(٦)- تركستان من الفتح إلى الغزو المغولي، ص١٤٥.

وعلى هذا يمكن الاستنتاج أن حدود خُرَاسان من الناحيتين التاريخية والإدارية لم تكن ثابتة سياسياً ولا إدارياً مثلما أشار إليه ياقوت الحموي، والمنطقة التي ضمتها خُرَاسان كانت ترتبط ـ توسَّعاً أو تقلّصاً ـ بحسب قوَّة الأسر الحاكمة التي تظهر في هذه المنطقة أو ضعفها[١].

لذلك فإنه من الصعب تحديد حدود خُرَاسان تحديداً دقيقاً، ولعل ذلك راجع إلى الظروف التاريخية التي مرَّ بها هذا الإقليم، حيث كان اسم خُرَاسان في العصور الساسانية يطلق عموماً على جميع الأقاليم الإسلامية في الشرق حتى حدود الهند، وكانت خُرَاسان تضم كل بلاد ما وراء النهر في الشمال الشرقي ما خلا سجستان وقوهستان في الجنوب[٢]، بل كادت تمثل إيران الساسانية كلها حيث أصبح يطلق عليها اسم إيران شهر ومعنى شهر أي بلد فكأنهم قالوا بلد إيران[٣]. أما في العصور الإسلامية فقد انحصرت حدودها كثيراً، إذ إنها لم تتعدَّ نهر جيحون في الشمال الشرقي، وأصبحت إحدى ولايات إيران فقط، لكنها ظلت تشتمل على جميع المرتفعات فيما وراء هراة[٤]. وفي العصر الأموي وضعوا حدَّين لخُرَاسان، الأول هو "حد الاستيطان" لم يتعدَّ ما وصلوا إليه في العصر الراشدي، حيث اقتصر على المناطق الواقعة مادون النهر، وهذا يعني أن الملامح الأساسية لحدود خُرَاسان بدأت تستقر شيئاً فشيئاً، أما الحد الآخر هو "حد الغزو أو الفتوح" فقد أخذ العرب في هذه المرحلة بالانطلاق في حملاتهم إلى ما وراء النهر فوصلوا إلى بخارى وسمرقند، وكان حد الغزو هذا يتوقف على قوة الدولة الإسلامية وضعفها وما يبذله الأمراء المسلمون من جهود في سبيل الفتح[٥]. وخُرَاسان في الوقت الحاضر مقسومة بين ثلاث دول هي: الاتحاد السوفييتي، وأفغانستان، وإيران[٦].

وعلى كل حال المنطقة الداخلة ضمن نطاق البحث لا تشمل ما وراء النهر، لأنه لم يكن هناك في القرن الأول الهجري استقرار القبائل العربية، واقتصر دور العرب المسلمين هناك على عمليات عسكرية، رغم تمكن العرب المسلمين من إخضاع حكام ما وراء النهر وإرغامهم على دفع الجزية، ويتضح هذا من خلال دور قتيبة بن مسلم الباهلي عندما أجبر أهل بخارى على أن يدفعوا للخليفة كل سنة مئتي ألف درهم، ولأمير خُرَاسان عشرة آلاف درهم[٧].

---

[١]– معجم، ج٣، ص٢٤٧.

[٢]– ابن خرداذبه، المسالك، ص١٨. لسترنج، بلدان، ص٤٢٣.

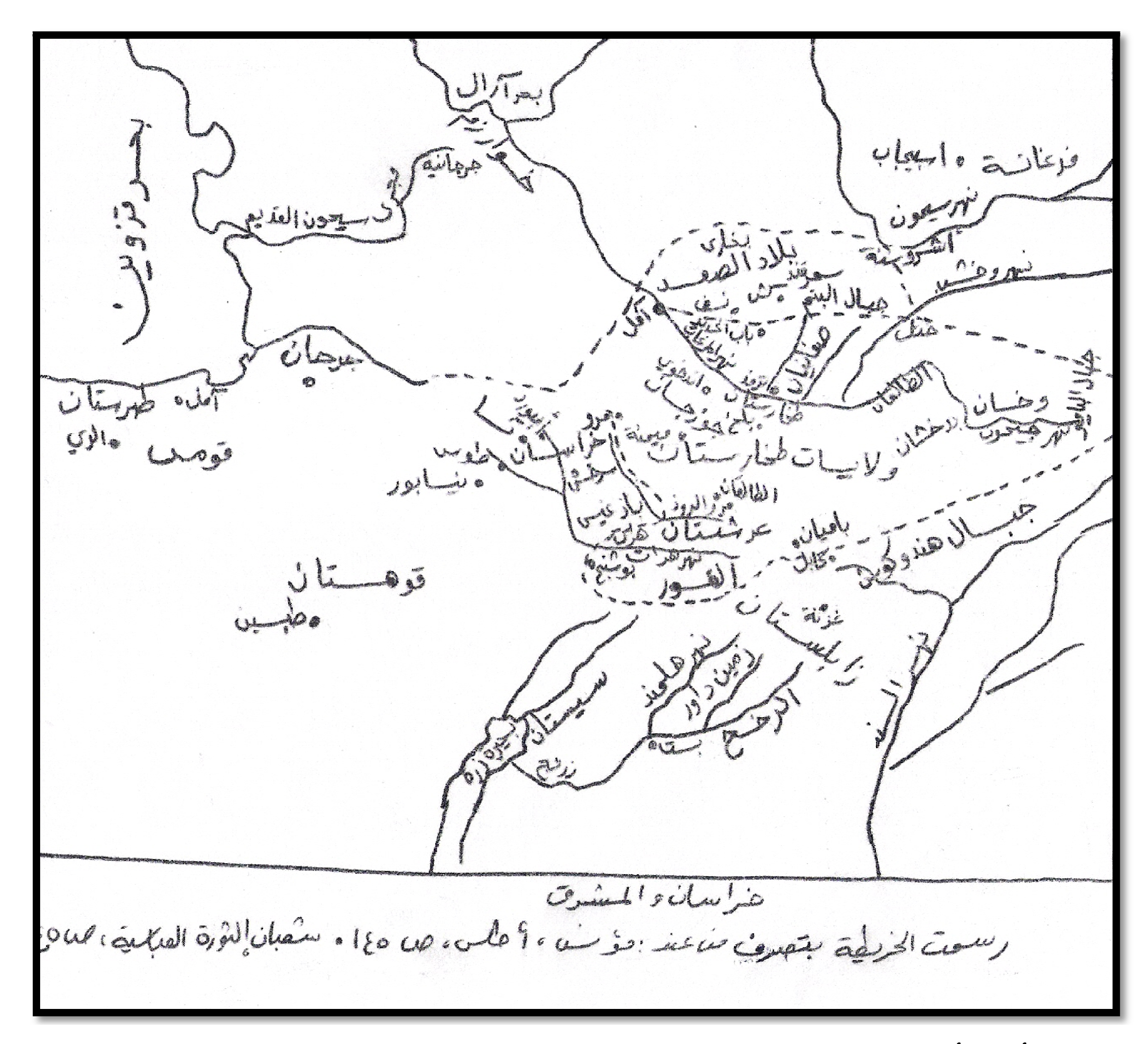
[٣]– الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٥٥-٢٥٦.

[٤]– لسترنج، بلدان، ص٤٢٣.

[٥]– خصاونة، حسين أحمد سعيد: القبائل العربية في خراسان حتى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف صالح درادكه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٨، ص٦.

[٦]– دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، ص٢٨٢، لسترنج، بلدان، ص٤٢٣.

[٧]– النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨.



٣- أقاليم (أرباع) خُرَاسان

أطلق على خُرَاسان اسم إيران أيضاً[١]، بل إن ابن الفقيه يتبنى هذا الرأي الذي يجعل خُرَاسان وفارساً شيئاً واحداً؛ لأن لسان خُرَاسان وفارس هو الفارسية[٢]. أما البكري فيذكر أن العرب إذا ذكرت المشرق كُلَّه قالوا فارس، فخُرَاسان من فارس[٣].

شغلت خُرَاسان حيزاً كبيراً من كتب البلدانيين العرب فوصفوها وصفاً دقيقاً، سواء في تسليط الضوء على تاريخها أو مواردها الطبيعية والاقتصادية دون إهمال معالمها الحضارية، فلا بد من الإشارة إلى أن إقليم خُرَاسان ضم تضاريس مختلفة، ففيه سهول واسعة غمرته أنهار كثيرة، ولهذا فهي سهول غنية

(١)- الحازمي (محمد بن موسى ت٥٨٤هـ/١١٨٨م): الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مُسمَّاه من الأمكنة، تح: حمد الجاسر، دار اليمامة، السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٩.

(٢)- مختصر، ص٢١٢.

(٣)- معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٩٠.

بمواردها الطبيعية وتنوع منتجاتها الزراعية، وفي شمالها الشرقي مناطق رعوية تمتد عبر الأراضي الصينية والروسية، وكانت هذه المنطقة من أهم مراكز الاحتكاك التجاري والحضاري، فأسهمت في نشر الإسلام حتى وصل إلى حوض الفولغا وهضبة التبت، كما أن توافر الموارد الزراعية أسهم في استقرار السكان وإقامة المدن والقرى، ومن ثم ازدهار التجارة جراء وفرة الإنتاج الزراعي، فضلاً عن وجود مراكز صناعية عديدة في مرو وهراة ونيسابور، وكل تلك العوامل جعلت من مدن خُرَاسان وأرباعها، تضم قوة عسكرية مهمة وحاميات مختلفة كانت البوابة الشرقية للإسلام[(١)]. كما أن المدينة الإيرانية كانت تكونت قبل الفتح العربي الإسلامي لها من قلعة تدعى "قهندز" والمدينة الأصلية أو القديمة تسمى "شهرستان" والتي كانت مقر الحكم، ثم القسم التجاري الذي يحتوي على الأسواق، ويكاد كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة يكون محصناً بسوره الخاص، وكان بين المدينة الرسمية والأحياء الخارجة عنها شغب دائم[(٢)]. ولسور المدينة عدة أبواب ـ أربعة في العادة ـ لدخول الناس وخروجهم لئلا يتزاحموا[(٣)]، وكان ميدان التجارة يقع خارج المدينة بجانب الباب وليس داخل المدينة، وتدل على ذلك كلمة بازار ومعناها السوق[(٤)]. وكان محور النشاط في المدينة الخُرَاسانية هو دار الإمارة الذي يمثل مركز السلطة ورئاسة المدينة، ثم المسجد الجامع الذي يعد ملتقى الجماعة الإسلامية ومركز الحياة الثقافية والعامة، وأخيراً السوق الذي يؤدي دوراً كبيراً في حياة المدينة بصفته عنصراً أساسياً لعظمتها، والمفيد ذكره أن إقليم خُرَاسان كان ينقسم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع إلى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن، هي: نيسابور، ومَرْو، وهُراة، وبَلْخ وهي متباينة المساحة[(٥)]. وقد أكد الزهري على أهمية خُرَاسان بقوله: «مدينة عظيمة لها أعمال وممالك كثيرة»[(٦)]، أما الأرباع فهي:

[(١)]– ابن حوقل، صورة، ص٣٦١. المقدسي، أحسن، ص٢٦٠. الحديثي، أرباع، ص١٨-١٩. فوزي، فاروق عمر: الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري، مجلة المؤرخ العربي، ع ٣٤، ١٩٨٧م، ص١١٤.

[(٢)]– الاصطخري، مسالك، ص٢٥٤-٢٥٥. القزويني، آثار، ص٨. متز، آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، ط٥، بيروت، د.ت، ج٢، ص٢٧٣.

[(٣)]– كان لبعض المدن سور واحد مثل غزنة، والبعض لها سوران كمرو وبخارى، والآخر ثلاثة أسوار كبلخ. انظر: الاصطخري، مسالك، ص٢٦٠. المقدسي، أحسن، ص٣٠٤. دائرة المعارف الإسلامية مادة بلخ، ج٤، ص٧٨.

[(٤)]– بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، تر: حمزة طاهر، قدم له عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٦٧.

[(٥)]– ابن رسته، الأعلاق، ص١٠٥. الاصطخري، مسالك، ص٢٥٣. ابن حوقل، صورة، ص٣٦١. القزويني، آثار، ص٣٦١. الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٢٣. لسترنج، بلدان، ص٤٢٤.

[(٦)]– الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المتوفى أوساط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي): كتاب الجعرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت، ص٦٠.

أ- ربع نيسابور:

تعد نيسابور أكثر مدن خُرَاسان أهمية، وتقع في الربع الغربي من خُرَاسان[١]، ويُلفظ اسمها في الفارسية الحديثة «نيشابور»، وهو مشتقٌ من «نِيُوشاه بور» في الفارسية القديمة ومعناه «شيء أو عمل أو موضع سابور الطيب»[٢]، إذ هي منسوبة إلى الملك سابور الثاني، الذي جَدَّد بناءها في القرن الرابع الميلادي[٣]، إذ إنّ مؤسسها الأوَّل كان سابور الأول بن أردشير بابكان. ولذلك نسبت إليه وأشار إلى ذلك مجموعة من الجغرافيين والمؤرخين[٤].

وبعد الفتح الإسلامي عرفت نيسابور باسم «أبْرَ شَهْر»[٥]، ومعناه: مدينة الغيم في الفارسية؛ لأن شهر بالفارسية هو البلد، وأبر هو الغيم. وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها الخلفاء الأمويون والعباسيون فيها، وهناك من البلدانيين من يسميها «إيرانشهر» أي مدينة إيران، ويبدو أن هذا الاسم "لقب شرف" وذلك لأن إيران كمشهر كان قد عرف بها إقليم خُرَاسان كله[٦]. ورَّد الحموي على مَنْ ذكر أنَّها تُعرف أيضاً باسم «إيرانشهر» وقال: «إنَّ هذا الاسم يطلق على مملكة كسرى من القادسية إلى نهر جيحون، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، ومعدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أرَ فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها»، ومن أسمائها أيضاً«نَشَاوور»، كما يطلق عليها وعلى نواحيها نَوْشَهْر أي البلد الجديد[٧]. كما تسمى نيسابور "دمشق الصغيرة"[٨].

ونيسابور عاصمة إقليم خُرَاسان الذي عرف عن أهله أنهم أكثر الناس رغبة في الدين والعلم[٩]، وهي مدينة عامرة جليلة أرضها سهلية، وأبنيتها من طين تنبسط في مساحة مقدارها فرسخ في فرسخ،ولها قهندز

---

[١]- المقدسي، أحسن، ص٢٩٥. الحديثي، أرباع، ص٢٢٠.

[٢]- الحموي، معجم، ج٥، ص٣٨٢. أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م): تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٤٥١. لسترنج، بلدان، ص٤٢٤.

[٣]- الطبري، تاريخ، جـ٢، ص٥٨. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣١. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٤٢. الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٢٥. الحميري، الروض، ص٨٨.

[٤]- الثعالبي، غرر، ص٥٢٩. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣١. أبو الفدا، تقويم، ص٤٥١. لسترنج، بلدان، ص٤٢٤.

[٥]- ابن قتيبة، المعارف، ص٤٦٠. البلاذري، فتوح، ص٥٦٨. ابن الوردي (عمر بن المظفر ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٦٠.

[٦]- المقدسي، أحسن، ص٢٩٩. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣١. الأنصاري، نخبة، ص٢٥٥. لسترنج، بلدان، ص٤٢٤.

[٧]- البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص١٤١١. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣١. أبو الفدا، تقويم، ص٤٥١.

[٨]- ابن بطوطة (محمد بن إبراهيم اللواتي ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٨٩. نيسابور الآن في الجزء الشمالي الشرقي من إيران. شاكر، خُرَاسان، ص٥٣.

[٩]- القزويني، أثار، ص٣٦١.

وربض، كما لها سور، وكان للمدينة أربعة أبواب، وللقهندز بابان، ويتفرع من هذه الأبواب الطرق الرئيسة المؤدية إلى الأقاليم المجاورة لها، ومن أشهر هذه الأبواب: باب القباب الذي يؤدي إلى العراق والجرجان، وباب جنك (أي باب الحرب) أمام ناحية بُشْتَنْفُرُوش ويؤدي إلى مرو وبلخ وما وراء النهر، وباب أحوص آباد ويؤدي إلى فارس وقوهستان، وباب يؤدي إلى طوس ونسا، وهناك أسماء أبواب أخرى تقل أهميتها عن الأبواب السابقة أهمها باب سوخته وباب سيرين وغيرهما[١]. وأعظم أسواقها سوقان هم المربَّعة الكبيرة والمربَّعة الصغيرة وهي أسواق طويلة مكتظة بالدكاكين، وفي هذه الأسواق خانات وفنادق يسكنها التَّجار[٢].

والمعلوم أنَّ لخُرَاسان طريقين؛ أحدهما: طريق "الطبسين" المعروف بطريق القوافل، والثاني طريق البريد المار بـقَوْمس وهو إلى الجنوب من الطريق الأول[٣]. هذه الطرق الآمنة شجعت الحركة التجارية لا سيما مع وفرة المعادن النفيسة، والأحجار الكريمة التي تستخرج من نيسابور، كما شجعت هذه الطرق على قيام صناعات، مما ساعد على قيام حركة اقتصادية كبيرة في أسواق نيسابور صاحبها رواج تجاري جعل المدينة تعيش رفاهاً اجتماعياً. وكان أكثر أهل نيسابور يعملون في الزراعة، ويسقون مزارعهم من نهر سغاور، فانتعشت الزراعة انتعاشاً كبيراً[٤].

وتعدُّ نيسابور من المراكز الإدارية لأطراف خُرَاسان الغربية خلال العصر الساساني، وهي مدينة واسعة كثيرة الكور[٥] وكان لها العديد من الرساتيق العامرة فقد ذكر ابن رسته أن لها ثلاثة عشر رستاقاً وأربعة أرباع[٦]، بينما جعلها ابن الفقيه اثني عشر رستاقاً في كل رستاق مائة وستون قرية[٧]، وكان عند المقدسي أربع خانات واثنا عشر رستاقاً وثلاث خزائن وقصر ودار، اشتملت جميعها على ستة آلاف قرية[٨]. ومن أهم المدن والبلدات في نيسابور:

---

(١)- الاصطخري، مسالك، ص٢٥٤-٢٥٥. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٢-٣٦٣. المقدسي، أحسن، ٣١٤-٣١٦-٣٢٩. الحاكم النيسابوري، تاريخ نيشابور، ص١٤١. لسترنج، بلدان، ص٤٢٥.

(٢)- الاصطخري، مسالك، ص٢٥٥. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٢. لسترنج، بلدان، ص٤٢٥.

(٣)- المقدسي، أحسن، ص٣١٨.

(٤)- الاصطخري، مسالك، ص٢٥٨. ابن حوقل، ص٣٦٣. الثعالبي، لطائف المعارف، ص١٩٨. القزويني، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، تح: علي صراط الحق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٣٩. لسترنج، بلدان، ص٤٢٥.

(٥)- اليعقوبي، البلدان، ص٩٥.

(٦)- الأعلاق النفيسة، ص١٧١.

(٧)- المختصر، ص٣١٩. أما المقدسي قال: إن لكل رستاق ثلاثمائة وستون قرية. ينظر: أحسن، ص٣١٧.

(٨)- أحسن، ص٢٩٩.

ــ **بَيْهَق:** تقع في الجهة الغربية من نيسابور، وأصل بيهق بالفارسية "بَيْهَه" أي "بَهاءين" ومعناه الأجود. وهي كورة واسعة كثيرة البلدان، واشتهرت بخصوبة أرضها، وتشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية(١).

ــ **نَسَا:** تقع إلى الشمال من نيسابور بين الجبل والمفازة، وهي خصبة كثيرة المياه والبساتين، ولها رساتيق شاسعة(٢).

ــ **أَبِيوَرْد:** تقع إلى الشرق من نَسَا فيما وراء الجبل على حافة مفازة مرو، وتلفظ أحياناً "باورد"(٣).

ــ **سُرْخُس:** هي من المدن المهمة تقع في الطريق بين نيسابور ومرو الشاهجان، على الضفة الشرقية من نهر المشهد، وتشتهر بتربتها الصحيحة وهوائها الطيب(٤).

ــ **طُوس:** تقع في الشمال الشرقي من نيسابور، وتتألف من مدينتين هما "الطابَران" و"نوقان" اللتان ينتشر حولهما أكثر من ألف قرية(٥)، ولم تزل طوس حتى اليوم تحتفظ بمكانتها العلمية ومكتبتها النادرة التي تحتوي على أندر المخطوطات(٦).

ــ **قُوهِسْتَان:** ناحية بخُرَاسان بين نيسابور وهراة عاصمتها قاين، وهي تعريب كوهستان "ناحية الجبل"(٧).

---

(١)– المقدسي، أحسن، ص٣١٨. السمعاني، الأنساب، ج١، ص٤٣٨. البيهقي (أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندق ت٥٦٥هـ/١١٦٩م): تاريخ بيهق، تر: يوسف الهادي، دار اقرأ، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٢٣ وما بعدها. الحموي، معجم، ج١، ص٥٣٧. الحميري، الروض، ص١١٩.

(٢)– الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. مجهول، حدود، ص٧١. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٢. المقدسي، أحسن، ص٣٢٠. الحموي، المشترك، ص٤١٨. القزويني، آثار، ص٤٦٥. القلقشندي، صبح، ج٤، ص٣٩٢. يقال كان سبب تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما وردوا خُرَاسان قصدوا نسا، فبلغ أهلها ذلك، فهربوا ولم يتخلف بها غير النساء، فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجالاً. الحموي، معجم، ج٥، ص٢٨١-٢٨٢.

(٣)– المقدسي، أحسن، ص٣٢١. الحموي، معجم، ج١، ص٨٦. القزويني، آثار، ص٢٨٩. الحديثي، أرباع، ص٢٩١.

(٤)– اليعقوبي، البلدان، ص٩٧. ابن رسته، الأعلاق، ص١٧٣. الاصطخري، مسالك، ص٢٧٢. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٠٨. المستوفي (حمد الله القزويني): كتاب نزهة القلوب، دنياي كتاب، تهران، ١٣٤٢، ص١٨٦.

(٥)– الثعالبي، لطائف، ص١١٧. ابن الأثير، اللباب، ج٢، ص٢٨٨. المستوفي، نزهة القلوب، ص١٥١. ابن بطوطة، الرحلة، ص١٧٩. ويجب التنويه هنا بأن هناك قرية بخارية تحمل نفس هذا الاسم. الحموي، المشترك، ص٢٩٧.

(٦)– أبو دولف (رحالة القرن العاشر): الرسالة الثانية، تح: بطرس بولغاكوف، أنس خالدوف، تر: محمد منير مرسى، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص٨٨.

(٧)– السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٥٦٤. الحموي، المشترك، ص٣٦٢-٣٦٣. الحموي، معجم، ج٤، ص٤١٦.

ـ **أستوا:** قصبتها هي خوجان أو خبوشان، تشتمل على ثلاثة وتسعين قرية، وحدودها متصلة بحدود نَسَا، ويقال إن معنى اسمها "الأرض المشرفة"(١).

ـ **أسْفَرَاين:** بلدة حصينة بنواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، وهي مدينة عامرة ذات أسواق حسنة، كان يقال لها قديماً مهرجان، ولها قلعة اسمها قلعة الذهب(٢).

ـ **بُشت:** تقع نواحي نيسابور، سميت "بُشْت العرب" لكثرة أدبائها وفضلائها أو "بُشت عرب خُرَاسان"(٣).

والجدير بالذكر أنه يربط أهالي نيسابور بالملوك الساسانيين علاقة وطيدة، فمنهم أخوال الملك "أنوشروان بن قبَّاذ"، كما أنَّ منهم أخوال آخر ملوك فارس "يزدجرد"، ولذلك كانت نيسابور أولى البلاد انتفاضاً على الخلافة الإسلامية بعد فتح خُرَاسان الأول، قاد الانتفاضة "آل كنازي" أخوال "يزدجرد"(٤).

ب- ربع مَرْو

هو الربع الثاني من أرباع إقليم خُرَاسان في العصر الأموي (الربع الشمالي)، وقد كانت مرو قصبة خُرَاسان إلى أن انتقل منها الطاهريون إلى نيسابور وهي أكثر مدن خُرَاسان شأناً(٥). ويقال لها: "أمُّ خُرَاسان"(٦) و"أمُّ القرى بخُرَاسان"(٧). كما قيل عنها "ملكة الدنيا"(٨). كما قيل عنها: "بيضة خُرَاسان"(٩). وقال أبو علي الساجي في مَرْوَ:

بَـلَـدٌ طَـيِّـبٌ ومـاءٌ مـعـيـنٌ   وثَـرى طِـيـبُـهُ يَـفُـوقُ الـعَـبَـيـرا

---

(١)- ابن رسته، الأعلاق، ص١٧١. الحموي، المشترك، ص١٦١. أبو الفدا، تقويم، ص٤٤٣.

(٢)- البلاذري، فتوح، ٥٦٨. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٣. السمعاني، الأنساب، ج١، ص٤٨. القزويني، آثار، ص٢٩٥. أبو الفدا، تقويم، ص٤٤٨- ٤٤٩. الحميري، الروض، ص٥٧.

(٣)- السمعاني، الأنساب، ج١، ص٣٥٨. الصَّريفيني (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن محمد ت٦٤١هـ/١٢٤٣م): المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، تح: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٥٠. وبُشت هي غير بُست التي بين سجستان وغزنين وهراة. الحموي، معجم، ج١، ص٤١٤.

(٤)- ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٢٤، ٢٤٢.

(٥)- اليعقوبي، البلدان، ص٩٨.

(٦)- الثعالبي، لطائف، ص١١٩. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢١٢. ابن الوردي، خريدة، ص٣٧٤. الحميري، الروض، ص٥٣٢.

(٧)- ابن الفقيه، مختصر، ص٣١٩. المقدسي، أحسن، ص٢٩٨.

(٨)- فامبري، تاريخ بخارى، ص٧٣.

(٩)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١١. وتقع مرو حالياً في جمهورية "التركمنستان" السوفيتية الغربية وقد اندثر اسمها وحل محله اسم "بيرام علي". المصري، جميل عبد الله محمد: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص٤٥٩.

وإذا المـرء قـدَّرَ السَّيْرَ عَنْهُ فَهوَ يَنْهاهُ بِاسْمِهِ أن يسيرا[١]

وتقع مرو في أرض مستوية بعيدة عن الجبال على نهر المرغاب، وأرضها سَبَخة كثيرة الرِّمال، وأبنيتها من طين، وهي موزعة بين أربعة أقسام يسقي كل قسم منها نهر يأخذ من نهر المرغاب عند قرية الرزق أو الرزيق[٢]. وتنقسم مرو حسب رأي معظم الجغرافيين إلى قسمين: مرو الشاهجان ومرو الروذ[٣].

وقد سميت مرو الشاهجان بمرو العظمى[٤]، ومرو الكبرى[٥]، ومرو الطيبة[٦]، وقد تجمع مرو الكبرى ومرو الصغرى، فيقال لهما "المروان أو المروين" قال ربعي بن عامر التميمي:

ونحن وردنا من هراة مناهلاً وراء المروان إن كنت جاهلاً[٧]

واشتهرت مرو الشاهجان بقلعتها المنيعة، ولها أيضا أربعة أبواب تفضي إلى جهات مختلفة، عبر طريق يجتاز عدداً من المدن أشهرها "الدانقان" في الجنوب الغربي[٨]. وعلى أنهارها سور يحيط بها كلها، وعلى رساتيقها جميعها سور آخر يلتف حولها. وهي من النظافة، وحسن الترصيف[٩].

وقد كانت مرو موضع الملوك وعاصمتهم منذ القديم ومستقرهم حيث أشار المستشرق لسترنج الى معنى الشاهجان "بأنها الصيغة العربية لكلمة شاهگان الفارسية القديمة ومعناها السُلطاني أو يخُصُّ السلطان"[١٠]. ولمرو الشاهجان قرى ومدن كثيرة، منها:

---

[١]- ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن سفيان ت٢٨١هـ/٨٩٤م): قرى الضيف، تح: عبد الله بن حمد المنصور، مكتبة أضواء السلف، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م. قرى الضيف، ص٩١. الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٤، ص٩١.

[٢]- الاصطخري، مسالك، ص٢٥٩. ابن حوقل، ص٣٦٥. المقدسي، أحسن، ص٣١٠. الشمري، مها محسن خليفة إبراهيم: الحركة الفكرية في مرو خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: قحطان عبد الستار الحديثي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٧.

[٣]- ابن الفقيه، مختصر، ص٣١٩. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٤. المقدسي، أحسن، ص٣١٠. الحموي، معجم، ج٥، ص١١٣. الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٢٤.

[٤]- البغدادي (عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج٣، ص٦٨.

[٥]- لسترنج، بلدان، ص٤٤٠.

[٦]- التبريذي (محمد حُسين خلف مُتخلَّص ببرهان): برهان قاطع، باتمام: محمد معين، بسرماية كتابفروشى ابن سينا، تهران، ١٣٣٣، ج٤، ص١٩٩٦-١٩٩٧م.

[٧]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٨٧.

[٨]- الاصطخري، مسالك، ص٢٦٠-٢٦١. المقدسي، أحسن، ص٣١٢.. لسترنج، بلدان، ص٤٤١.

[٩]- ابن الفقيه، مختصر، ص٣٢٠. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٤. المقدسي، أحسن، ص٣١٠.

[١٠]- الحميري، الروض، ص٥٣٣. لسترنج، بلدان، ص٤٤٠.

ـ **سِنْج:** تعدُّ من أعمر المدن وأخصبها، حيث كانت البساتين منتشرة في كل مكان لقربها من المياه[١].

ـ **الدَنْدَانَقَان** (ويقال الدَّامقان)**:** تقع في الجنوب الغربي من مرو الشاهجان، وهي مدينة صغيرة محصنة لها باب واحد وحمامات في ظاهر سورها[٢].

ـ **كُشْمَيْهَن:** في الشمال الشرقي من مرو الشاهجان على الطريق إلى آمل، وهي مشهورة ببساتينها وأعنابها وكما كانت مشهورة بالزبيب الكشماهني[٣].

ـ **زم:** تقع شرقي آمل، وهي أصغر من آمل في العمارة، وفيها المياه الجارية والبساتين والزروع[٤].

ومن مدن مرو أيضاً: القرينين، وجيزنج، وهرمز فرة، وباشان، وخرق، وسوسقان[٥].

وفوق مرو الشاهجان تقوم مدينة مرو العليا أو الصغرى **(مرو الرُّوذ)**، والروَّذ هو النهر أو الوادي بالفارسية فكأنها مرو النهر أو الوادي، وبينها وبين مرو الكبرى خمسة أيام على ما يذكر ياقوت[٦]. وهي على نهر المرغاب حيث ينعطف شمالاً بعد خروجه من جبال الغور فيقطع البرية إلى مرو الكبرى، ومرو هذه هي الموضع المعروف لدى الفرس باسم بالا مرغاب أي "مرغاب الأعلى"، وهي طيبة التربة والهواء، ولها بساتين وكروم كثيرة على طول النهر، وتحيط بها الجبال من الغرب والشرق[٧].

وعلى مجرى نهر المرغاب إلى مرو الشاهجان بما يبعد مسيرة يوم عن مرو الروذ بلدة **قصر أحنف،** نسبة إلى الأحنف بن قيس، وذكر ياقوت: أن قصر أحنف في الأصل كان حصناً يقال له سنوان فلما افتتحه الأحنف في سنة ٣٢هـ/٦٥٣م أيام عثمان نسب إليه[٨].

أما بالنسبة إلى أحوالها الاقتصادية، اشتهرت بزراعة أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية ومن ضمنها زراعة الحبوب والحنطة والشعير والفواكه[٩]، وأشار صاحب حدود العالم[١٠] إلى نشاطها

---

[١]– المقدسي، أحسن، ص٣١٢. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٦٤. أبو الفدا، تقويم، ص٤٥٦.

[٢]– ابن حوقل، صورة، ص٣٦٥. المقدسي، أحسن، ص٣١٢. الحموي، معجم، ج٢، ص٤٧٧.

[٣]– اليعقوبي، البلدان، ص٩٩. الحموي، معجم، ج٤، ص٤٦٣. أبو الفداء، تقويم، ص ٤٤٦. لسترنج، بلدان، ص٤٤٢.

[٤]– الاصطخري، مسالك، ص٢٨١. الحموي، معجم، ج٣، ص١٥١. الحميري، الروض، ص٢٩٢.

[٥]– ابن حوقل، صورة، ص٣٦٥.

[٦]– معجم، ج٥، ص١١٢. وينظر: البكري، معجم، ج٤، ص١٢١٦. أبو الفدا، تقويم، ص٤٥٧.

[٧]– الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٩. لسترنج، بلدان، ص٤٤٧.

[٨]– ابن حوقل، صورة، ص٣٦٩. مجهول، حدود، ص٧٤. الحموي، معجم، ج٤، ص٣٥٥.

[٩]– المقدسي، أحسن، ص ٢٩٩. أبو الفدا، تقويم، ص٤٩٩.

[١٠]– مجهول، ص٧٥.

الاقتصادي خلال وصفه لها بقوله: «وليس في خُرَاسان كلها مدينة لها حسن سوقها، وخراجها يؤخذ على المياه، يرتفع منها القطن الجيد والحنزاب والملبَّن والخل والمري والثياب والحرير».

وكما اشتهرت مدينة مرو بالصناعات المختلفة، منها صناعة النسيج، إذ اشتهرت الدندانقان بزراعة القطن الذي يضرب به المثل في الجودة[١]. ويرتفع من مرو الأبريسم والقزُّ الكثير[٢]، فاشتهرت بصناعة الثياب المروية[٣]، إذ كانت ثيابها المنسوجة من القطن والحرير والأبريسم من أفخر الثياب وخاصة الملاحم" الثياب التي سداها أبريسم أي حرير"[٤]، واشتهرت كذلك بصناعة الزيوت، وصناعة النبيذ، واشتهرت باهتمامها بالثروة الحيوانية، وأبرز صناعاتها الأجبان[٥]. وعرفت بالثروة المعدنية الهائلة، وأبرز هذه المعادن هو النحاس[٦].

ونظراً لازدهار أحوالها الاقتصادية الزراعية والصناعية والمعدنية، قامت مدينة مرو بتصدير الفائض من منتجاتها المختلفة إلى الآفاق الواسعة المحيطة بها وحتى البعيدة عنها، وقد استخدم للتجارة "طريق الحرير" وهذا الطريق من أهم الطرق التجارية وأكبرها في الشرق نظراً لطول مسافته، إذ يخترق هذا الطريق مدناً وقرى اشتهرت بإنتاجها الزراعي[٧]، وقد كان لمدينة مرو موقع مهم فيما يخص التجارة وتصدير الفائض من منتجاتها إلى الآفاق الواسعة المحيطة بها، حيث يتجه من مدينة مرو طريقان أحدهما إلى ناحية الشاش وبلاد الترك حتى يتصل بالصين، والآخر إلى بلخ وطخارستان[٨].

وورد في بعض المصنفات ذم أهل خُرَاسان بالبخل والتشنيع عليهم في ذلك، ونسجت الروايات وحكيت الأساطير وأصبح كل من يريد أن يتكلم عن البخل ينسبه إلى خُرَاسان، ومن يحب أن يذكر شيئاً عن البخلاء يتحدث عن أشخاص منهم وينسبهم إلى مرو، وكل هذا ليس بصحيح ففي كل بلد بخلاؤها وفي كل أرض كرماؤها. وأكثر الجاحظ من الأحاديث عن تقتيرهم في كتابه البخلاء[٩]، وأشار ياقوت إلى شي

---

(١)- أبو الفداء، تقويم، ص ٤٥٩.

(٢)- الاصطخري، مسالك، ص ٢٦٣.

(٣)- الجاحظ، التبصرة بالتجارة، نشره: حسن عبد الوهاب، المطبعة الرحمانية، ط٢، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص٣٧.

(٤)- العبادي، أحمد مختار، الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مج ١١، ع١، ١٩٨٠، ص١٤٣.

(٥)- الجاحظ، التبصرة، ص ٣٢٤. المقدسي، أحسن، ص ٣٢٤.

(٦)- الجاحظ، التبصرة، ص٣٧. المقدسي، أحسن، ص٣٣١. الحديثي، قحطان عبد الستار، عملة خُرَاسان الإسلامية ومراكز سكها حتى سقوط الإمارة السامانية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع٤٠، ١٩٩٥م، ص٦٥.

(٧)- الشمري، الحركة الفكرية في مرو، ص١٩-٢٠.

(٨)- الحديثي، طريق الحرير العظيم وأهميته الاقتصادية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع٤٧، ١٩٩٩م، ص٢٥. لومبار، موريس: الإسلام في فجر عظمته، تر: حسين العودات، مر: علي الخش، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٩م، ص٣٧.

(٩)- البخلاء، تح: طه الحاجري، دار المعارف، ط٥، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٨.

من هذا في معجمه ورَّد على ما زعمه ثُمامة بن أشرس النميري من أنَّ الديك في كل بلد يلفظ ما يأكله من فيه للدجاجة بعد أن حصل عليه إلَّا ديكة مرو فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبّ فقال: إن هذا كذب بيِّن ظاهر للعيان لا يقدم على مثله إلا الوقَّاع البهَّات الذي لا يتوقَّى الفضوح والعار، وما ديكة مرو إلا كالدّيكة في جميع الأرض، وما هذا الكلام إلا لينسب البخل إلى تلك البلاد وهل يمكن أن يشترك الحيوان والإنسان بهذه الصفة[١]

ت- ربع هُرَاة

هو الربع الثالث من أرباع إقليم خُرَاسان في العصر الأموي (الربع الجنوبي)، وتقوم على النهر المسمى باسمها، الذي ينبع من جبال الغور، ومن أجل سقي وادي هراة شقت أنهار كثيرة، بعضها في أعلى مدينة هراة وبعضها في أسفلها[٢].

بنى هراة الإسكندر الأكبر وذلك لما دخل بلاد الشرق ذاهباً إلى الصين، حيث احتال على أهلها وأمر كل قوم ببناء سور يُحصنِّهم من الأعداء، ثم خط طولها وعرضها، وسمك حيطانها، وعدد أبراجها وأبوابها، واشترط أن يُوفيَهم أُجُورهم وغراماتهم عند عودته من الصين، فلمَّا رجع نظر إلى ما بنوه، وعابه ولم يعطهم شيئاً[٣]. وهراة من أكثر بلاد خُرَاسان عمارة وبناءها من طين، وبها حصن وثيق، به أربعة أبواب وربض، وعليها سور له أربعة أبواب: باب سُرَاي في الشمال يخرج منه إلى بلخ، وباب زياد في الغرب يخرج منه إلى نيسابور، وباب فيروز آباد في الجنوب يخرج منه إلى سِجِسْتَان، وباب خُشك في الشرق يخرج منه إلى جبال الغُوز، وكانت أبوابها هذه خشباً إلا باب سراي فقد كان حديداً، وفي رساتيقها أربعمائة قرية كبار وصغار، وفيما بين هذه القرى سبع وأربعون دسكرة[٤]. وتوجد دار الإمارة بمكان يعرف بــ"خُرَاسان آباذ" في ظاهر المدينة، ويوجد الجامع في وسط المدينة تحيط به الأسوا"[٥].

وهراة كثيرة الرساتيق حيث بلغ عدد قراها أربعمائة قرية، وفيما بين هذه القرى سبع وأربعون دَسْكَرة تشتمل كل واحدة منها على عشرة أنفس إلى عشرين نفساً[٦]. ومن أهم المدن في هراة:

---

[١]- معجم البلدان، ج٥، ص١١٣.

[٢]- اليعقوبي، البلدان، ص١٠٠. الاصطخري، مسالك، ص٢٦٦. المقدسي، أحسن، ٣٣٠. القزويني، آثار، ص٤٨١. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٦. لسترنج، بلدان، ص٤٤٩.

[٣]- الحموي، معجم، ج٥، ص٣٩٦. القزويني، آثار، ص٤٨١. لسترنج، بلدان، ص٤٥١.

[٤]- اليعقوبي، البلدان، ص١٠٠. ابن رسته، الأعلاق، ص١٧٣. ابن بطوطة، رحلة، ص٣٨٢.

[٥]- الاصطخري، مسالك، ص٢٦٥. المقدسي، أحسن، ص٣٢٩.

[٦]- ابن رسته، الأعلاق، ص١٧٣. عطوان، حسين: الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٦.

ـ **مالِن:** تقع في الجنوب من هراة، بلدة صغيرة، مشهورة بزبيبها، وفي رساتيقها خمس وعشرون قرية[١].

ـ **أَسْفُزار:** تقع في جنوب هراة ولها أربع مدن، فيها الأراضي الخصبة والبساتين والأعناب[٢].

ـ **كَروُخ:** تقع في شمالي هراة وتسمى أيضاً كاروخ، وهي أكبر مدينة بعد هراة، وتكثر حولها المياه والبساتين والأشجار، ويرتفع منها المشمش الذي يحمل إلى العراق لكثرته وطيبه[٣].

ـ **بَاذْغِيْس:** أصلها في الفارسية بَادْخِير، ومعناها قيام أو هبوب الربيع، وذلك لكثرة هبوب الرِّياح بها، وتقوم على الطريق الضارب من هراة شمالاً إلى مَرو الروذ، وتعدُّ كُورة عظيمة كثيرة المدن والقرى[٤].

ـ **كَنْج:** تقع شرق باذغيس، مدنها: بَبَن، وكَيف، وبَغْشُور، وهي من أحسن مدن خُرَاسان وأكثرها ثروة[٥].

ـ **غَرْجُ الشَّار:** هي عبارة عن بلاد جبلية ينبع منها نهر المرغاب، فتفسير غرج الشار جبال الملك وصاروا يسمون هذه البلاد في آواخر العصور الوسطى باسم غرجستان، وهناك تقع مدينتا أبشين وشورمين على أربع مراحل جنوب مرو الروذ، فيهما المياه والبساتين، ومن الأول يرتفع أرز كثير يحمل إلى البلدان، ومن الثانية يرتفع زبيب يصدر إلى كثير من النواحي، وهما متقاربتان في الكبر[٦].

ـ **الغُور:** تقع شرق غرجستان وجنوبها وتمتد من هراة إلى الباميان آخر حدود خُرَاسان من الجنوب الشرقي، ثم إلى تخوم كابل وغزنة داخل سجستان. ويبدو أن طبيعة الغور الجبلية جعلت المنطقة ضمن إقليم خُرَاسان رغم اختلاف أهلها عن أهل خُرَاسان الذي قيل عنهم لسانهم غير لسان أهل خُرَاسان[٧].

ـ **الباميان:** بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، ليس لها سور وناحيتها في غاية الخصب يسقيها نهر كبير[٨].

---

[١]- الاصطخري، مسالك، ص٢٦٦. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٧. الحموي، معجم، ج٤، ص٣٩٨.

[٢]- ابن حوقل، صورة، ص٣٦٨. مجهول، حدود، ص٧٤. الحموي، معجم، ج١، ص١٧٨. المستوفي، نزهة، ص١٨٧.

[٣]- الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي ت٥٦٠هـ/١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص٤٧٢. لسترنج، بلدان، ص٥٤٢. عطوان، الشعر، ص١٦.

[٤]- الاصطخري، مسالك، ص٢٨٥. الحموي، معجم، ج١، ص٣١٨. المشترك، ص٥٦. أبو الفدا، تقويم، ص٤٥٤.

[٥]- ابن حوقل، صورة، ص٣٦٩. الحموي، معجم، ج١، ص٤٦٧.

[٦]- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٢. ابن حوقل، صورة، ص٣٧١. المقدسي، أحسن، ص٣٠٩.

[٧]- مجهول، حدود، ص٨٠. القزويني، آثار، ص٤٢٩. أبو الفدا، تقويم، ص٤٦٤. لسترنج، بلدان، ص٤٦١.

[٨]- الحموي، معجم، ج١، ص٣٣٠. الاصطخري، مسالك، ص٢٨٠. المقدسي، أحسن، ص٢٩٦.

ـ **بُوشَنْج:** تقع في غربي هراة، وتقترب من هراة في حجم المساحة وتصميم العمران، وبناؤها من طين تحف بها الأشجار، وبها من أشجار العرعر ما ليس بجميع خُرَاسان، وخشبه يحمل إلى سائر البلاد[١].

وإلى الشرق من هراة مدن كثيرة منها: باشان، وخَيْسَار، وأستربيان، وماراباذ، وأوْفَه، وخَشْت والتي تبعد الواحدة عن الأخرى شرقاً مسيرة يوم[٢].

د- ربع بَلْخ

هو الربع الرابع من أرباع إقليم خُرَاسان (الربع الشرقي) ، وبلخ من كبرى المدن في حوض جيحون "أموداريا"[٣]. وتعد من أجلّ مُدن خُرَاسان وأذكَرِها وأكثرها خيراً وأوسعها غلَّة[٤]. وقد أكثرت المصادر ومعاجم البلدان في مدح بلخ ووصفها[٥]، وبلخ أعظم مدن خُرَاسان لما كانت تتمتع به من أهمية دينية منذ ما قبل الإسلام[٦]. وسمَّتها بعض المصادر بالإسكندرية لأن الإسكندر الأول قام ببنائها[٧]. وهي الآن قرية صغيرة تعرف باسم "وزير آباد" على بعد بضعة أيام غرب مدينة "مزار شريف" عاصمة إقليم بلخ وإحدى المدن المهمة في أفغانستان[٨].

والمفيد ذكره أن المصادر التاريخية لم تتفق على تحديد حدودها، فهناك من عدَّها من مدن الإقليم الثالث، وقسم عدَّها من مدن الإقليم الرابع، وقسم عدَّها من مدن الإقليم الخامس[٩]. وقد ذكر بارتولد أن بلخ أقدم مركز للحضارة الإيرانية[١٠].

---

[١]- الاصطخري، مسالك، ص٢٨٥. مجهول، حدود، ص٧٣. الحموي، معجم، ج١، ص٥٠٩.

[٢]- ابن حوقل، صورة، ص٣٦٧. المقدسي، أحسن، ص٣٠٧. لسترنج، بلدان، ص٤٥٣.

[٣]- بارتولد، تركستان، ص١٦١. لسترنج، بلدان، ص٤٦٢.

[٤]- الحموي، معجم، ج١، ص٤٧٩.

[٥]- ينظر وصفها عند: اليعقوبي، البلدان، ص١١٦. ابن حوقل، صورة، ٣٧٤. المقدسي، أحسن، ص٣٠٢. الثعالبي، لطائف المعارف، ص٢٠٣. الحميري، الروض، ص٩٦. لسترنج، بلدان، ٤٦٢.

[٦]- ابن الفقيه، المختصر، ص٣٢٢.

[٧]- تعددت الروايات في بنائها فقيل: بناها ذو القرنين، وقيل: أول من بناها لُهْرَاسف الملك، وقيل: بناها مُنُوجَهَر بن إيرج ابن أفريدون، وقيل: بلخ بن بلاخ بن سامان بن حام بن نوح، وقيل: بناها الإسكندر، وكانت تسمى الإسكندرية قديماً، ثم سميت كوش وهي مدينة بلخ. انظر: ابن الفقيه، المختصر، ص٣٢٢. الحموي، معجم، ج١، ص٤٧٩. المقدسي، البدء، ج٤، ص٩٩. القزويني، آثار، ص٣٣١.

[٨]- مؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١١٦، ١٤٥.

[٩]- ينظر هذه الاختلافات عند: اليعقوبي، البلدان، ص١٢١. ابن الفقيه، المختصر، ص٣٢١، ٣٢٢. الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. المقدسي، أحسن، ص٣٠١. السمعاني، الأنساب، ج١، ص٣٨٨-٣٨٩. الحموي، معجم، ج١، ص٤٧٩. ابن الأثير، اللباب، ج١، ص١٧٢. القلقشندي، صبح، ج٤، ص٣٩٥.

[١٠]- تذكرة جغرافياي تاريخي إيران، تر: حمزة سردادور، طهران بهمن، ١٣٠٨، ص٤٩.

فقد امتازت هذه المدينة بأبنيتها القديمة، وتقع في أواسط أراضي خُرَاسان الشرقية مقابل نهر جيحون (أموداريا)، وتبعد عنه نحو عشر فراسخ الذي يأخذ اسمها أحياناً ويُسمى نهر بلخ[١]. وهي أرض مستوية، وبناؤها من طين، وبينها وبين أقرب الجبال ـ جبل كُو ـ إليها نحو من أربعة فراسخ، ولها سور كبير، ويحف بالسور خندق عميق، وبعد السور الأول سور ثان يبعد عنه اثني عشر فرسخاً ويحيط بقراها وضياعها ومزارعها. ولمدينة بلخ سبعة أبواب[٢]. وقد أشار البيهقي إلى وجود قهندز في ناحية شرقي بلخ وغربي بذخشان ويسميها العامة قندوس[٣]. وعلى مقربة من بلخ كان يقوم المعبد البوذي المعروف باسم "النُوبهار"، وكانت بلخ قد احتلت مكانة كبيرة بين مدن خُرَاسان من الناحية الدينية لوجود المعبد فيها[٤].

اشتهرت بلخ بكثرة خيراتها وغلالها الكثيرة التي تحمل إلى أنحاء خُرَاسان وخوارزم[٥]، ووصف السمعاني جوانب عديدة من عملية استخراج المعادن في مدينة بنجهير التي يكثر فيها معدن الفضة في "أعلى جبل مشرف على الكورة والسوق، وقد جعل كالغربال لكثرة الحفر"[٦].

والجدير بالذكر أن كورة بلخ تشمل أراضٍ واسعة، معظمها عامرة بالمدن والقرى وآهلة بالسكان، وقد بلغت قمة مجدها وازدهارها خلال فترات الحكم المتعاقبة عليها، إذ يشير المقدسي: «أن لبلخ حدوداً واسعة ورساتيق عامرة، وجميعها مدن جليلة وأعمال واسعة»[٧]. يذكر أن لبلخ ناحيتين عظيمتين الأولى: شرقها هي طخارستان، والثانية: غربها يغلب عليها اسم الجُوزجان، فأهم المدن في بلخ هي:

١- **الجُوزجان:** وأطلق عليها جُوزجانان جوزجانات[٨]، ويحدها من الشرق حدود بلخ وطخارستان حتى حدود الباميان، ومن جنوبها آخر حدود الغور وحد بست، وغربيها حدود غرجستان وقصبة بشين حتى حدود مرو، وشماليها حدود جيحون[٩]. وكانت في العصور الوسطى من أعمر النواحي، وبها مدن كثيرة اندثر معظمها[١٠]، وأشهر هذه المدن:

---

[١]- ابن الفقيه، المختصر، ص٣٢٢. الحموي، معجم، ج١، ص٤٧٩. لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن ٢هـ/٨هـ إلى القرن ٥هـ/١١م، تر: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٢، المغرب، ١٩٩٠م، ص٥٦.

[٢]- اليعقوبي، البلدان، ص١١٦. ابن رسته، الأعلاق، ص٢٨٨. الاصطخري، مسالك، ص٢٧٨. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٣. المقدسي، أحسن، ص٣٠٢. الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٢٣. الحميري، الروض، ص٩٦.

[٣]- تاريخ بيهق، ص٣٤٥.

[٤]- ابن حوقل، صورة، ص٣٧٣. بارتولد، تركستان، ص١٦٢.

[٥]- الحموي، معجم، ج١، ص٤٩٨. البغدادي، مراصد، ج١، ص٢١٧.

[٦]- الأنساب، ج١، ص٤٠٠.

[٧]- أحسن، ص٢٩٨.

[٨]- المقدسي، أحسن، ص٢٩٨. خسرو، سفر نامه، ص١٦.

[٩]- مجهول، حدود، ص٧٥-٧٦.

[١٠]- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٩. أبو الفدا، تقويم، ص٤٤٦. لسترنج، بلدان، ص٤٦٥.

ـ **الطَالَقَان:** وهي بمنطقة سهلية بين جبلين عظيمين بناؤها من طين، وبها جامع واسع، صحيحة الهواء، وبها تعمل اللبود الطالقانية[١].

ـ **الجُرْزُوان:** بين الطالقان ومرو الروذ، وهي أشبه شيء بمكة لأنها بين جبلين، أما الفرس فيقولون "كرزوان"، وتكتب أيضاً جرزبان أو كرزبان، وهي مدينة آهلة، وأهلها كلهم مياسير[٢].

ـ **اليَهُودِيَّة:** قصبة الجوزجان، على بعد مرحلتين مما يلي الطالقان على طريق بلخ، وقد سماها المسلمون "ميمنة" أي المدينة الميمونة، لأن اسم اليهودية يأباه المسلمون ومازالت تعرف بهذا الاسم إلى اليوم[٣].

ـ **كندرم أو كَنْد دروم:** وهي في جنوب اليهودية في الجبل، لها مياه كثيرة، وكثيرة الكروم والجوز، وهي على ما ذكر اليعقوبي «يسكنها ملك الجوزجان»[٤].

ـ **الفارياب**[٥]: تقع على يسار نهر جيحون بين الطالقان وشبرقان وبينها وبين بلخ اثنان وعشرون فرسخاً، وهي صغيرة إلا أنها كثيرة المياه والبساتين، وهي أنترار فيما بعد وفيها مات تيمورلنك[٦].

ـ **غَزْنَة:** مدينة في طرف خُرَاسان، وهي قصبة ليست بالكبيرة إلَّا أنها رحبة[٧].

ـ **شُبُرْقَان**[٨]: مدينة على الجبل لها ماء جار، بساتينها ومزارعها في غاية الخصب وكثيرة الفواكه تحمل منها إلى سائر الأنحاء، وهي عامرة آهلة يقصدها التجار ويبيعون فيها الأمتعة الكثيرة[٩].

ـ **كَابُل:** وتدعى "كَابُلِسْتَان" وكابل شاه[١٠]، وقد عدَّها كل من الاصطخري وابن حوقل وأبي الفداء من مدن الباميان[١١]، أما ابن خرداذبه وابن الفقيه فقد جعلاها من ثغور طخارستان[١٢].

---

(١)– اليعقوبي، البلدان، ص١١٥. المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. الحميري، الروض، ص٣٨٠.

(٢)– ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠. الحميري، الروض، ص١٨٠. لسترنج، بلدان، ص٤٦٦.

(٣)– الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠. الحموي، معجم، ج٥، ص٤٥٣.

(٤)– البلدان، ص١١٦. الاصطخري، مسالك، ص٢٧١. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠.

(٥)– وردت بألفاظ مختلفة: فاراب، باراب، فرياب، فيرياب. الحموي، معجم، ج٤، ص٢٨٤. خسرو، سفر نامه، ص٤٥.

(٦)– ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠. البيهقي، تاريخ، ص٨٦–٨٧. أبو الفدا، تقويم، ص٤٩٣.

(٧)– المقدسي، أحسن، ص٣٠٣–٣٠٤. الثعالبي، اللطف واللطائف، تح: محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية، ط٢، بغداد، ٢٠٠٣م، ص٢٤. الحموي، معجم، ج٤، ص٢٠١.

(٨)– كتبها اسمها شُبُرْقَان وشُفُرْقان وشبورقان الحموي، معجم، ج٣، ص٣٤١. ج٣، ص٣٥٣ .

(٩)– اليعقوبي، البلدان، ص١١٦. الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠.

(١٠)– الحموي، معجم، ج٤، ص٤٢٦.

(١١)– مسالك، ص٢٧٧. صورة الأرض، ص٣٧٥. تقويم البلدان، ص٤٩٨.

(١٢)– مسالك الممالك، ص١٧. المختصر، ص٦١٥.

ـ **الأنبار:** وهي أكبر مدن الجوزجان، تقع جنوبي شبرقان وشرقي اليهودية ، وهي أكبر من مرو الروذ، ولعلها البلدة التي زارها ناصر خسرو في طريقه إلى شبورغان وجعلها قصبة الجوزجانان[١].

ـ **أندخوى:** في الشمال الغربي من شبرقان، وقد كتب البلدانيون الأولون اسمها بصورة مختلفة: أندخذ، أَنْدَخُود، أَنْخُد. وهي مدينة صغيرة في مفازة، ولها سبع قرى، وبها بيوت للأكراد[٢].

٢- **طَخَارِستان:** تقع شرق بلخ، وهي ولاية واسعة تمتد حتى حدود بَذخشان، وتنقسم طخارستان إلى: طخارستان العليا وهي في شرق بلخ غرب نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخاً، وطخارستان السفلى وهي في جنوبها الشرقي على حدود "بذخشان" وهي أيضاً غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ[٣]. وتدخل فيها منطقة أخْرون وشُومان[٤]، ولناحية طخارستان أهمية كبرى إذ عُدَّت من أهم الثغور الإسلامية في العصر الأمويّ[٥]. ومن أشهر مدنها:

ـ **خُلم:** شرق بلخ، وهي صغيرة، ونهر خلم لا يصب في جيحون، بل تفنى مياهه قبل أن تصل إليها، وبالقرب من خلم يمر الطريق الذاهب إلى بلاد ما وراء النهر وبلاد الختل[٦].

ـ **بَذَخْشان:** وهي بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك، وبها معدن البلخش، واللازورد، والبلور، وحجر البازهر الحيواني الذي لا يباريه شيء في دفع السموم، ومعدن البيجاذي، وحجر الفتيلة[٧].

ـ **سِمِنْجَان:** تقع إلى الشرق من خُلم، وهي مدينة كبيرة بين الجبال التي أحجارها بيض كالرخام[٨].

ـ **بغلان:** تقع في جنوب شرق سمنجان، وبها جامع وأسواق حارة ولها أودية مشجرة[٩].

---

[١]- ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠. الاصطخري، مسالك، ص٢٧٠. ابن ماكولا (الحافظ علي بن هبة الله ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف والكنى والأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٣م، ج١، ص١٤٢.

[٢]- الحموي، معجم، ج١، ص٢٦٠. المستوفي، نزهة، ١٨٨. لسترنج، بلدان، ص٤٦٨.

[٣]- ابن حوقل، صورة، ص٣٧٤. الاصطخري، مسالك ، ص٢٧٩. مجهول، حدود، ص٧٨. أبو الفدا، تقويم، ص٤٧٢-٤٧٣. القلقشندي، صبح، ج٤، ص٤٤٢. الحميري، الروض، ص١٣١. لسترنج، بلدان، ص٤٦٩.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤١.

[٥]- فلهوزن، تاريخ الدولة، ص٤١٠. محمود، حسن أحمد: الإسلام والحضارة العربية بين الفتحين العربي والتركي٢١-٤٤٧هـ، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت، ص١١٦.

[٦]- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٩. لسترنج، بلدان، ص٤٧٠.

[٧]- السمعاني، الأنساب، ج١، ص٣٠١. ج٢، ص٧٨٤. أبو الفدا، تقويم، ص٤٧١. متز، الحضارة، ج٢، ص٣٢٥.

[٨]- المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. مجهول، حدود، ص٧٩. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٥٢.

[٩]- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٩. المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. لسترنج، بلدان، ص٤٦٩.

ـ **الطالقان:** تقع شرقي ناحية طخارستان وهي غير طالقان الجوزجان، تُعد أكبر مدينة بطخارستان، لها سوق ويسقيها نهر يأخذ من جيحون يقال له: "خُتلاف" وكتب أحياناً خُتلاب أو خيلاب(١).

ـ ومن مدن طخارستان أيضاً: إسْكَلْكَنْد(٢)، وَرْوَالِيز (٣)، أنْدَرَابة (٤).

واستوطن بلخ عدد من الملوك والسلاطين وبعض آل أبي طالب من ولد الحسين بن علي، وخرج منها مالا يحصى من العلماء في كل علم وفن، ففي التفسير والقراءات نبغ الضَّحَّاك بن مُزاحِم الهلاليُّ البلخي الخُرَاساني (ت١٠٥هـ/٧٢٣م) ، وعطاء بن مَيْسَرة البلخي الخُرَاسانيُّ (٥٠-١٣٥هـ/٦٧٠-٧٥٢م)، وفي القضاء اشتهر المتوكل بن حمران، وفي اللغة والنحو برز سعيد بن مَسْعَدَة البلخي المجاشي التميمي (ت٢١٥هـ/٨٣٠م) ، وفي الزهد عُرف داؤد البلخي (ت١٦٠هـ/٧٧٧م) أحد الأعلام البارزين في العبادة والزهد، وهو طائي يماني يقال له: داود بن نُصيّر الطائي العابد أبو سليمان، من قرية "المارزة" ببلخ أخذ العلم عن الإمام أبي حنيفة النعمان وتتلمذ على يديه(٥). حيث إن أصل الإمام أبي حنيفة من بلخ وكان والده منها، وولادته بالكوفة في عام ٨٠هـ/٦٩٩م، وهو تميمي بالولاء، ورع زاهد كريم قوي الحجة، رفض منصب القضاء مراراً، وانتشر مذهبه الحنفي في سائر بلاد خُرَاسان وفي بلدته "بلخ" بصورة خاصة(٦).

٤- مناخ خُرَاسان

نظراً لتفاوت طبيعة أرض خُرَاسان من مناطق جبلية إلى سهلية وزراعية، فمن الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في المناخ، فهناك المناخ البارد ويقابله المناخ الحار، وعلى الرغم من أن المصادر لا تشير بصورة مفصلة إلى المناخ وعناصره في تلك الحقبة، لكن هناك بعض الإشارات إلى ذلك في المصادر،

---

(١)- ابن حوقل، صورة، ص٣٧٤. مجهول، حدود، ص٧٩. أبو الفدا، تقويم، ص٤٧٢. لسترنج، بلدان، ص٤٧٠.

(٢)- مجهول، حدود، ص٧٩. المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. الحموي، معجم، ج١، ص١٨٢.

(٣)- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٩. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٣. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٧٠.

(٤)- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٩. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٤. المقدسي، أحسن، ص٣٠٣.

(٥)- الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٧، ص٣٣٥. ابن حبان البستي (أبو حاتم محمد بن أحمد ت٣٥٤هـ/٩٦٥م): مشاهير علماء الأمصار، تح: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٠٠. الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): تاريخ مدينة السَّلام وأخبَّار محدثيها المعروف بتاريخ بغداد، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٩، ص٣١١.

(٦)- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، ج٥، ص٤٠٥. خصاونة، القبائل العربية، ص١٩٦-١٩٧.

ومن ذلك ما قاله ابن الفقيه: «وخُرَاسان طيِّبة الهواء، عذبة الماء، صحيحة التربة، وعذبة الثمرة»[١]. ويقول مؤلف مجهول: «خُرَاسان بلاد بعضها جروم وبعضها صرود»[٢]. وقال المقدسي: «وقرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة، خُرَاسان في غذاء الهواء وطيب الماء وصحَّة التربة وعذوبة الثمرة»[٣]. وعلى هذا فإن مناخ خُرَاسان بصفة عامة معتدل لطيف الهواء، ليس فيه مناطق شديدة الحرارة ولا شديدة البرودة إلا الباميان فإنها أكثر بلاد خُرَاسان برداً أو ثلجاً[٤]، وأزكى أراضي خُرَاسان سقي هي نيسابور[٥]. كما أن المقدسي يؤكد على برودة مناخ خُرَاسان، ويبين أن ملامح الفصول الأربعة واختلافها واضحة، فهي تقترب من حرارة العراق واعتدال مناخ الشام وتصل إلى برودة ما وراء النهر[٦]، وهناك شعرٌ يصف مناخ مرو الشاهجان بالبرودة، وذلك إن أحد الفاتحين يضيق ببرودة الجو في مرو، ويشفق على أهلها الذين يقضون الشتاء محتمين بأثواب ينسون أيديهم فيها لشدة البرودة كأنهم أسرى فيقول:

وأرى بمرو الشاهجان تنكرت أرض تتابع ثلجها المذرور
إذ لا ترى ذا بزة مشهورة إلا كأنه مقرور
كلتا يديه لا تزايل ثوبه كل الشتاء كأنه مأسور[٧]

ويذكر أن البرد في غزنين في بلخ شديد والثلوج كثيرة، وأن هذه الثلوج تسقط في المناطق الجنوبية منها، وتُعَدُّ سرخس من المناطق معتدلة المناخ في خُرَاسان، وهي طيبة الثرى معتدلة الهواء[٨]. وكانت الغور شديدة البرودة جداً،[٩] فطابع البرودة هي صفة مناخ الغور؛ لأن معظمها جبلي. ومن شدة البرودة وتجمد الأنهار وخاصة نهر جيحون ما جعل ابن فضلان يقول في رسالته: «كانت سمك الجَمْد سبعة عشر شبراً»[١٠].

(١)– المختصر، ص٣١٦.
(٢)– حدود العالم، ص٨٠.
(٣)– أحسن، ص٢٩٤.
(٤)– الاصطخري، مسالك، ص٢٨٢.
(٥)– ابن حوقل، صورة، ص٣٧٧.
(٦)– أحسن، ص٣٢٢.
(٧)– الحموي، معجم، ج٤، ص٥١٠. القاضي، النعمان: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص٢٥٨–٢٥٩.
(٨)– المقدسي، أحسن، ص٣٠٤. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٤٦١.
(٩)– القزويني، آثار، ص٤٢٩.
(١٠)– ابن فضلان (أحمد بن العباس بن راشد بن حماد ت٣٠٩هـ/٩٢١م): رسالة ابن فضلان، تح: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠م، ص٨٣.

ووردت إشارات أخرى عن المناخ عند الأصطخري فذكر عن مرو الروذ بأنها "طيبة التربة والهواء" وكذلك الطالقان وصفها فقال: "وهي أصح هواء من مرو الروذ"[١] ووصف المقدسي مرو الشاهجان بقوله: "وفي الصيف حارَّة رشيفة" ويرى أن هناك تشابه بينها وبين فلسطين حيث قال: "وهي أشبه البلدان برملة فلسطين"[٢]. كما أن هناك مفازات يسودها المناخ الصحراوي وهي منتشرة في بعض ربع هراة[٣].

ويبدو أن مناخ بلخ حار لأنها تنتج محاصيل زراعية تحتاج إلى المناخ الحار ومن المناطق الحارة ببلخ أندرابه[٤]. ووصف الاصطخري بلخ وقال فيها ما لا يكون إلَّا بالبلدان الحارَّة لكنه قال عنها أيضاً: «ويقع فيها وفي نواحيها الثلوج»[٥].

وأخيراً فقد ترك بعض الجغرافيين وصفاً لأحسن المناطق سكناً للإنسان، ومنهم ابن الفقيه حيث قال: «وأصح البلاد ما كان على الجبال والأماكن التي تواجه مهبَّ الصبا وما كان في قعور وأغوار ومواجهة لريح الجنوب أو الدبور فهي مواضع رديَّة مولدة للأمراض»[٦].

٥- أنهار خُرَاسان ومصادر المياه فيها

وتوجد في خُرَاسان شبكة من الأنهار الكبيرة منها والصغيرة، وهناك الأنهار دائمة الجريان والموسمية، وأهم الأنهار الكبيرة جيحون ونهر مرغاب ونهر هراة. بالإضافة إلى مصادر المياه الأخرى التي كانت كثيرة ومتنوعة مثل القنوات والينابيع والعيون والأودية والآبار التي يعتمد عليها الناس، وتعد الأنهار من أهم مصادر المياه والري في خُرَاسان. وهي:

أ- نهر جيحون:

فهو أحد الأنهار الرئيسة الذي يمكن عدَّه الحد الطبيعي الفاصل بين إقليم خُرَاسان وما وراء النهر، وهو الحدُّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران[٧]. وقيل إنَّ أوله بحيرة[٨]، ويغذي هذا

---

[١]- مسالك، ص٢٧٠.

[٢]- أحسن، ص٣١١-٣١٢.

[٣]- دائرة المعارف الإسلامية، ج٨، ص٢٨٣.

[٤]- المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٤٨٤.

[٥]- مسالك، ص٢٨٠.

[٦]- المختصر، ص١٥٣.

[٧]- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم عزب ويحيى سيد حسين، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٩٨م، ج١، ص١٠٨. لسترنج، بلدان، ص٤٧٦.

[٨]- سُهراب (أبو الحسن ت٣٣٠هـ/٩٤١م): كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تصحيح: هانس فون مزيك، مطبعة آدولف هولزهوزن، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، ص١٤٤.

النهر بالدرجة الأولى إقليم خوارزم[١]، أما في خُرَاسان فيمر نهر جيحون بحدود بلخ ولذلك يطلق عليه نهر بلخ ومنبع جيحون من بلاد التبت[٢]، وذلك من مرتفعات هندكوش ويسير غرباً حتى يصب في الطرف الجنوبي من بحر آرال، وكانت أراضي بذخشان والصغانيان والختل وخلم وغيرها ترتوي منه، ويبلغ طوله ١١٥٠ ميلاً، وتبلغ مساحة حوضه نحو ٢٢١ألف متر[٣]. وعن سيره في خُرَاسان واقتصاره على حدود بلخ فإنه يصير إلى أعلى حدود بلخ مما يلي المشرق، ثم ينعطف إلى ناحية الشمال مع الجنوب إلى أن يصير إلى الترمذ، ثم منه إلى زم، ثم إلى آمل، ثم إلى خوارزم فإذا جاوزها تشعبت منه أنهار وخلجان ذات اليمين وذات الشمال [٤]. وساحله يسمَّى بالفارسية الرودبار[٥].وتتشعب من جيحون مجموعة من الأنهار معظمها في خوارزم وكلها أنهار صالحة للري والشرب[٦].وقد أكد بعض الباحثين على كونه أكبر أنهار آسيا الوسطى[٧].

ب- نهر المرغاب:

هو أعظم نهر في مرو، وتتفرع منه أنهار الرساتيق، ومعنى المرغاب "مرو آب" أي "ماء مرو"، ومن الناس من يزعم أن النهر منسوب إلى مكان يخرج منه الماء ويسمى مرغاب، ومنهم من يقول تفسير مرغ أجمة[٨]. وعن منبعه أشار الاصطخري وابن حوقل بقولهما: «مبتدؤه من وراء الباميان» وقولهما أيضاً: «ومجرى هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعهم»[٩]. ووصف البلاذري المرغاب بقوله: «والمرغاب نهر يسيح بمرو الروذ ثمَّ يفيض في رمل ثمَّ يخرج بمرو الشاهجان»[١٠]. وإضافة إلى نهر المرغاب هناك أنهار أخرى في مرو ذكرتها المصادر: نهر الرَّزيق أو الزرق[١١]، ونهر ماجان، نهر هُرْمُزْ فرَّة، نهر أسعدى[١٢].

---

[١]- الاصطخري، مسالك، ص٢٩٧.

[٢]- ابن رسته، الأعلاق، ص٩١. ابن خرداذبة، المسالك، ص١٧٣. المسعودي، التنبيه، ص٥٦.

[٣]- الأنصاري، نخبة الدهر، ص٩٤. سهراب، عجائب الأقاليم، ص١٤٤.

[٤]- ابن رسته، الأعلاق، ص٩١. الحميري، الروض، ص١٨٥.

[٥]- الأنصاري، نخبة الدهر، ص٩٤.

[٦]- ينظر إلى هذه الأنهار وأسمائها عند: المقدسي، أحسن، ص٢٩٢-٢٩٣. ابن الفقيه، المختصر، ص٦١٩. ابن حوقل، صورة، ص٣٩٣-٣٩٤. الاصطخري، مسالك، ص٢٩٦. لسترنج، بلدان، ص٢٧٤.

[٧]- صادق، دولت أحمد وآخرون: جغرافية العالم دراسة إقليمه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ج١، ص٢٧٤.

[٨]- الاصطخري، مسالك، ص٢٦١. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٥.

[٩]- مسالك، ص٢٦١. صورة، ص٣٦٥.

[١٠]- فتوح البلدان، ص٥٧٢.

[١١]- ابن حوقل، صورة، ص٣٦٥. المقدسي، أحسن، ص٢٩٩. لسترنج، بلدان، ص٤٤٣.

[١٢]- الاصطخري، مسالك، ص٢٦٠. الحموي، معجم، ج٥، ١١٣-١١٤. لسترنج، بلدان، ص٤٤١.

ج- نـهر هراة:

"هُرِي روذ" والذي يُعد من الأنهار العظيمة في خُرَاسان[١]. تتشعب عنه سبعة أنهار التي تسقي الرساتيق والقرى[٢]. وينبع نهر هراة من جبال الغور، ثم يمرُّ بمدينة بوشنج قرب ضفته الجنوبية، ثم ينعطف شمالاً فيجري إلى سُرخس وقبل أن يصلها يستقبل مياه نهر مشهد، ثم تفنى مياهه في رمال المفازة شمال سُرخس عند موضع يقال له: "الأجمة"[٣].

د- نهر مشهد:

ينبع من منطقة كُوجَان الذي يجري في البداية نحو الجنوب الشرقي مارًّاً بمنطقة مشهد، وحينما يجاوزها مسافة تقترب مئة ميل يلتقي في الجنوب نهر هراة، ثم يتجه شمالاً نحو سرخس، فتتوزَّع مياهه ثم تفنى في رمال المفازة، والظاهر أنَّ هذا النهر لم يذكر عند الرَّحالة العرب باسمه فقد اكتفى بعض الرَّحالة الجغرافيين بالإشارة إليه بعبارة "فضل من مياه هراة"[٤].

وأشار السمعاني إلى أنهار لم يرد ذكرها في المصادر الجغرافية، ومن المحتمل أنها أنهار فرعية صغيرة، وهو نهر "الإسقبذي"[٥]، ونهر "الخارقان"[٦].

أما بالنسبة إلى الينابيع والعيون التي تكثر في المناطق الجبلية، والآبار في المناطق الصحراوية، فإنه توجد عيون المياه الحارة التي تستخدم للشفاء من بعض الأمراض مثل عين الباميان، فقد ذكر ابن الوردي: «بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت عظيم وجلبة، ويشم منه رائحة الكبريت، من اغتسل من مائها زال عنه الحكة والجرب، وإذا جعل في إناء من مائها وسد الإناء سداً محكماً وترك صار كالطين، وإن قرب من النار اشتعل والتهب»[٧]. كما توجد عيون تستخدم مياهها للشرب مثل عين سياه سنك، وهو عذب طيب، لكنه يقع في جرجان وليس في خُرَاسان[٨]. وبالنسبة إلى نيسابور، كان شربهم من عيون، وكذلك الحال إلى أفراوة شربهم من عيون أيضاً[٩]. حيث يقول الاصطخري: «إن أكثر مياه

---

[١]- المقدسي، أحسن، ص٣٢٩. ابن حوقل، ص٣٦٧.

[٢]- المقدسي، أحسن، ص٣٣٠.

[٣]- الاصطخري، مسالك، ص٢٦٦. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٧. المقدسي، أحسن، ص٣٢٩-٣٣٠. المستوفي، نزهة القلوب، ص٢١٦. لسترنج، بلدان، ص٤٥٠.

[٤]- الاصطخري، مسالك، ص٢٧٢. ابن حوقل، صورة، ص٣٧١. المقدسي، أحسن، ص٣٢٩-٣٣٠.

[٥]- الأنساب، ج٣، ص٤٥٩.

[٦]- الأنساب، التحبير في المعجم الكبير، تح: منيرة ناجي سالم، ط١، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج١، ص٥٣٩-٥٤٠.

[٧]- خريدة، ص٢٦٣. كما ينظر وصف هذه العين عند القزويني، آثار، ص١٥٤. الأنصاري، نخبة الدهر، ص١١٦.

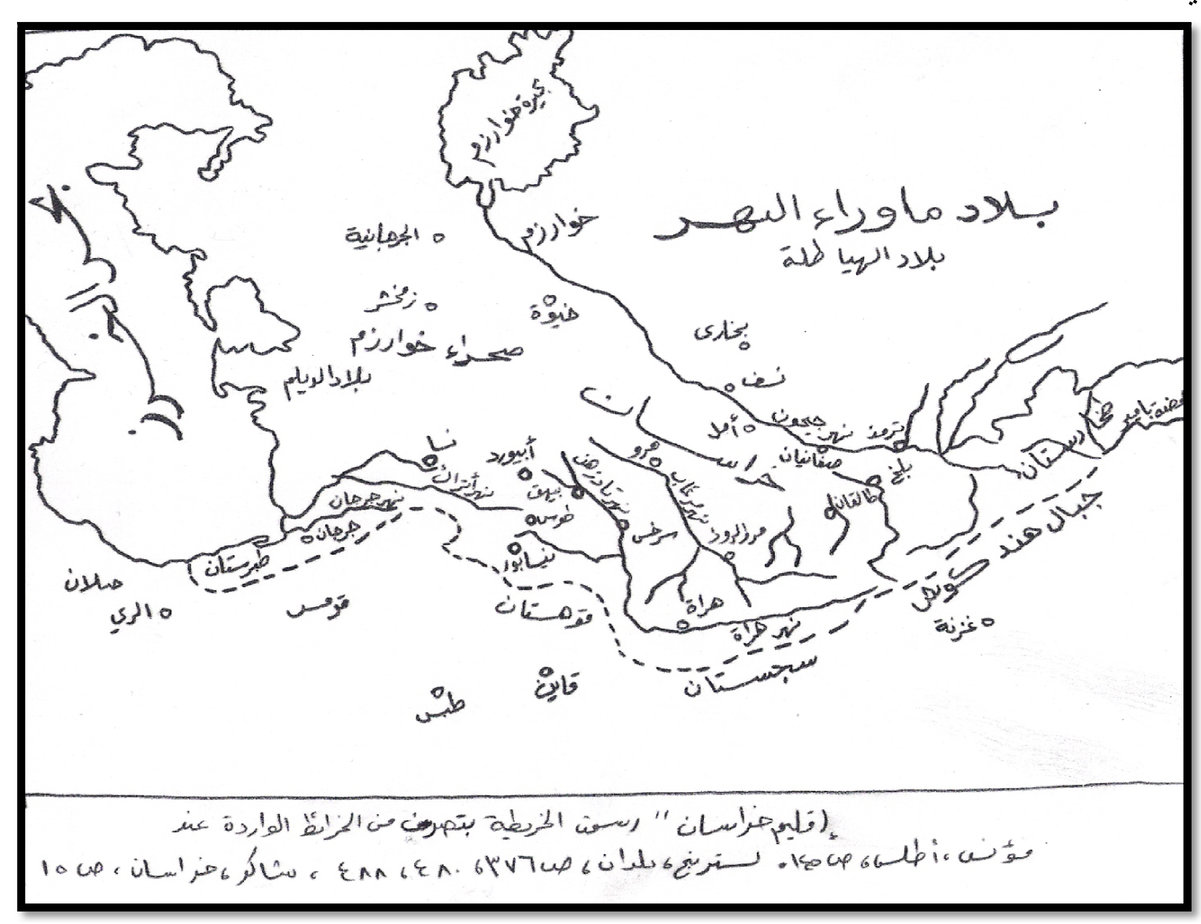
[٨]- ابن الوردي، خريدة، ص٢٦٣.

[٩]- المقدسي، أحسن، ص٣٢٠-٣٢١.

نيسابور قنى تخرج تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد في ضياعهم، ولهم نهر كبير يعرف بنهر سغاور يسقون مزارعهم منه، وقد شقوا له القنوات التي كانت تتخلل بلدهم ودورهم، وتمتد إلى ضياعهم، وكان له قوامون، وعليه حفظة، فانتعشت الزراعة لذلك انتعاشاً كبيراً»[١].

أما الآبار فتنتشر في المناطق التي ينعدم فيها وجود الأنهار منها: كوغناباذ وجاذوى وكالوون وكابرون، وكذلك بغشور نحو بوشنج فيها مياه جارية غزيرة[٢]. وسرخس أيضاً اعتمادهم على الآبار[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الأنهار الموسمية التي تتغذى على الأمطار أو ذوبان الثلوج قد وجدت في خُرَاسان، إذ يروي الطبري في حوادث سنة ٦٦هـ/٦٨٥م في سرده للأحداث بين عبد الله بن خازم وبني تميم واستغلال بني تميم لأحد الأنهار الموسمية بقوله: «وإلى جنبهم يدخله نهر في الشتاء، ولم يكن يومئذ فيه ماء»[٤].



إقليم خراسان " رسمت الخريطة بتصرف من الخرائط الواردة عند مؤنس، أطلس، ص١٤٥، لسترنج، بلدان، ص٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨٨، شاكر، خراسان، ص١٥

---

(١)- مسالك، ص٢٥٥. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٣. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣١. عطوان، الشعر، ص١٢.

(٢)- المقدسي، أحسن، ص٣٠٨.

(٣)- المقدسي، أحسن، ص٣١٣.

(٤)- تاريخ، ج٦، ص٧٨.

ثانياً: الأوضاع العامة في خُرَاسان قبل الفتح العربي

١- الأوضاع السياسية

كانت خُرَاسان تحكمها الأسرة الساسانية، فعندما توفي بابك تُوج ابنه سابور بالتاج، فبدأت بوارق حرب بينه وبين أخيه أردشير، لكن وفاة سابور بسبب سقوط جدار قديم عليه حال دون الحرب، فدخل أردشير اصطخر وقتل جميع إخوته، ولعلهم ساندوا سابور عند توليه العرش(١).

كان أردشير بن بابك أول حاكم فعلي للدولة الساسانية فقد أسس حكم الساسانيين عام ٢٢٤م(٢)، ويحتل مكانة كبيرة لدى الإيرانيين باعتباره موحد الأمة الإيرانية وسمي شاهنشاه؛ أي ملك الملوك، وقد أفاد من تدهور الأوضاع والتمزق وحروب الاستنزاف الطويلة فانتزع السلطة، ولما استتب له الأمر، وخضعت له بلاد إيران عن بكرة أبيها شرع في الفتح والغزو وكان همه الأكبر إرجاع مملكته إلى ما كانت عليه أيام كوروش وداريوش الكبير(٣). وما إن انتهى أردشير من إخضاع فارس حتى توجه إلى خُرَاسان فضم بلخ ومرو وخوارزم إلى إمبراطوريته، وأرسل إليه ملوك الكوشان وما وراء النهر وسجستان رسلهم يبذلون له الطاعة(٤). توفى أردشير واحتفل بتتويج ابنه سابور الثاني عام ٢٤٠م الذي سار على خطى والده من حيث طموحه، حيث كانت فاتحة أعماله الزحف على بلاد خُرَاسان وإعادتها إلى الخضوع، فانتهز العرب الخاضعون له فرصة غيابه وشقوا عصا طاعته(٥). وفي سنة ٣٩٩م استلم يزدجرد الأول السلطة بعد بهرام الرابع، وأحدث تغيراً في سياسة الدولة، وقد أراد تخفيف حدة الصراع والانشقاق الداخلي محاولاً اعتماد سياسة المساواة بين معتنقي الديانتين المسيحية والزرادشتية، فقد رفع الاضطهاد عن نصارى إيران بعد

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣٩. الكعبي، نصير: الدولة الساسانية دراسة في التاريخ السياسي في ضوء المصنفات الإسلامية، دار رسلان، دمشق ٢٠١٥م، ص٦٢. كريستنسن، إيران، ص٧٤. محمود، الإسلام في آسيا، ص١٤.

(٢)- تتباين الروايات في تحديد زمن قيام الدولة الساسانية، فكانت آراؤهم متفاوتة بين عامي ٢٢٤م و ٢٢٦م: الدينوري، الأخبار، ص٤٢. اليعقوبي، تاريخه، ج١، ص١٧٨. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٤٣. النويري، نهاية الأرب، ج١٥، ص١٣١. بيرنيا، حسن: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، مر: يحيى الخشاب، دار الثقافة، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص١٨٠. سايكس، سربرسى: تاريخ إيران، تر: فخر داعي كيلاني، سيد محمد تقي، دنياى كتاب، تهران، ١٣٧٠، ج١، ص٥٣١.

(٣)- بيرنيا، تاريخ إيران، ص٢٢٢-٢٢٣. العسلي، بسام: فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٢٤١.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٤١. اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص١٨٠. كريستنسن، إيران، ص٧٧. العلان، أرواد: السياسة الساسانية الإيرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمود فرعون، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠٠٥م، ص٣٦.

(٥)- مكاريوس، شاهين: تاريخ إيران، مطبعة المقتطف، مصر، ١٨٩٨م، ص٦٧.

التضييق عليهم منذ عهد سابور ذي الأكتاف[١]. ويبدو أن ضعف الدولة بعد سابور الثاني شجع الهياطلة على إقامة دولة لهم فيما وراء النهر حوالي ٤٢٥م، وبدأت غاراتهم تتوغل كثيراً في نواحي مرو وطخارستان، ولم تنفع كل الحملات التي قادها الأكاسرة ضدهم؛ بل اضطروا في نهاية الأمر إلى دفع الجزية لهم لاتقاء شرهم[٢]، وقد ساءت أحوال خُرَاسان كثيراً في تلك المرحلة، حيث أدت غارات الهياطلة إلى وجود حالة من القلق الدائم، واضطر سكان المنطقة إلى دفع الجزء الأكبر من الضرائب والجزية التي دفعها الساسانيون للهياطلة، وكان عليهم في الوقت نفسه أن يشاركوا في الحملات ضدهم[٣].

أما أكثر عصور الدولة الساسانية ازدهاراً وتطوراً فهي عصر كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩م)، فقد قام بإصلاحات اجتماعية ومالية وحربية كثيرة، كان على رأس إصلاحاته الاجتماعية القضاء على المزدكيين وثورتهم، التي أحدثت خللاً كبيراً داخل المجتمع الساسانيّ، فردَّ الأموال لأصحابها وأنصف النساء، وأعاد تنظيم خُرَاسان، فأقام مراكز للحاميات في الشمال والشرق بغية التصدي لغارات الترك والهياطلة، وأعاد تنظيم أرباع الإمبراطورية، فألغى وظيفة قائد الجيش العام، وفرق رتبه على أربعة قادة عسكريين تولى أحدهم حكم خُرَاسان[٤]. هذا وكان عصره أزهى عصور الدولة الساسانية، فقد عرف عنه العدل والتسامح حتى قال الرسول الأعظم بحقه: "ولدت في زمن الملك العادل"، وقد استطاع كسرى إعادة توحيد المملكة وفرض سيطرته على الأقاليم المختلفة من إيران ووطد مكانة الدولة خارجياً[٥].

كما شهدت المنطقة خطراً جديداً على حدودها الشمالية الشرقية وهو الخطر التركي، حيث كان الأتراك يغيرون من وطنهم القديم إغارات غير منظمة على الحدود الإيرانية، ولكن هذه الغارات بدأت تشتد على خُرَاسان منذ القرن الرابع الميلادي، وأصبحت هذه الغارات تهدد هذه المنطقة المهمة التي كانت قلب الحضارة الإيرانية[٦]. فقد هاجرت القبائل غرباً وأسست عام ٥٥٢م إمبراطورية تركية امتدت إلى حدود

---

(١)- كريستنسن، إيران، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٨٢. اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص١٨٣. الفردوسي، الشاهنامة، ص١٦٣. كريستنسن، إيران، ص٢٤٠-٢٥٠، محمود، الإسلام، ص١٦.

GIBB, H.A.R : The Arb Conquests in Central Asia, New yark, 1970, p.2.

(٣)- كريستنسن، إيران، ص٣٠٦. بارتولد، تاريخ الترك، ص٣٨. العابد، مفيد رائف: معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الأكاسرة٢٢٦-٦٥١م)، دار الفكر، دمشق، ط١، بيروت-دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٢٩. العلان، السياسة، ص٦٧.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٦٧. اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص١٨٦. الطبري، ج٢، ص٨٢-٨٣. الثعالبي، غرر، ص٦٠٤-٦٠٥. ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٣٤٠. النويري، نهاية، ج١٥، ص١٥٠. العلان، السياسة، ص٣٨.

(٥)- العسلي، فن الحرب، ج١، ص٢٤٨.

(٦)- رستم، أسد: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط١، بيروت، ١٩٥٥م، ج١، ص٢٢٦. محمود، الإسلام في آسيا، ص١٦-١٧.

الدولة الساسانية، ويبدو أن حملات الترك ضعضعت قوى الهياطلة، فاستغل أنوشروان الفرصة وتحالف مع خاقان الترك وقاموا معاً بحملات مشتركة ضد الهياطلة بين عامي ٥٦٣-٥٦٧م، انتهت بتقويض دولتهم واقتسام أملاكها فيما وراء النهر، لكن الهياطلة ظلوا على الرغم من ذلك يسودون مناطق طخارستان، وما لبثت أن ساءت العلاقات بين أنوشروان والترك؛ مما دفع الترك للتحالف مع بيزنطة ضد الساسانيين، واتفقوا معهم على نقل تجارة الحرير عبر البحر الأسود، ووسيلة الضغط هذه انعكست على خُرَاسان أكثر من أي منطقة أخرى، نظراً لأهمية تجارة الشرق لسكانها، وفيما بين ٥٧٠-٥٧٩م اشتدت غارات الترك على نواحي مرو بناء على طلب الإمبراطور البيزنطي، واستطاعت الحاميات التي أقامها أنوشروان أن تصد غارات هؤلاء إلى حين[١].

وبعد وفاة أنوشروان اعتلى العرش هرمز الرابع (٥٧٩-٥٩١م) وكان أكثر عدالة من أبيه وكان عهده آخر عهود المجد لإيران، وعندما وصل إلى العرش كانت المفاوضات بين الساسانيين والبيزنطيين على أشدِّها لعقد الصلح، ولم تنجح المفاوضات بسبب تمسك كلا الطرفين بموقفهما، فاستغلَّ ملك الترك هذا الوضع المضطرب مستغلاً انشغال الجنود الساسانيين للتحضير للحرب ضدَّ البيزنطيين، فحرَّك قواته وحقق بعض المكاسب على حساب الساسانيين، ولكن تمكن أحد القادة الساسانيين ويدعى بهرام الملك جوبين أن يهزمهم[٢]. وكان جوبين قائداً مشهوراً دفع عن البلاد خطر الترك، لكنه هزم أمام البيزنطيين فانتزع منه هرمز القيادة بطريقة مهينة، وبعدها رفع جوبين علم الثورة ضد الملك وأدت ثورته إلى التمرد في أنحاء البلاد، ومن أهم الأمور التي قام بها أنه سك نقوداً باسم كسرى أبرويز بن هرمز الرابع (٥٩١-٦٢٩م)، ووزعها في المدائن ليزيد من بلبلة الأوضاع وليهيئ الأجواء لتنفيذ مخططه للاستيلاء على السلطة، وكان هرمز قد سجن أحد معارضيه ويدعى (بندويه) وهو أخ زوجته، ولكنَّ أخاه بسطام تمكن أن يُحرِّره ودخلا القصر الملكيّ وخلعا الإمبراطور وسملت عيناه وقتلوه ونداديا بابنه كسرى أبرويز ملكاً على إيران[٣]. فلم يقتنع جوبين بمبايعة أبرويز، فكان يطمح في العرش، فقد هيأ الجيش للدخول إلى العاصمة المدائن فدخلها منتصراً ووضع التاج على رأسه ولكنه لقي معارضة شديدة من النبلاء الذين كانوا يدينون

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٠٠. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٦٣-٢٧١. الفردوسي، الشاهنامة، ص١٧٥. بارتولد، تاريخ الترك، ص٥٥. العلان، السياسة، ص٤٨.

Sinor,Denis: The Cambridge History of Early Inner Asia, Cambridge university press, 1990, vol.1, p.301.

(٢)- الثعالبي، غرر، ص٦٤٣-٦٤٨.

(٣)- الدينوري، الأخبار، ص٧٧-٨٤. الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٧٢-١٧٩. النويري، نهاية، ج١٥، ص١٦٦-١٦٩. كريستنسن، إيران، ٤٢٨-٤٢٩. الشيخ، علي كاظم عباس: المسكوكات البيزنطية والساسانية المتداولة في العراق حتى أواخر عهد عبد الملك بن مروان، جامعة القادسية، قسم الآثار، مج ٢، ع٢، ٢٠١٢م، ص٢٣٧-٢٣٨.

بالولاء لأسرة كسرى[١]؛ وقد سادت الفوضى أجزاء فارس المختلفة، وفشل بهرام في إلقاء القبض على كسرى أبرويز مما دفع كسرى أبرويز للفرار واللجوء إلى الإمبراطور البيزنطي موريس (٥٨٣-٦٠٢م) رغم العداء الكبير والحروب التي كانت محتدمة بينهما، فقد تعاون الاثنان لدحر جوبين، فزودَّ موريس كسرى أبرويز بجنودٍ استطاعوا الانتصار على جوبين قرب مدينة أذربيجان وأعادوا كسرى أبرويز لعرشه، أما جوبين انهزم إلى ملك الترك وبعدها قتل[٢].

كان لهذه المساعدة التي قدمها موريس أن حفظت دماء جنود الإمبراطوريتين لمدة اثني عشر عاماً، ولكن في عام٦٠٢م قام فوكاس بقتل إمبراطوره موريس، فاتخذ كسرى أبرويز من ذلك ذريعة ليبدأ الحرب التي تُعَدُّ من أخطر الحروب التي جرت بين الإمبراطوريتين، وعُدَّت انتصاراته من أكثر انتصارات الساسانيين أهمية[٣].

كما أن تصرف بهرام هذا كان فاتحة لعدة ثورات استقلالية أخرى في خُرَاسان، إذ ثار بسطام خال أبرويز في خُرَاسان، وتوج نفسه ملكاً مستقلاً عن الإمبراطورية، وضرب نقوداً باسمه، ولم يتمكن أبرويز من القضاء عليه، إلا بعد سلسلة طويلة من المعارك والدسائس استغرقت عشر سنوات[٤]. وقتل كسرى أبرويز على يد ابنه قباذ الثاني وكان النفوذ الساساني في خُرَاسان قد ضعف كثيراً بعد أبرويز، حيث برز حكام خُرَاسان كمنافسين للمملكة الساسانية، ويتضح ذلك من قيام حاكم خُرَاسان بقتل كسرى الثالث ثم محاولة خلفه هرمز أن يرتقي عرش الإمبراطورية بواسطة الزواج من الملكة آزر ـ ميدخت التي استطاعت التخلص منه، بعدها قام ابنه رستم بالزحف على المدائن وقتلها ثأراً لأبيه[٥]. وتعاقب على الملك في السنوات العشر التي سبقت الفتح اثنا عشر ملكاً بين رجل وامرأة وصبي صغير ومغتصب من غير بيت الملك. وكان ملوكهم منغمسين في اللهو والترف مسرفين في الملاذ والشهوات، متعالين على الشعب، وكانوا يسوقون الرعية إلى الحروب سوقاً لا هوادة فيه، وكانت هذه الحروب الطاحنة، وذلك البذخ البالغ مدعاة لاستنزاف دماء الشعب، ولفرض الضرائب وجمع الأموال في قسوة وعنف، ففشل اقتصاد البلاد ودبت عوامل الفساد والانحلال في الدولة، التي كانت تنافس الرومان في سيادة العالم، والتي كان لها حضارة مزدهرة أسهمت في تقدم الحضارة الإنسانية ورقيها، وأفادت منها الحضارة العربية الإسلامية

(١)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٧٦.

(٢)- الثعالبي، غرر، ص٦٦٥. مسكويه، (أحمد بن محمد بن يعقوب ت٤٢١هـ/١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، طهران، سرويش، ط٢، ٢٠٠٠م، ج١، ص١١٦-١١٩. العلان، السياسة، ص٤٠.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٧٦-١٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٦٦-٣٦٧. النويري، نهاية، ج١٥، ص١٦٩.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص١٨٩-١٩١. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٨٠-٢٨٤. كريستنسن، إيران، ص٤٢٧-٤٣٢.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٣.

فائدة تذكر، وأخيراً تم اختيار يزدجرد بن شهريار ملكاً في محاولة لتوحيد المملكة الممزقة، وأعلن تتويجه عام٦٣٢م عام وفاة الرسول الأعظم، واتحدت المملكة تحت حكم يزدجرد آخر ملوك الدولة الساسانية [١].

٢- الأوضاعالدينية

أن موقع خُرَاسان الجغرافي جعل منها جسراً عالمياً يربط بين عدة مراكز حضارية، فإلى الشرق منها نهضت حضارتا الصين والتبت، وفي الغرب حضارة الفرس الساسانيين ثم العرب المسلمين، وفي الجنوب حضارة الهند. وإن هذا الموقع المتوسط للمنطقة حولها إلى مراكز تقاطعت وتمازجت فيها تلك الحضارات والثقافات، وأدى ذلك إلى وجود العديد من الأديان، مع العلم أن الدين أخذ حيزاً كبيراً في تفكير الإنسان منذ القديم لتلبية حاجاته الروحية، فبدأ الإنسان بعبادة مالا يستطيع السيطرة عليه من ظواهر الطبيعة، ومن أهم مميزات الفكر الديني في الشرق الأدنى القديم هو تعدد الآلهة، حيث لا يخلو فكر ديني من كم هائل من الآلهة التي تجسد الظواهر الطبيعية، فعبد الإيرانيون القدماء عدداً كبيراً من آلهة الطبيعة، كإله الشمس ميثرا، وأناهيتا آلهة الخصب والأرض، كما عبدوا الثور هوما الذي مات ثم عاد حياً، كما عبدوا آلهة المطر والسحاب والرياح وغيرها من آلهة الطبيعة التي تساعدهم في أعمالهم الزراعية، وقد تعددت الآلهة بتعدد الأقوام التي وفدت إليهم على شكل موجات للمناطق الشمالية الشرقية[٢]. ولم يكن لدى الإيرانيين دينٌ رسميٌّ حتى العصر الساسانيِّ، وكانت الشعوب التابعة لهم حُرَّة في اعتناق الدين الذي يقبله كل شعب منها، ومن أهم الأديان في عصر الساسانيين:

أ- الديانة الزَّرادشْتِيَّة (Zarathustra):

تنسب هذه الديانة إلى زرادشت الذي عُدَّ نبي الإيرانيين، وقد ظهر حسب ما ذكر الطبري في أذربيجان ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسف (كشتاسب) في نواحي بلخ في القرن السابع قبل الميلاد[٣]، وتعاون مع

---

(١)- شلبي، أبو زيد: تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٩-٢٠. العسلي، فن الحرب، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢)- بيرنيا، تاريخ إيران، ص٢٣١. مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٦٣-٢٦٤. العلان، السياسة الساسانية، ص٦٦. عيزوقي، أوضاع خُرَاسان، ص١٣٨. الشمري، طالب منعم حبيب: الزرادشتية ثنوية أم توحيد، مجلة كلية التربية، واسط، ع١١، د.ت، ص١١٤.

(٣)- تاريخ، ج١، ص٥٣٨. أمين، فجر الإسلام، ص٩٩. يحيط الغموض بكل ما يتعلق بزرادشت، فالغموض يكتنف وقت ظهوره أيضاً، تشير الروايات الزرادشتية أنه عاش ما بين (٦٢٨-٥٥١ق.م). ويبدو أنه أقرب للصواب، ويرى باحثون أنه عاش في القرن العاشر ق.م، رستم، الروم، ج١، ص٤٥. ويذهب آخرون إلى أنه ظهر في الحقبة الممتدة من أواخر القرن السابع وبداية القرن السادس ق.م. بيرنيا، تاريخ إيران، ص٣١٢.

أمير بلخ من أجل نشر مذهبه بين سكان خُرَاسان[١]. ويتضح من المصادر أن هذا الدين كان منتشراً في أنحاء خُرَاسان كافة، وكان يتركز بشكل خاص في نواحي مرو ونيسابور وهراة، حيث كانت السلطة الساسانية قوية، وكان يعدَّ ديناً رسمياً، كما يبدو في حديث البيروني عن أعياد خوارزم[٢]. ويبدو أن النشاط التبشيري لأتباع الزرادشتية كان واسعاً، فقد نشروا دينهم في ممالك الترك البعيدة[٣]. فقد كان زرادشت موحداً لله تعالى وأطلق على أتباعه اسم المجوس، فالمجوس هم المصدِّقون بنبوة زرادشت والمكذِّبون بنبوة موسى[٤].

ومن أهم عقائد الزرادشتية: وجود إله أعلى خلق روحين متناقضتين تماماً هما: النور أو الخير (آهورامزدا)، والظلمة أو الشر (أهريمن)، وهذان الروحان في صراع مستمر منذ أن وجدتا وحتى نهاية الزمن، ويقدر الزرادشتيون دورة الدنيا باثني عشر ألف سنة، كما يعتقدون بوجود كائنات نورانية تساعد آهورامزدا، وأرواح شريرة تساعد أهريمن[٥]. وإن مهمة الإنسان في العقيدة الزرادشتية هي الإيمان الخالص بالدين والأخلاق، وللإنسان حرية الإرادة والاختيار بين الانحياز للخير أو الشر، وفي النهاية هناك يوم للحساب يكون فيه جزاء المؤمنين الجنة والخلود، وجزاء الأشرار الجحيم والعذاب[٦]. وكان الزرادشتيون يقدسون عناصر الطبيعة، مثل الماء والنار ويحافظون عليها من النجاسة، وللنار مكانة عظيمة عندهم،

---

(١)- الدينوري، الأخبار، ص٢٥. ابن حزم، الملل بين الفصل والأهواز والنحل، تح: عبد الرحمن خليفة، مكتبة السلام العالمية، د.ت، ج١، ص٨٢. الرازي (فخر الدين ت٦٠٦هـ/١٢١٠م): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مر: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٩٧. الفردوسي، الشاهنامة، ص١٠١. بيرنيا، تاريخ إيران، ص٣١١-٣١٤.

(٢)- المسعودي، مروج، ج١، ص٢٢٩-٢٣١. الاصطخري، مسالك ص٢٦٥. البيروني، الآثار الباقية، ص٢٣٥.

(٣)- المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص٧٧. القزويني، آثار، ٥١٥. حيث يذكر ابن عبد البر أن الزرادشتية وصلت إلى مناطق الصقالبة شمال خوارزم، ولاشك أنه كان للتجار دور في نقل تلك الديانة إلى تلك المناطق. القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ص٣٥.

(٤)- ابن حزم، الفصل، ج١، ص٨٢. الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، د.ت، ج١، ص٢٨٢.

(٥)- الشهرستاني، الملل، ج١، ص٢٨٣. كريستنسن، إيران، ص٢٠، ١٣٦. ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص٢٢٤. بيرنيا، تاريخ إيران، ص٤٦. زيهنير، ر.س: المجوسية الزرادشتية الفجر- الغروب، تر: سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣٠١. بارندر، جفري: المعتقدات الدينية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، ع١٧٣، الكويت، ١٩٩٣م، ص٢٠. الشمري، الزرادشتية ثنوية، ص١١٤.

(٦)- كريستنسن، إيران، ص٢١. بارندر، المعتقدات، ص٩٠، ٩٤. زينهير، الزرادشتية، ص٦٠.

حيث تعد رمزاً للنور والصدق[١]، فقد أولى الزرادشتيون النار قدسية كبيرة فهي عنصر مطهِّر، وأمروا أتباعهم على الاحتفاظ بها متقدة، والصلاة عندهم دعاءٌ إلى آهورامزدا، ومثال ذلك دعاء زرادشت المأثور" أرجو منك أيها الرَّبُّ الخالقُ، المطلقُ، القدير، أن تغفر لي ما ارتكبتُ من سيئاتٍ، وما صدرَ عني من عملٍ غير صالح، إني أرجو منك أن تُباعد بيني وبين الخطايا حتى أحشرَ يوم الدين مع الأطهار والأخيار"[٢]. كما كان لرجال الدين الزرادشتيين أثرٌ في تحسين صورة أردشير وتركيزها بين عوام الناس وخاصتهم، ولاسيما أن إحياء أمر الدين كان من بين أوليات ثورته الأمر الذي ترتب عليه أن يكون للزرادشتيين دور مهم في نجاح ثورة آل ساسان[٣].لقد أتى زرادشت بدين جديد، وليس معنى ذلك أن كل ما أتى به من ابتكاراته الخاصة، وإنه لم يتأثر بما سبقه من العقائد الوثنية الإيرانية القديمة، فالحق أن لعقيدته أساساً في الديانة القومية الآرية أو الإيرانية القديمة التي يمكن أن نعرفها على وجه التقريب بالنظر إلى الديانات الهندية[٤].

وكتاب الزرادشتية المقدس الأفستا **(Avesta)** أو الأوستا يشملُ على ألف فصل يضمُّها واحدٌ وعشرون كتاباً، ولا يعرف بالضبط تاريخ تدوينه، إلا أنه كان مكتوباً في عهد الدولة الهخامنشية التي أسسها كورش في القرن السادس ق.م ودامت حتى أواسط القرن الرابع ق.م. وأمر كشتاسب ٥٢٠ق.م بالاحتفاظ به بقلعة اصطخر، ووكلَّ رجال الدين ويبدو أن تعلمه كان حكراً عليهم دون العامة[٥]، ويشير المسعودي إلى أن لغة الكتاب هي الفارسية الأولى الفهلوية، ويبدو أن لغته كانت في غاية الصعوبة، وهذا ما يؤكده أبو عبيد البكري بقوله: "إن زرادشت أتى بكتاب يدور على ستين حرفاً من المعجم، وهي لغة يعجز عن إيرادها ولا يُدرك مرادها"[٦]، وعلى الأرجح أن صعوبة فهمه جعلت زرادشت يضع له تفسيراً سماه الزند أي تفسير الشريعة[٧]، ويقسم ابن خلدون هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام، وهي: قسم اختص بأخبار الأمم الماضية، وقسم بأحداث المستقبل، والثالث بنو أميس الزرادشتية وشرائعهم[٨]، وكانت الأفستا

---

(١)- كريستنسن، ايران، ص١٣٤. زينهير، الزرادشتية، ص٦٦. عيزوقي، أوضاع، ص١٣٩-١٤٠.

(٢)- حامد، عبد القادر: زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ص٩١.

(٣)- الكعبي، الدولة الساسانية، ص٦٧.

(٤)- حامد، زرادشت، ص٢١.

Duchesne-Guillemin, j, Zoroastrian Religion, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol 3 (I), p.866-908.

(٥)- الثعالبي، غرر، ٢٥٧. الفردوسي، الشاهنامة، ص١٠٢.

(٦)- التنبيه، ص١٨٦. البكري (أبو عبيد ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): كتاب المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن؛ أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م، ج١، ص١٣٦.

(٧)- حامد، زرادشت، ص٢١.

(٨)- تاريخ، ج٢، ص١٩٠.

بمثابة دائرة معارف تحوي علوماً غيبية، وعُدَّ كتاب المعرفة والحكمة عند الزرادشتيين موسوعة كبيرة لكافة علوم العصر الساساني[١].

ويشير كريستنس إلى أن جزءاً كبيراً من الأفستا اختفى أيام الإسلام، وينفي أن يكون ذلك بسبب تعصب المسلمين الديني، ويرجعه إلى الظروف المادية القاسية التي كان عليها المجوس في ذلك الوقت؛ مما جعل من الصعب عليهم الاستمرار في استنساخ هذه المجموعة الكبيرة من النصوص المقدسة[٢].

ب- الديانة البوذية:

تأثرت خُرَاسان في تعاليم البوذية لحد بعيد، حتى كانت شهرة بلخ كمدينة بوذية تفوق شهرة أية مدينة عرفت باعتناق البوذية، وعلى أن هناك من يرى أن ظهور البوذية يرجع إلى أكثر من ألف سنة قبل الميلاد، فإن المرجح أن يكون ذلك في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، وقد اعتنقت بلخ والجانب الشمالي من خُرَاسان البوذية، ومن هذه الجهات انتشرت البوذية وعمَّ انتشارها بلداناً بعيدة، ومذهب البوذية يقوم على أسس أربعة هي: الاعتقاد بأن الألم من لوازم الوجود، وأن الإنسان قد يرجع إلى هذه الدنيا مرة أخرى، وأن الخلاص من أثر الشهوات هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة ثانية إلى حياة الأرض بعد مماته، وأن على الإنسان أن يبعد نفسه عن العقبات التي تحول بينه وبين الخلاص من شهواته[٣]. ويجب على المرء أن يلتزم بهذا الطريق الأخلاقي من خلال الانضباط والجهد والانتباه والتركيز، مما يضمن له تحقيق هدف الحياة النهائي عند البوذيين وهو الوصول إلى النيرفانا، أي الحياة الأبدية[٤].

---

(١)- كريستنسن، إيران، ص١٣١. ديورانت قصة، ج٢، مج١، ص٤٢٦-٤٢٧. خريسات، محمد عبد القادر وآخرون: تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكندي، ط١، إربد، الأردن، ١٩٩٩م، ص١٣٤.

(٢)- كريستنسن، إيران، ص١٣١-١٣٢. الزيتاوي، معزوزة على موسى: الحركات الفارسية غير الإسلامية في المشرق في العصر العباسي الأول، إشراف: فالح حسين، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م، ص٤٢-٤٣.

(٣)- وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط٣، بيروت، ١٩٧١م، مادة بوذا، ج٢، ص٣٨٤-٣٨٨. بروي، إدوار: تاريخ الحضارات العام /القرون الوسطى/، تر: يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، ١٩٨٦، ج٣، ص٢٤١.

Emmerik, R,E, Buddahism Among Iranian people, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press,1983,vol. 3 (I), p964-949. .

(٤)- كولر، جون: الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين، مر:إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ع١٩٩، ١٩٩٥م، ص١٩١، ١٩٩. سميث، هوستن: أديان العالم، تر:سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط٣، حلب، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٨٤.

انقسمت البوذية إلى مذهبين بسبب الخلاف على تفسير تعاليم بوذا الخاصة بالوصول إلى الخلاص، هما: مذهب الثيرافادا الذي يشدد على ضبط النفس من أجل الخلاص الفردي، ومذهب المهايانا الذي يشدد على ضرورة أن يصبح الفرد (بوذيستفا) أي كائن مهمته مساعدة الآخرين من أجل الخلاص والقضاء على المعاناة[١]. كما آمن البوذيون بتناسخ الأرواح (الكارما)، وقالوا بوجود سلسلة سببية بين كل حياة جديدة والحياة السالفة التي أدَّت إليها، ثم بين الحياة الجديدة والحياة التي ستأتي، فالحياة بصورتها الحاضرة أخذت شكلها من الطريقة التي عاشها المرء في حياته السالفة، وضمن هذا التنقل تبقى إرادة الإنسان حرة في الاختيار، ولا بد له كي يتحرر من دورة الكارما من سلوك طريق الحكمة للوصول إلى النيرفانا[٢]. ومن أشهر معابد البوذيين في بلخ هو النوبهار، وهو أعظم بيت من بيوت الأصنام، فحين سمع ملوك ذلك الزمان ـ قبل الإسلام طبعاً ـ بأهمية أصنامها واحترام الغرب لها بنوا هذا البيت[٣].

ومن هنا يتضح أن الخُرَاسانيين قد أخذوا من البوذية الشيء الكثير من مختلف التعاليم لاسيما الدعوة إلى تهذيب النفس وتحمُّل العذاب، والصبر على المكاره، الذي أثبت التاريخ أن خُرَاسان كانت متفوقة فيه.

ج- الديانة المانوية:

تنسب إلى ماني بن فاتك، الذي ينسب إلى أسرة فارسية عريقة، وقد ولد ماني في مدينة بابل العراقية سنة٢١٦م، وكان قد ادعى النبوة وأنه النبيُّ الذي بشَّر به عيسى عليه السلام وأنه خاتم الأنبياء[٤]. بدأ انتشار المانوية في خُرَاسان على يد ماني في القرن الثالث الميلادي، فقد قام ماني حوالي الثلث الأول من القرن الثالث الميلادي بجولة في إيران وتركستان والهند للتبشير بالمانوية، وقد ورد اسم خُرَاسان ضمن الأقطار التي بشر فيها ماني بدينه، وقد ساعد على انتشارها في خُرَاسان أمران: الأول هو أن مبادئ المانوية كانت مزيجاً من العقائد الزرادشتية والبوذية والمسيحية والغنوصية؛ مما سهل على الناس قبولها أياً كانت مشاربهم الدينية،فضلاً إلى ميلها للزهد والتسامح؛ مما خفف من آلام سكان خُرَاسان آنذاك، والأمر الثاني

---

(١)- كولر، الفكر الشرقي القديم، ص٢٠٧. بارندر، المعتقدات الدينية، ص١٩٥-١٩٧.

(٢)- سميث، أديان العالم، ص١٨٧. عيزوقي، ١٤٠-١٤١.

(٣)- للتفاصيل حول معبد النوبهار انظر: البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. ابن الفقيه، المختصر، ص٣٢٣، ص٣٣١. المسعودي، مروج، ج٢، ص٢٣٨. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٠٧. القزويني، آثار البلاد، ص٣٣١. ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٢٩. بارتولد، تذكرة جغرافياي، ص٥٩، ١٦٢.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٤٧. حنا، نهى وأخرون: موسوعة كنوز المعرفة، دار نظير عبود، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٦٨.

هو هرب معظم أتباع هذه الديانة إلى الصغد وما وراء النهر بعد أن تعرضوا للاضطهاد على يد الساسانيين؛ مما جعل خُرَاسان مركز ثقل لأتباع هذا الدين[١].

كما تقوم الديانة المانوية على مبدأ الثنوية، حيث يرى ماني أن العالم مكون من عنصرين: النور والظلام، وصاحب النور هو الله، والشيطان صاحب الظلام، وكل خير مرده إلى الله، وكل شر من الشيطان، والنور والظلام موجودان في الإنسان[٢]. وادعى ماني أن الله أرسله من بابل لتصل دعوته إلى العالم أجمع[٣]. وفرض على أتباعه أداء العشر من أموالهم كزكاة، كما فرض عليهم الصيام، وأمرهم بترك الكذب والقتل والسرقة والزنى وغيرها[٤]، وتأثرت عقيدته بالديانة المسيحية من خلال بعض العقائد كالتعميد والقدَّاس الإلهيِّ، بالإضافة لتأثرها الواضح بالزرادشتية[٥].

كما قسمَّ ماني أتباعه إلى فئتين: الأولى هم المقرَّبون المصطفون الذين حُرِّم عليهم الزواج وممارسة المهن والسعي وراء الثروة، كما حرم عليهم أكل الحيوان وطبخ الخضار بأيديهم وشرب الخمر، ومنعهم من امتلاك أكثر من غذاء واحد وكساء واحد يلبسونه سنة كاملة، أما الفئة الثانية السماعون المطيعون الذين يسمح لهم بالزواج وأن يعملوا ويمارسوا المهن، وحلل لهم أكل اللحم[٦]. وفي عام ٢٧٦م قتله الملك بهرام بصلبه على باب مدينة جنديسابور، وقتل من أتباعه اثني عشر ألفاً بعد أن استطاع رجال الدين

(١)- الخليلي، جعفر: موسوعة العتبات المقدسة /قسم خراسان/، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٤٣. عيزوقي، أوضاع، ص١٤٢.

(٢)- الجاحظ، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، ج٤، ص٨١. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٤٩. ابن حزم، الفصل، ج١، ص٩١. الشهرستاني، الملل، ج١، ص٢٩١-٢٩٤. كريستنسن، إيران، ص١٧٢-١٧٦. مجموعة مؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٤٣٥.

(٣)- سعفان، كامل: معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)، دار الندى، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٣٨.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص١٨١. الثعالبي، غرر، ص٥٠٢. ماجد، عبد المنعم: التاريخ السياسي للدولة العربية "عصر الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠م، ج١، ص١٩٦.

(٥)- سعفان، معتقدات آسيوية، ١٤١. نغرين، جيووايد: ماني والمانوية دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها، تر: سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٩٧.

(٦)- النديم (محمد بن إسحاق ت٣٨٠هـ/٩٩٠م): كتاب الفهرست، تح: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٩٦. سعفان، معتقدات، ص١٤٠. نغرين، ماني، ص١٢٥-١٢٨.

الزرادشتين إقناع الملك ببطلان ديانته، ثم كان عهد سابور الثاني الذي اضطهد أتباع ماني في جميع أنحاء الإمبراطورية، ومع ذلك استمر مذهبه عدَّة قرون لاحقة[١].

د- الديانة المَزْدَكية:

ظهرت في أيام قباذ بن فيروز في مطلع القرن السادس الميلادي حوالي عام ٤٩٠م على يد مزدك بن بامداد، الذي ولد حوالي ٤٨٧م[٢]. ويظهر أن الملك قباذ قبل انخراطه في دعوة مزدك لرغبته في الحد من نفوذ طبقة رجال الدين، وطبقة الحكام، وبسبب بؤس الطبقات الفقيرة وقد عارض كسرى أنوشروان أباه لأتباعه مزدك، وتمكن في النهاية من الإيقاع به بعد أن عقد الكثير من المناظرات بينه وبين كبار موابذة الزرادشتيين، وتمكن بمعونتهم من إقناع قباذ بضرورة الخلاص من مزدك، فدبرت حيلة تم فيها القضاء على مزدك بعد أن اشتد أمر دعوته وأثرت سلبياً في المجتمع وفرق وأتباعه، وكان مسرح تلك الثورة في نواحي خُرَاسان[٣].

وأبرز تعاليم مزدك التي نادى بها والتي تعد استمراراً لمذهب الثنوية الذي نادى به كل من زرادشت وماني، بوجود أصلين أو كونين هما النور والظلمة، واعتقاده بأن النور منفصل عن الظلمة، فالأول يعمل بحرية وحكمة، والثاني بخلط وعشواء وجهل، وكان اختلاطهما ببعضهما مصادفة، كما أن انفصالهما

---

(١)- النديم، الفهرست، ص٣٩١-٣٩٢. الشهرستاني، الملل، ج١، ص٢٩٠. ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطيب الملطي ت٦٨١هـ/١٢٦٨م): تاريخ مختصر الدول، تح: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٢٩-١٣١. كريستنسن، إيران، ص١٧١. ويلز (هـ.ج): معالم تاريخ الإنسانية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، القاهرة، ١٩٩٤م، ج٣، ص٧٥٢.

Widengren, G; Manichaeanism And its Iranian Background, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol. 3 (I), (965-990), p.965-972.

(٢)- المقدسي، البدء، ج٣، ص١٦٧. بروي، تاريخ الحضارات العام، ج٣، ص٥٩. أما عن موطنه الأصلي فهناك من يرى أنه من نسا السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٢٧٣. ويشير الدينوري إلى أنه من أهل اصطخر. الأخبار، ص٦٥.

(٣)- الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٧٩. الثعالبي، غرر، ص٦٠٢-٦٠٥. السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٢٧٦. القرماني (أحمد بن يوسف): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تح: فهمي سعد، أحمد حطيط، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٣، ص١٥٢. البيروني، الآثار الباقية، ص٢٠٩. ابن البلخي (ت بعد ٥١١هـ/١١١٧م): فارس نامه، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٨٣-٨٤.

Yarshater, Ehsan: Yarshater, Ehsan: Mazdakism, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol.3, (991-1024), p.995.

مصادفة أيضاً[١]. وكما نسب إلى المزدكية القول بالاشتراكية التي تدور حول نقطتين رئيستين: الأموال والنساء[٢]. كما نهى مزدك عن أكل اللحم، وكان ورعاً كثير التقشف يلبس الجلود ويعيش أبسط العيشات، نهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ودعا إلى المساواة بين الناس، وقد أصر المزدكيون إلى عمل الخير، ولم يحرموا القتل فحسب؛ بل حرموا أي أمر من شأنه إدخال الألم في النفوس[٣].

وقد لاقت المزدكية انتشاراً كبيراً في إيران وأذربيجان وآسيا الوسطى، وكانت الأوساط الفقيرة أكثر فئات المجتمع تأثراً بأفكار المزدكية، فانتفضت واستولت على أملاك الأغنياء، وطردوا الإقطاعيين وعمت الفوضى والاضطرابات البلاد كافة، واستبيحت أعراض النساء وأموال الأغنياء وغير الأغنياء، وتزعزع الاستقرار الاجتماعي، خاصة أمام تأييد قباذ الأول لهم، وقُمعت المزدكية ونُكل بأتباعها بوحشية[٤]. ولم يذكر كتاب خاص بمزدك شأن زرادشت وماني؛ وإنما عُدَّت تعاليمه تفسيراً لأفستا زرادشت[٥].

هـ- الديانة اليهودية:

كان الوجود اليهودي في العصر الساساني يتركز بشكل خاص في نواحي العراق وفارس، غير أن بعض المصادر تذكر إشارات عابرة تفيد بوجود اليهود في خراسان[٦]، ويرد ذكر طائفة يهودية تدعى الشرستانية، نسبة إلى مدينة شرستان، ويذكر ياقوت أكثر من مدينة بهذا الاسم، ومن بينها بلدة في خراسان، ولكن من الصعب الجزم إن كانت هي المدينة المقصودة أم لا[٧]، فقد انتشر اليهود في أواسط آسيا، ومارسوا كل المهن، وتكتلوا في جاليات، وزعموا أنها حصلت من حكومات تلك الفترة على استقلال ذاتي وديني، ومارسوا شرائعهم واهتموا بتدوينها، وتدوين تاريخهم في المنطقة دون الدعوة إلى دياناتهم[٨].

---

(١)- القمي (سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري ت٢٩٩هـ/٩١١م): المقالات والفِرَق، تصحيح: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ص١٩٣. الشهرستاني، الملل، ج١، ص٢٩٥. القلقشندي، صبح، ج١٣، ص٢٩٨-٢٩٩. بيرنيا، تاريخ إيران، ص٣٢٠. كريستنسن، إيران، ص٣٢٧. Yarshater: vol. 3, p.1006.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٩٢. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣١٨.

(٣)- الشهرستاني، الملل، ج١، ص٢٩٥. مكاريوس، تاريخ إيران، ص٨١. كريستنسن، إيران، ص٣٢٨-٣٣٠. وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج٨، ص٤٥٣-٤٥٤. مجموعة مؤلفين، موسوعة الأديان الميسرة، ص٤٥٠.

(٤)- مجموعة مؤلفين، موجز تاريخ الفلسفة، تر: توفيق سلوم، دار الفارابي، ط١، بيروت، ١٩٨٩م، ص٩٩. الطوسي، سياست نامه، ص٢٣٩.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ص ١٨٦. الخوارزمي، مفاتيح، ص٥٦.

(٦)- Neusner, j: Jews in Iran, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol.3 (1), (909-923), p.909.

(٧)- المقدسي، البدء، ج١، ص٣٣٢. عيزوقي، أوضاع، ص١٤٤.

(٨)- العابد، معالم، ص٨٨.

هذا وتعرض اليهود في ظل الساسانيين لمضايقات شديدة من رجال الدين والملوك، فقد كان رجال الدين شديدي التعصب، وكان تعصبهم لأسباب سياسية، ولاسيما أنهم أدعوا السيادة المطلقة داخل حدود الدولة، ففي عهد قباذ الأول، ألقوا في السجن بعض رجال الدين عام ٥٢١م، الذين حُكِم عليهم بالقتل. وفي عهد الملك هرمز الرابع الذي خلف كسرى أنوشروان على العرش، ساءت أحوال اليهود نظراً لوقوفهم إلى جانب القائد بهرام جوبين، الذي قاد مؤامرة ضد الملك، وهكذا أصاب اليهود طوال عهد الدولة الساسانية اضطهاداً شديداً واعتداءً على حرياتهم الدينية، من جراء تعصب المجوس أتباع زرادشت(١).

و– الديانة المسيحية:

وتعدُّ النصرانية الديانة الوافدة على الهضبة الإيرانية، وبدأت المسيحية بالانتشار في خُرَاسان منذ القرن الثالث الميلادي، ويذكر البيروني أن الجاثليق سيس كان أول من أدخلها إلى خُرَاسان(٢)، وقد أسست أسقفية للمسيحية في مرو في القرن الرابع الميلادي وكان لها دورٌ مهمٌ في نشر المسيحية في أنحاء خُرَاسان كافة، حيث ظهرت أسقفيات لاحقاً في طوس وسجستان(٣)، وعلى الرغم من تأكيد البيروني أن معظم مسيحي خُرَاسان كانوا نساطرة، فإنه يذكر وجود طائفة أخرى من المسيحيين على مذهب الدولة البيزنطية يدعوهم الملكانية، ويذكر وجود مطران لهم في مرو، كما يشير إلى أنهم كانوا يتركزون بشكل خاص في خوارزم(٤). كما وجدت كنائس مسيحية في هراة(٥)، كما يبدو أن المبشرين المسيحين نجحوا في نشر ديانتهم بين القبائل التركية منذ القرن الرابع الميلادي(٦).

وقد عاش نصارى الهضبة الإيرانية في كنف الدولة الساسانية في سلام واطمئنان حتى قيام الإمبراطور الروماني قسطنطين باعتناق النصرانية وعدَّها ديناً رسمياً للدولة ٣١٢م. فكان هذا الحادث بداية التغيير في نظرة نصارى إيران إلى حكامهم الساسانيين الوثنيين، وكذلك في نظرة ملوك الدولة الزرادشتيين إلى نصارى دولتهم، وقد عبَّر الملك سابور الأول عن هذه التغيرات برسالة أرسلها إلى حكامه يطالبهم فيها بجمع الجزيات مضاعفة من نصارى دولته، وكانت هذه الأحداث مقدمة للاضطهادات الأولى التي تعرض لها نصارى إيران قبل الإسلام، حيث قتل قسم كبير منهم، وتعرض القسم الآخر للسجن والنَّفي

---

(١)– العابد، معالم، ص١٢١.

(٢)– البيروني، الآثار، ص٢٩٤. ابن سليمان (ماري ت القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي): أخبار فطاركة كرسي المشرق، جزء من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٩م، ص٦.

(٣)– ابن سليمان، أخبار فطاركة، ص٢٦.

(٤)– الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٤–٢٩٦. مسكويه، تجارب، ج١، ص٢٧٢. البيروني، الآثار، ص٢٨٨.

(٥)– النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨١، ١١٧. الاصطخري، مسالك، ص٢٦٥، ٣٢١. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٦.

(٦)– المقدسي، البدء، ج١، ص٣٢٦. ابن عبد البر، القصد، ص٣٥. عطا، زبيدة: بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، د.م، د.ت، ص٢٣.

ومصادرة الأملاك، ومع أن نصارى إيران عانوا من التمزق الذي ساد كبار رجال الكنيسة، إلا أنهم في عهد يزدجرد الأول سمح لهم بحرية العبادة لدرجة أن بعض ملوك الساسانيين سمحوا بعقد مجمعات دينية نصرانية في مدن إمبراطوريتهم، وقد أساء بعض رجال الدين النصارى إلى هذه الحريات التي منحت لهم؛ مما أدى إلى انقلاب بعض الملوك(١). لكن مع وصول كسرى أنوشروان للحكم توسعت الكنيسة المسيحية في إيران، وعمل على تنظيمها، ولكن هذا لا يعني أن الاضطهاد قد انتهى، كما أعاد كسرى تنظيم الكنيسة اليعقوبية من جديد(٢).

صحيح أن الأديان قد فعلت فعلها العظيم في يقظة جميع الأقاليم الإيرانية لا الخُرَاسانية وحدها، وبنت لها حضارتها، ونشرت الثقافة العامة في ربوعها ولاسيما في ميديا وفارس؛ بل إن كثيراً من الآثار التي خلفتها الأديان وفلسفاتها المتجانسة والمتضادة المتضاربة، كانت بارزة كل البروز في أصقاع إيران الأخرى كبروزها في خُرَاسان وأكثر، ولكن فعل هذه الفلسفات الدينية واتجاهاتها قد أعطت خُرَاسان صبغة معينة خاصة، وخلفت فيها أثراً اقتصرت ألوانه عليها وحدها.

٣- الأوضاع الاجتماعية

كان الوضع الاجتماعي في خراسان قبل الفتح قائماً على نظام الطبقات، فقد كان نظاماً له قداسته(٣). وقبل الحديث عن الطبقات لا بد من المرور على الأعراق التي كانت منتشرة في خُرَاسان في تلك الحقبة، فقد شهدت خُرَاسان في تاريخها القديم ثلاث موجات كبرى في نهاية الألف الثانية تغلغلت قبائل وشعوب تتحدث بلغات هندو-إيرانية بين السكان الأصليين وفرضت عليهم الجزية، ومن هذه الشعوب الفرسُ والميديون والفرثيون والكيمريون والأسكيذيون التي شكلت القاعدة العرقية العامة في خُرَاسان وأدت دوراً رئيساً في تاريخ إيران في تلك الحقبة(٤)، وأطلق المؤرخون المسلمون على هذه الشعوب اسم الفرس، وأشاروا إلى انتشار الفرس في جميع نواحي خُرَاسان وسجستان في الزمن القديم، وأشاروا إلى اختلاف

---

(١)- عباس، إحسان: عهد أردشير، دار صادر، بيرت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ص١٠-١١. العلان، السياسة، ص٧٠-٧١.

(2)- Asmussen, J.P., Christians in Iran, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol.3 (1),p.924-948.

(٣)- محمود، الإسلام، ص١٩-٢٠. كريستنسن، إيران، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٤)- دياكوف، كوفاليف؛ ف،س: الحضارات القديمة، تر: نسيم اليازجي، دار علاء الدين، ط١، دمشق، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٩٧. فخري، أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٢١١. فرزات، محمد حرب: مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة، جامعة دمشق، ط٢، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٢.

اللهجات الفارسية كالفهلويَّة، والدريَّة، والآذريَّة وغيرها من لغات الفرس، وأطلقوا على لهجة أهل خُرَاسان اسم "اللغة الدريَّة"، أو "الفارسية الدريَّة"[١].

أ- فئات السكان (الأعراق)

تتحدث المصادر عن ستة أعراق رئيسة في خُرَاسان هي: الفرس، الهياطلة، الأكراد، الخوارزميون، والأتراك، والعرب.

١ـ **الفرس:** انتشر الفرس في كل نواحي خُرَاسان في المنطقة الممتدة بين الري غرباً إلى هراة ومرو الروذ شرقاً، ومن حدود جيحون شمالاً إلى زرنج في الجنوب، ويشير اليعقوبي إلى أن معظمهم من العجم، ويرجع تركز الفرس في هذه المنطقة إلى تمكن الساسانيين من صد الهياطلة والترك عنها، ومنعهم من دخولها مما سمح لها أن تحتفظ بالطابع الفارسي الواضح[٢].

٢ـ **الهياطلة:** هم الهون البيض الذين نزحوا من منغوليا واستوطنوا على طول وادي جيحون خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وأسسوا عدة ممالك هناك، ويطلق عليهم المسلمون اسم الهياطلة في حين يعرفون في الوثائق الغربية ولدى المؤلفين البيزنطيين باسم الأفثلاطيون (Ephthalites) وفي الوثائق الصينية باسم (Ye–Ta)[٣]. فمنذ أقدم العصور كانت هناك موجات متعاقبة لهجرة قبائل من أصل إيراني من أواسط آسيا نحو الغرب، وكانت الموجة الأخيرة من هذه القبائل تعرف باسم الهياطلة، ومن المتفق عليه أن هذه الجماعة قد اشتقت اسمها من اسم أحد مؤسسيها الأوائل أو ربما من إحدى أسرها الحاكمة، ومن الصعب تعيين أصل الهياطلة، حيث أن أكثر الباحثين يميل إلى عدِّ الهياطلة من أصل إيراني، وهناك قلة من الباحثين ترى أنهم من أصل تركي، فقد احتل الهياطلة المنطقة إلى الشمال والجنوب من جبال الهندوكوش، وكانوا يتركزون بشكل رئيسٍ في مناطق الختل والصغانيان، إضافة إلى بلخ وطخارستان والجوزجان، ووصلوا جنوباً إلى نواحي قندهار، كما عاشوا مع الفرس في مناطق هراة وباذغيس، واستوطنوا الباميان في الشرق، وسيطروا على المناطق الواقعة إلى الشرق من أملاك الساسانيين، وتطلق المصادر على مناطقهم تلك اسم طخارستان التي تمتد من هراة غرباً إلى بذخشان في الشرق[٤]. وذكر اليعقوبي أن "بيوتهم متصلة من أول كور خُرَاسان إلى جبال التبت وجبال الصين"، وتتجه

---

(١)- المسعودي، التنبيه، ج١، ص١٤٦. النديم، الفهرست، ص٢٥. ابن صاعد (صاعد بن أحمد ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م): طبقات الأمم، نشر: الأب لويس شيخو السوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م، ص٥. الخوند، مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار رواد النهضة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٥٢.

(٢)- البلدان، ص٥٢-٥٨. مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٣١. عيزوقي، أوضاع، ص١٣٥-١٣٦.

(٣)- لسترنج، بلدان، ص٤٧٦. زوير، الهياطلة تاريخهم، ص٦-٩.

(٤)- المسعودي، مروج، ج١، ص٢٩٣. المقدسي، البدء، ج٢، ص٢١٥. مسكويه، تجارب، ج١، ص٢٥٧. الحموي، معجم، ج١، ص٣١٨. أبو الفدا، تقويم، ص٤٧٣.

هذه القبائل داخل خُرَاسان كلما اشتد عليها الضغط من الصين(١). وقد انقسمت قبائل الهياطلة إلى قسمين رئيسين: هما القبائل الشمالية التي احتفظت باسم الهياطلة، والقبائل الجنوبية التي اتخذت لها اسم الزابول وبها سميت المنطقة زابولستان، وقد امتدوا باتجاه الجنوب الشرقي إلى الهند، في حين اضطرت القبائل الهيطلية الشمالية إلى الامتداد نحو الغرب، فاصطدمت مع الساسانيين في معارك متعاقبة ابتداء من عام ٤٨٤م تكبد فيها الساسانيون خسائر جمة. وكان النظام السياسي في طخارستان شديد التعقيد، فقد كان الحاكم العام لطخارستان يحمل لقب جبغويه، وبعد حروب دامت نصف قرن من الزمان، كان النصر فيها دوماً من نصيب الهياطلة، أصبحوا هم سادة بلاد فارس فعلاً حيث أخذوا منها إتاوات سنوية جسيمة، وكانت الإمبراطورية الهيطلية في النصف الأول من القرن السادس الميلادي تمتد من بلاد الصغد إلى حوض نهر سيحون فالأراضي التي إلى الشمال والجنوب من جبال الهندوكوش.

وفي النهاية كان على الساسانيين لكي يتخلصوا من نير الهياطلة أن يضمنوا صداقة قوة جديدة ناشئة وراء النهر، وهم الأتراك الغربيون أو الترغش، وقد استطاع هذان الحليفان أن يدحروا الهياطلة بين عامي ٥٦٣ و ٥٦٨م؛ مما أدى إلى تقسيم إمبراطوريتهم بين المنتصرين الاثنين، وبهذا ولحقبة قليلة جداً أصبح نهر سيحون هو الحد الفاصل بين الإيرانيين والأتراك. إلا أن الساسانيين لم يستطيعوا أن يحتفظوا بالأرض التي كسبوها مؤخراً لأمد طويل، وبسبب ضعفهم المتزايد وتزايد قوة الأتراك فقد تمكن الأتراك من مدِّ نفوذهم إلى الجنوب حيث ضموا إليهم كل أراضي الهياطلة شمال الهندوكش، ومن الواضح أن هياطلة الجنوب استطاعوا أن يجنبوا أنفسهم مصير أخوانهم في الشمال، ليلقوا بعدئذ نهايتهم القاضية على يد المسلمين، ولكن بعد مقاومة دامت أكثر من مائتي عام(٢).

٣ـ الأكراد: توزعوا في مناطق الجوزجان والفارياب وقوهستان(٣). ويذكر أنهم سكنوا جبال هراة وقوهستان وبوشنج(٤).

٤ـ أهل خُوارِزم: كانوا يعدون جنساً مميزاً عن بقية أهل خُرَاسان، فعلى الرغم من أن أصولهم كانت فارسية فإن مجاوراتهم للأتراك واختلاطهم بهم، جعل منهم شعباً مزيجاً بين الفرس والترك، وهم يخالفون أهل الجانبين في العادات واللسان والطباع، ولغتهم تختلف عن بقية لغات خُرَاسان(٥).

---

(١)- البلدان، ص٨٩، ٩٢.

(٢)- شعبان، الثورة، ص٤١-٤٤. للتوسع حول الهياطلة انظر: زوير، الهياطلة تاريخهم، ص٤٦-٥٩، ٩٩-١٤٤.

(٣)- المسعودي، التنبيه، ج١، ص١٦٦. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٠-٣٧٣. أبو بكر، أحمد عثمان: الكرد في كتابات المسلمين الأوائل، ذكر مواطن وطوائف الأكراد، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٢٤، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٣٤٣.

(٤)- المسعودي، مروج، ج٣، ص١٠٠.

(٥)- المقدسي، أحسن، ص٢٨٤-٢٨٥. القزويني، آثار، ص٥١٩. الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٢٣- ٢٢٤.

٥ـ الترك: امتدت مواطنهم من جيحون في الجنوب الغربي إلى مناطق سيحون في الشمال الشرقي، باستثناء الختل والصغانيان بقيتا بيد الهياطلة(١). وكانوا منذ القديم يعبرون الأقاليم الشاسعة الواقعة بين حدود بلاد الصين وفارس، وأطلق عليهم الصينيون "الهيونج نو" أي أتراك مغوليون. لقد قسم الجغرافيون العرب القبائل التركية إلى ست قبائل وأجناسٍ عديدة هي: الأوغُوز أو الغزُّ، القرغُزْ، وألت قُرْغيز، والقُرْلُق، والخَرْلُخيَّة، والتُّغُزْغُز، والكَيماك والخرخيز وغيرهم(٢). ولكنهم كانوا قبائل متفرقة لا يجمع بينهم سوى التشابه بلغتهم وملكهم واحد، واستوطنت هذه القبائل في مناطق عديدة بخُرَاسان ومنها هراة، وكانوا يحاربون بكل ناحية ويغزون(٣).

٦ـ العرب: استوطنوا في مناطق مرو ونيسابور وهراة وطوس وبوشنج ونسا وأبيورد، وفي خلم وسمنجان في طخارستان(٤).

ب- طبقات المجتمع الساساني:

كان النظام الاجتماعي السائد في خُرَاسان إقطاعياً فئوياً وفق نظام عرف بنظام الطبقات الساساني، فقد قسم أردشير بن بابك المجتمع الساساني إلى أربع طبقات يصعب الدمج بينها هي:

١ـ طبقة رجال الدَّين: وتشمل عدة فئات منهم: الحكام والعُبَّاد والزهاد وسدنة بيت النار والنُّساك، يطلق للواحد منهم مؤبذ، ويطلق على رئيس الموابذة اسم الموبذان موبذ، وهو الذي يفصل في الأمور الدينية فصلاً نهائياً وينتخب الملك، وكان رجال الدين يبذلون جهوداً للحفاظ على مراكزهم وتوسيع امتيازاتهم، وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الإقطاع جنباً إلى جنب، وفي أثناء عهود الانحلال كان رجال هاتين الطبقتين يتحدون ضد الملك، وكان تأثيرهم يستند إلى أراضيهم التي يملكونها وإلى مواردهم الغزيرة التي يجبونها من الغرامات الدينية(٥).

---

(١)- اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص١٨٧. البلدان، ص٥٩. المقدسي، البدء، ج٢، ص١٨.

(٢)- المسعودي، مروج، ج١، ص١٧٦. الاصطخري، مسالك، ص٢٩٠-٢٩١. مجهول، حدود، ٧٨، ٨٢. عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج١، ص٤٥٨. عطا، بلاد الترك، ص٣٠. بارتولد، تاريخ الترك، ص٤٧. E. Van Donzel, B.Lewis and Ch. Pellat, Encyclopaedia of Islam, E.J. Broll, Leiden, 1997, Third Impression, vol.IV Iran-Kha, vol.4, p658.

(٣)- اليعقوبي، البلدان، ص٦١. المسعودي، مروج، ج١، ص١٧٦. ابن صاعد، طبقات، ص٧.

(٤)- اليعقوبي، البلدان، ص٤٩-٥٠. مجهول، حدود، ص٧٣، ٧٨. Gibb, The Arb Conquests, p.36, 44, 49.

(٥)- ابن البلخي، فارس نامه، ص٣٠. عباس، عهد أردشير، ص١٣. كريستنسن، إيران، ص ٨٦، ١٠٣-١١٠.

٢ـ **طبقة رجال الحرب:** هي الطبقة الثانية في السلم الاجتماعي تتكون من الفرسان والرجالة، وهذه الطبقة لها امتيازات كثيرة كامتلاكها الاقطاعات الواسعة، وتضم أيضاً كبار النبلاء والملاكين، وكانوا قد حصلوا على مكانة رفيعة في المجتمع الساساني[١].

٣ـ **طبقة الكُتَّاب:** وتأتي في المرتبة الثالثة من الترتيب الاجتماعي، وتضم من امتاز بالذكاء وقوة الذاكرة، وتنقسم إلى كتَّاب الرسائل وكتَّاب المحاسبات وكتَّاب الأقضية والسجلات ويدخل فيه الأطباء والشعراء والمنجمون، ولأهمية هذه الطبقة كان الملوك إذا أنفذوا جيشاً نفذوا معه وجها من وجوه كتابهم، وقد كان للكتَّاب أهمية في العصر الساساني، فيجب على الكاتب أن يكون دقيق النظر، عميق الفكر، ثاقب الرأي، وأن ينال النصيب الأكبر من الأدب وثمراته[٢].

٤ـ **طبقة الزُّراع والصناع:** وهي في أسفل السلم الاجتماعي، وهي مكونة من اتحاد الزراع والصناع والتجار ونشأت منهما طبقة ثالثة وهي طبقة العمال المدنيين التي شغل رؤساؤها مكاناً إلى جانب عرش الملك مع الرؤساء الروحانيين ورؤساء الأرستقراطية العسكرية [٣].

وتأخذ هذه الطبقات بالازدياد عدداً وبالتضاؤل نفوذاً كلما ابتعدنا عن قمة الهرم إلى القاعدة[٤]. والمفيد ذكره أنه كل طبقة من هذه الطبقات السالفة الذكر تقسم إلى مراتب متسلسلة، لكل منها رئيس مسؤول عن طبقته: فالموبذان موبذ رئيس الموابذة ورئيس لطبقة رجال الدين، وهو حافظ الدين لأن الدين بلغتهم مُو، وبذ حافظ؛ والأصبهبذ أمير الأمراء رئيس لرجال الحرب؛ والدَبِيرْبذ أو حافظ الكتاب رئيس لطبقة الكتَّاب؛ وتخشه بذ رئيس لطبقة الشعب من الفلاحين والتجار وغيرهم، ويسمى أيضاً بالواستريوش[٥]. ولكل طبقة صفات معينة لا تؤهلها للانتقال إلى الطبقة الأعلى إن أرادت ذلك، إلا في حالات نادرة جداً[٦]، فكان أهم ملامح النظام الطبقي الساساني هي الحدود الصارمة التي رسمها أردشير لتلك الطبقات، فلا يحق للفرد الانتقال من طبقة أدنى إلى طبقة أعلى، إذ سجلت أسماؤها في الكتب والدواوين، إلا أن أردشير وضع لهذه القاعدة استثناءً خاصاً بالطبقة الدنيا والأفراد الموهوبين منها فقط، فعندما يظهر من العامة من يتمتع بموهبة خاصة فإنه يعرض على الموابذة لإبداء رأيهم، فإذا امتاز بالتقوى فإنه يدخل في سلك رجال الدين، أو يمتلك قوة جسدية أو موهبة قتالية، فيصبح من رجال الحرب، أما من امتاز بالذكاء وقوة الذاكرة فيلحق

(١)- كريستنسن، إيران، ص٨٦.

(٢)- الجاحظ، كتاب التاج، تح: أحمد باشا، د.م، د.ت، ص٢٣. الجهشياري، الوزراء، ص٤. كريستنسن، إيران، ص٨٦.

(٣)- بيرنيا، تاريخ، ص٢٩٤. بارتولد، تاريخ الحضارة، ص٤٩. خطاب، قادة فتح، ص١٩. العابد، معالم، ص٩٢.

(٤)- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، ط١، بغداد، ٢٠٠٩م، ج١، ص٥٥. خريسات، تاريخ الحضارة الإنسانية، ص١٣٨.

(٥)- المسعودي، التنبيه، ج١، ص ١٩٠.

(٦)- عباس، عهد أردشير، ص٢٥. كريستنسن، إيران، ص٣٠٢.

بالكتاب، لكن هذا الانتقال من طبقة إلى طبقة محدود ومحاط بقيود كبيرة، فقد كان ملوك الفرس يرون في انتقال الناس إلى غير طبقاتهم مؤذنة بخراب الدول فجاء على لسان أردشير: "ما شيء أسرع من خراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يرفع الوضيع إلى مرتبة الشريف ويحط الشريف إلى مرتبة الوضيع"(١). وقول أردشير هذا يبين عمق التمايز الطبقي في خُرَاسان قبل الإسلام، وسار على نهجه ونظرته المتدنية للفرد الملوك الذين خلفوه، فيروى الجهشياري وصية من سابور بن أردشير يخاطب ابنه عن منزلة الوزير وأسباب تقريبه إليه وضرورة الحذر منه بقوله: "واحذر كل الحذر من أن تنزل لهذه المنزلة سواء ممن يطيف بك من خاصتك وخدمك، وأن تسهل لأحد منهم السبيل إلى الانبساط بالنطق عندك، والإفاضة في أمور رعيتك ومملكتك"(٢).

وكان ملوك الساسانيين يستأثرون لأنفسهم حتى بأطيب الطعام والثياب، فقد خصصوا ملابس معينة لكل طبقة من الطبقات لتتميز عن الأخرى في ملبسها، "فقد كان من عادة ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن في خدمتهم لِبْسة لا يلبسها أحد ممن في غير تلك الطبقة، فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف بلبسته صناعته، والطبقة التي هو فيها"(٣).

وكان الدهاقين يكوِّنون جزءاً مهماً من الطبقة الأرستقراطية الساسانية، وقد انقسموا إلى خمس مراتب متسلسلة، تتميز كل مرتبة عن الأخرى بنوع معين من الملابس(٤). وحظي الدهاقين بمنزلة اجتماعية ضمن الطبقة الأولى (طبقة الأشراف)، فكانوا على صلة مباشرة بملوك الدولة الساسانية(٥)، وقد حصلوا على هذه المنزلة بفضل عاملين، أولها كونهم من فئة أشراف الفرس القدماء، الذي ينسب ملوك الفرس الساسانيين أنفسهم إليها، فقد ادَّعى الدهاقنة أنهم من نسل وهكرت، شقيق الملك الأسطوري هوشنك، كما ادعوا أنهم من أبناء أفريدون، وعلى ذلك فإن مكانتهم الاجتماعية لم تكن أقل من مكانة أبناء ملوك الفرس(٦)، إذ احتلوا المرتبة الثانية في مجالس الملوك بعد مرتبة الأساورة وأبناء الملوك مباشرة(٧). لذلك سعى بعض الملوك إلى مصاهرتهم، فقد روت المصادر أن والدة أنوشروان كانت بنتاً لأحد الدهاقين(٨).

---

(١)– الجاحظ، التاج، ص٢٣. العابد، معالم، ص٧١، ١٢٩. الخشاب، يحيى: التقاء الحضارتين العربية والفارسية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص١٧.

(٢)– الوزراء، ص٤.

(٣)– الجهشياري، الوزراء، ص٢. الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٤٩.

(٤)– المسعودي، مروج، ج١، ص٢٨٤.

(٥)– الثعالبي، غرر، ص٧٠٥.

(٦)– المسعودي، مروج، ج١، ص٢٨٤. الثعالبي، غرر ، ص٥٩٣.

(٧)– الجاحظ، التاج، ص٣١–٣٢. ديورانت، قصة الحضارة، مج٤، ج١، ص٢٧٨.

(٨)– الدينوري، الأخبار، ص٦٥–٦٦. الثعالبي، غرر، ص٥٩١–٥٩٣. الفردوسي، الشاهنامة، ص١١٧.

أما العامل الثاني الذي استمد منه الدهاقين مكانتهم الاجتماعية، فيتعلق بطبيعة أعمالهم التي أسندت إليهم؛ فضلاً عن كونهم يمتلكون العقارات الواسعة، وتظهر مقدرتهم بتمويل خزينة الدولة بالأموال، ولأجل ذلك أظهر الملوك الساسانيون اهتماماً كبيراً بهم، يظهر ذلك بوصية أنوشروان التي قال فيها: "تعهدوا الدهقنة يا معشر الملوك كما تتعهدون الملك"(١).

وكان الدهاقين مما هم في سن الشباب يعملون لدى الملوك، يسهرون على حمايتهم وخدمتهم، فقد كان "ريدك خوش أروز" وهو من أبناء رؤساء الدهاقين مختصاً بخدمة أبرويز لمعرفته بتطيب الطعام، وتنعيم الجسوم، ووصف البلاد(٢).

وكانت طبقة الزراع تشكل الغالبية العظمى، فلما اضطهدت سياسياً واقتصادياً بسبب فساد النظام الإقطاعي صارت مستعدة للثورة على الاضطهاد، وقد اتحدت في أواخر عصر الساسانيين مع طبقة أصحاب الحرف في طبقة واحدة سميت طبقة العمال المدنيين وأخذت تحس بوجودها وتطالب بحقها في حياة أفضل، ولكن طبقة رجال الحرب أنكرت هذا الحق وأصرت على منع أفراد طبقة العمال من مزاولة نشاطهم الاجتماعي والسياسي مما جعلهم يرحبون بالفتح العربي(٣).

ج– الحياة الاجتماعية العامة في خُرَاسان

ـ **الأسرة:** كانت علاقات المودة والمحبة تسود حياة الأسرة الزرادشتية، فقد كانت الولاية للرجل، وكان عليه أن يتولى الإنفاق على أفراد أسرته، ويعهد إلى الأم بتربية الأطفال، يبدأ الرجل بتعليم الولد ركوب الخيل والرماية بالقوس ومكارم الأخلاق والعمل بالأرض أو في الصناعة، والأم تعلم ابنتها ولوالدها أن يزوجها لمن يشاء عندما تبلغ سن الزواج وكان على الأولاد احترام الوالدين وإطاعة أوامرهما، فإذا لم يكن الولد باراً بأبيه انتقل ميراث الأب إلى أمه إذا أثبتت أهليتها. وكانت ولادة الذكور تعدّ مكرمة من الله، على الوالد أن يعلن شكره وتقديم الأضاحي، وقد نظم القانون الساساني موضوع الوصاية والتبني، فإذا لم ينجب الرجل ولداً ذكراً توجب عليه أن يتبنى واحداً لكي يبقى ذكره بعد الموت، ومن واجب هذا الابن المتبنَّي أن يدير ثروة الميت ويتولى النفقة على أولاده(٤).

---

(١)– بخيت، عبد الحميد: عصر الخلفاء الراشدين التاريخ الديني السياسي والحضاري، دار المعارف، ط٤، مصر، ١٩٧٧م، ص١٧٠.

(٢)– الثعالبي، غرر، ص٧٠٥–٧٠٦.

(٣)– كريستنسن، إيران، ص٧٥–٨٧. محمود، الإسلام، ص٢٠.

(٤)– هيرودت، تاريخ هيرودت، تر: عبد الإله الملاح، مر: أحمد السقاف، حمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م، ص٩٥، ٩٦. كريستنسن، إيران، ص٣١٣– ٣١٧. العابد، معالم، ص١٣٠–١٣٢.

Dhalla, Maneckji Nusservanji, Zoroastrian Civilization, From the Earliest Times to the Downfall of the Last Zoroastrian Empire 651 A.D., Oxford University Press, New York, 1922, p.298-299.

ـ **الزواج والطلاق:** قامت العائلة الساسانية على مبدأ تعدد الزوجات، حيث كان الفقراء يتخذون زوجة واحدة والميسورون أكثر من زوجة حسب يسارهم، وكانت الزوجة الرئيسة تتميز عن باقي النساء بلقب الزوجة الممتازة، وكانت الزوجة التي تليها في الأهمية من الرقيق أو السبايا تلقب بالزوجة الخادمة، وكان يحق للرجل أن يكون له أكثر من زوجة ممتازة شريطة أن تسكن كل واحدة في بيت خاص، ومع أن بعض المصادر المعاصرة تذكر ستة أنواع من الزوجات، فإن القانون الساساني لم يذكر إلا الزوجة الممتازة والزوجة الخادمة، واختلفت تقاليد الزواج والطلاق تبعاً للعقائد والديانات الموجودة في المنطقة، فقد استنكر زرادشت تعدُّد الزوجات، ودعا إلى مشاركة المرأة للرجل ومساواتها به في جميع الحقوق المدنية والاجتماعية[١]، كما عدت الزرادشتية الزواج وإنجاب الأطفال المؤمنين يساعد قوى الخير في صراعها ضد قوى الشر، وكان الزواج بين الفئات المختلفة في المجتمع الزرادشتي ممنوعاً، حيث كانوا يعتقدون أن زواج رجل من فئة نبيلة من امرأة من فئة العامة كان من شأنه أن يهدد شرف العائلة، وينتج نسلاً ضعيفاً، أما الزواج من الديانات الأخرى فقد أجيز في ظروف معينة، كما أباح المجتمع الزرادشتي زواج الأبدال، فإذا مات الرجل ولم يعقب يقوم بتزويج زوجته إلى أحد أقاربه، في هذه الناحية يجب أن ينسب ما يولد من الأبناء إلى الرجل الميت ويحملون اسمه، والهدف من هذا الزواج ألا ينقطع ذكر المتوفى إلى الأبد، ومن شدة تعلَّق النظام الاجتماعي الساساني بنقاء دم الأسرة، فقد أجاز الزواج من المحارم، وبالغ بعض الأشراف في هذا لدرجة إقدامهم على الزواج بكل أخواته، مثلاً الملك الساساني بهرام جوبين تزوج من أخته[٢]. وكان حق الطلاق بيد الرجل في المجتمع الزرادشتي، وكان على الرجل أن يعيد إلى المرأة كل ما أخذه من مالها الخاص إذا طلقها على غير رضاً منها، وكان على المرأة المطلقة أو التي مات زوجها أن تبقى في العدة لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام[٣].

ـ **المرأة:** على الرغم من كل القيود الاجتماعية التي فرضت على المرأة في العصر الساساني، إلا أن المرأة في هذا المجتمع تمتعت بشخصية قانونية مستقلة، والعديد من الحقوق فكانت ترث أهلها وزوجها،

---

(١)– ريسر، جاك: الحضارة العربية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط١، بيروت–باريس، ١٩٩٣م، ص٢٤.

(٢)– ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، ص٤٠، ٤٢. هيرودت، تاريخ هيرودت، ص٢٣١. كريستنسن، إيران، ص٣٠٨–٣١١، ٣١٦. محمود، الإسلام، ص٥٢. العابد، معالم، ص١٣٠. كتاب الأفستا، تر: خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة والفنون، ط٢، دمشق، ٢٠٠٨م، ص٢٩٧.

(٣)– كريستنسن، إيران، ص٣١٥. Dahalla, Zoroastrian Civilization, p. 302.

للإطلاع حول عادات الزواج والطلاق عند اليهود والمسيحيون انظر: الترمانيني، عبد السلام: الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، سلسلة عالم المعرفة، ع٤٤، الكويت، ١٩٨٤م، ص١٧٩، ٢٢٥، ٢٣٨. لوبون، جوستاف: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، تر: عادل زعيتر، دار طيبة، ط١، الجيزة، ٢٠٠٩م، ص٧٢–٧٣. عطية، عزيز سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، تر: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٣٦٦.

وكان لها حق الولاية على الأسرة بعد وفاة زوجها إذا كانت زوجة ممتازة أي حرة، فقد كان بإمكان الزوج وبمقتضى قانوني أن يجعل زوجته الممتازة شريكة له في ماله، وتعدُّ العقود التي تبرمها الزوجة مع الآخرين عقوداً قانونية تلتزم بها دون زوجها، لكنها تسدُّ ديونها بالتضامن مع زوجها، وقد حكمت الدولة الساسانية في آخر أيامها من قبل اثنتين من النساء هما بوران وآذر ـ ميدخت ابنتي كسرى أبرويز(١). ومن جانب آخر فقد أفقدها القانون حريتها أو أنزلها منزلة الرقيق، فلم تكن شهادتها مقبولة في المحاكم، كما كانت المرأة الحرة الثرية ممنوعة من التجول بحرية أو الاختلاط مع الرجال، وفرض عليها ارتداء الحجاب. أما المرأة الحرة الفقيرة ومن لا عائل لها فقد تساهل القانون معها فسمح لها بالتجول والعمل والاختلاط لاضطرارها إلى العمل في سبيل رزقها (٢).

ـ **الأعياد:** تُعَدُّ الأعياد السنوية أيام الساسانيين أعياداً زراعية تتصل عادة بأعمال المزارع، ولما اعترف الدين الرسمي بهذه الأعياد أصبح الاحتفال بها ذا مراسم دينية مع احتفالات، ويعد عيدا النوروز والمهرجان من أعظم الأعياد الفارسية، ويبدو أن هذين العيدين ارتبطا بأعمال الزراعة، وتقسيم السنة إلى فصلين حار وبارد(٣). فقد كان عيد النيروز أو النوروز أشهر الأعياد الشعبية الساسانية الذي تعيده بعض الروايات إلى التاريخ الأسطوري للمنطقة، ومازال الإيرانيون يحتفلون به حتى هذه الأيام، وكان يوافق هذا العيد بداية فصل الربيع وهو عيد رأس السنة الذي يستمر ستة أيام متتالية، وفيه يستريح عامة الناس وخاصتهم من العمل، يحاول فيه الملوك إسعاد رعاياهم في جميع الولايات بالسماح لهم بمقابلتهم دون رسميات ويتبادلون الهدايا، حيث كان الجميع يغتسلون في أول أيام العيد ويمرحون برش الماء على بعضهم، ويتبادلون الحلوى، ويبخرون أجسادهم بثلاث قطع من الشمع للوقاية من الأمراض بعد دلك أجسادهم بزيت الزيتون(٤). ويذكر كريستنس أن عيد النوروز كان مأخوذاً عن عيد ربيعي يرجع إلى أيام البابليين(٥). أما عيد المُهرجان فيعد من الأعياد الكبيرة التي يحتفل بها في الشهر السابع من أشهر السنة، وبينه وبين النوروز مائة وسبعة وستون يوماً،فقد جرت فيه عادة الناس أن يغيروا فرش منازلهم وملابسهم استعداداً لاستقبال الشتاء، ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عُقِد فيه التاج على رأس أردشير بن بابك

(١)- المسعودي، التنبيه، ج١، ص١٨٨. كريستنسن، إيران، ص٣١٤-٣١٥. العابد، معالم، ص١٣١-١٣٢.
Dahalla, Zoroastrian Civilization, p.220, 300

(٢)- كريستنسن، ص٣١٦. أحمد، مصطفى أبو ضيف: دراسات في تاريخ الدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين (١-١٣٢هـ/٦٢٢-٧٤٩م)، دار النشر المغربية، ط٢، الدار البيضاء، ص ١٩٨٦، ص٦٩.

(٣)- كريستنسن، إيران، ص١٥٩. زينهير، الزرادشتية، ص١٦٢. العلان، المملكة الفرثية منذ القرن الأول ق.م وحتى القرن الثاني الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: محمود فرعون، جامعة دمشق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٩٠.

(٤)- القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤٠٩-٤١٠. البيروني، الآثار، ص٢١٥-٢١٧. العابد، معالم، ص١١١.

(٥)- كريستنسن، إيران، ص١٦٢.

أول ملوك الفرس الساسانيين[١]. وكان عيد الفروردجان من الأعياد المهمة عند الفرس، وهو أحد الكهانبارات الستة[٢]، ويبدو أنه عيد للموتى وأرواح الأسلاف، حيث يزعم الفرس أن أرواح موتاهم كانت تعود إلى منازلها طالبة الصدقة والقرابين، وكان الاحتفال بهذا العيد يستمر خمسة أيام، يقوم الناس خلالها بتنظيف بيوتهم وفرشها، وصنع الأطعمة والأشربة ووضعها على سطوح المنازل لإطعام الأرواح، كما كانوا يدخلون بيوتهم بمختلف أنواع البخور[٣].

٤- الأوضاع الاقتصادية

يشكل الاقتصاد العصب الأساسيُ لكلِّ دولة، فعندما تتوافر المقدرات الاقتصادية تتوافر المقدرات الأخرى من عسكرية وسياسية كما يزداد التماسك والاستقرار الاجتماعيّ، فقد كانت كتابات الجغرافيين المسلمين المصدر الأول للمعلومات حول النشاط الاقتصادي في خُرَاسان، والمعلومات المتوافرة في هذه الحقبة قليلة جداً، ولا تلقي ضوءاً واضحاً على الأوضاع التي كانت سائدة، كما يكتنف الغموض الكثير من جوانب العلاقات الزراعية سواء علاقة صاحب الأرض مع من يعمل بها أو نظام الضرائب وغيرها، لذلك اعتمدت المعلومات الواردة على بعض الاستقراءات التي تدل عليها الأحداث، أو المشكلات التي عانى منها الاقتصاد الساساني.

أ- الأوضاع الزراعية:

تشكل الزراعة أهم أركان الاقتصاد الساساني، ولاسيما أن الدولة الساسانية تسيطر على مساحات شاسعة صالحة للزراعة من سهول وأنهار وبحيرات ومناخ ملائم لها، ومع أن معظم المصادر عن الحقبة الساسانية لم تعطِ تفاصيل عن حالة الزراعة، إلا أنه لا يمكن تصور قيام واستمرار إمبراطورية كالساسانية دون دعم اقتصادي زراعي ملموس، فقد اهتم الملوك الساسانيون بالزراعة، ونظموا الري وحفروا الترع وأقاموا السدود، حيث كانت الدولة الساسانية تعتمد على زراعة خُرَاسان بشكل كبير؛ نظراً لخصب المنطقة وكثرة خيراتها، ولذلك شيد الملوك الساسانيون أحد أهم معابدهم في شمال شرقي نيسابور وأُطلِق عليه اسم "آذر برزين مهر" أي معبد نار الزراع[٤].

---

(١)- المسعودي، مروج، ج٢، ص١٩٧-١٩٨. القلقشندي، صبح، ج٢، ٤١٠-٤١٢.

(٢)- هي أعياد دينية ينسب وضعها إلى زرادشت، ينظر هذه الأعياد عند: القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤١٤. البيروني، الآثار، ص٢١٩-٢٣٠. كريستنسن، إيران، ص١٦٠. شير، السيد أدي: الألفاظ الفارسية المعربة، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص٤٧. كتاب الأفستا، ص٧١٣.

(٣)- القزويني، عجائب، ص٧٩ القلقشندي، صبح، ج٢، ص٤١٣. البيروني، الآثار، ص٢٢٤. الأفستا، ص٤٩٣-٤٩٥.

(٤)- كريستنسن، إيران، ص١٥٧. العابد، معالم، ص١٢٣. عيزوقي، أوضاع، ص١٦٤.

فقد سيطر الدهاقين على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، ويمثل الدهاقين الأمراء الصغار، فقد وصفوا بأنهم أرباب وعُمَّار للضياع وأرباب الخراج، بسبب خبرتهم المتراكمة في الزراعة وإحياء الأراضي، فتمتع الدهاقين بنفوذ كبير في المجتمع والدولة الساسانية، فقد كان الدهقان في هراة يحكم بجانب الأمير(١). ويذكر الثعالبي قصة زواج قباذ بن فيروز من ابنة دهقان إسفرائين التي أنجبت له أنوشروان، ويدل ذلك على ما يتمتع به الدهاقين من موقع وأهمية في المجتمع(٢).

وكان النظام الزراعي السائد بخُرَاسان قبل تحريرها هو النظام الإقطاعي، وكان الملك على رأس هذا النظام، فهو يمتلك الأراضي الواسعة والممتلكات الكبيرة، فقد ذكر أن منوشهر أول من خندق الخنادق وأول من وضع الدهقنة، فجعل لكل قرية دهقاناً الذين اتخذوا من سكان القرى عبيداً لهم، وكان نظام السخرة موجوداً في المجتمع الساساني، وبذلك أصبح الفلاحون تابعين لهم(٣)، كما كان الملك يسخِّر الفلاحين للعمل في أراضيه، خصوصاً وأن له صفة روحية لأنه ينحدر من عائلة دينية، حيث أن أسرى الحروب وخاصة الروم البيزنطيين كانوا يعملون بهذه الأراضي(٤).

ويبدو أن الفلاح كان مسلوب الحرية والإرادة، ولم يكن في نظر الدهاقين إلا آلة تُباع مع الأرض، فقد كانت الأراضي والقرى تباع بمن عليها من الفلاحين، ويستدل من ذلك أن الفلاحين لم يكن بمقدورهم الخروج أو التمرد على الدهاقين، وقد ضمن الدهاقين ذلك من خلال اعتمادهم على التعاليم الدينية الزرادشتية المتعلقة بالأعمال الزراعية واستخدموها وسيلة لفرض سيطرتهم المطلقة على الفلاحين، فكانت الزراعة تعد من الواجبات الدينية المقدسة، ويبتهج لها آهورا مزدا الإله الأعلى أكثر مما يبتهج لغيرها من الأعمال(٥). فقد كانت حال العامة في المدن أفضل بكثير من حال الفلاحين، فكانوا يدفعون الجزية كالفلاحين، لكنهم يعفون من الخدمة العسكرية، لكن الفلاحين كانوا أسوأ حالة من هؤلاء؛ لأنهم مجبورين على أعمال السخرة والخدمة العسكرية في الجيش، وهذا يعني أنهم كانوا عبيداً لأسيادهم ورقيقاً يباعون ويشترون مع الأرض(٦). فالفلاحون مجرد أدوات لتحقيق متطلبات النبلاء والدهاقين وأسيادهم من الملوك

(١)- المسعودي، مروج، ج١، ص٢٥٣. البيروني، الآثار، ص٢٢٠. الثعالبي، خاص الخاص، شرحه: مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص١٢٠. كاهن، كلود: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، تر: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، ط٢، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٢٧.

(٢)- غرر السير، ص٥٩١-٥٩٢. فلوتن، السيادة العربية، ص٣٦.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج١، ص٣٧٩. الثعالبي، غرر، ص٦٨. فلهوزن، تاريخ، ص٢٩٤.

(٤)- بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٧٠.

(٥)- ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص٤١٢. كيرشمن، رومن: إيران از آغاز تا اسلام، تر: محمد معين، انتشارات علمي فرهنكي، طهران، ١٩٨٥م، ص٤١١.

(٦)- كريستنسن، إيران، ص٣٠٦-٣٠٧.

والأباطرة وكان ثقل الحروب التي يخوضها الساسانيون مع الدول المجاورة لهم وخاصة الروم يقع على عاتق الفلاحين وأبنائهم(١).

كما اهتمت الديانة الزرادشتية بالأعمال الزراعية باعتبار أن رجال الدين الزرادشتي يمثلون إحدى الفئات الإقطاعية في المجتمع من خلال امتلاكهم لمساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي تضم أعداداً كبيرة من الفلاحين، فكان من أهم مبادئ الزرادشتية أن أشرف عمل للإنسان العمل الزراعي والعناية بالماشية(٢).

كان النظام المالي للدولة الساسانية يعتمد على عدة ضرائب، من أهمها ضريبة الأرض، ويطلق عليها العقارية، وضريبة الرأس (الأعناق) ويطلق عليها الشخصية، فقد كان على كل قرية أن تدفع قسماً مما تنتجه أرضها من غلات زراعية، وكانت ضريبة الدولة تتراوح نسبتها من النصف إلى العشر، وغالباً ما تكون بين الثلث والسدس(٣). وبذلك يعد أنوشروان أول من ألغى النظام الضريبي السابق الذي كان قائماً على المقاسمة الذي أوجده قباذ، وأقر النظام الضريبي النقدي الجديد القائم على مساحة الأرض(٤). فلجأ الدهاقين إلى استخدام الأساليب القسرية عند تحصيل الضرائب من الفلاحين، والتي كثيراً ما استندت إلى التعذيب، مما جعلها تترك آثاراً سيئة على حياة عامة الفلاحين ومعيشتهم، في الوقت الذي أثرى فيه الدهاقين إثراءً فاحشاً بفضل الأموال التي حصلوا عليها نتيجة قيامهم بأعمال الجباية (٥). فأدت هذه الظروف إلى ظهور نظام الإلجاء الذي يعتمد على قيام الفلاحين الضعفاء بإلجاء أراضيهم إلى المتنفذين لحمايتهم من ظلم الجباة وقسوتهم(٦). أما ضريبة الأعناق فتمثلت بالجزية، وكان لها شأن في واردات الدولة، لهذا تم إحصاء السكان، وفرضت هذه الضريبة نقداً، فكان يدفعها جميع الذكور البالغين من سنة

(١)– آربري، ا.ج: تُراث فارس، تر: محمد كفافي، أحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، مر: يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص٧.

(٢)– كريستنسن، إيران، ص٢١. أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١٠، بيروت، ١٩٦٩م، ص١٠١. ديورانت، قصة الحضارة، مج١، ج٢، ص٤١٢.

(٣)– الدينوري، الأخبار، ص٧١. الجهشياري، الوزراء، ص٣. كريستنسن، إيران، ص١١١–١١٢.

(٤)– المسعودي، التنبيه، ٨٩.

(٥)– الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٥٠. آربري، تراث، ص٩٦. شعبان، صدر الإسلام، ص١٩١. الصوفي، حميد مرعي: دور الدهاقين في الإدارة المالية لخُرَاسان حتى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: صلاح الدين أمين طه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ٣٥.

(٦)– الجهشياري، الوزراء، ص٦.

(٢٠-٥٠) لكن الملك قباذ أسقطها عن أهل البيوتات من أبناء الأسر النبيلة، ورجال الدين، وكبار ملاك الأراضي والفرسان والكتَّاب والهرابذة ومن هم في خدمة الملك[١].

وقد أحصيت إيرادات الدولة المالية خلال سني حكم كسرى أبرويز، فبلغ مقدارها أربعمائة وعشرين مليون مثقال، تقدر قيمتها النقدية بستمائة مليون درهم، وحفظت هذه الأموال في خزائن ملوك الفرس، وأشرف على إدارتها موظف مالي يسمى الوستريوشانسالار، فلم يكن يوجد أي مرونة في النظام الضريبي الساساني؛ مما كان يدفع محصلي الضريبة إلى استخدام مختلف الوسائل والأساليب في توصيلها، وغالباً ما يعمدون إلى الزيادة في الأخذ كيلا يحدث نقص في الأموال، وليتجنبوا العقاب الشديد والصارم من قبل المسؤولين في الدولة[٢].

والسبب في اعتماد الدولة الساسانية على نظام الدهقنة في جهازها الإداري لكونه يسر لها فرض سيطرتها على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، وتمكنت الدولة من خلال اعتمادها على الدهاقين أن تضمن استمرار إنتاج تلك الأراضي وذلك بالمواظبة على زراعتها من قبل الفلاحين العاملين فيها الذين وصفوا بأنهم عمَّار للبلاد[٣]. وبفضل نظام الدهقنة ضمنت الدولة الحصول على الأموال لتغطية نفقات المعيشة في البلاط الملكي، ونفقات الحروب الباهظة[٤]، فإن واجبات الدهاقين المالية كانت تتمثل بالإشراف على الأرض، وتطبيق نظام الدولة الإدارية والمالية[٥]، من خلال قيامهم بجباية الضرائب المقررة من الفلاحين العاملين في الأرض ورفعها إلى خزائن الأموال، فكانوا بمثابة الوساطة بين الفلاحين والملك[٦]. ولذلك ألموا بضرائب كل قرية من القرى الواقعة تحت إشرافهم، واحتفظوا بسجلات ضرائبها، وكانت لهم معرفة بتقدير الضرائب التي ينبغي أن يدفعها الفلاحون، وتظهر هذه المقدرة بشكل خاص في حالة جباية الضريبة بالنوع، وذلك بحساب سعر المنتوج لكي يتطابق مع الضريبة المطلوبة[٧].

---

(١)- الدينوري، الأخبار، ص٧١. الطبري، تاريخ، ج٢، ص١٥١. بيرنيا، تاريخ، ص٢٩٨. آربري، تراث، ٩٥.

(٢)- قدامة، الخراج، ص١٨٤. الطبري، تاريخ، ج٢، ص٨٠. ابن خرداذبه، المسالك، ص١٥. الريس، محمد ضياء الدين: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، دار التراث، ط٥، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٧٩.

(٣)- المسعودي، مروج، ج١، ص٢٤٨.

(٤)- كريستنسن، إيران، ص١٠٠.

(٥)- شكري، فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، "دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية"، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٠١.

(٦)- شعبان، صدر الإسلام، ص١٩١.

(٧)- العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص٢٨٧.

ب- الأوضاع الصناعية:

ازدهرت الصناعة في خُرَاسان في الحقبة الساسانية إلى جانب الزراعة والتجارة بفضل الاستقرار الذي ساد في البلاد؛ نظراً لتوفر جميع المقومات التي تكفل لها ذلك، فقد أمدتها الزراعة بالمواد الأولية الكثيرة، فمن بقايا أشجار النخيل وعيدان الحبوب وأشجار الغابات كانت تصنع المواد التي تستخدم في البناء، ومن صوف الحيوانات كانت تصنع الملابس الصوفية إلى جانب أفضل أنواع السجاد في العالم، ومن جلودها كانت تدبغ الجلود وتصنع النعال، ومن زيتونها كان يعصر الزيت، ومن أعنابها كان ينتج النبيذ، ومن كتانها كانت تنسج الملابس وغير ذلك من المنتجات؛ فضلاً عن صناعات أخرى وهي صناعة الزجاج والفخار، والخزف الملون، وصناعة التعدين. كما وجد في المنطقة العديد من الثروات التي تسمح بقيام صناعة عليها، يضاف إلى ذلك وجود اليد الخبيرة، فقد شكلت الثروات الباطنية أحد أهم الموارد الاقتصادية المهمة لأهل خُرَاسان، وقد توزعت الثروات في مختلف المناطق، ومن أهم الثروات والمعادن التي تذكر المصادر وجودها هي: الذهب، الفضة، الفيروز، الزئبق، الحديد، النحاس وغيرها. وزاد من ازدهار الصناعة دخولها في مجال الفنون، حيث طبقت النقوش الفنية على المنسوجات الساسانية[١]، وكما استخدم الأسرى في الأعمال الزراعية كذلك استخدموا في الصناعة، فيذكر المسعودي أن استخدام مهرة الأسرى في تطوير أنواع من الصناعات التي كانوا يتقنونها في بلادهم ولا مثيل لها في تلك الحقبة، فأنشأوا لهم مستعمرات في أنحاء البلاد المختلفة كان الهدف منها إدخال أنواع جديدة من الصناعات ساعد هذا في ازدهار الصناعة وأسهم في تطوير بعض الصناعة وتقدمها كصناعة الخزف والزجاج وصناعة الديباج وغيره من أنواع الحرير، وصحيح أن عدداً كبيراً من هذه المراكز الصناعية قد اندثرت بعد مدة وجيزة من إنشائها إلا أن صناعة المنسوجات المزركشة بالذهب استمرت في المدن والعواصم الكبيرة ولاسيما مدينة مرو[٢]. كما اشتهرت خُرَاسان بصناعتها النسيجية منذ العصر الساساني، وقامت صناعة السجاد في خُرَاسان منذ القديم، وارتبطت بحاجة السكان إليها، كما عرفت خُرَاسان صناعة الحلي منذ العصر الساساني، ولا بد أن وفرة موادها الأولية أسهمت في ازدهارها سواء بغرض الاستخدام المحلي أو التجارة[٣].

---

(١)- عكاشة، ثروت: الفن الفارسي القديم، دار المستقبل العربي، ط١، القاهرة، ص١٩٨٩، ج٨، ص٣٢١.

(٢)- كريستنسن، تاريخ،ص ١١٥. كيرشمن، إيران، ص٤٠٩. هايد، ف، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، تر: أحمد محمد رضا، مر: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص٣٤-٣٥. العابد، معالم، ص١٢٤-١٢٥.

(٣)- كريستنسن، تاريخ، ص١١٤-١١٥.

ت- الأوضاع التجارية والنقد:

نظراً لارتباط التجارة المحلِّية بالصناعة والزراعة وأمن الطرق التجارية وقوة النقد، فقد توافر للتجارة الإيرانية في الحقبة الساسانية من مقومات القوة ما جعلها تجارة عالمية في ذلك، فقد أمسكت خُرَاسان بتقاليد التجارة الدولية بين الشرق والغرب منذ القديم وبلغت أقصى اتساع لها، وساعدها على ذلك موقعها المتوسط بين الهند والصين وبلاد الترك وبلاد فارس، والخبرة التجارية التي اكتسبها أهلها مع الزمن، فسيطرت على الطرق التجارية العالمية البرية والبحرية[١]. وكانت التجارة البرية تسلك عدداً من طرق القوافل القديمة، إذ لا تخبرنا مصادرنا باهتمام أي ملك ساساني في إنشاء طريق ملكي جديد يختلف عن الطرق التي اعتمدها التجار في العصور السالفة، فكانت طرق القوافل الشرقية تنطلق من المدائن العاصمة على دجلة باتجاه الشمال الشرقي حتى مدينة همدان عن طريق حلوان وكنجارو، وعن هذا الطريق يتفرع عدة طرق [٢]. فاستطاع الساسانيون أن يحققوا مكاسب اقتصادية من الطرق الدولية وتجارة العبور وما درته من أرباح وفيرة[٣].

وأولت الدولة الساسانية اهتماماً كبيراً للتجارة البحرية فوسعت المرافئ البحرية القديمة وأنشأت مرافئ جديدة، واستفاد الفرس في هذا الميدان من العرب فكونوا بحرية جديرة بالإعجاب[٤].

وقد دفع تطور التجارة الملوك إلى التوسع في شق الطرق، كما توسعوا في بناء الخانات والمستودعات وخزانات المياه، كما فرضوا رقابة شديدة على المحطات التجارية الحدودية والموانئ البحرية[٥]. وكانت الصين تصدر إلى إيران الحرير والورق، وتصدر الهند الحرير والأدوية والأحجار الكريمة، وتعد المنسوجات من أهم الصادرات الساسانية خاصة السجاد والمنسوجات المزركشة بالذهب إضافة إلى المصنوعات والجلود ومواد الزينة وخاصة الكحل الإيراني والياقوت الإيراني[٦].

وأما نظام البريد، فقد استخدم الساسانيون طرق من سبقهم من الأخمينيين، والأشكانيين؛ ولذا فإن نظام البريد بقي نفسه أيام الساسانيين، فقد كان مُسخراً لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعية، وكانت الولايات متصلة بواسطة الطرق، وكان الرسل والمسافرون يستعملون طريق البريد فيركبون خيولاً قوية يستبدلونها

(١)- عيزوقي، أوضاع خُرَاسان، ص١٧٣.

(٢)- العابد، معالم، ص١٢٥-١٢٦. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٦.

(٣)- محمود، الإسلام في آسيا، ص١٤.

(٤)- كريستنسن، إيران، ص١١٦.

(٥)- كيرشمن، إيران، ص٤٠٩. العلان، السياسة، ص٨٠.

(٦)- المقدسي، أحسن، ص٣٢٤. كريستنسن، إيران، ص١١٥. بيرنيا، تاريخ، ص٣٠٧-٣٠٨. العابد، معالم، ص١٢٧.

بخيول جديدة في محطات كثيرة على طول الطرق(١)، وكانت هذه المحطات مزودة حسب أهميتها بالموظفين والخيول، كما كان هناك سعاة البريد، منهم من يركب الخيل ومنهم العداءون وخصوصاً بين المسافات القريبة(٢).

وقد سكَّ الساسانيون نقودهم من الذهب والفضة والنحاس، ومن خليط النحاس والبرونز، وتتبارى النقود الذهبية الساسانية في عصر سابور الأول والثاني في الوزن مع النقود الرومية الذهبية، وكانت النقود الفضَّية تسمى (زوز) أو كرشه، وتزن ما يقرب من مثقال واحد، وكانت النقود الساسانية تسمى (معا)، ومما يلفت النظر في النقود الساسانية جمال منظرها وشكلها، ومن المعتقد أن فنيين يونانيين كانوا يعملون في دور سك النقود بإيران، واستفاد الملوك الساسانيون من النقود للتأريخ لسنوات حكمهم، فمثلاً كُتب على أحد وجهي قطعة نقود من نقود عهد كسرى أنوشروان "جهار وجهل" أي سنة أربع وأربعين(٣). وكان الرصيد النقدي للخزانة يصهر في بداية حكم كل ملك وتضرب نقود باسم الملك الجديد(٤).

وقد أدى العمل التجاري إلى معرفة الساسانيين للسند، واستخدموه في المبادلات التجارية، وأصبح كأنه سند ملكية وعُرف رسمياً في دور النقد الملكية، وكتبت السَّندات بكثرة لتغطية المبادلات التجارية النقدية، ولكن كان يحدُّ من نشاطها انشغال الناس في جني المحصول، وفي أوقات دفع الضرائب، وساعد ذلك من جهة أخرى على الحد من تدخُّل الدولة في عمل دور النقد(٥).

وفي النهاية بعد الحديث عن الأوضاع العامة في الإمبراطورية الساسانية يلاحظ أن الإمبراطورية الفارسية الساسانية عبرت معترك أحداث سياسية متنوعة من تولي الملوك بطرق مختلفة ووصولهم لسدة الحكم من انقلابات ومنازعات الاسترداد، الأمر الذي كان له تبعات متنوعة في إدارة الإمبراطورية.

فقد كانت بلد فارس أمة مستقلة متجانسة في جنسيتها ولغتها ودينها، ومن ثم كانت مقاومة الفرس للعرب مقاومة أمة لأمة أخرى، ومع ذلك استولى عليهم التواني على أثر انتصار هرقل عليهم، وهناك أسباب أخرى أدت إلى القضاء على الإمبراطورية الفارسية فقد انقضى على تأسيس إمبراطورية آل ساسان على يد أردشير ابن بابك أربعة قرون، وهو عصر طويل تزعزعت فيه أسس الإمبراطورية الفارسية واختل نظامها، واقتبس

(١)- ولبر، دونالد: إيران ماضيها وحاضرها، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب، ط٢، القاهرة-بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣١.

(٢)- كريستنسن، إيران، ص١١٨.

(٣)- بيرنيا، تاريخ إيران، ص٣٠٦. فرعون، محمود؛ العلان، أرواد: دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٢٧١-٢٧٢.

(٤)- بيرنيا، تاريخ إيران، ص٣٠٧.

(٥)- كيرشمن، إيران، ص٤٠٨-٤١٠. العلان، السياسة، ص٨٠.

عنها مذهب ماني، كما انتقلت إليهم بعض آثار الفلسفة والعلوم اليونانية على يد النسطوريين أو الأفلاطونيين الذين طردهم جستنيان إلى أثينا.

وكان للدولة الفارسية علاقات وثيقة مع الإمبراطورية الصينية التي كانت متاخمة لها، ومع الهند حيث انتشرت الديانة البوذية، وساعد اتصالها بالحضارات على تقدمها في العلوم والمعارف.

وكان من أثر استبداد الساسانيين بالحكم في أواخر عهدهم أن كرههم الأهلون وأصبحوا ينظرون إليهم نظرة السخط والاستيلاء، وبذلك أعرضوا عنهم، واتسعت مسافة الخلاف بينهم حين شجع هؤلاء الملوك ديانة زرادشت وكانت من قبل بغيضة لدى الأهالي، وأفسحوا المجال لكهنتها حتى أصبح لهم شيء من السلطة في الدولة ومنحوهم نفوذاً عظيماً في مجالس الملك، ودعوا أن لهم نصيباً كبيراً في سياسة الدولة، وأخذوا يضطهدون الأحزاب الدينية المخالفة من يهود ومسيحين وصابئة وبوذيين ومانويين، وساعدت هذه الأسباب على ضعف الدولة الفارسية وانحلالها.

هكذا كان حالة الفرس من الفساد والتفكيك السياسي والضعف المعنوي حين اعتلى عرشها يزدجر الثالث آخر ملوك آل ساسان الذي اضطربت في عهده أمور الفرس، وكان قد جلس على سرير الملك وعمره إحدى وعشرون سنة، فقوي حينئذٍ طمع العرب في غزو هذه البلاد وساعد على ذلك ما كان الرسول الكريم يعدهم به من امتلاك كنوز الأكاسرة.

الفصل الثاني

فتوح خُرَاسان في العصرين الراشدي والأموي

أولاً: الفتوحات في خُرَاسان في العصر الراشدي (١٣-٤٠هـ/٦٣٤-٦٦م)

١- الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)

٢- الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ٢٤هـ/٦٤٤م

٣- الفتوحات في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)

ثانياً: الفتوحات في خُرَاسان في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)

١- الفتوحات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٧٩م)

٢- الفتوحات في عهد الخليفة يزيد بن معاوية والخليفة معاوية بن يزيد(٦٠-٦٤هـ/٦٧٩-٦٨٣م)

٣- الفتوحات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م)

٤- الفتوحات في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)

٥- الفتوحات في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م)

٦- الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)

٧- الفتوحات في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م):

٨- الفتوحات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م)

٩- النتائج التي ترتبت على فتح خُرَاسان

أولاً: الفتوحات في خُرَاسان في العصر الراشدي (١٣-٤٠هـ/٦٣٤-٦٦م)

إن حركة الفتوح الإسلامية كانت ظاهرة تاريخية كغيرها من الحركات التي شهدتها الشعوب قديماً وحديثاً بعد توحدها أو نهضتها وإصلاح أمرها، وقد اختلف المؤرخون والباحثون ولاسيما المستشرقون منهم في تعليل حركة الفتوحات العربية الإسلامية وتفسير دوافعها، وذهبوا في هذا التفسير مذاهب شتى، فبعضهم يرجع ظاهرة الفتوحات إلى أسباب اقتصادية تمثلت في رغبة العرب التمتع بخيرات البلدان المجاورة، والبعض الآخر يرى أنها كانت حلاً لمشكلات العرب الداخلية الاقتصادية والسياسية(١)، أما الدافع الحقيقي لحركة الفتوح هو الرغبة في نشر الإسلام تنفيذاً لأوامر الله الذي دعا المسلمين لنشر دينه بين الناس كافة، وكذلك تحرير الأرض والإنسان من العقلية المتخلفة والعادات البدائية والتسلط الأجنبي، وكان الدافع الديني هو الأول في كل المعارك التي خاضها العرب المسلمون. فقد أتاح الإسلام بمبادئه الكريمة الحرية والتسامح في البلاد، ولذلك حرص العرب الفاتحون على ترك أهل البلاد المفتوحة على دينهم، ولم يرغموا أحداً على اعتناق الإسلام ما داموا يدفعون الجزية، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾(٢). ثم دعا الإسلام إلى حرية العقيدة، فلم يكره أحداً من أهل الكتاب على اعتناقه، واتبع المسلمون السياسة التي رسمها الإسلام ونص عليها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين، قد تبيَّن الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ (٣). ولهذا السبب كان المسلمون يعرضون على كل بلد يريدون فتحه ثلاثة أمور قبل الدخول معهم في أي معركة: إما الإسلام أو الجزية أو القتال وهو آخر الخيارات، فإن قبلوا الإسلام كانوا أخوة للمسلمين ومن ثم فلا كسب مالي يرجى من هذه الحالة، وأما إذا رفضوا الإسلام فرضت عليهم الجزية لكي تكون حافزاً لهم على أن يتخلوا عن عقائدهم القديمة ويدخلوا في دين العرب الجديد؛ لأن الجزية في الحقيقة لم تكن مجرد مال يدفع؛ بل كانت إشعاراً لغير المسلم بأنه أقل من الناحية المعنوية والروحية من المسلم، ومن صالحه أن يرتفع لنفسه من ذل الجزية

---

(١)- أرنولد سير توماس. هـ: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، تر: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل البحراوي، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٦٤، ٢٣٥. سالم، السيد عبد العزيز: دراسات في العرب "تاريخ الدولة العربية"، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٣م، ص١٨٣. لويس، برنارد، العرب في التاريخ، تر: نبيه فارس، محمود زايد، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٥٤م، ص٧٥.

(٢)- سورة التوبة، ٢٩ الآية ٢٩.

(٣)- سورة البقرة، ٢ الآية ٢٥٦.

إلى حرية الإسلام[١]. هذا ولم يعتمد العرب على القوة في تحويل الفرس إلى الإسلام، وليس أدل على ذلك من المعاملة الحسنة التي عومل من بقي متمسكاً بديانته القديمة، فقد كان هناك ببلاد الفرس بعض جماعات يعبدون النار تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية بعد الفتح العربي، كما كانت الدولة العربية الإسلامية تحول دون التعرض لمعابدهم[٢].

يعد فتح خُرَاسان وما وراء النهر المحور الأساسي للعمليات العسكرية كافة لإقليم المشرق، لما يتمتع به هذا الإقليم من أهمية لاسيما بالنسبة للعرب الفاتحين، وذلك لأن يزدجرد رمز الإمبراطورية المهزوم في معركة نهاوند الشهيرة ٢١هـ/٦٤١م قد ولى هارباً إلى إقليم خُرَاسان بعد الانتصارات التي حققها العرب المسلمون في إقليم فارس وكرمان وسجستان، واتخذ من مرو مقراً له يثير منه بقايا الفرس ضد العرب، لذا فإن وصول العرب المسلمين لهذا الإقليم وفتحه يعني القضاء على رمز المقاومة الفارسية وإتمام فتح الإمبراطورية الساسانية بأكملها، كما أن فتح هذا الإقليم يعد أكبر إنجاز تحققه القوات العربية الإسلامية المنطلقة من جهتي الكوفة والبصرة، وذلك لبعده الشاسع ولسعة أراضيه ولأهمية موقعه في أقصى الشرق من بلاد إيران التي سوف تبرز فيما بعد لأنه سوف يمثل الممر الرئيسي للحملات العسكرية إلى فتح بلاد الشرق الأقصى، يتضح من خلال ذلك أن خُرَاسان بلد واسع وغني بإمكاناته البشرية والاقتصادية إضافة إلى أن فتحه يمثل فتح الطريق نحو تحرير بلاد إيران جميعاً، وبذلك يتم القضاء على الدولة الساسانية التي كانت تمثل خطراً مباشراً يهدد الدولة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى وجود أسباب الفتوح الأخرى بإقليم خُرَاسان وهي: القضاء على بقايا القوة الساسانية، وتأمين سلامة الطرق والأرض العربية. والانطلاق نحو المشرق الذي كان قوة اقتصادية ومادية[٣].

هذا وتعد معركة نهاوند من المعارك الفاصلة التي خاضها العرب المسلمون ضد الفرس، ونظراً لحرمان الساسانيين من عاصمتهم ومواردهم المالية فقد كان من الصعب عليهم إعادة تنظيم قواتهم، أو تجهيز جيش كبير يواجهون به المسلمين، ومن هنا كانت تسمية المسلمون لهذه الواقعة بفتح الفتوح، غير أن بقاء الملك الساساني يزدجرد الثالث على قيد الحياة ظل يشكل نوعاً من التهديد الدائم للمسلمين، ولذلك فقد أذن

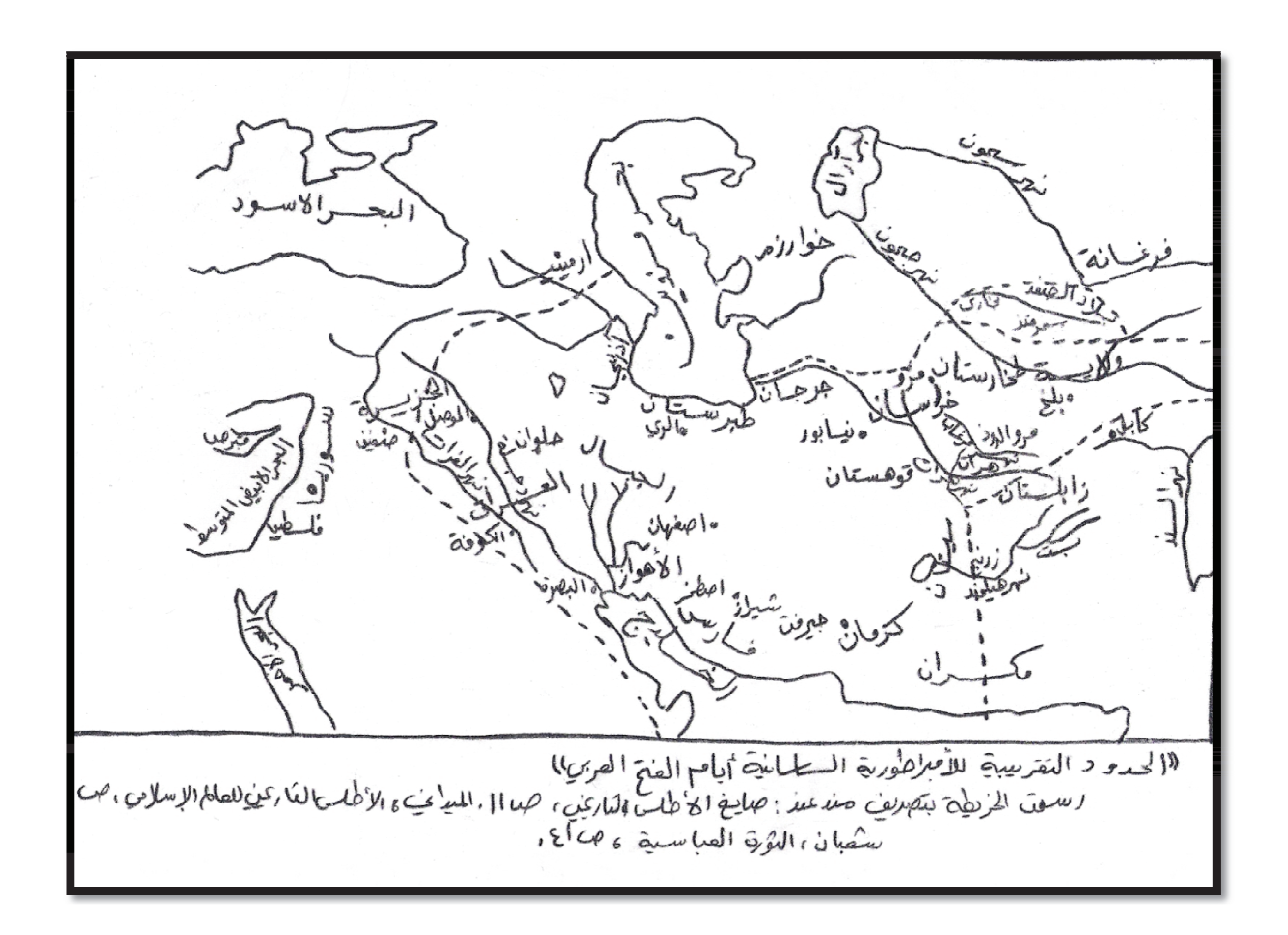
---

(١)- العمري، عبد العزيز بن إبراهيم العمري: الفتوح الإسلامية عبر العصور، دار إشبيليا، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/١٩٩١م، ص١٧-١٨. سالم، تاريخ الدولة، ص١٨٧-١٨٩. العبيدي، عبد الجبار: الفتوح العربية الإسلامية ودوافعها، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع ١٤، ١٩٨٠م، ص٢٩١-٢٩٢.

(٢)- سرور، محمد جمال الدين: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٩٥م، ص٥١. أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٨-٢٣٩.
Dosabhai Framji: History of Parsia, Macmillan and Co, London, 1884. vol. 1, pp.56-62.

(٣)- إبراهيم، نجم عيدان: فتوح بلاد خُرَاسان، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج١١، ع ١، ٢٠٠٦م، ص١٤٢.

الخليفة عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في بلاد فارس وفتحها، فدفع قوات المسلمين إلى أنحاء تلك المملكة لفتح أرض فارس كلها(١).



(١)– البلاذري، فتوح، ص٤٢٠ ويجعل وقعة نهاوند عام ١٩هـ/٦٤٠م. الطبري، تاريخ، ج٤، ص١١٤. بيضون، إبراهيم: من دولة عمر إلى دولة عبد الملك دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٥٣. الخضري بك، محمد: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، مطبعة الاستقامة، ط٤، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م، ج١، ص٢٢٣.

Hodgson, Marshall G.S: The Venture if Islam, Conscience and, History in a warld Civilization. The University of Chicago, London, 1974, Vol. 1. P.204.

للتوسع في وقعة نهاوند انظر: أبو خليل، شوقي: نهاوند فتح الفتوح، دار الرشيد، ط٢، دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٩. جلوب، جون باجوت: الفتوحات العربية الكربى، تح: خيري حماد، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٣٨٣. زناتي، أنور محمود: موسوعة تاريخ العالم /تاريخ العرب والمسلمين/ منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر، د.م، د.ت، ج١، ص٩١–٩٧.

١- الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)

ذكر البلاذري أن فتح خُرَاسان قد بدأ في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ﷺ والتي بلغت في عهده حدود خُرَاسان وكرمان وذلك في سنة ٢٢هـ/٦٤٢م، بعد أن بدأ العرب توغلهم في بلاد فارس على أثر موافقته لأهل البصرة والكوفة على النفاذ إلى فارس لمتابعة الملك الساساني لمنعه من إثارة وتأليب سكان فارس ضد العرب المسلمين(١). فقد أرسل الخليفة عمر ﷺ العلاء بن الخضرمي إلى الأهواز لفتحها، ولكن القوات الفارسية تمكنت من محاصرة جيش المسلمين فأصبح موقف المسلمين في حرج، فأرسل عمر عتبة بن غزوان يأمره بإرسال جيش كبير إلى الأهواز لفك الحصار عن جيش العلاء ابن الحضرمي، فأرسل عتبة بن غزوان جيشاً كبيراً في اثني عشر ألف مقاتل، فيهم عاصم بن عمرو التميمي، وعرفجة بن هرثمة البارقي، والأحنف بن قيس تحت قيادة أبي سبرة بن أبي رهم فأنقذ هذا الجيش قوات العلاء بن الحضرمي وعاد بعد ذلك إلى البصرة(٢). ولما تولى أبو موسى الأشعري إمارة البصرة أوفد الأحنف بن قيس مع بعض رجالات البصرة إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فاحتبسه الخليفة عنده حولاً كاملاً ثم قال له: "هل تدري لم حبستك؟ إن رسول الله ﷺ خوفنا من كل منافق عليم ولستَ منهم إن شاء الله"، وقال الأحنف: "قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولاً فقال: يا أحنف قد بلوتك وخبرتُك فلم أرَ إلا خيراً، ورأيت علانيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك فإنا كنا نتحدث، إنما أهلك هذه الأمة كل منافق عليم"، وعلى أثر ذلك كتب إلى أبي موسى الأشعري: "أما بعد فأدنُ من الأحنف بن قيس وشاوره واسمع منه"(٣). وأسهم الأحنف بن قيس مع أبي موسى الأشعري في فتح تستر في إقليم الأهواز(٤).

أضف إلى ذلك فإن الخليفة عمر ﷺ عرف الأحنف بن قيس التميمي ت٧٢هـ/٦٩١م معرفة جيدة عندما كلفه بالقيام بفتح نهاوند، فرأى فيه عقلاً وديناً ومجاهداً في ميادين القتال لذلك دفع إليه لواء خُرَاسان وأذن في الانسياح في بلاد فارس سنة ١٧هـ/٦٣٨م، ولذا عندما عاد أبو موسى من نهاوند وفتح قُم، وجَّه

---

(١)- الجاحظ، العثمانية، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٩٤. البلاذري، فتوح، ص٥٦٧.

(٢)- قدامة، الخراج، ص٣٨٣.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٨. ملحم، محمد فيصل: صفحات من تاريخ الدولة الأموية والأندلس، دار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٨٤.

(٤)- ابن خلدون (عبد الرحمن ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون "مقدمة"، ضبط المتن: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م، ج٢، ٥٥٢-٥٥٣.

الأحنف بن قيس إلى قاشان ففتحها عَنْوَة ثم لحقه أبو موسى الأشعري، وبعد أن أكمل الأحنف بن قيس متطلبات قواته وأكمل تحشدها سار لفتح خُرَاسان[١].

فكاتب الهرمزان وأثار أهل فارس وأهل الجبال، فنكثوا العهد، فلما قضى المسلمون على مقاومة الفرس في تلك المناطق، جاء دور خُرَاسان[٢]، فتوجه الأحنف إلى خُرَاسان باتجاه مدينة الطَبْسَين فافتتح مدينة هَرَاة عنوةً سنة ٢٢هـ/٦٤٢م وعين عليها صُحَارَ بن فلانٍ العَبْدِيَّ ليكون قاعدة متقدمة لهم، ويعدُّ سقوط هَرَاة خطوة أولى على طريق سقوط خُرَاسان كلها[٣]، وقد واجه الأحنف بن قيس بعد فتح مدينة هراة مجموعة نفر من هياطلة هراة وباذغيس وبوشنج وفرقوا جيوشهم أربع فرق ومعهم الطبل ففزع الناس وكان الأحنف أول من ركب، فأخذ سيفه ثم مضى نحو جيشهم، ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، فلما فقد أصحاب الطبل الصوت انهزموا وقد استمر الأحنف في ملاحقة الهياطلة من أهل هراة فقاتلهم وهزمهم[٤]، وأرسل إلى نَيْسَابور القائد مُطَرِّفَ بن عبد الله الشِّخِّير، فلم يلقَ قتالاً حتى بلغها[٥]، كما أرسل أيضاً إلى سَرْخَس الحارثَ بن حَسَّان السدوسي[٦]، فدخلوها دون قتال. بعد ذلك توجه الأَحْنَفُ نحو مدينة مَرْو الشَّاهِجَان التي كان قد التجأ إليها الملك يَزْدَجِرْد الثالث هارباً من المسلمين وكان يزدجرد قد اتخذ بيتاً أقامه في بستان على فرسخين منها، كما بنى بيتاً للعبادة المجوسية، وأقام مطمئناً من أن يصل المسلمون إليه على هذا البُعد الشاسع من مملكته، ولما أشرف الأحنف على مقربة من المدينة هرب منها يزدجرد بن شهريار بن كسرى نحو مدينة مَرْوَ الرُّوذِ ونزل الأحنف بمرو الشاهجان وحار يزدجرد في أمره، فلقد جرَّده

---

(١)- ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٩٣. قدامة، الخراج، ص٣٧٠-٣٧٤. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢. قادة فتح السند وأفغانستان " أفغانستان قبل الفتح وأيامه"، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢)- اختلف المؤرخون في فتح خُرَاسان على أقوال عدة: فذهب بعضهم إلى أن فتحها كان في سنة ١٨هـ/٦٣٩م في عهد عمر بن الخطاب ﷺ. ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣٢٠. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٤. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٥٦٣. وقال بعضهم سنة ٢٢هـ/٦٤٠م. الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): فتوح الإسلام في بلاد العجم وخُرَاسان، مطبعة المحروسة، مصر، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، ص١٣٢-١٣٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٦-١٧٠. وقال بعضهم سنة ٢٣هـ/٦٤١م: دحلان، أحمد بن السيد بن زيني: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، المطبعة الميرية، ط٢، مكة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م، ص٨٩.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٧. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٤. أبو الفدا، المختصر، ج١، ق١، ص٢٠٥. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٥. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٥٦٣.

(٤)- ابن قتيبه، عيون الاخبار، ج٢، ص١٧٤. ابن الاثير، الكامل، ج٢، ص٤١١.

(٥)- الواقدي، فتوح الإسلام، ص١٣٤. الأصبهاني، حلية الأولياء، ج٢، ص١٩٨.

(٦)- النويري، نهاية الأرب، ج١٩، ص١٧٣. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٥.

المسلمون من كل أرضه وألجؤوه إلى آخر شبر منها، ولم يبقَ أمامه سوى الالتجاء إلى جيرانه وطلب مساعدتهم(١).

في هذه الأثناء ظل يزدجرد خائفاً قلقاً من خشية تقدم القوات العربية الإسلامية نحو مَرْو الرُّوذ التي كان موجوداً فيها فتحسب لهذا الأمر، وأخذ يراسل ملوك المقاطعات المجاورة، فكتب إلى خاقان التُّرك، وإلى ملك الصُّغْد، وإلى ملك الصين طالباً منهم النجدة والحماية ويستعين بهم لمواجهة القوات العربية الإسلامية التي أصبحت تهدد كيانه ووجوده. وبالفعل لن ينفع يزدجرد كل صيحات الإغاثة وطلب يد العون والمساعدة من حلفائه ملوك المقاطعات المجاورة، فعندما وصلت إمدادات أهل الكوفة إلى الأحنف ابن قيس وعليها أربعة قواد هم: علقمة بن النَّضر النضْرِيّ، وربعيّ بن عامر التميمي، وعبد الله بن أبي عقيل الثقفي، وابن أم غزال الهمداني. خرج الأحنف من مرو الشاهجان بعد أن استخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلي(٢) وسار نحو مرو الروذ التي اتخذها يزدجرد مقراً له، فلما سمع يزدجرد بتوجه المسلمين نحوه خرج مسرعاً باتجاه مدينة بلخ ونزل الأحنف مرو الروذ وقدم مقاتلو أهل الكوفة إلى يزدجرد فساروا إلى بلخ، فاتبعهم الأحنف والتقى أهل الكوفة وقوات يزدجرد ببلخ وجرت معركة بينهما، فانهزم يزدجرد وجنده وولوا هاربين وعبروا نهر بلخ "نهر جيحون" ووصل الأحنف إلى قواته وقد غلبت يزدجرد على أمره، ومن خلال هذا النصر المبين تمكن مقاتلو أهل الكوفة من فتح بلخ سنة ٢٢هـ/٦٤٢م، ورغم سقوط هَرَاة وبلخ ونيسابور وسرخس، إلا أن بعض شعب خُرَاسان كان قد تحصَّن أو شذَّ عن الخضوع والتسليم فيما بين نيسابور إلى طخارستان، فلما خرج يزدجرد إلى بلخ تتابع جميع شعب خُرَاسان على الصلح والدخول في ذمة المسلمين، وعاد الأحنف إلى مرو الروذ فنزلها واستخلف على طخارستان رِبْعِيّ بن عامر التميمي، وكتب الأحنف إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يعلمه بخبر فتح مرو الشاهجان ومرو الروذ وبلخ، فقال عمر عن الأحنف في إعجاب شديد: "هو سيد أهل المشرق المسَّمى بغير اسمه" ولكن عمر قال: لوددت أني لم أكن بعثت إليها جنداً، ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار" فقال: ولم لا يا أمير المؤمنين، قال: لأن أهلها سينفَضُّون منها ثلاث مرَّات، فيُجتاحون في الثالثة، فكان ذلك بأهلها أحبَّ إليَّ من أن يكون بالمسلمين"(٣).

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٧. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٤. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٥.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٧. ورد اسمه الحرثة بن النعمان الباهلي عند: ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٦. كما ورد اسمه خالد بن النعمان الباهلي عند: النويري، نهاية الأرب، ج١٩، ص١٧٤.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٧-١٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٤-٤٣٥ أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٢٠٥. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٥٦٣. دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص٨٩. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢١-٢٢٣. إبراهيم، فتوح، ص١٤٣.

فقد خشي عمر بن الخطاب ﷺ أن يتقدم الأحنف وجنوده إلى ما وراء خُرَاسان من أرض المشرق كما خشي أن تأخذ المسلمين نشوة الظفر والنصر فيتغلغلوا شرقاً، فكتب إلى الأحنف بن قيس: "أما بعد، فلا تجوزَنَّ النهر (نهر جيحون)، واقتصِرْ على ما دونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خُرَاسان، فداوِموا على الذي دخلتم به خُرَاسان يَدُمْ لكم النصر، وإياكم أن تعبروا فتنفضُّوا"[١].

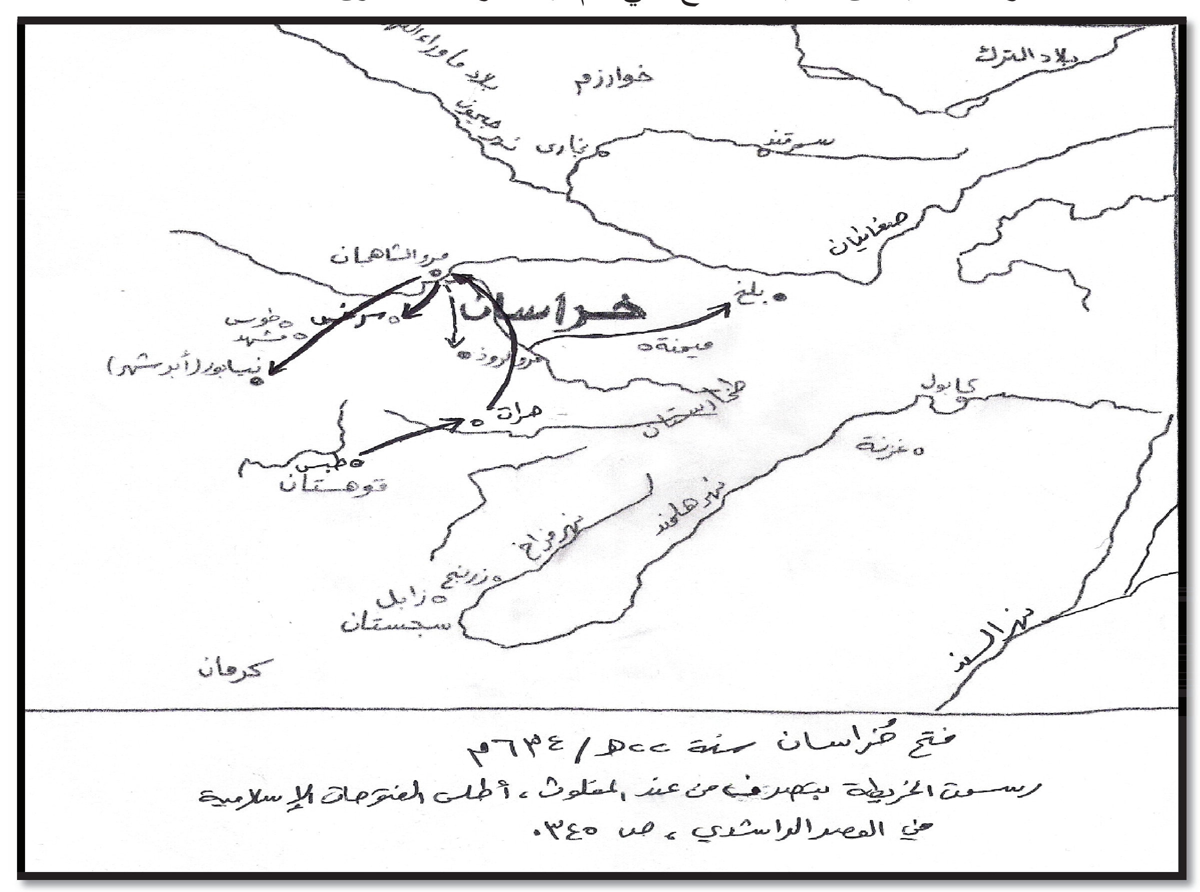
ويظهر من هذه الرسالة وتحذير الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى الأحنف بن قيس له ما يسوِّغه، فقد كانت الخلافة حريصة على جيوشها من الانتشار والضياع في مناطق بعيدة عن العرب المسلمين الذين كان معظمهم من القبائل العربية من الجزيرة وولايتي البصرة والكوفة، كما أن انتشارهم يتطلب منهم قوة لنشر الأمن والاستقرار وتحقيق الطمأنينة في تلك المناطق، فقد اتسعت البلاد المفتوحة في الشرق فشملت أرض فارس كلَّها، وقد طالت خطوط مواصلات المسلمين كثيراً وتوزعت قواتهم في أنحاء الشام والعراق وفارس، فقد دلَّت الأحداث فيما بعد، أنَّ الخليفة عمرﷺ كان يعيد النظر فيما ذهب إليه، ولذلك فإن الخليفة عمر بن الخطابﷺ لم يسمح للمسلمين أن يتوغلوا في خُرَاسان، وأمرهم بالرجوع عنها، وربما كان بُعد المنطقة عن مركز الإمداد، وقلة عدد الفاتحين قياساً بأهل البلاد وراء رغبة الخليفة عمر بالكف عن الزحف شرقاً، كما أن المرحلة كانت تتطلب توطيد الفتوح في إقليم فارس، إلا أن وصول المسلمين إلى قوهستان وضع قواتهم وجهاً لوجه أمام قوات الأتراك في طخارستان[٢]. ويبدو أن الخليفة كان يكره اجتياز المسلمين حاجزاً مائياً يمكن أن يحول بين الجيوش العربية الإسلامية وقواعد تمويلها، ويروى عنه قال: "لا يسألني الله عن ركوب المسلمين البحر أبداً[٣]"، والمهم أن العرب المسلمين قد وصلوا إلى أقصى خُرَاسان فعلاً ووقفوا عند حد النهر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، ولا يعني دخول المسلمين تلك المناطق أنهم استقروا فيها وخضعت خضوعاً تاماً حيث كانت بقايا الساسانيين يتزعمهم يزدجرد الذي اتخذ من مرو

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥. الحديثي، أرباع، ٣٣٢. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ٢٢٣. أفغانستان قبل الفتح، ٣٢. شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط٧، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج٣، ص١٨٠-١٨١.

(٢)- ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣١٩. وعنده أن أبا موسى الأشعري قاد الجيوش حتى وصل أول مفازة خُرَاسان، ثم أتاه كتاب عمر يأمره بالرجوع عنها وفيه "ارجع إلى البصرة فأقِم بها، وذر عنك خُرَاسان فلا حاجة لنا بها يا بن قيس! مالنا وبخُرَاسان، وما لخُرَاسان ولنا، ولو وددت أن بيننا وبين خُرَاسان جبالاً من حديد وبخاراً، كل سد مثل سد يأجوج ومأجوج، قال: فقال له علي كرّم الله وجهه: ولم ذلك يا أمير المؤمنين، فقال عمر ﷺ: لأنها أرض بعدت عنا جداً، ولا حاجة لنا بها". ويشير إلى عجز المسلمين عن فتح اصطخر عام ٢٣هـ/٦٤٣م وربما كان فتحهم لها غير كامل، مما جعل عمر يخشى وقوع المسلمين بين أهل اصطخر وأهل خُرَاسان، فأمرهم بالرجوع. ابن خياط، تاريخه، ١٥٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧٥-١٧٧. Gibb: The Arb, p15.

(٣)- رميض، أحمد خضير: الأحنف بن قيس ودوره في الإسلام، مجلة آداب الفراهيدي، ع ١٢، أيلول ٢٠١٢م، ص١٧٣.

مقراً له ولمن والاه من الترك، وقام بإثارة الأحقاد ضد العرب المسلمين عند سقوط مملكته بيد العرب المسلمين[١]، فقيام العرب بفتح خُرَاسان لم يكن أمراً يسيراً بعد أن شكلت جبهة ضدهم من الفرس والترك؛ ولذلك استمرت عملية الفتح منذ خلافة عمر بن الخطاب ﷺ حتى خلافة عثمان بن عفان ﷺ التي تشكل حقبة خلافته المرحلة الثانية من عمليات الفتح التي قام بها العرب المسلمون.



وعندما بعث يزدجرد رجاله إلى خاقان التُّرك وغوزك الصُّغد يستنجد بهم على القوات العربية الإسلامية، لم يجبه إلا خاقان ملك التُّرك، فأقبل إليه خاقان ملك التُّرك في جنده الذين حشدهم من أهل فرغانة والصُّغد، وخرج يزدجرد راجعاً إلى خُرَاسان وعبر نهر جيحون باتجاه بَلْخ، وعلى أثر ذلك تراجع مقاتلو الكوفة من بلخ أمام هذا الزحف باتجاه مرو الرُّوذ التي كان يوجد بها الأحنف بن قيس حيث انضموا إلى الأحنف في قوات البصرة، ومن بلخ تقدمت قوات خاقان الترك وحلفائه باتجاه الأحنف في مرو الروذ[٢].

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٨٣.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٦-١٦٧. كمال، أحمد عادل: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٣٠٠-٣٠١.

أما الأحنف فحين بلغه عبور خاقان التُّرك والصُّغد نهر بلخ متوجها نحوه غازياً، خرج بقواته ليلاً يمشي بين عسكره لعلَّه يسمَعُ برأي فينتفعُ به، فمرَّ برجلين يُنقيَّان عَلَفاً (تبناً أو شعيراً)، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أنَّ الأميرَ أسندنا إلى هذا الجبل، فكان النَّهر بيننا وبين عدوِّنا خندقاً، وكان الجبلُ في ظهورنا من أن نُؤتى من خلفنا، وكان قتالنا في وجهٍ واحدٍ، رجَوْتُ أن يَنْصُرنا الله، فأعجب الأحنف بهذا الرأي فاكتفى به ورجع وعمل بهذه الفكرة الصائبة، فلما أصبح جمع جيشه ووقف فيهم خطيباً، فقال لهم: "إنكم قليل، وإنَّ عدوَّكم كثير، فلا يهولنَّكم، فكم مِن فئةٍ قليلةٍ غلبَتْ فئةً كثيرةً بإذن الله واللهُ مع الصابرين، ارتحلوا من مكانكم هذا، فاسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوّكم، وقاتِلوهم في وجه واحد"(١). لقد كان الأحنف يهدف من وراء خطابه هذا عاملاً لشحذ الهمم وإثارة النخوة العربية الإسلامية الأصيلة حتى توالت الجموع عليه فكانت قوات الأحنف تقدَّر بعشرين ألفاً: عشرة آلاف مقاتل من أهل البصرة، وعشرة نحوهم من أهل الكوفة. وأقبل الترك ومن انضمَّ إليهم نحو المسلمين وصاروا يناوشونهم نهاراً ويتنحوَّن عنهم ليلاً، ولكن الأحنف أحس بنقطة ضعف الترك هذه وتقاليدهم المعروفة، فكان يباغتهم ليلاً ويترصد حركاتهم ويجمع المعلومات عنهم(٢).

فخرج الأحنف بنفسه طليعة لأصحابه، حتى كان قريباً من معسكر خاقان الترك، وكان من عادة الترك في حروبهم أنهم لا يخرجون في زحفهم حتى يخرج ثلاثة من فرسانهم، أحدهم يضرب بطبلة ثم يتحركون بعد خروج الثالث، ولكن الأحنف حمل على الفرسان الثلاثة وقتلهم، وعندما سمع خاقان الترك بالحدث تشاءم وتطاير من ذلك حيث قال: "لقد طال مقامنا، وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يُصَبْ بمثله قطُّ، مالنا في قتالِ هؤلاءِ القومِ من خيرٍ، فانصرفوا بنا" فأمر جنده بالانصراف والانسحاب إلى بلخ. ثم انصرف الأحنف إلى عسكره وأعدّ رجاله للقتال، ولكن الترك فضلوا العودة إلى بلادهم، لأن مقامهم طال دون جدوى، ولأنهم تكبَّدوا خسائر فادحة بالأرواح، ولأن أملهم بالنصر كان ضعيفاً، واطمأنوا إلى أن المسلمين لن يعبروا إليهم النهر تنفيذاً لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ(٣).

(١)- اقتبس الأحنف بن قيس هذا القول من الآية الكريمة: ﴿قال لهم نبيهم فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بالجنود قَالَ إِنَّ الله مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ منى إِلاَّ مَنِ اغترف غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ والذين آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا اليوم بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الذين يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُواْ الله كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله والله مَعَ الصابرين﴾ سورة البقرة ٢٤٩.

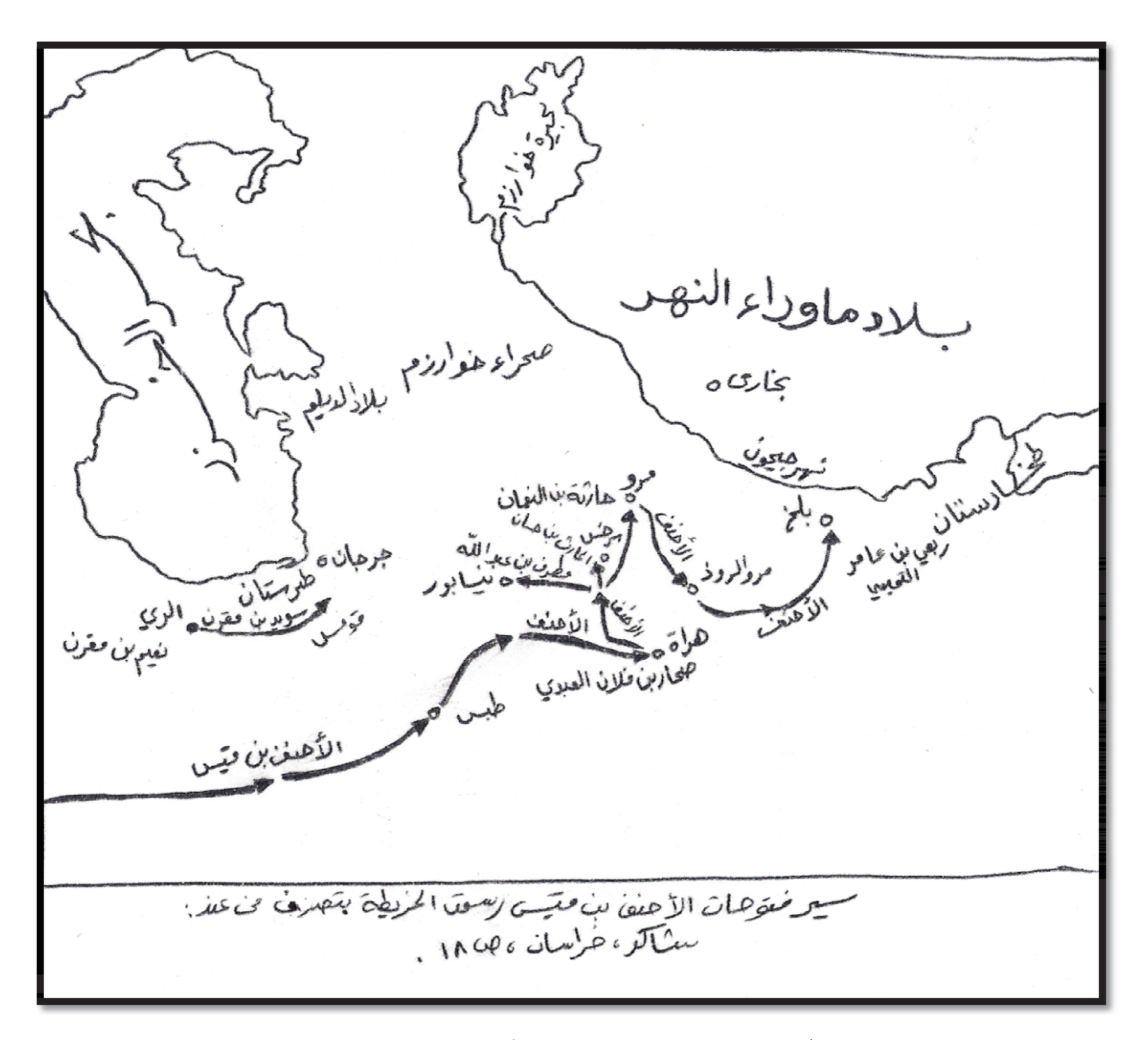
(٢)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥. النويري، نهاية، ج١٩، ص١٧٤. الحديثي، أرباع، ص٣٢٧-٣٢٨. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢٣-٢٢٤. أفغانستان، ص٣٣. إبراهيم، فتوح، ص١٤٤.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٩- ١٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥. أبو الفدا، المختصر، ج١، ق١، ص٢٠٥. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٧-١٦٨. دحلان، الفتوحات، ج١، ص١٣٣. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢٤. أفغانستان قبل الفتح، ص٣٣-٣٤. رميض، الأحنف بن قيس، ص١٧٣.

وكان يَزْدَجَرد بن شهريار بن كسرى قد ترك خاقان بمرو الرّوذ، وانصرف هو ومَنْ معه حتى وصلوا إلى مَرْو الشاهجان، فتحصَّن منه حاتم بن النعمان ومن معه، وكانت قواته قليلة بالنسبة ليزدجرد، فحصرهم يزدجرد واستخرج خزائنه من موضعها، وعلم يزدجرد بانسحاب خاقان إلى بلخ وعزمه على الانسحاب من فارس كلها إلى بلاده، وأراد أن يلحق بحليفه خاقان ملك الترك، ولكن أهل فارس رفضوا ذلك وقالوا: "ارجع بنا إلى هؤلاء القوم (المسلمين) فنصالحَهم فإنهم أوفياء وأهل دين، وهم يلُون بلادنا، وإنَّ عدوّاً يلينا في بلادنا أحبُّ إلينا مملكة من عُدوٍّ يلينا في بلاده ولا دينَ لهم، ولا ندري ما وفاؤهم! فأبَى يزدجرد أن ينزل على رأيهم، وأبوْا عليه رأيه، فقالوا: فدَعْ خزائننا نردَّها إلى بلادنا ومَن يليها، ولا تُخرجها من بلادنا إلى غيرها! فخالفهم يزدجرد وأصرَّ على رأيه، فتمرَّدوا عليه وقالوا له: "فإنا لاندعك تذهب بها"، فخرجوا إليه وثاروا به وقاتلوه وحاشيته واستولوا على خزائنه، ففرَّ فيمن معه إلى بلخ، فإذا خاقان سبقه إلى الانسحاب منها، فلحق بخاقان وعبروا النهر إلى فرغانة عاصمة الترك، وأقام يزدجرد ببلد الترك أيام عمر ابن الخطاب ﷺ إلى أن كفر أهل خُرَاسان أيام عثمان بن عفان ﷺ، ثم جاء أهل فارس ومعهم خزائن يزدجرد، وأقبلوا بها إلى الأحنف وطلبوا منه الصلح وعاهدوه ودفعوا إليه خزائن كسرى وأمواله، فرجعوا إلى بلدانهم وأموالهم على أمان من المسلمين، فكانوا على أفضل ما كانوا في عهود الأكاسرة، وقيل: "فكانوا كأنما هم في مُلكهم، إلا أن المسلمين أوفى لهم وأعدل عليهم، فاغتبطوا وغُبِّطوا"، فسار الأحنف بجند الكوفة من مرو الرّوذ إلى بلخ بعدما علم بعبور خاقان ملك الترك النهر منها وانزل أهل الكوفة في بلخ، وقسم الأحنف الغنائم فأصاب الفارس ما أصابه يوم القادسية، ثم رجع الأحنف إلى مقر قيادته في مرو الروذ، وكتب الأحنف إلى عمر بن الخطاب بالفتح، وبعث إليه بالأخماس، ووفد إليه الوفود، ولما وصل الخبر إلى عمر بن الخطاب ﷺ جمع الناس وخطب فيهم، وأمر بكتاب الفتح فقُرِئ عليهم، وقال في خطبته: "ألا إنَّ الله قد أهلك ملك المجوسيَّة، وفرَّق شملَهم، فليسُوا يملكون من بلادهم شِبراً يَضُرُّ بمُسلِمٍ، ألا وإنَّ الله تعالى قد أورَثَكم أرضَهم وديارَهُمْ وأموالَهُم وأبناءَهم، ليَنْظُرَ كيف تعملون، والله بالغ أمَره ومنجز وعْده، ومُتْبِع آخر ذلك أوَّلَه، فقوموا في أمره على رجل يُوَفِّ لكم بعهده، ويؤتِكم وعدَه، ولا تتبدَّلوا ولا تتغيِّروا فيَستبدِل الله بكم غيرَكم، فإنِّي لا أخافُ على هذه الأُمَّة أن تؤتى إلَّا من قبلكم"[1].

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧١-١٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥-٤٣٧. ابن خلدون، تاريخ، ج ٢، ص٥٦٤. النويري، نهاية، ج١٩، ١٧٥-١٧٦. دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص٩٠-٩١. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢٥. أفغانستان، ص٣٦-٣٧. داؤد، عصام كاظم: الاحنف بن قيس ودوره في فتح خراسان، جامعة البصرة، كلية الدراسات التاريخية، مجلة دراسات البصرة، السنة الثانية، ع١، ٢٠٠٧م، ص١٤٧.



سير فتوحات الأحنف بن قيس رسمت الخريطة بتصرف من عند: شاكر، خراسان، ص١٨٢.

٢- الفتوحات في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ٢٤هـ/٦٤٤م

عندما توفي الخليفة عمر ﷺ كانت السنوات الأولى من خلافة عثمان بن عفان ﷺ استمراراً لعهد عمر ابن الخطاب ﷺ في خطوطها العامة، وكان يزدجرد طيلة هذه السنوات يحاول إثارة القلاقل للمسلمين في بلاد فارس[1]. وكان على المسلمين أن يعملوا على فتح خُرَاسان وتوطيد نفوذهم من جديد فيها، فالخليفة عثمان بن عفان ﷺ كان مقتنعاً بضرورة تحرير خُرَاسان لإدراكه أهمية موقعها، ولأن أهلها كانوا قد نقضوا معاهدة الصلح مع العرب وغدروا بالحاميات العسكرية العربية هناك وأظهروا العصيان وتمردوا في معظم مناطق إقليم خُرَاسان، وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: "ثمَّ إنَّ أداني أهل خُرَاسان وأقاصيها اعترضوا

(١)- ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣١٥. الدينوري، الأخبار، ص١٣٩.

زمانَ عثمان بن عفان لسنتين خلتا من إمارته"(١)، ونظراً لأهمية خُرَاسان الاستراتيجي المهم لكافة العمليات العسكرية في المشرق فما كان من الخليفة عثمان ﷺ إلا أن يتحسب لهذا ويتخذ كافة الإجراءات الضرورية والتي كان في مقدمتها اختياره لعبد الله بن عامر بن كريز (٢٩-٣٣هـ/٦٥٠-٦٥٤م) أميرا على البصرة وخُرَاسان سنة ٢٩هـ/٦٥٠م وهو ابن خمس وعشرين سنة، ليعمل على إعادة فتح ما انتقض من الإقليم وضبط أمورها(٢). حيث عزل الخليفة عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة وولاها لعبد الله بن عامر، ولما علم أبو موسى بعزله وتولية عبد الله بن عامر، قال لأهل البصرة: "قد أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول فيكم بالمال هكذا وهكذا"(٣).

ولما وصل ابن عامر إلى البصرة كانت الجيوش العربية في جبهة البصرة قد اجتاحت كور فارس والأهواز، وتمكنت من السيطرة على قم، وقاشان، وأصبهان، كما كانت تطرق بشدة أبواب مدينة اصطخر، في الوقت الذي أنجزت فيه جيوش الكوفة فتح همذان في إقليم الجبال وتوغلت إلى الري وقومس، فقد أدرك العرب أن محاولات الفرس سوف تستمر في استعادة سلطانهم، لاسيما وأن الأقاليم الشرقية من إيران لم تخضع للنفوذ العربي والتي لا زالت تحت سيطرة المرازبة والولاة المحليين. في الوقت الذي كان فيه الملك الساساني يزدجرد يطوح به التجوال من مدينة إلى أخرى وهو يحاول أن يجمع شتات إمبراطوريته المتداعية ويحرض أمراء الأقاليم لمقاومة الجيوش العربية، ولذلك ستبقى هذه الأقاليم مصدر قلق للبصرة والكوفة بل وللمدينة حاضرة الخلافة، ما لم يقدم العرب في عملية جزئية على استئصال شأفة سلطان الفرس، وفرض السيادة العربية على الأقاليم الشرقية(٤).

بدأ عبد الله بن عامر عملياته العسكرية بالسير إلى اصطخر وفي مقدمته عبيد الله بن معمر التميمي، فقتل عبيد الله وفتحها ابن عامر عنوة، كما افتتح حلوان وأَرْدَشير خُرَّة عنوة وعدة كور بين عامي ٢٩-

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧٣. شاكر، خُرَاسان، ص٢٠. حسن، حسين إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجليل، ط١٤، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١، ص٢١٠.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩١-١٩٢. يبدو أن تولية عبد الله بن عامر فيها اختلاف بين ٢٨هـ/٦٤٩م، و٢٩هـ /٦٥٠م كما يلي: قال البلاذري، فتوح، ص٥٦٧: سنة ثمان وعشرين ويقال سنة تسع وعشرين. أما قدامة، الخراج، ص٤٠٠ رغم أنه ينقل عن البلاذري لكنه حدد سنة ثمان وعشرين. أما أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٠٨ فقال سنة ٢٩هـ/٦٥٠م. وكذلك ابن خياط، تاريخ، ص١٦١ قال سنة٢٩هـ/٦٥٠م.

(٣)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦١. الذهبي، سير، ج١، ص٣٧٥. الطيباوي، عبد اللطيف: محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٩.

(٤)- الأحمد، أيوب عبد الحميد مخيلف: خُرَاسان من٩٩هـ-١٣٢هـ/٧١٧-٧٥٠م دراسة في الإدارة والأوضاع العامة، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: صالح موسى درادكه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٨م، ص١٥.

٣٠هـ/٦٥٠-٦٥١م[١]، وبذلك تمكن من فرض السيطرة العربية على إقليم فارس برمته، وقضى بذلك على أي أمل للمقاومة الفارسية هناك، وفي هذه الأثناء هرب يزدجرد من مقاطعة فارس إلى كرمان فوجه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السُلميَّ فأتى بيمند فهلك جيشه بها[٢]، وعندما لم يكتب النجاح لهذه الحملة، رجع عبد الله بن عامر إلى البصرة بعد أن استعمل شريكاً بن الأعور الحارثيّ على اصطخر[٣].

وبعد أن أتم ابن عامر المهمة الموكلة إليه لفتح إقليم فارس وكرمان وسجستان في زمن الخليفة الراشدي عثمان ﷺ الذي أنجزته مقاتلة البصرة بقيادته، كتب إليه الخليفة عثمان بن عفان ﷺ يأمره بالتوجه على رأس هذه القوات العربية لفتح إقليم خُرَاسان في سنة ٣٠هـ/٦٥٠م[٤]، وما كان من ابن عامر إلا أن ينفذ أمر الخليفة عثمان ﷺ ويستخلف على البصرة زياد بن أبي سفيان وجعل على مقدَّمته الأحنف ابن قيس[٥]. وكانت مهمته الأولى القضاء على التمرد الذي قامت به الطَّبَسَين والذي سلف لهم أن نقضوا عهد الصلح المبرم بينهم وبين العرب المسلمين وغدروا بهم، فتوجه عبد الله بن عامر على الفور على رأس القوات العربية الإسلامية الهادفة إلى فتح إقليم خُرَاسان، مجتازاً الصحراء الكبرى من جهة المناطق الشمالية من إقليم كرمان، وبوصوله إلى منطقة الطَّبَسَين تمكن من فتحها صلحاً بعد قضائه على التمرد الذي أعلنه أهلها ضد الحكم العربي الإسلامي فصالحه أهلها على ستمائة ألف درهم[٦].

وبعد هذا الإنجاز الذي حققته القوات العربية الإسلامية وجه ابن عامر الأحنف بن قيس على رأس القوات العربية لفتح قُوهِستان المتاخمة للحدود الجنوبية الغربية لإقليم خُرَاسان، وسأل عن أقرب مدينة إلى

---

(١)- ابن خياط، تاريخ، ج١، ص١٦١-١٦٤. البلاذري، فتوح، ص٥٦٧.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٥١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٨٦-٢٨٧. الحموي، معجم، ج١، ص٥٤٣.

(٣)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٤. الدينوري، الأخبار، ص١٤٠. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١. ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣٣٦-٣٣٧. دحلان، الفتوحات، ص١-٢. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٢٢٧.

(٤)- يذكر اليعقوبي أن عثمان أرسل إلى والي البصرة عبد الله بن عامر، وإلى والي الكوفة سعيد بن العاص كتابين يأمرهما بالنفاذ إلى خُرَاسان لفتحها: "أيكما يسبق على خُرَاسان فهو أمير عليها". اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١، وفي روايته أن أهل البصرة هم من طلبوا من ابن عامر الخروج لملاحقة يزدجرد وفتح البلاد، ولا تخلو دعوتهم هذه من بُعد اقتصادي.

(٥)- ابن قتيبة، المعارف، ص٥٦٨. البلاذري، فتوح، ص٥٦٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٢. ابن الفقيه، مختصر، ص٣٢٣. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٥.

(٦)- ابن قتيبة، المعارف، ص٨٤. ابن الفقيه، مختصر، ص٣٢٣. قدامة، الخراج، ص٤٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٩. دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص١٠٢. السوداني، رباب خباز طاهر: جبهة البصرة دراسة في أحوالها العسكرية والإدارية والاجتماعية والمالية للفترة من (١-٤١هـ/٦٣٢-٦٦١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: قحطان الحديثي، جامعة البصرة، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٨٣.

الطبسين وهي باب خُرَاسان فنزل بها، وفي أثناء قدومه لقيته مجموعات من بقايا الهياطلة والأتراك جاؤوا من هَرَاة لمقاومته، فقاتلهم حتى ألجاهم إلى حصنهم، وتمكن من فتح قوهستان عنوة، ومن ثم قدم عليها ابن عامر فطلبوا الصلح فصالحهم(١).

وبعد أن أكمل عبد الله بن عامر تنظيم قواته العسكرية في قوهستان توجه إلى نيسابور التي تعد من أهم مدن خُرَاسان؛ وذلك لاتخاذها قاعدة عسكرية مهمة ينطلق منها إلى جميع مدن خُرَاسان، وفي هذه الأثناء كان سعيد بن العاص في جند أهل الكوفة قد أتى جرجان وهو يريد خُرَاسان، فلما بلغه نزول ابن عامر في نيسابور رجع إلى الكوفة. ومن أجل سهولة عملية دخوله إلى المدينة وجه في الوقت نفسه عدداً من السرايا التي هاجمت عدداً من الرساتيق والقرى، ثم توجه إلى نيسابور فسيطر عليها وأحكم قبضته على كورها ورساتيقها وكل مدنها وظل محاصراً لأهلها أشهراً دون عناء وتعب يذكر، وبث السرايا حولها، ويبدو أن مرزبان نيسابور كان يرجو مدداً من يزدجرد المقيم في مرو، فأظهر ممانعة كبيرة للمسلمين، وبلغ ذلك لملك طوس فخافه، فأرسل إلى عبد الله يسأله الأمان على أن يسير إليه وينصره على أهل نيسابور فأعطاه الأمان، فأقبل عليه ملك طوس هو وأصحابه وأساورته فأكرمه عبد الله، ثم أقبل عبد الله وملك طوس على قتال أهل نيسابور فقد كان ملك طوس على خلاف مع مرزبان نيسابور على الأغلب وطامعاً في حكم المدينة، ويبدو أن هذه العمليات استهدفت قطع طرق الإمداد على نيسابور، وفي الوقت ذاته تحصن المرزبان بالقهندز ومعه جماعته(٢)، ولما طال الحصار أقسم عبد الله بن عامر ألَّا يبرح عن نيسابور حتى يفتحها أو يموت دونها. ولما أدرك الفرس صعوبة موقفهم هذا وأنه لا جدوى من تعنتهم أمام قوة جيش المسلمين بقيادة ابن عامر أرسل إليه مرزبانها يطلب الأمان والصلح على جميع أرض نيسابور وأن يفتح له المدينة في أي وقت شاء فرضى عبد الله بن عامر بذلك، فلما كان الصبح فتح الملك باب نيسابور فكبر المسلمون ودخلوا المدينة فصالح ابن عامر مرزبانها(٣).

---

(١)– الواقدي، فتوح خُرَاسان، ص١٣٣. البلاذري، فتوح، ص٥٦٨. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١. الذهبي، دول الإسلام، ج١، ص٢١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٩.

(٢)– يختلف المؤرخون في اسم صاحب نيسابور، فالبلاذري يسميه "مرزبان نيسابور"، فتوح، ص٥٦٩. يذكر ابن خرداذبة اسمه "كنار"، المسالك، ص٣٩. وذكره ابن خياط والطبري باسم "كناري"، تاريخ خليفة، ص١٦٤. تاريخ، ج٤، ص٣٠١. بينما الواقدي يقول: إن كنار هو ملك طوس، فتوح الإسلام، ص١٣٣. أما ابن أعثم فيذكر أن أمير طوس اسمه "كنادبك" في الوقت الذي يتفق فيه الواقدي وابن أعثم على أن اسم ملك نيسابور الأسوار. فتوح الإسلام، ص١٣٣. الفتوح، ج١، ص٣٣٨.

(٣)– الواقدي، فتوح، ص١٣٣. البلاذري، فتوح، ص٥٦٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥١. ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣٣٧. قدامة، الخراج، ص٤٠٠. دحلان، الفتوحات، ص١٠٢. داؤد، الأحنف، ص١٧٤.

ووجه ابن عامر الأسود بن كلثوم العدوي إلى مدينة بَيْهَق، وهي أيضاً إحدى رساتيق نيسابور، فدخل بعض حيطان أهله في ثلمة كانت فيه، ودخلت معه طائفة من المسلمين، وقد كان دخول الأسود بن كلثوم ومن كان معه من المقاتلين العرب الثلمة خطأ ارتكبوه، فقد وضعوا أنفسهم في مأزق أودى بحياة الأسود وجنوده، وبعد هذه الحادثة المؤلمة التي ألمت بالأسود بن كلثوم وجنده والتي أدت إلى موتهم أوكلت مهمة تولي قيادة المقاتلين من بعده إلى أخيه أدهم بن كلثوم الذي ظفر بأعدائه الفرس وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم وفتح بَيْهَق[١].

وهكذا استطاع ابن عامر بخطته السريعة السيطرة على نيسابور[٢] بعد أن اتخذها قاعدة عسكرية جمع فيها أغلب قوته التي استطاع أن ينظمها فيها، ويوسع نفوذه على المناطق المجاورة والاستعداد لفتحها مستقبلاً من قبل قواده وأعوانه بعدما ضيق الخناق على أعدائه الفرس، وبعد ذلك بادر ابن عامر إلى إرسال جيش بقيادة عبد الله بن خازم السّلميّ لفتح المناطق الواقعة في أقصى الشمال الغربي لخُرَاسان، فتمكن هذا القائد من فتح خُرَاسان، وفي أثناء قدومه إلى نَسَا تمكن من تحرير حُمْرَانْذِز وهي من نَسَا، فلما علم حاكم نَسَا صالحه على ثلاثمائة ألف درهم. كما وجه ابن عامر عبد الله بن خازم إلى أبيورد ليفتحها عنوة، لكن مرزبانها المدعو بهنمة قد حال دون ذلك طالباً الصلح منه، فأجابه على ذلك وصالحه على أربعمائة ألف درهم. وبعث ابن عامر إلى رستاق زم من أعمال نيسابور يزيد الجرشي أبا سالم بن يزيد الذي استطاع أن يفتحه بعد أن قاتل أهلها، وفتح باخرز وهي أحد رساتيق نيسابور أيضاً، ثم سار وفتح جُوين وهي من أعمال نيسابور أيضاً بعد قتال مع أهلها وتمكَّن من أسر أغلب سكانها، وبذلك أتمَّ المسلمون فتح أغلب أعمال نيسابور في الوقت الذي تقدم فيه القائد العربي عبد الله بن عامر وفتح بُشت، وأَشْبَنْد، ورخّ، وزَاوَة، وخَوَاف، وإسفرائين، وأرْغَيَان وجميعها من أعمال نيسابور[٣].

وهكذا استمر القائد ابن عامر نهجه المرسوم في فتح الكثير من المدن والرساتيق التابعة إلى إقليم خُرَاسان والمناطق المجاورة له، لذلك أرسل عبد الله بن خازم السلمي على رأس جيش قوي وأمره بالتوجه

---

(١)- ابن خياط، تاريخ، ج١، ص١٦٤. البلاذري، فتوح، ص٥٦٨. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٩. اليافعي(عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٨٣. دحلان، الفتوحات، ص١٠٢. إبراهيم، فتوح بلاد خُرَاسان، ١٤٧.

(٢)- اختلف الرواة في أمر تحرير نيسابور، قيل صلحاً وقيل عنوة، البلاذري، فتوح، ص٥٦٨-٥٦٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١-٣٠٢.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٦٨-٥٦٩. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٨-٣٣٩. قدامة، الخراج، ص٤٠١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٩. دحلان، الفتوحات، ص١٠٢. شاكر، محمود: موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر، ط١، عمان، ٢٠٠٢م، ص١٠٤.

نحو مدينة سَرْخَس والمناطق المحيطة بها لفتحها، ولما تقدم ابن خازم إلى سرخس خرج أهلها لملاقاته فقاتلهم قتالاً شديداً تمثل بالنصر المؤزر والمبين للقوات العربية الإسلامية. وعندما أدرك مرزبان سرخس "زادوية" أنه لا جدوى من مواصلة القتال بادر إلى طلب الصلح، ويقال إن ابن خازم صالحه على أن يؤمن مائة نفس فسمى له المائة ولم يُسَمِّ نفسه، ويبدو أن ابن خازم لم يقبل منه ذلك فقتله ودخل مدينة سرخس عنوة. وكان من نتائج هذا الانتصار الذي حققه ابن عامر على الفرس المتغطرسين، وفتحه للكثير من مدنهم، أن سارع عدد كبير منهم إلى طلب الصلح على مقدار من المال يؤدونه إلى جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن عامر كما مر مسبقاً وأن هذا قد شجعه على المضي قدماً لتكملة خطته الهادفة إلى فتح العديد من مدن خُرَاسان وكورها ورساتيقها لنشر عقيدة الإسلام السمحاء بين ربوع هذه المناطق. لقد كان لهذه الانتصارات المتلاحقة التي حققتها القوات العربية مصدر قلق وخوف وإزعاج من قبل الفرس، فسارع حكام المدن الفارسية الواحد تلو الآخر لطلب الصلح والإذعان للأمر الواقع أمام قوة وإرادة القوات العربية الإسلامية، وما يؤكد ذلك هو توجه مرزبان طوس المدعو "كنازتك" إلى عبد الله بن عامر طالباً الصلح فصالحه على ستمائة ألف درهم(١).

ويبدو أن تقدم المسلمين في خُرَاسان وحصارهم لنيسابور، أثار حفيظة الفرس وملكهم فازدادت الحالة السياسية في مرو تفككاً، وتباينت آراء القادة في مواقفهم تجاه المسلمين، ففي حين كان يميل البعض للصلح كان آخرون ميالين للحرب(٢)، وفي الوقت نفسه لم يفد يزدجرد كثيراً من قوات الأتراك التي جاءته مدداً بقيادة طرخان نيزك الهيطلي، إذ تروي المصادر أن خلافاً نشب بين الطرفين، كان لمرزبان مرو اليد الطولى فيه(٣). وفي سياق هذه الأحداث وصل الملك الساساني يزدجرد الثالث إلى مرو في عام ٣١هـ/٦٥١م فازدادت مخاوف ماهويه على استقلاله وضاق ذرعاً بملكه، فأرسل إلى الأتراك يستمدهم ضد يزدجرد وسرعان ما تطور هذا الخلاف إلى حرب بين الطرفين انتهت بهزيمة يزدجرد ، فدهموا المدينة ليلاً فهرب يزدجرد من أعدائه تحت جنح الظلام، لينتهي إلى طاحونة على نهر مرو، حيث قتل على يد الطحان(٤). وفي صباح اليوم الثاني تمكن أتباعه من إخراج الأتراك من المدينة وقتلوا الطحان

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٦٩-٥٧٠. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٨. قدامة، الخراج، ص٤٠١-٤٠٢. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠. دحلان، الفتوحات، ص١٠٣. شاكر، موسوعة الفتوحات، ص١٠٥. إبراهيم، فتوح بلاد خُرَاسان، ص١٤٨.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٦. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨.

(٣)- يجعل البلاذري سبب الخلاف هو طلب نيزك من يزدجرد أن يزوجه ابنته، فتوح، ص٤٤١. الدينوري، الأخبار، ص١٣٩. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٤. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. الفردوسي، الشاهنامة، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٣-٢٩٩. الثعالبي، غرر، ص٧٤٣-٧٤٤. ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٧٨. كريستنس، إيران، ص٤٨٨. مكاريوس، تاريخ إيران، ص٧٦، ٨٠. بيرنيا، تاريخ إيران، ص١١٨. ورد عند

بثأر الملك، وهرب ماهويه على وجهه حتى أتى عبد الله بن عامر فاستأمن إليه والصحيح أنه قتل يومئذ(١). إن هذه الأحداث تبرهن على الارتباك الكبير الذي يسود خُرَاسان عشية وصول العرب إليها(٢). ويروي البلاذري أن ابناً ليزدجرد يدعى فيروز وقع بيد الأتراك الذين زوجوه وأقام عندهم(٣)، ويبدو أنه اتصل بإمبراطور الصين يطلب المساعدة كما فعل والده، لكن الصين لم تكن مستعدة للتدخل ضد العرب، واكتفت الاعتراف بفيروز خلفاً لوالده(٤). والواقع أن هذا الحدث يعطي دليلاً واضحاً على درجة الانهيار والتصدع الذي وصلت إليه الدولة الساسانية في أثناء الفتوحات الإسلامية، كما يبرهن على وجود هُوَّة واسعة بين الملك وطبقة المرازبة، فلو كان الملك مصدر احترام لما رفض هؤلاء مساعدته ولكان لقي الدعم من شعبه دون الالتجاء إلى الأجانب. ويبدو أن الطبري وابن الأثير قد وقعا في خلط كبير حتى لا تكاد تبدو الأحداث واضحة، فهما يذكران أن الاضطراب قد وقع في السنة الثانية والعشرين من خلافة عثمان بن عفان، لكنهما يذكران في الأخير أن الأحنف كتب بالخبر للخليفة عمر بن الخطاب(٥).

لقد اتخذ عبد الله بن عامر نيسابور قاعدة له ليوجه منها حركة الفتح العربي مستثمراً النصر الذي تحقق وحالة الانهيار في صفوف الفرس، فوجه جيشاً إلى هَرَاة بقيادة أوس بن ثعلبة بن رَقَي، ويقال خُلَيد ابن عبد الله الحنفيَّ(٦). وكان الغرض من إرسال هذا الجيش العربي الإسلامي ما هو إلا لزيادة الرعب

=البلاذري: أن ماهويه دسَّ إلى الطحان فأمره بقتله، فيقال إن الطحان قدم له طعاماً وأكل وأتاه بشراب فسكر، فلمَّا كان المساء أخرج تاجه فوضعه على رأسه، فبصر به الطحان فطمع فيه، فعمد إلى رحى فألقاها عليه، فلمَّا قتله أخذ تاجه وثيابه وألقاه في نهر المرغاب في مرو، ثمَّ عرف ماهويه خبره فقتل الطحان وأهل بيته وأخذ التاج والثياب. فتوح، ص٤٤٢.

(١)- مؤلف مجهول (من القرن ٢هـ/٨م): نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، تصحيح: محمد تقى دانش ثروه، وزارت فرهنك وارشاد اسلامى، انجمن آثار ومفاخر فرهنكى، ١٣٧٥، ص٤٧٢. وورد عند الطبري أنه حتى عام ٣٦هـ /٦٥٦م، كان لا يزال حياً على أقل تقدير. تاريخ، ج٤، ص٥٥٧.

(٢)- شعبان، الثورة العباسية، ص٥٩.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٤٤٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٩٣.

(4) -(Boulger, Dmetrius Charlis: History of China, W. Thacker Co., 2, Creed Lane, E.C, London, 1898, vol. 1, p.293.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٧.

(٦)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠. قدامة، الخراج، ص٤٠٢. يذكر اليعقوبي أن الأحنف بن قيس هو الذي توجه إلى هَرَاة. تاريخ، ج٢، ص١٩٣. لكن المدائني يقول: أن عبد الله بن خازم هو الذي توجه إلى هَرَاة غير أنه يذكر في رواية ثانية أن عبد الله بن عامر بعث خليد بن عبد الله الحنفي إلى هَرَاة وباذغيس فافتتحها. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١-٣٢٤. ويروى ابن سعد أن عبد الله بن عامر بعث صَبرة بن شَيْمَان الأزدي إلى هَرَاة فافتتح رساتيقها ولم يقدر على المدينة. الطبقات ج٧، ص٥١. وقد أعطى البلاذري رواية أخرى مفادها أن ابن عامر ذهب بنفسه إلى مدينة هَرَاة، فقاتل أهلها ثم صالحه مرزبانها عن هَرَاة وبوشنج وباذغيس على ألف ألف درهم. فتوح البلدان، ص٥٧٠. بينما يقول الواقدي: إن كتيرمرد ملك هَرَاة أقبل على ابن عامر فصالحه على هَرَاة وبوشنج وباذغيس وكتب له كتاباً وردَّه إلى بلده. فتوح الإسلام، ص١٣٤.

والخوف في نفوس الفرس وزعمائهم، فلما سمع مرزبان هَرَاة كتيرمرد الهيطلي بقدوم هذا الجيش القوي المسلح بالإيمان والعقيدة الإسلامية إليه أصابه الفزع والذعر وحالة من اليأس والإحباط، فأسرع لمقابلة ابن عامر عارضاً عليه الصلح فصالحه على ثلاث مناطق للهياطلة هي هَرَاة وباذَغِيس وبُوشنج، ماعدا مدن طاغُون وباغُون فإنهما فتحتا عنوة[١].

أما فيما يخص مدينة مرو الشَّاهِجان فإن مرزبانها ماهويه بن آزر أرسل إلى ابن عامر يعرض عليه الصلح بعد أن رأى الانتصارات التي حققتها القوات العربية الإسلامية في مناطق عديدة من خُرَاسان، وأن نيسابور فتحت وصارت مع ملك طوس، فما كان من عبد الله بن عامر إلا أن لبى طلبه، ووجه إلى مدينة مرو حاتم بن النعمان الباهليَّ فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم[٢]، وكانت مدينة مرو كلها قد فتحت صلحاً، وكان ذلك سنة ٣١هـ/٦٥١م إلا قرية منها يقال لها السِنْج فإنها فتحت عنوة[٣].

لقد رأى عبد الله بن عامر الفرصة سانحة لاستكمال إعادة فتح الإقليم كله، ففي سنة ٣٢هـ/٦٥٢م وجه الأحنف بن قيس إلى طَخَارِسْتان، فنزل الموضع الذي يُعرف بقصر الأحنف على اسمه وهو حصن مَرْو الرُّوذ وله رستاق عظيم يعرف برستاق الأحنف، ويُدعى بشَقّ الجُرد "سنوأنجر"، فحاصر أهلها فما كان منهم إلا أن يطلبوا الصلح فصالحهم. ويذكر أن الأحنف قال لهم "أصالحكم على أن يدخل رجلٌ منَّا القصر فيُؤذِّن فيه ويقيم فيكم الصلاة حتَّى أنصرف"، فما كان منهم إلا أن رضخوا للأمر الواقع ولبوا الطلب ووافقوا عليه، وكان الصلح عن جميع الرساتيق التابعة إلى شق الجرد (رستاق الأحنف)[٤].

واكتمل تحرير مَرْو الرُّوْذ سنة ٣٢هـ/٦٥٢م على يد الأحنف بن قيس، فقد توجه الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ التي قاتلته قتالاً ذريعاً، فضيق الخناق عليها وحاصر أهلها وقاتلهم قتالاً شديداً، كان النصر فيه للمسلمين وانهزم الفرس مما اضطرهم إلى اللجوء إلى حصنهم، وكان مَرْزُبانُها من أقارب باذان صاحب اليمن، فجاء هذا المرزبان فكتب إلى الأحنف متوسلاً يطلب منه الصلح، قائلاً: "إنَّه دعاني إلى

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠-٥٧١. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٨. قدامة، الخراج، ص٤٠٢. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠. دحلان، الفتوحات، ص١٠٣.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢-٣٠٣. شاكر، موسوعة الفتوحات، ص١٠٥.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٧١. قدامة، الخراج، ص٤٠٣. ابن حزم، جوامع السيرة النبوية، ضبطه وصححه: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٤٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠. دحلان، الفتوحات، ص١٠٣. الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم، ص٢٨. السوداني، جبهة البصرة، ص٨٣-٨٤.

الصلح إسلامُ باذان فصالحه على ستِّمائة ألف، وقيل على ستين ألفاً. ويذكر بأنه كانت للأحنف خيل سارت فأخذت رستاقاً يقال له بَغْ واستأقت منه المواشي، فكان الصلح بعد ذلك(١).

ويبدو مما سلف أن معظم مرو قد حررت صلحاً سواء مرو الشاهجان أو مرو الروذ، وكان الصلح قد تم مع المرزبان، وهذا يعني أنه يتمتع بمركز اجتماعي إداري وسياسي كبير في البلاد، بحيث يؤهله لإجراء مستلزمات الصلح مع المحررين العرب والإيفاء ببنود الصلح التي بمقتضاها استطاع مرازبة الفرس الاحتفاظ بمراكزهم القديمة(٢).

كان من نتائج الانتصارات التي حققها الأحنف في طخارستان أن ولدت ردود فعل عنيفة لدى سكان هذه المناطق وغيرها من المدن القريبة منها، لذلك اجتمع أهل طخارستان لحربه وتعاون معهم الهياطلة من أهل الجَوْزَجان، والطالقَان، والفارِياب، ومن حولهم خلق كثير فبلغوا ثلاثين ألفاً، وقد انضم إليهم أيضاً أهل الصَغانِيان وكان هؤلاء في الجانب الشرقي لنهر جيحون، ثم تطلع الأحنف لفتح الجوزجان والطالقان والفارياب، لكنه تراجع عندما أدرك أن جيشه الصغير المتكون من أربعة آلاف من العرب وألف من مسلمي العجم لا يفي بالمهمة، وأمام ذلك اضطر الأحنف إلى الرجوع لمقره الذي يعرف بـ "قصر الأحنف"، وذلك للتشاور مع أصحابه لاتخاذ الإجراء المناسب، وتضطرب الروايات في المواقف التي اتخذها الأحنف بن قيس وجيشه، فمنهم من قال نرجع إلى مرو "أبرشهر"، والآخر قال نقيم فنستمد، وفريق يرى غير ذلك فيقول: نلقاهم فنناجزهم، ومن خلال استماع الأحنف لهذه الآراء المختلفة من قبل أصحابه، استقر الأمر في نهاية المطاف على ضرورة محاربتهم ومقاتلتهم مهما كانت النتائج، بعدما فكر في اختيار ميدان ضيق للقتال حتى يتمكن من خلاله التغلب على أعدائه وهزيمتهم رغم جموعهم الكثيرة بالمقارنة مع جيش المسلمين(٣). وبالفعل فإنه اختار لذلك المنطقة المحصورة بين نهر المرغاب والجبل لكي يضمن بذلك تحقيق الظفر والنصر لقواته وهزيمة القوات الفارسية مهما بلغت من جموع كثيرة، كان لهذا العزم والإصرار الذي اتخذه الجيش العربي الإسلامي بقيادة الأحنف بن قيس والذي أسفر عن ملاقاة قوات الأحنف لأهل مرو الروذ والطالقان والفارياب والجوزجان أن جرت بينهم عدة ملاحم عسكرية ضارية تحقق فيها النصر المؤزر للجيش العربي الإسلامي، واتجهت القوات الفارسية المهزومة إلى مدينة رسَكْن

(١)– الخراج، ص٤٠٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٠–٣١١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٤٢. الخضري بك، محاضرات، ص١٨. شاكر، التاريخ، ج٣، ص٢٢٧. خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص٢٢٦.

(٢)– فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٤.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٢.

الواقعة على بعد اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف(١). ويذكر أن جزءاً من فلول الفرس المدحورين قد هربوا من هذه المعركة باتجاه مدينة الجوزجان، فوجه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميميَّ على رأس قوة من الخيالة، وقد التقى الطرفان في معركة ضارية بين الجانبين استشهد على أثرها عدد كبير من المسلمين، مما دفعهم إلى تكرار الهجوم ثانية، فتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم بعد قتل عددٍ كبيرٍ منهم، وفتحت الجوزجان عنوة، فقال كُثَيِّرُ النهشليّ:

سَقَى مُزَن السَّحَابِ إذَا اسْتَهَلَّتْ ... مَصَارعُ فِتْيَةٍ بالجُوْزجان
إلى القَصْرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوْطٍ ... أَفَادَهُمُ هُنَاكَ الأَقْرَعَان(٢)

لم تقف القوات العربية الإسلامية بقيادة الأحنف عند هذا الحد من عملياتها لفتوح المناطق التي لم يصلها العرب المسلمين؛ بل واصلت هذه القوات عملياتها العسكرية في المناطق الشمالية من خُرَاسان، فبذلت جهوداً كبيرة لتحقيق أهدافها، فتمكنت من فتح الكثير من هذه المدن مثل الطالقان والفارياب(٣).

يبدو أن الأحنف بن قيس بعد تحقيقه هذه الانتصارات المتتالية قرر العودة ثانية إلى مرو الروذ ـ التي اتخذها قاعدة لانطلاق قواته نحو المناطق المجاورة ـ ليوحد قواته ومن هنالك ينطلق من جديد إلى المناطق المجاورة لمدينة مَرْو الرّوذ(٤).

والظاهر أن الشغل الشاغل للقوات العربية في مخططاتهم العسكرية كان الوصول إلى نهر جيحون، فخططوا في بادئ أمرهم لفتح مدينة بلخ الواقعة على نهر جيحون، فتوجه الأحنف بن قيس وبأمر من عبد الله بن عامر إلى مدينة بلخ، وكان من حصيلة هذه العملية هو مبادرة أهل بلخ إلى طلب الصلح فصالحهم واستعمل على بلخ ابن عمَّه أَسِيد بن المُتشمِّس حتى يأخذ ما صالحوه عليه أهل هذه المدينة. ثمَّ توجه الأحنف قاصداً مدينة خوارزم، ولكنها على ما يبدو كانت محصنة ومنيعة ومهيأة مسبقاً للقتال، فحين وصلها الأحنف استعصت عليه، فاستشار بعض أصحابه فذكره أحدهم وهو حضين بن المنذر بقول عمرو بن معد يكرب:

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٢. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٢. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٠. داؤود، الأحنف بن قيس، ص١٧٥. شاكر، التاريخ، ج٣، ص٢٢٧.

(٢)- الواقدي، فتوح، ص١٣٦. ابن خياط، تاريخ، ص١٦٥. البلاذري، فتوح، ص٥٧٣. الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣١٣. قدامة، الخراج، ص٤٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠. المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد: اطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، مطبعة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٣٩٢.

(٣)- يقال بل فتحها أمير بن أحمر اليشكري. البلاذري، فتوح، ص٥٧٣. قدامة، الخراج، ص٤٠٣.

(٤)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٥. البلاذري، فتوح، ص٥٧٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٣.

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[١]

لهذه الأسباب سارع الأحنف فأمر قواته للعودة ثانية إلى مدينة بلخ، والتي كان أسيد بن المتشمس قد قبض صلحها. أضف إلى ذلك أن عبد الله بن عامر أمر الأحنف بن قيس بالتوجه إلى سرخس وعندما وصلها صالحه أهلها على مال قدره خمسون ألفاً، وبذلك تمكنت القوات العربية من فتح معظم أراضي خُرَاسان[٢].

لقد ذكر البلاذري عن أبي عبيد خبراً مفاده أنَّ عبد الله بن عامر كان قد فتح بلاد ما دون النهر، فلما بلغ أهلُ ما وراء النهر أمره طلبوا منه أن يصالحهم ففعل، وقيل " إنه عبر النهر حتى أتى موضعاً موضعاً" وقيل أيضاً: "بل أتوه فصالحوه وبعث من قبض ذلك"، ويبدو أنه استمر على هذه الحالة حتى تمكن من فتح الكثير من المدن الكبيرة والرساتيق والقرى في إقليم خُرَاسان[٣].

بعد كل هذه الجهود العظيمة التي أنجزها هذا القائد الفذ وأعوانه في قيادة الدولة العربية الإسلامية التي حققت هذه الفتوحات والإنجازات الكبيرة، فقد تمكن ابن عامر وقادته من استعادة إقليم خُرَاسان كله بل والأقاليم المجاورة له أيضاً وهي فارس وكرمان وسجستان، ولما تمَّ هذا الفتح لعبد الله بن عامر، قال الناس: ما فُتح لأحد ما فتح عليك فارس، وكرمان، وسجستان، وعامة خُرَاسان، فقال: لأجعلنَّ شكري لله على ذلك، وأن أخرج محرماً من موقعي هذا، فقد ذكرت أغلب المصادر التاريخية بتوجه ابن عامر لأداء العمرة سنة ٣٢هـ/٦٥٢م شكراً لله، وقدم على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ليخبره بما حققه المسلمون من نصر تحت إشرافه، بعد أن استخلف بدلاً عنه في إدارة إقليم خُرَاسان قيس بن الهيثم، الذي ما إن بدأ مهامه حتى سمع عن تمرد أهل "طخارستان" من جديد، فقد سار متوجهاً في أرض طخارستان، فلم يأتِ بلداً منها إلا صالحه أهله فأذعنوا له حتى أتى سمنجان التي امتنع أهلها فحاصرها حتى فتحها عنوة[٤].

وقيل أيضاً بعد غياب ابن عامر عن خُرَاسان للسبب الذي أشرنا إليه واستخلاف قيس بن الهيثم عليها، اضطربت الأمور عليه وتمرد الكثير من أهل المدن وأعلنوا العصيان فيذكر أن هياطلة الطَّبسين،

---

(١)- الواقدي، فتوح، ص١٣٨. ابن خياط، تاريخ، ص١٦٥. البلاذري، فتوح، ص٥٧٣-٥٧٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٣. قدامة، الخراج، ص٤٠٣-٤٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢١. النويري، نهاية، ج١٩، ص٢٦٤. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٥٧٨-٥٧٩. دحلان، الفتوحات، ص١٠٣.

(٢)- المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٥.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٤. قدامة، الخراج، ص٤٠٤.

(٤)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٦. البلاذري، فتوح، ص٥٧٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٤ . قدامة، الخراج، ص٤٠٤. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٢. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٤٦.النويري، نهاية، ج١٩، ص٢٦٧. دحلان، الفتوحات، ص١٠٣.

وباذغيس، وهَرَاة، وقُهستان، قد ثاروا وأعلنوا تمردهم بقيادة أحد قادة الفرس يدعى **قارِن**، ويبدو أن قيساً بن الهيثم لم يتمكن من القضاء على هذه الحركات التي كان يقودها قارن فعاد إلى البصرة بعدما ترك محله عبد الله بن خازم، الذي استطاع أن يثبت ويصمد ويقاتل بكل جدارة قوات قارن بجيش لا يتجاوز الأربعة آلاف مقاتل مقارنة بجيش قارن الذي يبلغ أربعين ألفاً، ودارت معارك كبيرة وعنيفة كانت نهايتها مقتل قارن وانهزام جيوشه وتمزق جمعه، وغنم المسلمون سبياً عظيماً وأموالاً كثيرة ، وقد كتب ابن خازم إلى أمير البصرة عبد الله بن عامر يعلمه بهذا الانتصار الذي تحقق على يده فسر ابن عامر لهذا الفتح الجديد وقد كافأه بأن أقره رسمياً على إقليم خُرَاسان[١]. وظل الأحنف بن قيس يفتح ما قدر له من بلاد خُرَاسان ويجبي أموالها ويحمل خمس ذلك إلى عثمان ﷺ إلى أن قتل عام ٣٥هـ/٦٥٥م[٢].

وبعد أن أتم العرب تحرير خُرَاسان جعلوها نقطة انطلاق وقاعدة مهمة لمواصلة التحرير فيما وراء النهر. وقد تغنى الشعراء كثيراً بهذا اللإنجاز أي تحرير خُرَاسان ومنها قصيدة أنشدها ربعي بن عامر عندما استطاع الأحنف تحرير مناطق واسعة بفترة قصيرة وهرب يزدجرد إلى خاقان الترك حيث قال:

ونحن وردنا من هَرَاة مناهلاً رواً من المروين إن كنت جاهلا
وبلخ ونيسابور قد شقيت بنا وطوس ومرو أزرنا القنابلا
فلله عينا من رأى مثلنا معا غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا

وبذلك تكون الجيوش العربية قد أنجزت فتح إقليم خُرَاسان برمته، وهو الذي يعد نهر المرغاب حده من الشمال الشرقي[٣].

---

(١)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٦-١٦٧. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤١٤-٤١٥. قدامة، الخراج، ص٤٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٨-٢٩. الذهبي، دول الإسلام، ص٣٢. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٤٦. إبراهيم، فتوح، ص١٥٢.

(٢)- الواقدي، فتوح الإسلام، ص١٣٨.

(3) -Gibb: The Arab conqustion central Asia, p. 100.


داهستان
خوارزم
بلاد ما وراء النهر
بلاد الترك
نهر جيحون
بخارى
سمرقند
الطالقان
ترمذ
بلخ
طخارستان العليا
مرو الشاهجان
خراسان
سرخس
طوس
مرو الروذ
قصر الأحنف
نسا
الجوزجان
ميمنة
طخارستان السفلى
باميان
كابول
نيسابور (أبرشهر)
هراة
غزنة
الهياطلة
الطبسين
قوهستان
نهر هلمند
زرنج
زابل
أرض السند
سجستان
كرمان
توجه عبد الله بن عامر إلى أبرشهر (نيسابور) عن طريق الطبسين، حتى انتهى إلى سرخس
عبد الله بن عامر يوجه الأحنف بن قيس إلى قوهستان لملاقاة الهياطلة في مدينة هراة
عبد الله بن عامر يوجه حاتم بن النعمان إلى مرو الروذ
فتوحات عبد الله بن عامر سنة ٣١هـ/ ٦٥٢م
رسمت الخريطة بتصرف من عند: المفلوث، أطلس الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي، ص ٣٩٣

٣- الفتوحات في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﵁ (٣٥-٤٠هـ/٦٥٥-٦٦٠م)

وما إن وقعت الفتنة التي توفي بسببها الخليفة عثمان بن عفان ﵁ في سنة ٣٥هـ/٦٥٥م وانشغال الخليفة الجديد عليّ بن أبي طالب ﵁ بحرب الخارجين عنه، حتى انتفضت العديد من مدن إقليم خُرَاسان من جديد ونقضت الصلح وأعلنت تمردها وعصيانها، وكانت من الولايات التي ثارت واستقلت نيسابور، والطبسين، وباذغيس، وهَرَاة، وقهستان، ومرو، فقد انتفضت مرو في خلافة علي ﵁ وعلى أثرها قدم على الخليفة عليّ وهو بالبصرة مَرْزَبان مرو (ماهويه إبراز) مُقراً بالصلح الذي تم بينه وبين ابن عامر بن كريز، فصالحه وأعطى له الأمان، فكتب له الخليفة كتاباً يوجهه إلى المرازبة والأشراف والأساورة، وكاتب أهل مرو قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد: "فإن ماهويه إبراز مَرْزَبان مرو جاءني، وإني رضيتُ عنه"، ومع ذلك لم يحلُّ هذا الاعتراف المشاكل في خُرَاسان، بل إن نيسابور تمادت في تمردها، وأغلقت أبوابها(١).

لقد أدرك الخليفة عليٌّ خطورة هذا الأمر، وحاول جاهداً اتخاذ الإجراءات المناسبة لإطفاء نار الفتنة والعصيان، فكتب لأهلها كتاباً يحثُّهم على الطَّاعة، وأرسل إليهم ولاته الَّذين اتبعوا سياسة السِّلم مع أهلها، فوجه في سنة ٣٧هـ/٦٥٧م بعدما رجع من صفيِّن جَعْدة بن هُبيرة بن عمرو بن عاد المخزوميّ إلى خُرَاسان فأعاد فتح نيسابور ومرو في حياة الخليفة(٢)، وإن كان البلاذري(٣) يعارض هذا الرأي ويذكر: "أن جعدة لم يتمكن من إعادة فتح نيسابور ولا مرو، بعد ذلك بعث الخليفة علي إلى خُرَاسان خُلَيد بن قُرَّة اليربوعيّ فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، كما صالحه أهل مَرْو(٤). وبقيت خُرَاسان على هذا الحال منتفضة حتى استشهاد الخليفة علي بن أبي طالب ﵁ سنة ٤٠هـ/٦٦٠م، إذ تمرد الناس هناك وثاروا وامتنعوا عن دفع الضرائب، واستعاد الهياطلة مركزهم الذي كانوا عليه قبل الفتح مستفيدين من الأوضاع السيئة التي تمر بها الأمة الإسلامية، إذ كان العرب في فترة الحرب الأهلية بين علي بن أبي طالب ﵁ وخصومه مشغولين بشؤونهم الداخلية. كما رفضت ولايتي هَرَاة وبلخ البقاء تحت السيادة العربية الإسلامية، ولا شك أن الاضطرابات التي مرت بها البصرة خلفت آثاراً سلبية على ما جرى في خُرَاسان إبان الفتنة الأولى سنة ٣٦-٤١هـ/٦٥٦-٦٦١م(٥).

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٥. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٥٧.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٣-٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠١.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٥.

(٤)- ابن خياط، تاريخ، ص١٩٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٤. وقال الطبري في موضع ثانٍ إن المبعوث كان خليداً بن طريف. تاريخ، ج٤، ص٥٥٨. الخليلي، موسوعة العتبات، ٧٤. وعند الدينوري: خليد بن كاس، الأخبار، ص١٥٤.

(٥)- البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٧٥.

ويبدو من خلال هذه النصوص أن هذه الولايات كانت من أهم ولايات إقليم خُرَاسان، فلا عجب إذن أن يكون إقليم خُرَاسان بأكمله قد انتفض على السلطة المركزية بسبب اضطراب الأوضاع السياسية في مركز الدولة وأطرافها. لذلك لم تتح الفرصة المناسبة للقضاء على هذه الولايات المنتفضة بهذه السرعة خلال حقبة خلافة الإمام علي(١).

وبعد استعراض الفتوحات في العصر الراشدي خَلُصت الدراسة إلى إن عمليات الفتح العربي الإسلامي قامت منذ وقت مبكر، ولاسيما بعد وفاة الرسول محمد ﷺ، ففي خلافة أبي بكر الصديق ﷺ بدأ تحرير بلاد الشام، وتوالت بعدها عمليات فتح الكثير من المناطق في عهد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان رضي الله عنهما، وكان فتح خراسان من أهم الإنجازات العسكرية الإسلامية في المشرق، فقد تمكن المسلمون من إنهاء المقاومة الساسانية، وفتح الطريق أمام العرب لمزيد من الفتح الإسلامي، إذ كانت عمليات الفتوحات في الجهة الشرقية لحدود الدولة العربية الإسلامية، وكانت هذه المنطقة تدين المجوسية، وتشكل خطراً يهدد أمن الحدود الشرقية للدولة العربية الإسلامية.

ولقد ساعد العرب المسلمين في تحقيق النصر تجاوب الإسلام مع أماني الشعوب، فقد كانت الفتوح بالنسبة لسكان هذه المناطق تحريراً حقيقياً من كل ألوان الظلم والاستغلال والعبودية، وعمليات الفتح لهذه المناطق على الرغم من تميزها بكثرة الانتفاضات والتمردات. وفي عهد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم تم فتح مدن خراسان فقد تمكنوا من إرسال الحملات لفتح هذه المناطق بالعقلية الشجاعة التي ملكوها والبصيرة الثاقبة والروح الإيمانية .

وأجتاح المسلمون خراسان بعد انتصارهم الحاسم في معركة نهاوند عام ٢١هـ/٦٤١م، وبدؤوا بعمليات الفتح الواسعة في أراضي الدولة الساسانية، واستطاع المسلمون بقيادة قواد عسكريين بارعين كالأحنف بن قيس وعبد الله بن عامر وغيرهم تحقيق أكبر الانتصارات في الأراضي الساسانية على الرغم من أن المسلمين كانوا يعانون من صعوبات، كونهم يقاتلون في أراض لا يعرفونها. واستطاعت سياسة العرب تفتيت تحالف يزدجرد مع الهياطلة الترك، ثم قتل يزدجرد والتخلص منه.

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ، تم فتح خراسان، وشهدت خراسان في عهد عثمان بن عفان ﷺ القضاء على الثورات والفتن وتثبيت الوجود العربي الإسلامي فيها، ونجح المسلمون في عقد معاهدات الصلح مع مختلف المدن التي حرروها. ولم تكن سنوات الفتح في هذه المناطق النائية عن حاضرة الخلافة سهلة، وإنما على العكس من ذلك تماماً ، كانت أصعب حقب الحكم العربي، لاسيما إنها تميزت بالاضطراب الدائم، وكان هذا واضحاً من تمردها المستمر، وفي عهد خلافة علي بن أبي طالب ﷺ.

(١)- إبراهيم، فتوح بلاد خُرَاسان، ص١٥٣.

اضطربت الأمور بسبب الاضطراب الداخلي في جسد الدولة الإسلامية والصراعات المستمرة، التي أثرت في قوة الدولة الإسلامية في البلدان المفتوحة .

أما بالنسبة للهياطلة، فإن مواضع كثيرة كانت تحت سيطرتهم، وكانت فلول الساسانيين المنهارة المتراجعة باتجاه جيحون وثم سيحون تحاول عقد الأحلاف والاتفاقات مع الهياطلة، لظهورهم قوة تقف بوجه العرب المسلمين، ولكن الغارات المستمرة التي شنها الأحنف بن قيس وعبد الله بن عامر أضعفت هذا التحالف وأشعرتهم بيأس المقاومة. وهذا ما حققه ابن عامر في قوهستان وكنج رستاق، إذ ألحق الهزيمة بالهياطلة القادمين العابرين لنهري جيحون – سيحون، في محاولة لصد العرب المسلمين، ووصل الأمر بالهياطلة إلى مكاتبة المسلمين لمساعدتهم في الفتح لقاء بقاءهم أمراء للمناطق التي تقع تحت سيطرتهم، كما حدث في مكاتبة " كانارانج نيزك" مرزيان طوس لعبد الله بن عامر وصالحه عن طوس.

ثم ظهرت تحالفات بين الساسانيين والهياطلة كما حدث عند مكاتبة ماهويه مرزيان مرو لنيزك طرخان أمير باذغيس الهيطلي، والتحالف معه لطرد يزدجرد من مرو.

ومما تقدم يتضح إن السياسة العربية الإسلامية قد نجحت في تفتيت الدولة الساسانية، واتسمت بإقامة تحالفات مع الهياطلة الراغبين بالتعاون مع العرب الفاتحين، ومقاومة الهياطلة الذين اتخذوا مواقف هدفها إخراج العرب من المناطق التي فتحوها.

وخلاصة الأمر إن العرب المسلمين حققوا خلال مدة الخلافة الراشدية انتصارات واسعة انتهت بسيطرتهم على معظم أراضي الدولة الساسانية المنهارة.

ثانياً الفتوحات في خُرَاسان في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)

بعد انتهاء العصر الراشدي وبداية عهد جديد للدولة العربية الإسلامية وهو العصر الأموي عادت الاضطرابات والفوضى إلى ما كانت عليه في مدينة مرو بصورة خاصة وخُرَاسان بصورة عامة، فعلى ذلك اتخذت الخلافة الأموية سياسة جديدة إزاء مناطق المشرق بصورة عامة، إذ عدَّت مرو القاعدة العسكرية لفتوحاتها لتلك المناطق النائية عن حاضرة الخلافة، وكذلك مقراً لدار الإمارة في المشرق محاولة منها تثبيت سياستها قدر الإمكان، إذ أيقنت أن سياستها لم تنجح بدون اتخاذها قاعدة عسكرية لتلك المناطق، وهكذا بقيت مدينة مرو قصبة إقليم المشرق في العصر الأموي حتى سقوطها على يد أبي مسلم الخُرَاساني ١٣٢هـ/٧٥٠م. وأهم ما تميز به الولاة على إقليم خُرَاسان هي قيادة الفتوحات الإسلامية في المشرق الإسلامي، فقد كان هناك اهتمام من قبل خلفاء بني أمية بحسن اختيار الولاة والعمال الذين عرفوا بالحنكة والحزم والقوة، فكانوا درعاً حصيناً للدولة ولاسيما العراق وخُرَاسان حيث كانتا مركزاً للثورات والاضطرابات، فكانت مصدر خوف يهدد الدولة الأموية، وقد تميز خلفاء بني أمية بمتابعة أخبار أولئك العمال باستمرار، وهذا يدل على أهمية ذلك الإقليم لديهم، ومما يؤلم في مضمار هذا الأمر هو قتل بعض الولاة والقادة لأبسط وأدنى الأسباب والتشهير بهم[1]. وهنا سيتم الحديث عن الفتوحات التي شهدتها خراسان في العصر الأموي في حقبة كل خليفة أموي على حدة، مع ذكر ولاة خراسان الذين تولوا القيام بأعمال الفتح، والحديث عن أهم أعمالهم في هذا الإقليم والتي ترتبط مباشرة بالفتح، وبسبب ارتباط إقليم ما وراء النهر بخراسان التي كان الولاة يوجهون حملاتهم إلى ما وراء النهر منها تم الحديث عن بعض الفتوحات التي قام بها الولاة في هذا الإقليم.

١- الفتوحات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م)

حين استقرت أمور الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وبعد وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه وتنازل الحسن ﷺ عن الخلافة، شهدت البلاد نوعاً من الهدوء، وساد الأمن الداخلي في دولته، واستعادت الدولة وحدتها السياسية بعد صلح الحسن بن علي ﷺ مع معاوية سنة ٤١هـ/٦٦١م وتأسست الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)، كانت أولى مهامه إعادة ضبط الولايات التي خرجت عن طاعة المسلمين واستئناف حركة الفتوح، فبدأ معاوية بالقضاء على الفتن والثورات في المناطق المفتوحة في خُرَاسان، وقام بتعيين الولاة على خُرَاسان، ثم تحسنت الأوضاع في خلافة معاوية الذي حاول إعادة هيبة الدولة وفرض سيطرتها بتعيين ولاة أشداء ذوي خبرة في جميع الأقاليم ومنها خُرَاسان. ونظراً لأهمية

[1]- الشمري، الحركة الفكرية في مرو، ٣٥-٣٦. نوري، هدى: ولاة خراسان خلال عصر الخلافة الأموية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع ١، آذار، ٢٠١٢م، ص١.

خُرَاسان كان معاوية يعين ولاة خُرَاسان من قبله مباشرة، بعد أن كانت في العصر الراشدي يعين لها من قبل ولاة العراق (الكوفة والبصرة)، ونتيجة لهذه الاضطرابات وخطرها التي كانت تهدد أمن خُرَاسان مما أدى بالخليفة معاوية إلى ضم ولاية خُرَاسان وربطها بولاية البصرة مجدداً لأسباب عديدة منها سياسية وعسكرية وإدارية لإعادتها إلى الهدوء والاستقرار(١)، ومن أهم الولاة وعمالهم وأهم أعمالهم في هذا الإقليم:

أ- عبد الله بن عامر بن كريز والي البصرة وخُرَاسان (٤١-٤٤هـ/٦٦١-٦٦٤م):

لما استقامت الأمور لمعاوية في سنة ٤١هـ/٦٦١م ولى عبد الله بن عامر البصرة، فقدمها في آخر هذه السنة ومعها بلاد فارس وخُرَاسان، لم يكن تعيين عبد الله بن عامر على البصرة لأسباب شخصية، لأنه لم ترد رواية صحيحة تؤكد ذلك، ولكن اختيار معاوية له نتيجة خبرته السالفة في ولاية البصرة وخُرَاسان أيام عثمان بن عفان، فما كان من معاوية إلا أن وضع الرجل المناسب في المكان المناسب(٢). حيث نكث هياطلة باذَغِيس، وهَرَاة، وبُوْشنَج، وبَلْخ، وغيرها الصلح فأسرع في بعث قيس بن الهيثم بن أسماء بنت الصّلت السلمي والياً عليها من أجل تهدئة الأوضاع وذلك في سنة ٤٢هـ/٦٦٢م، ثم ضم خُرَاسان إلى أعمال البصرة بعدما عين عبد الله بن عامر والياً جديداً عليها(٣).

عمل عبد الله بن عامر على استئناف حملاته إلى المشرق فأرسل حملة جديدة إلى خُرَاسان سنة٤٢هـ/٦٦٢م بقيادة عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن خازم وسار الاثنان تحت قيادة قيس بن الهيثم إلى بلخ، حيث فتحوها وخربوا النُوْبَهَار فيها، وطلب أهلها الصلح فتم لهم ذلك(٤). ويبدو أن العلاقة بين

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. الخيرو، رمزية عبد الوهاب: إدارة العراق في صدر الإسلام، الدار الوطنية، د.ت، ص٢٣٦.

(٢)- ابن خياط، تاريخ، ص٢٠٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٨. البلدان، ص٦٢. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٨٠. ابن كثير، البداية، ج١١، ص١٥٠. الصلابي، علي محمد: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار، دار المعرفة، ط٢، بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص٣٠٤.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٢. قدامة، الخراج، ص٤٠٤. الريس، الخراج، ص١٧٤. الخيرو، إدارة العراق، ص٢٣٥. هناك روايات أخرى تذكر أن ابن عامر هو الذي عين قيساً وليس الخليفة، ولكن الأرجح أن تعيين قيس جاء من طرف الخليفة نفسه، لأن تعيين ابن عامر جاء مُتأخراً عن تعيين قيس، ذلك لأن الخليفة كان قد اختار "عتبة بن أبي سفيان" لولاية البصرة أولاً، وعندما سمع ابن عامر بهذا الأمر جاء إلى الخليفة وكلمه قائلاً: «إنّ لي بها أموالاً وودائع، فإن لم توجّهني إليها ذهبت» فولّاه عليها. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٨٠.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٨. البلدان، ص٦٢. قدامة، الخراج، ص٤٠٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٠-١٧٢. الجميلي، رشيد عبد الله: تاريخ الدولة العربية الإسلامية (عصر النبوة والخلافة الراشدية

ابن عامر وقيس بن الهيثم كانت قد ساءت بسبب أموال الخراج والهدايا، فعزله سنة٤٣هـ/٦٦٣م بعد أن أقام في خُرَاسان ثلاث سنوات ٤١–٤٣هـ/٦٦١–٦٦٣م لم يستطع خلالها السيطرة على المتمردين واستعادة السيادة على المدن الخارجة على المسلمين وهي هراة وبلخ ونواحيها، واكتفى بجباية الجزية من أهل نيسابور ومرو، ولم يتعرض لأهل النكث، وفي هذا الوقت الحرج رجع إلى البصرة عندما علم بقدوم عبد الله بن خازم إلى خُرَاسان، ظناً منه أن ابن عامر أرسله لمحاسبته على تأخير الخراج، فغضب لذلك ابن عامر على قيس بن الهيثم بسبب تركه خُرَاسان، ويبدو أن ابن عامر لم يرسل ابن خازم لمحاسبة قيس؛ لأن خُرَاسان ثائرة وعليه أن يسيطر عليها، ولأن المسلمين في هذا الوقت كانوا لا يهتمون بالخراج قدر اهتمامهم بفتح البلاد والسيطرة العسكرية وضبط الإقليم(١). وعين ابن عامر مكانه ابن خازم الذي سلف وأن تصدى لهذه التمردات في عهد الخليفة عثمان ﷺ كما سلف ذكره والذي سرعان ما برهن عن كفايته هذه المرة أيضاً، فعمل على استتاب الأمن والأمان في خُرَاسان، فاستعاد السيطرة على هراة ونواحيها وبعث بالأموال إلى ابن عامر فسكت عنه(٢). لكن احتجاجاً من القيسيين في العراق والشام عند معاوية جعله يستدعي ابن خازم إلى دمشق، حيث طلب منه الاعتذار للمسلمين، واكتفى ابن خازم بالقول حين اعتلى المنبر: " قد علم من عرفني أني بصير بالفرص، وثاب عليها، وقاف عند المهالك، أنفذ بالسرية، وأقسم بالسوية" فعزله معاوية واستعمل ابن عامر رجلاً من بني يشكر كان قد اختاره لا لكفايته؛ وإنما لأنه كان قد ذمّ ابن عامر عند معاوية، ويبدو أن ابن عامر كان يعلق آمالاً عريضة على جبهة سجستان دون خُرَاسان، فلم يول خُرَاسان أي جهد خاص لإعادة توطيدها، أو استئناف الفتوح فيها، كما لم يكن قادراً على مواجهة المتاعب القبلية في البصرة، التي ازدادت توتراً بعد نزوح أعدادٍ كبيرة جديدة إليها، وأمام خشية معاوية من هذا الوضع قام بعزل ابن عامر ٤٤هـ/٦٦٤م عن البصرة وخُرَاسان لعجزه عن ضبطها؛ وذلك لأن ابن عامر رجلٌ كريمٌ حليمٌ لينٌ لا يأخذ على أيدي السفهاء، كما أن شخصيته اللينة

=والأمويين)، مكتبة المعارف، ط١، الرباط، ١٩٨٣م، ص٣٧٨. ويذكر أن معاوية عزل قيساً وولى خالداً بن المعمر ثم قتله، وضم خُرَاسان لابن عامر الذي أعاد تولية قيس. شعبان، الثورة، ص٩٠. Gibb: The Arab, p16.

(١)– البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. قدامة، الخراج، ص٤٠٤. الخيرو، إدارة العراق، ص٢٣٦.

(٢)– البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٠٩–٢١٠. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٨٠. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٦. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٢٩. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٦. الريس، الخراج، ص١٨٢.

S. Khuda Bukhsh, M.A, B.C.L: The orient under the Caliphs, Translated from ., Kremer, von, university of Calcutta, 1920, p.20.

التي امتاز بها لا تناسب الولاية وأعمالها في هذه الأوقات التي كثر بها الخُبث ففسدت البصرة في أيامه[١].

وعلى أثر ذلك أوفد ابن عامر وفداً من البصرة إلى معاوية بن أبي سفيان لشرح وجهة نظره وتسويغ الأسباب التي أدت إلى ذلك، لكن على ما يظهر إن هذا الوفد لم ينجح في إقناع الخليفة معاوية للعدول عن قراره بعزل عبد الله بن عامر عن ولاية البصرة للأسباب التي أُشير إليها، يضاف إلى ذلك أن صادف وصول وفد ابن عامر إلى معاوية وجود وفد من أهل الكوفة عنده كان فيهم ابن الكَّواء الذي كان على ما يعتقد يحمل في نفسه الضغينة والكره والحسد إلى ابن عامر فأخذ يعظم الأمور ويزور الحقائق ويكثر في التهم والافتراءات إلى الخليفة معاوية فاستاء منه كثيراً وأراد أن يعزل ابن عامر عن ولاية البصرة، فأرسل إليه معاوية أمراً يستشيره فيه فأغضب ذلك ابن عامر فعزم للذهاب إلى عاصمة الخلافة دمشق لمقابلة الخليفة معاوية للدفاع عن نفسه وإثبات الحقائق، وبالفعل فعل ذلك فرده معاوية إلى عمله ولكن قبل أن يودعه حصل نقاش حول أمور عديدة بين الخليفة وواليه على البصرة ابن عامر، وبعد الأخذ والعطاء بين الطرفين أسفرت النتيجة عن عزم الخليفة معاوية على عزل عبد الله بن عامر عن ولاية البصرة وإصراره على ذلك، وولى البصرة إلى الحارث بن عبد الله الأزدي بدلاً عنه في سنة ٤٤هـ/٦٦٤م[٢].

ب- الحارث بن عبد الله الأَزْديِّ ٤٥هـ/٦٦٥م:

في أول سنة ٤٥هـ/٦٦٥م ولَّى الخليفة مُعاوية الحارث بن عبد الله الأزدي البَصْرة حين عزل عبد الله ابن عامر، وهو من أهل الشام، فبقي الحارث أميراً على البصرة أربعة أشهر ثم عزله وولَّاها زياداً[٣].

ج- زياد بن أَبيه والي البصرة وخُرَاسان وسجستان (٤٥-٥٣هـ/٦٦٥-٦٧٣م):

عرفت خُرَاسان في عهد زياد تنظيمات كان لها أبعد الأثر في تاريخها، وقد تصرف هذا الوالي تصرف الحاكم المستقل تقريباً عن دار الخلافة، حيث كان معاوية قد ترك له حرية التصرف بعد أن نجح في ضبط العراق والمشرق لصالح الأسرة الأموية، وكان زياد يتمتع بقدر عال من الحنكة في السياسة وإدارة البلاد، كل ذلك دفع الخليفة معاوية لاستمالته والاستفادة من قدراته وخبراته في إعانته على إدارة شؤون الدولة.

---

[١]- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. أنساب، ج١٣، ص٣١١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢١٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص١٠ ومايليها. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٠٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٩٨. ابن كثير، البداية، ج١١، ص١٦٤. الريس، الخراج، ص١٨٦. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٦.

[٢]- للمزيد من المعلومات عن أسباب عزل عبد الله بن عامر عن ولاية البصرة انظر: الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢١٢-٢١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٩٨-٢٩٩. ابن كثير، البداية، ج١١، ص١٦٤-١٦٥.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢١٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢١٢. ابن كثير، البداية، ج١١، ص١٦٨.

ولعل التغيير في ولاة خُرَاسان واضطراب إدارتها أخرَّ عملية الفتوح، فضلاً عن بُعد هذا الإقليم عن القواعد العسكرية الإسلامية في كل من البصرة والكوفة؛ لذلك أصبح هذا الأمر الشغل الشاغل لمعاوية بن أبي سفيان فولى زياد على العراقيين (البصرة والكوفة) سنة ٤٥هـ/٦٦٥م وضم إليه ولاية خُرَاسان وسجستان والهند والبحرين وعمان[١]. وقد كان زياد يدعم سياسة الفتوح في الشرق، ولذلك اختار جبهة خُرَاسان لتنفيذ سياسته، وجاء قراره هذا منسجماً مع رغبات أهل البصرة الذين فضلوا هذه الجبهة على جبهة سجستان الأكثر صعوبة والأقل غنائم، فالمصادر لا تذكر أي حركة أو فتوح للمسلمين في خُرَاسان طوال عامين، كما أن خلافاً بين زياد وعماله على خُرَاسان بسبب نقص الأموال جعله يعيد النظر في الأمر، وقد أشار عليه معاوية ـ حسب ما ذكر اليعقوبي ـ بتولية رجل من أصحاب الرسول ﷺ على خُرَاسان، ربما لضبط العناصر القبلية هناك، فاختار زيادٌ الحَكَمَ بن عَمْرو الغِفَاريَّ وسيره على خُرَاسان عام ٤٧هـ/٦٦٧م[٢]. وعندما عُيِّنَ زياد لولاية البصرة، كان همه الأول معالجة أمور البصرة نفسها والتي بدأت تتزايد أهميتها فلم يكن له من الوقت ما يتسع للتفرغ في أمور خُرَاسان، وربما عَيَّنَ الحكمَ عاملاً على خُرَاسان ليبدأ حملة جديدة هناك[٣]، وكان استعماله على خُرَاسان من غير قصد من زياد يذكر بأن زياداً أمر حاجبه فقال: "ادعُ إليّ الحَكَم ـ وهو يريد الحكم بن أبي العاص الثَّقَفيّ ـ فخرج الحاجبُ فرأى الحكم ابن عَمرو الغِفاريّ فاستدعاه فلم يرد زياد أن يردَّه، ورآه أهلاً لهذه الولاية فقال زيادٌ: رجل له شَرَف وله صحبةٌ من رسول الله ﷺ، فعَقَد له على خُرَاسان، ثم قال له: ما أردْتُك، ولكنّ الله عزَّ وجلّ أرادك"، ثم جعل معه رجالاً، وأمرهم بطاعته، وكانوا على جباية الخراج. ومن الواضح أنَّ الحكم كانت له سجايا إدارية وقيادية متميزة، لذلك أقدم زياد على توليته خُرَاسان القاعدة الأمامية المتقدمة في المشرق للفتح الإسلامي شرقاً وشمالاً وجنوباً، وليس للعاطفة دخل في تولية الحكم، كما يطيب لقسم من المؤرخين القدامى أن يصوِّروا تولية الحَكَمَ لخُرَاسان، فقد كان زياد أبعد الناس عن العواطف كما هو معروف عنه، كما كان الحكم وهو الصحابي الجليل لا يرضى أن يحمِّل نفسه ما لا تطيق، ولا أن يتولّى أمراً لا يستطيع النهوض بأعبائه، وقد يكون الحاجب أخطأ من استدعاء الحكم الغفاري إلى زياد، ولكنّ زياداً لم يخطئ في تولية الحكم الغفاري خُرَاسان، فقد كان أهلاً للإدارة والقيادة كما أثبتت الأيام ذلك فيما بعد، وحين سار الحكم من البصرة والياً على خراسان أخذ عدداً من وجوه الناس وأعيانهم، وكان المهلب بن أبي صفرة من بين هؤلاء، وفي سنة ٤٧هـ/٦٦٧م غزا الحكم طخارستان بغية فتحها وإنهاء مقاومة الهياطلة والأتراك

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢١٦-٢١٧. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٠٤. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص٨٠. إبراهيم، فتوح بلاد خُرَاسان، ص١٥٤.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٤. الذي يجعل تولية الحكم عام ٤٤هـ/٦٦٤م. البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. المقدسي، البدء، ج٦، ص٣.

(٣)- ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٤١٥. شعبان، الثورة، ص٧٤.

فيها، فغنم غنائم كثيرة وقتل منهم خلقاً كثيراً[١]. ثم سار إلى جبال الغُور (غورستان) وغزا أهلها الذين ارتَّدوا عن الإسلام، وتمكن بعد مقاومة شديدة من توطيد السيادة العربية هناك فأخذهم بالسيف عَنْوَة وفتحها وأصاب منها مغانم كثيرة. وكان المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة مع الحكم بخُرَاسان، فغزا معه جبل الأَشَلّ من جبال الترك، إلا أن الترك أخذوا عليهم الشعاب والطرق، واحتار الحكم بالأمر، فقد ولى الحكم مسؤولية الحرب إلى المهلب الذي لم يقف طموحه أن يكون جندياً عادياً في جيش الحكم الغفاري بل أن مواهبه الفذة وشجاعته الذي استطاع أن يحقق النصر بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة، ويقول الطبري: "فولى المهلب، فلم يزل المهلَّب يحتال حتى أسر عظيماً من عظماء الترك، فقال له: "إما أن تخرجنا من هذا الضيق، أو لأقتلنك"، فقال له: "أوْقِد النارَ حيالَ طريق من هذه الطُّرُق، ومر بالأثقال فلتُوجَّه نحوه، حتَّى إذا ظنّ القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلكوه فإنّهم يستجمعون لكم، ويُعَرُّون ما سواه من الطرق، فبادِرْهم إلى طريق آخر، فما يدركونكم حتى تخرجوا منه"، ففعل ذلك المهلَّب، فسلم الناس بما معهم من الغنائم[٢]. وقطع الحكم نهر جيحون وعبر إلى ما وراء النهر في ولايته ولم يفتح وكان أوَّل من شرب من مائه من المسلمين، فقد اغترَف بتُرسه من ماء النهر، فشرب وتوضأ وصلى ركعتين، وكان الحكم أول من فعل ذلك[٣]. وقد قال عبد الله بن المبارك لرجل من أهل الصَغَانيان: "من فتح بلادك؟"، فقال الرجل: "لا أدري!!". فقال ابن المبارك: "فتحها الحكم بن عمرو الغفاري"[٤]. وغزا هراة[٥]، وافتتح الجوزجان[٦]. ولما بعث الحكم إلى زياد أخبار فتوحاته كتب إليه زياد يبلغه أمر الخليفة معاوية بأن "تصطفى له كلُّ صفراء وبيضاء، ولا تحرّكنَّ شيئاً حتى تخرج ذلك" أي أن يستخرج من الغنائم كل الذهب والفضة ويبعث بها إلى

(١)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٥-٢٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٠٨. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوَّض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٢، ٥١-٥٢. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٩. خطاب، قادة الفتح، ص١١٦-١١٧.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٦- ٢٢. المقدسي، البدء، ج٦، ص٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣١١. الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص٣٨٣. خطاب، قادة الفتح، ص١٩١. شعبان، الثورة، ص٧٤. جعل ابن كثير غزوة الحكم لجبل الأشل في سنة ٤٥هـ/٦٦٥م. البداية، ج١١، ص١٦٩.

(٣)- البلاذري، فتوح، ٥٧٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٦. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م): الأوائل، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ص٣٣٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣١١. صافي، محمد أمان: أفغانستان والأدب العربي عبر العصور، المكتبة السلفية، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٧٤. الخليلي، موسوعة العتبات، ٧٥.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. خطاب، قادة الفتح، ص١١٨. ومن الواضح أنَّ غزو الصغانيان كان سنة ٦٦٨/٤٨م أو سنة٤٩هـ/٦٦٩م، لأن الحكم رجع من غزو جبال الغور سنة٤٧هـ/٦٦٧م. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣١١.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٥١. النويري، نهاية، ج٢٠، ص١٩٧. شعبان، الثورة العباسية، ص٧٣.

(٦)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٤.

الشام، لكن الحكم رفض الانصياع إلى هذه الأوامر، وعزل الخمس من الغنائم فأرسله للشام وقسم الباقي بين المسلمين، وتباعدت الشقة بين الرجلين، حتى توعد زياد الحكم بالعقاب، لكن الموت كان أسبق إلى الحكم حيث توفي في مرو عام ٥٠هـ/٦٧٠م[١] وكان قد استُخلِف أنسٌ بن أبي أناس بن زنيم الكناني، لكن زياداً لم يرضَ على هذا، فعزل أنساً، وترك فعله هذا أثراً قبلياً سيئاً في نفس أنس[٢].

فاختار زياد خليداً بنَ عبد الله الحنفي الذي كان قد ولّاه على ربع نيسابور في سنة ٥١هـ/٦٧١م والياً على خُرَاسان كلها، لكنه لم يُحسن إدارة الأمور فعزله قبل أن يتمّ السنة فيها، وأوكل زياد بن أبي سفيان الإقليم إلى الربيع بن زياد الحارثي ٥٠–٥٣هـ/ ٦٧٠–٦٧٣م، فقدم الربيع خُرَاسان ففتح بَلْخاً صُلحاً، وكانت بلخ قد نقضت الصلح التي كانت قد عقدته مع الأحنف بن قيس وأغلقت أبوابها، مما جعل الربيع يبدأ مهامه بإعادة فتحها فصالحه أهلها، ثم غزا أجزاء من إقليم قُوهِسْتَان وفتحها عَنْوة، وغنم كثيراً سنة ٥١هـ/٦٧١م، وقتل من بناحيتها من الأتراك، ولم يبقَ منهم إلا نيزكُ طَرْخان ملك الترك، فقتله قُتَيْبة بن مسلم الباهلي في ولايته، ووجه حملة إلى خوارزم، ثم قطع النهر غازياً في خطوة هي الأولى من نوعها فغنم وسلم، وهكذا استطاع الربيع أن يشيع الأمن والاستقرار في ربوع خُرَاسان وأعادها إلى بلاد الإسلام[٣]. ويبدو أنه كان في نيته مواصلة الفتوحات إلا أن المنية عاجلته سنة ٥٣هـ/٦٧٣م بعد أن تولى خُرَاسان سنتين وعدة أشهر، قبل أن يموت أوصى بالولاية إلى ابنه عبد الله فاستخلف زياد ابنه عبدَ الله بن الربيع على خُرَاسان الذي استمر في مهامه أشهراً قلائل أعاد فيها فتح "آمل وزم" على حوض جيحون وصالح أهلهما ثم عاد إلى مرو، فمات في سنة ٥٣هـ/٦٧٣م قبل أن يصله كتاب زياد بولايته على خُرَاسان[٤]، فاستخلف وللمرة الثانية خليداً بن عبد الله الحنفي فأقره زياد على الإقليم، وفي هذه الأثناء توفى زياد بن أبي سفيان وذلك في سنة ٥٣هـ/٦٧٣م بعدما نجح في إدارة شؤون حكمه إلى حد بعيد، لأنه

---

[١]– ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١١٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٥١–٢٥٢. ابن الجوزي، صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري، خرَّج أحاديثه: محمد روّاس قلعة جي، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٦٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٢٤. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٢١٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٤١.

[٢]– ابن حبيب (محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ت٢٤٥هـ/٨٥٩م): المحبر، تح: أبو سعيد الحسن بن الحسين السّكري، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت، ص٢٩٥. البلاذري، أنساب، ج٥، ص٢٣٠. فتوح، ص٥٧٦. اليعقوبي، البلدان، ص٦٢. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٥٢، ٢٨٥. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣١٦. المقدسي، البدء، ج٦، ص٤.

[٣]– ابن خياط، تاريخه، ص٢١١. البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٧٧. اليعقوبي، تاريخ، ٢ج٢، ص٢٦٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٦. العسكري، الأوائل، ص٣٣٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٣٨. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٢٤٣. خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، القاهرة، د.ت، ص٤٠٥.

[٤]– البلاذري، أنساب، ج٥، ص٢٣٩. فتوح، ص٥٧٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٦–٢٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٤٢. محمود، التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٨٠. شعبان، الثورة، ص٧٦. Gibb, The Arab, p16-17

كان يؤمن أن خير ما يُصلح الأمور في الولاية "لِينٌ في غير ضُعف، وشدةٌ في غير جبرية ولا عنف"، وبذلك نال رضا الخليفة الذي ما كان يستطيع أن يتدخل في ولايته التي أصبحت صورة واضحة عن اللامركزية في الحكم ونال رضا الناس الذين أكثروا البكاء عليه عند وفاته[١]. هذا وتمكن العرب المسلمون في عهد زياد من توطيد نفوذهم في خُرَاسان وأصبحوا يتطلعون لعبور ما وراء النهر بعد ذلك، كما أن الإقليم أصبح يؤدي دوره الثغري على أحسن وجه في عهده أيضاً، وإن كان المؤرخ حسن أحمد محمود[٢] قد سبق الأحداث وذكر: "أن خُرَاسان أصبحت تؤدي دورها الثغري على أحسن وجه منذ عهد عبد الله بن عامر". وكان زياد من الولاة المتميزين الذين استطاعوا تحقيق الأمن والاستقرار ولا يقل دوره عن دور عبد الله بن عامر في خُرَاسان، فأوضاع الدولة العربية الإسلامية بعد وفاة الخليفة عثمان واضطرابها في خلافة علي ﷺ حيث تمردت مناطق خُرَاسان وبعث إليها جعدة بن هبيرة[٣]، فلم يتمكن من القضاء على الفوضى وقد استمرت في خلافة معاوية، وكان يتزعم التمرد المرازبة والدهاقين الذين تضررت مصالحهم، فقد حصل هؤلاء على امتيازات بدخول المسلمين حيث كانوا يمثلون الدولة العربية الإسلامية في إدارة الأقاليم، ويبدو أن هذه الامتيازات لم تكن تضاهي امتيازاتهم في العهد الساساني، فحاولوا استغلال الظروف التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية، وهناك أسباب أخرى ساعدت الفرس على التمرد ومنها المناخ شديد البرودة الذي لم يكن العرب يطيقونه فكانوا يكتفون بإبقاء حاميات في خُرَاسان شتاء حيث يرجعون إلى البصرة، على أن يعودوا إليها صيفاً، ولم تكن هذه الحامية قادرة على حفظ الأمن والاستقرار، إضافة إلى انسياح القوات الإسلامية في مناطق متعددة ولم تتمكن تلك القوات من التمركز والاستقرار في كل المناطق.

د- عُبَيْدُ الله بن زياد بن أبي سفيان والي خُرَاسان ٥٤هـ/٦٧٤م:

بعد وفاة زياد بن أبي سفيان عاد شرف اختيار والي خُرَاسان للخليفة معاوية، فقد قدم عبيد الله بن زياد على الخليفة معاوية فأكرمه وسأله عن نواب أبيه على البلاد فأخبره عنهم، ثم ولَّاه إمرة خُرَاسان أواخر عام ٥٣هـ/٦٧٣م وهو ابن خمس وعشرين سنة، ووصَّاه فكان من وصيته: "اتَّقِ الله ولا تُؤْثِرَنّ على تقواه شيئاً، فإنَّ في تقواه عِوَضاً، وقِ عِرْضَك من أن تُدنِّسه، وإن أعطيتَ عهداً فَفِ به، ولا تبيعنَّ كثيراً بقليل، ولا تُخرِجنَّ منك أمراً حتى تُبرِمَه، فإذا خرج فلا يُردنّ عليك، وإذا لقيت عدوَّك فغَلَبوك على ظهر الأرض فلا

[١]- البلاذري، أنساب، ج٤، ص٢٤١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٨-٢٩١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٦١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٤١-٣٤٢. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٢٦٠. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص٨٠. الخليلي، موسوعة، ص٧٥-٧٦.

[٢]- الإسلام والحضارة العربية بين الفتحين العربي والتركي، ص١١٧.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٥٧٥.

يَغلبوك على بطنها، ولا تُطْمِعَنَّ أحداً في غير حقِّه، ولا تُؤْيسنَّ أحداً من حقّ له" ثم ودَّعه[١]. وأثناء ذلك أصبح التوسع فيما وراء جيحون ممكناً، وبشكل خاص بعد توطيد الفتح الإسلامي في منطقة بلخ، بوابة ما وراء النهر الجنوبية، ويبدو أن الغنائم التي حصدها المسلمون من غزواتهم الأولى لبلاد الصُّغْد قد لفتت انتباههم إلى غنى هذه المنطقة، كما أن الخطر التركي الذي مافتئ يتدخل في شؤون مقاطعات خُرَاسان مادون النهر، كان لا يمكن دفعه إلا بمهاجمته في مركزه، فسار عبيد الله من الشَّام في آخر سنة ٥٣هـ/٦٧٣، وعندما وصل خُرَاسان سنة ٥٤هـ/٦٧٤هـ أخذ يعدُّ عدَّته لقطع النهر إلى جبال بُخارى، فقطع النهر على الإبل في أربعة وعشرين ألفاً وكان اتجاهه مدينة بخارى التي تربعت على حكمها الملكة خاتون وعندما شعرت الملكة خاتون بهذا الخطر القادم عليها من قبل العرب المسلمين بقيادة عبيد الله بن زياد أرسلت إلى جيرانها الأتراك عارضة عليهم النجدة والعون، فاستجابوا لدعوتها وجاءها منهم جمع كثير، فلقيهم المسلمون وهزموهم بعد قتال شديد وانتصروا عليهم. وكانت خاتون قد احتالت على عبيد الله بأن طلبت منه مهلة سبعة أيام كي تضع نفسها تحت تصرفه، وأرسلت له شيئاً من الهدايا، فقبل منها ذلك، وفي هذه المدة وصلت إمدادات الترك ونشبت معارك ضارية أدت إلى هزيمة خاتون والترك معها وانتصار المسلمين الذين تعقبوا الترك وغنموا غنائم كثيرة بفضل جهود المهلب بن أبي صفرة، صاحب الحرب ومدبر الأمر[٢]، فطلبت خاتون من جديد الصلح والأمان، فصالحها عبيد الله على أن تدفع ألف ألف درهم مع أربعة آلاف من الرقيق وعاد إلى المدينة. وبعدها قام زياد بفتح مدينة "بِيْكَنْد" و "راميثن" قصبة التجارة مع المشرق[٣] منتصراً وفتح أيضاً نَسَفَاً، ويقال إنه قد فتح الصغانيان[٤].

لقد بالغ النرشخي[٥] كثيراً في وصف "بيكند" حيث ذكر أن: "عبيد الله بن زياد أمر جنده بقطع الأشجار وتخريب الديار" كما أن المستشرق فامبري[٦] اعتمد على هذا الرأي وأضاف قائلاً: وأنزل هؤلاء

[١]- البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٦-٢٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٤٥. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٨. الصلابي، الدولة، ج١، ص٣١٥. خطاب، قادة الفتح، ص١٢٤-١٢٥. الخليلي، موسوعة، ص٧٦.

[٢]- اعتمد معاوية على أسرة زياد بن أبيه في حكم الشرق، لكن صغر سن أولاد زياد سمح للقادة أمثال المهلب وأسلم بن زرعة وغيرهم أن يحكموا البلاد من ورائهم. فلهوزن، تاريخ الدولة، ص٣٩٦ وما بعدها.

[٣]- ذكرها البلاذري: رامدين. فتوح، ص٥٧٧. ذكرها الطبري وابن الجوزي راميثن، تاريخ، ص٢٩٧. المنتظم، ج٥، ص٢٩٧. ذكرها ابن خياط زامين، تاريخه، ص٢٢٢ . وذكرها ابن الأثير رامني، الكامل، ج٣، ص٣٤٥.

[٤]- البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٨١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٥-٢٩٨. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣١٧. قدامة، الخراج، ص٤٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٩٧. ابن الأثير، الكامل، ص٣٤٥. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٥. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٢٩. خطاب، قادة الفتح، ص١٢٥.

[٥]- تاريخ بخارى، ص٦٤.

[٦]- تاريخ بخارى، ص٥٨.

الغزاة ـ يقصد المسلمين ـ الخراب بكل المناطق التي مرُّوا بها حتى اقتلعوا الأشجار التي صادفتهم في الطريق" على أن هذه المعلومات لا تذكر في المصادر كالطبري وابن الأثير التي أسهبت في الحديث عن هذه المواضيع، إلا إشارة صغيرة عند البلاذري[١] يقول فيها: "وأقبل المسلمون يخربون" وعند ياقوت[٢] الذي يذكر قائلاً: "أقبل المسلمون يخربون ويحرقون فبعثت إليهم خاتون تطلب الصلح". ولاشك أن البلاذري وياقوتاً يعبران عن النظرة اللاموضوعية التي انتشرت في العصر العباسي عن التاريخ الأموي فكيف يقوم عبيد الله بهذه الأفعال وهو من أم تركية[٣] ومعروف بحبه للأتراك. بل إن الفتح لم يشهد معارك كبيرة، فقد عاد الأتراك من حيث أتوا عندما رأوا كثافة جيش عبيد الله الذي كان يبلغ أربعة وعشرين ألفاً[٤].

عندما عاد عبيد الله إلى مرو غزا خُرَاسان وفتحها وغنم غنائم كثيرة، واتخذ لنفسه عَبيداً من أولاد ملوك خُرَاسان، ثم رجع إلى معاوية بالأموال والغنائم[٥]، وفي عام ٥٥هـ/٦٧٥م عزل معاوية عامله على البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان لسوء إدارته وولى مكانه عبيد الله بن زياد حيث أقام بها سنتين على الرغم من صغر سِنِّه التي لم تتجاوز السادسة والعشرين، ربما لثقة معاوية بآل زياد، فاستخلف عبيد الله على خُرَاسان عامل الخراج أسلم بن زرعة الكلابي، الذي كان مقرباً من عبيد الله كما يبدو، غير أن أسلم لم يغز ولم يفتح شيئاً[٦].

فقد ذكر شاهد عيان: "ما رأيت أحداً أشدَّ بأساً من عُبيد الله بن زياد! لقينا زحفاً من الترك بـخُرَاسان، فرأيتُه يقاتل فيَحمِل عليهم فيَطعن فيهم ويغيب عنا، ثمَّ يرفع رايته تَقطُر دماً"[٧]. وقد توقفت الحملات العسكرية بعد نقل عبيد الله بن زياد إلى البصرة.

هـ– سعيد بن عثمان بن عفَّان ٥٦هـ/٦٧٦م:

في سنة ٥٦هـ/٦٧٦م عزل الخليفة معاوية عبيد الله بن زياد عن خُرَاسان وفصل خُرَاسان عن البصرة وولىَّ سعيداً بن عثمان بن عفان عليها. لاسيما أن أسلم بن زرعة لم يقم بأي حملة في خُرَاسان[١]، وكان

---

(١)– فتوح البلدان، ٥٧٧.

(٢)– معجم البلدان، ج١، ص٣٥٥.

(٣)– ابن قتيبة، المعارف، ص٣٤٧.

(٤)– البلاذري، فتوح، ص٥٧٧.

(٥)– ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣١٨.

(٦)– ابن خياط، تاريخ، ص٢٢٣. البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٨١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٩–٣٠٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٧٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٤٧. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٢٨١. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٥. فيصل، حركة الفتح الإسلامي، ص٢١٣.

(٧)– الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٨. خطاب، قادة الفتح، ص١٢٥.

على سعيد أن يعيد إخضاعها للدولة العربية الإسلامية فخاطبه الخليفة قائلاً: "اذهب فقد وليتك بلاد خُرَاسان، فسر إليها فعسى الله أن يفتحها على يديك"[٢]. وقد اصطحب سعيد معه حوالي أربعة آلاف رجل من أهل البصرة ومن مرو قاد حملة جديدة، فقطع النهر وكان قد خرج معه أوس بن ثعلبة التّميميّ، وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ، والمهلَّب بن أبي صُفْرَة، وربيعة بن عِسْل اليربوعي، وأخرج من بني تميم منهم مالكاً بن الرَّيب المازنيَّ[٣]. ووصل بخارى ويبدو أن خاتون قد ندمت على أدائها الجزية فنقضت الصلح الذي كانت قد أبرمته مع عبيد الله في سنة ٥٥هـ/٦٧٥م فعندما رأت الحشود سارعت إلى إعادة الصلح بالوقت الذي كانت فيه تطلب المساعدة في الخفاء من أهل الصُّغْد وأهل كش ونَسَف، فوصلوها في مائة وعشرين ألفاً، فالتقوا في بخارى، ولكن قسماً من الحشود المجتمعة لقتال سعيد انصرفوا قبل مباشرة القتال، فأثَّر انصرافهم على معنويات الآخرين، فلما رأت خاتون ذلك أعادت الصلح فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحاً[٤]. يوضح هذا الصلح أن العرب المسلمين قد حافظوا على الأنفس والأموال وصانوا الحريات ونشروا الأمن والاستقرار في بلاد ما وراء النهر [٥]، ثم توجه لفتح سمرقند التي لم يتمكن منها إلا بعد قتال كبير فعقد الصلح بعده على سبعمائة ألف درهم وأن يدخل المدينة مقابل أن يعطيه أهلها رهناً من أبناء عظمائهم خشية أن يغدروا به، وغزا في طريق عودته طخارستان وفتح ترمذ ثم قفل راجعاً إلى مرو[٦].

---

[١]- ابن قتيبة، الإمامة، ج١، ص٢١٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٤-٣٠٥. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٥٥-٣٥٦. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٣٠٥-٣٠٦. ابن بدران (عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الدُّومي الدمشقي الحنبلي ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): تهذيب ابن عساكر، طبعه: أحمد عبيد، المطبعة العربية، ط١، دمشق، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ج٦، ص١٥٦-١٥٧. خطاب، قادة الفتح، ص١٤٠-١٤١.

[٢]- ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٠٧.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٥-٣٠٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٠٨.

[٤]- قدامة، الخراج، ص٤٠٥.

[٥]- مرزوق، سهيلة مرعي: السياسة الزراعية في خراسان في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: جاسم صكبان علي، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٥٨-٦٠.

[٦]- الواقدي، فتوح الإسلام، ص٢٣٥. ابن خياط، تاريخه، ص٢٢٤. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٠٢. البلاذري، فتوح، ص٥٧٨-٥٧٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٨٢. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ٣١٠-٣١٤. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٦٤. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٥٦. خطاب، قادة الفتح، ص١٤١. الصلابي، الدولة الأموية، ج١، ص٣٨٥-٣٨٦. هنا نشير إلى أن هناك اختلافاً في عدد الرهائن فالطبري وابن الأثير يذكران "خمسين رهينة" والبلاذري يذكر أن العدد كان "خمسة عشر" ويضيف أنه يقال: أربعون ويقال ثمانون. ويذكر النرشخي، "أن خاتوناً أعطت ثمانين شخصاً من أمراء ودهاقين بخارى ممن ترغب في الخلاص منهم".

والظاهر أن سعيداً لم يكن على وفاق مع أسلم بن زرعة عامل الخراج، فامتنع عن تسليمه أموال الغنائم، ربما لأنه كان يطمح بها لنفسه، وطرد أسلم من خُرَاسان، وكان هذا الأخير يتمتع بدعم كبير من عبيد الله عامل البصرة، فدس الاثنان على سعيد، وأثارا معاوية ضده؛ مما جعل معاوية يعزله ويولي خُرَاسان لابن زياد ثانية، فكتب هذا عهدها لأسلم بن زرعة، الذي عاد إلى خُرَاسان ونازع سعيداً على الإمارة، واستطاع بعد مناوشة صغيرة أن يطرده منها، وحين رجع سعيد إلى معاوية واشتكى من تصرفات أسلم، لم تجد شكواه نفعاً، حيث إن معاوية كان مضطراً أمام ضغط القبائل القيسية لإبقاء أسلم في منصبه، ويذكر أن معاوية قد خاف سعيداً على خلعه، ولذلك عاجله بالعزل(١). ظل أسلم بن زرعة والياً على خُرَاسان لمدة سنتين، ولم يشهد عهده أي فتوح أو تحرك عسكري، وكان ذلك يعني نقص موارد خُرَاسان، فاضطر أسلم لابتزاز الأموال لسد هذا النقص(٢).

و- عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان (٥٩هـ/٦٧٩م):

اختار الخليفة معاوية عبد الرحمن بن زياد والياً على الإقليم وذلك في سنة ٥٩هـ/٦٧٩م، ولم يكن عبد الرحمن على شجاعة أخيه عبيد الله، فعلى الرغم من انتقاض خاتون الصلح المبرم لم يتوجه إليها ولم يفتح أو يُعِد فتح أرض طيلة سنتين كاملتين مكثهما في الإقليم، كان عبد الرحمن كريماً حريصاً ضعيفاً؛ وأثناء ولايته حدث تغيير سياسي في نظام الحكم، والقاضي بإسناد ولاية العهد ليزيد بن معاوية، ولم يكن الأمر ليمر بسلام؛ بل كان مؤشراً للانفجار المرتقب، وأثار موجة من السخط العام ولاسيما من أبناء الصحابة الذين رأوا أنهم أحق بالحكم من يزيد، ثم توفى معاوية ٦١هـ/٦٨١م واستلم الحكم ابنه يزيد فكان ذلك بداية للحرب الأهلية الثانية، والتي بدأت بخروج الحسين بن علي ﷺ إلى العراق، حيث كان أهل الكوفة قد وعدوه بالخروج معه ضد يزيد، لكن الحسين لم يصل إلى الكوفة وانتهت حياته مع أصحابه في كربلاء عام ٦١هـ/٦٨١م، وسرعان ما استغل عبد الله بن الزبير مقتل الحسين للتشنيع على يزيد والحكم الأموي، فامتنع عن مبايعة يزيد وبدأت الأمور تزداد تعقيداً، ويذكر الطبري أن عبد الرحمن بن زياد ترك خُرَاسان بعد مقتل الحسين ووافى يزيد في دمشق بعد أن استخلف قيس بن الهيثم(٣).

٢- الفتوحات في عهد الخليفة يَزيد بن مُعاوية وابنه الخليفة معاوية بن يزيد (٦٠-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٤م)

عندما توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان أعفى الخليفة يزيد عبد الرحمن بن زياد عن خُرَاسان وعيَّن عليها قيساً بن الهيثم الذي سلف أن وُلّيَ الولاية عدة مرات وذلك في سنة ٦٠هـ/٦٨٠م، لكن قيساً سرعان ما اختار الاعتزال وقد يكون سبب ذلك تقدمه في السن. وفي سنة ٦١هـ/٦٨١م وفد سَلْمُ بن زياد بن أبي

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٨١. اليعقوبي، البلدان، ص٦٣. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢)- المقدسي، البدء، ج٦، ص٤.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣١٦.

سفيان على الخليفة يزيد بن معاوية، فقال له يزيد: يا أبا حرب، أوليّك عمل أخوَيْك عبد الرحمن وعَبَّاد، فقال: ما أَحَبَّ أميرُ المؤمنين فولَّاه خُرَاسان وسِجِسْتَان، فوجَّه سَلْم الحارث بن معاوية الحارثيّ ليسبقه إلى خُرَاسان، وخرجَ إلى البصرة ونادى أهلها للخروج معه، ويبدو أن الاضطرابات التي شهدتها البلاد آنذاك شجعت أهل البصرة على الخروج، والظاهر أن خروج أهل البصرة مع سلم لاقى معارضة شديدة من قبل عبيد الله بن زياد، الذي حاول منعهم من ذلك لكن معارضته لم تجد نفعاً، لأن سلم كان يريد خُرَاسان وقد خرج معه بضعة آلاف من البصرة، فوجه سلم أخاه يزيد إلى سجستان ليتولى أمورها(١). ففي عام ٦٢هـ/٦٨٢م قاد سلم حملة جديدة انطلاقاً من مرو إلى ما وراء النهر، ووجه المهلب بن أبي صفرة في عدة آلاف إلى خُوارزم، حيث التقى هناك بجمع من الملوك فصالحهم على أربعمائة ألف ألف درهم، ثم أعاد فتح سمرقند صلحاً، وبعث جيشاً إلى خُجَنْدَة فهزم ولم يستطع فتحها(٢) ، فقال فيهم أعشى همدان:

لَيْتَ خَيْلي يَوْمَ الخُجَنْدَةِ لَمْ تُهْزَمِ ... وغُودِرْتُ في المُكَّرِ سَلِيبا
تَحْضُرُ الطَّيْرُ مَصْرَعِي وتَرَوَّحْتُ ... إلى اللهِ بالدماءِ خَضِيبا(٣)

أما سلم فقد توجه إلى بخارى، فقطع النهر حيث كانت خاتون قد تهيأت له بطلب المساعدة من جيرانها ملك الصُّغْد وأتراك الشمال، لكن سَلَم تغلب عليهم فسارعت لعقد الصلح وهزم بيكون (بندون) ملك الصُّغْد وكان ذلك في ٦٣هـ/٦٨٣م(٤).

لقد خَطا سَلَم بن زياد خطوة جديدة في فتوحاته جديرة بالاهتمام، ذلك أن ولاة خُرَاسان قبله كانوا يَغْزُون في الصيف وعند حلول الشتاء يعودون إلى مراكزهم في مَرْو الشاهجان؛ مما كان يعطي فرصة للأتراك لتجميع أنفسهم والتمرد من جديد، لكن سَلَم قرَّر أن يقهر الطبيعة المخيفة بأن واصل غزوه في فصل الشتاء القارص وأقام في سمرقند قبل أن يتوجه إلى بخارى، وجعله مقامُهُ الطويل يقترب من ملك المدينة؛ بل إن زوجته أمَّ محمَّد بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفيّ التي كانت قد رافقته في غزواته، وعُدَّت أوَّل امرأة عربية قطعت النهر أصبحت صديقة لزوجة الملك التي أهدتها هدايا من ذهب؛ بل إن

(١)– البلاذري، ص٥٨١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٣٤٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٦٠. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٥٩٨. خطاب، قادة الفتح، ص١٤٨.

(٢)– البلاذري، فتوح، ص٥٨١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٠٠. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٣. ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٣٧. مؤلف مجهول (من القرن ٥هـ/١١م): تاريخ سجستان، تر: محمود عبد الكريم علي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٠. الخليلي، موسوعة، ص٧٧. Gibb, The Arab, p.23.

(٣)– ديوان أعشى همدان وأخباره، تح: حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٥. قدامة، الخراج، ص٤٠٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦١. خصاونة، القبائل، ص٢٥.

(٤)– البلاذري، فتوح، ص٥٨٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٠٠–٣٠١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٤٥–٤٤٦. النرشخي، تاريخ بخارى، ٦٥–٦٧. فامبري، تاريخ بخارى، ص٥٧–٥٨.

علاقة سَلَم وزوجته بالصُّغْد كانت أوثق من ذلك حيث إن أم محمد أنجبت ولدا في مقامها وسمتَّه صغدياً تعبيراً عن محبتها لهم[(١)].

بعد النجاح الذي حققه سَلَم في غزواته عاد إلى مرو الذي استغرقت فيما يبدو سنة كاملة، وأحسن إدارة خُرَاسان إلى حدٍّ بعيد، ومكث فيها إلى أن تُوفي الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٤م، فبويع بعده ابنه معاوية بن يزيد فلم يمكث إلا ثلاثة أشهر حتى هلك، وقيل: بل ملك أربعين يوماً ثم مات[(٢)]. فعلى الرغم من الفوضى والاضطرابات التي شهدتها البلاد الإسلامية، فقد بدت خُرَاسان والجبهة الشرقية عموماً هادئة طيلة هذه السنوات، فلم تشهد أية أعمال عنف أو تفكك أو اقتتال، حتى كان موت يزيد فتبدلت الأمور بسرعة ووجدت الاضطرابات السياسية صدى لها في المشرق، فقد لخص أحد الشعراء الموقف بقوله:

إنِّي أرى فِتْنَةً تَغْلي جراحها والمُلك بعد أبي لَيْلَى لمن غالبا[(٣)]

٣- الفتوحات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م)

لم تسمح الاضطرابات المتلاحقة التي اجتاحت النصف الشرقي من الدولة الإسلامية للمسلمين بالتوسع في فتوحاتهم، وكانت السياسة الخارجية التوسعية على هذه الجبهة هي آخر اهتمامات عبد الملك لانصرافه إلى معالجة القضايا الداخلية، فكان الجمود هو الطابع العام لسياسة الفتح في ذلك الوقت، لكن قوة الدولة سمحت للمسلمين بتحقيق بعض الفتوحات التي لم تكن كبيرة في هذه المرحلة.

أ- بُكَير بن وشَاح التميميّ ٧٢-٧٤هـ/٦٩١-٦٩٣م:

عندما قتل عبد الله بن خازم عادت خُرَاسان إلى طاعة بني أمية مرة أخرى، بعد أن خرجت عنها من سنة ٦٥هـ/٦٨٥م إلى سنة ٧٢هـ/٦٩٢م وأصبح بُكير بن وشاح والياً على الإقليم من قِبل الخليفة عبد الملك بن مروان إلا أنه لم يُحَّسِن إداراته، فعزله الخليفة نزولاً عن رغبة أهل خُرَاسان، واختار بدلاً منه أحد أقاربه وهو أُميَّة بن عبد الله سنة ٧٤هـ/٦٩٣م فقال عبد الملك بن مروان: خُرَاسان ثَغْر المشرق، وقد كان بها من الشر ما كان، لذلك عزله الخليفة[(٤)].

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٨١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٢-٤٧٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٤٦. شعبان، الثورة العباسية، ص١٩٤. التلاوي، دور المهالبة، ص٤٣-٤٥.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٩. ابن الأثير. الكامل، ج٣، ص٤٦٤. الذهبي: العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بن بسيوني زعلول، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج١، ص٥١.

(٣)- المقدسي، البدء، ج٦، ص١٧. المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢. سيتم الحديث عن هذه الفتنة لاحقاً.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٦، ٢٠٠. قدامة، الخراج، ص٤٠٦-٤٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٠، ١٣٣. خطاب، قادة الفتح، ص١٧٠.

ب- أُمَيَّة بنَ عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أسيد القرشيّ(٧٤-٧٨هـ/٦٩٣-٦٩٧م):

ولى عبد الملك أمية خُرَاسان وسجستان معاً وذلك في سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، فأحسن إدارة الإقليم ونال رضى كل أهل البلاد الذين أصبحوا يقولون عنه: "ما رأينا أحداً عُوِّض من هزيمة ما عُوِّض أمية"[١].

خرج أمية من طخارستان للغزو في بلاد ما وراء النهر، واصطحب معه بكيراً بن وشاح الذي كان قد ولاه ما وراء النهر، وكان قبل ذلك قد ولاه طخارستان، فتجهز أمية لغزو بخارى فلما قطع النهر طلب من بكير أن يعود إلى مرو ليضبطها، فرجع بكير إلى مرو وسجن ابن أمية ودعا الناس إلى خلعه فأجابوه، وعندما علم أمية بذلك صالح أهل بخارى وعاد إلى مرو، فحاصرها أربعة أشهر، وتمكن في النهاية من قتل بكير بن وشاح[٢].

كما غزا أمية مدينة الخُتَّل بعدما نقضوا عهد الصلح الذي صالحهم عليه مسبقاً سعيد بن عثمان، إلا أنه لم ينجح في فتحها وكاد الجيش الإسلامي أن يهلك[٣]، وهكذا لم يستطع أمية استثمار ما بذله من جهود في إعادة الأمن والأمان فعاش يكافح ما خلفته عشر سنوات عجاف من فوضى واضطراب في خُرَاسان، فلما أعادها قاعدة أمامية للفتح كما كانت عليه قبل الفتنة، نُقل من ولايتها مخلفاً ثمرات جهوده إلى غيره، كما كان أمية مبذراً أحبَّ الراحة والرفاهية وترك الغزو ولم يغزُ أحداً، وأضرَّ بأهل خُرَاسان. لكل هذه الأسباب فقد عزل الخليفة عبد الملك أميَّة عن ولاية خُرَاسان سنة ٧٨هـ/٦٩٧م وضم إقليم خُرَاسان وسجستان إلى أعمال الحجَّاج بن يوسف الثقفي[٤].

ج- الحجَّاج بن يوسف الثقفي (٧٨هـ/٦٩٧م):

في سنة ٧٨هـ/٦٩٧م أقصى الخليفة عبد الملك بن مروان أميَّة عن خُرَاسان وسِجستان، وضمَّها إلى أعمال الحجَّاج بن يوسف ففرَّق عمَّاله فيهما، وبذلك جمع الخليفة عبد الملك سلطانه في العراق والمشرق للحجاج[٥]. فقد كان الحجاج من أشد الولاة، واستطاع بالفعل أن يقر الأوضاع في العراق، واستثمر هذا في صرف الهمم إلى الفتوحات، فبلغت فتوحات الجبهة الشرقية سواء في السند أو بلاد ما وراء النهر

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٠٠. مسكويه، تجارب، ج٢، ص١٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٣٣-١٣٤. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٣١. الريس، عبد الملك موحد الدولة، دار الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص٢٦٦.

[٢]- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١١-٣١٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٤٩-٣٥٠. مسكويه، تجارب، ج٢، ص١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٨٥-١٨٧. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٣٨-١٤٠.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١١-٣١٣. قدامة، الخراج، ص٤٠٧.

[٤]- ابن خياط، تاريخ، ص٢٩٧، ٢١١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٩. ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص٣٥١. خطاب، قادة الفتح، ص١٧٠-١٧٢.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٨٨.

أوجها أيام الحجاج، وبلغ الإسلام مناطق لم تطأها أقدام المسلمين قبلاً، ثم اهتم اهتماماً قوياً بتأسيس جيش قوي يكون ولاؤه الأول والأخير للخليفة الأموي؛ ليكون عدته في تنفيذ مشاريعه الحربية، ولقد جعل قوام هذا الجيش الأساسي من جند الشام الموالين له شخصياً، وكذلك عمد إلى انتقاء مجموعة من خيرة القادة العسكريين لقيادته[١]. ومن أهم الولاة والعمَّال الذين ولَّاهم الحجَّاج خُرَاسان وسجستان:

١ـ المُهَلَّب بن أبي صُفْرَةَ الأَزْديّ ٧٩هـ/٦٩٨م:

كان الحجاج قد اختار المهلب بن أبي صفرة والياً على خُرَاسان بناءاً على توصية الخليفة عبد الملك الذي كان له دوراً بارزاً في عمليات الفتوح في عهده، فقد قام بالكثير من الفتوحات في هذه البلاد، واعترافاً له بالانتصارات التي حققها على الأزارقة[٢]. نزل المهلب العاصمة مرو، ثم أخذ يعيد الهدوء والأمن والنظام إلى البلاد ولأول مرة بعد أربع عشرة سنة، ثم توجه إلى فتح العديد من المدن التي نقضت العهد وتمردت ثانية، فتوجه لغزو الصُّغْد وعبر نهر جيحون على رأس جيش تعداده ثمانية آلاف رجل، وسار حتى نزل مدينة كِشْ سنة ٨٠هـ/٦٩٩م وأقام بها سنتين وجعلها مقراً له يوجه منها الجيوش للفتح، حيث كان في مقدمة المهلب حين نزل على كش أبو الأدهم زياد بن عمر الزِّمانيّ في ثلاثة آلاف وهو في خمسة آلاف، فأخذ ينتظر الفرصة السانحة لمحاربتهم وذلك إيثاراً منه لسلامة من معه من المسلمين، وجاءت الفرصة حينما حدث شقّ بين ملك الختَّل "السَّبَل" وأسرته، جعل ابن عم ملك الختل يتوجَّه إلى ابن المهلب ويتعاون معه ويدعوه إلى غزو الختل، فبعث المهلب ابنه يزيد لحصار مقر الملك المسمى "بقلعة السَّبُل"، فحاصرها من كل ناحية فأسرع الملك لطلب الصلح على فدية يؤديها إليه على أن يرجع عنهم[٣]، ثم أرسل المهلب ابنه الآخر حبيب إلى "رَبَنْجَن" عام ٨٠هـ/٦٩٩م ففتحها ووافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً وأعاد فتحها أيضاً، فنزل جماعة من العدوّ قريةً، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف فقتلهم وأحرق القرية فسميت المحترقة[٤] ورجع حبيب إلى أبيه منتصراً[١]، فقيل له: لو تقدَّمت إلى الصغد وما

---

[١]- مصطفى، نادية محمود: الدولة الأموية –دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٥. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص١٥.

Hodgson, The venture of Islam, vol 1, P.223.

[٢]- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٨٨. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٤٦. محمود، زيادة: الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٩٣.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٠. البلدان، ص٦٤-٦٥. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٩٢. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٦٢. عبد الحكيم، منصور: الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٣٥٣.

[٤]- يقال إن الذي أحرقها جبلة غلام حبيب. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢٦.

وراء ذلك، فقال: ليتَ حَظِّي من هذه الغَزْوة سلامة هذا الجُنْد، حتى يرجعوا إلى مَرْو سالمين، ويبدو أن المهلب كان في نيته مواصلة الفتوحات إلا أنه اضطر إلى العودة إلى "مرو" عندما سمع خبر وفاة ابنه الثالث "المغيرة" في رجب سنة ٨٢هـ/٧٠١م الذي كان قد خلّفه وراءه لإدارة شؤون الإقليم فرثاه زياد بقصيدة يقول فيها:

إنَّ السَّماحة والشّجاعة ضُمِّنا قَبْراً بمرو على الطريق الواضح[٢]

فلما علم أخوه يزيد بن المهلب بذلك أراد أن يعلم أباه الخبر، وكان في كش، فأمر النساء فصرَخْنَ، فقال المهلَّب: ما هذا؟ فقيل: مات المغيرة؛ فجزع جزعاً شديداً فلامه بعض خاصته؛ فوجّه ابنه إلى مرو وأوصاه بما يعمل وكتب الحجاج إلى المهلب يعزِّيه في ابنه المغيرة[٣]. ويظهر أن هذا الحادث قد نال في نفس المهلب حتى أيقن بأنه ليس من أمل في أية محاولة لفتح هذه البلاد، ومن ثم تصالح مع أهل كش وعدل عن غزواته، لكنه ما إن وصل مَرْو الرُّوذ حتى وافته المنية في زاغول بالشّوْصة، وقيل بالشَّوكة، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٨٢هـ/٧٠١م حيث بقي أميراً على خُرَاسان إلى أن توفي، فقال نهار بن توسعة التميمي يرثيه:

ألا ذَهبَ المعروفُ والعزُّ والغِنى ومات النَّدَى والجُودُ بعد المُهلَّبِ
أقَامَ بمروِ الرُّوذِ رَهنَ ضريحِهِ وقد غُيِّبَا عن كُلِّ شرقٍ ومغربِ
إذا قيلَ أيُّ النَّاس أولى بنعمةٍ على النَّاسِ؟ قلنا هو ولم نَتَهَيَّبِ[٤]

ومما يذكر أنه أحضر أولاده وأوصاهم بالاتحاد وعدم التفرق وبتَقوى الله وصلةِ الرَّحِمِ، ونهاهم عن القطيعة، قائلاً: فإن القطيعة تُعْقِب النار، وتورث الذلَّة والقِلَّة، فتحابّوا وتواصَلوا، وأجمعوا أمركم[٥].

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٩٢. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص١٨٦. الصلابي، الدولة الأموية، ج٢، ص٣٧. الناطور، شحادة: تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٩هـ/٦٨٥م- ٨٦هـ/٧٠٥م، دار الكندي للنشر، الأردن، د.ت، ص١٦٧.

[٢]- ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٣٥٤.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٥٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٦. .Gibb, The Arab, p25

[٤]- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٥٢-٣٥٥. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٣٢٣. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٥٨. الخليلي، موسوعة، ص٧٩. خطاب، قادة فتح السند، ص١٩١. سلطان، عبد المنعم عبد الحميد: آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٧١-٧٢. .Gibb, The Arab, P25

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٥٤. الصلابي، خلافة عبد الملك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٢٢-١٢٣. الريس، عبد الملك، ص٢٦٧.

لقد كانت ولاية المهلب نعمة على الخراسانيين فقد فرح الخُرَاسانيون بولاية المهلَّب فرحاً شديداً، لما حازوه من شرف الجهاد في سبيل الله، وما حصلوا عليه من غنائم فقد بقي أميراً عليها حتى وفاته(١). وكان يقال: ساد الأحنف بحلمه، ومالك بن مسمع بمحبته للعشيرة، وقتيبة بدهائه، وساد المهلب بهذه الخلال كلها(٢).

٢- يزيد بن المهلَّب ٨٣هـ/٧٠١م:

بعد وفاة المهلَّب كتب ابنه يزيد بن المهلَّب الخبر للحجَّاج الذي بعث يُقِرّه على الإقليم في مكان أبيه، فغزا مغازي كثيرة، وفتح البُتَّم على يد مُخَلَّد بن يزيد بن المهلب(٣)، وقلعة نِيْزك ببَاذَغِيْس سنة ٨٤هـ/٧٠٣م التي كان ينزلها نيزك فقد انتقض الملك "نيزك" صاحب قلعة باذغيس في خُرَاسان، فتوجه إليه الوالي الجديد وظل يراقب حتى خرج الملك منها فخلفه عليها، وعندما رجع طلب الصلح فصالحه على الخزائن التي تحتويها القلعة، وعلى أن يَرتحِل بعِياله بعيداً لعلمه أنه كان يعبد القلعة ويعظمها ويسجد لها يومياً، وكتب يزيد إلى الحجاج بالفتح وكان كاتبه يحيى بن يَعمر العَدْوانيّ ونص كتابه: إنا لَقِينا العدوّ فمنحنا الله أكتافهم، فقتلْنا طائفةً، وأسرْنا طائفة، ولحقت طائفة برؤوس الجبال(٤).

بعد أن انتهى يزيد من إعادة الأمن في داخل إقليم خُرَاسان، توجه إلى "خوارزم"(٥) الذي تمكن منها، لكن الحجاج فَضَّل عزله بعد موافقة الخليفة عبد الملك بن مروان رغم هذه النجاحات وذلك لعصيان لاحظه فيه، فلم تكن علاقة يزيد بالحجاج طيبة لعدم تنفيذ أوامر الحجاج، وسوء سياسته المالية إذ كان يزيد مسرفاً في الأموال؛ فضلاً عن ازدياد نفوذ آل المهلب في خُرَاسان. كل هذه الأسباب أدت إلى عزله عن ولاية خُرَاسان فكتب الحجاج إلى يزيد بن المهلَّب في سنة ٨٥هـ/٧٠٣م أن يستخلف أخاهُ "المُفضَّل" ويقدم إليه، فأخذ يتجهز فأبطأ بالمسير فكتب الحجاج إلى المفضّل: إني قد وليّتُك خُرَاسان، فأخذ المفضل يحثّ يزيد على المسير، فقال له يزيد: إنّ الحجَّاج لا يُقرّك بعدي؛ وإنما دعاه إلى ما صَنَع مخافة أن

---

(١)- ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص٥٤.

(٢)- ابن نباتة (جمال الدين ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤، ص١٠٢. خطاب، قادة فتح السند، ص١٩٢.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٥٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٨. السهمي (أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم ت٤٢٧هـ/١٠٣٦م): تاريخ جرجان أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان، مطبعة دائرة المعارف، ط١، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص٧٥.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٨٦-٣٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٢٤-٢٢٥. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٦٣. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص١٨٦. خطاب، قادة الفتح، ص٢٣٢-٢٣٤.

(٥)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٢٨.

أمتَنِعَ عليه وستعلم[١]، فقد كان يزيد ذا جاه وذا كرم، وله مكانة وحشمة، وقد خشي الحجاج مكانه بعد أن رأى رسوخ قدمه في خُرَاسان فنحَّاه، وزجَّ به وبإخوته في السجن بواسط حتى أتيح لهم أن يهربوا من السجن ويستجيروا بسليمان بن عبد الملك في خلافة الوليد وهو في فلسطين[٢]. فقد أقصى الحجاج جميع المهالبة عن خُرَاسان، وسجنهم، وأهانهم لأنهم كانوا خصومه السياسيين، الذين ينازعونه على السلطة، والذين يَتعصَّبون للأزد، ويُضيّقون على قيس وبهذا يكون دور آل المهلب في عمليات الفتوح قد توقف[٣]. وفي هذه الأثناء تمرد "نيزك" من جديد بعدما تمكّن من العودة إلى قلعته فتوجه إليه المُفضّل الذي سرعان ما تغلب عليه وأعاد فتح القلعة وأصاب مغنماً فقسمه بين الناس وأصاب كلّ رجل منهم ثمانمائة درهم، وبهذا دانت له خُرَاسان كُلها، فتطلع إلى ما وراء النهر، وتمكن من فتح منطقة آخْرون وشُومان لأول مرَّة[٤]، ولكن هذه الغزوات لم تكن للفتح والاستقرار، وإنما لإضعاف معنويات الخصم ودراسة أرض المعركة للمستقبل، ولعلَّ استطاعة المفضل استعادة هاتين المنطقتين الواسعتين في خُرَاسان وما وراء النهر بسرعة خير دليل على قابليته القيادية الفذة، لكن الحجاج بعث له بالعزل بعد أن قضى تسعة أشهر فقط والياً على الإقليم، وعين بدلاً عنه قتيبة بن مسلم الباهلي وذلك في سنة ٨٦هـ/٧٠٥م[٥]، وهو القائد الكبير الذي سيتم على يده فتح بلاد ما وراء النهر حتى حدود الصين في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك.

٤- الفتوحات في عهد الوليد بن عبد الملك(٨٦–٩٦هـ/ ٧٠٥–٧١٥م)

لما مات عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ/٧٠٥م خلفه ابنه الوليد، وقد ظل في الخلافة عشر سنين، وكان عهده عهد فتح ويسر ورخاء، فاتسعت في أيَّامه رقعة الدولة الأموية شرقاً وغرباً، فقد تخلصت من متاعبها الداخلية، وكان عهده أجلَّ عهود بني أمية وهو يماثل عهد الفاروق، فقد استأنف الفتوحات في أرجاء العالم، وقد اشتهر في عهده ثلاثة من القواد كان لهم أثر عظيم في هذه الفتوح هم: قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفي، وموسى بن نصير. ومن أهم هؤلاء على الجبهة الشرقية قتيبة بن مسلم، فكانت خُرَاسان قد مرت بأدوار من الاستقرار أيام المهلب وابنه يزيد، لكن الحجاج لم يكن

---

[١]– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٩٣–٣٩٥. المقدسي، البدء، ج٦، ص٣٧. مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٢٤٦–٢٤٧. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٦٠–١٦١. سلطان، آل المهلب، ص٧٧–٨٠.

[٢]– الخليلي، موسوعة العتبات، ص٧٩.

[٣]– اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. عطوان، الشعر، ص٢٥.

[٤]– البلاذري، فتوح، ص٥٨٧. اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٩٧. قدامة، الخراج، ص٤٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٢٩. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص١٦٤. Gibb, The Arab, p25

[٥]– تذكر المصادر روايتين في سنة تولية قتيبة خُرَاسان. الأولى أن الحجاج ولى قتيبة خُرَاسان سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. والثانية تذكر أن قتيبة قَدِم خُرَاسان والياً عليها سنة ٨٦هـ/٧٠٥م. البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤١.

ليرضى على آل المهلب رغم مصاهرته لهم، إذ كان بينه وبينهم منافسة شديدة، فأوغر صدر عبد الملك عليهم، خصوصاً وقد ظهرت في أيام يزيد بن المهلب ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وكانت عنيفة خطيرة وبسبب تأييدهم للزبيرية، وما زال الحجاج في سعيه حتى استجاب له عبد الملك فاختار قتيبة بن مسلم ووافقه عبد الملك على هذا الاختيار ليكون والياً على خُرَاسان وفارس وقائداً يضطلع بمهمة الفتح(١). هذا وتبدأ مرحلة جديدة بتعيين قُتَيْبَة بن مُسلِم سنة٨٦هـ/٧٠٥م عاملاً على خُرَاسان وبلاد المشرق من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي، إذ وصلت الفتوحات في عهده إلى أقصى اتساع لها شرقاً؛ مما ساعد على ذلك توطين العرب فيما وراء النهر.

قتيبة بن مسلم الباهلي ٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م:

ولما قدم قتيبة إلى خُرَاسان والياً عليها كان وضع المسلمين آنذاك غير ثابت في تلك المناطق النائية والبعيدة عن مقر السلطة، كما أن الإسلام يكاد يكون محصوراً في بعض المناطق التابعة لخُرَاسان وعلى الأخص فيما وراء النهر إضافة إلى عصيان الترك المتكرر، وما إن دخل قتيبة مرو حتى خاطب الناس يحثّهم على الجهاد، وانضم إليه الكثير من أهل البلاد، وكان لهذا الخطاب أبلغ الأثر في حماس جنوده للقتال في سبيل الله لنشر دين الإسلام، وقد نجح قتيبة في توحيد صفوف العرب تحت راية الجهاد، كما عمل على كسب ثقة الخُرَاسانيين وودهم، فقربهم وعهد إليهم الوظائف(٢). وأخذ يستعد لغزو إقليم ما وراء النهر وتهيّأ لإعادة فتح "آخَرون وشُومان" اللتين نقضتا الصلح بمجرد خروج المفضل منها، فنظّم الجيش وخرج من مرو وقد خلف فيها حامية بقيادة إياس بن عبد الله بن عمرو، وعين على خراجها عثمان بن السعديّ وانطلق إلى غزواته، لكنه كان عليه أن يبدأها في داخل إقليم خُرَاسان وعندما وصل إلى نهر جيحون توقف في بلخ وكان سبب توقفه عندها بسبب انتفاض بعض توابعها على المسلمين، منها باذغيس التي تمكّن فيها نَيْزَك من جمع قواته وأسر مجموعة من المسلمين الذين ظلوا فيها، فكتب إليه قتيبة يطلب منه إطلاق سراحهم ويهدّده في كتابه فخافه نيزك، فأطلق الأسرى ثم بعث إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح والأمان، ولما أبدى دهشته خَوَّفه مبعوث قتيبة المدعو سليمان الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكرة يدعوه إلى الصلح وإلى أن يؤمنه، بقوله: "يا أبا الهَيَّاج (يقصد نيزك)، إنّ هذا الرجل شديد في سلطانه، سَهْل إذا سُوهِل، صَعْب إذا عُوسِرَ، فلا يمنْعك منه غِلظة كتابِه إليك، فما أحسنَ حالَكَ عنده وعند جميع مُضَر! فقَدِم نيزك مع سُلَيم على قُتيبة، فصالَحه أهلُ باذغيس في سنة سبع وثمانين على ألَّا يَدخل

---

(١)– حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٤٥. قطب محمد علي: أبطال الفتح الإسلامي، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٢٨٢. التلاوي، دور المهالبة، ص١٨٢-١٨٩.

(٢)– الصلابي، الدولة الأموية، ج٢، ص٤١. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٩٥. خطاب، قادة الفتح، ص٣٨٥. إبراهيم، فتوح، ص١٦٠.

باذغيس، فتم الصلح ورد عليهم السبي، وقد انضم إليه فريق من كبرائهم وانتظموا في صفوفه متطوعين راضين غير مكرهين[(١)].

ليس من اليسير تتبع خطوات قتيبة خطوة خطوة في فتوحاته التي استمرت حوالي عشر سنين ٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م والتي فتح فيها ما وراء النهر ثم عبر نهر سيحون وفتح أقاليم خلفه، حتى وصل كاشغر متاخماً بذلك حدود الصين، ولذلك نكتفي بالوقوف عند المراحل الكبرى في هذه الفتوحات، وهي:

المرحلة الأولى من سنة ٨٦-٨٧هـ/٧٠٥-٧٠٦م: وهي المرحلة التي أخضع فيها إقليم طخارستان، ويبدو أن هذا الإقليم لم تستقر أوضاعه طوال هذه السنين منذ فتحه الأول على يد الأحنف بن قيس في خلافة عثمان؛ مما اضطر قتيبة إلى فتحه من جديد قبل أن يمضي إلى فتوحاته في بلاد ما وراء النهر؛ لأن فتح ما وراء النهر لم يكن ممكناً بدون بسط سيطرة المسلمين على طخارستان، حيث كان لقتيبة كما عرف عنه من شجاعة وإقدام وقدرات عسكرية وحسن إدارته للجيوش العربية دوراً بارزاً في استعادة طخارستان جنوب شرق خُرَاسان التي كانت قد نقضت الصلح لكن قتيبة صالحها من جديد ، ولما ارتاد الطريق الممتد بين طخارستان وبلخ وبلغ الطالقان، تلقاه دهاقنتها وبعض عظمائها بالهدايا معلنين ولاءهم له وانضموا إلى جيشه وقطعوا معه النهر. ومما سلف يظهر مدى ذكاء قتيبة بن مسلم الذي اختار أسلوب السلم والمصالحة بديلاً عن الحرب في داخل إقليم خُرَاسان، مستخدماً لهجة تنطوي على الغلظة والقسوة، وذلك حتى يُبقي قوة وجهود جيشه لفتح ما وراء النهر وحده[(٢)]. فلقد برهن قتيبة على أنه لم يكن قائداً عسكرياً فذّاً فقط؛ وإنما رجل إدارة وتنظيم، كما برهن على أنه كان يعرف كل شيء عن أحوال إقليم خُرَاسان قبل أن يصل إليه، فقد كانت رياح الخلافات والعصبيات العربية قد هبت عليها من جراء التنافس على الولاية، حيث ترك مقتل عبد الله بن خازم أثره هناك، كما أن تنحية آل المهلب عن مركز الصدارة في خُرَاسان وهم أزد يمنيون لهم عصبية كبيرة لا بد أن تكون لها عواقب، فكان على قتيبة أن يقضي على هذه العوائق وأن يُنسي العرب خلافاتهم[(٣)].

كذلك استطاع قتيبة أن يثبت السيادة العربية في حوض نهر جيحون وأن يمدها إلى السند، وتشير الروايات إلى العديد من الفتوحات التي تحققت خلال ولايته، فما إن قطع النهر ورآه مَلِك الصَّغانيان تيش الأعور حتى تقدم خائفاً مقدماً الهدايا ومفاتيح من ذهب رمزاً على الصداقة والتعاون، داعياً الوالي لدخول

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٤-٤٢٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤١-٢٤٤. قطب، أبطال الفتح، ص٢٨٤. العسلي، قادة فتح بلاد الشام والعراق، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٥١٧.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٧٣. عماش، صالح مهدي: قتيبة بن مسلم الباهلي وحركات جيش المشرق الشمالي فيما وراء النهر، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ١٩٧٨م، ص٩٥. شكري، حركة الفتح، ص٢١٠.

(٣)- عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص٢٩٤.

بلاده[(١)]، فدخلها قتيبة دون أي حرب وصالحه ملكها، ثم توجه إلى آخرون وشومان من طخارستان لكن ملكها غَشْتَاسْبَان أسرع للقائه في الطريق وطلب منه الصلح على فِدْية قَبِلها الوالي الذي قرر الرجوع إلى مرو بعد هذا النجاح تاركاً أخاه "صالحاً بن مسلم" على ما وراء النهر الذي استطاع فتح كاشان، وأورشت، وأخشيكت من فرغانة. وعندما بلغ الحجاج ذلك كتب إلى قتيبة يلومه: "إن غزوت فكن في مقدم الناس، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم وساقتهم". وجاء أيضاً إلى قتيبة ملك مدينة كفيان بنحو ما جاء به مالك الصغانيان وسلم إليه بلده. وذكر الطبري أن صالحاً بن مسلم افتتح باسارا أيضاً وكان معه نصر بن سيَّار فأبلى يومئذ، فوهَب له قريةً تُدْعَى تنجانة، ثم قَدِم صالح على قتيبة فاستعمله على التّرمذ وبهذا الفتح الكبير استهل قتيبة ولايته على خُرَاسان[(٢)]. وأمضى قتيبة عام ٨٦هـ/٧٠٥م في تنفيذ هذه العمليات التي كانت بمثابة استطلاع ميداني للموقف أكثر منها عمليات قتالية.

المرحلة الثانية: ٨٧-٩٠هـ/٧٠٦-٧٠٨م: هي المرحلة التي فتح فيها قتيبة إقليم بخارى، فبعد أن دانت خُرَاسان وبلاد ما وراء النهر كلها إلى قتيبة وانضم إليه الملك "نيزك طرخان" بجيشه ليساعده في فتوحاته، وبعد أن أمن شر نيزك، ومع مطلع ربيع عام ٨٧هـ/٧٠٦م سار من مَرْو إلى مَرْو الرُّوذ، ثمَّ إلى زمّ، ومنها إلى آمل واجتاز نهر جيحون غايته "بِيْكَنْد" [(٣)]، ولم يكد يتقدم إليها حتى استعان أهلها بالصُّغْد، فأتوهم في جمع كبير، فتمكنوا من حصاره قرب المدينة، وقطعوا عنه الطرق والمنافذ، فانقطعت أخباره كلياً عن الحجَّاج الذي أشفق عليه وعلى جيشه كثيراً، وأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد، وكتب بذلك إلى الأمصار وهم يقتتلون في كلّ يوم، وظل الحال نفسه شهوراً حتى تمكن أحد الجنود من إحداث ثغر في جدار سور المدينة، فتمكن المسلمون من دخول المدينة بالقوة وقتل من بها من الجند، وفرض الصلح عليها وأمر عليهم ورقاء بن نصر الباهلي، لكن أهل "بيكند" سرعان ما نقضوا الصلح بمجرد خروج قتيبة منها، وقتلوا عاملها العربي ومجموعة من أصحابه ومثلوا بهم أبشع تمثيل، فعاد قتيبة إليها من جديد وقد تحصنوا وحاربهم بالسيف، واستباح المدينة الناقضة للعهد وضيّق عليهم الخناق وهدم سورها، وقتل

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. الخضري، الدولة الأموية، ص٣٢١. وقيل إن قتيبة أقام السنة ولم يَقطع النهر على بَلْخ لأن بعضها كان منتقِضاً عليه فحاربهم، وكان ممن سَبَى امرأة بَرْمك أبي خالد بن بَرْمك وصارت لعبد الله بن مسلم أخي قتيبة، ثمَّ إنَّ أهلَ بلخ صالحوه وأمر قتيبة برد السَّبي. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٤-٤٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤١.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٤-٤٢٥. قدامة، الخراج، ص٤٠٧. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٧٣. عماش، قتيبة، ص٦٩. زناتي، موسوعة تاريخ العالم، ج٢، ص١٤٩. العسلي، قادة فتح بلاد الشام، ص٥١٨. الصلابي، الدولة الأموية، ج٢، ص٤١. دحلان، الفتوحات، ج١، ص١٨١.

(٣)- هناك رواية للطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٣٠: أن قتيبة توجه إلى آمل ثم إلى زم، وهو أمر بعيد الاحتمال نظراً لاختلاف محور التحرك، لاسيما وأن آملاً تقع جنوب بيكند مباشرة.

المحاربة حتى فتح المدينة عنوة وذلك في سنة ٨٧هـ/٧٠٦م، وأصابوا فيها من الغنائم والسلاح، وآنية الذهب والفضَّة مالا يحصى كثره، وصار في أيدي المسلمين شيء لم يُصيبوا مِثلَه في خُرَاسان كلها، ورجع قتيبة إلى مرو التي اتخذها قاعدة، وقَوِيَ المسلمون، فاشتَروا السلاح والخيلَ، وجُلبتْ إليهم الدَّواب، وغالوا بالسلاح حتى بلغ ثمن الرمح سبعين ديناراً، وكان في الخزائن سِلاحٌ وآلة حرب كثيرة، فكتب قتيبة إلى الحجَّاج يستأذنه في توزيع ذلك السلاح على الجُنْد، فأذن له، وأخرجوا ما كان في الخزائن من عُدَّة الحرب[(١)]. وهنا يذكر المستشرق فامبري[(٢)] "أن قتيبة أمر بحرق المدينة كلها وقتل كل من بها من البالغين وسبى النساء والأطفال"، مع أن المصادر المعتمد عليها لم تذكر ذلك أبداً لكن يبدو أن هذا المؤرخ قد طور خياله من الرواية التي أوردها الطبري[(٣)] مفادها "أن قتيبة أمر بتعليق مَنْ كان سبباً في نقض الصلح في أعمدة الخشب، وعددهم أربعون رجلاً وحرقهم كي يكونوا عبرة لمن يعتبر". بل إن النرشخي[(٤)] ورغم مبالغته في كتابة الأحداث فإنه لم يذكر شيئاً مثل هذا، وما ذكره أكبر دليل على أن قتيبة لم ينتهج القتل والحرق إذ قال: "لقد أسر قتيبة كل البالغين من سكان المدينة، لكنه سلمهم إلى تجارها الأثرياء الذين كانوا في مهامهم التجارية في الصين وعادوا بعد ذلك مقابل مبلغ من المال".

وفي سنة ٨٨هـ/٧٠٨م أمره الحجاج بغزو بُخارى، فعبر النَّهر من زم واستخلف على مرو أخاه بشَّاراً ابن مُسلم، وبلغ نومشَكَث ورامِثَينة وصالحه أهلها[(٥)]، وفي سنة ٨٩هـ/ ٧٠٩م كانت غزوة بُخارى، وعند بوابة المفازة الصحراوية الكبرى لبلاد الصُّغْد واجهته قوات كشّ ونَسَف في حشد هائل، فقاتلوه فانتصر عليهم بعد معركة ضارية ومضى إلى بخارى، ولكنه عجز عن التغلُّب على ملك بخارى وَرْدَان خُذَاه، وذلك لتجمع الأتراك على محاربته الذي يظهر أن عددهم كان عظيماً[(٦)]، حيث يذكر النرشخي[(٧)] "أن ملوك التُّرك في بخارى والصُّغْد وفرغانة استأجروا ابن أخت ملك الصين كوربغانو بجيشه ليحارب في المقدمة"، فعاد قتيبة إلى مرو الشاهجان بعد أن حلَّ فصل الشتاء، وخلت المؤن والزاد، ليتهيأ من جديد

(١)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٠٠. البلاذري، فتوح، ص٥٩١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٣٠-٤٣٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص١٤٤-١٤٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٧٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤٤. ابن نباتة، سرح العيون، ص١٨٩. دحلان، الفتوحات، ج١، ص١٨١-١٨٢. زيادة، الحجاج، ص٣٢٨.

(٢)- تاريخ بخارى، ص٦٢.

(٣)- تاريخ، ج٦، ص٤٣١.

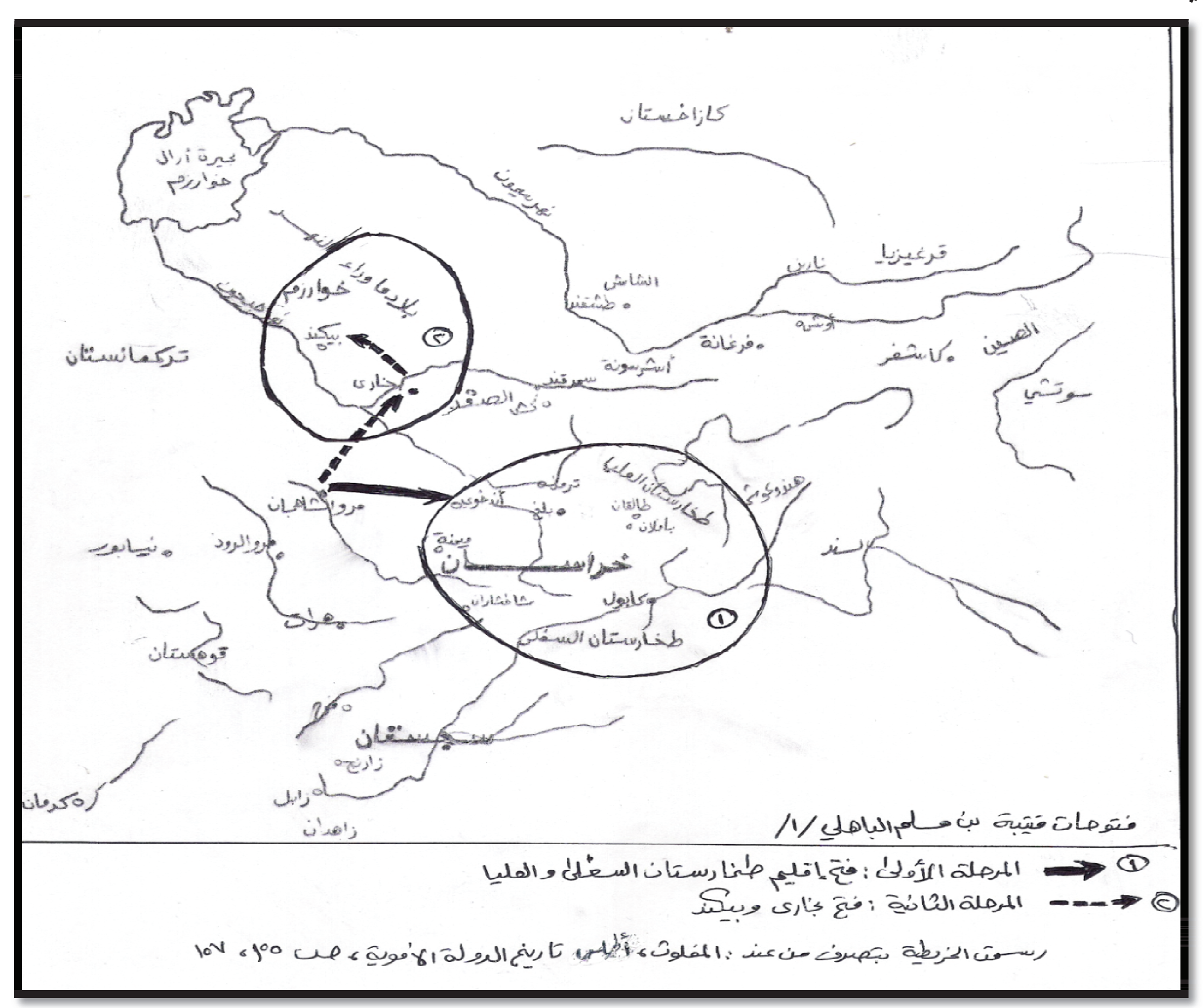
(٤)- تاريخ بخارى، ص٧٣-٧٦.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٣٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤٩. خطاب، قادة الفتح، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٦)- يذكر ابن الأثير عددهم مائة ألف. الكامل، ج٤، ص٢٥٥. ويذكر النويري عددهم مائتي ألف، نهاية، ج٢١، ص١٧٤.

(٧)- تاريخ بخارى، ص٧٥.

لفتح بخارى الذي تمكن منها فعلاً في سنة٩٠هـ/٧٠٩م، بعدما اعتمد على خطة جغرافية برسم خريطة للمقاطعات التي تضم بلدان كش ونسف ووردان وضعها له والي العراقين الحجاج بن يوسف ساعدته على فتحها من جديد، وقد أبدت نساء العرب شجاعة فائقة في هذه الحروب في إلهاب الحماس، إذ كنَّ يضربن وجوه الخيل ويبكين حتى يكر الناس راجعين إلى الحرب، وبهذا أكمل قتيبة فتح إقليم بخارى كله في ثلاث سنوات فكان يغزوه في الصيف ويعود في الشتاء إلى مرو حتى تمكن من فتحه وثبت أقدام المسلمين فيه[1].



---

[1]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٣٩-٤٤٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٩٤-٢٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤٩-٢٥٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٧٤-١٧٥. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٤٢٢. عطوان، الشعر، ص٢٦. أبو النصر، عمر: سيوف أمية في الحرب والإدارة، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٣م، ص٢٦٩. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص٢٠٦.

Skrine, Francis Henry-Denision Ross, Edward; The heart of Asia, a history of Russian Turkestan and the Central Asian Khanates from the Earliest times, Methuen, London, 1899, p.46

المرحلة الثالثة: من ٩٠-٩٣هـ/٧٠٩-٧١٢م: وهي المرحلة التي فرض فيها قتيبة السيادة الإسلامية على حوض نهر جيحون، وكان طرخون ملك الصُّغْد قد أرسل إلى قتيبة بعد انتصاره في معركة بخارى سنة ٩٠هـ/٧٠٩م يطلب منه الصلح فأجابه، فقد اختار قتيبة البقاء بعض الوقت في بخارى، وفي هذه الأثناء سمح للملك نيزك بالعودة إلى باذغيس بعد أن اطمأن له، لكن الطرخان نَيْزَك ما إن وصل إلى "طخارستان" حتى نقض الصلح وتزعم حركة معادية لقتيبة، لأن أهل مملكته رفضوا ميوله للصلح فخلعوه عن الملك ونصبوا ابن أخيه، وكتب إلى كل من: إصبهبذ ملك بَلْخ، وإلى باذام ملك مَرْو الرّوذ، وإلى سهراب ملك الطالقان، وإلى ترسُل ملك الفارياب، وإلى الجُوزجانيّ ملك الجوزجان يدعوهم إلى خَلْع قتيبة، فأجابوه، وتوعدوا أن يكون فصل الربيع القادم موعداً لقتال قتيبة والقضاء عليه؛ مما جعل كل هذه المناطق تضطرب في خُرَاسان، وتعود الفوضى من جديد إلى الإقليم، وكان جبغويه ملك طخارستان ضعيفاً فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب، في وقت كانت الجيوش قد افترقت ولم يبقَ مع قتيبة إلا أهل مَرْو، فبلغ ذلك قتيبة فأرسل أخاه عبد الرَّحمن في اثني عشر ألف إلى بلخ، وطلب منه التوجه بعدها إلى طخارستان، ثم كَتَب يجمع أهل نيسابور وأبِيورد وسَرخس وهَراة، فسار بهذه الجيوش إلى مرو الروذ وبدأ يعيد أمن المدن الواحدة تِلو الأخرى، وبلغ مَرْزُبان مَرْو الرُّوذ إقبالُه إلى بلاده فهرب إلى بلاد فارس، فألقى قتيبة القبض على ابنين لمرزبانها فقَتَلهما وصلبَهَما، واستسلم مرزبان الطالقان واستعمل عليها عَمْرو بن مسلم ومضى إلى الفارياب، فخرج إليه ملكها مقرّاً بطاعته، فرضي عنه، ولم يقتل بها أحداً، واستعمل عليها رجلاً من باهلة، وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً، وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقيه أهلها سامعين مطيعين، ثم أتى بَلْخ فلقيه الإصبهبذ في أهل بلخ، فدخلها فلم يقُم بها إلا يوماً واحداً، وذهب ليتبع نيزك الذي هرب وقطع وادي فَرْغانة ودخل شعب خُلْم، فتتبعه قتيبة أيضاً، وحاصر الأخوان "نيزك" مدة شهرين حتى قلّ ما عنده من زاد وأصاب جنوده مرض الجُدَريّ فاستسلم في الأخير، فدخل قتيبة إلى الشِّعب وفتح سِمِنْجان وحاصره حتى أتاه مستأمناً، وبذلك أتم فتح طخارستان جميعها(١).

يبدو أن نيزكاً ورغم خيانته ظل قريباً إلى قلب قتيبة الذي لم يشأ قتله وأرسل للحجاج ليقرر في الأمر فرد يأمره بذلك، لكن قتيبة ظل متردداً أربعة أيام حتى طالبه الناس بذلك، فأمر بقتله وأصحابه فقُتِل مع سبعمائة من أنصاره، وكان مقتله سنة ٩١هـ/٧١٠م وبمقتله استقرت أمور طخارستان نهائياً للمسلمين(٢).

---

(١)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٥٤-٤٥٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٥٥-٢٥٦. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٧٥-١٧٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، ج٦، ص٢٥٢-٢٥٣. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٤٢٣. عطوان، الشعر، ص٢٦-٢٧. العسلي، قادة فتح بلاد الشام والعراق، ص٥٢٧.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٥٧-٤٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٥٩-٢٦١.

وعلى هذا النهج من الإقدام والجرأة استمر قتيبة في التوسع في الفتح، وينتقل من نصر إلى نصر، وما إن عاد قتيبة إلى العاصمة مَرْو حتى راسله ملك "الجُوزجان" ـ الذي هَرَب من بلاده لأنه أيد نيزكاً ثم تراجع عن موقفه عندما علم بمصرعه ـ يطلب منه الأمان، فأمّنه على أن يأتيه، فطلبَ منه رُهُناً ويَعطي رهائن، فأعطاه قتيبة حبيب بن عبد الله بن حُصين الباهليّ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته، ثم قَدِم على قتيبة الذي صالَحه ومكث عنده إلى أن خرج راجعاً إلى بلاده، لكنه مات في الطالقان مسموماً؛ مما جعل بعض أهل الجوزجان يعتقدون أنه قُتل قتلاً مدبّراً فقتلوا حبيباً، فما كان من قتيبة إلا أن قتل الرهائن الذين كانوا عنده ونقضوا الصلح، وبهذا اضطربت أحوال الجوزجان من جديد؛ مما جعل قتيبة يسرع لإعادة النظام فيها، ثم توجه نحو المشرق وقطع النهر وأعاد فتح المناطق المتمرّدة فيه، وهي: شُومان وآخَرون وكش ونَسَف، ثم عاد إلى مرو من جديد وذلك في سنة ٩١هـ/٧١٠م[١]. وامتنعت عليه الفارياب في هذه السنة فأحرقها، وصالح أخاه عبد الرحمن طرخون ملك الصُّغْد وأعطاه طرخون أموالاً كثيرة[٢]، ثم غزا في سنة ٩٢هـ/٧١١م سِجِسْتَان يريد رُتبيل الأعظم، فلقيته رسل رُتْبيل بالصُّلح على أموالٍ عظيمةٍ، وخيولٍ ورقيقٍ ونساءٍ من بنات الملوك فقبِل ذلك وعاد إلى مرو، واستعمل عليهم عبد ربّه بن عبد الله بن عُمير اللَّيْثيَّ[٣].

وفي سنة ٩٣هـ/٧١٢م أغار على خُوارزم بالتعاون مع ملكها الضعيف خوارزمشاه، لمساعدته ضد أخيه الأصغر خُرّزاذ، وبعث إليه بمفاتيحِ مدائنِ خُوارزم، وهي ثلاثة مفاتيح من ذهب، وهيأ له إعادة فتح بلاده، فدخلها قتيبة وصالح أهلها[٤]، ثم توجه وحاصر مدينة سمرقند وهي أعظم مدن الصُّغْد مدَّة شهرين كاملين، وكانت معارك سمرقند من أشد المعارك إلى أن تمكن من التغلب على أهلها الذين قاوموا أشدّ مقاومة وقاتلوه قتالاً شديداً، ودخل المدينة، وصالحهم على فدية قدرها ألف ألف ومائتا ألف درهم يحملونها كل عام، وعلى أن يبنوا له مسجداً، دخله وصلى فيه، وكان معه في هذه الغزوة أهل بخارى وخوارزم وضمها إلى دولة الإسلام نهائياً وأحرق الأصنام في المسجد، ثم خرج من المدينة تاركا حميّة عربية قدرها أربعة آلاف رجل ورجع إلى مرو الشاهجان، واستخلف على سمرقند عبد الله بن مسلم وخلف عنده جنداً

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٦٠-٤٦٢. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٢٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٦١. الذهبي، العبر، ج١، ص٧٨. ذكر ابن خياط أن قتيبة فتح هذه المناطق سنة ٩٢هـ/٧١١م. تاريخ، ص٣٠٤.

(٢)- النويري، نهاية، ج٢١، ص١٧٨-١٧٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٤٣٧.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٦٨. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص١٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٧٢.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٦٩-٤٧٠. مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص٢٧٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٠٨-٣٠٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٧٣.

كثيفاً وآلة من آلات الحرب كثيرة، فانزعج أهل المدينة من ذلك لأن مسألة الحمية لم تأت شرطاً في الصلح؛ مما جعلهم يرون أن قتيبة غدر بهم وملك مدينتهم غدراً[١].

المرحلة الرابعة: من ٩٤-٩٦هـ/٧١٣-٧١٥م: وفي سنة ٩٤هـ/٧١٣م اجتاز قُتيبة نهر جيحون، وفرض على أهل بخارى وكش ونسف وخوارزم عشرين ألفاً من المقاتلين، فأتوه فوجههم إلى الشاش، وسار هو إلى فَرْغانة، فلما وصل إلى خُجَنْدَة استجاش أهلها وناهضوه في معارك متعددة كان له النصر فيها، ثم سار إلى كاشان، وجاء الجنود الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها، فانصرف إلى مرو، كما غزا سنة ٩٤هـ/٧١٣م كابل وحاصرها حتى افتتحها[٢]، وفي غمرة انتصاراته أتاه خبر موت الحجاج الذي كان قد دعمه كثيرا في فتوحاته وذلك في شوال سنة ٩٥هـ/٧١٤م فساءه هذا الخبر وأحزنه، فعاد إلى مرو الشاهجان، لكن سرعان ما جاءه كتاب من الخليفة الوليد بن عبد الملك يُقِرّه على ولايته ويشجعه على مواصلة فتوحاته[٣]، فاستمر قتيبة في خُرَاسان وفكّر في توطيد حكمه في سَمرقَنْد التي ظلت متهيئة للتمرد كلما تجد الفرصة، فأسكن العرب هناك بأن أخذ من عرب خُرَاسان وأُسرِهم وَوَطَّنَهم فيها، واستعمل رجلاً من مواليه يقال له "الخُوارَزْمِيّ" على مَقطَع النهر وأصدر له تعليمات صارمة بأن لا يترك هؤلاء يعودون إلى خُرَاسان إلّا لمن يحمل إذناً بالعبور من قبل قتيبة. وبعد هذا في عام ٩٦هـ/٧١٥م انطلق قتيبة غازياً يريد إقليم كاشغر في بلاد الصين، وأرسل إلى ملكها وفداً يدعوه إلى الإسلام على رأسه هبيرة بن المَشْمَرج الكلابي، فخشيه وأسرع في إرسال الهدايا والتحف والمال الكثير، وكانت كاشغر آخر ما وصلت إليه فتوحات العرب نحو المشرق[٤]، وفي هذه الأثناء وصلَ قتيبةَ خبرُ موتِ الخليفة الوليد بن عبد الملك، فانزعج كثيراً وذلك لأنه كان مستوحشاً من أخيه سليمان الخليفة الجديد، لأنه كان قد أجاب الخليفة الوليد عندما أراد فصل سليمان من البيعة، وكان سليمان منكراً لأعمال الحجاج بن يوسف وولاته وقادته ومنهم قتيبة[٥]، فظن أن سليمان منتقم منه على الرغم أنه كتب الولاية لقتيبة، فعزم قتيبة على التمرد عليه وترك مبايعته وأظهر العداوة له، فخلعه سليمان من الولاية والقيادة، وولى مكانه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٧٢-٢٧٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٠٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٦، ص٢٥٨-٢٥٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٤٤٠-٤٤٢. عماش، قتيبة، ص١٠٨، ١١٣. الخضري بك، الدولة الأموية، تح: محمد العثماني، دار القلم ، بيروت، د.ت، ص٣٢٣.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٠٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٨٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٨١. الذهبي، تاريخ، ج٦، ص٢٦٠. ابن كثير، ج١٢، ص٤٦١. شاكر، التاريخ، ج٤، ص٢٠٦.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٩٢-٤٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٨٣. الصلابي، الدولة الأموية، ج٢، ص٤٥.
E. Van Donzel, B. Lewis, Encyclopaedia of Islam, vol.4. p698.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٠٠-٥٠١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٨٩. قطب، أبطال الفتح، ص٢٩٩-٣٠١. شاكر، التاريخ، ج٤، ص٢٠٧. العسلي، قادة فتح بلاد الشام، ص٥٣٩-٥٤١.

[٥]- البلاذري، فتوح، ص٥٩٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٦.

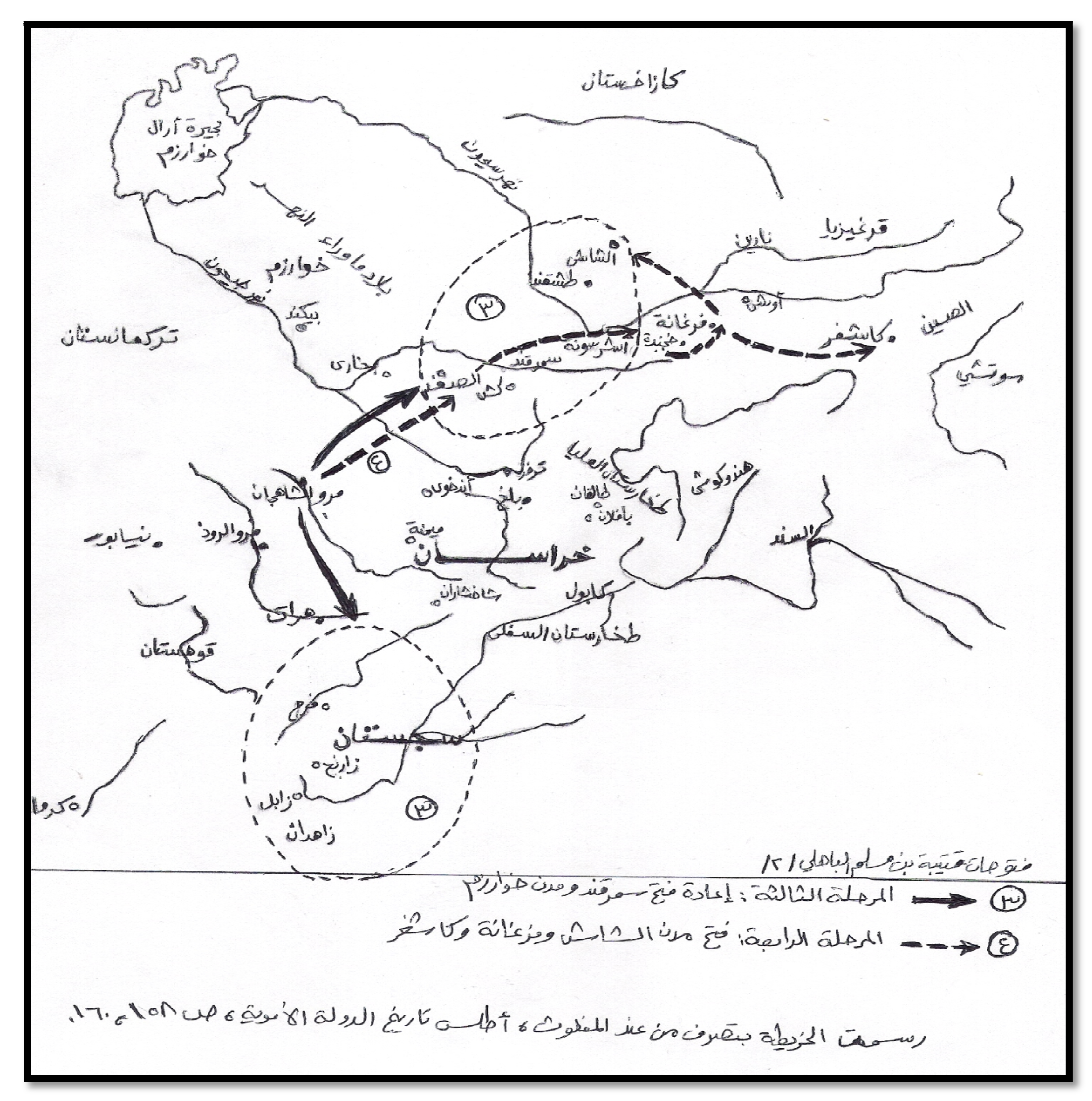
مما زاد من سخط قتيبة، فجمع الجند وخطبهم وحثهم على متابعته في موقفه، لكنه لم يلقَ دعماً من الخراسانيين، حيث ثارت عليه قبيلة بني تميم وعلى رأسها سيدها وكيعُ بنُ أبي سُودِ التميمي الذي كان يكره قتيبة، وذلك لأنه كان قد سلبه شرف فتح بخارى الذي قام به وقبيلته، لكن قتيبة ظن أن أخاه هو الفاتح، وكتب إلى الحجاج بذلك، كما ثار عليه أيضاً "حيَّان النبطي" فدبروا له مؤامرة للخلاص منه، وانتهت الثورة بمقتله على يد وكيع ومقتل عدد كبير من رجال أسرته وذلك في سنة ٩٦هـ/٧١٥م وأرسل برأسه إلى الخليفة سليمان في دمشق الذي أمر بدفنه، وقال: "ما أردت هذا كله"[١]. وهكذا انتهت هذه المرحلة من فتوحات قتيبة التي طوى فيها أقاليم ما وراء نهر جيحون، ثم عبر نهر سيحون، وفتح فرغانة والشاس وأشروسنة وكاشغر وفرض سيادة الإسلام على ملك الصين وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وكان قتيبة قائداً عسكرياً فذَّاً، وبطلاً سياسياً بارعاً قهر الصعاب وتغلَّب على كل المشاكل التي واجهته، ولم يثنه عن عزمه لا صعوبة الطريق ولا وعورتها، ولا قسوة المناخ وشدته. فكان مصيره أن لقي مصرعه بسيوف الخيانة، فاختفى بسقوطه عامل من أكبر العمال وأجدرهم، وقائد من أنجب القواد وأقدرهم، جعل همه الغزو، حتى دوخ الترك وثبت السيادة العربية بما وراء النهر[٢].فكان مقتله خسارة للمسلمين فهو يعد من أعظم قواد الفتح الإسلامي إلى خُرَاسان وما وراء النهر الذي عرفهم التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الدولة الأموية خاصة، وكان يلقب عند أهل خُرَاسان بملك العرب، ولو قدر له أن يعيش أكثر لأمكن للمسلمين أن يتوغلوا في الصين بدليل أن بعد مقتله توقف فتوحات المسلمين إلى الحد الذي وصل إليه قتيبة، وقال أهل التاريخ عن قتيبة: "بلغ قتيبة بن مسلم في غزو الترك والتوغُّل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع، واستباحة البلاد، وأخذ الأموال وقَتْل الفُتَّاك مالم يبلغه المهلَّب بن أبي صُفْرة ولا غيره"[٣].

---

[١]- قتل معه إخوته: عبدُ الرحمن، وعبدُ الله، وصالح، وحُصَيْن، وعبد الكريم بن مسلم. وقتل ابنه كثير بن قُتيبة وناس من أهل بيته ونجا أخوه ضِرار. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١١-٥١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٣. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦١٥. مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ج٣، ص٢٣-٢٤. الصلابي، الدولة الأموية، ج٢، ص٤٨. الخليلي، موسوعة، ص٧٩-٨٠.

[٢]- البلاذري، فتوح، ص٥٩٦-٥٩٧. عطوان، الشعر، ص٢٧-٢٨. عبد القادر، محمد فريد: معارك فاصلة في تاريخ الإسلام، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١١٩. عبد اللطيف، العالم، ص٣٤١.

[٣]- ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٨٧.



وبموت قتيبة بن مسلم فقد العرب المسلمون كثيراً من مواقعهم، وخسروا ثمرة انتصاراتهم، فبعد أن أقام قتيبة دولة عظيمة في الشرق وصلت إلى حدود الصين، وقضى على ما فيها من وثنية، وغرس العقيدة الإسلامية في النفوس حتى صارت هذه المناطق من أكثر المناطق حماساً وتعقباً للعقيدة، بعد ذلك بدأت الثورات المحلية تظهر، وأخذ العرب يواجهون مقاومة الثائرين الأتراك ويخسرون مواقعهم، لأن الذين جاؤوا بعد قتيبة لم يكونوا بكفايته ومقدرته[1].

وقد هاب الأتراك قتيبة مهابة شديدة، وكان مجرد ذكر اسمه يوقع الهلع في نفوس أعدائه، وعندما بلغ الإصبهبذ ملك الترك مصرع قتيبة، قال لرجال عنده: "يا معشر العرب! قتلتم قتيبة ويزيد وهما سيدا

[1]– البلاذري، فتوح، ص٥٩٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٠٦. فامبري، تاريخ، ص٧١.

العرب!"، قيل له: فأيهما كان أعظم عندكم وأهيب؟ قال: لو كان قتيبة بالمغرب، بأقصى حجرته في الأرض، مكبلاً بالحديد، ويزيد معنا في بلادنا، والٍ علينا، لكن قتيبة أهيب في صدورنا وأعظم من يزيد[١].

لقد كانت معارك قتيبة وفتوحاته تمثل اندفاعاً عربياً رائعاً في الجهاد في سبيل الله لا يقل عن فتوحات عهد الخلفاء الراشدين، وقد ظل قتيبة بن مسلم في هذه الفتوحات عشر سنوات متتالية استطاع خلالها نشر الإسلام في هذه المناطق، فكان أن أسلم منهم خلق كثير، وقد أمر ببناء المساجد في كل البلاد التي فتحها وولى عليها عمالاً من العرب ليتولوا نشر الدين الإسلامي، وبنى مسجداً كبيراً في بخارى يسمى جامع قتيبة مازال موجوداً حتى اليوم وأمر المسلمين بأداء صلاة الجمعة فيه، وأمر بفتح الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وقد وجد قتيبة في بخارى وبلخ وسمرقند العديد من الأصنام وكان كهنتها وعبادها يعتقدون أن كل من يعتدي عليهم يموت لساعته؛ ولكن قتيبة لم يأبه لهذه الخرافات وما أثارته من مخاوف، بل أحرق بنفسه عدة أصنام وتماثيل بوذية، فاستطاع أن يبسط السيادة الإسلامية والدين الإسلامي في خُرَاسان، وقد أصبحت هذه البلاد فيما بعد مركزاً عظيماً للحضارة الإسلامية أسهمت في تقدم الإنسانية جمعاء[٢].

١- الفتوحات في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٨م)

كانت قوة الأتراك فيما وراء النهر، وكثرة تغيرات الولاة والأمراء على خُرَاسان، من العوامل المؤثرة على الفتوح في هذه الحقبة، فلم تحدث فتوحات إسلامية جديدة في جبهة المشرق بعد وفاة قتيبة بن مسلم؛ لأن الظروف السياسية التي مرت بها دولة الخلافة الأموية منذ هذا التاريخ، أي بعد عام ٩٨هـ/٧١٧م وحتى سقوطها عام ١٣٢هـ/٧٥٠م، لم تكن تسمح بذلك، فقد انشغلت بإخماد الحركات التي بدأت في وجهها من جديد مثل حركات الخوارج وحركة يزيد بن المهلب، كما أن الخلافات تجددت بين العرب في خُرَاسان، فقد استغلها العباسيون لصالحهم حيث بدأت دعوتهم السرية، بالرغم من أن الأمويين لم يتمكنوا من إضافة أي جديد يُذكر على فتوحاتهم، إلا أنهم استطاعوا المحافظة على المكتسبات التي تحققت وبذلوا قصارى جهدهم في تثبيت أقدام المسلمين في الأقاليم الشرقية[٣].

---

[١]- العسلي، قادة فتح بلاد الشام والعراق، ص٥٤٤-٥٤٥.

[٢]- فريد، معارك فاصلة، ص١١٨. عزب، خالد: بخارى الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص٢٣-٢٤. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، دار الأمين، ط١، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٥١-٥٢. أبو النصر، محمد عبد العظيم: تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، شركة نوابغ الفكر، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٥٢-٥٤.

[٣]- طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة الأموية، ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م، دار النفائس، ط٧، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٣٠.

أ- وكيعُ بنُ أبي سُود التميمي ٩٦هـ/٧١٥م:

كان وكيع من بني تميم معروفاً بالشجاعة والإقدام وله مواقف بطولية في أيام الفتح، وتولى خُرَاسان تسعة أشهر أو عشرة؛ لأن سليمان ما إن ولاه خُرَاسان حتى عزله بسرعة، بعد أن سمع أخباراً غير مرضية عنه مفادها أنَّ وكيعاً "ترفعه الفتنة وتضعه الجماعة، وكان فيه جفاءٌ وأعرابية" و"أنه خامل في الجماعة، ثابت في الفتنة" كما أنه يتصف باللاحياء والوقاحة أيضاً[١]، إن هذه الأوصاف التي وُصِف بها فيها مبالغة كبيرة، وذلك لأن يزيد الذي كان يريد العودة لولاية خُرَاسان، مستغنياً عن ولاية العراق التي ولّاها له الخليفة سليمان، فأنشأ دعاية كبيرة على وكيع حتى يقتنع الخليفة ويعزله.

ب- يزيد بن المهلَّب والي خُرَاسان ٩٧هـ/٧١٦م الولاية الثانية:

أسندت خُرَاسان مرة أخرى إلى يزيد بن المهلَّب ولكي يضمن قاعدته المتقدِّمة في خُرَاسان خلف ابنه مخلداً، وكان مخلد حاد الذكاء شجاعاً على الرغم من صغر سنه، وعادت أسرة آل المهلَّب تتولَّى خُرَاسان وعظم أمرهما. فقدم يزيد ابنه مُخَلّداً إلى خُرَاسان فغزى البُتَّم وفتحها، ثم نكث أهلها الصلح فعاد إليهم وحاصرهم حتى تم له فتحها[٢]. ولما قدم مخلد مرو حبس وكيعاً فعذبه وأخذ أصحابه وعذبهم قبل قدوم أبيه[٣]. ثم سار يزيد بن المهلب إلى خُرَاسان ولم يكن بالمشرق من البلاد التي لم تفتح سوى جرجان، وكان العرب قد أخذوا الجزية من أهلها منذ عام ١٨هـ/٦٣٩م، وفي عهد عثمان بن عفان ﷺ دخلها سعيد بن العاص سنة ٣٠هـ/٦٥١م وصالح أهلها قبل أن يغزو قوهستان وظلت جرجان بعيدة عن المخططات العسكرية العربية حتى زمن ولاية يزيد بن المهلب على خُرَاسان، فاستهل يزيد عهده بالإغارة على جرجان لكي يضاهي بفتحه لها فتوحات قتيبة فيما وراء النهر التي طالما ذكره سليمان بها، وعظم أمامه أمرها، فقد كانت جرجان تحول بين الناس وبين الطريق الأعظم لخُرَاسان، وكانت البلاد الجبلية الواقعة إلى الجنوب الشرقي من بحر الخزر منطقة تعوق حركة الاتصالات بالأراضي الإسلامية، وفي طريقه إليها حاصر إقليم "دِهِسْتان" التي كان أهلها من الترك فحاصرها مدة طويلة وقطع عنهم المواد حتى ضعفوا وعجزوا، فأرسل صُول دِهْقان دِهِستان إلى يزيد يطلب منه الصلح على أن يُؤمنّه يزيد على نفسه وأهل بيته وأمواله، فدخلَ يزيد المدينة وأخذ ما كان فيها من الأموال والكنُوز والسَّبي مالا يُحصى، وقتلَ أربعة عشر ألف تُركيّ صبراً، وكتبَ إلى سليمان بن عبد الملك بالفتح. ثمَّ سار إلى "جُرْجَان" في جيش كثيف من أهل الكوفة، وأهلِ البصرة، وأهلِ الشام، ووجوه أهل خُرَاسان والرَّيّ تعداده مائة ألف مقاتل سوى

---

[١]- البلاذري، فتوح، ص٥٩٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٧. فلهوزن، تاريخ ، ص٤٢٢. خطاب، قادة الفتح، ص٢٣٧.

[٢]- البلاذري، فتوح، ص٥٩٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٠٢.

[٣]- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٥٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٦. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٢٩٣-٢٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٠٢.النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٠٩. شاكر، التاريخ، ج٤، ص٢١٣. سلطان، آل المهلب، ص٨٦.

الموالي والمماليك والمتطوعين، فسارع حكامها إليه وطلبوا إقرار الصلح الذي كان قد صالحهم عليه سعيد ابن العاص في سنة ٣٠هـ/٦٥١م والذي لم يسيروا عليه طويلاً وتمردوا وخاصة أن المنطقة لم يُعِد فَتْحَها بعد سعيد أحدٌ قبل يزيد فاستخلف يزيد عليهم رجلاً من الأزد يقال له: أسدٌ بنُ عبد الله[١]. ولما فتح دِهستان وجرجان طمع في "طَبَرْسِتَان" التي كانت تسكن فيها عناصر غير عربية وحاكمها يعرف باسم الإصبهبذ فأسرع إليها وضرب عليها حصاراً من ثلاث جهات، فأرسل إليه الأصبهبذ صاحبها يسأله الصلح وأن يخرج من طبرستان، فرفض يزيد واستنجد الإصبهبذ بأهل جيلان والدَّيلم، والتحمت معه قوات يزيد في معركة حامية انتصروا عليه فيها، فصعد بمن بقي معه من الجنود إلى قمة جبل فتعقبوه فهزمهم، وحينئذٍ كاتب الإصبهذ أهل جُرْجان أن يقطعوا الطريق عن يزيد بينه وبين العرب، وأن يمنعوا عنه المؤونة والمدد ووعدهم أن يكافئهم على ذلك، فثاروا بجرجان وقتلوا الحامية العربية بها ولم يتمكن يزيد من النجاة بنفسه واستنقاذ جيشه إلا بعد أن توسط بينه وبين الإصبهذ حيَّان النبطي قائد الفرقة الخُرَاسانية في الجيش العربي فوادعه الإصبهذ وصالحه على سبعمائة ألف درهم، وقيل خمسمائة ألف وسمح له بالانسحاب من بلاده، وكان ولاء طبرستان للدولة الأموية يتذبذب بين خضوع وتمرد حتى زمن مروان بن محمد [٢]. لكن "جرجان" سرعان ما أعادت التمرّد ونكثوا بعهدهم وقتل أهلها بعض أصحاب يزيد الذين أبقاهم فيها، فعاد إليها يزيد ثانية، فأقسم يزيد إذا ظفر بهم ألَّا يرفع السيفَ حتَّى يطحن بدمائهم، ويختبز من ذلك الطحين ويأكل منه، وقد مكنه الله منهم فبرَّ بيمينه. ولما علم ملكها بذلك تحصّن وأتباعه في مكان ليس له إلا طريق واحد، فظل المسلمون يحاصرونها لمدة سبعة أشهر دون أن يظفروا بأحدهم إلى أن تمكن أحد المسلمين من الاهتداء إلى الحصن، فنشبت المعركة التي انتهت بنجاح المسلمين فدخلها الوالي عنوة وقَتَل المقاتلة وسبى الذريَّة وصلبهم وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى وادي جرجان. وبنى مدينة جرجان التي لم تكن قد بُنيت قبل ذلك، واستعمل عمالاً وعاد إلى مرو، واستعمل على جُرجان جَهْم بن زَحْر الجعفيّ، وكتب بالنصر إلى الخليفة سليمان يخبره بالفتح العظيم الذي تمَّ على يديه وأنه حصل على خمسة وعشرين ألف درهم من عمليات الفتح، وأخبره أنه سيحمل له ستة آلاف ألف مع كاتبه المغيرة بنُ أبي قرّة مولى بني سدوس الذي نصحه ألا يرتبط مع الخليفة ببيان مقدار المال، تجنبَّاً للنتائج التي يمكن أن

---

[١]- ابن خياط، تاريخ، ص٣١٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٣٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٠٧. عطوان، الشعر، ص٢٨. الخليلي، موسوعة، ص٨٠. خطاب، قادة الفتح، ص٢٣٩. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٧٩.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣١٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٣٤-٥٤٠. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٢٩٨-٣٠٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٠٥-٣٠٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٥. الوكيل، محمد السيد: الأمويين بين الشرق والغرب "دراسة وصفية تحليلية للدولة الأموية، دار القلم، ط١، دمشق ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٤٧٤. عوض الله، الشيخ الأمين محمد: تاريخ الدولة الأموية، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٣٠

تترتب على ذلك، لكن يزيد أمضى الكتاب[١]. وفي هذه الأثناء توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك وولّي الخلافة عمر بن عبد العزيز في صَفَر سنة ٩٩هـ/٧١٨م[٢].

لقد كانت معاناة يزيد في فتح جرجان وطبرستان صعبة للغاية، وكان صبره على الحصار لمدة طويلة دليلاً على أن العرب يصبرون على الحصار الطويل خلافاً لما يزعمه المغرضون بأن العرب لا يصبرون على حصار طويل، كما أن استعادةَ فتح جُرجان وطبرستان إنجاز عظيم من أهم انجازات يزيد بن المهلب، وبقدر ما نفع هذا الإنجاز المسلمين عامة، بقدر ما أضر يزيد بخاصة، فقد حوسب حساباً عسيراً على أرباحه المادية في هذه الغزوة، كما نصَّ عليها كتابه الذي أرسله إلى سليمان بن عبد الملك ووقع في يد عمر بن عبد العزيز.

٢- الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٨-٧١٩م)

في سنة ٩٩هـ/٧١٨م عزل الخليفة عمر بن عبد العزيز يزيد بن المُهلَّب عن العراق وخُرَاسان، فكتب الخليفة إلى واليه على البصرة عديٍّ بن أرطأة يأمره بإرسال يزيد إليه موثوقاً، فتمكن والي البصرة منه وأرسل به إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول: هؤلاء جبابرة لا أحب مثلهم، وكان يزيد يبغض عمر، ولما قدم عليه سأله عن الأموال الضخمة التي كتب بها إلى الخليفة سليمان، لكن يزيد أنكرها قائلاً إنه كتب ذلك ليسمع الناس بعظمة فتوحاته، وإنه كان يعلم أن الخليفة سليمان ما كان ليأخذه بما قال، لكن الخليفة عمر لم يصدق ذلك، فقال له: ما أجد في أمرك إلا حبسَك، فاتّق الله وأدِّ ما قَبلك، فإنها حقوق المسلمين، ولا يَسَعني تركُها، وحبسه بحصن حلب، وكان يريد أن ينفيه إلى جزر دهلك إلا أنه نصح بإبقائه في السجن فأبقاه فلم يزل في السجن إلى أن حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة فهرب من محبسه في سنة ١٠١هـ/٧١٩م[٣].

أ- الجَرَّاح بنُ عبدِ اللهِ الحَكَمِيّ ٩٩-١٠٠هـ/٧١٧-٧١٨م:

---

[١]- ابن خياط، تاريخ، ص٣١٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٤١-٥٤٥. الجهشياري، الوزراء، ص٣١. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٠١-٣٠٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧-٢٨. القزويني، آثار، ص٣٤٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٥-٤٢٦. ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص٢٩٩. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٧٩. خطاب، قادة الفتح، ص٢٤٤-٢٤٩.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٤٦. المقدسي، البدء، ج٦، ص٤٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣١١. أبو الفدا، المختصر، ج١، ق١، ص٢٤٩-٢٥٠. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٣٨.

[٣]- اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٤-٥٥٧. الجهشياري، الوزراء، ص٣١. المقدسي، البدء، ج٦، ص٤٦-٤٧. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٠٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٤٥-٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣١٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٥٨-٦٦٥. عاقل، نبيه: دراسات في تاريخ العصر الأموي، مطبعة الداودي، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٠٨. شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٤، ص٢٢٢.

في سنة ٩٩هـ/٧١٨م ولى الخليفة عمر بن عبد العزيز الجَرَّاح بنَ عبدِ اللهِ الحَكَمِيَّ على كل خُرَاسان حربها وصلاتها ومالها وولاه سجستان، بعد أن حبس يزيد بن المهلب وعزل ابنه مخلداً، فلبث سنة وخمسة أشهر، وربطه مباشرة بالنظام المركزي الذي بموجبه يكون الوالي مسؤولاً مباشرة أمام الخليفة(١)، هذا النظام الذي وإن لم تكن خُرَاسان قد اعتادت عليه مع سائر خلفاء بني أمية، فإنَّها كانت قد اعتادت عليه في العصر الساساني(٢). وكانت سياسة عمر بن عبد العزيز تقوم على عدم التوسع في الفتوح فكتب إلى أمير خُرَاسان الجراح سنة ٩٩هـ/٧١٨م ألا يغزو وأن يتمسك المسلمون بما في أيديهم(٣). وما إن وصل الجراح إلى "مرو" حتى قام بإرسال حملة بقيادة ابن عمه "جَهْم بن زَحْر الجعفي"(٤) لغزو الختّل الذي انتصر عليهم انتصاراً لم يتحقق مثله من قبل، ففرح الجراح كثيراً وبعث وفداً إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره بذلك حتى يصفح على جهم الذي كان قد تمرد على والي البصرة عُديّ بن أرطاة، بعدما بعث يعزله من جرجان التي كان عليها وقام بحبس عاملها الجديد(٥). فقد اتهم الكثير من المؤرخين الجراح بأخذ الجزية وكذلك بالعصبية(٦)، ومع ذلك يبدو ما قيل في الجراح كان يحمل المبالغة الكبيرة، ولعل ذلك يعود إلى كُره الخُرَاسانيين له ليس إلا، لأنه كان واحداً من جماعة الحجاج بن يوسف الثقفي. ولا شك في أن الخطبة التي ألقاها الجراح قُبيل خروجه من خُرَاسان تعد أكبر دفاع عنه حيث قال أمام الملأ: "يا أهل خُرَاسان، جئتكم في ثيابي هذه التي عليّ وعلى فرسي، لم أصب من مالكم إلا حُلَيَّة سيفي" ويؤكد ذلك الطبري وابن الأثير اللذان يذكران: "أن الجراح لم يكن يملك إلا فرساً قد شاب وجهه، وبغلة قد شاب وجهها، لقد كانت خُرَاسان في عهد الجراح مضطربة تشهد بعض التمردات، وإن كانت المصادر قد أغفلت الحديث عن ذلك، ونستنتج من خطاب بَعَثه الجراح لما قدم إلى خُرَاسان إلى الخليفة عمر يطلب منه الإذن بالتشدد مع أهلها قائلاً: "إني قَدِمت خُرَاسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة، فهم يَنزُون فيها

(١)– اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣١٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٦٦. عاقل، دراسات، ص٢٠٧–٢٠٨. مصطفى، مسعود أحمد: أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية، تقديم: جاد الحق علي جاد الحق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٤٦.

(٢)– كريستنسن، إيران، ص٨٤و ص١٢٩. أبو سيف، خُرَاسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين، مكتبة سعيد رأفت، ط١، جامعة عين شمس، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص١١.

(٣)– ابن خياط، تاريخ، ص٣٢٠.

(٤)– كان جهم قريب الجراح من قبل ابنتي الحُصَيْن بن الحارث، وأما كونه ابن عمه فلأن الحكم والجعفيّ ابنا سعد العشيرة. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢٠.

(٥)– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٦٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٩. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٠٨–٣٠٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٦٧. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٧.

(٦)– البلاذري، فتوح، ص٦٠٠. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٦٧.

نزواً، وأَحَبُّ الأمور إليهم أن تعود (أي الفتنة) ليمنعوا حق الله عليهم، فليس يكفيهم إلا السيف والسوط، وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك". لكن الخليفة منعه من ذلك وكتب له قائلاً: "يا بن أمَّ الجرَّاح، أنت أحرصُ على الفتنة منهم، لا تَضربنّ مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلَّا في حقّ، واحذر القصاص، فإنك صائر إلى من يَعْلم خائنة الأعيُن وما تخفى الصُدور، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" [١]. فلم يعارض أمر الخليفة مما جعل سيرته حسنة برغم الاتهامات التي اتهم بها. فقد عمل على نشر الإسلام تحت إشراف الخليفة، فبعث بالقائد "السليط بن عبد الله الحنفي"، إلى التّبت وذلك بعدما وصله وفد منهم يسألونه أن يبعث إليهم مَن يعرض عليهم الإسلام وكانت النتيجة أن دخل فيه منهم أكثر من أربعة آلاف[٢]. كما بعث بالقائد عبد الله بن معمر اليَشْكُرِيّ إلى ما وراء النهر ليعيد فتح بعض من انتقضوا الصلح فيه، فأوغل في بلاد العدو، وهمّ بدخول الصين فأحاطت به التُّرك ولم يتخلص منهم إلا بفدية، وصار إلى الشاش، بعد ذلك رفع الخليفة عمر الخراج عمن أسلم بخُرَاسان وفرض لمن أسلم وابتنى لها الخانات[٣]. وفي سنة ١٠٠هـ/٧١٨م نحاه عمر عنها لأنه كتب إليه أن يضع الجزية عمن أسلم من أهل خُرَاسان[٤].

ب- عبد الرَّحمن بن نُعيم الغامدي ١٠٠-١٠٣هـ/٧١٨-٧٢٠م

لقد كان الخليفة عمر يعد خُرَاسان أهم وأعظم ثغر في البلاد، لذا وَجَّهَ إليها الكثير من الاهتمام حتى شهدت استقراراً ملحوظاً في عهده، فعمل على اختيار عبد الرحمن بن نعيم، الرجل اللين الضعيف الذي لا يرغب في الحرب ليصبح مسؤولاً عن كل الأمور الدينية والسياسية والإدارية، وجعل الأموال والجباية والخراج لعبد الرُّحمن بن عبد الله القشيري ويكون مسؤولاً مباشرة أمامه، وأبعد الإقليم عن العصبية القبلية بأن قسَّم إمارته إلى إمارتين جعل حربها وصلاتها لأزديٍّ من أَزْدِ الكوفة بعيداً عن أَزْدِ خُرَاسان الذين كانوا قد قدموا من عُمَان إلى البصرة في أواخر عهد الخليفة معاوية ثم دخلوا إلى خُرَاسان مع الفاتحين وكَوَّنُوا

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢١. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩٢. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٨١. سيد الأهل، عبد العزيز: الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٧، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص١٦٤. الهاشمي، عبد المنعم: الخلافة الأموية، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٣٤٠.

[٢]- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٦٢. اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. خليل، عماد الدين: ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٨٦. شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص٢١٠. أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ١٠٦.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٥٩٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٦٢. البلدان، ص٦٥.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٩-٥٦٠. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٨. خليل، ملامح الانقلاب، ص٨٥.

جِزْياً بها. وجعل خراجها لقيسٍ وذلك حتى يسوي بين عرب اليمن وعرب مضر[١]، فقد أوقف عمر بن عبد العزيز حركة الفتوحات في بلاد ما وراء النهر، كما طلب منه أن يعيد المسلمين وذرياتهم الذين قطنوا فيه إلى خُرَاسان خوفاً عليهم من غدر الترك، إلا أنهم أَبَوْا وقالوا "لا تَسَعُنَا مَرْو"، فكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر: اللهم إني قضيت الذي عليَّ، فلا تغزُ بالمسلمين، فحسْبُهم الذي قد فتح الله عليهم، وكان مبعث هذه السياسة هو الخشية على المسلمين ونشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة على الجهاد الحربي، وذلك عن طريق دعوة ملوك ما وراء النهر إلى الإسلام، والصبر على أهل الفتنة ومعالجة الأمور بالعدل، وهذا ما دفعه إلى عزل الجراح الحكمي عامله على خُرَاسان وتولية عبد الرحمن بن نعيم، ومع ما لهذه السياسة من إيجابيات كإسلام بعض الملوك وأهالي هذه المناطق، إلا أنها أطمعت آخرين من المسلمين وحفزتهم على التمرد وشق عصا الطاعة، فقد تمرد الصُّغْد على سلطان المسلمين، وهاجم الترك البلاد وعاونوا الصُّغْد[٢].

لقد سار عبد الرحمن بن نعيم على أوامر الخليفة عمر فظلَّ في مهامه حتى مات الخليفة، أما عبد الرحمن بن عبد الله القشيري فيبدو أنه لم يحسن التصرف وذلك لأن الخليفة أسرع في عزله وعَيَّن عقبة ابن زرعة الطائي بدلاً عنه[٣].

٧- الفتوحات في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م):

توفي عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ/٧١٩م فخلفه يزيد بن عبد الملك، وعلى الرغم من قصر خلافة يزيد بن عبد الملك، إلا أنها كانت حافلة بالتغييرات الإدارية ولاسيما في الجناح الشرقي من الدولة، فقد نشطت الفتوحات في عهده بعد حالة الاستقرار التي عاشتها أيام سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز، كما ارتفع في عهده شأن القيسية والمضرية في خُرَاسان، ومع كل الإصلاحات والإجراءات التي قام بها عمر ابن عبد العزيز فإن الثورات ظلت مستمرة حتى عهد يزيد، ومن أهم الولاة في عهد يزيد:

أ- مسلمة بن عبد الملك ١٠٢هـ/٧٢٠م:

جمع الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخُرَاسان تكريماً له وذلك في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. فأسند مسلمة إمرة خُرَاسان وبلاد ماوراء النهر إلى صهره سعيد بن عبد

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨. خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص٢٩٧. فلهوزن، تاريخ، ص٣٨١و ٤٢٨.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨. ابن خياط، تاريخ، ص٣٢٠. شكري، حركة الفتح، ص٢١٨.

[٣]- اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢٢. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٨. الخربوطلي، علي حسني: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والاقتصادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٨٢.

العزيز والذي يعرف بـ (سعيد خُذينة)[١]، فأخذ عمال عمر بن عبد العزيز وحبسهم ثم أطلقهم، كما أخذ نفراً من موظفي يزيد بن المهلب، فسجنهم وعذبهم حتى مات بعضهم[٢]، لقد كان لقب "خُذينة" منطبقاً على شخصية سعيد بن عبد العزيز الذي كان هيناً ليناً إلى حد أنه سمع بثورة "الصُّغْد" في "سمرقند" وبتحالف هؤلاء مع من حولهم من الأتراك ولم يحرك ساكناً، فلامه الناس كثيراً على تركه للغزو، فبعث القائد شعبةَ بن ظُهَير النهشليّ عاملاً على سمرقند الذي ما إن وصلها حتى أعلن الحرب وعيَّر عرب سمرقند بالجُبن كثيراً قائلاً: "ما أرى فيكم جريحاً، ولا أسمع فيكم أنَّة"[٣]، لكنه لم يتمكن من كل تلك الجموع من الصُّغْد والترك، فعزله سعيد الذي اضطر إلى جمع قواته والتوجه إلى ما وراء النهر، وما إن قطعه حتى التقى بطائفة من الصُّغْد وطائفة من الترك استطاع أن يحقق انتصارات عليهم، واستطاع القضاء على متمردي الصُّغْد في حصن أبغر، واكتفى بذلك مانعاً جنوده من تتبع البقية، التي عاودت الكرَّة مرة أخرى بمجرد أن بدأت الجيوش الإسلامية تقطع النهر للعودة إلى خُرَاسان وانتصرت عليها، فبعث الوالي القائد "سورة بن الحرّ الدّارمَي" الذي تمكن من فتح المدينة بعد أن حاصرها. وعندما غزا سعيد ما وراء النهر وصل إلى اشتيخن، وحارب ملك فرغانة، وحاصر خُجَنْدَة في بلاد الصُّغْد، ثم هزمهم وقتل وسبى وفتح عامة حصون الصُّغْد[٤].

لقد بالغ المؤرخون كثيراً في وصف ليونة سعيد بن عبد العزيز واختاروا أسلوب التهكُّم في عرض تلك الأوصاف؛ منها أنه "كان إذا بعث سريّة فأصابوا وغنموا وسَبَوا، ردَّ ذراريّ السَّبي وعاقب السريّة". ويبدو أن هذه الليونة في شخصه جعلته يتعصب لقبيلة قيس ويسيء كثيراً في معاملة الأزد[٥]، كما جعلته يُهَوّن أصعب الأمور ويتغاضى عن الفوضى فيها، فعلى الرغم من أن جماعة من رجالات القوم أخبروه منذرين "إن ههنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح"، قاصدين بذلك الدعاة العباسيين الذين بدؤوا يتوافدون على

---

[١]– البلاذري، فتوح، ص٦٠٠. الدينوري، الأخبار، ص٣٣١–٣٣٢. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٠٤–٦٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٧٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٤٦. النويري، نهاية الأرب، ج٢١، ص٢٢٧. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٧٢٩. الخليلي، موسوعة العتبات، ص٨١.

[٢]– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٢–٣٧٣.

[٣]– البلاذري، فتوح، ص٦٠٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٠٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٤٦.

[٤]– البلاذري، فتوح، ص٦٠٠. اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص٣٧٣. البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٣–٦١٤. قدامة، الخراج، ص٤١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٢٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٩. عطوان، الشعر، ص٣٠. الشريف، عبد الله بن حسين الشنبري: الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١–١٠٥هـ/٧١٩–٧٢٣م)، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد السيد دراج/ جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٥٠.

[٥]– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥٠. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٩.

خُرَاسان منذ سنة ١٠٠هـ/٧١٨م، فإنه لم يصدقهم وعندما قدم هؤلاء إلى خُرَاسان بزي التجار دعاهم سعيد وسألهم عن حالهم فقالوا له: نحن تجار فخلى سبيلهم ولم يتعرض لهم واقتنع سريعاً بأنهم تجَّار مشغولون بتجارتهم. كما استطاع سعيد أن يستميل الدهاقنة والأمراء، وعاملهم معاملة حسنة بعيدة عن القوة والحزم، ولكنهم استغلوا لينه وبدؤوا يتطاولون عليه(١)، ولم يرفع مسلمة بن عبد الملك خراج العِرَاقين وخُرَاسان للخليفة يزيد بن عبد الملك فرغب الخليفة في عزله، لكنه استحيا فاكتفى باستدعائه والقدوم إليه وأن يستخلف على العراق وخُرَاسان، وولى الخليفة عمر بن هبيرة الفزاري والياً على أعمال العراق وخُرَاسان مكان مسلمة(٢).

ب- عُمَر بن هُبَيْرة بن سعد بن عدي الفزاري والي العراق وخُرَاسان سنة ١٠٣هـ/٧٣٠م:

ما إن وصل عُمَر بن هبيرة إلى العراق حتى عزل كل عمال سلفه، لكنه أبقى سعيد بن عبد العزيز (خُذَيْنة) على خُرَاسان، وفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م عزله ابن هبيرة(٣) بسبب شكوى عليه وصلت من بعض عماله في خُرَاسان وهما المجُشِّر بن مُزاحم السُّلَميّ وعبد الله بن عُمير الليثي، وكان وقتها سعيد غازياً بباب سمرقند فرجع تاركاً خلفه ألف مقاتل، وولّى ابن هبيرة سَعْيداً بن عمرو بن الأسود بن كعب الحَرَشيّ على خُرَاسان في سنة ١٠٣هـ/٧٢١م(٤).

ولما قدم سعيد الحَرَشيّ خُرَاسان كان الناس بإزاء العدو، وقد كانوا نُكبوا، فخطب بهم وحثَّهم على الجهاد، قائلاً: "إنَّكم لا تُقاتلون عدوَّ الإسلام بكثرة ولا بعُدَّة، ولكن بنصرة الله وعِزِّ الإسلام فقولوا: لا حوْلَ ولا قوَّة إلا بالله". فخاض الوالي حروباً كثيرة في سمرقند والصُّغْد، وكان النصر حليفه، فانتشر صيته وانزعج له "الصُّغْد" وخافوه خوفاً شديداً، وبخاصة أنهم كانوا قد تعاونوا مع الأتراك ضدّ المسلمين في أيام سلفه سعيد بن عبد العزيز، فعقدوا الخروج من بلادهم والهجرة إلى "فرغانة" التي لم يكن للمسلمين فيها من سلطان مثل ما كان لهم في أماكن أخرى، وكان معظمهم من الدهاقنة، مع أن مَلِكَهم أشار عليهم بمهادنة المسلمين ومفاوضة الحرشي قائلاً: "لا تفعلوا، أَقيموا واحملوا إليه خراجَ ما مضى، واضمنوا له خراج ما

(١)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٣. اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ٣٧٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ٣٥٣. أبو الفضل، سميحة: السامانيون ودولتهم فيما وراء النهر، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: سهيل زكار، جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٠٠.

(٢)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٢٠. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٣١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥١. ابن كثير، ج١٢، ص٧٣١.

(٣)- يذكر البلاذري واليعقوبي: أن مسلمة هو الذي عزل سعيد بن عبد العزيز. فتوح، ص٦٠١. البلدان، ص٦٦.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٩-٦٢٠. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٣٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٣٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٥.

تستقبلون، واضمنوا له عمارة أَرضكم، والغزو معه إن أَراد ذلك، واعتذِروا ممَّا كان منكم، وأعطُوه رهائن يكونون في يديه"[١]، لكنهم خافوا وطلبوا من ملك فرغانة استجارتهم في مدينة خُجَنْدَة فوافقهم على ذلك ناوياً الخيانة، فقد اتصل بالحرشي الذي سرعان ما قدم وحصرهم ونصب عليها المجانيق وقتل أميرهم لأنهم قتلوا الأسرى العرب الذين كانوا بين أيديهم فعرفوا أنهم مهزومون لامحالة"، فطلبوا منه الصُّلح فصالحهم الحرشي على أن يردُّوا ما في أيديهم من نساء العرب وذرياتهم، وأن يؤدوا ما كسروا من الخراج، ولا يغتالوا أحداً، ولا يتخلَّف منهم بخُجَنْدَة أحد، فإن أحدثوا حدثاً حلّتّ دماؤهم، لكن الصلح لم يَتمَّ، ذلك لأن أحد أمرائهم قتل امرأة عربية وأخفاها بأن دفنها تحت الحائط، فقضى القاضي بقتله مما جعل الصُّغْد يثورون ويقتلون ما يقرب من مائة وخمسين من أسرى المسلمين الذين كانوا في أيديهم، فأمر "الحرشي" بقتل جميع الجنود ثم قتل من ساعدهم من المزارعين، ثم قام بإحصاء شامل لتجارهم الذين كان عددهم حوالي أربعمائة وأخذ ما عندهم من الأموال فقد كان معهم مالٌ عظيم قدموا به من الصين، ثم توجه عائداً إلى خُرَاسان وفي طريقه أخضع مدناً وقلاعاً أخرى كانت قد شقت عصا الطاعة، وقد غلب عليها صلحٌ وتسليمٌ في معظم الأحيان. كما شارك الموالي في جيش الحرشي بقيادة سليمان بن أبي السريّ، كما نجد ذكراً للمجندين من أهل بخارى وخوارزم وشومان[٢].

لقد كانت سيرة سعيد حسنة واشتهر كثيراً بشجاعته، فهو من الأبطال المشهورين الذين حققوا نجاحات مبهرة، ومع ذلك عزله عُمر بن هبيرة عن خُرَاسان لأسباب ذكرتها المصادر؛ منها أن سعيداً الحرشي كان يَسْتَخِفُّ بابن هُبَيْرة ويناديه "بأبي المثنَّى" بدلاً من الأمير، وأنه كان يكتب إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك مباشرة متجاهله، وأنه لم يمشِ على أوامره، فمثلاً لقد قتل سعيد الحرشي الدهقان "ديوشي"[٣] صاحب قلعة "برينجن" فيما وراء النهر برغم أن عمر بن هبيرة بعث يطلب منه إطلاق سراحه، وأنه لم ينفذ أمره عندما طلب منه جباية الأموال من قوم من عرب خُرَاسان كانت أهواؤهم مع يزيد بن المهلب. ومهما كانت الأسباب، فيبدو أن الذي كان بين ابن هبيرة والحرشي ما هو إلا منافسة للوصول إلى قلب الخليفة يزيد بن عبد الملك، وبخاصة أن ذلك عرف بين رجالات قبيلة قيس التي كان قد اعتمد عليها الخليفة اعتماداً كلياً، فاغتنم ابن هبيرة قتل الحرشي للصغد ونحاه عن خُرَاسان سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م وكاد أن يقتله ثم عفا

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٢١. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٣٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥٥-٣٥٦. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٣٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٩. شاكر، التاريخ، ج٤، ص٢٣٨.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧-١١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥٩-٣٦٠. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٨. فلهوزن، تاريخ الدولة، ص٤٣٠. الخليلي، موسوعة العتبات، ص٨١. الشريف، الدولة الأموية، ص٢٥٦.

[٣]- يذكر الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥: أن اسمه الحقيقي "ديواشنج" وعربوه "ديواشني" ويسميه ابن الأثير "الديوشى".

عنه وولّى عليها مسلماً بن سعيد بن أسْلَم بن زُرْعة الكلابيّ[١]. الذي ما إن وصلها حتى بدأ استعداده لغزو الصُّغْد والترك بما وراء النهر، لكنه لم يتمكن من التغلب عليهم وذلك في سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م ولم يوفق في غزوته ولم يفتح شيئاً ورجع، لكن الترك لحقوا به إلى نهر جيحون فقاتلوه قتالاً شديداً فكتب إلى نصر بن سيار الكناني أن يمدَّه بالرجال فدعاهم نصر بن سيار وقاتلوه وتمكن من هزيمتهم عند البروقان[٢] مقرّ الحامية العربية في بلخ. وكانت هذه الحملة آخر الغزو في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، وهي في ظاهرها حملة ناجحة وإن لم تحقق مكاسب جديدة، إلا أن لحاق الترك بمسلم وتعقبه كان فيه دلالة على طمع الترك بهم وبداية لضعف سيطرة المسلمين على ما وراء النهر، وعودة الاضطرابات إليها. وفي هذه الأثناء كان الوالي مسلم قد قطع النهر مع مَن لحق به من أصحابه فلما بلغ بخارَى بلغه خبر وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك وتولّى هشام أخوه الخلافة في شعبان ١٠٥هـ/٧٢٣م[٣].

٨– الفتوحات في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥–١٢٥هـ/٧٢٣–٧٤٣م):

واجه عهد هِشَام اضطرابات خطيرة أدت إلى تقليص الممتلكات الإسلامية في بعض المناطق، وذلك بفعل سوء تصرف الولاة وعدم كفايتهم، وإحجام بعض الجماعات العربية عن الاشتراك في الغزوات، الأمر الذي جعل هشام بن عبد الملك يتخذ قراراً بعزل عمر بن هُبيرة عن العِرَاق وما كان إليه من عمل المشرق، وتولية خالد بن عبد الله القَسْريِّ أميراً عليها[٤]، فكتب خَالِد بن عَبْد الله القَسْريُّ إلى مسلم يأمره بإتمام غزواته، فسار إلى فَرْغانة، إلا أن العديد من جنده وعددهم أربعة آلاف فروا من المواجهة، فلما وصلها بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، فأمره بالاستعداد للمسير، فلما أصبح ارتحل بالعسكر، فسار في يوم واحد ثلاث مراحل، وأقبل إليهم خاقان فلقي طائفة من المسلمين فقتل جماعة منهم، ورحل مسلم بالناس فسار ثمانية أيام والترك يطوفون به، وفي التاسعة نزلوا في العسكر وكان أهل فرغانة والشَّاش دونهم، ولما أصبحوا قدموا النهر وعبروه، وأتوا خُجَنْدَة ودخلوا أرض التُّرك، ولكنهم هجموا عليه وهزموه وقد أصابهم مَجاعة وجهد، فلم يستطع أن ينصرف راجعاً إلى المدينة عبر نهر "الشاش" إلا بمشقة كبيرة، وأصابت

---

[١]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥، ١٩. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٤٠–٣٤١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٦٣–٣٦٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٨–٩. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣١.

[٢]– بعض المصادر تذكر أن الوقعة بين المضرية واليمانية بالبروقان سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م وسيتم الحديث عنها لاحقاً.

[٣]– اليعقوبي، تاريخه، ج٢، ص٣٧٤–٣٧٥. البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧١. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٥. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩. عطوان، الشعر، ص٣١. الشريف، الدولة الأموية، ص٢٥٣. الصلابي، الدولة الأموية، ج٢، ص٣٩٨.

[٤]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٥٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٤. الخليلي، موسوعة، ٨٢.

المجاعة جيشه فمات عدد منهم بالجوع والعطش ولم يعد إلى خُجَنْدَة إلا بعد جهد جهيد، وهناك بلغه الخبر بولاية أسد بن عبد الله خُرَاسان وعزل مسلم بن سعيد وما لبث أن قدم فارسان بعهد أسد فقرأه عبد الرحمن بن نُعيم على مسلم فقال مسلم: سمعاً وطاعة[١]. هذا وشهدت خُرَاسان في عهد مسلم بن سعيد اضطراباً عربياً كبيراً تسبب في بدايته الأمير عمر بن هبيرة؛ وذلك لأنه فرض على سعيد أن يأخذ أموالاً من بعض أغنياء عرب خُرَاسان اليمنيّين، على الرغم من أن الوالي حاول أن يبعده عن ذلك حتى لا تتكاثر أمامه العقبات ذلك لأنّ هؤلاء المعنيين كانوا قوماً شديدي النكاية بالعدو، ومعاقبتهم تضر أهل خُرَاسان وقوتهم، إلا أن عمر أرغمه على ذلك[٢] .

أ- أسد بن عبد الله القَسْرِيّ ١٠٦-١٠٩هـ/٧٢٤-٧٢٧م:

استخلف خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ أمير العراقين أخاه أسداً الذي كان لا يزال شاباً[٣] على خُرَاسان التي ما إن دخلها حتى تهيأ لقطع النهر لاستكمال الحرب مع الصُّغْد، فسار حتى أتى مدينتهم "سمَرْقَنْد" وأعاد فتحها واختار "الحسن بن أبي العَمَرَّطة الكنديّ" عاملاً عليها بدلاً من هانئ بن هانئ وقفل هو راجعاً إلى مرو، ويبدو أن الحسن كان على علاقة طيبة مع الصُّغْد ولم يعمل شيئاً بل إنه حافظ فقط على السيادة العربية في بلاد الصُّغْد دون أن يطلب مساعدة من المقر العام في خُرَاسان، الذي كان ضعيفاً لدرجة أن المدينة ظلت تشهد غارات تركية تهدف إلى إخراج العرب منها ولم يحرك ساكناً، وكان الحسن ينفر كلَّما أغاروا فلا يلحقهم، وكان يكتفي غالباً بالدعاء عليهم، فخطب ذات يوم فدعا على الترك في خطبته، فقال: اللهمَّ اقطع آثارهم وعجِّل أقدارهم وأنزل عليهم الصبر؛ مما أثار سخرية الناس وكرههم له[٤]، وبعد أن عاد أسد من غزو سمرقند وجه اهتمامه إلى داخل مناطق خُرَاسان الوعرة والشاقة حيث ظلت هناك بعض المناطق تحتاج إلى إعادة غزو، فَغَزا في سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م جبال نَمْرون[٥] ملك الغِرْشِسْتان مما يلي جبال الطَّالقان، فصالَحه ملكها نمرون وأسْلَم على يديه، كما غزا أيضاً جبال الغُور وهي جبال بربع هَراة،

---

[١]- البلاذري، فتوح، ص٦٠١. الطبري، تاريخ، ج٧، ٣٣-٣٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٣-٣٧٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٥-٢٤٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٠. ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبلي ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط، اخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٢، ص٣٩. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٣.

[٢]- اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤١.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٦٠١-٦٠٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٣. شعبان، الثورة، ص١٨٠.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧-٣٨.

[٥]- يسميها البلاذري وقدامة "نمرود". فتوح، ص٦٠٢. الخراج، ص٤١٢.

وأعاد فتحها وغنم منها أموالاً كثيرة[١]. وفي سنة ١٠٨هـ/٧٢٥م توجه أسد إلى الخُتَّل التي استعان أميرها بالترك في حوض نهر جيحون، لكنه لم يحقق انتصاراً يذكر مما دعاه للعودة إلى بلخ بعد أن تعرض جنده إلى جوع شديد[٢].

لا يمكن القول إن الحصول على الغنائم كان الغرض والدافع لهذه الحملات، وكذلك فليس في المصادر ما يدل على أن هذه المنطقة كانت مصدر قلق أو متاعب للعرب أو كانت بها علامات التمرد أو عدم الاستقرار، فقد كانت الإمارات الهيطلية تحت سيطرة العرب تماماً وذلك منذ أيام قتيبة ولم يقم قتيبة بأي عمل ضدهم خلال حملاته، كما أن أسد حين قدم خُرَاسان لم يصحب معه جيشاً من أهل العراق أو من أهل الشام، فقد تباطأ عرب خُرَاسان في الالتحاق بحملته ضد الترقش لذلك فكر أسد في إقامة تحالف بين العرب وبين الهياطلة وهم الأعداء التقليديون للترك، ولاسيما أن المجندون من أهل ما وراء النهر لم يكن يعتمد عليهم كثيراً في حرب أعداء العرب، فأخضع القبائل في جبال الغور الذين اعتادوا الهجوم على السكان الهياطلة المستقرين حول هراة، وهذا العمل يفسر الصداقة الحميمية بين أسد وخُرَاسان ودهقان هراة[٣].

وزيادة في محاولة التقرب من الهياطلة قرر أسد نقل عاصمته من مرو إلى بلخ ثم قام بنقل مَنْ كان بالبَرُوقان من الجنود إلى بلخ[٤]. ويحتمل أن يكون هذا العمل قد أثار حفيظة سكان بلخ القليلين، ويحتمل أن يكون هذا السبب الذي من أجله لقبوا أسداً بالزاغ؛ أي الغراب الأسود، إلا أن التحالف المنشود بين أسد والهياطلة لم يتحقق في ذلك الوقت لسببين اثنين: أولهما أن الهياطلة كانوا على ما يظهر غير متحمسين لإعلان العداء ضد العرب، مادام العرب في وضع ضعيف، والسبب الثاني لفشل هذا الحلف بسبب معارضة عرب خُرَاسان أنفسهم له، فقد أدركت القبائل العربية بتحريض من دهاقنة مرو ما يترتب على انتقال العاصمة إلى بلخ من انتقال لمركز السلطة والتجارة من مرو، وما يترتب على ذلك من تقليص نفوذهم وضياع مراكزهم. فقد أحب أهل خُرَاسان أسداً كثيراً وتفاعلوا به، ووصفوه بالوالي الجواد الشجاع

---

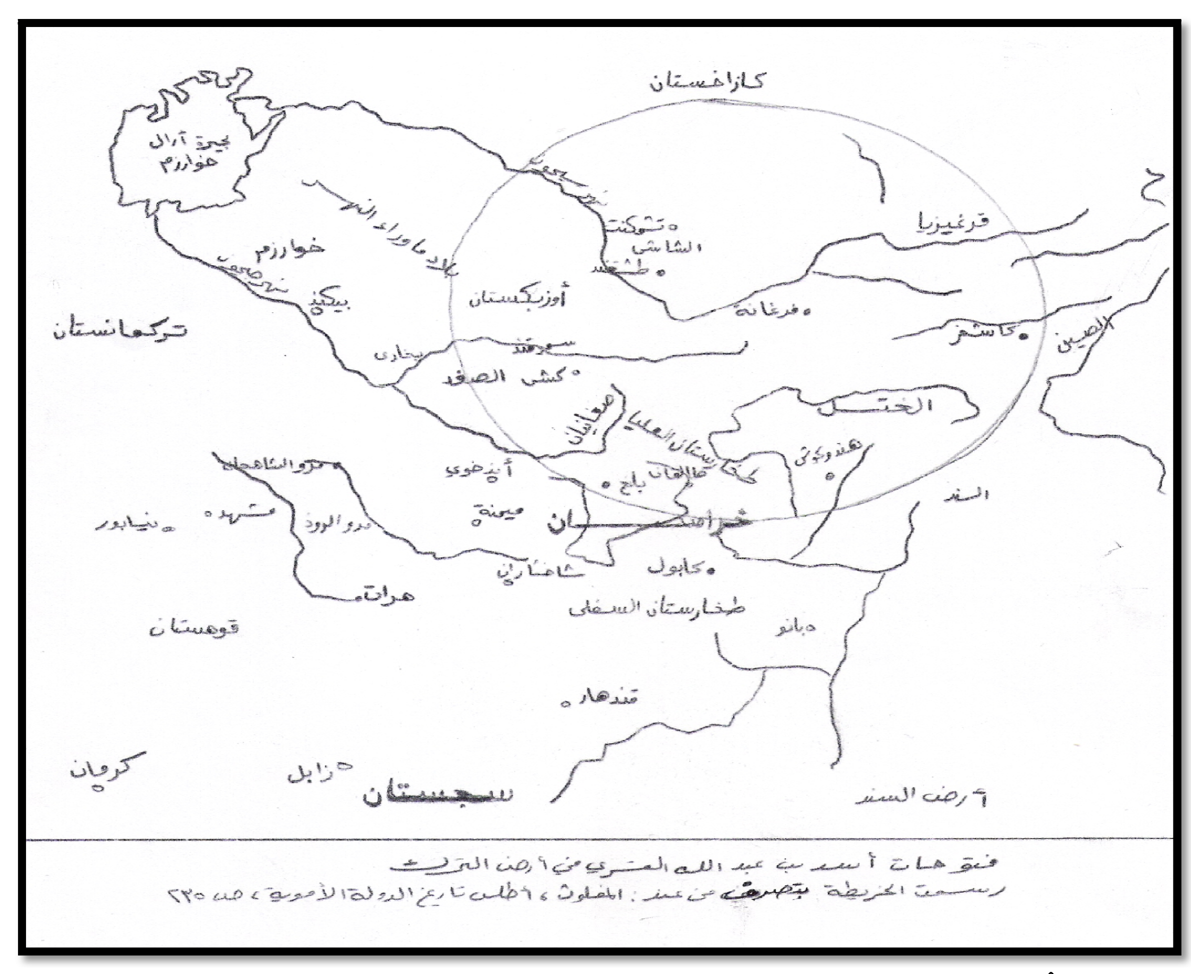
[١]– اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠–٤١. قدامة، الخراج، ص٤١٢. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٥٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١١٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٢–٢٣. ابن العماد، شذرات، ج٢، ص٤٥.

[٢]– البلاذري، فتوح، ص٦٠٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٣–٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٩. شعبان، الثورة، ص١٨١.

[٣]– شعبان، الثورة، ص١٨٢.

[٤]– البلاذري، فتوح، ص٦٠٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤١–٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٥.

فهو وَفيٌّ للخلافة، حاسماً في حل مشاكلها[1]، فقد اضطربت خُرَاسان وبلغ أمرها الخليفة هشام الذي أسرع إلى مكاتبة الأمير خالد في العراق قائلاً: "اعزلْ أخاك" ، فعزله ورجع إلى العراق سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م واستخلف على خُرَاسان الحَكَم بن عَوانة الكلبيّ فأقام بها صيفاً لكنه لم يغزُ، فعزله الخليفة هشام بن عبد الملك ثم ولاها لأَشْرَس بن عبد السُّلَميَّ[2].



فتوحات أسد بن عبد الله القسري في أرض الترك
رسمت الخريطة بتصرف عن: المغلوث، أطلس تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٣٥

ب – أَشْرَس بن عبد الله السَّلَميّ ١٠٩–١١١هـ/٧٢٧–٧٢٩م:

ولّى الخليفة هشامُ خُرَاسان في سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م الأشرس بن عبد الله السلمي وأمره أن يراسل خالداً ابن عبد الله القَسْريَّ بذلك، وكان أشرس رجلاً فاضلاً خَيِّراً، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم، ولما قدم

---

[1]– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٧–٣٧٨. طلس، تاريخ العرب، محمد أسعد: تاريخ العرب، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص١٥٧.

[2]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٨–٤٩. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٥٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٩.شاكر، التاريخ، ج٤، ص٢٤٦. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٥.

أشرس كانت سمعته الطيبة قد سبقته إلى خُرَاسان فكبَّر الناس فرحاً بقدومه وبالتدبير الذي صحب قدومه، ولكن بعد أن أقام بخُرَاسان قليلاً أخذ العرب في خُرَاسان يسمونه جَغْراً، والجغر كلمة فارسية معناها الضفدع. فدخل الأشرس إقليم خُرَاسان وهو لا يزال مضطرباً فعمل على تهدئة أوضاع خُرَاسان فتولى صغيرَ الأمورِ وكبيرَها لإصلاح الوضع وعمد إلى حماية الثغور من هجمات الأعداء فأمر بتشييد الرباطات في أماكن كثيرة، وأحكم قبضة الخلافة على المناطق المفتوحة، فكان أوَّلَ من اتَّخذ المُرابِطةَ بخُراسان، واستعمل عليها عبد الملك بن دِثار الباهليَّ[(١)]. فقد دعا أشرس أهل الذِّمة بسمرقند وما وراء النهر إلى الدُّخول في الإسلام، على أن يضع عنهم الجزية فأجابوه في ذلك، وأسلم أغلبهم، ثم طالبهم بالجزية، الأمر جعلهم يثورون ويسخطون ثم انتهوا لطلب المساعدة من الأتراك الذين سرعان ما انتقلوا وخاقانهم إلى واحة بخارى حيث تركزت الثورة، فخرج إليهم الأشرس غازياً من مرو، إلا أنهم قطعوا عنه طريق العبور إلى نهر جيحون مما اضطره إلى الإقامة في مدينة "آمل" على شط نهر جيحون أكثر من ثلاثة أشهر وذلك في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م[(٢)]، وقدم القائد "قَطَن بن قُتَيْبة بن مسلم" فعبر النهر مع عشرة آلاف جندي، إلا أنهم حوصروا جميعاً من قبل الأتراك، الذين قطعوا عنهم الماء فأصابهم العطش الشديد وعجزوا عن القتال حتى مات حوالي سبعمائة من المسلمين، ثم أرسل إليه الأشرس ثابت قُطْنة في خيل حتى فك الحصار عنه وتمكنوا أخيراً من الخروج من المأزق، وانتقل المسلمون إلى "بيكند" التي لم يصلها إلا بعد مشقة كبيرة[(٣)]، وبذل ما بوسعه لبلوغ بخارى فحاصر خاقان كمرجة ـ وهي أعظم بلدان خراسان ـ وبها جمع من المسلمين وكان مع خاقان الترك وأهل فرغانة وأفشينة ونسف وطوائف من أهل بخارى، وشدد على المسلمين الطوق، فأبلى المسلمون بلاء حسناً في الدفاع عن أنفسهم ورفضوا الاستسلام، فلما رأى خاقان تصميمهم على الجهاد اتفق معهم أن يرحل عنهم، وأن يرحلوا عنه، وأخذ المسلمون منه

---

(١)– اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥١-٥٣. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٦١-٣٦٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٣٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٩. شلبي أبو زيد: موسوعة التاريخ الإسلامي /٢/ الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٨٤م، ج٢، ص٩٨. الخليلي، موسوعة، ص٨٢.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٧. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٦٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٨. فلهوزن، تاريخ، ٤٣٦-٤٣٧.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٧-٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٥-٣٨٦. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٨-٢٤٩. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٦. بارتولد، تركستان، ص٣١٠.

رهائن، وأخذ الترك من المسلمين رهائن، حتى لا يتعرض بعضهم لبعض، فخرج أهل كمرجة من المسلمين إلى الدبوسية، ثم أطلقوا الرهائن، وأطلق الترك الرهائن[١].

لقد ساعد فشلُ الأشرس خاقان الأتراك كثيراً، حيث أصبحت أيدي الأتراك طليقة متفرغة لمحاربة المسلمين في أي وقت في بخارى وأرض الصُّغْد كلها، كما أنه لم يستطع أن يفتح أو يُعيد فتح أي أرض فيما وراء النهر، فاضطرب وضع العرب كثيراً، فلما علم هشام بما آل إليه أمر خُرَاسان أدرك بأنه بعث لها بالرجل الخطأ فعزل الأشرس عن الولاية وولاها قائداً آخراً من قواد جند الشام وهو الجنيد بن عبد الرحمن[٢].

ج- الجُنَيْد بن عبد الرحمن المُرِّيُّ ١١١-١١٦هـ/٧٢٩-٧٣٤م:

لقد سارع الخليفة هشام في عزل الأشْرَس وتَوْلِيَة الجُنَيْد بن عبد الرحمن على خُرَاسان[٣]، وتذكر المصادر أن الجنيد كان قبل ذلك في الهند، ولما قدم إلى خُرَاسان كان معه خمسمائة من المقاتلين من جند الشام، وأنه عمل على التقرب من الخليفة هشام وأهدى امرأة هشام قلادة من جوهر فأعجبت هشاماً، فأهدى لهشام قلادة أخرى، فولَّاه على خُرَاسان، ولا شك أن الخليفة هشاماً، وهو الرجل الحازم بل أحزم خلفاء بني أمية عُرف بغزارة العقل والحِلْم والعِفَّة[٤]، لم يولَ الجنيدَ على خُرَاسان لأنه تقرب منه وأهداه، إلَّا بعد دراسته دراسة جيِّدة اقتنع على إثرها بشخصيته.

توجه الجنيد إلى بلاد ما وراء النهر وشق طريقه إلى نجدة أشرس الذي عاود الترك حصاره في سمرقند، وقد وصلها بعد صعاب ومشاق واجهته بسبب قوة الترك وكثرة عددهم، كان الأشرس يقاتل أهل بخارى والصُّغْد، فعبر الجنيد النهر وأمدَّه بالخيل فاتجه إليها وكاد أن يهلك وتمكن من التغلب على جموعهم واستطاع أن يغير ميزان المعركة لصالح العرب وأن يحقق النصر على الترك عند مدينة "زَرْمان" ثم فكَّ الحصار على سمرقند، واتجه إلى بخارى التي كان بها الجيش التركي الأساسي حيث انتصر هناك انتصاراً ساحقاً وتمكن من أسر ملك الشاش وابن أخي خاقان الترك وهو سكران يتصيد، وبعث بهما إلى الخليفة هشام، وبهذا خلصت بلاد الصُّغْد للعرب ورجع الجنيد إلى مرو بعد أن ترك في سمرقند قوة كبيرة

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦١-٦٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٧-٣٨٨. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٩-٢٥٠. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٠٨-١١٠. الخضري، محاضرات، ج٢، ص٤٣٤. فلوتن، السيادة، ص٦٠.

(٢)- شعبان، الثورة، ص١٨٨.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٣. اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٧. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٧٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٩٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٥٠. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٦٠. طلس، تاريخ العرب، ج١، ص١٥٠.

(٤)- ابن الطباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٣٢. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩٧.

تقدر بأحد عشر ألف رجل جعلهم كلهم من مضر، واستعمل قطناً بن قتيبة على بخارى، والوليد بن القعقاع العبسي على هراة، وحبيباً بن مرة العبسي على شرطته، وعلى بلخ مسلماً بن عبد الرحمن الباهلي[١].

وفي سنة ١١٢هـ/٧٣٠م خرج الجنيد بن عبد الرحمن غازياً يريد طَخَارستان، فنزل على نهر بِلْخ، التي وَجَّهَ إليها القائد "عُمارةَ بنَ حُرَيم" في ثمانية عشر ألفاً، وإبراهيم بن بسام الليثيّ في عشرة آلاف على وجه آخر، وفي هذه الأثناء وصلت الجنيدَ استغاثةُ عامله على "سمرقند" سَوْرة بن الحُرّ التميمي، التي اجتمعت عليه الترك وحاصرت سمرقند، وعلى الرغم من أن الجنيد كان قد وزع جيشه ولم يبق معه قوات كافية للحرب، فقرر إغاثته وقطع نهر جيحون حتى بلغ مدينة "كش" وتأهب للمسير سالكاً إليها طريقاً جبلياً صعباً، فلما كان بشعب جبلي وعر وبينه وبين مدينة سمرقند أربعة فراسخ، فاجأه خاقان في جيش ضخم من الصُّغْد وأهل فرغانة والشاش وطائفة من الترك وأحاطوا به، ودارت بينهم معركة شرسة قاتل بها المسلمون حتى أُعْيَوا، فكانت السيوف لا تحيك ولا تقطع شيئاً، فقطع عبيدهم الخشب ليقاتلوا به، فحصد الأتراك الكثير من أرواحهم، ولولا ثبات نصر بن سيار وفرسانه المغاوير وتفاني الفرقة الخُرَاسانية في القتال لأبيد الجنيد وجيشه، لأن خاقان لم يتراجع بجنوده بل استمر يحاصر الجيش العربي، فأشير على الوالي أن يطلب المساعدة من عامله "سورة بن الحرّ التميمي" الذي سرعان ما خرج من سمرقند مستخلفاً موسى بن أسود، متوجهاً إليه في اثني عشر ألفاً فأصبح على رأس الجبل، وعندما بقي على وصوله إلى الجنيد حوالي فرسخ خرج خاقان مع جموع الترك وأسفرت المعركة عن مقتل سورة وعامة أصحابه، ولم ينج غير ألفين، ويقال ألف[٢]. وكان نصر قد أبلى بلاءً حسناً في قتال الترك في الشعب فلم يشكره الجنيد، فقال نصر يذكر يوم الشعب:

إن تحسُدوني على حُسْنِ البلاءِ لكُمْ ... يوماً، فمِثْلُ بَلائي جَرَّ لي الحَسَدا
يأبى الإلهُ الَّذي أعلى بقدرته ... كعبي عليهم وأعطى فوقَكم عُددا

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٨-٦٩. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٧٣-٣٧٤. كرديزي، زين الأخبار، ص١٧٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٩٠-٣٩١. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٥٠. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٦٠. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٠٦-١٠٧. دحلان، الفتوحات، ص١٤٥.

(٢)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٤٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧١-٧٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٢٧٨-٢٨٢. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٧٦-٣٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٩٥-٣٩٨. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٥٣-٢٥٤. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٧- ٤٣٨. شاكر، التاريخ، ج٤، ص٢٥٤. الهاشمي، الخلافة الأموية، ص٣٨١-٣٨٣.

وضــربــي الــتُّــرك عــنــكــم يــوم فــرقــكــم بــالــسيــف فــي لـشـعـب حـتَّـى جاوروا الـسـنـد[١]

وفي هذه الأثناء وصلته الإمدادات الحربية التي كان قد طلبها من الخليفة هشام فوجهها إلى سمرقند، فتمكن الجنيد أخيراً من دحر الأتراك ودخول سمرقند وبعد أن اتجه خاقان إلى بخارى، لحقه الجنيد وتمكن من التغلب عليه عند "الطواويس" ثم دخل بخارى يوم المهرجان فتلقوه بالدراهم البخارية، ولما استقرت الأمور في الصُّغْد قرر الجنيد العودة إلى خُرَاسان قبل حلول الشتاء[٢]. واستمر الاستقرار في بخارى وسمرقند بعد ذلك إلى ما بعد وفاة الجنيد. ويُستنتج ذلك من المصادر التي لم تذكر شيئاً عن التمردات والغزوات من سنة ١١٣هـ/٧٣١م إلى ١١٦هـ/٧٣٤م السنة التي توفي فيها[٣]. فقد أحب أهل خُرَاسان الجنيد كثيراً وتوجعوا لمرضه الذي مات على إثره، فهو وإن كان قد استعمل كل عماله من مضر فلم يكن متعصباً لها، وما دفعه إلى ذلك هو خوفه من رؤوس الأزد وبكر وربيعة الذي سلف أن تمردوا على الوالي مسلم بن سعيد في البروقان، وإن كان سرعان ما تخلص من هذه الآثار بعد أن تزوَّج من الفاضلة بنت يزيد بن المُهَلَّب الأزدي، وعندما علم الخليفة هشام بن عبد الملك بهذا الزواج غضب عليه فعزله في سنة ١١٦هـ/٧٣٤م؛ لأنه عدَّ زواجه من الفاضلة الذي سبق والدها يزيد أن ثار على الدَّولة، فقد كان هشام يكره يزيد ويعده خارجاً على بني أمية لأنه ثار عليهم في مطلع القرن الثاني الهجري[٤].

لقد أحسن الجنيد معالجة مشاكل خُرَاسان حيث تمكن من إعادة استقرارها عندما تمكن من إخضاع المناطق الشرقية منها التي كانت قد تمردت، كما أحسن إخراج الإقليم من تلك المجاعة التي حلَّت به في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م والتي ظهر خطرها واضحاً خاصة في ربع مرو وعاصمته الذي كان قد تعرض لجفاف استمر سنوات، وذلك بأن فرض على الكور الأخرى المساعدة فكتب إليها قائلاً: "إنَّ مرواً كانت آمِنة مطمئنَّة يأتيها رزقُها رَغَداً من كلّ مكان، فكفرت بأنعمِ الله، فاحمِلوا إليها الطعام"[٥]. كما أبقى

---

[١]- مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٠١. الجبوري، عبد الستار حمدون: ولاية نصر بن سيار على إقليم خُرَاسان في العصر الاموي ٨٦-١٣٢هـ/٧٠٦-٧٤٨م، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ١٦،ع ٤، نيسان، ٢٠٠٩م، ص٢٠٩. نوري، ولاة خُرَاسان، ص١٥.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٤٤. البلاذري، فتوح، ص٦٠٣. الدينوري، الأخبار، ص٣٣٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٩-٨٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٥٣-١٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ٤٠٠-٤٠١. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٥٤.

[٣]- ابن العماد، شذرات، ج٢، ٦٧. الذهبي، العبر، ج١، ص١٠٦.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٣. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٩٠-٣٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٧٤. عطوان، الشعر، ص ٣٤.

[٥]- اقتبس الجنيد بن عبد الرحمن هذا القول من الآية الكريمة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾، سورة النحل الآية ١١٢.

الأسعار رخيصة مثلما كانت عليه من قبل برغم أن هذه الظروف تستوجب غلاءً فاحشاً؛ فضلاً عن أنه كان يبادر بإعطاء المال لمن يسأله من الفقراء؛ لذا فقد اشترك الجميع بوصفه بالفاضل السخيّ وجعلوه في مرتبة الأجواد الممدوحين مع أنه غير محمود عندهم في حروبه[١].

ويبدو أنه لم تكن لدى هذا الوالي خبرة سابقة في محاربة الأتراك على هذه الحدود الجبلية الوعرة، لذلك ارتكب أخطاء تكتيكية أثناء اصطدامه بهم، كانت نتيجتها أن أوقع بالمسلمين في مآزق عسكرية لم يخرجوا منها إلا بشق الأنفس، بالرغم من أنه استعاد بخارى وبعض المناطق التي انسحب منها المسلمون في عهد سلفه، فعزله الخليفة عن ولاية خُرَاسان وولى مكانه عاصم بن عبد الله[٢].

د- عاصم بن عبد الله الهلاليّ ١١٦-١١٧هـ/٧٣٤-٧٣٥م:

كان الجنيد عند مرضه قد استخلف ابنَ عمّه عمارةَ بن حريم على خُرَاسان، لكن الخليفة هشاماً كان قد عزل الجنيد قبل موته ونصَّب مكانه عاصماً بن عبد الله الهلالي الذي أوصاه قائلاً: "إن أدْرَكْتَه وبه رمق فأزهِقْ نفسه"، إلا أن الجنيد كان سعيدَ الحظ إذ إنه مرض بسقى البطن ومات قبل أن يصل عاصم إلى مرو، فلم يستطع هذا أكثر من أن يحبس عمارة بن حريم وأن يأخذ عمال الجنيد ويعذِّبهم لعداوة بينه وبين الجنيد. وما إن بدأ عاصم مهامه ولم يكد يستقر بمرو الشاهجان حتى أدرك أنه من الصعب عليه التحكم في أمور الإقليم، وازداد هذا الإحساس فيه بعد أن خرج عليه الحارث بن سُرَيْج الذي لبس السواد ودعا إلى كِتاب الله وسنة نبيه والبَيعة للرضا[٣] .

وفكر عاصم في ضخامة المسؤولية وصعوبة المشكلات المالية التي أثارت أهل خُرَاسان وما وراء النهر، وقد أدرك عاصم بعد تجربته القصيرة في خُرَاسان، أن لآل البيت نفوذاً واسعاً فيها وأنها لا تصلح إلَّا إذا ضُمَّت إلى العراق القريب من مركز القيادة فكتب إلى الخليفة هشام أن يعفيه، وأن يضيف خُرَاسان إلى صاحب العراق، فعزله الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١١٧هـ/٧٣٥م عن خُرَاسان وأضافها إلى خالد بن عبد الله القَسْريِّ والي العراق، وإن سرعته في مكاتبة الخليفة دلالة على شخصيته الضعيفة؛ ذلك لأنه كان من شيمه الهروب من الغوص في المشاكل وحلِّها، ويؤكد الطبري تسرعه فيذكر أن عاصماً ندم

---

[١]- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٢.ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٠٩. الذهبي، العبر، ج١، ص١١٠. ابن العماد، شذرات، ج٢، ص٧٦.

[٢]- طقوش، تاريخ الدولة الأموية، ص١٥٧.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٣-٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٧٤. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٩. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٩٣. سيتم الحديث لاحقاً عن ثورة الحارث بن سريج في ولاية عاصم وأسد ونصر بن سيار بشكل مفصل.

على بعثه للكِتاب إلى الخليفة وأخبر أصحابه ينتظر مشورتهم إلا أن بعضهم تعجبوا لفعلته واستهزؤوا منه قائلين: أَبَعْدَمَا مضَى الكتابُ؟ كأنك بأسد قد طلع عليك(١).

هـ- أسد بن عبد الله القَسْرِيُّ ١١٧-١٢٠هـ/٧٣٥-٧٣٨م:

أعاد والي العراق خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ أخاه أسداً من جديد على ولاية خُرَاسان، وإن كانت هناك رواية أخرى تذكر أن الخليفة هشاماً هو الذي كاتب خالداً يأمره تَوْلِيةَ أخيه قائلاً: "ابعث أخاك يُصلح ما أفسد، فإن كانت رجيَّة فلتكن به". ويبدو أن الرواية الثانية هي الأقرب إلى الحقيقة وذلك لأن خالداً لم يكن يستطيع أن يعيد أخاه لولاية الإقليم بعد أن كان الخليفة قد عزله منه في المرة الأولى إلا بأمر من الخليفة ورضاه(٢). فكان فخراً لأسد بن عبد الله أن يعود إلى خُرَاسان للمرة الثانية ويُختار لها في ظروف عصيبة، فعمل منذ أن دخلها على كسب ثقة الخليفة وأهلها، فقد بادر مهامه بحبس عاصم ومحاسبته على الأموال التي أنفقها فأخذ منه مائة ألف درهم، وقال: إنك لم تغزُ ولم تخرج من مرو، ثم أطلق سراح عمارة بن حريم وأخلى سبيل موظفي الجنيد الذي كان عاصم قد حبسهم، وإن كانوا من قيس وهم أعداء لأسد بن عبد الله، وقاتل خالداً بن عبيد الله الهجريّ الذي والى الحارث بآمل(٣)، كما عمل على تشريف يحيى بن حُضَين سيد بكر الذي نال عنده وعند الخليفة هشام الدرجة الرفيعة لما صنعه في أمر الكتاب الذي كتبه عاصم(٤).

وبعد هذه الأحداث عاود أسد اهتمامه بمدينة بلخ فعمل للمرة الثانية على "اتخاذها داراً ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع". وكان أسد يريد من هذا الإجراء أن يدعم السيادة العربية في إقليم طخارستان، الذي كان يشكل دائماً مصدراً من مصادر القلق لولاة خراسان، ويبدو أنَّ هذا الاهتمام الجديد بالمدينة الذي ذكره الطبري وابن الأثير في أحداث سنة ١١٨هـ/٧٣٦م جعلت فلهوزن يعتقد أن أسداً نقل العاصمة والجنود الذين كانوا بالبروقان إليها في هذه السنة ـ لأول مرة ـ وليس في سنة ١٠٧هـ/٦٨٩م أثناء ولايته الأولى في خُرَاسان، وقد يكون معذوراً وذلك لأن الولاة الذين جاؤوا من بعد ولاية أسد الأولى عاودوا اتخاذ مرو عاصمة من جديد، ثم غزا طخارستان وأرض جبغويه فغنم وسبى(٥).

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١١.

(٢)- اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. المبرد، الكامل، ج٢، ص٣٩١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٩. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٩٣-٣٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٣. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٧٦.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٤-١٠٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٤. الخضري، محاضرات، ج٢، ص٤٢٤.

(٤)- ابن حزم، جمهرة، ص٣١٧.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢١. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٠. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٥. سرور، محمد جمال الدين: الدولة العربية الإسلامية منذ العام الأول الهجري وحتى نهاية العصر العباسي

وفي أول سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م توفى أسد بن عبد الله القَسْرِيُّ بمدينة بلخ بعد أن انقطعت دُبَيْلة في جَوْفِه، وكانت وفاته صدمة كبيرة للعرب الذين اجمعوا على حُبِّه وتجليله[١]، وذلك لأنه ابتعد في ولايته الثانية على كل أسباب التعصب وبدأها عند دخوله إلى خُرَاسان حيث أخرج عمال الجنيد القيسيين من السجن بعد أن كان عاصم قد عاقبهم وزج بهم فيه[٢]. أما العجم فلم يحبوا والياً مثلما أحبَوا أسداً الذي أحسن معاملتهم منذ ولايته الأولى في خُرَاسان، وكان خبر عزله سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م مصيبة لهم جعلت عدداً كبيراً من الدَّهاقين يختارون الخروج من الإقليم والذهاب إلى العراق معه[٣]. ولا شك أن أصدق تعبير لحبهم واحترامهم له قول "خُرَاسان" ــ دهقان هراة ــ الذي جاء فيه: " ... إنك عزيز ضبطتَ أهلَ بيتِك وحَشَمك وموالِيك، فليس منهم من يستطيعُ أن يعتديّ على صغير ولا كبير، ولا غني ولا فقير، ثم بنيتَ الإيواناتِ في المفاوز من أحسن ما عُمل، ومن يُمن نَقِيبَتِك أنك لقيتَ خاقانَ وهو في مائة ألف ومعه "الحارث بن سريج" فهزمته وقتلته، وقتلت أصحابه وأبَحْتَ عَسْكَرَه، وأما رحْبُ صدرِك وبَسْط يدك، فإنَّا لا ندري أيَّ المَالَيْنِ أحَبُّ إليك، أَمَالٌ قَدِمَ عليك، أم مالٌ خرج من عندك! بل أنت بما خرج أَقرَّ عَيْناً"[٤]. ومع ذلك، فيبدو أن موت أسد المفاجئة السريعة، كانت نجاة له من وقوعه في عواقب عزل أخيه خالداً بن عبد الله القَسْرِيَّ على ولاية العراق، بعد أن لبث في إمارتها ما يقرب من خمسة عشر عاماً. ففي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م أعفى الخليفة هشام بن عبد الملك خالداً بن عبد الله القسري من ولاية العراق وقد ذكرت المصادر أسباباً كثيرة لهذا العزل منها: كان الخليفة هشام يحسد خالداً بن عبد الله على سعة ما حصل له من الإقطاعيات التي كانت تصل غَلَّتُها إلى ثلاثة عشر ألف ألف، بل قيل إنها تبلغ عشرين ألف ألف؛ كما كان خالدٌ لا يحترم الخليفةَ هشاماً وأظهر ذلك كثيراً في كلامه، كقوله لابنه "ما أنْتَ بدون مسلمة بن هشام" كما كان يستهزئ به ويلقبه بابن الحَمْقَاء؛ ومن أسباب عزله أيضاً أن أصله يهودي من تيماء وأن جده كان من موالي عبد قيس، وأنه زنديق كافر فاجر نَسَب للهِ آياتٍ وللرسول أحاديثَ وذمَّ كثيراً القرآنَ والرسولَ وآله والكعبةَ وبئر زمزم وكل المقدسات الإسلامية. وقيل "إنَّ الإسلام في عهده أصبح ذليلاً والحكم في يد أهل الذمة" فقد كان يتعاطف مع أمه النصرانية التي ظلت على نصرانيتها ولم تدخل الإسلام فبنى لها كنيسة في الكوفة قبالة المسجد، وتعاطف مع النصارى كلهم وسمح لهم ببناء الكنائس في كل مكان بل إنه أكثر استعمالهم في الإدارة وفي المهام العليا. هذا وحقد القيسيون على خالد بن عبد

=الأول (١-٢٣٢هـ/٦٢٢-٨٤٨م)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٢٧٨. تفاصيل غزو أسد لبلاد ما وراء النهر وطخارستان سيتم الحديث عنها لاحقاً في معارضة الحارث بن سريج.

[١]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٣٤.

[٢]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٨.

[٣]– فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٤.

[٤]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٤٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٣٤.

الله القَسْريِّ وأخيه أسد، وحسدوهما على حسن إدارتهما ونجاحهما المستمر؛ مما جعل المقربين منهم للخليفة هشام يُغيرون صَدْرَه عليهما، ويشككون الخليفة في نجاح أسد ويُصغِرون من انتصاراته حتى طلب الخليفة ابن حيان النبطي من خُرَاسان ليصدقه الأخبار [(١)].

وبعد أن أعفى هشام بن عبد الملك خالداً بن عبد الله القَسْريّ من ولاية العراق، أرسل إلى يوسف بن عمر الثقفي بولايته العراق وخُرَاسان حيث كان يوسف والياً على اليمن منذ سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م فقدم العراق بعد أن استخلف على اليمن ابنه الصلت[(٢)]، وعندما وصل العراق حبَس خالداً وبعض أقربائه وعماله، كما كان ينتهج نهج ابن عم أبيه الحجاج في الصرامة والشدة في الأمور ويأخذ الناس بالمشاق[(٣)]، ثم وجه اهتمامه إلى خُرَاسان فعزل جعفر بن حَنْظَلَة الذي كان قد استخلفه أسد عليها قبل وفاته[(٤)]، وفكر في اختيار رجل من رجالات قيس لها، فاختار سلماً بن قُتيبة الباهلي على خراسان، وكتب إلى هشام يستأذنه في ذلك، لكن الخليفة حال دون رغبته قائلاً: "إنَّ سلماً بن قتيبة رجل ليس له بخُرَاسان عشيرة، ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه" واكتفى بهذا الرَّدِّ دون اختيار رجل معين لها[(٥)]، وذكر الطبري في رواية أخرى أن يوسف بن عمر كتب إلى جديع بن عليّ الكِرْمانيّ ولاية خُرَاسان[(٦)]. وفي هذه

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٤٢-١٥٤. الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٥-٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٣٦-٤٤٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٤-٢٧٨. ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٢٢٧-٢٢٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٤-٩٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٩-٤٥٠.

(٢)- النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٠.

(٣)- النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٧. ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص١٠١-١٠٧.

(٤)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٥٨. اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤. مجهول، العيون، ج٣، ص٩٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٣٤. انفرد البلاذري بقوله أن خالد القسري هو الذي ولاه بعد وفاة أخيه أسد. أنساب، ج٤، ص١٦١.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٤. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٥. ظاهر القول يوحي بأن سبب رفض تولية هشام له قلة عشيرته، فهو لا ينتمي إلى عشيرة قوية تُسانده وتدعمه، لكن السبب الحقيقي والجوهري وراء رفض هشام لتولية آل قتيبة يتضح جلياً عندما طلب مشورة عبد الكريم بن سليط في رجل يصلح لخُرَاسان، لكونه عالماً بأحوالها ورجالاتها، حيث رشح له عدة رجال منهم قطن بن قتيبة بن مسلم، وذكر له أنه ثائر بأبيه، فقال هشام: "لا حاجة لي فيه"، فقد أدرك أنه لو ترأس آل قتيبة ولاية خُرَاسان لكان جلَّ غايتهم الثأر لأبيهم، لهذا لم يقبل أن يشغلوا هذا المنصب، ولم يُتيح له تحقيق ما كانوا يصبون إليه. البلاذري، أنساب، ج٩، ص١١٩.

(٦)- هذه الرواية مستبعدة وغير محتملة لأسباب كثيرة منها أن يوسف بن عمر رجل قيسي متحيز إلى قيس، فكيف يولي جديع بن علي رأس الأزد، كما يذكر كل من ابن خياط، تاريخ، ص٣٥٨. اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الجهشياري، الوزراء، ص٤٦. مجهول، العيون، ج٣، ص٩٢: أن جعفراً بن حنظلة بقي على ولاية خُرَاسان إلى أن جاء بعهده نصر بن سيار عليها. وذكر الدينوري، الأخبار، ص٣٤٢: أنه لما تسلم نصر بن سيار عهده على خُرَاسان انطلق إلى جعفر بن حنظلة

الأثناء، كان الخليفة هشام يستشير أصحابه في الرجل الذي يصلح لخُرَاسان ووقع اختياره على نصر بن سيار، فقد كان أكثر الموالين للعرش الأموي كفاية فاستطاع أن يوطد دعائم الحكم الأموي في بلاد ما وراء النهر سنة ١٢٣هـ/٧٤١م[١].

و- نصر بن سَيَّار اللَّيثيّ ١٣٠هـ/٧٣٨م:

في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م توفي والي خُرَاسان أسد بن عبد الله القَسْرِيِّ، وكان الوضع العام في خراسان غير مستقر فيها، ينذر باضطرابات سياسية عنيفة منها؛ الحارث بن سريج وتحالفه مع الأتراك تحت لواء الخاقان، وانتشار الدعوة العباسية في خُرَاسان، وقد أقلق هذا الوضع الخليفة هشام بن عبد الملك، لاختيار والي مجرب، فأخذ يفتش عن شخص له القابلية على امتصاص كل هذه المتناقضات، وعنده القدرة على إيقاف تصدع الصف العربي وترميمه، فدرس هشام سيرة المرشحين ونسبهم وأخلاقهم، فكان منهم: عثمان ابن عبد الله الشِّخير، ويحيى بن الحضين بن المنذر الرقاشيّ، ونصر بن سيار الليثي، وقطن بن قتيبة بن مسلم، والمجشَّر بن مزاحم السُّلميّ، فاستبعد الخليفة هشام منهم صاحب الشراب والفاتر الهمة خوفاً من تشقق اتحاد القبائل العربية في خراسان، واختار أخيراً نصر بن سيار الذي نشأ وشاب في خُرَاسان وهو في خدمة آل أميَّة، على الرغم من أن أصْحابه لم يحبِّذوا ذلك لأن نصراً لم يكن له عشيرة قوية يستند عليها في خُرَاسان، لكن الخليفة أجابهم مصمَّماً "أنا عشيرته"[٢]، فقد ذُكرت عدة روايات في ولاية نصر بن سيار لخراسان، على الرغم من وجود بعض التباين والاختلاف فيها إلا أن مضمونها واحد[٣].

وكان سبب اختيار هشام لنصر لأنه أرجل القوم وأعلمهم بالسياسة، وتفوقه على أقرانه العسكريين في خراسان، فهي منطقة معروفة باضطراباتها وتربص الأعداء فيها، لذا عمل على إيجاد شخص قادر على معالجة كل هذه الأمور فاختار نصراً آخذاً بعين الاعتبار مصلحة الدولة أولاً وأخيراً، وهذه صفات الوالي

=واليها، فناوله العهد، فلمَّا قرأه امتثل لأمر أمير المؤمنين وسلم الأمر إليه، وهذا يعني أن جعفر بقي محتفظاً بمنصبه إلى أن قدم نصر بن سيار والياً عليها.

(١)- حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٧١.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٥-١٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤١. اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الدينوري، الأخبار، ص٣٤٢. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥١. دحلان، الفتوحات، ص١٥٦. البستاني، بطرس: معارك العرب في الشرق والغرب، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٧م، ص٨٣.

(٣)- انظر هذه الروايات: البلاذري، أنساب، ج٩، ص١١٩-١٢٠. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٥-١٥٧. الزبير بن بكار ت٢٥٦هـ/٨٧٠م: الأخبار الموفقيَّات،تح: سامي العاني، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١١٨-١٢١.

الذي يبحث عنها الخليفة ويستبعد تدخل العصبيّة في تعيينه، لأن الأوضاع في خراسان تحتاج إلى من يبتعد عن العصبية(١).

لقد كان الخليفة هشام بن عبد الملك متفائلاً بتوليه نصر بن سيَّار(٢)، والتي اتفقت المصادر(٣) والمراجع(٤) على وصفه بالرجل الفطن، العاقل، العفيف، المجرب، العالم بالسياسة فأسرع ببعث عهده على خُرَاسان في رجب سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م الذي بقي فيها عشر سنين(٥).

وكانت آخر الفتوح في عهد نصر بن سيار آخر أمراء بني أمية على خُرَاسان، فقد عَمرت خُرَاسان في ولايته عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج وأحسن الولاية والجباية، فنال رضا الناس ومدحه الشعراء، ومنع لجوء الخارجين على الدولة الأموية كما فعل مع الحارث بن سريج، وصان تراث العرب في هذه البلاد، فاحتل مكانة في تاريخ النضال الإسلامي لا تقل عن مكانة قتيبة بن مسلم الذي حمى خُراسان وبلاد ما وراء النهر من الأتراك الشرقيين، وكان نصر شاعراً وخطيباً فخطب الناس وقال في خطبته: استمسكوا لأصحابكم بجُدّتكم، فقد عرفنا خيركم من شركم(٦). وكان لانشغاله في تثبيت الأمن الداخلي في خراسان وانصرافه إلى إخماد نيران الفتنة الداخلية التي سيتم الحديث عنها لاحقاً سبباً في عدم توسع نصر في فتوحاته وغزواته.

قام نصر بن سيَّار في الحقبة الأولى من ولايته بعدة حملات عسكرية لمناطق ما وراء النهر، آخذاً على عاتقه إعادة السيادة العربية إليها واسترجاع ما انتفض منها، كما أنه رغب في تأمين الحدود الشرقية، والطرق التجارية المارة عبر أراضي الترك الشرقيين، وأصبحت مهمته هذه أسهل من ذي قبل، لأنه بخلاف الولاة السابقين لم يخشَ خطر الترك، لانفراط عقدهم بعد مقتل خاقان، وكان نصر قد وجَّه اهتمامه للقضاء على هذا الخطر الذي يهدد الحدود الشرقية الإسلامية، كما أن تاريخه العسكري الطويل

(١)- الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٨٤. الخطيب، عبد الله: ديوان نصر بن سيار الكناني أمير خراسان ٤٦-١٣١هـ/٦٦٣-٧٤٨م، مطبعة شفيق، ط١، بغداد، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٨.

(٢)- ابن أبي الحديد ت٦٥٦/١٢٥٩م: شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١٩، ص٣٧٥.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤١- ٤٤٢.

(٤)- ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص٣١٩. عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص٥٢٤. طلس، تاريخ العرب، ج١، ص١٥٨. علي، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب، تر: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٦٧م، ص١٧٠. الطيباوي، محاضرات في تاريخ العرب، ص١٥٠. دحلان، الفتوحات، ص١٥٢. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٠.

(٥)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥١.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٨. مسكويه، تجارب، ج٢، ٤٣٠-٤٣١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٠١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤١-٤٤٢. عطوان، الشعر، ص٣٧.

في مناطق ما وراء النهر من خلال مشاركته لولاة ما وراء النهر في فتوحاتهم قد أفادت في فتوحاته، فهو على معرفة جيدة بجغرافية تلك المناطق من حيث مواطن الضعف والقوة وأساليب قتال أعدائه[(١)].

وقد ابتدأ نصر فتوحاته في سنة ١٢١هـ/٧٣٩م بعد أن نظم أمور الولاية، فخرج من بلخ من ناحية باب الحديد، ثم قفل إلى مرو، فخطب الناس، وجاءت هذه الخطبة لتبين بوضوح سياسة نصر بن سيار وحرصه على استتاب الأمن واستقراره في مرو ليتخذها بعد ذلك قاعدة انطلاق يخرج منها في غزواته إلى ما وراء النهر، ومر بمدينة وَرْغَسْر قاصداً سمرقند، حيث وقع في يده اثنان من دهاقنة بخارى تمكَّن من إدخالهما الإسلام، لكنهما سرعان ما ثاروا، وهنا يرى فلهوزن[(٢)] أن سبب ثورتهما هو إلزامهم بدفع الجزية، ثم نجد السبب عند الطبري أنهما ذكرا لنصر أنهما كانا على عداوة مع "بُخارا خُذَاة" رئيس المسلّحة. وبعد أن تم لنصر فتح سمرقند توجه إلى مدينة أَشْرُوسَنَة قاصداً الشاش في النواحي الشمالية والغربية لنهر سيحون بصحبة عشرين ألفاً من أهل بخارى وسمرقند وكُش وأشروسنة، إضافة إلى قواته من أهل العرب، فتمكن من قتل كورصول. ثم توجه نصر بعد الشاش إلى فرغانة ونزل مدينة قُبَاء القريبة منها، لكن أهلها قد تهيأوا لذلك "فأحرقوا الحشيش وقطعوا الميرة"، مما جعله يتوجه إلى فرغانة مباشرة حيث حاصر صاحب فرغانة في حصنه الذي تمكن من الخروج منه وغنم دواب المسلمين وأسروا أناساً من المسلمين، فبعث له نصر مجموعة من رجال تميم الذين تمكنوا سريعاً من النصر وانتهى الأمر بإبرام الصلح الذي سرعان ما نُقض[(٣)].

وفي سنة١٢٣هـ/٧٤١م صالح نصر بن سيار الصُّغْد الذين طمعوا بالعودة إلى بلادهم التي كانوا قد خرجوا منها وتشتتوا، وأنحاز بعضهم إلى الشاش بعد أن قُتل خاقان في ولاية أسد بن عبد الله القَسْرِيِّ على خُرَاسان، وانشغال الترك بالحرب فيما بينهم، فلما ولي نصر بن سيار إمرة خُرَاسان أرسل إليهم يدعوهم إلى العودة إلى بلادهم وأعطاهم ما أرادوا من الشروط رغم أنهم اشترطوا شروطا أنكرها أمراء خراسان، ومنها: ألَّا يُعاقَب مَنْ كان مسلماً ثم ارتدّ عن الإسلام، وألا يطالبهم بما عليهم لبيت المال ولا يُؤْخذ أُسَرَاء المسلمين من أيديهم إلا بقضيّة قاض وشهادة العدول، فعاب الناس هذا الصلح كثيراً وتعرَّض لانتقادات لاذعة واتهامات عديدة، لكن نصرا أقنعهم قائلاً: "لو عاينتم شَوْكتهم في المسلمين ونِكايتهم مثل ما عاينت ما أنكرتم ذلك"، لأنه كان يعرفهم حق المعرفة، فهو صاحب تجربة طويلة معهم عانى خلالها الكثير، ومن الجدير بالذكر أن هناك سبباً آخر دعا نصر لمصالحتهم ومنحهم هذه الشروط الكريمة، وهو حاجته إلى

---

(١)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥١. الخطيب، ديوان نصر، ص١٣. الزعبي، نصر بن سيار، ص٧٥.

(٢)- تاريخ الدولة، ص٤٥٢.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٣-١٧٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٨. ابن خلدون، تاريخه، ج٣، ١٢١-١٢٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١٤-٢١٥. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٩٤. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٩-١٠٠.

خيراتهم التجارية، فأهل الصغد معروفون بعلاقاتهم التجارية، لذلك رغب نصر بالاحتفاظ بهذه القدرات، لأنها مكسباً للمسلمين، فهم على علاقات تجارية وثيقة مع الصين. ثم أرسل رسولاً إلى هشام بن عبد الملك يخبره بالصلح الذي عارض مصالحتهم في بداية الأمر، ثم اقتنع بعدما أدرك حكمة نصر، وهذا يدل على حسن تدبير من الوالي نصر، فقد بادر على إرضائهم قبل أن يشغبوا عليه، فيعمل السيف فيهم.كما استمر أيضاً في مباشرة الغزو فغزا فرغانة مرة ثانية في سنة ١٢٣هـ/٧٤١م لما شغب أهلها وتمردوا فانتصر عليهم وصالح أهلها[١].

وبعد استعراض فتوحات نصر بن سيار يمكن القول أنه تمكَّن من تحقيق انتصارات كبيرة فيما وراء النهر، ويشبه بارتولد انتصاراته بانتصارات قتيبة بن مسلم، لأنه أعاد السيادة للعديد من مناطقها[٢]، وعلى الرغم أن غزوات نصر وحروبه مع الترك ليست كثيرة، فإنه استطاع أن يخضعهم لشروطه وحكمه، واستطاع أن يحمي حدود ولايته، ودليل إخضاعه لها بأنها لم تحاربه رغم انشغاله المتواصل بالصراعات الداخلية في خراسان.

وفي سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م نشط العباسيون في خُرَاسان نشاطاً قوياً، حيث اضطرب الوضع السياسي في خُرَاسان وأصبح من الصعب السيطرة عليه، إلا أن نصر بن سيار جابهه بكل شجاعة فتفرغ لثورة الحارث بن سريج ولذلك اتفق مع أهل السند على إخراج الحارث من خُرَاسان مقابل العفو عمن ارتد عن الإسلام منهم[٣]. لقد ظل الخليفة هشام متفائلاً بنصر بن سيار ولم يبادر بعزله رغم محاولات يوسف بن عمر الجادة في ذلك، وظل مقتنعاً أنه "هُوَ لَهَا"[٤] إلى أن مات في شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م بالرصافة إثر ذبحة صدرية أصابته[٥]، فبويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك خليفة[٦]، فقد كانت خراسان

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٥٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٢٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٩. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١١٧-١١٨. دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص١٥٣. الريس، الخراج، ص٢٥٣. شعبان، الثورة العباسية، ص٢١٤. الزعبي، نصر بن سيار، ص٨١.

(٢)- تركستان، ص٣١٢.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٩٣-١٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٥٩-٤٦٣.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٦١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٣١.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٦٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٧٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٥٨. أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٢٥٧.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٦٧. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦٦.

في عهده تابعة ليوسف بن عمر عامل بني أمية على العراق، أما في عهد يزيد بن الوليد فقد كانت خراسان تابعة لمنصور بن جمهور[١].

وفي شهر ذي الحجة سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م توفي الخليفة يزيد بن الوليد الذي لم يستمر في الخلافة سوى خمسة أشهر، والذي كان قد عهدها لأخيه إبراهيم من بعده الذي لم يتم له الأمر، ذلك لاضطراب أحوال بني أمية، فكان يُسَلَّم عليه تارة بالخلافة، وتارة بالإمارة، وتارة لا يُسلَّم عليه بواحدة منهما، فمكث أربعة أشهر وقيل سبعين يوماً، حتى جاءه مروان بن محمد ثائراً مطالباً بدم الوليد بن يزيد، فخلعه وبويع بالخلافة التي لم يهنأ بها يوماً إلى أن سقطت الدولة الأموية، وقتل في بوصير يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. وفي الأيام القصيرة التي تولى فيها إبراهيم الخلافة كان نصر بن سيَّار لم يزل أميراً على خُرَاسان، وقد بقي أميراً عليها كذلك في خلافة مروان حتى زوال دولة بني أمية[٢].

في هذه الأثناء كانت أحوال خُرَاسان تنذر بالخطر فلم يستطع نصر بن سيار كسب رضا الحارث بن سريج على الرغم من التنازلات التي قدمها له، فحاول نصر الاستنجاد بالخليفة مروان بن محمد، لكن طالما كانت العراق وما يلحق بها من بلاد العجم في قبضة الخوارج وفي قبضة عبد الله بن معاوية بن جعفر فإن الطريق كان مقطوعاً بينه وبين مقر الخلافة الأموية في الشام[٣]، مما جعل نصراً يأخذ على عاتقه مهام استرجاع مرو التي كانت القبائل قد استولت عليها لكنه لم ينجح في ذلك برغم تكرار المحاولات[٤]. فدعا نصر الكرماني إلى الصلح والموادعة، على أن يلتقيا بمرو لكتابة عهد بينهما، إلا أن تلك المفاوضات قطعت، لأن ابن الحارث بن سريج الذي كان موجود مع نصر، انتهز الفرصة وثأر لأبيه وقتل جديعاً[٥]، غير إن إعلان أبي مسلم الخُرَاساني القائم بالدعوة العباسية بخُرَاسان، دعوته جهراً في رمضان سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م وتمكنه من التوسع في قرى ومدن كثيرة على رأسها مدينة هراة"[٦]، أرعب العرب وفتح أعينهم وجعلهم لا يجدون سبلا إلا مؤازرة الخلافة فاتحد يحيى بن نعيم بن هبيرة، أكبر سادات قبيلة بكر في خُرَاسان، مع نصر بن سيار وانضمت إليهما ربيعة كما انضم إليهم شيبان بن سلمة

---

[١]- سيتم الحديث لاحقاً وبشكل مفصل عن تبعية خراسان إدارياً إلى العراق.

[٢]- ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦٧. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٩. أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٢٥٨. الثعالبي، عبد العزيز: سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢هـ/٧٥٠م، تح: حمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٥م، ص٨٥-٨٦. شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٢، ص١٠٤. طلس، تاريخ العرب، ج١، ص١٦٧. الخليلي، موسوعة العتبات، ص٨٤.

[٣]- فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٣.

[٤]- فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٤. الخليلي، موسوعة العتبات، ص٨٤.

[٥]- ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٢-٣٤.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧١-٣٧٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨.

الحروري الخارجي البكري وأصحابه ومن هم على مذهبه، وبهذا استطاع نصر أن يجمع مضر واليمن مرة ثانية والدخول إلى مدينة مرو العاصمة من جديد في آخر سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م(١)، غير أن أبا مسلم الخُرَاساني عرف كيف يقنع علي بن جديع الكرماني بأن قتل أبيه إنما كان بإيعاز من نصر بن سيار نفسه وكان يهدف أن يضمَّ علي إلى جانبه، مما جعله وأهله من الأزد يثيرون مرة أخرى على نصر، ويتقاتلون في ضواحي مرو طويلاً، حتى ضعفت قواهم، فدخلها أبو مسلم الخُرَاساني منتصراً وصار أبو مسلم سيد الموقف، ذلك أنه تدخل في القتال عندما بدا له أن الوقت مناسب وقرر مصير المعركة من غير استعمال السيف وكان ذلك في سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م(٢)، ومات نصر بن سيار هارباً في قرية ساوة بالقرب من الري كَمَداً، وذلك في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣١هـ/٧٤٩م وهو ابن خمس وثمانين سنة(٣). وكان هذا آخر السيادة العربية في خراسان وبدء نهاية السيادة العربية على الإطلاق.

استطاع نصر بن سيار أن يجمع العنفوان العربي في إطار إسلامي، مما يشكل صورة فاعلة لدوره في إدراك المخاطر التي اكتنفت الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، إذ كان على الدوام يحاول الحفاظ على ديمومة الحكم العربي الإسلامي في إقليم خُرَاسان، ولكن مع ذلك ظهرت حركات مضادة كان لا بد لنصر من مواجهتها.

يُستنتج مما سلف، أن أحوال خراسان في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري، كانت تنذر بنهاية الدولة الأموية فيها، ولم يكن الخطر كامناً في عدوها التقليدي ـ الأتراك ـ الذين حاولوا كثيراً طرد العرب والمسلمين من الإقليم، وكاد خاقانهم أن يحقق ذلك في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م حيث دخل طخارستان متوجهاً إلى الغرب لولا شجاعة الوالي أسد بن عبد الله القسري الذي تمكن من التغلب عليه وجعله يقطع نهر جيحون هارباً، بل إن الخطر أصبح في كثرة المعارضات التي انفجرت في داخلها، والمتمثلة في معارضات القبائل العربية الناتجة عن العصبية، والمعارضات المذهبية الخارجية والشيعية، التي تعاظمت حتى لم يتمكن الولاة ـ وبخاصة المتأخرون منهم ـ برغم حنكتهم من التغلب عليها فتصاعدت وانتهت بنجاح الدعوة العباسية.

---

(١)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٥.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٣. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٥.

(٣)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٦. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٧٠. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠٣-٤٠٤. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٤. ابن الأثير الكامل، ج٥، ص٥٤. أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٢٦١. البغدادي (عبد القادر بن عمر =ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط٤، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٣.

٩-النتائج التي ترتبت على فتح خُرَاسان:

بعد دراسة حركة الفتوح في إقليم خُرَاسان يمكن القول أن العرب خلال عمليات فتحهم لهذا الإقليم وجدوا أنفسهم أمام عدد كبير من الإمارات الصغيرة التي كانت في حال من العداء المستمر مع بعضها، ومن ناحية أخرى أمام طبقة من الفرسان عرفت بالشجاعة وتميزت بالمهارة القتالية العالية[١]. هذا وترتب على عملية فتح خراسان مجموعة من النتائج الهامة كان في مقدمتها انتشار الإسلام بين سكان البلاد، فقد كان دور بني أمية في إقليم خُرَاسان إيصال نور الدعوة الإسلامية إلى هذا الإقليم، فقد رَحَّب الفرس بالعرب حُبَّاً في الخلاص من ظلم الحكام أولاً، ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانياً، ثم أملاً في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر، وذلك لأن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين، ومن زرادشتيين وصابئة وعبدة الأوثان والنار والحجارة، على أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا الجزية للمسلمين[٢]. فلم تكن القوة هي السبب في تحويل الناس إلى الإسلام بدليل هذه المعاملة الحسنة التي عامل بها العرب من بقي من الفرس على تمسكه بمذهبه القديم، ولا تزال هناك بعض جماعات صغيرة من الفرس يعبدون النار، وكان أجدادهم يتمتعون بقسط وافر من الحرية الدينية بعد الفتح الإسلامي، كما كانت الدولة العربية الإسلامية تحول دون التعرض لمعابدهم، ولما تم للعرب فتح بلاد فارس قاموا بحماية الأهالي مقابل دفع مبلغ معين يؤديه كل فرد قادر على القتال، يسمى الجزية أو جزية الرؤوس، وهي ضريبة شخصية يدفعها أهل الذمة لإعفائهم من خدمة الجيش، وكانوا يعفون من تلك الجزية إذا اعتنقوا الإسلام، وكانت الأرض ملكاً للفاتحين، غير أن هؤلاء كانوا يتركونها للأهالي يزرعونها على أن يؤدوا جزءاً من غلتها ضريبة عقارية تسمى الخراج، ويرجع السبب في ترك الأرض في أيدي الأهالي، لأن أهل البلاد هم أعرف من غيرهم في طريقة زراعتها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ضريبة الخراج ترفد بيت المال بمقدار أكبر من خلال تحويل الأرض للمسلمين، لأن ضريبتها في هذه الحالة تصبح عشرية، أضف إلى ذلك الرغبة في أن يكون كل مسلم جندياً من جنود الإسلام على أهبة الاستعداد لتلبية داعي الجهاد فلا ينشغل بالأرض ويتراخى عن الجهاد، على أن يمنح عطاء معيناً من بيت مال المسلمين مقابل خدماته، وكان من أثر هذه السياسة أن يبادر كثير من الأهالي إلى الإسلام مما ساعد العرب على التوسع في فتح بلاد المشرق[٣]. على أن سكان المدن وخاصة الصناع وأصحاب الحرف وأهل الطبقة العاملة قد رحبوا بالدين الإسلامي، واعتنقه عدد كبير منهم في حماسة كبيرة، وذلك

---

(١)- بارتولد، تركستان، ص٢٩٩.

(٢)- أبو يوسف، كتاب الخراج، ص١٢. أيوب، الخلفاء الراشدون، ص١١٤.

(٣)- حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص١٨٢-١٨٣. أيوب، حسن: الخلفاء الراشدون القادة الأوفياء وأعظم الخلفاء، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١١٤-١١٥.

لما تتطلبه أعمالهم من تركهم ديانة زرادشت، ولما يترتب على اعتناقهم الإسلام من تركهم أحراراً ومساواتهم في المذهب الديني، ولم يكن ارتدادهم عن ديانة زرادشت نفسها بالأمر الصعب، فقد تبع سقوط الأسرة الساسانية تدهور الكنيسة، حتى إنه لم يعد لأتباعها مركز يجتمعون حوله، فوجدوا السبيل سهلاً ميسوراً لاعتناقهم الإسلام لما بين مذهبهم الجديد ومذهبهم القديم من أوجه الشبه الكبيرة، فالفارسي يستطيع أن يجد في القرآن كثيراً من التعاليم الأساسية في ديانته القديمة، وإن كان ذلك بصورة مختلفة كثيراً[١].

وكانت حماية خُرَاسان والمشرق من عدوان الأتراك الشرقيين من أهم منجزات العصر الأموي التي مكنت السيادة الإسلامية من هذه البلاد، كما أضافوا جهوداً أخرى في ميدان الدعوة إلى الإسلام ونشر اللغة العربية، وقد وضحت هذه الجهود منذ فجر الفتح الأول، فعمل قتيبة بن مسلم على بناء المساجد في بخارى وسمرقند، ولم تكن المساجد دوراً للعبادة فحسب، إنما كانت مدارس للثقافة الإسلامية واستقدام العلماء لتعليم الدين الإسلامي عن طريق ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية لغتهم الأصلية، وكان القرآن الكريم يقرأ بالفارسية وبالعربية لأن اللغة العربية لم تكن ميسرة على الناس، وتتابعت هذه الجهود في عهد عمر بن عبد العزيز الذي أسقط الجزية عمن أسلم وأمر عماله بالدعوة إلى الإسلام، واستمرت هذه الجهود بعد عمر خاصة في عهد الوالي أشرس بن عبد الله السلمي إذ كان أول من أنشأ الربط والخوانق والمدارس وعمل على تثبيت قدم الثقافة العربية في البلاد، فكان ذلك مقدمة لمدارس بخارى وسمرقند، كما اعتنق الآلاف من الناس الإسلام في عهد عمر بن عبد العزيز وفي عهد الوالي نصر بن سيار، حيث يذكر بأن ثمانين ألفاً من غير المسلمين اعتنقوا الإسلام في عهد نصر[٢]. فقد ترك الفاتحون العرب خُرَاسان في أيدي حكامها الذين اعتنقوا الإسلام على أن يشترك معهم في الحكم عامل من قبل الخليفة، وكان على سكان هذه البلاد من غير المسلمين أن يدفعوا الجزية، وكانت معاملة العرب وحسن الأخوة الإسلامية دافعاً قوياً لسكان تلك المناطق للسعي للصلاة في المساجد وسماع قراءة القرآن الكريم[٣].كما ظهر من أبناء هذه البلاد طبقة أجادت اللغة واشتغلت بعلوم القرآن واللغة والحديث وغيره من هذه العلوم، وأفادت وأضافت للحضارة الكثير[٤]. فاعتناق أبناء الأقاليم المحررة الإسلام كان "إما نجاة بأنفسهم من هذا القلق الديني أو طلبها للمساواة بالمسلمين"[٥].

---

(١)- أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٧.

(٢)- محمود، الإسلام في آسيا، ص١٥٣-١٥٤. البلاذري، فتوح، ص٥١٧. عزب، محمد سعد السيد أحمد: الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي، شركة نوابغ الفكر، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٣.

(٣)- الغنيمي، الإسلام والمسلمين، ص٥١-٥٢. عزب، الحياة الفكرية، ص٤٨.

(٤)- بدر، فاروق حامد: تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، مطبعة حسان، القاهرة، د.ت، ص٢٣-٢٤.

(٥)- شكري، المجتمعات الإسلامية، ص٢٠١.

وكان المسلمون قد تعاملوا مع أهل خُرَاسان بروح من التسامح، فقد ذكر أن أمير خُرَاسان سعيد بن عبد العزيز كان إذا بعث سرية من المسلمين فأصابوا وغنموا وسبوا كان يرد السبي ويعاقب السرية[١]، ومن الشواهد أيضاً على حسن معاملة المسلمين للسكان أن أهل سمرقند كانوا قد أرسلوا وفداً منهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ليشكوا إليه من أن قتيبة بن مسلم كان قد دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على خُرَاسان يأمره أن ينصب لهم قاضياً لينظر فيما ذكروا، فإن قضى بإخراج المسلمين من المدينة أخرجوا منها، فنصب لهم قاضي يدعى جُمَيع بن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم، ولكن أهل سمرقند كرهوا الحرب وأقرُّوا المسلمين فأقاموا بينهم[٢]. ولذلك استقرت الأوضاع واستطاع العرب المسلمون بناء حضارة عربية إسلامية عظيمة، ولم تكن تلك الحضارة لخدمة العرب المسلمين فقط وإنما لخدمة البشرية جمعاء، ويقول لوبون: إن العرب انشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرةَ الاختلاف عن الحضارات التي ظهرت، كما تمكَّنوا من اجتذاب أممٍ أخرى كثيرة إلى دينهم ولغتهم فضلاً عن حضارتهم الجديدة[٣].

كما ارتبط العرب بسكان البلاد بعلاقات ودية، ونشأت بينهم علاقات صداقة، مثال ذلك أن ثابت وحريث ابنا قطبة كانا قد ارتبطا بعلاقات وطيدة مع الصُّغْد[٤]، ومن الأخبار التي تشير على مثل هذه العلاقات أن بكير بن وشاح كان قد استدان من رجال الصُّغْد وتجارهم من أجل تجهيز نفسه لغزو ما وراء النهر[٥].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسلمين كانوا قد خرجوا إلى خُرَاسان بدافع الجهاد ورغبة في الشهادة، حيث أشارت إلى ذلك الكثير من الروايات التاريخية، فقد وصف الأسود بن كلثوم العدوي الذي قام بفتح مدينة بيهق سنة ٣٠هـ/٦٥٠م بأنه ناسك وذلك لشدة ورعه وتقواه، وأنه كان يدعو الله أن يحشره من بطون السباع وحواصيل الطير، وعندما استشهد لم يقم أخوه بدفنه وذلك لكي يتحقق دعائه، ودفن من استشهد من أصحابه[٦].

كما أن العرب لم يكونوا مجرد فاتحين، وإنما عملوا على تنشيط الجوانب الاقتصادية في خُرَاسان، فيذكر أن عبد الله بن عامر كان قد اشترط على عظيم هراة في الصلح الذي عقده معه أن يقوم بإصلاح

(١)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٥.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٣.

(٣)- حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط٣، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٣٥.

(٤)- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٥.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٠١. خصاونة، القبائل العربية في خُرَاسان، ص٣٩.

(٦)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٤. البلاذري، فتوح، ص٥٦٨. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١-٣٠٢. قدامة، الخراج، ص٤٠١.

ما تحت يديه من الأراضي، كما أن عمر بن عبد العزيز كان قد أمر ببناء الخانات في خُرَاسان، وذلك من أجل توفير الراحة للتجار والمسافرين فيها[١].

ونتيجة لما قام به العرب من فتوح فقد جنوا الكثير من الغنائم بعد الانتصارات التي حققوها على الصُّغْد والترك، وكانوا حريصين على أن توزع هذه الغنائم فيما بينهم ولا يشاركهم فيها أحد، لاشك أن العرب قد جنوا ثمار هذه الانتصارات التي أحرزوها على الفرس فضموا إلى بلادهم بلداً جديداً، وأصبحوا في رغد من العيش بعد أن امتلكوا كنوز الفرس، وقد بهرت تلك النفائس والأموال العرب الذين اعتادوا التقشف والبساطة، كما عقدوا مع مدن خُرَاسان الكثير من معاهدات الصلح، مع أهل قوهستان، ونيسابور، ونسا، وأبيورد، وطوس، ومرو الشاهجان، ومرو الروذ، وبلخ، وصالح سلم بن زياد أهل أيضاً[٢].

---

[١]– البلاذري، فتوح، ص٥٧٠، ص٥٩٩-٦٠٠.

[٢]– خصاونة، القبائل العربية في خُرَاسان، ص٤٠-٤١.

الفصل الثالث

استيطان القبائل العربية في خراسان من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأموي وأثره على العصبية القبلية

أولاً: استيطان القبائل العربية في خراسان ومناطق توزعها

١- القبائل العربية التي شاركت في فتوح خراسان

٢- استيطان القبائل العربية ودورها في تثبيت الحكم الأموي في خراسان

٣- مناطق توزع القبائل العربية وأماكن سكنهم في خراسان

ثانياً: العصبية القبلية وحركات المعارضة في إقليم خراسان

١- العصبية القبلية وأسبابها

٢- الصراعات القبلية في خراسان وموقف الخلفاء الأمويين منها

٣- حركات المعارضة في إقليم خراسان (١٠٠-١٣٢هـ/٧١٨-٧٥٠)م

أ- معارضة البروقان ١٠٦هـ/٧٢٤م

ب- معارضة الحارث بن سريج المرجئي

ج-معارضة جديع الكرماني ١٢٦-١٣٠هـ/٧٤٤-٧٤٨م

د-معارضة يحيى بن زيد ١٢٣-١٢٥هـ/٧٤١-٧٤٣م

٤- نتائج العصبية القبلية وحركات المعارضة

أولاً: استيطان القبائل العربية في خراسان ومناطق توزعها

كان للقبائل العربية في العصر الأموي دور مؤثر في الأحداث السياسية، فقد شاركت بالفتوحات العسكرية على الجبهات كافة، وأخذت عملية استيطان العرب في الأمصار الجديدة شكل التنظيم القبلي، بحيث عُرفت كل قبيلة أو مجموعة من القبائل بخطة محددة معينة تدور في فلك التنظيم الإداري الذي يُخضع القبيلة للتوطين في أماكن محددة، ويخضع رؤساء القبائل للعزل والتعيين من قبل الإدارة العليا، وعلى هذا النحو سار العرب إلى خراسان فاتحين ومستقرين، وأسهم العرب الذين نزلوا في إقليم خراسان في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وأسهموا بدور كبير في نشر الإسلام واللغة العربية، فأقبل الأعاجم على الإسلام، وتعلموا اللغة بعد أن خالطوا العرب وعاشوا بينهم، فتعرَّب هذا الإقليم في مدة وجيزة قياسية، وأدى ذلك إلى ازدهار الحركة الفكرية(١)، فاتجه الأمويون اتجاهاً واضحاً إلى توطين العنصر العربي، وتم الاختلاط بين العنصرين العربي والعجمي في الإقطاعيات الكبرى المنتشرة في المناطق الريفية، وأدَّى إلى الانصهار في بوتقة الحضارة الإسلامية، وفتح الاختلاط مجالاً للتأثيرات الخارجية والمزج بين العرب والعجم، وكانت وسيلة هذا الاختلاط بين العرب وأهل البلاد الأصليين هي الزواج، فقلدوا مظاهر الحياة الاجتماعية، فالقبائل التي استقرت بخراسان سرعان ما اتخذت السراويل لباساً لها واحتفلت بالأعياد الفارسية، وتعلمت بعض الألفاظ الفارسية(٢)، واندمجت مع السكان المحليين، فبنوا الدور والمساكن، وأصبحوا ذوي أملاك زراعية يحرثونها ويجرون إليها الماء، وامتلكوا الكثير من الأراضي في الأرياف، فعملوا على إحياء الأرض وإعمارها وحسن استثمارها وبذلوا الجهد في ازدهارها، وشرع العرب المسلمون حال دخولهم خراسان على تشجيع سكانها على إصلاح الأرض بعد توزيعها بالعدل بين الناس، وبرز من أبناء العشائر العربية في خراسان قادة وأمراء تولُّوا مناصب مهمة في العصر الأموي، وظهر فيهم شعراء وأدباء وعلماء في أماكن مختلفة متباعدة تبعاً لمواطن الاستقرار المتباينة بسبب تباين الأمصار واختلاف التضاريس. هذا وكان العنصر العربي هو المادة الأولى في جيش الفتح، وكانت العمليات الحربية تحتاج إلى أنواعٍ من الاتصال بالأرض، ومن الاختلاط بالسكان، وتوثيق العلاقات معهم، وطي الفجوات التي تفصل بين العرب من جهة، والفرس والأتراك من جهة أخرى، ولهذا كان توطين العرب خطوة رائدة في نشر الإسلام والتعريب.

فقد قامت عمليات الفتوح في خراسان منذ البداية على كواهل القبائل العربية التي انطلقت من البصرة والكوفة باتجاه الشرق، وحفلت المصادر التاريخية بالكثير من الإشارات التي تناولت أسماء الأمراء من

(١)- العلي، استيطان العرب في خراسان، ص٤٠.

(٢)- محمود، الإسلام في آسيا، ص٥٦-٥٧. الغزي، الهادي حمودة: الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٩١.

رجالات القبائل الذين أسهموا في عمليات الفتوح، فضلاً عن دور التجمعات القبلية، فهذا ما يؤكد دور هذه القبائل العربية في حركة الفتوح الشرقية، وكذلك دورها في تثبيت دعائم الحكم الأموي.

١- القبائل العربية التي شاركت في فتوح خراسان

إن القبائل التي استوطنت في خراسان هي القبائل نفسها التي شاركت في الفتح، وهي في غالبيتها من قبائل البصرة، فقد اختيرت البصرة لتكون قريبة من المناطق التي استقرت فيها القبائل العربية، وقد أصبحت هذه القبائل فيما بعد من المصادر المهمة التي زودت الجيوش العربية الإسلامية بالمقاتلين الذين أسهموا في عمليات الفتح، ولهذا يمكن القول: إن فتوح خراسان الأولى كانت فتوحاً بصرية في معظمها[١]. وكانت خراسان وثيقة الصلة بالبصرة التي كانت قاعدة فتوح خراسان، ومنها كان أغلب المستوطنين العرب والولاة[٢].

وكان التنظيم الاجتماعي والعسكري في خراسان قائماً على نظام رؤوس الأخماس، وهو النظام نفسه الذي كان زياد بن أبيه قد اتبعه في البصرة والذي أعاد تنظيم العرب وقسمهم إلى خمس قبائل كبيرة[٣]، فكان لبني تميم خمس، ولبكر بن وائل خمس، ولعبد القيس خمس، وشاركهم الأزديون، وأكثريتهم من أزد عُمان في نزول البصرة فكان لهم خمس[٤]، ولأهل العالية ـ وهم عدة قبائل غالبيتهم من قيس المُضرية ـ خمس[٥]. وكان رؤوس الأخماس يختارون ممن لهم مكانة عظيمة في القبائل، ويعينون بقرار من الخليفة، ولرؤساء الأخماس سلطات واسعة مستمدة من مراكزهم الشخصية والاجتماعية ومن الواجبات الملقاة على عاتقهم، فكانوا في وقت السلم يرأسون مجالس القبائل[٦]، أما في أوقات الحرب فكانوا يقودون قبائلهم المشتركة في الحملات، وكثيراً ما يقودون بعض الحملات الصغيرة، فلما توفي يزيد اضطر عبيد الله بن

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٤. علي، جاسم صكبان: دور البصرة في الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي، مجلة كلية التربية للبنات، مج ٢٥ (٢)، ٢٠١٤م، ص٢٨٦.

(٢)- العلي، التنظيمات، ص٤١. امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٢، ج١، ١٩٨١م، ص٥٢. النَّص، إحسان: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، دار اليقظة العربية، القاهرة، د.ت، ص٢٢٧.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٧. العلي، التنظيمات، ص٥٢.

(٤)- كان عدد الأزد قليلاً في بداية تمصير البصرة بالنسبة لعدد كل من قبيلة تميم وبكر، وقد زاد عدد الأزديين في مطلع العصر الأموي بعد أن قدمت أعداد من أزد السراة ونزلوا البصرة. النَّص، العصبية القبلية، ص٢٢٧. ويرى بلَّات: أنَّ بني تميم لهم الشأن الأول بين قبائل البصرة وهم المؤسسون الحقيقيون للبصرة وهم الذين أكسبوها طابعها السني. بلَّات، شارل: الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تر: إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة، دمشق، ١٩٦١م، ص٥٤.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٩٨.

(٦)- ابن قتيبة، عيون، ج١، ص٢٢٣.

زياد إلى مغادرة البصرة وتركها بدون أمير، فتولى رؤوس الأخماس السلطة والحكومة في البصرة، وبعد منازعات واشتباك قصير اتفقوا على اختيار عبد الله بن الحارث أميراً في المصر دون موافقة الخليفة[١].

لكن أخماس خراسان كانت ذات تنظيم عسكري؛ بمعنى أنَّ خراسان لم تعرف الخطط القبلية السكنية التي عرفتها البصرة، وقد حاول أسد بن عبد الله القسري أن ينزل العرب على أخماس خططية سكنية في بلخ فأخفق في ذلك[٢]. وكان أصحاب الخمس الواحد في خراسان ربما نزلوا في أماكن متباعدة متفرقة ولم يكن لرؤساء الأخماس أهمية قيادية كبيرة؛ بل إنَّ مهمتهم أقرب أن تكون تشريفية، وذلك على النقيض مما هو مُتبع في البصرة، ونتج من قلة شأن رئيس الخمس وضعف نفوذه أنَّ بعض القبائل هناك لا يُعرف رئيس لخمسها لمدة طويلة[٣]، وفي آخر أيام بني أمية كادت الأخماس أن تتلاشى بحيث أصبحت الكُتل القبلية تحمل اسم ربيعة واليمن ومُضر[٤]. فقد تمت الإشارة إلى وجود الأخماس في خراسان في أكثر من موضع، يذكر أن عدد الأخماس العرب عند مقتل قتيبة سنة ٩٦هـ/٧١٥م خمسين ألفاً[٥]، ولما قتل سعيد ابن عمرو الحرشي والي خراسان ١٠٤هـ/٧٢٢م وصلبه في ميدان مرو، قال الراجز[٦]:

إِذَا سَعِيدٌ سَارَ في الأَخْماسِ　　في رَهَجٍ يَأْخُذُ بالأَنفاسِ
دَارَتْ على التُّرْكِ أَمَرُّ الكاسِ　　وطَارَتِ التُّرْكُ على الأَحلاسِ
وَلُّوا فِراراً عُطَّلَ القِياسِ

وعندما نقل أسد بن عبد الله القسري من كان بالبروقان من الجند إلى بلخ ١٠٧هـ/٧٢٥م وأراد أن ينزلهم على الأخماس، قيل له: إنهم يتعصّبون فخلط بينهم[٧]، ولما رجع أسد إلى بلخ بعد أن غزا بلاد الختل، قال الشاعر يمدح أسد[٨]:

نَدبْتُ لي من كل خُمسٍ ألفين　　من كلّ لحاف عريض الدَّفَّيْنِ

وفي ولاية نصر بن سيار، يذكر أن نصراً غزا الشاش من مرو سنة ١٢١هـ/٧٣٩م فحال بينه وبين قطع نهر الشاش كورصول وكان أهل بخارى وسمرقند وكش وأشروسنة، وهم عشرون ألفاً، فنادى نصر

(١)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٥. العلي، التنظيمات، ص١٢٠، ١٢٥.
(٢)- الدينوري، الأخبار، ص٣٦١. اليعقوبي، تاريخ، ج٣، ص٨٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٣.
(٣)- عطوان، الشعر، ص٧٢.
(٤)- يتضح ذلك من حوادث نصر بن سيار والكرماني، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٧-٣٧١.
(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٢.
(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٢ عن المدائني. العلي، امتداد العرب، ص٥٢.
(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤١ عن المدائني.
(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٤.

في الأخماس: ألا لا يخرجنَّ أحدٌ من بنائه، وأثبتوا على مواضعكم[١]. وبعد سنة ١٢١هـ/٧٣٩م لا تذكر المصادر الأخماس، وقد يرجع هذا إلى أن التنظيم عُدِّل نتيجة اندماج أهل الكوفة وأهل الشام والموالي، فحلت ربيعة محل عبد القيس وبكر، واليمن محل الأزد وغيرهم، ومضر محل تميم وأهل العالية، حيث نجد ربيعة واليمن ومضر تتكرر في أحداث الدعوة العباسية[٢].

وبعد الحديث عن نظام الأخماس، لا بد من معرفة مناطق انتشار القبائل العربية ومواطنها الأصلية قبل حقبة الفتوح وخاصة في شرقي الجزيرة العربية التي كانت المصدر الرئيس للهجرات العربية إلى خراسان، ولتتبع الأصول والقواعد التي انطلق منها العرب في عمليات الفتوح الأولى لهذه المنطقة، وكذلك لمعرفة القبائل التي ينتسب إليها أشهر القادة الذين أدوا دوراً كبيراً في أحداث خراسان على الصعد كافة.

أ– بنو تَمِيم:

ينتسب بنو تميم إلى المُضرية العدنانية التي هي العرب المستعربة، والمعروفة أيضاً باسم النِّزَاريّة المعديَّة، وبنو تميم قاعدة من أكبر قواعد العرب[٣]، وانتشرت فروعهم في أرض نجد، وانتقلت تميم من منازلها في نجد، وتجولت في أماكن عدة، وانتشرت في بادية البصرة[٤].

ويقسم النَّسَّابون تميماً إلى بطون وأفخاذ عدة، أهمها: بنو عمرو: ومن أفخاذها بنو مازن، بنو الهُجَيْم، بنو جُنْدَب بن العَنْبَر، بنو الحارث[٥]؛ وبنو زَيْد مَناة: وهم بطون وأفخاذ كثيرة جداً، أشهرها: بنو سَعْد[٦]، بنو حنظلة[٧]، وأقلها عدداً بنو عامر، وبنو امرئ القيس[٨]. ولم يعد اسم بني تميم في عصر بني أمية مقتصراً على المنتمين إلى بني تميم بن مرّ بن أدّ بن طابخة فحسب؛ بل تعداه ليشمل جميع المنسبين إلى بني طابخة بن إلياس؛ ومنهم: الرِّباب؛ ثور، عكل، وتميم، وعدي، وضَبَّة، ومُزَينة[٩].

---

(١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٤.

(٢)– العلي، استيطان العرب، ص٤١.

(٣)– ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج١، ص٢٧١–٢٧٨. ابن حزم، جمهرة، ص٢٠٧.

(٤)– أبو عبيدة، نقائض، ج٢، ص٩٣٠.

(٥)– ابن الكلبي، جمهرة، ج٢، ص٢٧١–٢٧٨. ابن حزم، جمهرة، ص٢٠٨– ٢١٣.

(٦)– ابن الكلبي، جمهرة، ج٢، ص٣١٤. ابن حزم، جمهرة، ص٢١٨.

(٧)– منهم الثائر الحارث بن سُريج صاحب العصبية بخراسان أيام نصر بن سيّار. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٠.

(٨)– ابن حزم، جمهرة، ص٢١٥، ص٢٢٤. القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٦٢. ابن سعيد الأندلسي ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨٢م، ج١، ص٤٤٧–٤٤٨، ج٢، ص٤٥٣.

(٩)– ابن الكلبي، جمهرة، ص٤١٠، ٤٢١. القلقشندي، نهاية، ص١٢٦، ٣١٨. الجاسر، حمد: جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، دار اليمامة، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٢٩.

فقد شاركت قبيلة تميم في عمليات فتح خراسان منذ عهد عبد الله بن عامر فقد وصفوا بـ "فرسان خراسان"، وذكر: أن زعيم تميم الأحنف بن قيس كان على مقدمة جيش عبد الله بن عامر، بالإضافة إلى مجموعة من القادة التميميين الذين أسهموا في عمليات الفتح الإسلامي من أمثال الأسود بن كلثوم العَدَوِيّ، والأقرع بن حابس التميمي اللذان رافقا الأحنف بن قيس التميمي في حملته على خراسان سنة ٢٢هـ/٦٤٣م[١]. وعلى الرغم من قدم استيطان هذه القبيلة في خراسان إلا أنه لم يتولَ إمرةَ هذه البلاد من أبنائها إلا اثنان، هما: بُكَير بن وشَاح التميميّ الذي ولاه عبد الملك بن مروان على خراسان سنة ٧٢-٧٤هـ/٦٩١-٦٩٣م[٢]، وأما الآخر، فهو وَكِيْع بن أبي سُود التميمي الذي تولاها بعد مقتل قُتَيْبة بن مُسلم الباهِلَيِّ مدة تسعة أشهر[٣]. كما استعمل ولاة خراسان العديد من رجالات هذه القبيلة كأمراء على مدن خراسان، فقد تولى حارثة بن بدر بن حُضَيْن التميمي مدينة مرو لزياد بن أبيه[٤]، وولَّى معاوية بن أبي سفيان ربيعة بن عسل اليربوعي مدينة هراة[٥]، وأما مدينة مرو الروذ فقد وليها بشر بن جعفر السعديُّ ووشاح بن بكير بن وشاح لنصر بن سيار[٦]، واستعمل الأحنف بن قيس بشر بن المتشمس التميمي على مدينة بلخ[٧]، وكان سورة بن الحر الدارمي أميراً على مدينة سمرقند زمن الجنيد بن عبد الرحمن[٨]، ثم تولاها عاصم بن عمير الصريمي من قبل نصر بن سيار[٩].

هذا وتزعَّم قبيلةَ تميم العديدُ من القادة، ويرجع أول ذكر لرؤوس خمسها إلى زمن إمرة أمية بن عبد الله على خراسان، فقد ذكر أن ابن والان العدويّ كان من رؤساء تميم، ولم يرد ذكر لرئاسة بني تميم إلا في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م عندما غزا سعيد بن عبد العزيز ما وراء النهر حيث أصبح الخليل بن أوس العبشميّ على خيل بني تميم، ويبدو أنه ترأس فيما بعد على جماعتهم حتى تولى نصر بن سيار إمرة خراسان، ثم صارت رئاستهم بعده إلى أخيه الحكم بن أوس[١٠]. وفي سنة ١١٢هـ/٧٣٠م كان عامر بن مالك الحمَّاني

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٦٨، ٥٧٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٠-٣٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٩.
(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٢٠، ١٣٣.
(٣)- ابن الكلبي، جمهرة، ج١، ص٣١٩. البلاذري، فتوح، ص٥٩٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٧. ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص٢٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٩
(٤)- ابن حزم، جمهرة، ج١، ص٢٢٦.
(٥)- ابن خياط، تاريخ، ص٢٢٤.
(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٧، ٣٦٠.
(٧)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٤.
(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٦.
(٩)- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤٣.
(١٠)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٦، ٥١١-٥١٣، ٦١٣.

على جماعة بني تميم[١]، كما ذكر أن عرفجة بن الورد السعدي كان قد ترأس بني تميم في مدينة مرو ضد جديع الكرماني سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٧م[٢]. وعند ظهور الدعوة العباسية كان الحسن بن يزيد العنبري رئيساً لهذه القبيلة[٣].

ب- الأزد:

تنسب إلى الأَزْد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالِك بن كَهلان من أشهر القبائل القَحطانية اليمانية[٤]. تتفرع عن هذه القبيلة المتشعبة أربعة بطون مهمة: أزد شنوءة، وهم: بنو نصر بن الأزد، وأزد السَّراة: وهم من بقي في تهامة من الأزديين، وأزد غسَّان: وقيل مازن، وكانت منازلهم في شبه جزيرة العرب وبلاد الشام، وأزد عُمان: وهم الذين انتقلوا إلى أرض عُمان واستوطنوها، وتنكر قريش انتساب أزد عمان إلى العرب[٥]. فقد استوطنت الأزد الكوفةَ في وقت مبكر بالنسبة لنزول العرب في هذا المصر، وقد حلُّوا في خططهم مع الأكثرية اليمانية التي آثرت الكوفة منزلاً وفضلتها موطناً، وأزد الكوفة هم أزد السُّراة. هذا في حين تأخر نزول الأزد في البصرة، وكان الذين نزلوا منهم من أزد عُمان[٦].

وعلى الرغم من أن الأزد نزلوا البصرة في وقت مبكر وكانوا يمثلون قبائل اليمن، إلا أنهم لم يزدادوا عدداً وقوة إلا عن طريق الهجرات المتأخرة لهم في أواخر أيام معاوية وابنه يزيد، ولم يرضَ الناس أن يكون لهؤلاء المهاجرين المحدثين الذين لم يشتركوا في الفتوحات الكبرى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ما كان للقبائل القديمة من حقوق، وكان مجيء هؤلاء سبباً في تغيير ما كان للقبائل حتى ذلك الحين من قوة بعضها بالنسبة لبعض، وكانوا ذوي حظوة عند الوالي زياد بن أبيه، وسبب ذلك أن زياداً التجأ إلى صبرة بن شيمان الحدَّاني الأزدي في فتنة ابن الحضرمي في البصرة[٧]. وكما كانت الأزد محظية عند زياد فإنها كذلك عند ابنه عبيد الله الذي لم يجد من يجيره في أواخر أيامه في البصرة إلا هم،

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٣.

(٢)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٨.

(٣)- مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٧٦.

(٤)- السيوطي، لب الألباب في تحرير الأنساب، تح: قاسم محمد الرجب، مكتبة المثنى، بغداد، ج١، ص١١. الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): تاج العروس في جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج٧، ص٣٨٢.

(٥)- المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت٤١٨هـ/١٠٢٧م): الإيناس في علم الأنساب، دار اليمامة، ط١، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٧. القلقشندي، نهاية الأرب، ص٩١. دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص٣٧-٣٨.

(٦)- كان أهل اليمن هم أكثر من استوطن الكوفة من العرب، ولذلك عرفت الكوفة ذات أكثرية يمانية قحطانية، وأن البصرة ذات أكثرية عدنانية بدوية. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٩. الدينوري، الأخبار، ص٥٥.

(٧)- ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٥٣.

فألح عليهم على تجديد حلفهم مع ربيعة للوقوف في وجه تميم(١). فلم يكن للأزد حتى ذلك الوقت أي شوكة وسطوة ببلاد خراسان، ومع ما أورده أبو عبيدة في النقائض من أنَّ الأزد كانوا مع ربيعة في فتنة ابن خازم، فإن أثر الأزد ضئيل في هذه الفتنة أو هو معدوم على الإطلاق، والذي يلاحظ أنَّ المصادر التاريخية لم تشر إلى الخبر الذي أورده أبو عبيدة(٢). وعلى العكس فإنَّ الذي ورد في المصادر التاريخية كالطبري وابن الأثير: أن الترك عندما أغارت على قصر إسفاد، وحاصروا أهله، وفيه ناس من الأزد وهم أكثر من فيه، فاستمدوا من حولهم من الأزد، فجاؤوا لينصروهم فهزمتهم الترك، فأرسلوا إلى عبد الله بن خازم في الوقت الذي كان فيه محاصراً بكراً بنَ وائل بهراة، فوجَّه إليهم زهيراً بنَ حيان(٣).

ومن ولاة خراسان الذين تقلَّدوا الولاية عددٌ من الأزديين، منهم: المهلب بن أبي صفرة، وبالرغم من كره الحجاج لولاية المهلب على خراسان، فإن عبد الملك لم يأبه بذلك، ربما اعترافاً منه بفضل المهلب في تدويخ الأزارقة الخوارج، والمهلب أزدي من العتيك أهل عمان، ومن السادة فيهم، له أخوة كثيرون، أصبح كل واحد منهم جد عشيرة، لكنَّ أبناءه أكثر بكثير من أخوانه فقد بلغ عددهم ثلاثمائة ولد(٤)، ومع تولي المهلب لإمرة خراسان ظهرت عصبية الأزد واضحة جلية، وقبلها لم يكونوا ذوي أثر قوي هناك، وقد تركوا حليفتهم بكراً تواجه ابنَ خازم وبني تميم وحدها.

وتعاقب على رئاسة خمس الأزد عدة أمراء، وقد ذكر أن عبد الله بن حوذان كان رئيساً لخمس الأزد عندما تكتلت القبائل العربية ضد قتيبة بن مسلم الباهلي سنة٩٦هـ/٧١٥م، وأرادوا أن يولوه فأبى؛ مما يدل على مكانته وتجرده عن الأطماع الشخصية(٥). وقد قتل عبد الله في معركة الشعب' ثم صارت رئاسة الأزد إلى القعقاع بن الأعلم، ثم حلّ مكانه سنة ١١٢هـ/٧٣٠م عبد الله بن بسطام بن مسعود بن عمرو الذي قتل في معركة الشعب(٦)، وعين أسد بن عبد الله جديعاً بن علي الكرماني للأزد، فلما ولي نصر ابن سيار عزله، وعين محله حرباً بن عامر الواشجيَّ، فمات حرب فأعاد الكرماني عليها فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله، وصيرها لجميل بن النعمان سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م الذي باعد بين نصر والكرماني وحرض نصر على قتل الكرماني، واقترح أن يقوم بنفسه بهذه المهمة، كما قُتل ابناه من بعده عثمان وعلي بعد أن فرَّقا كلمة العرب بخراسان، وقُتل بعدهما أخوهما المنذر(٧).

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٣.

(٢)- نقائض، ج١، ص٣٦١. النص، العصبية القبلية، ص٣١٨.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٢٨. فلهوزن، تاريخ الدولة، ص٣٨١.

(٤)- ابن حزم، جمهرة، ص٣٦٧- ٣٦٨.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٢. العلي، استيطان العرب، ص٤٤.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٤.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧-٢٨٨. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٦-٤٧. خصاونة، القبائل، ص٥٣-٥٤.

ج- بكر بن وائل:

بكر هي مقدمة القبائل الرَّبعيّة العدنانية إن لم تكن أشهرها قبل الإسلام وبعده، وقد شاركهم في النسب الربعي عدد من القبائل كتغلب، والنّمِر، وعبد القيس، وعَنَزَة[١]. وقد توغلت في أرض فارس قبل البعثة بعد حربها مع أختها تغلب في عالية نجد، ثم حروبها الطويلة مع بني تميم في شمال جزيرة العرب وشرقها[٢]. ولبكر عدد من البطون والأفخاذ، ومن البطون التي استوطنت خراسان: بنو يشكر الذين ينتمي إليهم أمير ابن أحمر، وبنو صعب بن علي الذين ينقسمون إلى: مالك، ولُجيم، وعُكابة[٣]. وعمل بعضهم على إثارة الشغب على الخلافة الراشدة فمن بين ثلاثة بطون بكرية هي: حنيفة ويشكر وقيس بن ثعلبة خرج ثائرون على عثمان، وإلى بني قيس ينتمي سليمان بن مرثد صاحب ابن خازم[٤].

وحين استقر الفاتحون في البلاد المفتوحة نزلت غالبية بكر في أرض العراق وفارس وخراسان، فنزل البكريون في القسم الأوسط من الجهة الشمالية الشرقية من البصرة، وتزعمهم فيها بيت من البيوتات البكرية العريقة، وهو بيت المسامعة، وتولى بنو شيبان من بكر حراسة القوافل من البصرة إلى مكة ومن البصرة إلى خراسان، وكان البكريون يسيرون إلى فتوح فارس وخراسان من محلتهم في البصرة كون البصرة هي القائمة بمهمة الفتح، ثم يعودون إلى محلتهم، قبل أن تتم عملية الاستيطان في خراسان والبلاد المجاورة لها. وكما أُريد من البصرة أن تكون مجمعاً للجيوش العربية لفتح الأقاليم الشرقية ومن بينها خراسان، أريد من الكوفة وقد قسم جندها إلى أعشار أول الأمر، وروعي في توزيع الأعشار المبدأ القبلي، فكل قبيلة أو مجموعة من القبائل التي ترجع إلى أصل واحد تؤلف عشراً، وكانت بكر من بين القبائل التي صار لها حظ في الكوفة، وحين تحولت أعشار الكوفة إلى أسباع تغير نظام بكر غير أنها لم تنفرد بسبع واحد كما تفردت بخمس في البصرة حيث شاركها في سبعها قبائل من ربيعة كتغلب، وأخرى من مضر كبني أسد، وغطفان، ولما أُجري تعديل على أسباع الكوفة، وأصبحت أربع مناطق دخلت جميع

(١)- ابن الكلبي، جمهرة، ج٢، ص١٩٣. ابن حزم، جمهرة، ص٣٠٨. ابن سعيد، نشوة، ص٤٠٣. القلقشندي، نهاية، ص١٧٨.

(٢)- ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص٩٠. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٥.

(٣)- السويدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص٥١، ٥٧.

(٤)- ابن العربي (أبو بكر ت٥٤٣هـ/١١٤٨م): العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)، تح: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، ط٥، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص١٢٤.

قبائل ربيعة في نصيب بكر، فضلاً عن قبيلة كندة اليمانية[١]، وأصبحت ذات خمس خاص بها في البصرة انضوت تحت لوائه جميع فروعها[٢].

وكانت قبيلة بكر بن وائل من أوائل القبائل العربية التي دخلت خراسان واستوطنتها، فقد ذكر أن أوساً ابن ثعلبة ـ وهو من بني تميم الله بن ثعلبة ـ كان من الأمراء الذين صحبهم عبد الله بن عامر عندما توجه لإعادة فتح خراسان سنة ٣١هـ/٦٥٢م[٣]، ثم عاد إليها مع سعيد بن عثمان سنة ٥٦هـ/٦٧٦م عندما ولاه عليها معاوية بن أبي سفيان[٤]. وفي سنة ٦١هـ/٦٨١م كان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي من الأمراء الذين رافقوا سلماً بن زياد إلى خراسان[٥]. كما تولى عدد من رجالات هذه القبيلة بعض الأعمال في خراسان، فقد كان عميرة بن سعد الشيباني على خراج مدينة سمرقند سنة ١١٠هـ/٧٢٨م[٦]، ويحيى بن نعيم الشيباني أميراً على مدينة آمل سنة ١١٧هـ/٧٣٥م[٧].

كما عرفت أرض خراسان من بني بكر الرَّقاشيين وهم من بني ذُهْل بن ثعلبة، وكان رائدهم في عصر بني أمية الحُضين بن المنذر، الذي كان صاحب راية علي بن أبي طالب يوم صفين، وطال عمره حتى أدرك خلافة سليمان بن عبد الملك[٨]، وفي سنة ٩٦هـ/٧١٥م كان رئيساً لخمس بكر في زمن قتيبة، وقد رفض عرض القبائل التي عارضت عصيان قتيبة بتعيينه رئيساً لهم، كما عارض وكيع بن أبي سود عندما أراد التشهير برأس قتيبة، وهذا ما يظهر مدى اتزانه ومكانته[٩]. ثم انتقلت رئاسة بكر بعد وفاته إلى ابنه يحيى بن الحضين الذي كان ممن اقترح اسمه على هشام بن عبد الملك لولاية خراسان، لكنه لم يعين لأنه رجل فيه عظمة، ولأن ربيعة لاتسد بها الثغور، وقد ظل يحيى مخلصاً للأمويين، فانسحب معهم إلى العراق، كما نصح يزيد بن عمر بن هبيرة بعدم اللجوء إلى واسط عند انسحابه أمام العباسيين[١٠].

---

(١)- عفنان، القبائل، ص٧٣-٧٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٣، ص٥٩٣. البكري، معجم، ج٢، ص٦٩١.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠.

(٤)- ابن خياط، تاريخ، ص٢٢٤. ابن حزم، جمهرة، ص٣١٩.

(٥)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٢.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٠.

(٧)- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٢١.

(٨)- ابن حزم، جمهرة، ص٣١٧-٣١٨. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٩)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٨. العلي، استيطان، ص٤٦.

(١٠)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٥، ٤١٥.

د- عبد القَيْس:

عبد القيس هو ابن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة، وكانت عبد القيس تشارك بكر بن وائل في الانتساب إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان(١)، وقد امتلكت أراضي جديدةً بعد الإسلام في البلاد المفتوحة، ومنها خراسان، ويُعرف في عبد القيس بطنان شهيران: شَنٌّ، ولُكَيْز. والمنتسبون إلى لُكيز، هم: وَدِيعة، وصُبَاح، ونُكْرَة، وفي وديعة عمرو، وغَنْم(٢).

وحين نقمت بعض القبائل العربية على عثمان بن عفان كانت عبد القيس من بين القبائل التي خرج منها ثائرون أشداء، يأتي في طليعتهم حُكيم بن جَبَلَة بن حصين الذي أجج الثورة في البصرة، وشارك في قتل عثمان(٣).

كما اشتهرت عبد القيس بأنها كانت ذات خمس من أخماس البصرة خاص بها، وحازت خططاً خاصة بها، فكذلك كان شأنها بخراسان؛ لأن خطط خراسان أخذت طابع خطط البصرة كما سلف القول، وقد دخلت عبد القيس في حلف ربيعة مع اليمن في البصرة وخراسان(٤)، وهذا وإن كان قد أفادها من ناحية التفافها حول أبناء عمومتها وأحلافهم، غير أنه أضرها من ناحية قلة الأخبار المتعلقة بها في خراسان لاندماجها في غيرها، حتى أنَّ الباحثين عرضوا بالتفصيل لرؤساء الأخماس من القبائل ما عدا عبد القيس، ويلاحظ أن اسم بكر بن وائل قد طغى على اسم عبد القيس في خراسان في أحيان كثيرة لتفوق بكر في العدد، وكثرة المشاهير، وقد قوى حلف القبيلتين مع الأزد اليمانية في خراسان، وذلك بعد عام ٧٨هـ/٦٩٧م (٥)، فأصبحت الأزد اليمانية، وبكر، وعبد القيس الربعيتان في مقابل بني مُضر التميميين، وأهل العالية من قيس، أما في مجال الشعر فقد كان زياد الأعجم هو لسان عبد القيس في خراسان(٦).

أسهمت قبيلة عبد القيس في فتوح خراسان منذ حقبة مبكرة، فكان صحار بن فلان العبديُّ أحد القادة الذين ساروا في حملة الأحنف بن قيس سنة ٢٢هـ/٦٤٣م لفتح تلك البلاد(٧)، وكان عبد الله بن عَلْوان عوذيّ رئيساً لهذه القبيلة سنة ٩٦هـ/٧١٥م فكان عدد المقاتلين الذين ينتمون لها أربعة ألاف مقاتل(٨).

---

(١)- ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٦٥٢.

(٢)- ابن الكلبي، جمهرة، ص٥٨٢. ابن حزم، جمهرة، ص٢٩٥. ابن سعيد، نشوة الطرب، ٦٥٢.

(٣)- ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٢٤.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٣٥٢.

(٥)- البلاذري، أنساب، ج٧، ص٤٣٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٩.

(٦)- الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٨٨.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٧. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٥. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٥٦٣.

(٨)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٦-٥٩٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٢.

هـ- أهل العالية:

يقصد بأهل العالية القبائل التي هاجرت من الحجاز أو من أطرافها الشرقية، وهي متنوعة جمعت هذا الاسم لأسباب إدارية؛ ومنها: عكل، وتيم، وضبَّة، وطائفة من بني أسد، وعبد الله بن غطفان، وبني عامر كلها، وطائفة من سليم، وهوزان، ومحارب، وإبان بن دارم من تميم(١). وقد أخذت هذه القبائل اسم العالية بعد الانتشار في البلاد الإسلامية، وأصبح القيسيون في البصرة يعرفون باسم العالية(٢)، وعلى النحو الذي تم بموجبه توزيع الخطط في البصرة تم توزيع الخطط في خراسان، وظل أهل العالية بأكثريتهم القيسية ذوي خمس خاص بهم في كلتا الولايتين(٣).

وتُعدُّ قبائل العالية من أكثر قبائل العرب التي تولى رجال منها إمرة خراسان ولفترات طويلة، فمن قبيلة سليم التي كانت من أشهر بطونها برز منهم قواد وولاة كمجاشع بن مسعود السُلميّ أمير البصرة وفاتح كَرْمان(٤)، وقيس بن الهيثم من قبل عبد الله بن عامر الذي تولى إمرة خراسان سنة ٤٢هـ/٦٦٢م(٥)، وسفيان بن عمرو الأعور السلمي أحد القادة المقربين من معاوية وصاحب خيله يوم صفين(٦)، وكان عبد الله بن خازم السلمي وهو صحابي من بني عوف بن امرئ القيس بن بُهثة، من أوائل من تقلد الإمارة في خراسان من بني قومه، وذلك حين أقره عليها عبد الله بن عامر سنة ٤٣هـ/٦٦٣م(٧)، وقد انقطع عن الإمارة بعد وفاة يزيد بن معاوية وابنه معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٤م وعاد إليها وقتل سنة ٧٢هـ/٦٩١م(٨)، وظهر من بعده أشرس بن عبد الله السُلمي(٩). وقد ولي خراسان من هوزان أسلم بن زرعة الكلابي الذي كان والياً لعبيد الله بن زياد(١٠)، وسعيد بن عمرو الحرشي(١١)، ويليه مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعة

---

(١)- ابن الكلبي، جمهرة، ص٣٢٠. ابن عبد البر، الأنباه على قبائل الرواة، ص٣٨. القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٧٠، ٣٣٨. السويدي، سبائك الذهب، ص١٦٥-١٦٦.

(٢)- المبرد، الكامل، ج١، ص١١٦.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٩٨.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠١.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٧٢.

(٦)- المنقري (نصر بن مزاحم ت٢١٣هـ/٨٢٨م): وقعة صفين، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٢٠٦.

(٧)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٦-٥٥١. ج٦، ص١٧٦-١٧٧.

(٩)- اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٦١-٣٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٠.

(١٠)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٦-٣٠٧.

(١١)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٨٣.

الكلابيّ[١]، وعاصم بن عبد الله الهلالي[٢]، وتولّاها من قريش أميَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد[٣]، وسعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص (سعيد خزينة)[٤]، وقد تولّى خراسان من كنانة غالب بن فضالة الليثيّ من قبل زياد[٥]، ونصر بن سيار آخر ملوك بني أمية على خراسان فقد تولّاها سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م وبقي أميراً عليها إلى قيام الثورة العباسية[٦]. كما تولّى خراسان من قبيلة باهلة قتيبة ابن مسلم الباهليّ[٧]، ومن بجيلة وليها أسد بن عبد الله القسري[٨]. أما قبيلة غطفان فقد ولي خراسان منها الجنيد بن عبد الرحمن المري حيث تولى الإمارة بعده ذبياني آخر هو: عمارة بن خُزيم[٩].

وقد ذكر خمسة رؤساء لأهل العالية في خراسان وهم: زياد بن عقبة[١٠]، والمجشر بن مزاحم السلمي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م وهو الذي مضى على الكتاب الذي أرسله عاصم بن عبد الله والي خراسان إلى هشام ابن عبد الملك، وسنان الأعرابيّ السُلميّ سنة ١١٩هـ/٧٣٧م في ولاية أسد بن عبد الله القسري، ويبدو أن أسداً عزل المجشر بن مزاحم وعيَّن محلَّه سناناً الأعرابي؛ لأن المجشر وافق عاصماً على رأيه الذي رفعه إلى هشام، وفي سنة ١٢٣هـ/٧٤١م استعمل نصر بن سيار الحكمَ بن نُمَيلة النميري على الجُوزجان، ثم عقد للحكم لواء أهل العالية، وكان بعده عُكابة بن نُميلة[١١].

وبعد معرفة القبائل التي نزلت خراسان، وكانت مقسمة إلى أخماس كأخماس البصرة، لا بد من الإشارة إلى الوحدات الإضافية التي استقرت في خراسان، وأسهمت في الأحداث السياسية والعسكرية، ومنها: أهل الشام وأهل الكوفة.

و–أهل الشام:

يرجع أول ذكر لأهل الشام في خراسان إلى سنة ٥٣هـ/٦٧٣م عندما استعمل معاوية بن أبي سفيان عبيدَ الله بن زياد والياً عليها، فسار عبيد الله من الشام إلى خراسان فقدم أمامه أسلمُ بن زُرْعة الكلابيّ ثم

(١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٦٣. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٦.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٠٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٣٣.

(٤)– البلاذري، فتوح، ص٦٠٠. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٠٥.

(٥)– الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٣١.

(٦)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٠–٤٤١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٥.

(٧)– ابن خياط، تاريخ، ص٢٩٥. البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤١.

(٨)– البلاذري، فتوح، ص٦٠١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٥.

(٩)– اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٧. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٦٠.

(١٠)– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٦.

(١١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٩، ص١١٤، ص١٩٥.

خرج ومعه الجعد بن قيس النَّميريّ من أهل الشام يَرجُز بين يديه بمرثية زياد[١]. ثم في سنة ٦١هـ/٦٨١م ولَّى يزيد بن معاوية سلماً بن زياد على خراسان، فوجه الحارث بن معاوية الحارثيّ، من الشام ليسبقه إلى خراسان[٢]. وعندما عين عبد الملك بن مروان أميةَ بنَ عبد الله بن خالد على خراسان سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، حيث يذكر أن عبد الملك بن مروان ضرب بَعْثاً إلى أميَّة بخراسان سنة ٧٧هـ/٦٩٦م[٣]، وقد رجَّح صالح العلي[٤]: أن البعث هو من أهل الشام، لأن عبد الملك كانت له عليها سلطات مباشرة آنذاك، غير أن عددهم كان ضئيلاً، فلم تذكر لهم وحدة مستقلة في زمن قتيبة بن مسلم.

ثم بدأ ذكر أهل الشام كمجموعة مستقلة في أخبار خراسان منذ أن تولَّاها المهلبُ بنُ أبي صفرة، وفي عهد يزيد بن المهلب حيث تذكر الروايات أنه عند قدومه إلى خراسان سنة ٩٧هـ/٧١٦م كان قد أدنَى أهل الشام وقوماً من أهل خراسان، فقال نهارُ بن تَوْسِعة في ذلك في ذلك:

وما كُنَّا نُؤمِّلُ مِن أَمِيرٍ   كما كُنَّا نُؤمِّلُ مِن يزيدِ
فأخْطأَ ظنُّنا فيهِ وقِدْماً   زَهِدْنا في مُعاشَرَةِ الزّهِيدِ [٥]

وتشير رواية الطبري عن المدائني إلى أنه كان مع يزيد بن المهلَّب عند غزوه لجرجان سنة ٩٨هـ/٧١٧م عشرون ومائة ألف، ومعه من أهل الشام ستون ألفاً، ولما حاصر يزيد بن المهلَّب قُوْهِستان كان معه أهل الشام[٦].

وفي ولاية الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان ١١٢هـ/٧٣٠م حاصرت الترك سمرقند وعليها سورة بن الحر، فأراد الجنيد نجدته، فقال: لو لم أكن إلَّا في بني مُرْة، أو من طلع معي من أهل الشام لعبرتُ[٧]. ولما التقى عاصم بن عبد الله والي خراسان ١١٧هـ/٧٣٥م والحارث بن سريج بالخيل والرجال، كان مع عاصم رجل من بني عَبْس في خمسمائة من أهل الشام، وإبراهيم بن عاصم العُقَيلي في مثل ذلك[٨]. وفي ولاية أسد بن عبد الله القسري ١١٧هـ/٧٣٥م شهد أهل الشام جميع الوقائع الحربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر، فقد وجَّه أسد بن عبد الله القسري عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الكوفة وأهل الشام

---

(١)- ابن خياط، تاريخ، ص٢٢٣. البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٨١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٩٧.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٣٤٧. ابن كثير، البداية، ج١١، ص٥٩٨.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٦.

(٤)- استيطان العرب في خراسان، ص٦٠.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٠٢-٣٠٣.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٣٢، ٥٣٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٣٤.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٩٥.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٣-٤١٤.

لطلب الحارث بن سريج، ولما نزل أسد على مدينة آمل واصطدم مع الحارث بن سريج قتل يزيد بن الهيثم ابن المنخّل وعاصماً بن معوّل النّجليّ في خمسين ومائة من أهل الشام(١). وفي سنة ١١٨هـ/٧٣٦م سرَّح أسد جديعاً بن علي الكرمانيَّ إلى التَّبوشكان في ستة آلاف، منهم سالم بن منصور البجليّ على ألفين، والأزهر بن جرموز النميري في أصحابه وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشام، وعليهم صالح بن القعقاع الأزديّ(٢). ولعل الاعتماد على مقاتلة أهل الشام في خراسان لا يرجع إلى قوتهم في القتال فقط؛ بل لموقفهم السياسي المخلص للخلافة(٣)، وفي سنة ١١٩هـ/٧٣٧م اشتبك أسد القسري في قتال مع خاقان الترك ومعه الحارث بن سريج، وكان على التعبئة القاسم بن بُخَيت المرَاغيّ، فجعل الأزد وبني تميم والجوزجان بن الجوزجان ميمنته، وأضاف إليهم أهل فلسطين، وعليهم مصعب بن عمرو الخزاعيّ، وأهل قنسرين وعليهم مغراء بن أحمر، وجعل ربيعة ميسرته وعليهم يحيى بن حُضين، وضمَّ إليهم أهل حمص وعليهم جعفر بن حنظلة البِهْرانيّ، وأهل الأزد وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حِمْيَر، وعلى المقدَّمة منصور بن مسلم البَجَليّ، وأضاف إليهم أهلَ دمشق وعليهم حملة بن نُعيم الكلبيّ(٤). هذه الروايات تدل دلالة واضحة على تواجد أهل الشام في خراسان وأنهم كانوا وحدة قائمة بذاتها، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لهم تنظيمات خاصة بهم فهم مقسمون إلى أقسام كالتي في الشام، منهم أهل فلسطين وحمص وقنسرين ودمشق ولكل قسم رئيس(٥).

ز- أهل الكوفة:

كان لأهل الكوفة دور بارز في فتح خراسان منذ عام ٢٢هـ/٦٤٢م(٦). فقد ذكر أن الأحنف بن قيس قاد حملة من أهل البصرة إلى خراسان سنة ٢٢هـ/٥٤٣م، وتمكن من فتح معظم مدنها، ثم لحقت به إمدادات أهل الكوفة وساعدته في فتح مدينة بلخ، وكان عدد الجنود في حملة الأحنف هذه عشرون ألفاً؛ عشرة آلاف من البصرة وعشرة آلاف من الكوفة. ويمكن التعرف إلى القبائل التي شاركت في هذه الحملة من خلال أسماء الأمراء الذين رافقوا الأحنف بن قيس وهم: مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير من هوزان، حاتم بن النعمان الباهليُّ من باهلة، صحار بن فلان العبدي من عبد القيس، الحارث بن حسان، ربِعيّ بن

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٥-١٠٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٣-٤١٤.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢١.

(٣)- العلي، استيطان، ص٦١.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٢٢.

(٥)- العلي، استيطان العرب، ص٦١.

(٦)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦.

عامر التميميّ، عبد الله بن أبي عَقِيل الثقفيّ، ابن أمّ غزال الهمذانيُّ[١]. كما انتقلت أعداد كبيرة من أهل الكوفة قُدرت أعدادهم بخمسة وعشرين ألفاً، وهم الذين نقلهم زياد بن أبي سفيان سنة ٥١هـ/٦٧١م في إمارة الربيع بن زياد الحارثي[٢]، غير أن المصادر لا تذكر أهل الكوفة كوحدة قائمة بذاتها ولهم تنظيمهم الخاص إلى سنة ٩٦هـ/٧١٥م زمن قتيبة حيث كانوا سبعة آلاف عليهم جِهْم بن زحر أو عبيد الله بن علي. "ولا نعلم فيما إذا كانوا قد جاؤوا منذ زمن زياد أم بعد ذلك؛ نظراً لقلة الأخبار المتعلقة بالتكوين القبلي لعرب خراسان قبل زمن قتيبة"[٣]. والراجح أن عددهم لم يبقَ ثابتاً نتيجة الإمدادات التي كانت تأتي إلى خراسان، فقد أشار إليهم الطبري[٤] في سنة ٩٨هـ/٧١٧م عندما حاصر يزيد بن المهلب قهستان وهو في طريقه إلى جرجان، وذكر الطبري[٥] أهل الكوفة في ولاية أسد بن عبد الله القسري ١٠٦هـ/٧٢٤م عندما كتب أسد القسري إلى عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وهو في وادي أفشين على السَّاقة ـ وكانت الساقة على أهل سَمْرقند الموالي وأهل الكوفة.

في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن كتب هشام بن عبد الملك إلى الجنيد في سنة ١١٢هـ/٧٣٠م: قد وجهت إليك عشرين ألفاً مدداً؛ عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نُعيم[٦]، وقدمت الجنود على الجنيد وهو بالصَّغانيان فسرَّح معهم الحوثرة بن يزيد العنبريَّ فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم، وأمرهم أن يحملوا ذراريّ أهل سمرقند، ويدّعوا فيها المقاتلة، ففعلوا[٧]. ولا تشير المصادر إلى تكوين هؤلاء الكوفيين ولا إلى الدور الذي شغلوه في خراسان؛ وإنما ذُكِرَت أخبار رئيسهم عبد الرحمن بن نعيم، الذي وجهه أسد القسري سنة ١١٧هـ/٧٣٥م في أهل الكوفة وأهل الشام في طلب الحارث بن سريج إلى ناحية مرو الروذ[٨].

٢- استيطان القبائل العربية ودورها في تثبيت الحكم الأموي في خراسان

لاشك في أن بداية استقرار العرب في خراسان كانت في بداية الفتح الإسلامي لها، لكنه من المؤكد أن هذا الاستقرار ظلَّ ضعيفاً ولم يزدهر إلا في عصر الأمويين الذين وجدوه ضرورة لا غنى عنها؛ لتسهيل

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٧-١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٤٣٥. النويري، نهاية، ج١٩، ص١٧٤. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص١٦٦.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٦. العلي، امتداد، ص٥٠.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٢. العلي، استيطان العرب، ٥٨.

(٤)- تاريخ، ج٦، ص٥٣٢.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٥.

(٦)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٩-٨٠.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٨٤.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٤.

السيطرة على الإقليم؛ ولاسيما إنه كان بعيداً عن قلب الدولة الإسلامية، حيث بدأت القبائل بالاستيطان بشكل جزئي ومؤقت، ثم أخذت بالاستقرار التدريجي فيما بعد، وعند الحديث عن الاستيطان العربي بخراسان لا بد من الإشارة إلى الفتوح لهذه المنطقة التي يمكن من خلالها التعرف إلى أسماء القبائل التي استوطنتها والتي كان معظمها من البصرة، فقد كانت خراسان شبيهة في تكوينها القبلي بالبصرة، وتألفت من قبائل عرب الشمال وهي تميم وبكر بن وائل وقيس والأزد(١)، ومما يؤكد تواجد هذه القبائل أن الخليفة عمر بن الخطاب عندما اسْتَنْفَرَ النَّاس إلى العراق، فخفّوا في الخروج، ووجَّه في القبائل يستجيش فقَدِمَ عليه مخنفٌ بن سُلَيم الأزدي في سبعمائة رجل من قومه الأزد، وقدم عليه الحُصَيْن بن مَعْبَد بن زُرارة في جمع من بني تميم زهاء ألف رجل، وقدم عليه عَدِيّ بن حاتم في جمع من طيئ، وقدم عليه أنس بن هلال في جمع من النَّمر بن قاسط(٢)، فكانت هذه الجموع هي القاعدة العريضة التي استوطنت المصرين بعد معركة القادسية التي حدثت سنة ١٤هـ/٦٣٦م؛ فضلاً عمَّن انضم إليهم من القبائل التي كانت تسكن جنوب العراق وشرق الجزيرة العربية، وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥هـ/٦٦٥ قد ضم عُمَان والبحرين إلى البصرة(٣)؛ مما عزز من تواجد قبائل الأزد وعبد القيس التي كانت تسكن ما بين عُمان والبَحْرَين ـ في هذه المدينة(٤).

وتمت الإشارة إلى أن خراسان قد تم فتحها من قبل المسلمين وتثبيت أقدامهم فيها في أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب وفي زمن عثمان غير أنه لا يوجد ذكر لنزول العرب في خراسان إلا في وقت متأخر عن ذلك. والمصادر عادة تكتفي بالإشارة إلى أن الفاتحين إنَّما هم من أهل البصرة وأحياناً من أهل البصرة والكوفة من دون التطرق إلى ذكر الاستيطان، وإن غالبية الآراء هو أن سبب عدم استقرار الفاتحين في خراسان يعود إلى عدم السيطرة عليها تماماً في البداية؛ إذ إن بعضها افتتح بشكل مؤقت حيث يعقد بين الطرفين صلحاً غالباً ما يؤدي إلى العصيان؛ فضلاً عن أنَّ الدولة هي التي ترتب عملية الاستيطان وهي لم تكن راغبة وخاصة في زمن عمر باختلاط الفاتحين العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى.

وقد أحكمت الإدارة الأموية أمر الهجرة العربية، والتوطين في خراسان فلم تتركه إلى القبائل لتسير به وفق مشيئتها، فعمل الولاة على تنظيم هذا التوطين، وكان جزءاً من سياستهم في ترتيب وضع الولاية، وتنظيم شؤونها. وكان أمير بن أحمر اليشكري أوَّل من أسكن جند العرب بمرو الشاهجان(٥)، ومن المرجح

(١)– ابن الفقيه، مختصر، ص١٧٠.

(٢)– الدينوري، الأخبار، ص١١٤.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢١٧.

(٤)– البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص٨١–٨٢. العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، ص٤٠٢.

(٥)– قدامة، الخراج، ص٤٠٤. البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٥.

أن هؤلاء الجند لم يكن قد اصطحبوا أسرهم معهم، وهناك روايتان توضحان ظروف نزول العرب المدينة، حيث يرجع اليعقوبي نزول العرب لظروف مناخية[١].

ولعل سكان مرو ماطلوا في دفع الجزية المنصوص عليها في المعاهدة، وكان على رأس المتآمرين التجار وأعوانهم، فقتل أمير بن أحمر اليشكري جمعاً كثيراً من أهل مرو، ونهبوا الكثير من المنازل، فاجتمع كل أهل المدينة ووسطوا بينهم، وقبلوا أن يدفعوا المال، فقد استنكر الخليفة عثمان بن عفان على اليشكري قتله سكان مرو وغضب غضباً شديداً، وقد يكون استنكاره أيضاً لإنزال الجند منازل العامة لكي لا يتعرضوا للمخاطر، أو أنهم سوف يركنون للحياة الاجتماعية الرغدة وتفتر هممهم عن الجهاد. والخلاصة أن أول استيطان لجند المسلمين في خراسان كان في عام ٣٤هـ/٦٥٤م في خلافة عثمان بن عفان حينما تولى أمير بن أحمر اليشكري إخضاع هذا الإقليم المضطرب، ومن المرجح أن يكون عددهم محدوداً، فلم يقد جيشاً جراراً بحيث اتسعت منازل مرو لهم، فقد اعتاد المسلمون منذ الفتح أن يخلفوا وراءهم حامية تعرف بـ"المتعقبة" قدرت بأربعة آلاف مقاتل؛ لتحمي البلاد المفتوحة للعودة في السنة التالية، وكانت هذه الحاميات تستقر عادة في مرو، حيث نص عهد صلحها على أن يسكن المسلمون مع أهل المدينة في بيوتهم، إذ لم يكن العرب آنذاك قد فكروا بعد بالاستقرار الدائم في خراسان[٢]، وفتح الباب أمام قادة آخرين ليتبعوا سنته، فاستولى العرب على منازل الناس في بلخ وبخارى وسمرقند فيما بعد.

وحين تولى علي بن أبي طالب الخلافة، تمرد على ولاته قسم من عرب خراسان قادهم رجال من تميم على رأسهم حَسَكة بن عتَّاب الحَبَطيّ، وعمران بن الفَضِيل البُرْجُميُّ، فأغاروا على نواحي سجستان وتصدوا لعامل الخليفة عليها عبد الرحمن بن جزء الطائيِّ، فقتلوه وبسطوا سيطرتهم على المنطقة حتى مقتل الإمام علي[٣].

بقيت خراسان على هذا الوضع المضطرب حتى تولى معاوية بن أبي سفيان، وفي عهده كان أول استيطان منظم، فلما أسس معاوية دولته في الشام اهتم بمنطقة خراسان اهتماماً كبيراً، ونظراً لبعد الإقليم عن القواعد الإسلامية في البصرة والكوفة وصعوبة إرسال بعوث سنوية، فقد قرر إنشاء قواعد ثابتة تقيم فيها القوات الإسلامية بصورة دائمة، فتسيطر على أقاليم الشرق وتدافع عن الحدود وتدفعها نحو الشرق، فتتوسع بذلك رقعة الدولة الإسلامية، فقد ألزم معاوية عدداً من العرب بالإقامة في خراسان متبعاً سياسة التجمير، يتضح ذلك من قول الشاعر:

---

(١)– ينظر هذه الروايات بتفاصيلها عند: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٣–١٩٤. الكرديزي، زين الأخبار، ص١٦٤.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٣. شعبان، الثورة، ص٦٥. شعبان، صدر الإسلام، ص٩٦. العلي، امتداد، ص٤٩.

(٣)– ابن خياط، تاريخ، ص١٨٢. البلاذري، فتوح، ص٥٥٦–٥٥٧. قدامة، الخراج، ص٣٩٤.

مُـعَــاوِيَ إمــا أنْ تُـجـهِّـزَ أهـلَـنـا إلـيـنـا وإمـا أن نـؤوبَ مـعـاويـا
أجْـمـرتـنـا تـجـمـيـرَ كسرى جنـودَهُ ومَـنَّـيـتَـنـا حـتَّـى مَـلَـلْـنَـا الأمـانـيـا
مُـعَـاوِيَ للحبسُ الـمـحـجَّـرَ قـد أتـى لـهُ سنـتـانِ فـي خـراسـانَ نـاويـا
مُـعَـاوِيَ كَـمْ ذي زوجـةٍ تَـرْكـتـهُ ومـن ذي أخ لا يـرجـون الـتَـلاقِيا
وإن لا تَـدَعَ تـجـمـيـرنـا عـن نـسائِـنـا نـعـدلك أيـامـاً تُـشـيـبُ الـنَـوَاصـيِـا[1]

هذا ويجمع المؤرخون على أن استقرار العرب في خراسان جرى في إمارة الربيع بن زياد الحارثيِّ، فقد ولَّى زياد بن أبي سفيان الربيعَ ٥٠-٥٣هـ/٦٧٠-٦٧٣م على خراسان، وقام بنقل خمسين ألفاً مع عوائلهم من عرب الكوفة والبصرة إلى خراسان منهم بُريدة بن الحُصيب، وذلك في بداية سنة ٥١هـ/٦٧١م، فأسكنهم الربيعُ دون نهر جيحون شمال شرقي مرو الشاهجان، خمسةٌ وعشرون ألفاً من البصرة، ومن الكوفة خمسةٌ وعشرون ألفاً، وكان على أهل البصرة الربيع، وعلى أهل الكوفة عبد الله بن أبي عَقِيل، وعلى الجماعة الرَّبيع بن زياد[2]. فكان للربيع أهمية كبرى في استقرار العرب بخراسان، وعلق مجموعة من المؤرخين المعاصرين على هذه الهجرة، حيث استبعد صالح العلي أن يكون العدد مناصفة معتمداً في ذلك على الأخبار المتأخرة عن تنظيم العرب في خراسان، التي ذكرت أن أهل الكوفة كانوا وحدة مستقلة لا تزيد عن سدس العرب هناك، وأنَّ التنظيم كان قائماً على أساس الأخماس المتبع في البصرة؛ فضلاً عن أنَّ خراسان ظلت أوثق صلة بالبصرة. وهذا يدل على عدم دقة الطبري في قوله إنَّ نصف الناقلة من أهل الكوفة[3]. من المرجح أن المستوطنين الجدد كانوا يمثلون معظم القبائل العربية في البصرة والكوفة، وكان وراء هذا الاستيطان الكثير من الأهداف ومنها؛ إقناع العرب بالاستقرار في هذا الإقليم نظراً لبعده عن القواعد الإسلامية في البصرة والكوفة، وتأمين المدد العسكري وإرساء دعائم الخلافة الأموية، وإيجاد نوع من التوازن السكاني بين العرب والفرس، وتشجيع العرب على القيام بعمليات الفتوح في تلك المنطقة ونثر بذور التعريب، فقرر الربيع إنشاء قواعد ثابتة تقيم فيها القوات الإسلامية بصورة دائمة، فتسيطر على كل أقاليم المشرق وتدافع عن الحدود وتعمل على توسيع رقعة الدولة الإسلامية[4]. هذا أوَّل ذكر صريح لعدد المقاتلة العرب في خراسان، وهذه أوَّل مرة يشير المؤرخون فيها إلى أنَّ المقاتلين والفرسان نقلوا أسرهم إلى خراسان، والغاية من وراء عملية النقل حلّ مشكلة العراق القبلية والإدارية التي تراكمت منذ عهد

---

(١)- العسكري، الأوائل، ص٤١٤.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٨٦. قدامة، الخراج، ص٤٠٥. ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٢٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٣٨. العلي، امتداد، ص٥٠. شعبان، الثورة، ص٧٦.

(٣)- العلي، امتداد، ص٥٠. استيطان العرب بخراسان، ص٣٨.

(٤)- عطوان، الشعر العربي، ص٤٢. خماش، دراسات، ص٨٤. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٦. العلي، استيطان، ص٣٦.

الخليفة عمر بن الخطاب، وتوفير القوات اللازمة لاستكمال عمليات الفتوح في المشرق(١). فعندما جُمِع العراق كله لزياد بن أبيه، وربطت به البلاد الخراسانية جعل من مرو المدينة الخراسانية قاعدة للحكم ومركزاً لانطلاق جيوشهم لإتمام عملية الفتح، وأمدها بأعداد كبيرة من العرب، فضمن بهذه السياسة الهدوء لخراسان وأصبح التوسع في الفتح عبر النهر أمراً ممكناً، كما أصبحت مرو مركزاً أولياً مهماً للتعريب لحقت به مراكز أخرى. ومع أن أول هجرة منظمة قد قُصد بها مدينة مرو بالذات فإنَّ انتشار العرب فيما بعد لم يجعل القبائل تعيش في نطاق ضيق محصور، لكنها أصبحت في مناطق كثيرة متسعة متباعدة تقيم فيها شعائر الدين، وتدعو جماعات منها إلى الإسلام، فكان لذلك أبعد الأثر في انتشاره، وانضمام الناس إليه(٢). هذا وأتت خطة زياد بنتائج إيجابية طيبة غير أنَّ زياداً لم يفكر في أن يكون للعرب مركز انطلاق في خراسان ينشئونه هم، ويحمل طابعهم، وسمعتهم الخاصة؛ بل إن زياداً وولاته على خراسان قد وطنَّوا العرب في البلدان القائمة المعروفة وفي مرو بالذات.

وكان بعث العرب إلى خراسان أسلوباً حكيماً قصد منه بث روح الطمأنينة في نفوس المقاتلين، وتفرغهم للفتوح هناك، إذ إنَّ انشغالهم النفسي بعيالهم في العراق يزعزع طمأنينتهم ويشغل تفكيرهم، ففي سنة ٥٦هـ/٦٧٦م انتدب عثمان مجموعة من الأمراء عندما أخذ طريق فارس أمثال: أوس بن ثعلبة التَّميميّ صاحب قصر أوس، وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ، والمهلَّب بن أبي صُفْرة وربيعة بن عِسْل أحد بني عمرو بن يربوع، وأخرج سعيد معه إلى خراسان قوماً من بني تميم، منهم مالك بن الرَّيبْ المازنيّ في فتيان كانوا معه(٣).

وفي ولاية سلم بن زياد ازداد توافد القبائل العربية إلى خراسان والاستقرار فيها، يذكر أن سلماً بن زياد قدم كتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنخبة ألفي رجل ينتخبهم، وقال غيره: نخبة ستة آلاف، وقد توجه هؤلاء إلى خراسان باندفاع كبير وهمة عالية(٤).

---

(١)- شعبان، صدر الإسلام، ص٩٧.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٧٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٢٨. شكري، حركة الفتح الإسلامي، ص٢٠٠-٢٠١. عفنان، القبائل، ص١٥٢.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٨١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٥-٣٠٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٣٠٨. القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ت٣٥٦هـ/٩٦٧م): ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، ص١٣٥.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٨١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٠٠. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٣. ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٦٠. شعبان، الثورة، ص٨٥.

وفي العام ٦٥هـ/٦٨٥م استقر بمرو الروذ اثنا عشر ألفاً من بني تميم[١]، وكان لاستقرار القبائل العربية في خراسان أثر في دعم الولاة ومساندتهم، فقد تخلى المهلب عن الإمارة بطوعه أيام ابن الزبير ولم ينافس عليها لضعف شأن قومه الأزد[٢]، فما أن جاءت ولايته في عهد عبد الملك بن مروان إلا وأصبح قومه الأزديون ذوي شأن كبير شدَّ بهم أزره[٣]، وجرت العادة أن يصطحب كل أمير قومه، ومما يؤكد ذلك أن المهلب بن أبي صفرة عندما تولَّى حرب الخوارج، انتخب من أهل البصرة عشرين ألفاً، فيهم من الأزد ثمانية آلاف رجل، وبقيتهم من سائر العرب، وولَّى ابنه المغيرة مقدّمته في ثلاثة آلاف رجل[٤].

ويظهر دور الأزد وتميم في حملة قتيبة بن مسلم على بخارى سنة ٩٠هـ/٧٠٩م حيث طلب الأزد أن يقاتلوا الصغد والترك وحدهم، وعندما تراجع الأزد وانهزموا طلب قتيبة من بني تميم المساعدة، فتقدم فيهم وكيع بن أبي سود حتى هزم العدو[٥]. وذكر ابن الأعثم أن بني تميم ومواليهم كانوا في هذه المعركة زهاء عشرة آلاف، وساعدتهم في ذلك أيضاً بكر بن وائل، ولم تتقدم القبائل اليمانية ولم يساعدوهم في القتال، فقال نهار بن توسعة في هذه الوقعة:

لَعَمْري لقدْ فازت تميمُ بذكرها وسائرُ أحياءِ العراقِ وقوفُ[٦]

وفي سنة ٩٤هـ/٧١٣م كتب الحجاج بن يوسف الثقفيُّ إلى محمد بن القاسم الثقفيُّ أن يوِّجه من عنده من أهل العراق إلى قتيبة بن مسلم بخراسان، ويوجِّه إليهم جَهْماً بن زَحْر بن قيس، فإنه في أهل العراق خيرٌ منه في أهل الشام، فبعث سليمان بن صعصعة وجهماً بن زحر[٧]. وفي السنة التالية ٩٥هـ/٧١٤م بعث الحجاج إلى قتيبة جيشاً فغزا بهم، فلما كان بالشاش أتاه موت الحجاج فغمَّه ذلك، وقَفَل راجعاً إلى مَرْو، وفرق من معه من الجند، مخلفاً قوماً في بخارى ووجّه قوماً إلى كش ونَسَف[٨]. وذكر السمعاني عدداً ممن رافق قتيبة إلى خراسان منهم: بهار بن خالد بن مغيث بن الحارث بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة ـ وكان من فرسان تميم المعدودين ـ قدم في جيش قتيبة بن مسلم وسكن إحدى قرى مرو يطلق عليها بلاشجرد، وزِرَّ بن عبد الله وهو كوفي قدم بخارى مع قتيبة بن مسلم وسكنها[٩].

(١)- اليعقوبي، البلدان، ص٦٤. ابن الأعثم، الفتوح، ج٤، ص٥٨.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٤. عطوان، الشعر، ص٨٧.

(٣)- النص، العصبية القبلية، ص١١٧.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٢٧٢.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٤٢-٤٤٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٦)- ابن اعثم، الفتوح، ج٧، ص١٤٥.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٨٤.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٩٢.

(٩)- السمعاني، الأنساب، ج١، ص٣٩١-٣٩٢. ج٣، ص١٥٠.

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦هـ/٧١٥م شحنت خراسان بخمسين ألف مقاتل من مقاتلة أهل البَصْرة، موزعين على النحو الآتي: من أهل العالية تسعة آلافٍ، ومن بَكر سبعة آلاف رئيسهم الحُضيَّن بن المنذر، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ضِرار بنُ حُصَين الضّبيّ، ومن عبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عُلوان عوذيّ، ومن الأزد عشرة آلاف على رأسهم عبدُ الله بن حُوذان، ومن الكوفة سبعة آلافٍ جِهْم بن زَحْر أو عبيد الله بن علي، ومن الموالي سبعة آلاف عليهم حيَّان، وشكلت مضر في هذه الحقبة ثلاثة أخماس العرب وكانت تميم أكثر من الخمسين(١).

وفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م كان للحارث بن سُريج، وقَطَن بن قُتيبة بن مسلم، وإسحاق بن محمد ابن أخي وكيع بن أبي سود، دور بارز في هزيمة الترك، فقد تقدموا في فوارس من بني تميم وقيس، فقاتلوا حتى أزالوا التُّرك عن الماء، مما زاد من عزيمة المسلمين، وفي سنة ١١١هـ/٧٢٩م عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله عن خراسان، واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن المري، فقدم خراسان في خمسمائة رجل، كانوا من قومه بني مُرَّة وجماعة من أهل الشام(٢)، وبعد ذلك تكبد الجيش خسائر فادحة في معركة الشعب بسمرقند، فاستمد الجنيد هشاماً، فأمده بعشرين ألف مقاتل، عشرة آلاف من أهل البصرة وعليهم عمر بن مسلم، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن بن نعيم(٣).

وكانت مُسَلَّحة المسلمين عند عبورهم النهر في غزوة أسد بن عبد الله القسري للختل سنة١١٩هـ/٧٣٧م على قبيلتي تميم والأزد(٤)، ويعود السبب في بروز دور تميم والأزد في خراسان إلى الأعداد الكبيرة التي استوطنت هذه البلاد من هاتين القبيلتين، فقد وصفت تميم بأنها خاصة الجيش، وأن أكثر رجالها فرسان(٥). وبشكل عام كانت قبيلة تميم أكثر القبائل وجوداً في خراسان، وقد بلغ عدد مقاتليهم قبيل تولي يزيد بن المهلب خراسان نحو أربعة وعشرين ألفاً في ديوان الجند، وكان أكثر ولاة خراسان من تميم(٦). وبقيت كفتهم راجحة حتى بداية القرن الثاني للهجرة، ويأتي الأزد في المرتبة الثانية من حيث

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٩٥-٩٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٨، ٦٧، ٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٨٦، ٣٩٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٩.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٣. الدينوري، الأخبار، ص٣٣٠. قدامة، الخراج، ص٤١١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٥٣-١٥٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٥٤.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢٣.

(٥)- ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص١٧٩.

(٦)- أبو عبيدة، نقائض، ج١، ص٣٦٨. الكرديزي، زين الأخبار، ص٢١٤-٢١٦. النص، العصبية القبلية، ص٢٣٣.

العدد، فقد ارتفع نجمهم في ولاية المهالبة[١]، وكانوا في أواخر الخلافة الأموية أكثر القبائل العربية في خراسان سخطاً على الأمويين فاخترق دعاة الرضا من آل البيت صفوفهم واستمالوهم لصالح الثورة.

إلى جانب المدد العسكري كان ولاة خراسان يصطحبون معهم بعض وجوه القبائل، ومما لاشك فيه أنه قد ساعد أيضاً على انتقال بطون عربية مع زعمائهم بقصد الاستيطان، وفضلاً عن تهجير قسري للعناصر غير المرغوب في بقائها في العراق من أمثال قطاع الطرق والأشرار، كما حدث في ولاية سعيد ابن عثمان على خراسان عام ٥٦هـ/٦٧٦م حيث نقل إلى خراسان قوماً من بني تميم كانوا يقطعون الطريق على الحجاج[٢]. أما الهجرات الفردية والجماعات الصغيرة التي تحدث بين آونة وأخرى، إما للاستيطان إلى جانب ذويهم أو للعمل في المرافق الاقتصادية المتعددة من زراعة وتجارة فقد أغفلتها الروايات، كما أغفلت أيضاً تفاصيل انتماء القبائل إلى نظام الأخماس في العراق وخراسان، فقد تدخل قبيلة لا تمت لأخرى بصلة النسب في خمس الجند؛ بل قد ينضم إليهم غير العرب من الموالي[٣].

أما أعداد العرب في خراسان فقد وردت في موضعين أحدهما في عهد الربيع كما مرَّ عندما نقل إليها خمسين ألفاً من البصرة والكوفة سنة ٥١هـ/٦٧١م. والثاني كما مرَّ في خلافة سليمان بن عبد الملك وعند مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦هـ/٧١٥م على قول المدائني فقد بلغ عدد العرب في خراسان عند مقتله حوالي خمسين ألفاً، ويبدو أن هذا التقدير غير دقيق ولا يمكن التسليم بهذه النتيجة دون إعادة نظر وتمحيص، إذ إنها لم تأخذ بالحسبان إلى أن أعداد العرب في الروايتين متساوية تقريباً رغم الفارق الزمني الكبير بينهما ـ حوالي خمسة وأربعين عاماً ـ وبالتالي فقد أغفلا الزيادة الطبيعية المتوقعة للسكان خلال هذه الحقبة، كما أن تساوي العدد يشير إلى أنه ليس إلا أعداد المقاتلة المسجلين بالديوان، ولا يغيب عن الذهن من أسقطت أسماؤهم من الديوان ممن تقدم بهم العمر وأصبحوا غير قادرين على القتال، والذين تعايشوا مع السكان المحليين وتطبعوا بأخلاقهم وأصبحوا يعملون بالحرف والمجالات الاقتصادية الأخرى، وإذا ما أضيف إلى هؤلاء جميعاً تلك الأعداد التي قدمت مع أمراء خراسان، فيكون عدد العرب بخراسان أكبر بكثير من الرقم المتوقع، وبناء على هذا قدَّر صالح العلي أعداد المقاتلين من العرب في خراسان بالإضافة إلى عوائلهم بما يقارب من مائتي ألف[٤].

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٧. عطوان، الشعر، ص٦٢.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٥. ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٣٠٨.

(٣)- العلي، التنظيمات، ص٤١-٤٢. عطوان، الشعر العربي، ص٦٢.

(٤)- استيطان العرب، ص٤٠. وقد اختلف أبو عبيدة مع المدائني، فذكر أن مقاتلة بني تميم كانوا خلال ولاية قتيبة على خراسان أربعة وعشرين ألفاً. نقائض، ج١، ص٣٦٨. وروى ابن خياط أنه حين اغتيل قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦هـ /٧١٥م كان بخراسان مائة ألف مقاتل. تاريخ، ص٣٣١. ويؤكد أبو مخنف رواية ابن خياط فيقول: إن يزيد بن المهلب غزا جرجان سنة ٩٨هـ/٧١٧م ومعه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام ووجوه أهل خراسان والري، وهو في مائة ألف مقاتل

ويرى مُحَدِّثان آخران[١] أنه كان في حدود نصف مليون، ومهما كانت هذه الاجتهادات إلا أنها لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال قريبة للحقيقة وذلك لأن المصادر لم تعطِ أبداً رقماً معلوماً، وإن كان هؤلاء قد اعتمدوا على البعثات الرسمية التي توالت على الإقليم في العصر الأموي، فيجب أن يعلموا أن المصادر الإسلامية الأساسية لم تَذكر إلا أهمها، ثم لا يجب الجزم أن كل من دخل خراسان عن طريقها ظل فيها، كما يجب القول: إن خراسان كانت ثغراً إسلامياً، دائم الغزوات والحروب، فيها احتمال موت الجنود أقوى من احتمال حياتهم، وبعيداً عن الحروب والغزوات يظل عُمر الإنسان محدوداً دائماً، ينتهي بموت حتميّ، وهنا يمكن القول: إن عدد العرب بخراسان كان يفوق كثيراً ما قدره المُحدِّثون، عبَّر عنه أبو عبيدة[٢] بقوله: إن أكثر خراسان في نهاية القرن الأول كانت عربية".

إن عملية التوطين التي أفادت في التعريب، ونشر الإسلام لم تكن منفصلة عن العملية الجهادية فوجود العرب هناك يدعم حركة الفتح ويقودها، ويقضي على الانتفاضات والهجمات المفاجئة، والهجرة العربية إلى خراسان تعوض خسارة الجند في المعارك، كما كانت أعداد من العرب تقيم في الحاميات والمسالح[٣] والرباطات في أنحاء متفرقة من خراسان، فقد كان النشاط العسكري العربي يحمي العرب في المناطق المفتوحة الذين انخرطوا في الحياة العامة[٤].

كما أن استيطان القبائل أدى إلى نشوب صراع عشائري يزداد حيناً ويضعف أحياناً أخرى، مثل الصراع القبلي أيام ابن خازم، وأيام بُكير التميمي، وأيام أسد القسري[٥]، كما أنه قد خدم دعوة بني العباس، حيث نمت هذه الدعوة وترعرعت في أحضان بعض العشائر العربية المستقرة في خراسان كبني خُزاعة الأزديين اليمانيين[٦].

=سوى الموالي والمماليك والمتطوعين، وهم عشرون ألفاً ولم تتوقف الهجرات والبعوث عن خراسان بعد ذلك، بل بقيت تتدفق عليها. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٣٢. ويخبرنا الطبري عن عدد مقاتلة العرب عندما يتكلم عن أحداث سنة ١١٧هـ/٧٣٥م، يروي قصيدة الكميت بن زيد الأسدي إلى أهل مرو الشاهجان، فيذكر أن عدد المقاتلة بمرو يبلغ سبعين ألفاً، عدا المقاتلة الذين توزعوا على مدن خراسان الأخرى. تاريخ، ج٧، ص١٠٠.

(١)- صافي، أفغانستان، ص٩٧. عطوان، الشعر، ص٤٨.

(٢)- نقائض جرير، ج١، ص٣٦٨.

(٣)- مثلاً مسالح سمرقند أيام قتيبة بن مسلم حيث كان يقوم بأمرها عدد من بني تميم وقيس، ومسلحة طوس إبان حركة يزيد والتي يقوم عليها التميميون. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٠٠.

(٤)- عطوان، الشعر، ص٧٥.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٨٥، ١١٢. ج٨، ص٢٣٣.

(٦)- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٥١.

ومما يؤخذ على حركة التوطين في خراسان أن الهجرات المنظمة التي شهدها أوائل العصر الأموي لم يتبعها هجرات منظمة مماثلة تزيد في أعداد العرب، وتعوِّض النقص الناتج عن الحروب والكوارث، ثمَّ إنَّ العرب لم يختطوا بلداناً خاصة بهم، وقد كان معظم من نزل خراسان واستوطنها من العرب هم من أهل البصرة، فانتقل صراع أهل البصرة القبلي إلى خراسان، وكل هذه الأمور أدت إلى ضعف النفوذ العربي مع تطاول الزمن وانصهار العناصر العربية في بوتقة الأجناس الأخرى[١].

٣- مناطق توزع القبائل العربية وأماكن سكنهم في خراسان

إن الحديث عن الأماكن التي سكنها العرب بخراسان صعب لدرجة التعقيد، حيث تعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ/٦٨٤م نقطة تحوّل في استيطان العرب، ففيها وثب سكان خراسان بعمالهم وغلب كل قوم على ناحية[٢]، فتشكلت نواة استقرار العرب على أساس قبلي يعتمد على نظام الأخماس، ومع الأحداث السياسية والإدارية تشكلت التكتلات السكانية بنزوح بعضها إلى ناحية مناطق عصبيتهم، ولنأخذ تقسيم خراسان إلى أربع مناطق إدارية فهذا يسهل تتبع منازل العرب وحركة تنقلاتهم وظروفهم:

أ- مرو

كان نزول العرب واستقرارهم يتوقف بالدرجة الأولى على الأحوال العسكرية والإدارية، فقد سكنت القبائل العربية العديد من مدن خراسان، وكانت مدينة مرو الشاهجان من أول المناطق وأهمها التي سكنها العرب في وقت مبكر، وكانت المقر الرئيس والقاعدة التي ينطلقون منها في مغازيهم، فقد نزلها أوائل الفاتحين، وكانوا أخلاطاً من القبائل المضرية والقحطانية، واتخذوا من مداخل المدينة منازل لهم منذ عام ٣٤هـ/٦٥٤م[٣]، فقد وصفها اليعقوبي: بأنها أجلُّ مدن خراسان وأن بها قوماً من العرب، ومن الأزد، وتميم وغيرهم، ووصف سكانها المحليين بأنهم أشراف من دهاقين العجم[٤]، ومن الممكن أن نحدد الأسباب لاتخاذها قاعدة وقصبة خراسان وهو موقعها المتطرف إلى جهة الشرق في مواجهة إقليم طخارستان وبلاد ما وراء النهر، إضافة إلى تحصيناتها العسكرية ومواردها الاقتصادية[٥].

وأغفلت الروايات منازل العرب داخل المدينة، وقد يرجع ذلك إلى قلة العرب الذين تمكنوا من الإقامة بين العجم، بسبب صعوبة سكنى العرب، وعددهم كبير في مدينة لم تفتح بالسيف ولم يفر منها أهلها، ولم ترو الأخبار عن إجبار العرب لهم على إخلائها، فالراجح إذاً أن أغلبيتهم المطلقة سكنوا أطراف مرو لا

---

(١)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٦. العلي، امتداد، ص٥٣. شكري، المجتمعات الإسلامية، ص٢١٣.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٣)- اليعقوبي، البلدان، ص٤٩. الاصطخري، مسالك، ص٢٦١. ابن حوقل، صورة، ص٣٦٤.

(٤)- البلدان، ص٤٩. عطوان، الشعر، ص٦٤.

(٥)- بارتولد، تاريخ الترك، ص٣٩.

في داخلها[١]. وكل قبيلة استقرت في قرية من قرى مرو عرفت بانتمائها إليها، وكانت قرى مضر أكثر انتشاراً من قرى قحطان وربيعة لأنهم قد شكلوا غالبية سكان مدن مرو الشاهجان، ففي أحداث عام ١١٧هـ/٧٣٥م نزل عاصم بن عبد الله الهلالي الربعي قرية بأعلى مَرْو لكندة القحطانية، ونزل الحارث بن سريج التميمي قرية لبني العنبر من تميم فالتقوا بالخيل والرِّجال، وفي هذا الصراع الذي انهزم فيه الحارث أسر عبد الله بن عمرو المازنّي رأس أهل مَرْو الروذ، وكان عدد الأسرى ثمانون أكثرهم من بني تميم[٢].

وقد أشار الطبري[٣] إلى أن "عُمَّال خراسان كانوا يَغْزُون، فإذا دخل الشتاء قفلوا من مغازيهم إلى مَرْو الشاهجان، فقد أعطت معاهدات الصلح للعرب الحقّ بالاستقرار في البلدان المفتوحة، وكان من بين شروط الصلح التي تواضع عليها المسلمون وأهل خراسان أن يُفسح الخراسانيون للعرب في السكنى، وهذا مما لم يتم الاتفاق عليه أيام الفتوح الأولى في أرض العراق بل إن سياسة عمر بن الخطاب قد حالت بين المسلمين وبين اقتسام الأرض التي فتحت عنوة[٤]. لكن الملاحظ أن العرب اختاروا القرى والأماكن النائية عن المدن مكاناً لسكناهم؛ تماشياً مع طبيعة حياتهم من جهة، وليكونوا بعيدين من الاتصال بالسكان الأصليين إلى أن يُطمئن إليهم، فيندمجوا بهم فيما بعد من جهة أخرى، فكانوا يفضلون المفاوز القريبة من المدن ويختارونها مساكن لهم، ويظهر ذلك من أسماء القبائل العربية التي سكنت قرى مرو، حيث ترد عند الطبري إشارات إلى قرى وأماكن سكنها العرب قرب مرو، فلما تقدم أمية بن عبد الله لقتال بكير بن وشاح، أرسل طليعة له شَمَّاساً بنَ دِثار، فانكسر ونزل شمالاً في قرية لطيئ يقال لها بُويَنْة وهي قرية على فرسخين من مرو، وقد أقبل شماس قبل نشوب القتال حتى نزل باسان وهي لبني نصر[٥]، وتقع قرى خزاعة على أطراف مدينة مرو أيضاً إلى جانب قرى تميم وسائر أحياء مضر[٦]، ومنها سِفيذنج، وفِنِّين[٧]، وبالين أو قرية اللين[٨]، وشنفير[١].

---

(١)- العلي، استيطان، ص٦٧.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٣، ويرجع بنو عنبر إلى جُذام. ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٥٨٥. قيل بنو عنبر من تميم. كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٨٤٥.

(٣)- تاريخ، ج٥، ص٤٧٣.

(٤)- الواقدي، فتوح الإسلام، ص١٣٣. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٢١. حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية للعهد الأموي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط٥، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٤٠٥. شكري، المجتمعات، ص٢٤٩.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٣-٣١٤. ج٧، ص٧٧. الحموي، معجم، ج١، ص٥١٣. ج٤، ص٧٨. العلي، استيطان العرب، ص٦٧.

(٦)- مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٣١١.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٥٥. السمعاني، الأنساب، ج٧، ص٢٢٤-٢٢٦. ج٩، ص٣٣٨-٣٣٩.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٥.

ومن قبائل بكر في خراسان بنو مُرَّة بن الحارث بن همام بن مرَّة من بني شيبان[٢]. وكانت ديار بكر ابن وائل في خراسان هي قوهستان[٣]، كما ذكر أن بعض الأشخاص من هذه القبيلة ويدعى الربيع بن أنس كانوا قد استوطنوا قرية بُرز[٤]، كما سكن جماعة من قبيلة كندة في قرية بُرز[٥]، وكان قحطبة بن شبيب الطائي ـ أحد نقباء الدعوة العباسية ـ قد استوطن قرية شيرنَخشير وهي من قرى مرو[٦].

وفي صحارى الجوزجان عشرون ألف عربي يملكون كثيراً من الغنم والجمال[٧]. كما استوطنت قبيلة تميم واحة مرو، فقد ذكر نصر بن سيار في رسالته إلى مروان بن محمد أن قرى تميم وسائر أحياء مضر كانت تنتشر على أطراف واحة مرو[٨]، ومنها قرية خَرَق[٩]، وذكر أيضاً أن الجيش الإسلامي كان ينزل في قرية سِنْجَان على باب مدينة مرو وهي على خمسة فراسخ من خلم بها طائفة من عرب تميم، وبها كان عسكر الإسلام أول ورودهم مرو[١٠]، كما استوطن بنو عبد الله بن خازم السلمي من قبائل قيس قرية خرق على بعد ثلاثة فراسخ من مرو[١١]، وأشار الطبري إلى أنه كانت هناك قرية بأعلى مدينة مرو لقبيلة كندة كان فيها عاصم بن عبد الله[١٢].

هذا ولم تعد مرو وقراها تتسع لسكن العرب، فلما كان العرب قد استقروا في بلاد ما وراء النهر كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإقفال في ما وراء النهر من المسلمين بذراريهم إلى مرو، فرفضوا وقالوا: لا تسعنا مرو[١٣].

(١)- مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٧٤. خماش، دراسات، ص٨٤.

(٢)- ابن حزم، جمهرة، ص٣٢٥.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٦٨.

(٤)- ابن سعد، الطبقات، ج٩، ص٣٧٣. الحموي، معجم، ج١، ص٣٨١.

(٥)- السمعاني، الأنساب، ج٢، ص١٥١.

(٦)- السمعاني، الأنساب، ج٧، ص٤٦٢-٤٦٤. ورد اسمها عند الحموي شِيرنَخَجير. معجم، ج٣، ص٣٨٢.

(٧)- مجهول، حدود العالم، ص٧٥.

(٨)- مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٣١١. السمعاني، الأنساب، ج٧، ص٤٠٤-٤٠٨.

(٩)- مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢٧٦.

(١٠)- المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٥٢. السمعاني، الأنساب، ج٧، ص١٦١.

(١١)- السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٩٠.

(١٢)- تاريخ، ج٧، ص١٠٣.

(١٣)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٢٠. اليعقوبي، البلدان، ص٦٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨. القلقشندي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج١، ص٩١.

ب- بلخ:

استقر العرب في البداية في القرى المحيطة ببلخ، لكنهم لم يستطيعوا بسط سيطرتهم التامة عليها، على الرغم من الجهود التي بذلوها لكثرة الأمراء المحليين الذين وقفوا في وجه الفتح العربي الإسلامي وعرقلة تقدُّمه؛ فضلاً عن ذلك وعورة المنطقة دفعتهم إلى نقل قواتهم العسكرية خارج بلخ(١).

ففي سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م كان أسد بن عبد الله القسري قد خطط لتغيير مركزه إلى مدينة بلخ ولزيادة من محاولة التقرب من الهياطلة قام بنقل كل من كان من الجند بالبروقان ـ التي تبعد فرسخين عن بلخ أكبر مدن الإقليم الشرقي ـ وكان الجنود يحتشدون فيها مع أمرائهم، وفي ولايته الثانية على خراسان اتخذ أسد في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م مدينة بلخ داراً ونقل إليها الدواوين واقتطع لكل جندي منهم مسكناً بقدر مسكنه بالبروقان، ومن لم يكن له مسكن أقطعه واحداً، وقام بخلط الجنود فيها، ولم يجعلهم أقساماً (أخماساً) حتى لا يتعصَّبوا فيما بينهم، وأسكن أسد ألفين وخمسمائة جندي في هذه المدينة وكان أغلبهم من الأزد وأهل الشام والقبائل الأخرى، ومهما يكن فإن هذا النقل يبيّن القيمة التي كانت لناحية "طخارستان" في نظر أسد، فلم يكن بها سوى "مرو الروذ" قاعدة ثابتة للسيادة العربية؛ ونظراً لأن ثغور خُرَاسان وأعداءهَا اللدُودين كانوا في شرقها، نقل أسد العاصمة من مرو إلى "بلخ" وأمر بإعادة بنائها، ويرجع بعض المؤرخين المعاصرين الأسباب التي دعت أسداً إلى نقل عاصمته إلى بلخ، هو أن مرو أصبحت مكتظة بالسكان العرب والسكان المحليين الذين أصبحت لهم مصالح مشتركة فتأثرت بحركة الاندماج بين الجماعتين، فأرادوا أن يبعدوا بجند الشام عن تأثير السكان المحليين، أما في بلخ فليس لهم التأثير مثل مرو لقلة عدد السكان المحليين فيها، كما أن بلخاً كانت أقرب إلى جبهات القتال من مرو، وأوكل ذلك إلى بَرْمَك والد خالد بن بَرْمَك ـ دهقان النوبهار ــ الذي كلَّف بدوره الرعايا الأعاجم بذلك على أن يسقط قيمة العمل الذي يقومون به من الجزية التي كانوا يدفعونها، وقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلخ:

شَغفَتْ فؤادك فالهوى لك شاغِفُ ... رِئمٌ على طِفل بحَوْمَلَ عاطفُ
إنَّ المباركةَ التي أَحْصنتَها ... عُصِمَ الذُّلِيلُ بها وقَرَّ الخائِفُ
اللهُ آمنَها بصُنعِك بَعدَما ... كانت قلوبٌ خَوفهنَّ رَواجِفُ(٢)

(١)- المسعودي، مروج، ج٢، ص٨٦. شعبان، صدر الإسلام، ص١٩١.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤١-٤٢، ١١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٥. العلي، امتداد، ص٥٤. شعبان، الثورة، ص٢٠٣.

وكان أهل الكوفة قد نزلوا مدينة بلخ سنة ٢٢هـ/٦٤٣م لأنها كانت من فتوحاتهم(١)، ومن أعمال بلخ التي سكنها العرب سِمِنْجَان ولاسيما قبيلة تميم(٢)، وقُبَاذِيَان(٣)، وقد نزلوا خلم وهي بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ منها، ونزلها من القبائل الأزد وتميم وقيس وبكر منذ أيام الفتوح(٤)، وقال المقدسي: إن خلم بلاد الأزديين(٥)، كما سكنت القبائل العربية في خست بين أندرابه وطخارستان من أعمال بلخ(٦)، وكان بنو بَرْزَى التَّغلبَيون يسكنون قلعة التّبوشكان في طخارستان العليا(٧). وقد ذكر المؤرخ محمد أمان صافي أنه مازالت إلى حد اليوم في ربع بلخ "نواحي بلخ والجوزجان" بعض القرى عربية في لهجتها وعاداتها، ويذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

قرية خُوشحال آباد التي تقع في غربي مدينة دولت آباد في ولاية بلخ، وقرية بَخْدَان تقع في الجنوب الشرقي من مدينة دولت آباد في بلخ، وقرية سلطان أريغ التي تقع غربي مدينة آقجه في ولاية الجوزجان، وقرية حسن آباد وتقع في الشمال الشرقي من ولاية الجوزجان(٨).

ج- نيسابور

لم يقتصر وجود العرب في مرو وبلخ، بل اتخذوا من قرى نيسابور أماكن لسكناهم، وكان أهلها أخلاطاً من العرب والعجم، وسكن قوم من بني الحريش محلة الحيرة وهي محلة كبيرة مشهورة في نيسابور(٩)، ونزل عدد من الصحابة ناحية الرَّخّ بنيسابور(١٠)، واستوطن قومٌ من تميم وربيعة سرخس(١١)، أما طيئ فقد سكنت مدينة طوس(١٢).

(١)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٧١.

(٢)- السمعاني، الأنساب، ج١٠، ص٤٢.

(٣)- المقدسي، أحسن، ص٣٠٣. السمعاني، الأنساب، ج٧، ص١٥٠. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٥٢.

(٤)- ابن عبد ربه، العقد، ج٣، ص٣١٢. السمعاني، الأنساب، ج٥، ص١٦٤. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٥٣.

(٥)- أحسن، ص٣٠٣.

(٦)- السمعاني، الأنساب، ج٥، ص٢٠٨. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٧٠.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٩-١١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٢٥.

(٨)- أفغانستان والأدب العربي، ص١٠٦.

(٩)- اليعقوبي، البلدان، ص٢٧٧. ابن حزم، جمهرة، ص٣٠٢.

(١٠)- السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٥٤.

(١١)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٠. اليعقوبي، البلدان، ص٤٩. ابن الأثير، اللباب، ج٢، ص١١٢.

(١٢)- اليعقوبي، البلدان، ص٤٧.

وفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م بنى أسد أيضاً مدينة أَسَد آباذ وهي من نواحي نيسابور من أعمال بيهق[١]، ولم تشر المصادر إلى أي معلومات عن أسباب بناء هذه المدينة والأهداف التي كان أسد يرمي إليها من بنائها، ولا يمكن القول إن سبب بناء أسد آباذ هو السبب نفسه الذي دفع أسداً إلى نقل عاصمته إلى مدينة بلخ، لأنه لم يرد أي ذكر عن وجود عدو يهدد أمن هذه المنطقة؛ إذ إن جبهات القتال في أواخر عهد أسد وزمن نصر بن سيار كانت فيما وراء النهر.

وعن انتشار القبائل العربية في خراسان ذكر اليعقوبي في جميع مدن خراسان لم تخلُ مدينة من مدنها إلا وبها عرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن، إلا أشروسنة فإن أهلها منعوا العرب من الإقامة بينهم ومجاورتهم حتى صار إليهم رجل من بني شيبان فأقام عندهم وتزوَّج فيهم[٢].

د- هراة:

ومن مراكز العرب الأخرى في خراسان هراة التي كانت مركزاً إدارياً تتبع له عدة مدن نزلها العرب منذ زمن مبكر، كذلك نزل ولاة خراسان في عهد معاوية هراة[٣]. وتشير المصادر إلى أن الجند العربي قد سكنوها في زمن ولاية الجنيد ت١١٥هـ/٧٣٣م[٤]، واستوطنها الكثير من قبائل ربيعة وتميم، كما سكن العرب في بُوشَنْج من نواحي هراة[٥]، فقد ذكر السمعاني مجموعة من رجالات تميم قد استوطنوا مدن هراة[٦]، كما كان بنو حنيفة يسكنون هراة[٧].

والمفيد ذكره أنه بعد اجتياز العرب نهر جيحون اندفعت حدود الدولة العربية نحو الشرق؛ ولذلك أصبحت الحاجة إلى اتخاذ قواعد جديدة قريبة من الحدود كي يستطيع العرب المقيمون مراقبة هذه الحدود والدفاع عنها أو القيام بحركات جديدة ضرورة لا بد منها، فيروي البلاذري[٨] أنَّ قتيبة بن مسلم أسكن العرب ما وراء النهر حيث أسكنهم أرض فرغانة والشاش، غير أن أوائل المدن التي استقر بها العرب فيما وراء النهر هي سَمَرقند التي أخضعها قتيبة بعد قتال عنيف سنة ٩٦هـ/٧١٥م وحمل مع الناس عيالاتهم ليسكنوا سمرقند، وقد ظلت سمرقند قاعدة مهمة للحركات ضد الصغد[٩]، كما سكنت قبيلة باهلة في قرية

---

(١)- السمعاني، الأنساب، ج١، ص١٣٦. الحموي، معجم، ج١، ص١٧٦.

(٢)- البلدان، ص٦٠.

(٣)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٤.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٥.

(٥)- اليعقوبي، البلدان، ص٤٩. الحموي، معجم، ج١، ص٥٠٨.

(٦)- السمعاني، الأنساب، ج٧، ص٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ١١٩.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٨.

(٨)- فتوح، ص٦٠٦.

(٩)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٠٩. ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٨٠.

ميلاذجرد من ربع خرقان من قرى سمرقند[١]، ومعظم سكان قصر أسفاد من الأزد[٢]، كما سكنت الأزد قرية أسبوادق من ربع خرقان[٣]، وذكر الاصطخري[٤]: أن كثيراً من قرى رستاق وذار بسمرقند تقوم من بكر بن وائل يعرفون بالسباعيَّة وكانت لهم بسمرقند ولايات. وعمد قتيبة بن مسلم إلى إنزال العرب في وسط البلدان فيما وراء النهر في بخارى وسمرقند[٥]، ولعل سياسة الدَّمج التي اتبعها قتيبة قد جاءت نتيجة لرؤيته الاجتماعية والحربية من حيث عدم تعصبه للعرب ورغبته في الاعتماد على العنصرين العربي والتركي في حالة النفير[٦]، والملاحظ أن بخارى وسمرقند وخوارزم وغيرها من بلاد ما وراء النهر قد أصبحت منارات لنشر الإسلام ومراكز للثقافة العربية في آسيا الوسطى كما كانت مرو ونيسابور في خراسان[٧].

ويعطينا النرشخي تفصيلاً تاماً لأحياء بخارى ومناطق سكن العرب فيها، حيث يذكر أن قتيبة بن مسلم قد أسكن قبائل ربيعة ومضر في المنطقة التي تقع من باب العطارين (باب السوق) إلى باب نون، وأعطى الباقي لأهل اليمن، وكانت أغلب بيوت العرب عند باب المجوس، كما ذكرت في هذه المدينة بعض المباني والمعالم التي تدل على وجود العرب فيها مثل: باب بني سعد، ومسجد بني سعد، وباب بني أسد[٨]، هذا وسكنت القبائل العربية في الترمذ التي هاجر إليها العرب بعد أن سكنها موسى بن عبد الله بن خازم، فكان فيها من العرب: تميم وقيس وربيعة واليمن[٩].

وبعد الحديث عن هذه القبائل وانتشارها واستيطانها نستنتج بأن خراسان لم تعرف مدناً إسلامية خاصة بالعرب كما في أرض العراق، ولم تحفل السياسة الأموية بتوطين القبائل في أماكن جديدة مغايرة في تخطيطها وتنظيمها لمراكز الاستقرار الخراسانية القديمة، وقد أشار صالح العلي إلى أنَّ العرب شعروا بعجز سياسة إبقاء الحاميات في خراسان عن تثبيت سلطان العرب في هذا الإقليم البعيد عن القواعد الرئيسة في البصرة والكوفة، هذه الحاميات كانوا يركزونها عندما ينفذون حملاتهم في الصيف ويعودون إلى البصرة في الخريف، وأدركوا ضرورة إنشاء قواعد ثابتة تقيم فيها القوات العربية بصورة دائمة، لتهيمن

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٥٨. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٥٨.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٩.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٨

(٤)- مسالك، ص٣٢٢-٣٢١.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢١.

(٦)- ورد عند بارتولد أن قتيبة قد أجلى أهل هذه المدن وأسكنها العرب، تركستان، ص٣٠٤.

(٧)- شكري، المجتمعات الإسلامية، ص٢١٤.

(٨)- اليعقوبي، البلدان، ص٥٩. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨٤-٨٥. العلي، امتداد، ص٥٢.

(٩)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٠٣.

على أقاليم المشرق، وتدافع عن حدودها، وتوسع رقعة الدولة في الشرق، ثم أشار إلى مرو كأول مكان سكنه العرب هناك، أي إنه لم يتم إنشاء مدن جديدة[١]، وإذا اضطر بعض الولاة إلى نقل العرب من مكان ما فإنه يتم إنزالهم في مكان آخر قائم وذلك كما فعل أسد القسري حينما نقل العرب من البروقان إلى بلخ كما سلف ذكره[٢].

ولما كان العرب المسلمون قد أنشؤوا دوراً وحصلوا على إقطاعات في خراسان فهذا لا يعني إقامة مدن جديدة ذات طابع متميز ببنائه، وطريقة تخطيطية كما هو شأن الكوفة والبصرة، بل إنَّ العرب قد دفعوا إلى الاختلاط والامتزاج بأهل البلاد الأصليين في خراسان وبلاد ما وراء النهر[٣].

فقد أراد الأمويون من خراسان أن تكون بدون إقامة مدن جديدة كالشام، لكن هذا لا يعني أنَّ بني أميَّة لم يعنوا أبداً بإنشاء المدن في الأقاليم الأخرى، فقد انصهرت البلاد الشامية وأصبحت عربية، أمَّا خراسان فقد تقلص فيها الشكل العربي والسمة العربية على المدى الطويل، وقد تكون المقارنة بين الإقليمين غير مقبولة من حيث إن الشام قد أصبحت داراً للخلافة حقبة طويلة، ثم هي على علاقة مع القبائل العربية منذ أمد طويل، وكل هذا تفتقر إليه خراسان، فقد كانت خراسان جزءاً من بلاد ذات حضارة قديمة اختفت ظاهرياً وبذل بعض أصحابها من أهل البلاد الأصليين جهوداً مضنية لإعادتها بأشكال مختلفة، ثمَّ إن خراسان كانت موطناً لثورات عديدة، ومركزاً لصراعات مختلفة أثرت على الوضع الاجتماعي الخراساني بصفة عامة والخراساني العربي بصفة خاصة، وعلاوة على أنَّ العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر قد أخذوا، أو هم أجبروا في بعض الأحيان على الانتساب إلى المدن والقرى بدلاً من الانتساب إلى القبائل، فضلاً عن هذا كله، فإن عدم إنشاء مدن خاصة بالعرب بعد الفتح قد سهل عملية تلاشي الصبغة العربية واندثار الطابع المميز للفاتحين الأوائل[٤].

هذا لم يبذل الفاتحون جهداً ولم يشهدوا عنفاً وضراوة شديدة كالذي شهدوه في الجناح الشرقي من بلاد الإسلام، لقد كان كل شيء غريباً عنهم: الدم، واللغة، والأعراف، والتقاليد، كما أنهم واجهوا إمبراطورية ضخمة امتد سلطانها على رقعة كبيرة من العالم عبر أحقاب طويلة من الزمن[٥]. ولذلك كانت مهمة الفتح عسيرة، وكانت عملية انتشار الإسلام صعبة للغاية تطلبت جهداً مضاعفاً لإخماد الثورات والقضاء على

---

(١)- امتداد العرب، ص٤٩.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٠.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٣٤١.

(٤)- العفنان، القبائل العربية، ص١٤٧-١٤٩.

(٥)- بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م، ج١، ص١٦٤. بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص٣٣٧.

التمرد[١]. فلم يكن للجيوش الإسلامية بفرسانها الأبطال في فتح البلاد إلا بالنضال الطويل وذلك بتوطين العرب في تلك الأماكن البعيدة عن مقر الخلافة[٢].

ثانياً: العصبية القبلية وحركات المعارضة في إقليم خراسان

اتسع نطاق العصبية القبلية لدى القبائل العربية في العصر الأموي؛ وذلك لابتعادها عن مواطنها الأصلية، وما دعا إليه نظام المعارك وتسيير الجند والخطط من توحيد القبائل التي تجمعها أصول مشتركة في وحدات متتالية معينة أو خطط استيطانية محددة، وكذلك فإن احتكاك القبائل بعضها ببعض قد دعا إلى توسيع العصبيات مع ما يضاف إلى ذلك من النزعات السياسية ذات الأثر الواضح على العصبيات، واتصال العرب بالأمم الأخرى، وعلى كل حال فقد انضوت الفروع البكرية في مواطنها الجديدة تحت مسمى واحد، وزاد ذلك بأن أصبح البكريون دائرين في كثير من الأحيان في فلك الدائرة الربيعية التي تجمعهم بعبد القيس[٣]. ولذلك كان العرب بخراسان منقسمين إلى أربعة أقسام: اليمن وربيعة وقيس عيلان وتميم، هؤلاء الثلاثة يجمعهم نزار، ويجمع تميم مضر، فقد كان الأمراء يساعدون على إنماء روح العصبية فإذا تولَّى يماني رفع رؤوس أهل اليمن واستعملهم عمالاً على الأمصار، فإذا تلاه مضري عكس الأمر وانتقم من سلفه ومن عماله.

١- العصبية القبلية وأسبابها

كانت عدوى العصبيات القبلية قد انتقلت من العراق إلى خراسان حيث شغلت أدواراً على درجة كبيرة من الأهمية، فقد هاجرت القبائل العربية إلى خراسان وسكنت بعض المدن الرئيسة كحاميات عسكرية، وقد نقلت هذه القبائل معها عصبياتها وصراعاتها الحزبية[٤]، فليس من السهل الحديث عن الأسباب الحقيقية للعصبية القبلية والخلافات بين القبائل التي عرفتها خراسان، ذلك لأنه لم يكن خاصاً بها فقط بل عمَّت كُلَّ الأراضي التي كانت خاضعة للدولة الأموية، مع الاختلاف في درجة القوة والضعف من مكان إلى مكان. ومن أهم هذه الأسباب والتي تعد من الأسباب المباشرة التي أدت إلى إذكاء الفتنة هي التنافس بين القبائل، فقد كانت طبيعة العلاقة التي تربط بين القبائل المضرية والقيسية وبين القبائل اليمنية والربعية علاقات سيئة ومتوترة فيما بينهم، بسبب تباين أهوائها ومواقفها ومنافعها القبلية والسياسية والاقتصادية؛

---

(١)- ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٢٧. ج٤، ص٨٧.

(٢)- العلي، امتداد، ص٤٩. عفنان، القبائل، ص١٥٠.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص١١٠-١١٣. ابن الأثير، ج٣، ص٢٣٢. المنقري، وقعة صفين، ص٤٠٢. عفنان، القبائل، ص٢٥٢.

(٤)- عيسى، رياض: الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموي، تقديم: سهيل زكار، ط١، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٨٦.

ممّا جعلها تنشقّ إلى شقّين متباعدين: شق يجمع بين مضر وقيس، والآخر يجمع بين القبائل اليمنيَّة والربيعية(١). والمعروف أن أكثرية عرب خراسان كانوا من عرب البصرة، دخلوا إقليمهم الجديد منذ بداية الفتوح الأولى وهم يحملون معهم تركة الانشقاق والتباين فيما بينهم، فانشغل العرب في بادئ الأمر في عمليات الفتوح، ولكن فيما بعد عندما كان يختل النظام كانت هذه القبائل تعود إلى خلافاتها السالفة التي جلبتها معها، فقد كانت الأحلاف والتنافس على الموارد تظهر في خراسان بين آونة وأخرى، وتأخذ الطابع الذي كان عليه في البصرة.

فلم يكن الشقاق العربي في البصرة عظيماً في العصر الراشدي وبداية العصر الأموي، حيث لم يلاحظ إلا بعض التباين بين مضر وربيعة، فقد كانوا يتنافسون كما كان قبل الإسلام، ويتنازعون على السلطة والنفوذ، وقد انحازت ربيعة إلى اليمانية مع أنها نزارية عدنانية كمضر يجمعهم النسب الواحد؛ ذلك لأن ربيعة عُرفت بغيرتها من مُضر لأنها كانت أهل الكثرة والغلبة بالحجاز، كما كان لها الرياسة بمكة والحرم، كما كانت ربيعة تكره المضرية لأن مضر كانت تفاخرها في النبوة والخلافة، فسخطت عليها؛ لأنه لا نبي منها، وناصرت اليمانية وشدت أزرها في حروبها مع المضرية فأصبحت خراسان موطناً للمنافسات القبلية، فإذا كان عاملها مضرياً رفعت بنو تميم والرباب رأسها، وإذا كان يمانياً اعتزت قبائل الأزد وربيعة(٢).

لقد تغيرت أحوال عرب البصرة كثيراً بعد ذلك؛ وبالأخص في حدود سنة ٦٠هـ/٦٨٠م حيث دخلت إلى المدينة مجموعات كثيرة من أزد عُمان، ولا يمكن نفي وجود بعض الأزديين في البصرة قبل هذا التاريخ لكن يبدو أن عددهم كان ضعيفاً لدرجة أنه عَدَّ دخولهم أول وجود للأزديين في البصرة(٣)، فأرادت تميم في أول الأمر بعد أن شعروا بقوة الأزد أن تكسب صداقة الأزديين وأن تجعل منهم حلفاء لها، لكنها لم تبادر في ذلك؛ لأن الأحنف بن قيس حكيمها الأكبر وصاحب الكلمة النافذة فيها رأى أن من يبدأ بطلب الحِلف يكون له دائماً الشأن الثاني فيه، فاستقبلهم مالك بن مسمع رئيس بكر فتعاقدت الأزد وبكر، وبهذا تبدلت قوى العرب في البصرة، حيث قويت بكر بانضمام الأزد إليها وظلت قوة تميم على حالها بعد ما كانت هي الغالبة(٤).

(١)– فلهوزن، تاريخ، ص٣٨٠. عطوان، الشعر، ص٦٠.

(٢)– السويدي، سبائك، ص٢٠. البستاني، معارك العرب، ص٨٣. فلهوزن، تاريخ، ص٣٨٠. عطوان، الشعر، ص٦٠.

(٣)– فلهوزن، تاريخ، ص٢٨٣. عطوان، الشعر، ص٦٠.

(٤)– أبو عبيدة، نقائض، ج١، ص١١١. ج٢، ص٧٤٠. عيسى، الحزبية السياسية، ص٢٨٥.

٢- الصراعات القبلية في خراسان وموقف الخلفاء الأمويين منها

كان الأمويون وولاتهم يواجهون خطر النزاع القبلي واحتمالاته بأساليب مختلفة، فقد حرص الخليفة معاوية بن أبي سفيان في مطلع حكمه على أن يرسم سياسة متوازنة للقبائل، فتقرب من الكلبيين ليقيم نوعاً من التوازن بينهم وبين القيسيين(١)، وقد أُتهِّم الخليفة يزيد بن معاوية بممالأة قبيلة كلب اليمانية على حساب القبائل المُضرية، وبالذات المنتمين إلى قبيلة قيس عيلان(٢)، ولاسيما أنه كان من أم كلبية يمنية وزوجاً لامرأة كلبية أيضاً، مما أغضب القيسية وجعلهم يرفضون الاعتراف بخلافة ابنه معاوية بن يزيد(٣)، هذا ما جعل القيسيين يناصرون عبد الله بن الزبير ويعترفون بصحة خلافته، ويحاربون لصالحه في معركة مرج راهط ضد الأمويين ٦٤هـ/٦٨٤م لكنهم أخفقوا، أما اليمنيون ولاسيما منهم الكلبيون فقد اجتهدوا كثيراً في مناصرة الأمويين، غير أن العلاقة المميزة لظهور العصبية القبلية قد رُسمت في نظر الباحثين عند معركة مرج راهط بالقرب من دمشق في سنة ٦٤هـ/٦٨٤م، تلك المعركة التي كانت الشرارة الأولى التي أشعلت فتيل الحرب القبلية بين كلب وقيس والتي امتدت آثارها زمناً طويلاً شمل عصر بني أمية كله، واستنفرت فيها جهود شعراء القبيلتين للدفاع كل واحد عن قبيلته(٤). فحرص خلفاء بني أمية على أن يكون تعيين رؤساء القبائل عن طريقهم، أو أن يحصل التعيين على موافقتهم على الأقل وعلى سبيل المثال كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد في العراق بأن يرد رئاسة بكر بن وائل إلى أشيم ابن شقيق بن ثور السدوسي، وكان قد نازعه عليها مالك بن مسمع البكري(٥).

وقد رأى بعض المؤرخين(٦) أن عرب خراسان عاشوا منذ أن دخلوها في فوضى وصراع دائم، لكن المتتبع لأخبارهم في المصادر الإسلامية الأساسية يلاحظ أنهم كانوا يعيشون في سلام همَّهم تأمين حياتهم في الوطن الجديد والنجاح في غزواتهم في داخل والإقليم وخارجه، ولم يبدأ الخلاف فيما بينهم إلا في سنة ٦٤هـ/٦٨٤م عندما دبت الفتنة بين قبيلة بكر والوالي عبد الله بن خازم السلمي حيث انشقوا إلى

---

(١)- أحمد، محمد حلمي محمد، الخلافة والدولة في العصر الأموي، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت، ص١٧٤.

(٢)- النص، العصبية القبلية، ص٣٠٠.

(٣)- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٨. حتي، فليب وآخرون: تاريخ العرب، دار غندور، ط٨، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٥٢.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٠. فلهوزن، تاريخ، ص١٦٨. الدوري، مقدمة، ص٦٥. علي، مختصر تاريخ العرب، ص٩٧. حتي، تاريخ العرب، ص٢٥٢. خماش، الإدارة، ص١١٢.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥١٥. أبو عبيدة، نقائض، ج٢، ص٨٥١.

(٦)- فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٣. الغزي، الشعر الأموي، ص٣٠. حسن، ناجي: ثورة زيد بن علي، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٨١.

مجموعتين متعاديتين، تتألف المجموعة الأولى من عرب تميم وقيس والمجموعة الثانية من عرب بكر[١]، فدعا عبيد الله أهل البصرة إلى مبايعته حتى يَنجلي الأمر، ويختار الناس خليفة لهم، فبايعوه وسرعان ما تمردوا عليه وخلعوه، فاستجار بمسعود بن عمرو زعيم الأزد، فأجابوه، وعندما خرج زياد من الشام استخلف على البصرة مسعود بن عمرو الأزدي، لكن تميماً وقيساً رفضوه وهجموا عليه وهو يدخل المسجد وقتلوه، فاجتمعت الأزد وبكر على تميم وقيس واقتتلوا قتالاً عنيفاً مات فيه العديد من الطرفين، واستمر ذلك إلى أن رأى رئيس تميم الأحنف بن قيس الرجوع إلى كتاب الله والتصالح على أن تدفع تميم دية مسعود فاصطلحوا وفدت دية مسعوداً بعشر ديات[٢]، وهكذا اتسمت شُقَّة الخِلاف بين هاتين المجموعتين المتزاحمتين من القبائل العربية بالبصرة، وأصبحت الأزد وبكر وعبد القيس من جانب، وتميم وقيس من جانب آخر يتقاتلان ويتواعدان، وكان كلما حدث فيهما صراع انتقل أثرهُ على خراسان، إذ اتحدت هنالك قبائل كل مجموعة وتنافست، على نحو ما تكتلت في البصرة وتَنَابذت[٣]، بل إن ما كان يحدث في خراسان في الاثنين والثلاثين سنة الأولى من القرن الثاني الهجري عندما توجه بعضهم إلى معارضة الدولة الأموية نفسها، كان أخطر بكثير مما كان يحدث في البصرة التي هدأ فيها العرب وانشغلوا بمحاربة الخوارج[٤].

ويصف الطبري الأوضاع في تلك الحقبة قائلاً: "فبعد وفاة يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد وثب أهلُ خراسان بعُمَّالهم فأخرجوهم، وغلب كلٌّ قوم على ناحية، ووقعت الفتنة"[٥]. إن مثل هذا النص خير دليل على أن الفتنة والعصبية القبلية ؛إنما كانت من أشكال التنافس بين القبائل للسيطرة على أكبر قدر من خراج خراسان.

أ- فتنة عبد الله بن خازم وصراعه مع قبيلة بكر بن وائل وتميم

كان للأحداث في الشام والعراق التي أعقبت وفاة الخليفة الأموي يزيد بن معاوية انعكاساتها على خراسان والأقاليم الشرقية، فبدأت الاضطرابات أولاً في سجستان، فكان يزيد بن معاوية قد ولّى سلماً بن زياد خراسان وسجستان، فلَّما كان موت يزيد أو قبل ذلك بقليل غدر أهل كابل ونكثوا وأسروا أبا عبيدة بن زياد، فسار إليهم زياد فقاتلهم، فقتل يزيد بن زياد وكثير ممَّن كانوا معه وانهزم سائر الناس، فبعث سلم بن

(١)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥. ابن الاثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٤. أبو النصر، عمر: الأيام الأخيرة للدولة الأموية، منشورات المكتبة الأهلية، ط١، بيروت، ١٩٦٢م، ص٢٥٠.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥١٦-٥١٩.

(٣)- عطوان، الشعر، ص٦١. طلس، تاريخ العرب، ج١، ص١٨١. الفحام، شاكر: الفرزدق، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٧.

(٤)- فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٣.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٦.

زياد طلحة بن عبيد الله بن خَلَف الخزاعي الذي يعرف بطلحة الطلحات، ففدى أبا عبيدة بخمس مائة ألف درهم، وسار طلحة من كابل إلى سجستان والياً عليها من قبل سلم بن زياد، ومات بسجستان واستخلف رجلاً من بني يَشكُر من ربيعة مما أثار المضريين الذين أخرجوه من الولاية ووقعت العصبيَّة وبدأ الصراع القبلي بين ربيعة ومضر(١).

هذا وتمثلت العصبية في خراسان بعدة حوادث كان أولها والذي يعد الانفجار الحقيقي بين القبائل العربية في سنة ٦٤هـ/٦٨٤م عند وفاة يزيد بن معاوية بين عبد الله بن خازم ومن يسانده من قبائل قيس ومضر وقبائل ربيعة، فقد ذكر أن سلماً بن زياد أمير خراسان قد كتم خبر وفاة يزيد بن معاوية وما أصاب إخوته في سجستان والبصرة على الناس، فلما انتشر الخبر بينهم اضطر إلى إظهارها رسمياً، ودعا الناس إلى البيعة حتَّى يستقيم أمرُ الناس على خليفة يختارونه، فبايعه أهل خراسان، لكن سرعان ما انقلبوا عليه بعد شهرين، فلم يتمكن سَلَم من التحكم في أوضاع خراسان بعد ذلك على الرغم من أنه كان محسناً لأهلها ومحبوباً من طرفهم، فاختار الهروب من خراسان بعد أن استخلف عليها المهلب بن أبي صُفْرة، وكان المهلب مدركاً لحقيقة الصراع القبلي، فلم يشأ أن يقحم نفسه في هذا الصراع، ولاسيما أن معظم القبائل لم تكن راضية عن إسناد ولاية خراسان للمهلب، فلما كان بسَرخس التقى بسليمان بن مَرْثَد أحد بني قيس بن ثعلبة من "بكر بن وائل"، فسأله: مَنْ خلَّفت على خراسان؟ فقال له: المهلب بن أبي صفرة، فقال: ضاقت عليك نزارٌ حتَّى ولَّيتَ على خراسان رجلاً من أهل اليَمَن، فولَّاه مَرْو الرُّوذ، والفارياب، والطالقان، والجُوزجان، وولَّى أوساً بن ثعلبة بن زفر وهو من "بكر بن وائل" أيضاً هراة ومَضى سلم، فلما صار بنيسابور التقى عبد الله بن خازم، فقال: مَنْ ولَّيت خراسان؟ فأخبره، فقال: أما وجدت في مُضر رجلاً تستعمله حتى فرَّقت خراسان بين بكر بن وائل ومَزُون عُمان؟ وقال له: اكتبْ لي عَهْداً على خراسان، فكتب له عهداً على خراسان، قال: فأعنَّي الآن بمائة ألف درهم فأمَرَ له بها، وأقبل على مَرْو، وعندما علمت بكر بن وائل بولاية عبد الله بن خازم اجتمع منهم جمع كبير، وقالوا: "على ما يأكل هؤلاء خراسان بدوننا"، إن هذا الوضع السياسي والقبلي المعقد جعل اندلاع الصراع بين ربيعة ومضر أمراً محتوماً، وعندما وجد المهلب بن أبي صفرة عاجزاً عن مواجهة ربيعة ومضر وأن الأوضاع في خراسان أخذت تتفاقم آثر الانسحاب من مرو والعودة إلى العراق؛ لأنه لم تكن له قبيلة تؤيده، وخلَّف على مرو رجلاً من بني جُشَم بن سعد من تميم نائباً عنه، وهكذا ازداد الموقف تعقيداً، ولكن نائب المهلب هذا

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٥٩-٥٦٠. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج٣٤، ص٤٨٣. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٧

سرعان ما هُزِمَ من قبل ابن خازم ومات متأثراً بجراحه[١]، ويرجع عبد الأمير دكسن موقف المهلب هذا إلى قلة أعداد الأزد في خراسان في ذلك الوقت، فقد جرت العادة أنه لا يقوى على إمرة خراسان إلا من له بها سند قبلي قوي، ووجد البكريون في تعيين المهلب إهانة لهم[٢]. فلم يكن المهلب ذا عصبية آنذاك، لكنه كان له إسهام كبير في الفتوح لا في خراسان وحدها بل وفي سجستان، إذ كان هو وابن خازم وعبَّاد بن الحُصين مع أميرها عبد الرحمن بن سمرة قبل سنة ٤٥هـ/٦٦٥م[٣].

ثم اتفق عبد الله بن خازم وسليمان بن مرثد أن يرسلا إلى عبد الله بن الزبير[٤] وأيهما أمَّره على خراسان فهو الأمير، فولَّى ابن الزبير عبد الله بن خازم، ولكن سليمان بن مرثد لم يقبل ذلك[٥]، ويشير الطبري إلى الحرب التي وقعت بين عبد الله بن خازم والبكريين في روايته: "أن عبد الله بن خازم الذي تؤيده قيس وتميم غلب على مدينة مرو، ثم سار إلى سليمان بن مرثد الذي تؤيده بكر وفروع أخرى من ربيعة"، فلقيه بمرو الروذ فتقاتلا أياماً، فقتل سليمان بن مرثد، قتله قيس بن عاصم السلميُّ، وكان شعار ابن خازم حمر لا ينصرون، وشعار سليمان يا نصر اقترب، ثم سار إلى عمرو بن مرثد بالطالقان فاستعد للقاء ابن خازم بعد أن بلغه مصرع أخيه، وسار ابن خازم في سبعمائة مقاتل، غير أنَّ ابن خازم لم يكن ليجرؤ على الالتحام ببكر بن وائل وهم ذوو كثرة عددية لولا احتياطه لنفسه بذوي الشوكة من فرسان

---

[١]- البلاذري، فتوح، ص٥٨٢. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٣. البلدان، ص٦٢. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٥-٥٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (٦٠-٨٠هـ)، ٤٤-٤٥. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٧-٣٩٨. سلطان، آل المهلب، ص٢٠-٢١. الشمري، صالح حسن عبد: الخلافة الأموية من ١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م والفتنة الثانية، دراسة سياسية، إشراف صالح خلف الحمارنة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٧م، ص٢٤. العلي، استيطان، ص٤٨-٤٩.

[٢]- دكسن، عبد الأمير عبد حسين: الخلافة الأموية ٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م دراسة سياسية، دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٤٥، ١٦٤.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٥٥٨.

[٤]- أرسل ابن خازم بيعته لابن الزبير من هراة إلى البصرة سنة ٦٤هـ/٦٨٤م مع رجل من ولد عبد الله بن عامر بن كُريز الأموي، فوافى الرسول الناس في المسجد، وأمير البصرة عبد الله بن الحارث المعروف ببّه، وكان في القوم مالك بن مسمع، وقد دار بينه وبين موفد ابن خازم كلام تهايجت ربيعة ومُضر على إثره، ثم قتل رجل يُشكري ربعي من بني بكر قتله رجل من ضبَّة، فانحازت ربيعة بعد ذلك إلى الأزد التي كانت تؤوي عبيد الله بن زياد آنذاك، وانتهى الأمر إلى مقتل مسعود بن عمرو العتكي زعيم الأزد وانهزام قومه وحلفائهم ربيعة أمام بني تميم، وقد عزل ابن الزبير ببَّه بعد ذلك عن إمارة البصرة وولاها الحارث بن عبد الله المخزومي ثم مصعب بن الزبير. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٢٧-٥٢٩.

[٥]- ينفرد البلاذري برواية مفادها أنَّ سليمان نازع ابن خازم في إمارة خراسان "وكان سليمان قد طعن بعهد سلم بن زياد لابن خازم وقال: لو استطاع سلم أن يقيم بخراسان لم يخرج عنها ، فلما جاء أمر ابن الزبير بتولية ابن خازم قال سليمان: ما ابن الزبير بخليفة وإنَّما هو رجل عائذ بالبيت وكان رسول سليمان وابن خازم هو عروة بن قطبة. فتوح، ص٥٨٢-٥٨٣.

خراسان، وهم بنو تميم في ذلك الوقت، وإلَّا فهو يشكو من قلة في قومه لا قومه الأقربين بني سَلِيم فحسب؛ بل وقيس عيلان برمتها، فالتقوا واقتتلوا طويلاً، فقتل عمرو بن مرثد وانهزم أصحابه بمؤازرة فارس خراسان زهير بن ذؤيب العدويّ التميمي، وذلك على نهر بين الطالقان ومرو، فلحق بنو بكر بأوس بن ثعلبة التميمي البكري بهراة، ورجع عبد الله بن خازم إلى مرو وفرَّ من كان بها من البكريين إلى هراة[1]، واجتمعت بكر إلى أوس من أنحاء خراسان المختلفة وقالوا: نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم، وتُخرِجَ مُضر من خراسان كلِّها، وكان ابن خازم قد ألحَّ على التذكير بالرابطة المضرية ليضمن ولاء تميم له، وقد استكثر أوس بن ثعلبة وهو من بني تميم ما طلبه منه قومه، وقال لهم: إن هذا بَغْيٌ وأهل البغي مخذولون، وأرى أن تقيموا مكانكم وما أرى ابن خازم سيترككم، ومن العجيب أن موالي بني جَحْدر بن قيس بن ثعلبة هم الذين ألحوا على أوس لكي يثأر بابني مرثد، وقد صدقت نبوءة أوس بن مُرثد، فقد سار إليهم ابن خازم بعد أن استخلف على مرو ابنه موسى، وكان رأي أوس أن يبقى هو وقومه داخل مدينة هراة لأنها حصينة حتَّى يملَّ ابن خازم من حصارهم ويعطيهم ما يشاؤون، غير أنَّ قومه عصوه وخرجوا عن المدينة وحفروا أمامهم خندقاً، وكان ابن خازم مقيماً في وادٍ بين عسكره وهراة، وكان ذلك سنة ٦٥هـ/٦٨٥م وظلت حربه لهم سنة كاملة قُتل فيها خلق كثير[2]، فلم يستطع أحد التصدي لهذه الفتنة، غير أن أحد بني ضبَّة واسمه هلال الضبي حاول ثني ابن خازم عن إبادة بكر بعد أن قتل منهم ما قتل، وأكد على ضرورة الصلح مع ربيعة قائلاً له: "إنما تقاتل أخوتَكَ مِن بني أبيك، والله إن نِلتَ منهم فما تريد ما في العيش بعدَهم من خير"، فلم يسمع منه ابن خازم فقال الضبي: إذن أسحب أنا ومن يطيعني من تميم وخِندف بأكملها، وعندها قال ابن خازم: "أنت رسولي إليهم مع يقيني بأن لا يرضيهم سوى خروجنا جميعاً من خراسان"، وسفر الضبِّي بين ابن خازم والبكريين فلم يجد جواباً عند أوس بن ثعلبة، وتحوَّل منه إلى حنيفة، ثم إلى بني صُهيب موالي قيس بن ثعلبة، فأصَّروا على إخراج مضر أو أن يسلِّموا ما بأيديهم من ذهب وفضة وسلاح، وقد اصطدم بالرأي المتشدد فقفل راجعاً إلى ابن خازم الذي قال له: "قد أخبرتُك أنَّ ربيعة لم تزل غضاباً على ربِّها منذ بَعث النبيَّ ﷺ من مُضر"[3]. وقد خُدع البكريون حينما قال لهم ابن خازم: "يامعشر ربيعة إنكم قد اعتصمتم بخندقكم، أفرضيتم من خراسان بهذا الخندق"، فنادى الناس للقتال فخرجوا غير عابئين برأي أوسٍ بن ثعلبة، فانضم بنو حنيفة وهم من ربيعة إلى قبيلة بكر في هذه

---

(1)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٣. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٧. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٤. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٨.

(2)- كانت ربيعة حوالي خمسة عشر ألفاً حينما اجتمعوا إلى أوس في هراة وكان ابن خازم في حوالي ستة آلاف غالبيتهم من تميم، وقد قتل من ربيعة حوالي ثمانية آلاف. البلاذري، فتوح، ص٥٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٥.

(3)- وقيل إن هذه المقولة المنسوبة لابن خازم؛ إنما هي لنصر بن سيار. المصري جميل عبد الله محمد: أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، مكتبة الدار، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٤٧.

الحرب، فهزمت ربيعة هزيمة قاسية، وفرَّ أوس بن مرثد إلى سجستان ومات متأثراً بجراحه[١]، وحلف ابن خازم أن لايأتيه أسير في ذلك اليوم إلا قَتَله حتى تغيب الشمس، فدخل ابن خازم هراة وجعل عليها ابنه محمداً، وضّم إليه شَمَّاساً بن دِثار العُطارديّ التميمي، وعلى شرطته بُكير بن وشَّاح التميمي[٢]. وقد طلب ابن خازم من بني تميم أن يستوصوا بابنه محمَّد خيراً خاصة وهو ابن أختهم ورجع ابن خازم إلى مرو[٣]، غير أن الأمور ما لبثت إن ساءت بين بني تميم وابن خازم بعد أن ضرب ابنه اثنين منهم حتى ماتا، وإمعاناً في محاولة إذلال التميميين طلب ابن خازم من شمَّاس وبكير أن يمنعوا تميماً من دخول هراة، وقد استجاب بُكير لذلك، أمَّا شماس فقد أبى وخرج من هراة وانضم إلى قومه بني تميم، ورصدت تميم لمحمد ابن خازم حين خرج من هراة فقتلته في عام ٦٦هـ/٦٨٦م[٤]. ويعتقد أن بني تميم قد طمعوا بالحصول على أكبر قدر من المكاسب بعد الخدمات الجليلة التي أدوها إلى ابن خازم، وانحاز التميميون بعد ذلك وعليهم شمَّاس إلى مرو، فلما صفت خراسان لابن خازم أبعد بني تميم فقدمت تميم إلى مرو وأسندوا قيادتهم إلى الحَرِيش بن هلال القُرَيْعيّ، ويذكر الطبري أنه كان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم مابين السبعين والثمانين، وبقي الفريقان أياماً، ثم تفرّقوا ثلاثَ فِرَق: فمضى بحير بن ورقاء بمن معه إلى أبْرَشَهْر، وتوجَّه شمَّاس بن دثار العُطارديّ إلى ناحية أخرى، وقيل أتى سِجْسَتان، وذهب عثمان بن بشر ابن المحتفز إلى فَرْتَنا، فنزل قصراً بها، ومضى الحريش إلى مَرْو الرُّوذ، فاتبعه ابن خازم إلى قرية من قراها تسمى "الملحمة" وكان الحريش قد تفرَّق عنه أصحابه، وبقي معه اثنا عشر رجلاً، فصالحه ابن خازم على أن يخرج من خراسان ولا يعود إلى قتاله، فأعطاه ابن خازم أربعين ألفاً وفتح الحريش له باب القصر فدخل ابن خازم[٥]، ولما استسلموا لابن خازم قتل معظمهم إلا ثلاثة أشخاص عفا عنهم وأطلقهم، فعفا ابن خازم عن الحجَّاج بن ناشب العدويّ وهو من فرسان تميم الذين توجهوا إلى فرتنا، كما عفا عن جيهان بن مشجعة الضّبيّ لمحاولته إنقاذ ابنه محمد بن عبد الله، وعفا أيضاً عن رجل من بني سعد رد الناس عن ابن خازم ذات مرة وقال: انصرفوا عن فارس مضر، وقد أراد أن يعفو عن زهير لشجاعته، لكن موسى بن خازم ألح على أبيه في قتل زهير إلى أن قتله، أما عثمان بن المتحفز المزني هو الذي مال إلى مصالحة ابن خازم ولم يستمع إلى نصيحة زُهير بن ذُؤيب، قُتِل وأخوه سليمان، ويروى أنَّ

---

[١]- ذكر البلاذري أن ابن خازم دسّ له من سمَّه فمرض. فتوح، ص٥٨٣.

[٢]- البلاذري، فتوح، ص٥٨٣-٥٨٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٤٧-٥٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٥.

[٣]- أمه هي صفيَّة، من بني سعد بن تميم. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٥١، ٦٢٣.

[٤]- والذي قتله اثنان من بني مالك بن سعد يُقال لأحدهما: كُسيب، والثاني عَجَلة، فقال ابن خازم بئس ما اكتسب كُسيب لقومه، ولقد عجَّل عَجَلة لقومه شراً. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٢٤.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٢٣-٦٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤-٢٦. النويري، نهاية، ج٢١، ص٣٥-٣٧.

الأحنف بن قيس قال وهو بالبصرة وقد بلغه نبأ مصرع هؤلاء الفرسان: قبَّح الله ابن خازم! قتل رجالاً من تميم بابنه، صبّي وَغْد، أحمق لا يُساوِي عَلقاً، ولو قتل منهم رجلاً به لكان وفّى[١].

وبعد أن تم لعبد الله بن خازم القضاء على من كان من بني تميم بقصر فرتنا، تفرغ لقتال بُحيَر بن وَرقْاء الصَريمي[٢] ومن معه بأبرشهر، ففي سنة ٧٢هـ/٦٩١م كتب الخليفة عبد الملك بن مروان إليه يطلب منه الدخول في طاعته ويدعوه إلى بَيعته مقابل أن يُطعمِه خراسان سبعَ سنين، لكنه رفض، وأرسل الكتاب مع سورة بن أشيم النُّمَيريّ وهو قيسي من بني نُمير أو من غني، فقال ابن خازم لسورة: "لولا أن أضرّب بين بني سُلَيم وبني عامر لقتلتُك، ولكن كُلْ هذه الصحيفة، فأكَلها، وقيل: إن الخليفة عبد الملك أرسل إلى ابن خازم سِناناً بن مكمَّل الغَنويّ، وكتب إليه: إنَّ خُراسان طُعْمة لك، فقال له ابن خازم: إنما بَعثك أبو الذِّبَّان لأنك مِن غَنِيّ، وقد عَلم أنّي لا أقتُل رجلاً من قيس، ولكن كُلْ كِتابَه[٣].

وحين رفض عبد الله بن خازم أن يبايع عبد الملك لأنه تولى من قبل عبد الله بن الزبير[٤]، كتب الخليفة عبد الملك إلى بُكَير بن وِشَاح أحد بني عَوْف بن سعد بعهده على إقليم خراسان ووعده ومنَّاه، وطلب منه التمرد على ابن خازم، فكان إن خلع بكير الطاعة لعبد الله بن الزبير، وبايع الخليفة عبد الملك ابن مروان، فأجابه أهلُ مَرْو من بني تميم، وبلغ ذلك لابن خازم فخاف أن يأتيه بُكَير فيجتمع عليه أهلُ مَرْو، وأهل أبْرشَهير (نيسابور)، وكان ابن خازم يقاتل بُحَير بن ورقاء الصَّريمي زعيم بني تميم بنيسابور

---

[١]– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٧٨-٨٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٥-٥٧.

[٢]– إن تميماً لما افترقت بخراسان انحاز أحدهم وهو: بحير بن ورقاء إلى نيسابور (أبرشهر) وظل مناوئاً لابن خازم بعد أن ازداد غيظه بسبب مصالحته للحريش، وأمتد صراع بُحير وابن خازم زمناً، ابن خازم في مرو وبحير في أبرشهر غير أنَّ هذه العداوة لم تدفع بكيراً بن وشَّاح إلى الانضمام إلى بني تميم بل ظلَّ على ولائه لأن ابن خازم كان خليفته على مرو. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٢٤-٦٢٥.

[٣]– الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١١٩. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص١٦٨. وقيل: إن الخليفة عبد الملك أنفذ إليه رأس ابن الزُّبير على سبيل الشماتة، فحلفَ ابن خازم أن لايُعطيه طاعةً أبداً، فوضعه ابن خازم في طست وغسلَّه وحنَّطه وكفَّنه وصلَّى عليه، وبعث به إلى أهل ابن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب، وقال: لو أنَّك رسولٌ لضربتُ عُنُقَك، وقال بعضهم: بل قطع يَدَيه ورِجْلَيه وضرَبَ عُنقَه. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٨.

[٤]– ولم تكن طاعة عبد الله بن خازم لابن الزبير بدافع قيسيته؛ إذ إن قيساً في خراسان كما هي في البصرة لا تمثل أغلبية قبلية بل هي منضوية في خمس أهل العالية، لكنه يمكننا القول: إن ابن خازم أعلن ولائه لابن الزبير لأنَّه هو الذي عيَّنه والياً على خراسان، أو لأن ابن خازم وقد غلب على خراسان قد وجد نفسه مضطراً إلى الانضواء تحت راية الوالي الشرعي الذي هو ابن الزبير، ثم إنَّ ولاية خراسان مرتبطة بالبصرة بالذات كما سبق ذكره، والعراق تابع لابن الزبير، ومن الطبيعي أن تكون خراسان تابعة له. البلاذري، فتوح، ص٥٨٣.

فتركه وأقبل إلى مَرْو، يريد أن يأتي ابنه يزيد بالتِّرمِذ(١)، فأتبعه بحير، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية شاهميغد بينها وبين مرو ثمانية فراسخ، فقاتله ابن خازم ، فقُتِلَ ابن خازم، وكان الَّذي قتله وَكيعُ بنُ عُمَيْرة القُرَيْعيّ، وأرسل بكير بالرأس إلى الخليفة عبد الملك، وكتب إليه يُخبره أنَّه هو الذي قتله، فعادت خراسان لحكم بني أمية(٢). هذا وما إن تمكنت تميم من القضاء على خصمها العنيد حتى دب الخلاف بين عشائرها المتمثلة ببكير وبحير زعيمي هذه القبيلة وكل منهم ينسب لنفسه هذا النصر.

ب - العصبية القبلية في عهد عبد الملك بن مروان

لقد بقي بُكَيْر أميراً على خراسان لمدة سنتين، وأبقى بحيراً بن ورقاء في السجن طول حقبة ولايته، انقسم خلالها بنو تميم فاشتدت العصبية بين القبائل فقد تعصبت مُقاعس والبطون لبحير بن ورقاء، ووقف الأبناء إلى جانب بكير بن وشاح، فخاف أهلُ خراسان أن تعود الحربُ ثانية بين القبائل العربية، وتفسد البلاد ويقهرهم العدو، فلم يجلب مقتل ابن خازم سنة ٧٣هـ/٦٩٢م السلم إلى خراسان، بل نشب صراع بين بطون بني تميم حول المغانم، فكتب بنو تميم إلى الخليفة عبد الملك بن مروان قائلين: "إنَّ خُراسان لا تَصلح بعد الفتنة إلَّا على رجل من قريش لأنه ليس طرفاً في النزاع، لا يحسدونه ولا يتعصّبون عليه"، وكان ردَّ عبد الملك: "أن خراسان ثَغْر المشرق، وكان به من الشَّر ما كان، وعليه هذا التميميُّ، وقد فسد الناس، فأرسل عبد الملك أُمَيَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأمويّ القرشيّ على خراسان أميراً سنة ٧٤هـ/٦٩٣م، فلمَّا سمع بُكَير بمسيرة أمية أَرسل إلى بَحِير وهو في حبسه يطلب منه الصلحَ فامتنعَ بحير، وقال: "ظنَّ بُكيرٌ أنَّ خراسان تبقى له في الجماعة"، فدخل عليه ضرار بن حصين الضَّبيّ، فقال: "أراك أحمق، يُرسل إليك ابنُ عمِّك يَعتذِر إليك، وأنت أسيرُه، والسيف بيده، ولو قتلك ما حَبَقَتْ، فلا تقبل منه! اقبل الصّلح، واخرج وأنت على رأس أمرك"، فقبل الصلح وشرط عليه بكير ألا يقاتله، وكان أمية سيِّداً كريماً، ولم يتعرض لبُكَير ولعمَّاله، وعرض عليه أن يوليه شرطته فأبى، ثم طلب منه أن يختار المنطقة التي يريد أن يكون عاملاً عليها فاختار طُخارِسْتان(٣).

---

(١)- كان ابن خازم قبل مقتله قد أرسل ابنه موسى بجيش إلى الترمذ ففتحها واستولى عليها، وتحصن فيها، وانضم إليه ثابت بن قحطبة، وكان مقرباً إلى قلوب الأهالي محبوباً عندهم. البلاذري، فتوح، ص٥٨٤.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٧٦-١٧٧. مسكويه، تجارب، ج٢، ص١٦٥-١٦٦. ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٧١-٧٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ١١٩-١٢٠. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٣٢-١٣٣. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص١٦٩. البغدادي، خزانة الأدب، ج٩، ص٨٥-٨٦. خطاب، قادة الفتح الإسلامي، ص٨٨.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٩٩-٢٠١. مسكويه، تجارب، ج٢، ص١٦٨-١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٣٣-٣٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٢٦. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٣١.

ولمَّا بلغ بحير مسير أُميَّة وأنه قريب من نيسابور سار إليه ولقيه بها فأخبره عن خراسان وحذره من غدر بكير وسار معه حتى قدم مرو، هذا وكان أمية قد ولَّى بكيراً غزو ما وراء النهر، وأعلن أنه سيخرج من طخارستان غازياً ما وراء النهر، وبدأ ينفق الكثير ليس للغزو وإنما للتمرّد على أمية الذي أدرك ذلك، فأعلن خروجه معه للغزو وترك ابنه زياداً في "مرو" لينوبه في غيابه، فلما بلغ نهر جيحون وأراد قطعه سمع أخباراً لم ترضهِ عن ابنه الذي لم يتمكن من التحكم في الأمور لصغر سنّه، فطلب أمية من بكير الرجوع إلى عاصمة الإقليم لمساعدة ابنه، ويبدو أن أمية أراد إطفاء شعلة التمرد التي في بُكير وكَسْب ثِقته بقراره هذا، لكن بكيراً ما إن رجع إلى مرو بعد أن أحرق السُّفن التي عبر عليها أميَّة وجيشه النهر حتى أخذ ابن أمية فحبسه، ودعا الناس إلى خلع أمية فأجابوه؛ مما جعل الوالي يصالح أهل بُخارى على فدِيْة قليلة، ويعود مسرعاً نحو العاصمة التي حاصرها، وبدأ القتال بين قوات أمية من جهة وقوات بكير من جهة ثانية، وفرض أمية الحصار على مرو، فخاف بكير إن طال الحصار أن يخذلُه الناس، فطلب الصَّلح، فصالحه أمية، وطلب منه للمرة الثانية أن يختار المنطقة التي يكون عاملاً عليها، فاختار منطقة وما إن وصلها حتَّى عاد بكير للتآمر، وخلع الوالي من جديد؛ مما جعل الوالي يحبسه ويقتله بعد ذلك هو وابني أخيه سنة ٧٧هـ/٦٩٦م، فتخلص الوالي من زعماء الفتنة في الإقليم[١].

ولا بد من الحديث عن أن الفتنة بين بطون تميم لم تنتهِ إلا في سنة ٨١هـ/٧٠٠م عندما تَعاقد سبعة عشر رجلاً من بني عوف بن كعب بن سعد على الأخذ بثأر بكير بن وشاح، فخرج رجل منهم يقال له الشمَرْدَل من البادية إلى خراسان، فنظر إلى بحير واقفاً فشدّ عليه وطعنه، وظن أنه قد قُتل، فهرب وعَثَر فرسه به فسقط عنه وقتل، ثم خرج صَعْصَعة بن حُرب العَوْفي، ومضى إلى سِجستان، فجاور قَرَابةً لبحير هناك وادعى أنه من بني حنيفة، وقال لهم: إن لي بخُراسان ميراثاً، وطلب منهم أن يكتبوا إلى بحير كتاباً ليعينه على الحصول عليه، فكتبوا له، وسار حتى قدم على بحير فأقام عنده مدَّة يحضر معه مجالس المهلب بن أبي صفرة حتى أمنه، فتقدم إليه يوماً في المجلس كأنه يريد أن يكلمه فطعنه فقتله، وقتل المهلب صعصعة، فغضب بنو عوف وقالوا إنما أخذ صاحبهم بثأره، فخشي الناس أن يعظم الأمر، واتفق الفريقان على أن يجعلوا دم بكير ببحير وأن تدفع مُقاعس والبطون دية صعصعة[٢].

فقد عمل عبد الملك بن مروان على تخفيف حدَّة العصبيَّات القبليَّة وسامح القيسييّن وقربهم إليه، كما قرب إليه الكلبيين أيضاً، وعمل جاهداً على إطفاء ثائرة الفتنة بين قبيلة كلب اليمانية وقيس المضرية،

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١١-٣١٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٦، ص٣٤٩-٣٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٣٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٢٧.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٣١-٣٣٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٩٥-١٩٧. النويري، نهاية، ج٢١، ص١٤٠-١٤١. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٥٩.

حيث يذكر بأنه سجن ذات مرة عدداً من وجوه القبائل اليمانية بسبب مقتل غلام من قيس(١)، وكان عبد الملك يواجه انتصارات الكلبيين بالتقليل من احتفائه بها، كما فتح أبواب مجلسه لزعماء القيسيين، ومن هؤلاء زفر بن الحارث الذي تولى زعامة القيسيين بعد مرج راهط سبعاً من السنين، ثم أصبح في بلاط معاوية من الوجهاء المقربين(٢)، وبهذا أثبت أنه مثل الخليفة معاوية بن أبي سفيان يعرف كيف يؤلف بين الخصوم فيجعلهم يخدمون الدولة(٣).

لكن خراسان لم يلح فيها هذا التسامح والتصالح فقد تواصلت العصبية القبلية فيها في عهود المهالبة اليمنيين الذين كانوا يُؤْثِرُون قومهم ويفضلونهم على سواهم(٤). فقد سعى المهلب إلى تقريب الربعيين إلى الأزد أو هو قد جدد الحلف بينهما، ثم وقف بكل قوة وراء إنهاء الفتنة التي نشبت بين الأزد وقيس، وتحمَّل ديات القتلى الذين راحوا ضحية هذه الفتنة، وظل الحلف بين ربيعة والأزد قوياً بل زاد تمكناً أيام يزيد بن المهلب الذي يعد أقرب إلى العصبية من والده، وأن ربيعة وقد تحالفت مع اليمن (الأزد) فحشدت مع يزيد بن المهلب ونزلت حواليه، فلما استبطأها في بعض أمورها شغبت عليه حتى أرضاها(٥).

ولم يكن المهلب بالمتعصب المندفع إلى قومه على حساب مصلحة الدولة، على أن هذا لا يعني أنه لم يسعَ إلى تقريب أبناء عمومته من الأزديين، حيث تذكر المصادر أنَّ الوظائف المهمة في خراسان قد أصبحت في أيدي الأزديين بعد ولاية المهلب وأبنائه، ومن ذلك أنه وجه ابنه حبيباً على مقدمته، وكان يشغل منصب والي حرب خراسان، وابنه المغيرة على الخراج، وأمَّا قائده فهو مجاعة بن عبد الرحمن العتكي الأزدي(٦)، وأسند أمر السرايا إلى ابنيه يزيد والمفضَّل، وكان ثابت قطنة الشاعر الأزدي يتولى عدداً من الأعمال في عهد يزيد، وهو من فرسان الثغور ومشاهير القواد(٧).

ويبدو ما قيل عن عصبية المهلب ينحصر في أمرين أولهما هو: تزايد الأزديين واليمن بصفة عامة في عهده، وعلو المكانة التي وصلوا إليها، فالعصبية ليست المسؤول الوحيد عن ازدياد عددهم؛ بل إنهم أفسحوا المجال للوافدين من الشعراء وطالبي الفضل والإحسان، وفي هذه الحالة من الطبيعي أن يقصدهم الناس من كل صوب وأن يتقرب إليهم أصحاب المنافع ورجالات القبائل العربية، وأن يكون قومهم الأزد

---

(١)- البلاذري، أنساب، ج٧، ص٣٧٥. الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٠٩.
(٢)- أحمد، الخلافة الأموية، ص١٧٤.
(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٢٠٤. خماش، الإدارة، ص١١٣.
(٤)- الفحام، الفرزدق، ص٤٣.
(٥)- الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٨٠.
(٦)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٤٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥١١. عطوان، الشعر، ص٦٤.
(٧)- البغدادي، خزانة الأدب، ج٤، ص١٨٥.

خاصة هم أكثر الوافدين(١)، وما قيل في المهالبة من المدائح دليلاً قوياً على ذلك، وهذه المدائح لم تكن من اليمانيين بل من سائر القبائل، ومثال ذلك أنَّ يزيد بن المهلب يفضل شاعراً من تميم هو حاجب بن ذُبيان على شاعر من الأزد هو ثابت بن قطنة، الذي هب لمرافقة آل المهلب منذ اللحظة الأولى التي توجه فيها المهلب أميراً على خراسان(٢). وثانيهما: هو أنَّ المهلب قد حبس عدداً من وجوه مُضر وهو ببلاد ما وراء النهر في بلدة كش وعذبهم ثم أطلقهم، وهذه قد اعتذر عنها المهلب بنفسه، وبأنَّ الذي دعاه إليها هو شكه في أن أمراً يدبر ضده في الخفاء(٣).

ومما يحمد للمهلب هو وقوفه الصارم ضد ثورة ابن الأشعث ٨٠-٨٣هـ/٦٩٩-٧٠٢م في سجستان والتي كانت العصبية أحد أسبابها، فقد ظنَّ الحجاج بأن المهلب سيظاهر ابن عمه عبد الرحمن بن الأشعث اليماني في هذه الثورة، لكن المهلب قد أشار على الحجاج بالرأي الصائب حينما قال: دع الثّوار حتى يقدموا إلى العراق(٤)، فلم تقف علاقة المهالبة الأزديين بحركة ابن الأشعث عند هذا الحد إذ هم قد أرسلوا نجدة إلى العراق من خراسان لنصرة الحجاج، ثم تصدوا لفلول ابن الأشعث المنهزمة والتي اختارت خراسان ملجأ لها(٥)، والذي حدث في هذا الصدد هو أن ابن الأشعث قدم هراة من سجستان ثم قفل عائداً منها إلى المكان الذي قدم منه بعد أن اختلف أصحابه وانشق عليه عبيد الله بن عبد الرحمن القرشي(٦)، أمَّا بقية الفلول وعليهم عبد الرحمن بن العباس فقد ساروا إلى هراة، وقتلوا أميرها الرَّقاد الأزديّ اليماني من العتيك(٧)، وهنا راسلهم والي خراسان يزيد بن المهلب يرجو كف شّرهم فلما لم يتم ذلك سار إليهم وحاربهم إلى أن انتهت المجابهة بينه وبينهم إلى هزيمتهم(٨)، فأرسل الأسرى إلى الحجاج وغالبية من أُرسل من مُضر، أمَّا أهل اليمن فقد عَفَا عن كثيرٍ منهم(٩)، وقد قيل: إنَّ ذلك من أسباب غضب الحجاج على آل

---

(١)- المبرد، الكامل، ص٢٥٥.

(٢)- الغزي، الشعر الأموي، ص١١٢-١١٣. عفنان، القبائل، ص٢٦٧.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٥٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٧٣.

(٥)- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٦.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٧١.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٧١.

(٨)- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٧.

(٩)- الطبري، تاريخ، ج٨، ص٣٧٤. ذنون طه، عبد الواحد: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٩٠-٩١.

المهلب أو أنه قد عزل يزيد لهذا السبب، وهذا بالطبع يصطدم مع الرأي القائل إنَّ الحجاج كان يكره أن يتولى آل المهلب خراسان منذ البداية ليمانيتهم وقيسيته المتطرفة(١).

ج- العصبية القبلية في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك

كان الخلفاء الذين جاؤوا بعد عبد الملك بن مروان أقل حذراً منه في التوفيق بين المصالح القبلية المتعارضة، ففي عهد الوليد بن عبد الملك الذي كان هواه واضحاً للقيسيين، وكان نفوذ القيسيين قد وصل إلى أقصاه من خلال ما حققه الحجاج بن يوسف والي العراق، وقتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من مكانة ونفوذ(٢)؛ مما جعل الحجاج ينحَّي يزيد بن المهلَّب عن خُراسان ويولي عليها قتيبة بن مسلم الباهلي(٣)، فقد حقق هذا القائد الكبير انتصارات رائعة في بلاد ما وراء النهر، وشغل الناس بالفتوحات كما سلف ذكره، ولعلَّ نجاح قتيبة كان ناتجاً عن مقدرته في الإدارة، فقد عمل أن يجعل نفسه فوق العصبيات فمالت إليه جميع قبائل العرب في خراسان(٤)، وقد أدرك قتيبة أنه في إقليم كخراسان، كانت سلامة الحكومة وأمنها تعتمدان في المدى البعيد على تعاون عامة الفرس الذين كانوا يشكلون أغلبية عظيمة في الإقليم، وبسياسته التوفيقية استطاع أن يكسب ثقتهم به، فعهد إليهم بالوظائف، حتى أنه عدَّهم يشكلون عشيرة كانت تنقصه بين العرب، شغلت دوراً عظيماً في سقوطه(٥)، وكذلك فإن قتيبة بن مسلم الباهلي قد صرف زعامة بني تميم في خراسان إلى ضِرار بن حُصَين بن زيد الفوارس الضَّبيّ، ونزعها من وكيع بن حسَّان الغُداني، حيث قال الناس لقتيبة: "ليس يُفسد أمر الناس إلا حيَّان"، فأرسل قتيبة رجلاً وأمره بقتل حيَّان، إلا أن بعض الخدم سمعه فأخبر حيان بذلك(٦).

د- العصبية القبلية في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك:

أما الخليفة سليمان بن عبد الملك فقد قرّب اليمانية؛ إذ تمتعت قبيلة الأزد وعلى رأسها يزيد بن المهلب بمكانة عالية ونفوذ كبير(٧)، وقد تجلى ذلك في قوله: "يا معشر الأزدِ، كنتم أذلَّ خُمْس بخراسان، حتى إنَّ الرجل من الحي الآخر، ليشتري الشيءَ فَيتسَخَّرَكم فتحملونه له، حتى قدم المهلَّبُ، وقدمتُ، فلم نَدَعْ

---

(١)- عطوان، الشعر، ص٨٥.

(٢)- ابن خياط، تاريخ، ص٣١٠-٣١١. اليعقوبي، البلدان، ص٦٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٥٣.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٩٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٤١.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٠.

(5) -Gibb: The Arab conquests in central Asia, p.30.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٢.

(٧)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٥٤. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٦٦. الأزدي (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس ت٣٣٤هـ/٩٤٥م): تاريخ الموصل، تح: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص١٥٩.

موضعاً يُسْتَخرج منه درهمٌ إلا استعملناكم عليه، وحَمَلناكم على رقابِ الناس، حتى صرتم وجوهاً" [١]. فقد انخفضت في عهده منزلة المضريّين وبخاصة أكبر قبائلهم، بنو تميم وقيس، فهو لم ينسَ لهم وقوف الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم مع الخليفة الوليد بن عبد الملك حينما أراد فصله عن الخلافة ومبايعة ابنه عبد العزيز بن الوليد، مما جعل قتيبة يتوحش من خلافته[٢]، وكان مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٦هـ/٧١٥م على يد رجال القبائل العربية هناك، وذلك لأنه عزم على خلع سليمان بن عبد الملك ودعا الناس إلى ذلك، فلما لم يجيبوه فشتمهم وذكَّر القبائل بما تكره، فرفضت القبائل الوقوف إلى جانبه فأجمعوا على قتله وولوا أمرهم وكيع بن أبي سود التميمي، الذي هاجم معسكر قتيبة بمن انضم إليه من العرب وأسفرت المعركة عن قتل قتيبة ومقتل عدد كبير من أفراد أسرته[٣]، غير أن الخليفة سليمان عزل وكيعاً لعدم اتزانه فهو "نابه في الفتنة خامل في الجماعة فيه جفاء وأعرابية"[٤]، فعين الخليفة سليمان يزيد بن المهلب من جديد على خراسان وكان من أقرب الناس إليه، فعاد نفوذ اليمن من جديد على الإقليم، وارتفع شأن الأزد بارتفاع شأن المهالبة[٥].

هـ– العصبية القبلية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز

غير أن هذه الحوادث الفردية لم تؤثر في انحلال الحزب الأموي، فقد ظل محافظاً على كيانه كحزب سياسي يناضل خصومه من الأحزاب الأخرى، إلى أن كانت خلافة عمر بن عبد العزيز التي تُعد حقبة انتقال بين حال القوة والتماسك وحال الضعف والتفكك الذي وقع بعد ذلك، وعندما اعتلى عمر بن عبد العزيز الخلافة كانت سياسته الجديدة[٦]، التي أكد فيها على إقامة العدل وتطبيق المبادئ الإسلامية وفق ما جاء في القرآن والسنة، فقام بعدة إصلاحات في المجالات المالية، والإدارية والاجتماعية، إذ وقف بوجه التكتل القبلي الذي أفرزته معركة مرج راهط عام ٦٤هـ/٦٨٤م بين القبائل القيسية واليمانية، فقد سوَّى بين كلّ العرب، وقضى مدة خلافته في إصلاح ما أفسده من سبقه من خلفاء بني أمية ولم يتعصب لقبيلة دون أخرى، ولم يولِّ والياً إلا لكفايته وعدالته سواء أكان من كلب أم من قيس [٧]، وجعل من دولته

---

(١)– أبو عبيدة، نقائض، ج٢، ص٥٣٩. عطوان، الشعر، ص٦٥.

(٢)– البلاذري، فتوح، ص٥٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٦٣.

(٣)– البلاذري، فتوح، ص٥٩٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١١–٥١٩. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٣. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦١٥. البغدادي، خزانة الأدب، ج٩، ص٨٤–٨٥.

(٤)– البلاذري، فتوح، ص٥٩٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٩٩. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٢. خطاب، قادة الفتح الإسلامي، ص٢٣٧.

(٥)– البلاذري، فتوح، ص٥٩٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٠٢.

(٦)– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٤٥–٤٦. خليل، ملامح الانقلاب، ص١٦٠–١٦٤.

(٧)– خماش، الإدارة، ص١٠٧. أبو النصر، الأيام الأخيرة، ص٢٥١.

دولة تركّز الحكم فيها على شعائر الإسلام، وأخمد كل صوت لا ينسجم مع هذه المساواة التي تصنف الرعية لا حسب انتماءاتهم القبلية؛ بل حسب تقواهم وتفانيهم في خدمة العقيدة، كما عمل على تقسيم حكم الولايات بين رجلين اثنين أحدهما على الصلاة والحرب والآخر على الخراج يكون أحدهما من مضر والثاني من اليمن(١)، فأكد على العدل والمساواة بين جميع المسلمين وقد انعكست سياسته هذه على الصراع القبلي، وكان من نتيجة ذلك أن سكنت العواطف وهدأت العصبية القبلية في عهده.

هذا ويضطر خلفاء بني أمية إلى عزل ولاتهم إذا ما أظهروا عصبيتهم، حدث ذلك عندما عزل عمر ابن عبد العزيز الجرَّاح بن عبد الله الحكميّ عن خراسان عندما بلغه عنه أمور يكرهها منها: أنه يأخذ الجزية ممن أسلم من أهل البلاد، وأنه يغزي الموالي بلا عطاء، ويظهر العصبية(٢).

و- العصبية القبلية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

لم يستمر هدوء العصبية القبلية طويلاً التي تخللت عهد عمر بن عبد العزيز، فلما توفي وجاء إلى الخلافة يزيد بن عبد الملك الذي كانت أمه من مضر، فانحاز إلى قيس ضد اليمن، ذلك الانحياز الذي بلغ ذروته في ثورة يزيد بن المهلب وقبيلته الأزد ومَن انضم إليهم من أهل اليمن(٣)، فإن نقمته لم تكن موجهة ضد اليمانية؛ بل إلى آل المهلب، غير أنَّ وقوف أزد الكوفة مع يزيد بن المهلَّب كان مدعاة لأن يقف منهم الخليفة موقفاً متشدداً، وربّما قد دعاه هذا إلى أن يختار ولاته من المُضريين وحسب(٤)، وقريباً من هذا ما فعله الحجاج بعد ثورة ابن الأشعث؛ إذ إنه قد خشي من تكاتف اليمانية فنقم على آل المهلب وأسند إمارة خراسان إلى وال من قيس هو: قتيبة بن مسلم(٥). كما اعتمد على القيسية وقرَّبهم وذلك لأنه كان متزوجاً من ابنة محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجَّاج أم ابنه الوليد الذي أصبح فيما بعد خليفة(٦)، وكان من أثر ذلك أنه قتل يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م(٧)، فقد توضح ميله وانحيازه إلى القيسية

(١)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٨. خماش، الإدارة، ص٢٩٧.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٩-٥٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢٠. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٦٧. خليل، ملامح الانقلاب، ص٨٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٨.

(٣)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٣٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦١٥-٦١٦.

(٤)- كانت نقمته على يزيد بن المهلب لأنه تولى تعذيب أصهاره آل أبي عُقَيْل، وكانت كلب اليمانية في بلاط يزيد بن عبد الملك كقيس المُضرية؛ مما يدل على عدم عصبيته ضد اليمن، ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٣٤.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٤.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢٥.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٩٠-٦٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٣٩.

في عزله لمسلمة بن عبد الملك عن العراق وتوليته عمر بن هبيرة الفزاري بدلاً عنه[١]، الذي أساء كثيراً للأزد واليمن جميعاً في خراسان والشرق كله.

ز- العصبية القبلية في عهد هشام بن عبد الملك

عمل الخليفة هشام بن عبد الملك على السيطرة على التيارات القبلية المتنافسة، رغم ميله المعتدل إلى اليمانيين لما كانوا يتمتعون به من مكانة وقوة عددية ونفوذ كبير، كما فعل ذلك قبله معاوية بن أبي سفيان، ولذلك فلم تُثر سياسته تلك حفيظة القيسيين، ولعل هذا يتوضح بشكل جلي في اختياره لعماله الذين كانوا من اليمانيين والقيسيين[٢]، فقد كانت القبائل قد عانت عند اعتلاء هشام بن عبد الملك الخلافة سنة١٠٥هـ/٧٢٣م من سياسة سلفه ومن القبائل القيسية نتيجة ما حلّ بآل المهلب واليمانيين على أيديهم، ولعل مما زاد في خطورة الموقف وتعقيده ما كان يظهره والي العراق عمر بن هبيرة من عصبية للقيسية، وعليه كان على الخليفة هشام أن يعالج هذا الموقف بحذر من أجل إعادة التوازن القبلي، لذلك عزل هشام عمر بن هُبَيرة عن ولاية العراق فزاد نار العصبية في المشرق، وعيّن عليها خالداً بن عبد الله القسري اليمني بدلاً عنه الذي قوي في عهده الطويل نفوذ اليمن في المشرق، ولكن هذا الوالي الجديد الذي ربما تَصَوره الخليفة محايداً سرعان ما انحاز إلى أبناء جلدته من أهل اليمن، فكانت النتيجة أن تحولت القيسية إلى حزب معارض للخليفة وسياسته[٣].

ولعل مما يوضح هذا الموقف المعارض بشكل جلي ما تفوه به عمر بن يزيد بن عمير الأسيّديّ عند دخوله على الخليفة هشام بن عبد الملك وعنده خالد بن عبد القسريّ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن، حيث قال: "تالله ما رأيتُ هكذا خطأ، ولا مثله خَطَلاً، والله ما فتحَتْ فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن، هم قتلوا أميرَ المؤمنين عثمان بن عفان، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب"[٤]، ومما زاد الموقف تعقيداً أن خالداً القسري سجن ابن هبيرة وعذبه عذاباً شديداً، ولكن ابن هبيرة استطاع الفرار من سجنه واستجار بمسلمة بن عبد الملك الذي أجاره ومنحه الأمان[٥]، وكانت القبائل القيسية وراء فراره ونجاحه، لمَّا هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمرو الحَرَشيّ فلحقه، وقال

[١]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٣٥. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٧٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٢٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥١. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٧٣١. حسن، ثورة زيد بن علي، ص٧١.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٣٦. البلاذري، فتوح، ص٦٠١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٠.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٩١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١١٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٤. خريسات، محمد عبد القادر محمد وآخرون: العصبية القبلية في صدر الإسلام، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ٢٠٠٥م، ص٥٣٠. الشمري، الخلافة الأموية، ص٢٧.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٠.

[٥]- مجهول، العيون، ج٣، ص٨٥.

له: "ما ظنُّك بي؟ قال ابن هبيرة: ظني بك أنك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قريش، قال الحرشي: هو ذاك فالنّجاء"[١].

ثم استقرت أوضاع القبائل العربية في خراسان حقبة من الزمن، ولم يظهر ما يشوب هذا الهدوء إلا في سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م، فقد نشبت الحرب بين اليمانية والقيسية في خراسان بسبب ما قام به واليها مسلم بن سعيد الكلابي من إجراءات أثارت حفيظة اليمانيين، فانقسمت خراسان إلى مضرية ويمانية[٢].

وفي ولاية خالد بن عبد القسري على العراق أعيدت خراسان إلى ولاية العراق، فعيَّن خالد أخاه أسد بن عبد الله والياً عليها، فتعصب لليمانيين واشتد على المضريين، ولعل ممَّا يعكس تعصبه هذا ما قاله في إحدى خطبه يفخر باليمانيين: "أمير المؤمنين خالي، وخالد بن عبد الله أخي، ومعي اثنا عشر ألف سيف يمانيٍّ"، أما موقف أخيه خالد من هذه السياسة فكان التشجيع وليس الشجب، فعندما أرسل إليه بعض المضرية وبينهم نصر بن سيار قال له: "ألا بعثت برؤوسهم"، وبسبب هذه السياسة المتعصبة التي انتهجها أسد في خراسان، وقيام الفتن نتيجة لها، أمر الخليفة هشام بعزله في سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م لأنه تعصب على المضرية وكان يميل إلى اليمانية[٣]، وعيَّن بدله والياً قيسياً هو أشرس بن عبد الله السلمي[٤].
السلمي[٤].

استاءت اليمانية من عزل أسد عن خراسان، في حين إن هذا الإجراء سرّ القيسيين، ولكن الوالي الجديد اتخذ موقفاً محايداً من جميع الأطراف، لكنه سرعان ما عزل، وأصبح الجُنيد بن عبد الرحمن المري والياً على خراسان، وكان هذا معروفاً بانحيازه إلى القيسيين ضد اليمانيين، فكما يصفه الطبري: "لم يستعمل خلال ولايته إلا مضرياً"[٥].

وهكذا يبدو واضحاً أن الخليفة هشام في محاولة منه لاستعادة التوازن القبلي كان يعين مرة والياً قيسياً ومرة والياً يمنياً، ولكن هذه السياسة كان من نتائجها تأجيج نار العصبية بدلاً من أن تكبح جماحها ولاسيما في خراسان.

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٦٤.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٠-٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٢.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٧-٤٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨١. أبو حبيب، سعدي: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٥٢. مع ما عُرف به أسد القسري من التعصب فقد روى الطبري أنه خلط بين قبائل العرب في بلخ ولم ينزلهم على الأخماس لئلا يتعصبوا. البلاذري، فتوح، ص٦٠٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤١-٤٢، ١١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٥.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٢. الشمري، الخلافة الأموية، ص٢٩.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٩١.

أمَّا النمو المتزايد لعصبية الأزد بصفة خاصة واليمن بصفة عامة فقد شهده مطلع القرن الثاني الهجري أيام أسد القسري، وقد زاد انحياز أسد البيِّن لقومه من ظاهرة الانقسام في صفوف العرب المسلمين في سنة١١٦هـ/٧٣٤م، حينما أقبل الحارث بن سُريج من بلاد ما وراء النهر إلى الفارياب مجنداً الناقمين من تميم والأزد ومستعيناً بأبناء عبد الله بن خازم الذين ظل أخوهم موسى ممتنعاً زمناً طويلاً[١]، وبالدهاقين مع ما يعينه هذا من إتاحة الفرصة للمتسللين من ذوي الديانات القديمة المناوئة للإسلام. ولم تكن ولاية أسد الثانية بأحسن من سابقتها من ناحية الفتن والثورات والصراع القبلي وما سببه من متاعب لولاة خراسان والخلافة بأسرها[٢]، ولكن الخليفة هشاماً عزلَ خالداً بن عبد الله القسري عن العراق، وولى بدلاً منه يوسف بن عمر الثقفي، الذي كان قيسياً لحماً ودماً، فقد سجن خالداً وعذبه، ولكنه أطلق سراحه فيما بعد بأمر من الخليفة، فذهب إلى دمشق وبقي فيها طيلة خلافة هشام[٣].

حاول أسد في ولايته الثانية على خراسان أن يستميل الأطراف المتنازعة، فأطلق سراح القيسية الذين كان قد سجنهم عاصم بن عبد الله الهلالي، وفي الوقت نفسه سجن عاصماً وجميع ولاته وطالبهم بأموال طائلة[٤]، توفي أسد سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م بعد أن استخلف على خراسان جعفر بن حَنْظَلَة البهراني، إلا أن هشام لم يرض به فعيَّن بدلاً منه والياً قيسياً وهو نصر بن سيار[٥]، واختيار نصر بن سيار وهو خندفي رداً على عصبية يوسف بن عمر واليه على العراق، وأنَّه قال في ذلك ليوسف: "تقيَّست عليّ، وأنا مُتخندف عليك"[٦]. وقيل إنَّ ما أتهم به هشام من ميلٍ لليمانية؛ إنَّما هو بسبب خالد القسري وأخيه أسد.

إن صراع العصبيات قد صبغت بصبغتها جل أحداث خراسان حتى سقوط الدولة الأموية، وتحكمت بعقول وتصرفات ولاة خراسان جميعاً، فهذا نصر بن سيار آخر أمراء بني أمية على خراسان، فقد اتخذت العصبية القبلية في خراسان بعداً قبلياً محضاً، بعيداً عن التلوين السياسي كما في الشام والعراق، فقد كان نصر بن سيار واليها منذ سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م قد انتهج سياسة قبلية واضحة اعتمدت على التعصب لقومه من مضر، وكان جل ولاته في خراسان من المضرية و"لم يستعمل أربع سنين إلا مُضريَّاً"[٧]، فقد كانت خراسان من أكثر الولايات التي ظهر فيها الصراع القبلي في العصر الأموي بين المضرية واليمانية، وذلك

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١١.

(٢)- انتحل أسد هزيمة الحارث وسجن عاصماً الهلالي. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١١.

(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٠. الشمري، الخلافة الأموية، ص٢٨.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٤-١٠٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٤.

(٥)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٩. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٣٤.

(٦)- الدينوري، الأخبار، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٦.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٨. غير أنه عمد على إشراك اليمانية والربعية في إدارته على نطاق محدود بعد تفجير الأحداث في الشام، الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٢.

لأن سكانها كانوا خليطاً من القبائل اليمانية وقبائل مضر وربيعة[١]، فقد كان نصر بن سيَّار متعصباً على اليمانية، فكان لا يستعين بأحد منهم، وعادى أيضاً ربيعة لميلها إلى اليمانية[٢]، كما ظهرت العصبية واضحة عند تعيينه، فقد كره هشام بن عبد الملك تعيين أحد من اليمانية وقال: إن ربيعة لا تُسَدُّ بها الثغور، وكان اختياره لنصر لأنه مضري؛ مما أدى باليمانية إلى الاستياء من هذه السياسة[٣]. وقد انتسب نصر إلى قبيلة كنانة قليلة العدد بخراسان، ولما كان كنانياً فقد كان من الطبيعي أن يميل إلى تميم[٤]، وكانت علاقته بها وبسائر القبائل المضرية وعلى رأسها تميم علاقة حسنة، فقد قرَّب العديد من أفرادها الذين أثبتوا كفايتهم وحسن تصرفهم، واعتمد عليهم في تسيير أموره وحلَّ ما تأزم منها، فأوكل لبعضهم مهام عسكرية وعين البعض الآخر في مناصب وأعمال إدارية مهمة، وبالمقابل قدمت هذه القبائل الدعم والمساندة فوقفت إلى جانبه وآزرته حتى النهاية، ولكن كما يبدو أن تميماً كانت منقسمة على نفسها يتضح ذلك أثناء صراعه مع الحارث بن سريج الذي تسبب في إحداث شق كبير في صفوفها، فانضم بعضهم لنصر بينما انضم الآخرون للحارث، لكنهم ندموا لمساعدتهم الأزد على حساب إخوانهم، فعادوا وانحازوا إلى صفوف نصر[٥]، كما انضم جزء من تميم للدعوة العباسية منهم: لاهز بن قريظ التميمي، والقاسم بن مجاشع التميمي وغيرهم[٦]، ومن هنا يتبين أن وضع قبيلة تميم لم يكن متحداً، لكن نصراً تمكَّن من استرجاع بعضهم بعدما تخلوا عنه خلال بعض الأوقات.

واستعمل نصر بن سيَّار القيسية وقرَّبهم إليه، وما قيل عن مجافاته لهم وقسوته عليهم بعدما عابه مغراء بن أحمر القيسي عند هشام بن عبد الملك سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م[٧] زعم خاطئ[٨]، فقد استاء من ذلك بأن ثأر من ابنه الحكم بن مغراء بضربه، وهذا ما جعلت نصراً يجفي كل القيسية، لكنه سرعان ما تخلى

---

(١)- عيسى، النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية، تقديم: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص٢٠٢.

(٢)- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٣. الدينوري، الأخبار، ص٣٥١.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٧-١٥٨. أبو حبيب، مروان بن محمد، ص٥٢.

(٤)- ابن الكلبي، جمهرة، ص١٤٨. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٧. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤١.

(٥)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٩. الثعالبي، سقوط، ص١٤١.

(٦)- مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص٢١٧.

(٧)- الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٤.

(٨)- الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٤.

عن هذه السياسة عندما جاءه رؤساء قيس واعتذروا له [١]. وقسوته على بعضهم لا يعني مقاطعته لقيس، فمن غير المعقول أن يحمل كامل قيس بجريرة مغراء، دليل ذلك أنه لم يُقصِ عمَّاله القيسيين عن مناصبهم بعد هذه الحادثة، واستمرارهم في مناصبهم خير دليل على استبعاد مقاطعته لقيس[٢]، وهي بالمقابل قدمت له كل الدعم والتأييد، فحين خرج من مرو إبان صراعه مع الكرماني والحارث بن سريج، وفي تلك الظروف الحرجة تبنى القيسيون بنيسابور نصراً، وكانوا قبل ذلك على غير ود معه، وتجمع حوله المضريون وقد أخرجوا من مرو، فقال نصر يعبر عن تأييدهم له:

أَنَا ابْنُ خِنْدِفَ تُنميني قبائِلُها   للصَّالحاتِ وعمِّي قيسُ عَيْلانا[٣]

وقال سلم بن أحوز واصفاً موقف قيس المساند لهم: "ما رأيتُ أكرم إجابةً، ولا أبذل لدمائهم من قيس[٤].

نخلص إلى القول إن نصراً قرب القبائل المضرية إليه، لكن ذلك لم يكن بالقدر الذي بالغ به بعض المؤرخين من أنه قدّمهم على غيرهم من القبائل، وإنه خصَّهم بامتيازات ومكاسب حُرمت منها القبائل اليمانية والربعية، وقد كانت علاقة نصر بن سيَّار بهم إيجابية، وذلك أنه استعان بذوي الكفايات منهم، ووثق بقدراتهم حين ولّاهم مناصب وأعمال إدارية مهمة منذ تسلمه الولاية، وزاد في استعمالهم عندما وقعت الفتنة في خراسان إثر مقتل الخليفة المجمع عليه الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، فأتاحت هذه الخطوة له كسب تأييد العديد منهم فساندوه في الصمود أمام قرار عزله عن خراسان بأن بايعوه والياً عليها[٥]، وهذا بالتالي يدحض ما جاء عند الدينوري من أنه تعصَّب عليهم وعاداهم لميلهم إلى اليمانية؛ لأن الدلائل أشارت إلى نقيض ذلك[٦]. وكان قد أدرك مخاطر حركة أبي مسلم الخراساني، وأن الأمر يستدعي موقفاً عربياً موحداً، لقد سعى نصر إلى التخلص من أبي مسلم المتحالف مع الكرماني بحلف مضاد مع ربيعة، فقد استطاع أبو مسلم أن يبطش بالقوى العربية متفرقة حتى أزال الدولة العربية من الوجود[٧].

---

(١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٦٠. علي، مختصر تاريخ العرب، ج١، ص٧٠. الطيباوي، محاضرات في تاريخ، ص١٥٠.

(٢)– الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٤.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٧. شعبان، صدر الإسلام، ص٢٠٣.

(٤)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٩.

(٥)– الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٤–٩٥.

(٦)– الدينوري، الأخبار، ص٣٥١. أن ربيعة قد عقدت حلفاً مع الأزد أكّدته العهود والمواثيق. فلهوزن، تاريخ، ص٣٨١.

(٧)– عيسى، الحزبية السياسية، ص٢٨٧–٢٨٩.

وما قيل عن علاقته بالرّبعية يقال عن علاقته باليمانية، فلم يكرههم ويتعصب عليهم، ولم يبعدهم عن المناصب ويجردهم من المكاسب، وما أورده بعض المؤرخين من أنه "أقصى اليمانية والرّبعية عن المناصب لكرهه لهم"، "وكان متعصباً على اليمانية مبغضاً لهم، فكان لا يستعين بأحدٍ منهم"، فلا أساس له من الصحة، فقد عيَّنهم إلى جانب إخوانهم المضريين والرّبعيين منذ بداية ولايته، واستمر بذلك بعد تكتل العديد منهم تحت زعامة جُديع الكرماني[١].

وعندما دعا القبائل إلى مبايعته أميراً على العراق حتى تنتهي الفتنة وتتفق الكلمة على خليفة جديد ويأتي أمير جديد من قِبله[٢]، فانضمت إليه الأزد وربيعة مع أنهم كانوا في ذلك الحين غير راضين عنه[٣]، ليس لأن نصراً كان مُتَعَصِّباً على اليمانية كما يقول اليعقوبي[٤] والدينوري[٥]، بل لأن الأزد وربيعة كانتا تفضلان أن يكون والي خُرَاسان منهما، مثلما تُفضل دائماً مضر أن يكون الوالي منها، واستمر نصراً متقبَّضاً على خراسان بقوّة الدهاء وحسن السياسة مع كثرة الخارجين بها عليه، وجنوح قبائل العرب إلى إثارة القلاقل والفتن حتى أجلاه أبو مسلم كما سيتم الحديث عنه.

م- العصبية القبلية في عهد الخليفة الوليد بن يزيد ومروان بن محمد

عمل الخليفة الوليد بن يزيد على تقريب أخواله القيسيين منه بحكم أنه من أم قيسية، وأبعد اليمنيين الذين ثاروا عليه بعد أن أمر بقتل خالد بن عبد الله القسري[٦]، فقد بدت العصبية القبلية أكثر وضوحاً في أيامه وهي أيام قصيرة، وقد نُسبت إلى الوليد قصيدة في ذم اليمن وعدم قدرة اليمانيين على الانتصار لخالد القسري، وأُستغِلَّ لهو الخليفة ونقمة اليمانية عليه لتسيير الأمور إلى وجهة قبلية أدت في النهاية إلى مقتله[٧]، وكان من الطبيعي أن يحمد خلفه وهو يزيد بن الوليد "الناقص" لليمن صنيع ثوارهم إذ هم الذين أوصلوه إلى سدة الحكم، وأن يميل إليهم[٨]، ليرث مروان من بعده تركة مثقلة بالنزاع القبلي بلغ أشده في

---

(١)- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٤. الدينوري، الأخبار، ص٣٥١. الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٥.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧٨.

(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٨.

(٤)- تاريخ، ج٢، ص٤٠١.

(٥)- الأخبار، ص٣٥١.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٠.

(٧)- ينظر القصيدة عند الدينوري، الأخبار، ص٣٤٨. المصري، أثر أهل الكتاب، ص٢١٥.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦١.

خراسان واتسع نطاقه؛ ليشمل عدنان وقحطان[1]، فقد اعتمد مروان اعتماداً كاملاً على المضرية وبخاصة منهم القيسية؛ مما أبعد عنه اليمنية الذين اختاروا في الأخير الميل إلى الدَّعوة العباسية[2].

هذا وكان لبعض الخلفاء دور بارز في زيادة حدَّة العصبية القبلية، إلا أنَّ بعض المؤرخين يبالغون عندما ذكروا أنَّ بني أميَّة عملوا على إذكاء النعرات القبلية وأعانوا بعض الأحزاب على بعضها الآخر لإحداث نوع من التوازن السّياسي يكفل لحكمهم البقاء والاستمرار"[3]. فأين ذلك التوازن الذي كسبوه من العصبية القبلية التي أضعفت الدولة وأسقطتها، بداية من سقوطها في إقليم خراسان، كما يضيف المؤرخ عبد العزيز الدوري الذي جاء به: "إن خلفاء بني أمية الذين جاؤوا بعد سليمان بن عبد الملك أصبحوا كأنهم رؤساء أحزاب بدلاً من أن يكونوا رؤساء دول، وبذلك ضعف التوجه وتضعضعت وحدة الدَّولة المتمثلة في خليفتها وانصدعت دعامة الحكم الأموي"[4]. فهل كان عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك رؤساء أحزاب وهما اللذان عُرِفَا بسياستهما الجريئة التي جعلتهما يُحْسِنان الإشراف على كلّ أرجاء الدولة الإسلامية، ويتدخَّلان في كلّ الكبائر والصغائر كأنهما كانا يعيشان في كل أقاليم الدولة.

٣– حركات المعارضة في إقليم خراسان (١٠٠–١٣٢هـ/٧١٨–٧٥٠م

أ– معارضة البروقان ١٠٦هـ/٧٢٤م

وهي الواقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعة بالبَرَوقان من أرض بَلْخ، حدثت سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م في عهد الوالي مسلم بن سعيد بن زُرعة، عندما كان يهدف إلى غزو فرغانة مع جموع العرب، لكن الأزد وبكراً أعلنتا تمرِّدهما على الوالي في مدينة بلخ وامتنعتا عن اللَّحاق به متذرعتين في الظاهر بأنه لم يدفع لهما أُعطياتهما، لكن كانتا تضمران في الحقيقة التَّمرد والعصيان، فتباطأ الناس عنه، وكان ممَّن تباطأ عنه البخْتَريّ بن درهم، فلما أتى النّهر ردَّ نصر بن سيار، وسليم بن سلمان بن عبد الله ابن خازم، وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبريّ، وأبا حفص بن وائل الحنظليَّ، وعقبة بن شهاب المازني، وسالم بن ذؤابة إلى بلخ، فقد أسرعوا جميعاً في توزيع الأُعْطِيات المتأخرة على المتمردين الذي أصروا برغم ذلك على مواصلة الخروج على الوالي؛ مما جَعَل نصراً يغيِّر سياسته ويقوم بحرق باب دار البَخْتري

---

(1)– ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٠.

(2)– حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام /الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية/، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٢٧.

(3)– إسماعيل، محمود: قضايا في التاريخ الإسلامي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤م، ص٢٦.

(4)– مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٦٥.

ابن درهم البكري الذي كان يتزعم بكراً وربيعة، وباب دار زياد بن طريف الباهليَّ الذي كان على رأس المعارضين[١].

لقد تصاعدت الأمور بعد ذلك كثيراً، وانضمَّ إلى المعارضين عمرو بن مسلم الباهلي ــ أخو قتيبة بن مسلم ــ عامل على مدينة بلخ الذي منعهم من دخول بلخ، وقطع مسلم بن سعيد النهر، ونزل نصر بن سيَّار البروقان، وأتاه أهل الصغانيان وجمع كبير من أنصاره، ولحق به المعارضون الذين عسكروا على بعد فرسخ ونصف منه، فتجمعت ربيعة والأزد بالبروقان، فخرجت مضر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم بن عمرو حيث جعلته ربيعة صاحب كلمتها في المعارضة، وأرسلت تغلب إلى عمرو ابن مسلم الذين أشاعوا أن باهلة أكثر قرابة إليهم من المضريين. وعلى الرغم من أن المواجهة أصبحت حتميَّة بين نصر والمعارضين، فإنه حاول أن يعالج الأمور سلمياً فأرسل من يناديهم: "لقد أخذتم أُعّطياتِكم فالحقوا بأميركم، فقد قطع النَّهر" ، لكن المعارضين لم يأبهوا لكلامه وبادروا بالحرب، فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبختري على نصر، التي كان النصر فيها في الأخير لنصر بن سيار الذي أمن المعارضين جميعاً، فكان أول قتيل من باهلة، وانهزم عمرو وأرسل يطلب الأمان من نصر[٢].

وعلى الرغم من أن هذه المعارضة جاء الحديث عنها مقتضباً عند الطبري، فيبدو أنها كانت ساخنة وهي وإن أخذت حيزاً زمنياً قصيراً، فإنها أثَّرت كثيراً في مستقبل عرب خراسان حيث أشعلت الحرب الباردة بينهم وجعلتهم دائماً متأهبين للحرب، هذا فضلاً على أنَّها كانت السبب الأول في فشل غزوة مسلم وعزله[٣]، وقال نصر في يوم البروقان[٤]:

أرَى العَينَ لجَّت في ابتدارٍ وما الذي ... يَرُدّ عَليها بالدموعِ ابتدارُها!
فما أَنا بالوالي إذا الحربُ شَمَّرَتْ ... تَحرقُ في شَطْرِ الخميسين نارُها
وَلكنَّني أَدعو لها خِندف التي ... تطلَّعُ بالعِبء الثَّقيلِ فِقارها

ب- معارضة الحارث بن سريج المرجئي

في البداية نتحدث عن فرقة المرجئة: وهي إحدى الفرق الإسلامية التي نشأت في وسط شاع فيه الكلام في مرتكب الكبيرة أهو مؤمن أم غير مؤمن[٥]، والمرجئة حزب سياسي، لا يريد أن يغمس يده في

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٢.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٣.

(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٣.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١-٣٢. الجبوري، ولاية نصر بن سيار، ص٢٠٨.

(٥)- أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ج١، ص١١٣.

الفتن، ولا يريق دماء حزب، ولا يحكمون بتخطئة جماعة وتصويب أخرى، ولم يريدوا أن يسفكوا دماء فريق من المسلمين، ويحقنوا دماء فريق آخر(١)، وكانت نواة هذه الطائفة بين الصحابة الذين امتنعوا عن الدخول في الفتن التي وقعت في آخر عهد عثمان ﷺ وانتهت بمقتله، ثم امتدت عقابها إلى عهد الخليفة علي بن أبي طالبﷺ، فقد امتنعوا عن إبداء رأيهم في الحروب التي وقعت بينه وبين معاوية، وبهذا أرجأوا الحكم في أي من الطائفتين أحق، وفوضوا أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى(٢)، وكانت المرجئة قد أخذت موقفاً معتدلاً عندما رأت الخوارج يكفرون عليَّاً وعثمان والقائمين بالتحكيم، فكانت المرجئة تسالم الجميع، ولا تكفر طائفة منهم، وتقول إن الفرق الثلاث: الخوارج والشيعة والأمويين مؤمنون، بعضهم مخطئ، وبعضهم مصيب، وهي تعلن أن الإيمان بالله يمحو الكفر(٣)، وكانت تقول كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، كما قالوا بأنه لا يمكن للحكومة أن تعامل الموالي كما لو كانوا لا يزالون على كفرهم بعد أن أصبحوا مسلمين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من حقوق وواجبات، كما جاهروا بأن جميع المسلمين إخوة في الدين، ونادوا بالعودة إلى مبدأ المساواة بين الشعوب الذي أقره الإسلام وأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى(٤)، وعلى أية حال فقد انتشر مذهب الإرجاء بخراسان في عهد بني أمية وكثر أتباعه فيها وكانوا فرقتين هما المرجئة الخالصة ومرجئة الجبرية(٥)، ومن مرجئة الجبرية بخراسان الحارث بن سريج بن ورد بن سفيان بن مجاشي النميمي(٦)، وكان أكبر قادتهم وأشهر ثوارهم، وتبدو أخباره في الشطر الأول من حياته مجهولة، فذكر بارتولد بأن سيرته الأولى قد طمست؛ لأنها تحتوي على انحرافات تقلل من أهمية حركته وتوجهاته، كما أنه قضى شطراً من حياته في إقليم ما وراء النهر، حيث انتشرت ديانات وثقافات عديدة كان قد تأثر بها الحارث وأتباعه(٧). أما بالنسبة إلى شخصيته فقد وصفه المدائني "بخبث السيرة والغدر"، وعندما دعا أهل خراسان إلى الكتاب والسنة، أجاب قطن بن عبد الرحمن الباهلي قائلاً: يا حارث أنت تدعو إلى كتَّاب الله والسنَّة، والله لو أنَّ جبريلاً عن يمينك

---

(١)- عطوان، المرجئة والجهمية بخراسان في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢١.

(٢)- أبو زهرة، تاريخ المذاهب، ص١٤. أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط١٠، بيروت، ١٩٦٩م، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٣)- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٦٩-٧٠. أمين، فجر الإسلام، ص٢٨٠. ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م، ج٣، ص٣٢٤.

(٤)- سرور، الحياة السياسية، ص١٦٦.

(٥)- عطوان، المرجئة، ص٢٤-٢٥.

(٦)- فلوتن، السيادة العربية، ص٦١. عطوان، المرجئة، ص٣٢.

(٧)- تركستان، ص٢٩٨.

وميكائيل عن يسارك ما أجبتُك"[١]، وتعد معارضة الحارث بن سريج التميمي المرجئي معارضة قبلية مزقت بني تميم ولم تتمكن من جمعهم كلِّهم في صفِّها[٢]، كما مزقت المرجئة وجمعت كلَّ من أصبح يقول قول جهم بن صفوان في العمال أو الإكساب[٣].

هذا واشتهر الحارث بن سريج في الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين والأتراك في بلاد ما وراء النهر في عهد أشرس بن عبد الله الهلالي، الذي أبلى بلاءً حسناً في محاربة الأتراك وكان هو الذي حض الناس على الثبات عندما أشرف المسلمون على الموت عطشاً أمام حصار الترك في بيكند، لذلك سمي يوم العطش في عهد الوالي أشرس بن عبد الله في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م، حيث حمَّسهم قائلاً: "أيها الناس، القتل بالسيف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً"، فقاتلوا وكان لهم النصر[٤]، لكنه ما لبث أن غير خطته في السنين الأخيرة من ولاية الجنيد بن عبد الرحمن الذي خلف أشرس ١١١هـ/٧٢٩م على خراسان، وأخذ على عاتقه إتمام الحركة التي قام بها أبو الصيداء، فحرض الموالي ووعدهم بالعمل على إسقاط الجزية عنهم وإشراكهم في الأعطيات التي كانت تعطى للمقاتلة، واشترك معه في ثورته على الحكومة الأموية كثير من العرب من تميم والأزد، كما انضوى الدهاقين وأهل القرى تحت لوائه[٥]. ثم تنقطع أخباره حتى يظهر سنة ١١٦هـ/٧٣٤م في ولاية عاصم بن عبد الله الهلالي على خراسان[٦]، فأعلن معارضته ولبس السَّواد ودعا إلى كتاب الله وسنَّة نبيه والبيعة للرضا، ورفع شعارات دعا الكثير من الناس للالتفاف حوله سواء أكانوا من المطالبين بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه، أم أصحاب المصلحة التي ضربت مصالحهم كالدهاقين، وأقبل الحارث من جهة النّخُد حتى وصل إلى الفارياب، وقدم أمامه بشر بن جُرْمُوز، وأراد عاصم أن يرد الحارث إلى صف الجماعة، فأرسل له مقاتل بن حيَّان النبطيّ، والخطَّاب بن

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٥.

(٢)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٣.

(٣)- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفرائيني التميمي ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): **الفرق بين الفرق**، تح: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٥.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٦. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٩. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٦.

(٥)- فلوتن، السيادة، ص٦١-٦٢. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٢. سرور، الحياة السياسية، ص١٦٢.

(٦)- يرجح أن خروج الحارث بن سريج على السلطة الأموية كان في سنة ١١٥هـ/٧٣٣م بخلاف ما ذكره بعض المؤرخين من أن ذلك كان في سنة ١١٦هـ/٧٣٤م أيام عاصم بن عبد الله، ابن خياط، ص٣٤٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٧، ص٣١١. فلا يمكن أن يكون خلال هذه المدة القصيرة قد تمكن من احتلال كل هذه الأماكن، فقد أشار الطبري وابن الأثير أن الحارث كان قد اقترف ما جعل الوالي يبعده عن مهامه في خراسان، بل وأمر عامل بلخ بضربه أربعين سوطاً، كما أن الجنيد في آخر ولايته على خراسان كان قد مرض وأشرف على الهلاك. فيكون من المرجح عصيان الحارث كان قبل قدوم عاصم، أي في السنين الأخيرة من ولاية الجنيد تاريخ، ج٧، ص٩٣. الكامل، ج٤، ص٤٠٩، فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٢.

محرز السُّلميّ وغيرهما، يدعونه لذلك، إلا أنه سجنهما، لكن هربا من السّجن، وعادا إلى عاصم فأخبراه بخُبث سِيرةِ الحارث، فأمرهما أن يعلنا للناس ذلك ففعلا، فلا شك في أن عاصماً أراد تشويه سمعة الحارث حتى ينفر الناس منه[١]، وسار إلى بلخ في أربعة آلاف مقاتل وعليها نصر بن سيار والتُّجيبيّ بن ضُبيعة المرّيّ في عشرة آلاف الذي سرعان ما تغلب عليه الحارث وطرده وأصحابه من المدينة، ومضى نصر إلى مرو، واستعمل على بلخ سليمان بن عبد الله بن خازم، ويبدو أن الحارث استطاع أن يقنع المقاتلة العرب بالانضمام إلى حركته، ولاسيما بعد أن حقق انتصارات كبيرة، واحتل مدينة بلخ والجُوزجان والفارياب والطالقان ومرو الروذ فأخضع إقليم طخارستان كله، وبعد أن سيطر على هذه المدن عقد العزم على التوجه إلى مرو حاضرة إقليم خراسان، على الرغم من نصيحة أتباعه له بعدم التوجه إليها، وذلك لكثرة فرسانها، وفي هذه الأثناء بلغ عاصماً أن أهل مرو يكاتبون الحارث ويطلبون منه دخول الإقليم، فقال لهم: "يا أهل خراسان، قد بايعتم الحارث بن سُريج، لا يقصِد مدينة إلا خلّيتموها له، وإني لاحق بأرض قومي أبرشهر، وكاتبٌ منها إلى أمير المؤمنين حتَّى يمدَّني بعشرة آلاف من أهل الشام". فأراد عاصم أن يغادر مرو إلى نيسابور أرض قومه القيسيين منتظراً عون الخليفة هشام بن عبد الملك له، لكن أُشير عليه بالبقاء والثبات ومواجهة الحارث، فقبل ذلك بعد أن حلف أهل مرو بالطلاق والعَتاق على الصدق في القتال، فخرج عاصم في أهلها وغيرهم وعسكروا، فقام وشجَّع الناس بأن وزَّع عليهم المال وأمرهم ببناء القناطر استعداداً لملاقاة الحارث، فأقبل الحارث إلى مرو بجمع كبير ـ يقال ستين ألفاً ـ ومعه فرسان الأزد، وتميم ومن الدَّهاقين الجوزجان، وترسل دِهْقَان الفَارِياب، وسهرب ملك الطالقان، وقرياقس دهقان مَرْو، وغيرهم، فقاتل الحارث واستطاع إلحاق الهزيمة به، بعد أن انسحب أتباع الحارث من تميم والأزد ومالوا إلى قبائلهم، التي تقاتل مع عاصم، ولاشك في أن انسحابهم هو إدراكهم أن الأمر سينتهي بهم إلى محاربة العرب وهم ليس لديهم قدرة على ذلك، وأن مصالحهم الشخصية التي خرجوا من أجلها لم تعد ممكنة التحقيق، ثم انفض الدهاقين عن الحارث ومضوا إلى بلادهم، وغرق عدد كبير من أصحابه في أنهار مرو[٢]. ويذكر إن الحارث هرب حتى قطع وادي مرو ولو ألحّ عليه عاصم لأهلكه، والظاهر أن عاصماً كان متردداً تعوزه الكفاية الإدارية والعسكرية، كما يبدو أن خروج الحارث كان متزامناً مع تردد الأخبار والتنبؤات التي انتشرت عن الرايات السود الآتية من المشرق[٣].

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٥. العمرو، علي عبد الرحمن: هشام بن عبد الملك والدولة الأموية، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٧٤.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٤٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٤-٩٦. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٩١. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٠-٤١١. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٦-٢٦٧. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٧٤. الشمري، الخلافة الأموية، ص٢٠٨-٢١٠. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٢.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٨.

عزل هشام بن عبد الملك عاصماً عن خراسان وعيَّن عليها أسداً بن عبد الله القسري ليصلح ما أفسده عاصم، وتدل الوقائع والأحداث على أن عاصماً كانت له ميول نحو الحارث بن سريج، فلمَّا بلغ خبر إقبال أسد خاف من معاقبة أسد له، واختار مصالحة الحارث بن سريج وكتب بينه وبين الحارث كتاباً على أن ينزل أيَّ كور يشاء في خراسان، وعلى أن يكتبا إلى هشام بن عبد الملك يدعوانه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن أبى اجتمعا عليه، فختم بعض رؤوس الأخماس على الكتاب، لكن يحيى بن الحُضَين زعيم قبيلة ربيعة رفض أن يَخْتم على هذا الكتاب لأن فيه خلعاً للخليفة وبذلك تقوض هذا الاتفاق، وتجددت الحرب بين عاصم والحارث في مرو قبل وصول أسد إلى خراسان، فهزم الحارث وقُتِلَ وأُسِرَ ثمانون رجلاً من أصحابه أكثرهم من قبيلة تميم(قبيلة الحارث) وقتلهم عاصم، ويذكر هنا أن أسد بن عبد الله لما قدم خراسان حبس عاصماً وأغرمه مائة ألف درهم[١]، ومنذ ذلك الحين انضم الحارث إلى الأتراك ضد العرب.

وعلى الرغم من الهزائم المتكررة التي تلاحقت على الحارث بن سريج، إلا أنها لم تؤدِ إلى إضعاف حركته، فقد ذكر أنه عند قدوم أسد بن عبد الله إلى خراسان لم يكن لعاصم بن عبد الله سوى مرو ونيسابور، وكان الحارث وأصحابه بمرو الروذ وآمل، فجهز أسد حملة وقسم جيشه إلى قسمين، قسم يتكوَّن من أهل الكوفة والشام وعليهم عبد الرحمن بن نعيم الغامديّ الذي أرسله لقتال الحارث بمرو الروذ، وقسم سار به هو إلى آمل فهزم من بها من أصحاب الحارث، وسار منها إلى بلخ فتلقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن فأخبره أنَّ أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم، ثم انتقل إلى التّرمذ فوجد الحارث يحاصرها ومعه السبل ملك الختل، فنزل دون نهر جيحون، ولم يتمكن من مساعدة أهلها، فخرج أهل التّرمذ وقاتلوا الحارث قتالاً شديداً، وكان قد أكمن لهم كميناً فتمكن من هزيمتهم، ثم عاد أسد إلى بلخ وخرج أهل الترمذ إلى الحارث ثانية فهزموه شر هزيمة، وقتلوا جماعة من أصحابه، واضطروه للانسحاب إلى طخارستان وقد تفرق عنه أنصاره، وسار أسد إلى سَمَرقند في طريق زمّ، فلما وصلها هدَّد عامل الحارث عليها إن هو لم ينزل على أمانه، فخرج إليه على الأمان وسار معه إلى سمرقند، فذهب أسد إلى ورْغَسر حيث حول الماء عن سَمَرقند وعاد إلى بلخ[٢].

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٩-١٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٣-٤١٤. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٧-٢٧٨. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١١٦. فلوتن، السيادة، ص٤٤٤. العمرو، هشام، ص١٧٧. الشمري، الخلافة الأموية، ص٢١٠-٢١١.

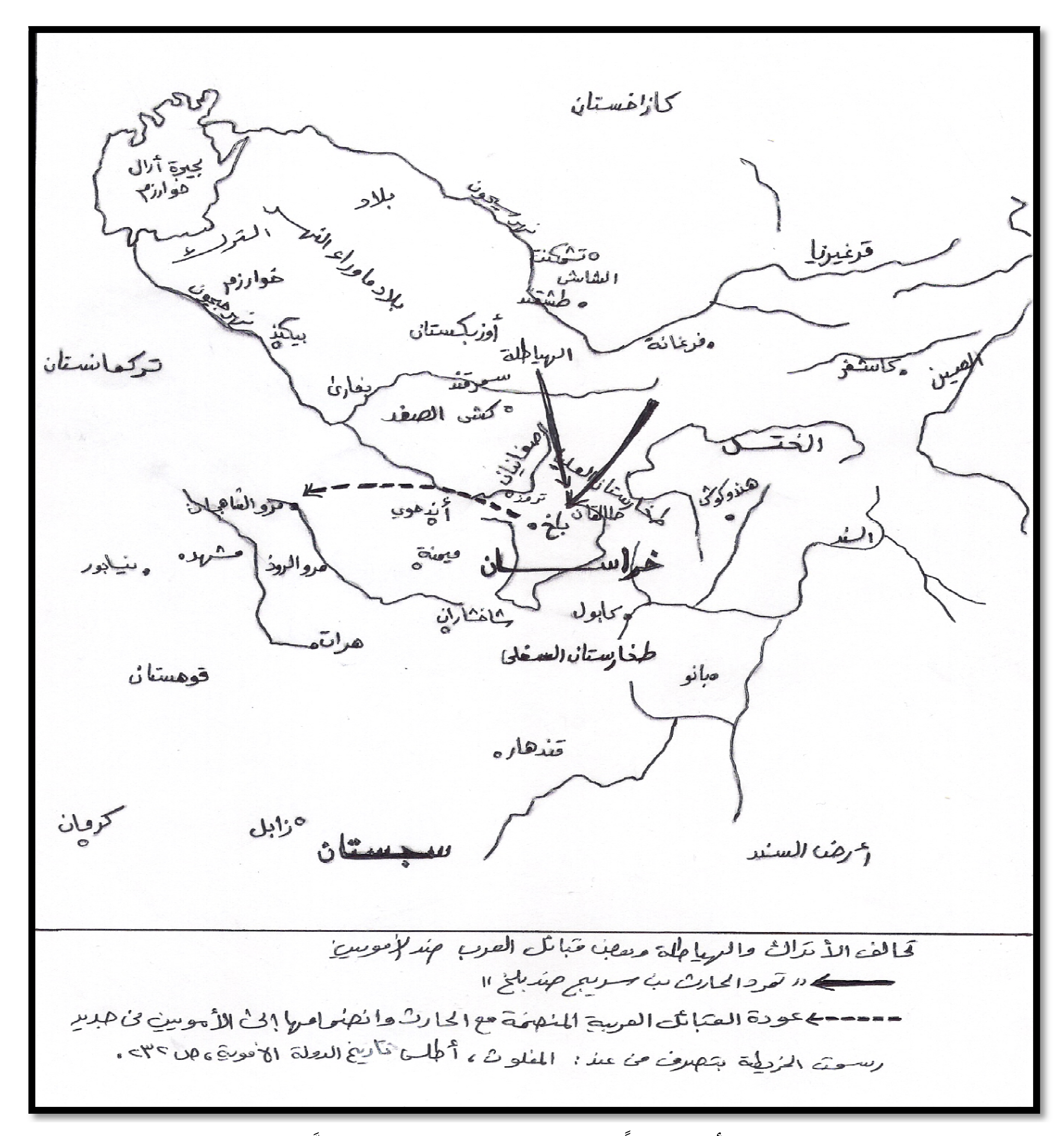
[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٥-١٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٥. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١١٦. بارتولد، تركستان، ص٣١١. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٤-٤٤٥. سرور، الحياة، ص١٦٢. العمرو، هشام، ص١٧٧-١٧٩.

وفي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م هاجم الحارث بن سريج وخاقان الترك خراسان، فوصلوا إلى الجوزجان ومرو الروذ، فسار إليهم أسد بن عبد الله فهزمهم[١]، وفي سنة ١١٨هـ/٧٣٦م اتخذ أسد من مدينة بلخ حاضرة لولايته وأصبحت مدينة بلخ حامية وصارت تُفَضَّل على مرو، كما أن بلخاً لم تكن قد تأثرت بعد بحركة الاندماج بين القبائل، وتمتاز عن مرو بموقعها القريب من جبهات القتال ومن الهياطلة الذين أراد أسد أن يستفيد منهم في حربه ضد الترغش، ومهما تكن الأسباب التي تسوغ لأسد عمله هذا فلا شك فيأن دهاقي مرو قد كرهوا أن ينقل مركز الولاية من جوارهم، ولكنهم قد عادوا فأيدوا أية سياسة تدفع بالعرب إلى الانهماك في الحروب وتشغلهم بها، وعلى هذا فلم تكن النقلة إلى بلخ بالأمر اليسير، وفي العام نفسه أرسل جديع الكرمانيَّ على رأس قوة إلى قلعة التُّبوشكان ـ من طخارستان العليا التي فيها ثقل الحارث وثقل أصحابه من بنو بَرْزَى التَّغلَبيين ـ فحاصرهم حتى فتحها، فقتل مقاتلتَهم وقتل بني بَرْزى، وسبى عامَّة أهلها من العرب والموالي والذراريَّ، وباعهم بسوق بلخ[٢].

---

[١]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٤٧-٣٤٨. الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص٢٠٥. الذهبي، العبر، ج١، ص١١١.

[٢]- ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢١. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١١٦. العمرو، هشام، ص١٧٩.



في سنة ١١٩هـ/٧٣٧م خرج أسد غازياً في ما وراء النهر قاصدا الختَّل على الشاطئ الشرقي لنهر جيحون، وكانوا قد تحالفوا مع الحارث، الذي كان قد تمكَّن من الهروب من حصار قلعة "التبوشكان"، وما إن علم أميرهم بقدوم أسد حتى استغاث بخاقان الترك، لكنه أبلغَ أسداً بذلك الذي سرعان ما اختار الانسحاب، لقد سوغ أمير الختل خيانته لخاقان في الرسالة التي كان قد بعثها إلى أسد، قائلاً: "فإن لقيك على هذه الحال ظفر بك، وعَادَتْني العرب أبداً ما بقيت، واستطال عليَّ خاقان واشتدَّت مؤونته، وأمتنَّ عليَّ بقوله: أخرجتُ العربَ من بلادِكَ، ورددتُ عليك مُلكَكَ"[1].

---

[1]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٣-١١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢٣.

وما إن عبرَ أسد نهرَ جيحون عائداً إلى خُرَاسان، حتى ظهر خاقان وجيوشه في الضفة الأخرى، وهاجموا الفرقة الحاملة للأثقال والغنائم التي قدمها أميرُ الختل والتي كان أسد قد سرحها أمامه، فقُتل الكثير وأُسر البعض واستولى خاقان على الأثقال والغنائم، لكنه لم يهاجم الجيش الأساسي الذي تمكن أسد من إنقاذه بصعوبة والعودة به إلى بلخ، فعسكر فيها حتى أتى الشتاء ثم فرَّق الناس في الدور ودخل المدينة؛ مما جعل الناس تستهزئ به والصّبية تُغيضه ببعض الأغاني المؤلفة بالفارسية[١]، ويبدو أنه حدث خلط بين أحداث ولايتي أسد لخُرَاسان فالطبري يذكر الحدث نفسه والأغنية الصبيانية نفسها في أحداث سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م.

لقد ظل خاقان يبحث عن الفرصة التي بها يقضي على أسد وجيوشه، ولاسيما بعدما أدرك أنه الأقوى، فذهب إلى جبَغْوية الخَرْلخِيّ[٢] حاكم شرق طَخارستان في خُرَاسان، الذي كان قد استجلب الحارثَ بن سُريج عنده واتفقوا جميعاً على أسد، فخرج خاقان ومن معه من الأتراك والحُلفاء والأتباع متوجهين غرباً، وذلك في وسط فصل الشتاء سنة١١٩هـ/٧٣٧م، الفصل الذي يَصرف فيه والي خُرَاسان الجند إلى أوطانهم، ولا يُبقى عنده إلا آلاف قليلة من أهل الشام، فعلم أسد بالخطر القادم في ليلة عيد الأضحى، فأمر برفع النِّيران على المدينة لكي ينجو الناس بأنفسهم إلى بلخ، ثم أصبح في يوم العيد فصلَّى وخطب الناس، وحثهم على القتال قائلاً: "إن الحارث بن سريج عدوّ الله، استجلب طاغية ليطفئ نور الله، ويبدّل دينه والله مذلَّه إنشاء الله"، واستخلف على بلخ الكرمانيَّ بن عليّ، وسار للقاء "خاقان" في عدد ضئيل لم يتجاوز سبعة آلاف من الجنود الشاميين والخُرَاسانيين، في هذه الأثناء كان خاقان يعسكر قريباً من بلخ في ناحية "الجوزجان" وكان قد بثَّ الغارات في جميع النواحي، ولم يبقَ معه إلا أربعة آلاف جندي فقط؛ مما جعل مهمة أسد تسهل، فوجه فرقةً قادها أمير "الجوزجان" من طريق كان يعرفه، فهاجم "الخاقان" من الخلف، فاضطره إلى الإسراع في الهروب، وبذلك تحقق النصر لأسد وهزم خاقان هزيمة منكرة، الذي أعاد أسرى المسلمين الذين كانوا في أيدي الأعداء، وتمكن من أخذ الكثير من أسرى الترك والغنائم ثم همَّ بالرجوع إلى بلخ، وذلك لأن الشتاء حال دونه ودون مطاردة خاقان، وفي طريق عودته تلقَّف خيْلاً للترك كانت منصرفة لتغير على عاصمته بلخ، فقتل العديد منها، وارتدت بعد أن كانت قد بلغت مرو الروذ[٣]. ومكث خاقان بعد هذا الفشل عند "جغوية" في طخارستان حيناً، ثم عاد إلى بلاده مع المُعارِض الحارث ابن سريج من طريق "أشروسنة"، وبعد ذلك بقليل قتله أحد كبار رجاله ويدعى كُورصُول التّرقشيّ بعد

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٥-١١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢٣-٤٢٤. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٦.

[٢]- يسميه ابن الأثير "جبوية". الكامل، ج٤، ص٤٢٥.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٩-١٢٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٧-٤٤٨. العمرو، هشام، ص١٨٠.

خلاف على لعب النَّرد، وعلى إثر ذلك ظل الترك في خلاف فيما بينهم وتفرقوا وانحاز بعضهم إلى "الشاش" ونعم المسلمون بفترة هدوء وعاد أسد إلى بلخ[١].

كان الخليفة هشام قد عود نفسه على تلقي أخبار النكبات عن خُرَاسان فلما وصلته أخبار انتصار أسد على خاقان لم يكد يصدق ذلك، وساعده في التشكيك مقربوه من القيسيين حسداً منهم لأسد، فطلب الخليفة من خالد بن عبد الله أمير العراق أن يأمر أخاه بتوجيه مقاتل بن حيان النبطي من خُرَاسان إليه ليقص له أخبار غزو أسد بلاد الخُتّل وما كان من تطور في القتال حتى استباح المسلمون عسكر خاقان وأجلَوه عنه، فاندهش لها الخليفة كثيرا[٢].

وفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م كان لتعيين نصر بن سيار على خراسان بعد موت أسد بن عبد الله القسري، والإصلاحات المالية التي أجراها أثر كبير في حركة الحارث. والجهود العسكرية التي بذلها في محاربة الترك الذين يقودهم كورصول الذي تولى قيادتهم بعد قتله للخاقان، قد أدت إلى أن يفقد الحارث أهم العناصر التي كان يستند عليها في حركته، فغزا نصر سنة ١٢١هـ/٧٣٩م ما وراء النهر، وتوجه إلى أشروسنة قاصداً الشاش فحال بينه وبين عبور نهر الشاش كورصول ومعه الحارث، ونصب على إخوانه المسلمين عرَّادتين لكنه تراجع في الأخير عن قتلهم خوفاً من أن يصيب أهل قبيلته تميم، فتمكن نصر بجيشه الذي يتألف من العرب وأهل بخارى وسمرقند وكش وأشروسنة من التغلب والقبض عليه بالرغم من كثافة جيوشه التي بلغت خمسة عشر ألفاً، ولما أيقن كُورصُول أنه هالك لا محالة، عرض على نصر إطلاق سراحه مقابل أربعة آلاف بعير من إبل التُّرك، لكن نصراً رفض وأمر بقتله فقُتِل وصُلِب على شاطئ الشاش، فطلب نصر بحرقه لئلا يحملوا عظمه، فكان ذلك أشد عليهم من قتله، ثم غزا فَرْغانة، وكتب إليه يوسف بن عمر أمير العراق يأمره بمهاجمة الحارث بالشَّاش وأن يخرِّب بلادهم، فسار نصر إليها، فتلقاه ملكها بالصلُّح والهدايَّا والرَّهائن، وكان من نصوص الصلح أن يتعهد ملك الشَّاش بإخراج الحارث من بلاده، فأخرجه إلى الفارياب في الضفة الشرقية من نهر سيحون[٣].

وبهذه الخطوة استطاع نصر أن يضع حداً بين الحارث والدعم الذي يتلقاه من الشاش ويستغله لصالح حركته، وقد اتجه نصر بعد ذلك إلى المرتكز الثاني لحركة الحارث بحركة ذكية وهي معالجة مشكلة التذمر من بعض الناس، وحاول أن يقف حائلاً أمام هذه الظاهرة، فقد كان يهدف نصر بن سيار من إجراءاته إلى إفراغ حركة الحارث من أهدافها والعمل على إنهائها، إلا أن الظروف التي استجدت في

(١)– الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢٧. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٠. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٨. الخضري، محاضرات، ج٢، ص١٩٤.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٢٥–١٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢٧. فلهوزن، تاريخ، ص٤٤٩.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٤–١٧٧. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢١٤–٢١٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٨–٣٣٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٩–١٠٠. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٢. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٣.

خراسان حالت دون تحقيق ذلك، والسبب يعود إلى قيام جديع بن علي الكرمانيِّ بالتمرد على نصر، فشعر نصر بأن الصراع القائم بخراسان سيمنح الحارث فرصة ذهبية للظهور على المسرح السياسي ثانية، ولذلك عمل على مصالحته درءاً لخطره من جانب، وأملاً بمساعدته في صراعه ضد الكرماني كونه من عرب الشمال سينتقم ويقاتل معه ضد الكرماني من جانب آخر، فكفَّ نصر بن سيار عن ملاحقة الحارث بعد أن أُخرج من الشاش، ورأى أن يبعث له جماعة لمناصحته، وفي الوقت نفسه بعث إلى الخليفة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك طالباً منه كتابة أمان رسمي للحارث ففعل، فعاد الحارث إلى خراسان وقدم مرو في سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م بعدما قضى اثني عشرة سنة هارباً(١)، وقد أخطأ نصر خطأ كبيراً حين اعتقد بأن إصدار العفو عن الحارث ودعوته من منفاه سيجعل منه عاملاً محايداً في الصراع القادم، ومهما يكن فقد أقبل الحارث إلى مرو، وأثار العفو عنه استياء عامل سمرقند منصور بن عمر، الذي أرسل إلى يزيد بن الأحمر وأمره أن يفتك بالحارث إذا صار معه بالسفينة، لكن مقاتلاً بن حيان النبطي حال بين يزيد بن الأحمر والحارث، ويدل موقف مقاتل على مدى تأثر الموالي بحركة الحارث بن سريج، فكتب منصور بن عمر إلى نصر بن سيار: "لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضرَّ ببني أمية في سلطانهم، وهو والغ في دم بعد دم، ليفرّقنّ عليك بني تميم"(٢)؛ لأن أفعال الحارث شاهدة على ما كان يعوزه من الوجدان، وما كان بيديه من عدم المبالاة في أرواح الناس، وعلى كثرة أنواع التكريم والهدايا التي غمره بها نصر، فإنه لم يلزم جانب نصر، وظل متمسكاً بمطالب المرجئة، وقد انضم إليه ثلاثة آلاف رجل من قبيلة تميم(٣).

والحقيقة فقد بذل نصر كُلَّ ما في وسعه لإرضاء الحارث وإبعاده عن فكرة المعارضة، وأسكنه قصر بُخارا خُذاة وأجرى عليه خمسين درهماً كلَّ يوم، وأطلق سراح من كان مسجوناً من أهله، وردّ له كل ما صودر منه، وشاركته زوجته المرزبانة في هذا الإرضاء أيضاً، بل إن نصراً عرض على الحارث أن يوليه ويُعطيه مائة ألف دينار، لكنه لم يوافق وأرسل إليه قائلاً: "إني لستُ من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ولا من تزويج عقائد العرب في شيء؛ وإنما أسأل كتاب الله عزَّ وجلّ والعمل بالسنَّة، واستعمال أهل الخير والفَضْل، فإن فعلتَ ساعدتك على عدوِّك". فالحارث يعلم جيداً أحوال خراسان السيئة ومدى معاناة نصر لحلّها، لذا ظلّ دائماً ـ برغم ما قام به نصر في سبيل إرضائه مقتنعاً بتمرّده، وأراد استغلال الصراع بين نصر والكرمانيّ لصالح حركته، وتحقيق أهدافه باستغلال أي من الطرفين، فسرعان ما اتصل بالمعارض جديع الكرمانيّ يقول: إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله، وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٧. سرور، الحياة، ص١٦٤. النعيمي، وئام عدنان عباس: الخلافة الأموية من ١٢٥-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٥٠م دراسة في اوضاعها السياسية والإدارية، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الأمير دكسن، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٣٤. الزعبي، نصر بن سيار، ص١٠٢.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٤، ٢٩٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٧.

(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٠.

عضَدتُه وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل استعنتُ بالله عليه، وأعنتك إن ضمنت لي ما أريد من القيام بالعدل والسنة(١).

ولمَّا وصل مروان بن محمد إلى الخلافة أعلن نصر ولاءه للخليفة الجديد، وجاءت الفرصة مواتية للحارث للخروج ثانية ومعارضته للسلطة، فقد امتنع عن مبايعة مروان على الرغم من الجهود التي بذلها نصر لإقناعه عن العدول عن فكرته ومبايعته مروان من أجل جمع الشمل والابتعاد عن الفرقة، إلا أنه رفض ذلك متذرعاً بأن مروان بن محمد لا يُجيز أمانَ يزيد بن الوليد، فاستغل الحارث مسألة الخلاف لتأييد زعامته بين القبائل العربية في خراسان؛ لذا لم يبايع مروان ولم يظهر الحارث هذه المرة ثائراً متمرداً؛ وإنما ظهر زعيماً دينياً هدفه وحدة الجماعة العربية، فأصبح الحارث أكثر خطراً على نصر من الكرماني(٢)، فأعلن خروجه عنه وخرج بإزاء قصر بخارا حُذَاه وعسكر، وأرسل إلى نصر يقول: "اجعل الأمر شورى"، لكن نصراً رفض فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داؤد، وأمر جَهْم بن صَفْوان مولى بني راسب، فبدأ يشهر سيرة الحارث ويدعو له الناس فكثر أتباعه(٣)، ويبدو أن ثقة الحارث بنفسه كانت قوية جداً إذ إنه بعث إلى نصر يطلب منه أن يعزل سلماً بن أحوز من شُرطته، وأن يختار واحدٌ منهما رجالاً عمَّالاً لخراسان(٤)، وبرغم أن هذه المطالب كانت تُذِّلُ نصرا فإنّه وافق عليها راغباً في السلام الذي لم يكن الحارث يهدف إليه أبداً، فأظهر أنّه صاحب الرّايات السّود، ومع ذلك لم يغير نصر سياسته وواصل نصحه له وملاطفته أيضاً مع شيء من التهديد، حيث بعث إليه قائلاً: "إن كنت كما تزعم، وأنكم تهدمون سور دمشق، وتزيلون ملك بني أميَّة، فخذْ منّي خمسمائة رأس ومائتي بعير، واحمل من الأموال ما شئتَ، وآلة الحرب وسرْ، فلعمري لئن كنتَ صاحب ما ذكرت إني لفي يدك، وإن كنت لستَ ذلك فقد أهلكتَ عشيرتك"(٥). ولما لم يتراجع الحارث عاد نصر إلى المناصحة وأكثر نصر من إكرامه ومهادنته وتقديم التنازلات، واقترح عليه في الأخير توليه على إقليم ما وراء النهر مع ثلاثمائة ألف، لم يقبل لأن الحارث لم يكن يطمئن ولم يرد أن يكون له سلطان بجانب سلطانه، لكنه كان مصراً على تمرّده وحاول التحايل على نصر قائلاً: "فإن شئتَ فابدأ بالكرْمانيّ، فإن قتلتَه فأنا في طاعتك، وإن شئت فخلِّ بيني

---

(١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٧–٨. الثعالبي، سقوط، ص١٣٩. سرور، الحياة، ص١٦٤. النعيمي، الخلافة الأموية، ص٢٣٥.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩١. مجهول، أخبار، ص٢٥٠. الجبوري، ولاية نصر، ص٢٢١.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٧. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦١. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٤.

(٤)– لقد اختار نصر رجلين حكيمين هما مقاتلَ بن سليمان ومقاتل بن حيّان النبطي، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجَهْضميّ ومعاذ بن جَبلة. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٠. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٧.

(٥)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٧. النعيمي، الخلافة الأموية، ص٢٣٧.

وبينه، فإن ظفرتَ به رأيتُ رأيك، وإن شئتَ فسرْ بأصحابك، فإذا جزتَ الرَّيّ فأنا في طاعتك"، وانتهى الأمر بينهما إلى التناظر، واتفقا على أن يحكم بينهما حكم من العقلاء وهما مقاتل بن حيَّان، وجَهْم بن صفوان، اللذان حكما بأن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى، لكن نصراً رفض، ولعله رأى أن الموافقة على ذلك يعني الإقرار بشرعية حكم الحارث، وهو يعني عدم الاعتراف بالخلافة الأموية أيضاً، وبرفضه بدأت النزاع الصريح بينهما[1].

لكن الحارث تبنى هذا الاقتراح كعذر لمعارضة نصر، فنشط في الدعوة إلى نفسه، وأمر أن تقرأ سيرته في الأسواق والمساجد، فقرئت وانضم إليه خلق كثير، ومع ذلك فإن نصراً لم يحرك ساكناً وذلك حكمة؛ منه لأنه أراد تصفية الوضع دون اللجوء إلى القوة، فعمد الحارث إلى إثارة نصر وإخراجه من هدوئه، عندما أمر أحد أتباعه بقراءة سيرته على باب نصر بماجان؛ مما جعله يأمر بنشر دعاية مضادّة عن الحارث، الذي تمكن من دخول مدينة مرو من ثقب من سورها من ناحية "باب بالين"، لكنه هُزم وقُتل بعض أصحابه من بينهم كاتبه جهم بن صفوان، ومع ما حصل لم يفقد الحارث ثقته بنفسه، فقد راسل نصراً قائلاً: "لا نرضى بك إماماً" فردّ عليه نصر، الذي يبدو أنه أحسّ ببعض قوته، قائلاً: "كيف يكون لك عقل، وقد أفنيتَ عمرك في أرض الشْرك، وغزوتَ المسلمين بالمشركين! أتراني أتضرَّع إليك أكثر مما تضرَّعت"[2] ورأى نصر أن المرونة لا تجدي نفعاً مع الحارث، ولاسيما وأنه تجاوز كل الحدود، وبدأ يشكل خطراً كبيراً بعد أن دخل مدينة مرو وقام بأعمال استفزازية، ولكي يمنع لجوءه إلى الكرماني، أرسل إلى الكرماني يستدعيه، فلبى دعوته بعد أن تعهد له نصر بسلامته، ولكن حدوث بعض المشاجرات الكلامية مع أعوان نصر جعلت الكرماني يرجع ظناً منه أن نصراً يريد الغدر به، ويبدو أن نصراً كان يهدف من وراء لقائه هذا التقارب مع الكرماني، ومن ثم منع حدوث أي تعاون بين الكرماني والحارث، ولكن جهوده باءت بالفشل، وهنا أرسل الحارث ابنه حاتماً يستنجد بجديع الكرماني الذي بايعه الأزد والياً شرعياً على خراسان، لكي يتحدا ضد نصر الذي سرعان ما أتاه مع مناصريه من الأزد وربيعة، وتمكّن بعد معارك كثيرة من التغلب على نصر وأصحابه المضريين، ويظهر أنّ الحارث التميمي المضري قد ندم على استنجاده بالكرماني الأزدي اليمني، فبدأ يتقرب من نصر حيث راسله قائلاً: "إنَّ اليمانية يعيّرونني بانهزامكم، وأنا كاف، فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرمانيّ"، فأخذ نصر العهود بذلك وترك مرو

---

(1)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣١-٣٣٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦١. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٤. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٤.

(2)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٤-٣٣٥. طلفاح، معن عدنان صالح، حركة يزيد بن الوليد وأثرها على الدولة الاموية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: يوسف حسن كواغة، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١٧٣.

للمعارضين والتجأ إلى نيسابور مقر القبائل القيسية؛ لأنه أدرك أن هذا الحلف غير المتجانس سينقلب إلى خصومة شديدة بينهما بسبب اختلاف أغراضهما وتباينها؛ ولأن تحالف الأزد وتميم لم يكن طبيعياً[١].

لقد ثار أصحاب الحارث على الكرماني، ذلك لأنهم لم يَنسوا ما فعله في عهد أسد بن عبد الله القسري بأهل التبوشكان بني برزي التغلبيين أصهار الحارث، حيث يذكر أن "الكرماني بقرَ بطون خمسين رجلاً، وألقاهم في نهر بلخ، وقطع أيدي وأرجل ثلاثمائة منهم، وصلب ثلاثةً، وباع أثقالهم"، وما زادهم كرهاً له أنه هدّم دور المضريين في مرو ونهب أموالهم، وهم الذين كانوا يقفون مع الحارث لإعلاء كلمة الحق وتطبيقها كما أشاع[٢]، لذلك أصبحت الحرب بين الرجلين حتمية اقتتلا فيها قتالاً شديداً، وقتل معظم قادة الحارث وعلى رأسهم الجهم بن صفوان؛ مما أدى إلى ظهور الانشقاقات بين قواته والمحتجين عليه، وكان أول المنشقين عليه بشر بن جرموز وهو أهم حلفائه، حيث اتهم بشر الحارث بالانحراف عن خطة الثورة وغايتها والخروج عن مبادئها[٣]. انتهت الحرب بقتل الحارث في رجب سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م، وقتل أخيه سوادة ومئة من أصحابه، وهزمت قبيلة تميم ومضر وبذلك صفت مرو لليمانيين الذين انتقموا انتقاماً من مُضَرييها[٤]، وبذلك انتهت هذه الثورة التي استمرت ثلاثة عشر عاماً عمل خلالها الحارث بكل ما أوتي من سبل وقوة وطرح فيها مجموعة من الشعارات، وحاول استقطاب كافة الفئات المتذمرة من الحكم الأموي حتى يتمكن من الوصول إلى أهدافه.

وبهذا أخفقت حركة الحارث، فقتل دون أن يحقق أهدافه، ومع ذلك فإن حركته شاركت في إثارة الفوضى التي سادت خراسان في تلك الحقبة، كما أنه شغل جيوش الخلافة سنوات عدة وأنهكها، فهو في أول ظهوره قاد الترك لمحاربة العرب، ولما أخفق ظل لاجئاً عند الترك سنين كثيرة، فلما ظهر من جديد فرق كلمة العرب، وكان نصر مصيباً حين رماه بالشؤم، فهو بحق رجل مشؤوم لأنه شارك بشكل غير ذكي في تمهيد الطريق للعباسيين، فتمزيقه لوحدة العرب، وإنهاكه لقوتهم واستهلاكه طاقاتهم ومعاداته للأمويين ومناهضته لعاملهم على خراسان، كله ساعد في نمو الدعوة العباسية واتساع قاعدتها، فقد استغل أبو مسلم الخراساني هذا الظرف السياسي، وأظهر الدعوة العباسية بعد أشهر معدودة من مقتل الحارث، ويذكر أن نصراً بن سيار لما بلغه نبأ مقتل الحارث قال أبيات من الشعر جاء فيها:

يا مُـدِخـلَ الـذلِّ عـلـى قَـوْمِــهِ بُــعْـداً وسُـحْـقـاً لـك مِـنْ هـالِـكِ!

---

[١]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٧. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٩. الثعالبي، سقوط الدولة الأموية، ص١٤١. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦١. النعيمي، الخلافة الأموية، ص٢٣٩. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٥.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٧-٣٣٨. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٢. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٥.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٩. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٦.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٠-٣٤٢. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٩-٢٠. ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٣. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٦٥-٢٦٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٦-٢١٧. النعيمي، الخلافة، ص٢١٦-٢١٨.

شُؤمُكَ أَرْدَى مُضراً كُلَّها وغضَّ مِنْ قَومِكَ بالحارِكِ[١]

لقد تمخضت حركة الحارث عن آثار كبيرة على مستقبل الوضع في خراسان، وذلك بإشغال الأمويين عن مقارعة أعدائهم وتعكير صفو الأمن في خراسان، فقد جعلتهم غير قادرين على مواجهة الأحداث الخطيرة التي كانت سبباً في إضعاف الدولة، كما أن حركة الحارث على الرغم من فشلها ظلت أبرز دليل على التحول الذي طرأ على موقف المرجئة، تلك الفرقة الدينية التي اعتزلت معترك الصراع السياسي، وكانت حركة الحارث تعبيراً عن مرحلة جديدة في تاريخها، ويبدو أن سبب انضمام الحارث للترك ما رآه فيهم من القوة التي يستطيع بها تقويض الحكم الأموي هناك، كما أن الترك رأوا في حركته فرصة التمرد، وأن الحارث كان يستند إلى عنصرين مهمين في إدامة حركته، أولهما الاستناد إلى الدعم العسكري الذي قدمه الترك إليه بعد لجوئه إليهم، وثانيهما الاستناد إلى الشعارات الدينية والسياسية التي رفعها واستغلال التذمر الموجود عند بعض الناس من جراء نظام الضرائب، لاسيما الجزية أي ضريبة الرأس[٢].

ولقد أشاد بعض المؤرخين كثيراً بثورة الحارث بن سريج وعدّوها ثورة إصلاحية ترمي إلى مساعدة مسلمي الأعاجم على المساواة الكاملة بالعرب في الحقوق، وأنها كانت امتداداً لثورة ـ أبي الصيداء ـ التي أشير إليها سابقاً[٣]، وأنه أشعل نار الثورة على بني أمية لتحرير أولئك المستعبدين ورفع ذلك النير عنهم، فهو كان يزعم أنه المهدي المنتظر الذي بعثهُ الله لتخليص المضطهدين ونصرة المظلومين. ويذكر فلوتن[٤]: "إن السّواد الأعظم ممن اشتركوا مع الحارث كانوا من الدهاقين ومِن صغار الملَّاك الذين كان يضطهدهم أمراء الولايات وعمال الخراج" مع أننا حينما نتتبع أحداث هذه المعارضة في المصادر الإسلامية الأساسية وبخاصة الطبري، الذي جاءت فيه أحداثها أكثر تسلسلاً وتعمقاً، ولا يظهر أن الحارث قام من أجل رفع نير الظلم عن غير العرب المضطهدين، كما لا يظهر أبداً أن أتباعه كان جلهم من الدهاقين وصغار الملاكين؛ بل كانوا عرباً من بني تميم؛ ولهذا تعصَّبوا على جديع اليماني عندما أضرّ بمضريي مرو.

والواقع، أن هؤلاء المؤرخين المُحدثين اعتمدوا على ما جاء به فان فلوتن من مادة خيالية لا وجود لها في المصادر لإثبات أن الموالي والفرس كانوا مضطهدين جميعاً، فجعل الحارث مهديهم المنتظر الذي في الأصل لم يكن سوى رجل انتهازي جرّب كلَ السّبل من أجل الإطاحة بالحكم الأموي، فقد جمع معه المرجئة والجهميين ودهاقين المناطق التي كان قد سيطر عليها، بل وتحالف مع خاقان الترك وكورصول

---

(١)– ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٨. الثعالبي، سقوط، ص١٤٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٣.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٩. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٣.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٤–٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٩٠. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٠٩.

(٤)– السيادة العربية، ص٦٣.

أعداء الإسلام والمسلمين وحتى مع الكرماني الأزدي وهو يعرف تلك العصبية التي كانت بينهما، فهو من أجل أهدافه تحالف ـ مثلما ذكر الهادي حمودة الغزي[١] ـ مع الشيطان، ولو كان كما أفهمنا فان فلوتن لكان نال الدعم من الأعاجم، ولما كنَّا نسمع أن أهل ترمذ قد امتنعوا عنه وحاربوه أشدّ حرب[٢].

ج- معارضة جُدَيْع الكِرمانيّ ١٢٦–١٣٠هـ/٧٤٤–٧٤٨م

جُدَيع بن عليَّ بن شبيب بن عامر بن بَرَاري بن صُنيم المعروف بالكِرمانيِّ نسبة إلى ولادته بكرمان بمدينة يقال لها جيرفت[٣]، أصله من اليمن وأبوه من الأجناد، ينتمي جديع إلى قبيلة الأزد العربية من بني معن، وكان جديع يتمتع بمنزلة كبيرة في خراسان حيث يوصف بشيخ خراسان وفارسها، وسيَّد مَنْ بأرض خراسان من اليمانية[٤]، وتعود حركة جديع هذه إلى عدة أسباب حسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية العربية:

١ـ بدأ جديع الكرماني بتنظيم صفوف المعارضة آخذاً على عاتقه تغيير الأوضاع القائمة والنيل من نصر الذي حسب رأيه تمادى في جفائه لليمانية والرّبعية، فاستغل بعض اليمانيين والرّبعيين المناوئين لنصر بن سيار اضطراب أحوال خراسان الناتج عن الإضراب السائد في الشام إثر مقتل الوليد بن يزيد، بأن عملوا على إبعاده عن السلطة والإطاحة به، بيد أنهم أخذوا يتحينوا الفرصة المناسبة، وجاءت هذه الفرصة سانحة سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م الممثلة بمشكلة العطاء، فقد كانت سياسة نصر في هذه الحقبة تتجه إلى المحافظة على الاستقرار فيها والمحاولة في إبعادها عن أي نوع من أنواع الفتن والاضطرابات، فقام برفع حاصل بيت المال لخشيته من وقوع فتنة في خراسان، وخاصة بعد رفض البعض مبايعته والياً عليها، لكنه لم يوزع العطاء كاملاً بل أعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً وذهباً من الآنية التي أعدَّها للوليد بن يزيد، فاجتمعوا عليه في المسجد مطالبين بالعطاء، فلجؤوا إلى جديع الكرماني ليعينهم في ذلك[٥].

٢ـ وهناك حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي أن القبلية اتجهت أيام الأمويين المتأخرين إلى زعزعة الأسس الإدارية للخلافة وحولت الخلفاء من رؤساء دول إلى رؤساء أحلاف قبلية[٦]، فأخذت تتحلُّ في كل مكان

---

[١]– الشعر الأموي، ص٣٤.

[٢]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٧.

[٣]– البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٠٩.

[٤]– الدينوري، الأخبار، ص٣٥٠. الثعالبي، سقوط، ص١٣٣.

[٥]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٥– ٢٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٤ شعبان، الثورة، ص٢١٨. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٢. الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٥–٩٦.

[٦]– الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٧٣.

تلك العرى التي كانت تمسكها القوة المركزية، وقامت أنواع مختلفة من التمرد والعصيان في كل مكان، وفي وسط ذلك الاضطراب كانت تظهر تجمُّعات لا تلبث أن تزول، فكانت مختلف العناصر الهائجة تتجمع حول نقطة واحدة، ثم تتفرق بعد ذلك وتدخل في تنظيمات أخرى، وأصبحت تلك الفترة أنسب ما يكون للمغامرين والمتغلِّبين[١]، فقد ذكر أن نصراً بن سيار كان قد قدَّم قومه مضر وولاهم الأعمال وتعصبّه على ربيعة واليمن؛ مما أثار حفيظتهم وجعلهم يقومون بالمطالبة بحقوقهم[٢].

٣ـ تزعم الكرماني الأزد وحليفتها ربيعة وأعلن معارضته لنصر المضري الذي لم يعترف عملياً بالخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك اليمني الهوى، وبأميره على العراقيين منصور بن جمهور، وأصبح الوضع مشحوناً بالاضطرابات، وكان هذا الدافع وراء خروج الكرماني، الذي قال لأصحابه: الناس في فتنة فانظروا لأموركم رجلاً، فقالوا أنت لنا، فاختاروه لهذه المهمة لأنهم لم يجدوا رجلاً أنسب منه، لكونه رئيس الأزد[٣].

٤ـ إضافة إلى ذلك وُجدت أسباب شخصية دفعت الكرماني إلى القيام بهذه الحركة، وهي أنه كان يطمح في ولاية خراسان، وكان قد تمادى كثيراً حتى قيل لنصر: "لو أن جُديعاً لم يقدر على السَّلطان والملك إلا بالنَّصرانية واليهودية لتنصَّر وتَهَوَّد"، فقد ذكر المدائني أن والي العراق منصور بن جمهور كتب إلى الكرماني بولايته على خراسان، وأرسل عهده مع أبي الزَّعفران ـ مولى أسد بن عبد الله ـ وعندما طلبه نصر بن سيَّار هرب، فلم يوصل عهد الكرماني، ويمكن قبول هذه الرواية على أن منصوراً لم يكن راغباً بولاية نصر بن سيَّار خاصة بعد رفضه تسليم عمله لمنظور بن جمهور، وأدرك معارضته لقدوم أي والي من خارج خراسان، لذلك عين رجلاً من داخلها حيث اختار لها الكرماني رئيس الأزد صاحب الكتلة القوية، التي ستدعمه في أخذ حقه بالولاية حتَّى لو اضطر إلى انتزاع السلطة من نصر بن سيَّار انتزاعاً[٤].

٥ـ كما أن هناك سبباً دعا الكرماني للخروج على نصر وهو كرهه وعداؤه الشخصي له، لأنه أحسنَ إليه وحقن دمه في ولاية أسد بن عبد الله القسري، لكنَّ نصراً عندما وُلِيَّ لم يحفظ له هذا الجميل وعزله

---

[١]– فلهوزن، تاريخ، ص٣٥٦.

[٢]– البلاذي، أنساب، ج٤، ص١٧٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٩٩. الدينوري، الأخبار، ص٣٥١. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٠٩. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٦.

[٣]– البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٤. الدينوري، الأخبار، ص٣٥١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٩٩. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٥.

[٤]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٥. الزعبي، نصر بن سيار، ص٩٧.

عن رئاسة الأزد، وجعلها لحرب بن عامر بن أشيم الواشجيّ، وربما يكون لهذا العمل أثر في نفس الكرماني، فلما مات حرب أعاد الكرماني عليها[١].

لم يسارع نصر في القبض على جديع بالرغم مما سمع ورأى منه، وظل يُفكر في الحلول السّلمية ـ كعادته ـ لإبعاد النَّاس عن الفتنة، ففكر مثلاً عن طريق المصاهرة السياسية بين أبنائه وأبناء الكرماني ذكوراً وإناثاً، بذلك تحييد الكرماني واستمالته إلى جانبه، إلا أن اقتراح نصر جوبه برفض المضرية له، كما أراد نصر أن يرسل مائة ألف درهم إلى الكرماني لاعتقاده أن الكرماني بخيل لا يعطي أصحابه شيئاً، وبذلك يتفرَّقون عنه، إلا أن المضريين رفضوا ذلك أيضاً[٢]. وعلى أي حال فإن الكرماني بدأ يفسد على نصر ويحرض على الفتنة، فأشارت المضرية على نصر بقتله أو بحبسه فامتنع نصر عن هذا؛ لأنه ربما أراد أن يحافظ على الهدوء في خراسان ولا يدفع الأمور إلى حافة الانفجار، سيما أن القبائل اليمانية بدأت تشعر بدورها في عهد يزيد بن الوليد، غير أن جديعاً جهر بأنه كان يرمي من طاعته للأمويين أن يطلب بثأر بني المهلب، الذين قتلهم الأمويون قتالاً لا رحمة فيه، وهو بذلك قال كلمة كان لها صدىً في قلوب الأزد جميعاً، وذلك أنهم استطاعوا أيام المهلب وأولاده أن يأكلوا خراسان، ولم يتمكنوا من ذلك بعد أيام المهالبة، ولم ينالوا في أيام أسد بن عبد الله ما كانوا يريدون، فأرسل إليه نصر بن سيار وحبسه في قهندز مرو في سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م. لكن ظل يعامله معاملة السّيّد ولاسيما أن الأزد شغبت كلها، وعبروا عن سخطهم لاستمرار سجن زعيمهم بأن قاموا بحرق منزل عزَّة زوجة نصر بن سيَّار، ولم تهدأ إلا عندما حلف لهم نصر أنه لن يتعرض له بسوء، وطلب منهم أن يختاروا رجلاً للإقامة معه، فاختاروا يزيد النحوي، لكن بقاء الكرماني في السجن لم يَطل إذ تمكن من الهرب منه بعد أقل من شهر[٣]، وما إن انتشر خبر هروبه حتى اجتمعت إليه الأزد، وسائر مَنْ بخراسان من اليمانية، وانحازت ربيعة معهم، فيما انحازت المضريَّة إلى نصر بن سيار، وعندما علم نصر بن سيَّار بخبر هروبه عاقب صاحب السجن عقاباً شديداً فضرب عنقه إلى أن مات اعتقاداً منه أنه كان متواطئاً معه[٤]، وهنا تهيأ نصر للحرب وعسكر بباب "مَرْو الرُّوذ" حيث خاطب الناس ذامَّاً للكرمانيّ قائلاً: "وُلد بكرمان، وكان كِرْمانيَّاً، ثم سقط إلى هَراة فكان هَرَويَّاً، والساقط بين الفراشَيْن لا أصل ثابت، ولا فرع نابت"، كما نال من الأزد أيضاً فقال كما قال الأخطل:

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧-٢٨٨. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٦. الثعالبي، سقوط، ص١٣٣.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٥. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٩.

[٣]- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٤. الدينوري، الأخبار، ص٣٥١-٣٥٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧-٢٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٥-٤٩٦. الثعالبي، سقوط، ص١٣٤. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٩.

[٤]- الدينوري، الأخبار، ص٣٥٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٠.

ضَفَادِعٌ في ظُلْماء لَيلٍ تجاوَبَتْ   فَدلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البحر[١]

لقد ظل جديع متأهباً للحرب وما أن بلغه عن نصر بعض الكلام حتى خرج وعسكر، وخرج نصر أيضاً، وذهب جديع إلى نوش حيث اجتمع إليه ثلاثة آلاف من اليمانية والربعية، وما إن علم نصر بحشوده حتى انطلق إلى مرو الروذ لقتاله، فسفر الناس بين نصر والكرمانيّ، وبدأت بينهما مفاوضات للصلح، سعى الكرماني لطلب الصلح قبل قيام أي تصادم عسكري بينهما، فأرسل إليه القاسم بن نجيب يطلب منه أن يؤمنه ولا يحبسه، فقال له: "إن شئت خرج لك عن خراسان، وإن شئت أقام في داره"[٢]، فأبقاه نصر وأمنه، وفيما يبدو أن طلب الكرماني الصلح كان لمعرفته أن المواجهة مع نصر لا تزال مبكرة، وأنه لم يكن مستعداً لقتاله، فهو بحاجة للمزيد من الأتباع، لذلك بادر بطلب الصلح لكي يتفادى هزيمة نصر، غير أن مدة الوفاق لم تستمر طويلاً، وحرص نصر بن سيار أن يجعل العرب في خراسان يعملون بوفاق، كما عمل على احتواء خلاف الكرماني ودياً، إذ أرسل إليه العديد من رجاله بغية التوصل معه إلى حلٍ سلمي بعيد عن الصدامات، فأرسل إليه نصر سلماً بن أحوز وعصمة بن عبد الله الأسدي، وقُديد بن منيع بن عقيل الليثي فقابله كل واحد منهم على حِدة داعينه إلى الرجوع لجادة الصواب قبل أن يتفاقم الأمر، لكن الكرماني تشدد في رفضه معلناً ذلك بأنه لا يثق بنصر ولا يأمنه، هذا وكان قصير النظر لا يقدّر عاقبة الأمور، فكلما طلب إليه أن يأخذ الأمور بالهدوء والحكمة، ازداد تمادياً[٣]، وواصل نصر بن سيَّار بذل مساعيه السلمية على الرغم من رفض الكرماني المستمر لها، لخوفه الشديد على خراسان كونها منطقة ثغرية محاطة بالأعداء، فوجَّه إليه عَقِيل بن معقل الليثيّ بمحاولة أخيرة ليردعه عما هو عليه، بيد أن الكرماني ازداد تعنتاً وتمادياً لدرجة أنه طلب من نصر بن سيار الاعتزال عن ولاية خراسان، وأن يترأس هذا المنصب رجل من بكر بن وائل (ربيعة)، وليس هذا فحسب بل طلب أن يخرج نصر من خراسان بعد أن يأخذ من الأموال ما يشاء، وقد نبَّهه عقيل إلى استحالة تحقيق هذه المطالب طالباً منه طرح شروط مقبولة، وهنا يمكن القول إن المرونة التي أبداها نصر كانت هي العامل الرئيسي الذي دفع الكرماني لهذا الحد، وكان الأجدر بنصر أن يقمع فتنته قبل أن يذرَّ قرنها. في هذه الأثناء عزل الخليفة يزيد بن الوليد منصوراً بن جمهور من العراقين، ونصَّب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز عليها الذي سرعان ما أقرَّ نصراً على خراسان مما جعله يخطب مستبشراً: "قد علمتُ أنه ـ منصور بن جمهور ـ لم يكن من عمَّال العراق، وقد عزله الله، واستعمل الطّيب بن الطّيب"، فغضب الكرماني لمنصور الكلبي

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٠. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٦. الثعالبي، سقوط، ص١٣٥. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٩. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٢.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٦. وقد أخذ نصر بمشورة سلم بن أحوز، فقد رغب في إخراجه عن خراسان لأنه لا يضمنه، لكن سلماً بن أحوز نبّهه إن فعل ذلك فسوف يُقال أخرجه لأنه هابه.

[٣]- الدينوري، الأخبار، ص٣٥٣.

اليمني، وذلك أنه توقع من عبد الله بن عمر عزل نصر بن سيار عن خراسان وتعيين غيره، فاتخذ الكرماني من قول نصر حجة لتجديد النزاع معه، فبدأ بجمع الرجال وحمل السّلاح وأظهر الخلاف، لكن نصراً ظلّ يلاطفه ويناصحه دون جدوى بل إن الكرماني قرر الخروج من مرو(١). لكن هذه لم تكن رغبة الكرماني الحقيقية، فتركه لمرو لم يكن لخوفه على أرواح المسلمين، لأن الأحداث اللاحقة تشهد بعكس ذلك، فقد تسبب بمقتل الكثيرين منهم، وعلى ما يبدو أن خروجه منها كان لإدراكه أن نصراً سيلجأ إلى استخدام العنف ضده، وأنه على الرغم من التفاف الكثير من اليمانية والرّبعية حوله فنصر ما زال يمتلك المركز الأقوى، لذلك سعى إلى الحصول على المزيد من المؤيدين له، واختيار الوقت المناسب للقضاء عليه(٢).

وقد تم الحديث سابقاً عن محاولات نصر التقرب من الحارث في صراعه ضد الكرماني، وكيف اجتمع رأي الكرماني والحارث على محاربة نصر والتي أدت في النهاية إلى مقتل الحارث سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م، فنال الجزاء العادل على أعماله، ومهما كانت آراؤه ومقاصده، فقد حالف الموت والشيطان على السلطة القائمة، وحشد قوى الخير والشر في محاربة الحكومة الأموية، وفرق كلمة تميم، وكان لاتحاد كلمتهم في ذلك الوقت الشأن كل الشأن في المحافظة على السيادة العربية(٣). وهكذا صفت مرو لليمانية والرّبعية، وأصبح الكرماني سيد الموقف فيها، وانحاز المضريون الذين أخرجوا منها إلى نصر بن سيار، وليطفئ نيران حقده على المضريَّة الذين طالما كرههم فأمر بتدمير منازلهم، واستولى على أموالهم، فتأذى المضريون من ذلك، وعبَّر شعراؤهم بمرارة وحسرة عن مصابهم(٤)

وقد سارع نصر بن سيار لاستعادة مرو من يد الكرماني لا لتلبية نداءات المضريين فيها فحسب؛ بل لأنه حين غادرها مضطراً كان مقرراً العودة إليها ثانية، فخروجه منها كان مؤقتاً لغاية محددة هي جمع قوته ليتمكَّن من النهوض بوجه الكرماني من جديد، وعندما تمَّ له ذلك أخذ يوجه إليها الحملة تلو الأخرى سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م(٥)، إلَّا أن جميعها مُنيت بالفشل، رغم أنه جعل عليها خيرة قادته وهم على التوالي: سَلْم بن أحوز المازني، وعصمة بن عبد الله الأسديَّ، ومالك بن عمرو التميميّ، ويصف الطبري قتالهم قائلاً: "فاقتتلوا قتالاً شديداً كأعظم مايكون من القتال، فانهزم أصحاب نصر، وقتل منهم سبعمائة رجل،

(١)- الدينوري، الأخبار، ص٣٥٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩١-٢٩٣. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٠-٣١٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٦-٤٩٨. الثعالبي، سقوط، ص١٣٧. فوزي، طبيعة الدعوة العباسية، ص١٦٤.

(٢)- الزعبي، نصر بن سيار، ص١٠٢.

(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٢-٤٦٣.

(٤)- ينظر الشعر عند: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٢-٣٤٣. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٨.

(٥)- ذكر الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٨.

وقتل من أصحاب الكرماني ثلاثمائة رجل[١]. وبعد فشل الحملات السابقة اضطر نصر بن سيار إلى الخروج من نيسابور بنفسه، وكان في الثمانين من العمر، في مطلع ١٢٩هـ/٧٤٧م، فترأس حملة كبرى وضع كل قوته فيها آخذاً على عاتقه استعادة مرو من الكرماني الذي تمادى في طغيانه، فتقاتلا بمرو الروذ بعد توجه الكرماني إليها، واستمر قتالهم فيها مدة ستة أشهر اتخذ كل منهما خندقاً، وظلوا كذلك دون معركة تحسم الموقف بينهم[٢]. ومن المؤكد أن قتال نصر بن سيار والكرماني جاء لصالح الشيعة العباسية، وفي هذه الأثناء وصلت إلى نصر بن سيار الأخبار باجتماع الشيعة العباسية في قرى خزاعة، فأشار عليه سلم بن أحوز "بادر القوم وهم متفرقون، تقوّ عليهم بجماعتك قبل أن يتألفوا فتروهم يمتنعون عليك"[٣].

ولما تعب نصر والكرماني من الحرب وتقهقروا تدخل أبو مسلم الخراساني بينهما، عاملاً على توسيع الشَّرخ، وأصبح يكتب مباشرة إليهما ذاكراً لكلّ واحد منهما "إنَّ الإمام قد أوصاني بكم، ولست أعدو رأيه فيكم"، وأدرك أبو مسلم أن الكرماني وأتباعه هم خير حلفائه ضد نصر بن سيَّار لضعف ولائهم للأمويين، وأنه بالإمكان الالتقاء معهم على هدف مشترك[٤]، فهم يدعون للرضا من آل محمد وهذا ما تاق الكرماني له، فبعث أبو مسلم حينما عظم الأمر بين الكرمانيّ ونصر إلى الكرمانيّ: "إنيّ معك"، فوافقه، ولكنه حينما كاتبه نصر قائلاً: "ويلك لا تغترر! فو الله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه، ولكن هلمَّ إلى الموادعة، فتدخل مَرْو، فتكتب بيننا كتابا يصلح"، فوافقه بسرعة ذلك لأنه يعرف نصراً ويجهل أبا مسلم، لكن رغم اتفاقهما على ذلك بقي الشك وسوء النية يتحكمان في العلاقة بينهما، فكان كلٌّ منهما يضمر الشر للآخر، وذُكر أن الكرماني أوصى رجلاً من أصحابه بقتل نصر بن سيار إذا اقترب الطرفان من بعضهما، كما أوصى نصر بمثل ذلك إلى أحد رجاله، غير أن الكرماني اغتيل في مكان الاجتماع من قبل ابن الحارث بن سريج الذي كان متعطشاً لدمه لكونه قاتل أبيه، وذلك في منتصف سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م[٥]. فقد ذكر الدينوري: أن الكرماني كان قد اتفق مع أبي مسلم على نصر بن سيار فأكمن

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٨. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٢- ٣١٣. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٢. وجاء عند الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٦: أن عصمة بن عبد الله الأسدي قتل قبل خروج نصر بن سيار لنيسابور في أثناء دفاعهم عن مرو على يد صالح بن القعقاع الأزديّ.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٨. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٣. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٤.

[٣]- مجهول، أخبار الدعوة، ص٢٧٤.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٩. شعبان، الثورة، ص٢٥١.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧٠-٣٧١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٢-٣٣. ابن حبيب، المحبر، ص٤٨٤. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٢٠-٣٢١. البستاني، معارك العرب، ٨٧. النص، العصبية، ص٣٣٢. فلهوزن، تاريخ، ص٣٨٦. الزعبي، نصر بن سيار، ص١٠٦.

له نصر وجماعة من أصحابه أثناء عودته من عند أبي مسلم، فالتمسوا منه غرة وتمكنوا من قتله[١]. وهناك روايات تقول إن قادة الدعوة العباسية في خراسان هم من دبروا هذه الحادثة، بسبب التقارب الذي حصل بين الكرماني ونصر، وعلى الرغم من مقتل الكرماني فقد بقيت الهدنة موجودة إلى أن أقنع دعاة الدعوة العباسية علياً بن جديع بأنَّ مَنْ دبَّر قتل أبيه هو نصر بن سيار[٢]، وقد أمر نصر بن سيَّار بصلب الكرماني، وبذلك تخلص من خصم عنيد أرهقه عدة سنوات[٣]، غير أن حركة الكرماني لم تنتهِ بمقتله إذ استمرت بقيادة ابنه علي وبمساعدة أخيه عثمان[٤].

وبعد استعراض حركة الكرماني يلاحظ أنه استفاد من اضطراب أحوال خراسان، الناتج عن الاضطراب إثر مقتل الوليد بن يزيد؛ الأمر الذي شجعه على العصيان، وقد حقق الكرماني بعض رغباته عندما جمع حوله هذا العدد الكبير من الأتباع وتمكّن من السيطرة على العاصمة مرو، وأخذ يسعى للقضاء على نصر بن سيَّار والسيطرة على خراسان.

وفي الواقع، أن معارضة الكرماني ما كانت تصعب على نصر بن سيار لو أنها لم تتصادف مع معارضة الحارث بن سريج ومعارضة آل العباس في الإقليم، فقد كان حلف مضر أقوى من حلف اليمن في خراسان، ويجب القول هنا: إن العصبية القبلية كانت قوية بينهما لكنَّهما برغم ذلك كادا أن يجتمعا ويتفقا عندما أحسَّا بخطر أبي مسلم لولا اغتيال جديع الكرماني، كما يجب أن يُذكر أنه وجدت معارضات عربية أخرى تصادفت مع المعارضات التي تم ذكرها في هذا البحث لكن المصادر الأساسية الإسلامية لم تتحدث صراحة عنها، فالقول إن شيبان بن سلمة الحروري وادع نصراً لمدة سنة يبرهن على أنه كان معارضاً مع من اتبع مذهبه من اليمنيين وخاصة الأزد[٥]، هذا واقتصرت المعارضة الهاشمية للدولة الأموية في القرن الأول الهجري على البيت العلوي، الذي ظل يرى في العراق وبالأخص الكوفة المكان الأمثل لذلك، برغم خذلان أهلها للخليفة علي وابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما، أما مع بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فقد أصبحت خراسان المركز الفعلي والعملي لكل المعارضين الهاشميين ـ ذلك لبعدها عن مركز الخلافة الأموية بدمشق وتشيع معظم سكانها ـ حيث ظهرت فيها معارضة يحيى ابن زيد العلوي.

---

(١)- الأخبار الطوال، ص٣٦٢.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧١. دراوشة، مروان بن محمد، ص٥٧.

(٣)- ذكر الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧١: أنه صلبه وإلى جانبه سمكة ليعيره بعمان وصيد السمك. وانفرد ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٢١. بقوله: "وأرسل نصر بن سيار برأس الكرماني للخليفة مروان بن الحكم".

(٤)- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٥. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٨. مجهول، أخبار، ص٢٧٥.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٥.

د- معارضة يحيى بن زيد ١٢٣-١٢٥هـ/٧٤١-٧٤٣م

تعدّ معارضة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ امتداداً لمعارضة أبيه زيد، الذي أعلن الثورة بالكوفة سنة ١٢١-١٢٢هـ/٧٣٩-٧٤٠م[١]، فقد أنكر الظلم، ودعا إلى الكتاب والسنَّة، ورد العطاء إلى من سلب منهم، والدفاع عن الضعفاء، وتوزيع الفيء بعدل بين مستحقيه[٢]، وكان قد خرج عن الخليفة هشام بن عبد الملك بعدما تناظر معه وأكرهه القول، ذلك لأنه كان يرى نفسه أولى منه بالخلافة[٣]، فانتهت ثورته بمقتله بالكوفة وتفرق عنه أتباعه، كما أن أهل الكوفة انفصلوا عنه بسبب التباين الفكري بين آراء زيد بن علي وأرائهم[٤].

ومن الجدير بالذكر أن خراسان لم تشهد حتى أواخر العصر الأموي أية ثورة شيعية إلى أن هرب يحيى بن زيد بعد مقتل أبيه وذهب إلى خراسان وأعلن عن حركته، وهناك أسباب عديدة وراء حركة يحيى ابن زيد، فقد كان العلويون عامة يعدون الأمويين مغتصبين لحقهم في الخلافة، وقد أكد يحيى بن زيد في خطابه لنصر بن سيار والي خراسان حينئذ قائلاً: "وأخذتم ما لستم له بأهل"[٥]، وكانت للسياسة التي اتبعها الخلفاء الأمويون وولاتهم ضد العلويين أثر في زيادة معارضتهم للحكم الأموي، ويتضح في قول يحيى بن زيد لنصر بن سيار عندما حذره هذا من الفتنة: "وهل في أمة محمد فتنة أعظم مما أنتم فيه من سفك الدماء"[٦]. كما أن بُعد خراسان عن مركز الخلافة كان من الأسباب التي دفعت يحيى بن زيد أن يتخذ منها مقراً له، ويعلن ثورته هناك؛ فضلاً عن ذلك ما شهدته هذه الحقبة من صراع قبلي كانت له نتائج خطيرة على وحدة الدولة، وعلى الحكم الأموي مما أفسح المجال لهذه الحركة ولغيرها من حركات المعارضة في مواجهة السلطة المركزية. ويبدو أن مقتل أبيه كان له تأثير عليه، لأنه كان من المتلازمين له، لاسيما عندما خرج الأمويون، فقد حارب إلى جانبه، ولما قُتل دفنه وتألم لمقتله، ويبدو أنه قرر القيام

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٣.

[٢]- الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٣٨.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٣٢. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٢٥. الشرقاوي، عبد الرحمن: شخصيات إسلامية، دار اقرأ، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٨.

[٤]- انظر تفاصيل خروج زيد بن علي: الدينوري، الأخبار، ص٣٤٤. ابن الطباطبا، الفخري، ص١٠٥. أبو الفداء، المختصر، ج١، ق١، ص٢٥٥. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٠٦. الإسفراييني (أبو المظفر ت٤٧١هـ/١٠٧٨م)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٩. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص٤٦٥. حاتم، نوري: زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت، مركز الغدير للدراسات، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م، ص٨٠.

[٥]- الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٨.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٣.

بحركته انتقاماً لمقتل أبيه، كما أن القساوة التي اتبعت تجاه زيد بعد مقتله، أغضبت أنصاره وحرضتهم على الانتقام فجاؤوا إلى ابنه يحيى وحرضوه على مواصلة مسعى أبيه؛ بل إن والده كان يوصيه بالخروج قبل وفاته بلحظات، فقد سأله ساعة احتضاره بمواصلة الحركة، فقال لوالده: "أقاتلهم والله لو لم أجد إلا نفسي"، وبهذا تبنى يحيى فكرة الخروج على السلطة التشريعية، ولم يأمن البقاء في الكوفة، وذلك لاقتناعه بأن الكوفة لم تعد صالحة لاتخاذها قاعدة لعدم ثقته بسكانها، لاسيما بعد أن خدعوا والده كما خدعوا جده الحسين بن علي من قبل، لذلك سار إلى خراسان لبعدها عن مركز الخلافة الأموية[١].

لقد انقسم أتباع زيد بعد قتله إلى عدّة فرق بايعت إحداها ابنه يحيى الذي آثر الاختفاء في جبانة السّبيع بالكوفة بعيداً عن أنظار الوالي يوسف بن عمر، الذي خاطب أهل الكوفة قائلاً: إن يحيى بن زيد يتنقَّل في حِجال نسائكم كما كان يفعل أبوه[٢]، ويُذكر أن رجلاً من بني أسد من أحد مؤيديه يقال له سلمة ابن ثابت أشار على يحيى بالتوجه إلى خراسان، وقال له: أن أهلَ خراسان لكم شيعة، فالرأي أن تخرج إليها، ثم قال له: تتوارى حتّى يكفّ عنك الطلب، ثم تخرج، فواراه عنده ليلة، ثم خاف، فأتى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان، وذكّره بقرابته من زيد، ثم طلب إليه أن يواري يحيى فأجابه نعم وكرامة[٣]، ويذكر أبو الفرج الأصفهاني وابن الأثير أن سلمة بن ثابت ذهب إلى يحيى بن زيد إلى نينوى، حيث ينزل على سابق مولى عبد الملك بن بشر بن مروان، الذي ترك لهم المنزل وتوجه إلى الفيوم[٤]، وبعد أن خفَّ الطلب عن يحيى خرج متوجهاً إلى المدائن ثم إلى الري، ومنها إلى قومس، ثم ارتحل بعدها إلى سرخس وأقام فيها ستة أشهر، وفي سرخس اتصل به جماعة من المحكمة عرضوا عليه أن يبايعوه على قتال بني أمية، وكاد يحيى يوافقهم الرأي لولا أن نهاه يزيد بن عمر عن فعل ذلك بقوله: "كيف تُقاتل بقوم يتبرأون من علي وأهل بيته[٥]، وتشير هذه الرواية إلى أن يحيى كان يعوزه الوعي الفكري والسياسي، فهو عجز عن اختيار أنصاره إذ أراد قبول هؤلاء رغم عداوتهم الشديدة لجده، ثم رحل يحيى من سرخس حتى صار إلى بلخ، فنزل على الحَرِيش بن عمرو بن داود الشيباني، الذي ظل مقيماً عنده سنتين كاملتين دون أن يعلم نصر

---

(١)- ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسيني ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تح: يوسف بن عبد الله، مكتبة جُل المعرفة، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٥٧. الجبوري، ولاية نصر، ص٢١٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٨٩. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٥٦.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٥٥-٤٥٦.

(٤)- مقاتل الطالبيين، ص١٤٦. الكامل، ج٤، ص٤٥٥. ويذكر ابن الأعثم إن يحيى نزل على قوم من اليهود واستجار بهم، وأن عامل المدائن البختري المختار أعطى يحيى عشرة آلاف درهم، ثم قال له الحق بأي بلد شئت، بعد أن رفض أمر الوالي بالقبض على يحيى؛ مما يدل على تعاطفه معه. الفتوح، ج٨، ص٢٩٥. أما الأصفهاني يذكر أن نزوله بالمدائن كان على دهقان أهلها إلى أن خرج منها. مقاتل الطالبيين، ص١٤٦.

(٥)- البلاذري، أنساب، ج٣، ص٤٥٤. الأصفهاني، مقاتل، ص١٤٦.

ابن سيار، وقد أقام عنده حتى وفاة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م وتنصيب الوليد بن يزيد[١]. ويبدو أن انتقال يحيى من مدينة إلى أخرى كانت هرباً من متابعة يوسف بن عمر، إلا أن عيون يوسف بن عمر أمير العراقيين بالمدينة كشفت السر فبعثت إلى نصر قائلاً: "ابعث إلى الحريش ويأخذ منه يحيى أشدَّ الأخذ"[٢]. فكتب نصر إلى عامل بلخ عَقِيل بن معقل العجليّ، يأمره أن يأخذ الحرِيش ويزهق نفسه ويدفع إليه يحيى، فبعث عقيل إلى الحريش ليسأله عن يحيى فأنكر وجوده فهدده وقال: والله لأزهقن نفسك أو تأتيني به، لكن الحريش رفض ذلك، عند ذلك خاف قُرَيش بن الحريش على مصير والده، فدلهم على مكان يحيى، فألقى عقيل القبض عليه مع مجموعة من أصحابه منهم يزيد بن عمرو، والفضل مولى عبد القيس، فحبسهم نصر في قهندز مرو، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بالقبض على يحيى بن زيد، فكتب يوسف بذلك إلى الخليفة الوليد بن يزيد، غير أن الخليفة كتب إلى نصر "يأمره أن يؤمِنَه ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه"[٣]. فأخرجه نصر من السجن ثم أمره بتقوى الله وحذَّره الفتنة، وأمره أن يلحق بالوليد بن يزيد في دمشق، وأمر له بألفي درهم وبغلين، وقد تعامل نصر معه بكل عطف وكرم، وراح يحيى يتنقل بين البلدان ولم يذهب إلى الخليفة وتظاهر بالعدول عن معارضته أمام نصر الذي اعتقد ذلك فعلاً، لكنه ما إن وصل إلى مدينة سَرَخْس حتى مكث فيها مخالفاً لأوامر الوالي الذي طلب منه الذهاب إلى الخليفة، فكتب نصر بن سيار إلى عامله على سرخس عبد الله بن قيس بن عباد البكري يأمره بإخراج يحيى منها[٤]، ويبدو أن هدف نصر بن سيار إبعاد يحيى عن خراسان، حتى يجنبها قيام حركة عسكرية قد تؤدي إلى اضطرابات خطيرة بعد أن هدأت الأحوال فيها، ولكن فيما يبدو أن يحيى غير راغب في الخروج منها والتوجه إلى العراق، وذلك لخوفه من يوسف بن عمر، لذلك قرر البقاء في خراسان والاستقرار فيها، وكتب نصر إلى عامله على طوس الحسن بن زيد التميميّ "انظر يحيى بن زيد فإذا مرَّ بكم فلا تَدَعه يقيم بطوس حتَّى يخرج منها، فلما وصل يحيى أشخصه عامل طوس بعد أن وكَّل به سرحان بن فرُّوخ بن مجاهد العنبريّ الذي كان على المسلحة، فسار معه حتى أوصله إلى نيسابور، وما إن وصل يحيى إلى نيسابور حتى أخذ دواباً من بعض التجار وخرج ثائراً، فكتب عاملها عمرو بن زرارة

---

[١]– البلاذري، أنساب، ج٣، ص٤٥٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٨. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٢٩٦. الأصفهاني، مقاتل، ص١٤٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧١. مجهول، أخبار، ص٢٤٣. ابن العبري، تاريخ مختصر، ص٢٠٣.

[٢]– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧١.

[٣]– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٨. الأصفهاني، مقاتل، ص١٤٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٧. ابن العماد، شذرات، ج٢، ص١٠٩. العمرو، هشام، ص١٧٠. الزعبي، نصر بن سيار، ص١١٧–١١٨.

[٤]– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٨–٢٢٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٢.

إلى نصر حتى يأخذ قراراً في الأمر، ثم أشخصه إلى بَيْهق[١]، فلما صار إلى بيهق اجتمع إليه قوم من الشيعة، فقالوا: حتى متى ترضون بالذلة واجتمع معه نحو مائة وعشرين رجلاً فاتجه إلى نيسابور، فخرج عمرو بن زرارة فقاتل يحيى، فظهر عليه يحيى فهزمه وأصحابه وأخذ أسلحتهم، ثم سار يريد بلخ"[٢]، محاولاً أن يبر بالعهد الذي قطعه على نفسه أمام أبيه قبل موته[٣]، أما الرواية التي تقول بأن يحيى بن زيد عندما وصل إلى بيهق خاف أن يغتاله يوسف بن عمر[٤]، فهي أقرب إلى تضليل الحقيقة، لأن يحيى خرج بأمان الخليفة، وكان باستطاعته أن يتجنب طريق الكوفة ويذهب إلى الشام عن طريق آخر؛ ومهما يكن فقد توجه يحيى إلى هراة، مجتنباً طريق طوس ـ سرخس ـ مرو محاولاً تجنب أي مواجهة عسكرية، فمرّ بهراة ونزل الجوزجان، ويبدو أنه كان يريد الوصول إلى بلخ لوجود من يؤيده فيها[٥]، غير أن نصراً حال بينه وبين نواياه، فسرّح إليه سلماً بن أحوز المازني في ثلاثة ألاف مقاتل، فضلاً عن جيش آخر تعداده سبعة آلاف مقاتل قاده نصر بنفسه، وكان يحيى بن زيد قد التأم إليه سبعمائة فارس، فالتقوا بقرية من قرى الجوزجان يقال لها "أرغونة" فاقتتلوا ثلاثة أيام، فقتل يحيى وشيعته وكان مقتله في رمضان ١٢٥هـ/٧٤٣م، وقد احتز رأسه وأخذ سلَبه وقميصَه رجل من موالي عنزة يُقال له عيسى، فأرسل نصر رأسه إلى يوسف بن عمر الذي بدوره أرسله للخليفة الوليد بن يزيد، وصلبت جثته على باب الجوزجان، وبمقتله كانت نهاية حركته[٦]، فلم يزل مصلوباً حتى استولى أبو مسلم على خراسان فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر النِّياحة عليه، وأخذ من ديوان جند خراسان أسماء المشاركين في قتله، فقتل الأحياء منهم، وخلَّف سوءاً في أهل الموتى منهم[٧]، وكان من الذين قتلهم إبراهيم بن البيطار، وهو شيخ كبير أشرف أبو مسلم على قتله[٨].

---

[١]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٩. الأصفهاني، مقاتل، ص١٥٦. مجهول، أخبار، ص٢٤٣. الزعبي، نصر، ص١١٨.

[٢]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٩. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٢٩٦. النعيمي، الخلافة الأموية، ص١٧٥.

[٣]– ابن عنبة، عمدة الطالب، ص٢٥٧.

[٤]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٢.

[٥]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٩-٢٣٠. الأصفهاني، مقاتل، ص١٤٩.

[٦]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣٠. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٠٠-٣٠١. الأصفهاني، مقاتل، ص١٥٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٧. مجهول، أخبار، ص٢٤٤. الخليلي، موسوعة، ص٨٤.

[٧]– الأصفهاني، مقاتل، ص١٥٠. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٢. الحميري، الروض، ص١٨٢. ابن العماد، شذرات، ج٢، ص١٠٩.

[٨]– الجاحظ، البُرصان والعرجان والعُميان والحُولان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٩٠.

وكان قادة الدعوة العباسية في خراسان قد حذّروا شيعتهم من الخروج مع يحيى بن زيد، فقد قال لهم بكير بن ماهان: فلا يخرجنَّ معه أحد منكم، ولا يسعى في شيء في أمره فإنه مقتول(١)، وذلك كي لا يذوبوا في شيعته، فيتأثروا بآرائه وأهدافه، وحتى لا يُقضى عليهم(٢). ويعبر رأي الشيعة العباسية عن اختلاف الرؤية بين الزيدية "التي تُعدُّ مذهباً قائماً بذاته يدعو إلى تصحيح الكثير من الانحرافات التي لحقت بشيعة آل البيت"(٣). وبين الدعوة العباسية التي ابتدأت جذورها أصلاً في الكيسانية(٤)، والتي كانت تستفيد من كل الحركات المناهضة للدولة الأموية في خراسان حتى لم يبق في النهاية سوى أنصار دعوتهم في ساحة الصراع والذين زالت على أيديهم دولة بني أمية.

لقد كانت آثار معارضة يحيى بن زيد سيئة جداً على الدولة الأموية، وذلك لأنها كانت أول معارضة علويّة تقوم في خراسان البلد الذي يتعاطف معظم سكانه مع العلويين منذ أن تزوج الحسين بن علي ﷺ بشهرباتوه (شاهبانو) ابنة يزدجرد الثالث(٥)، لهذا شهدت خراسان حزناً كبيراً على موت يحيى(٦)، فقد بكاه أهلها، وسَوّدوا لباسهم عليه(٧)، وسموا كل مواليدهم الذكور باسمه أو باسم أبيه(٨)، ومع ذلك ما كانت هذه العواطف لتترك آثارها على الدولة الأموية، لو لم تستغلَّها الدّعوة العبّاسية التي كانت تنشط في الإقليم، حيث ارتكز عليها الدّعاة وأظهروا أنفسهم بمظهر الآخذين بثأر آل البيت(٩)، لذا ظهر أمرهم وكثر من يأتيهم ويميل معهم وجعلوا يذكرون الناس أفعال بني أمية، وما نالوا من آل رسول الله، حتى لم يبقَ بلد إلا فيه هذا الخبر وظهر الدَّعاة ورُؤيت المنامات(١٠).

٤- نتائج العصبية القبلية وحركات المعارضة

كان للعصبية القبلية شأن خطير جداً في توجيه السياسة الأموية، وأن دور التناحر القبلي والتمايز العشائري لم يقف عند حد الانتصار لوالٍ أو زعيم أو الوقوف ضد آخر؛ بل إنَّه تعدى ذلك إلى أن يحدث

---

(١)- مجهول، أخبار، ص٢٤٢. الزعبي، نصر بن سيار، ص١٢٠.

(٢)- عطوان، حسين: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٩٩.

(٣)- أبو زهرة، الإمام زيد، ص١٨٤.

(٤)- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٦٨.

(٥)- آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٨. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص١٨٢-١٨٣.

(٦)- قتل يحيى بن زيد وعمره ١٨ عاماً، ولم يعقب إلا ابنة واحدة توفيت بعده وهي صغيرة. ابن حزم، جمهرة، ص٥٦.

(٧)- حسن، ثورة زيد، ص١٥٢.

(٨)- ابن العماد، شذرات، ج٢، ص١٠٩. هدّارة، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٨.

(٩)- حسن، ثورة زيد، ص١٥٢.

(١٠)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٦.

آثاراً بعيدة المدى في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية، وإن كانت الدولة الأموية قد شهدت نمواً متزايداً للعصبية القبيلية فإن الدولة نفسها قد لاقت الأمرَّين من هذه العصبية وكانت إحدى معاول سقوطها، وذلك حين لم تستطع القبائل في خراسان من إخماد الثورة العباسية نتيجة لتفككها وتناحرها، ومما يلاحظ هو أنَّ النمو المتزايد للعصبية إنَّما شهدته السنوات الأخيرة من حكم بني أمية.

فلابد في نهاية الحديث عن العصبية القبلية وحركات المعارضة التي وقعت في خراسان خلال العصر الأموي من التعرض لأهم النتائج التي تمخضت عنها، وأول ما يمكن ذكره هو تلك الأعداد من القتلى التي وقعت ضحية لتلك الصدامات الدامية، فقد أسفرت الحرب التي وقعت بين مضر وربيعة عند هراة عن ثمانية آلاف قتيل من بكر بن وائل[١]، عدا من قتل من مضر وباقي قبائل ربيعة، فضلاً عن القتلى الذين وقعوا خلال عامين من الحرب التي دارت رحاها بين ابن حازم وبني تميم سنة ٦٦هـ/٦٨٥م[٢]، وتلك التي وقعت في أثناء تمرد الحارث بن سريج وجديع الكرماني[٣]، مما كان له الأثر الكبير في إضعاف السلطة العربية على الأراضي التابعة لها، ففي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م استغل الترك الحرب التي وقعت بين مضر وربيعة فهاجموا خراسان حتى وصلوا إلى قصر أسفاد وحصروا من به من المسلمين[٤]، كما كان لهذه الحركات الدور الكبير في إعطاء الفرصة لرجال الدعوة العباسية لنشر مبادئها ولنجاحها، وأدى في النهاية إلى قيام الدولة العباسية وزوال دولة بني أمية[٥].

ولم يكن ذلك العراك يسكن إلا إذا كانت حروب خارجية مع الصغد والترك، فهناك تجتمع كلمتهم ويلتئم صدعهم للدفاع عن أنفسهم، فإذا عادوا عاد الفساد واستغل خصوم البيت الأموي أكبر استغلال، كما أن تعدد الأطراف التي اشتركت في النزاع وتباعد المواطن التي ظهر فيها، واعتماد الولاة على القبلية أدى إلى ظهور الاضطرابات المحلية العصبية في كثير من أنحاء الدولة ولاسيما منذ بداية القرن الثاني الهجري، وانتشار هذا النزاع القبلي في الطرف الشرقي للدولة في خراسان، كل هذا ساعد على نجاح العباسيين في حركتهم الدعائية العسكرية لإسقاط الأمويين، لقد كان من نصائح أبو مسلم لجنوده: "أكثروا من ذكر الضغائن والأحقاد فإنها تبعث على الإقدام"، فعمل أبو مسلم على ضرب كل شعب بالآخر حتى تم له الظفر.

والمفيد ذكره أن الأمويين لم يستطيعوا في الواقع القضاء على المعارضة القبلية؛ وإنما استطاعت القبيلة أن تؤثر في السياسة الأموية، بتسريبها إلى تكوين البيت الأموي وامتزاجها بالسياسة العليا للدولة

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٥

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٧٧-٨٠.

(٣)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٤٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٠-٣٤٢.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٨٥.

(٥)- الدينوري، الأخبار، ص٣٥٥.

وسيطرتها على عقول الولاة ومشاعرهم في إدارة شؤون ولاياتهم[١]، والذي ينظر إلى أمر الفتن القبلية يلاحظ أنها تشتد حينما يضعف أمر السلطان، وتتكمش حينما تُحكم الدولة سيطرتها على المناطق، ثم إنَّ هذه الفتن توجهها مصالح شخصية في أغلبها بحيث يتسابق الناس إلى المطامع والخيرات.

وقد كان لشعراء العرب الذين نبغوا في هذه الدولة يدٌ كبرى في إنماء هذه العصبية، فمن قرأ أشعار الأخطل والفرزدق وجرير وغيرهما من شعراء القبائل المختلفة يتجلى له ذلك، لا شيء أضر على الأمم من أن تنقسم طوائف فتنتمي إلى عناصر مختلفة وكل طائفة تتعصب لعنصرها[٢].

---

[١]- أحمد، الخلافة الأموية، ص١٧٥.

[٢]- إبراهيم، بكر محمد: الدولة الأموية، مركز الراية للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٢٥.

الفصل الرابع

الإدارة والسياسة المالية في إقليم خراسان

أولاً: الإدارة في إقليم خراسان

١- التقسيمات الإدارية:

أ- **الأوضاع الإدارية في خُرَاسان قبل الفتح العربي**

ب- **الأوضاع الإدارية في خراسان بعد الفتح العربي**

٢- الولاة والعمال في إقليم خراسان:

أ- **تبعية خراسان إدارياً للعراق**

ب- **أهم الولاة وأعمالهم في خراسان**

ج- **العمال على الأقاليم الإدارية في خراسان**

٣- المؤسسات الإدارية:

أ- **الدواوين وتدوينها ومراحل تطورها**

ب- **أهم الدواوين في خراسان في العصر الأموي**

ج- **تعريب الدواوين**

د- **الشرطة**

هـ- **القضاء**

ثانياً: السياسة المالية في إقليم خراسان

١- بيت المال

٢- موارد إقليم خراسان في العصر الأموي

٣- نفقات إقليم خراسان في العصر الأموي

٤- تعريب النقود

٥- الإجراءات الإصلاحية لنظام الضرائب في خراسان:

أ- **إصلاح نظام الضرائب في خراسان في العصر الراشدي**

ب- **إصلاح نظام الضرائب في خراسان في العصر الأموي**

١. إصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)

٢. الإجراءات الإصلاحية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك

* إصلاحات أشرس بن عبد الله السلمي (١١٠هـ/٧٢٨م)

* إصلاحات نصر بن سيار (١٢١هـ/٧٣٨م)

أولاً: الإدارة الأموية في إقليم خراسان

الإدارة هي مجموعة الممارسات التي تتخذها المؤسسات الحاكمة لتأمين السيطرة وضمان الأمن والاستقرار والحفاظ على الكفاءة والعمل وزيادة الإنتاج، ويكون نجاحها بمقدار قدرتها على تحقيق أهدافها المرسومة، وتشكل خبرات القائمين بالإدارة ومكانتهم دوراً في تنفيذ الخطط وتسيير شؤونها، وعند دراسة الإدارة في إقليم خراسان لا بد من مواجهة صعوبات غير قليلة يأتي في مقدمتها أن المعلومات عن الوظائف الإدارية عموماً غير الكاملة، فبعض هذه الوظائف لا تذكرها المصادر على الرغم من أن مقتضيات الأحوال تستلزم وجودها، وبعضها لم تذكر عنه المصادر إلا اسمها أو معلومات مقتضبة من أزمنة وأمكنة متباعدة، مما يجعل من الصعب تقديم صورة كاملة عنها.

هذا وإن الظروف والأحوال السائدة في أوائل عهود تكوين الدولة قضت عليهم بالاهتمام بأمر توسيع رقعة الدولة وحماية حدودها وضبط الأمن وإقرار السلام في أرجائها، وتنظيم علاقة الخلافة بالأقاليم المفتوحة في الأمور المالية والإدارية[١]. وبقدر ما كان العرب شديدي الحرص على نشر الإسلام في تلك الربوع، إلا أن الرؤية الواقعية لحال الإدارة وتناسب فعاليتها وإدارتها لم يكن ليشكل عائقاً أو عقدة مستحكمة، يمكن أن تفسر بأن العقل العربي كان عاجزاً عن الابتكار والتجديد، بقدر ما كانت روح التسامح هي السائدة على الذهنية العربية، التي وجدت أنه من الصعب أن يُطاح بأسلوب إداري منظم تم له النجاح وتفاعل معه سكان خراسان وفهموه بسلاسة وبدون تعقيد، ولذا فقد أقر العرب الدهاقين والأمراء على مدنهم أو قراهم وأقروا الفلاحين على أراضيهم[٢].

وفي أثناء الفتح العربي لإقليم خراسان وجد العرب في المدن الخراسانية حكاماً هم المرازبة والذي تصرف كل واحد منهم أمام الجيش العربي الفاتح على أنه الممثل المستقل لمقاطعته، وتم الاستيلاء على العديد من المدن الخراسانية بعد مقاومة شديدة، ومع ذلك عقد الحكام المحليون في هذه المدن معاهدات واتفاقيات مع العرب الفاتحين، ضمنت لهم استمرار سلطانهم القديم في ظل النظام الجديد[٣].

ولما كانت خراسان تقع في أقصى مشرق الدولة العربية ولها حدود مكشوفة طويلة غير محصنة، ومعرضة لهجمات سكان أواسط آسيا المعروفين بقدرتهم على القتال وهي بعيدة عن مركز الخلافة الأموية، وعن جزيرة العرب والعراق التي كانت تمد الدولة بالمقاتلين، فإن هذه الأوضاع الخاصة كان لها أثر في تكييف إدارة خراسان[٤]. ولذا فإن العرب عندما فتحوها أبقوا بعض الأنظمة الإدارية المحلية

---

(١)- العلي، إدارة خراسان، ص٣١٣.

(٢)- فوزي، الإدارة العربية، ص١١٨.

(٣)- شعبان، الثورة العباسية، ص٤٠.

(٤)- العلي، إدارة خراسان، ص٣١٤.

القديمة ووضعوا قواعد جديدة لنظام عربي إسلامي جديد ليحل مكان النظام الساساني، وكان معاوية المؤسس الأول للدولة الأموية يعدُّ إدارياً من الطراز الأول، فقد وضع الأسس واللبنات الأولى لهذه الدولة، ثم جاء من بعده المؤسس الثاني عبد الملك بن مروان وأضاف تحسينات إدارية تتناسب والعصر الذي عاش فيه، ولا شك أن قوة تماسك النظام الإداري أمر ضروري جداً للدولة، يساعدها على الفتوحات والمعارك ضد أعدائها.

١- التقسيمات الإدارية:

ذكرت كتب الفتوح والمصادر الجغرافية معلومات عن التقسيمات الإدارية لإقليم خراسان منذ الفتح العربي[١]؛ فعندما قسّم البلدانيون العرب أرض المعمورة إلى أقاليم ذكروا بأن المشرق يمثل ربع المملكة، وأن خراسان في الربع الأول من الإقليم الرابع[٢]، قد ارتبطت خراسان من الناحية الإدارية بالبصرة التي كانت قاعدة فتوح خراسان ومنها أغلب المقاتلين الذين شاركوا في الفتح، وتختلف الروايات بشأن التقسيمات الإدارية، لأن أخبار المؤرخين والجغرافيين لا تتطابق لعدم معاصرتهم بعضهم لبعض، ولأن كلاً يروي ما يحصل في زمانه.

أ- الأوضاع الإدارية في خُرَاسان قبل الفتح العربي:

كانت المدنية الساسانية استمراراً لمدنية الأشكانيين إلا أنها كانت في الوقت نفسه تجديداً وتتمة لها[٣]، فقد واجهت الدولة الساسانية في البداية بلداً مجزءاً إلى ممالك صغيرة متعددة، وأن عظمة هذه الدولة تكمن وراء المركزية التي أوجدتها ووضعت قواعدها عن طريق توثيق الرابطة بين السلطة المركزية والأقاليم التابعة لها، هذا بالإضافة إلى اتخاذ دين رسمي للدولة[٤]، فقد شهدت أحوال الحياة العامة والتنظيم الإداري للدولة الساسانية تغييراً مختلفاً في القرون الأربعة التي دامت فيها الإمبراطورية التي أسسها أردشير، غير أن الهيكل الاجتماعي والإداري الذي أنشأه أو أكمله مؤسس الأسرة الساسانية قد بقي حتى نهايتها من الأمور الكبرى[٥].

كان لخُرَاسان أهمية كبيرة لدى الساسانيين الذين كانوا لا يعينون لإدارتها إلا المرشحين لولاية العهد، ومن الولاة الذين تولوا إدارة خُرَاسان سابور بن أردشير، الذي بنى مدينة نيسابور فيها، وهرمز في عهد

---

(١)- الحديثي، أرباع، ص١٩.

(٢)- اليعقوبي، البلدان، ص٧١. ابن رسته، الأعلاق، ص ٩٧. المقدسي، البدء، ج٤، ص٥١. الحديثي، أرباع، ص١٩.

(٣)- كريستنس، إيران، ص٨٤.

(4) –Ghirshman. R: Iran from the Earliest time to the Islamic conquest, London, 1954, p.312.

(٥)- كريستنس، إيران، ص٨٤- ٨٥.

والده سابور، ثم نرسي في عهد شقيقه بهرام(١)، ويعود سبب اهتمام الساسانيين بها، لما ساد فيها من ظروف معقدة جاءت بفضل موقعها النائي الذي جعلها مأوى لكثير من الحركات المعارضة للساسانيين كالمانوية والمزدكية وبعض من النصارى واليهود، ممن اضطهدتهم الدولة الساسانية، وقد وجدت هذه الفرق فيها مكاناً ملائماً تلجأ إليه(٢)، حتى بات وجودهم يشكل خطراً يهدد الدولة ونظامها، كما كان لموقعها الحدودي أثر في اتخاذهم لها قاعدة عسكرية لتنظيم وإدارة حربهم في الجبهة الشرقية، وصد تحركات جيرانهم الترك(٣). لذلك اهتم الساسانيون بقوة حامية خُرَاسان العسكرية، وسعوا إلى الإكثار من الوجود العسكري فيها(٤)، وأسند منصب قيادة الجيش ومهمة الحفاظ على أمن تلك المنطقة إلى موظف عسكري يٌعين من قبل الحكومة الساسانية مباشرة، يلقب إصْبَهْبذ المشرق أو إصْبَهْبذ خُرَاسان، ففرَّق أنوشروان هذه المرتبة بين أربعة إصْبَهبذيين منهم: إصْبَهبذ المشرق وهو خُرَاسان وما والاها، وإصْبَهبذ المغرب، وإصْبَهبذ نيمور وهي بلاد اليمن، وإصْبَهبذ أذربيجان وما والاها، وهي بلاد الخزر وما والاها، هؤلاء الأربعة هم أصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة، وكل واحد على ربع المملكة وقد جمع إليهم السلطة العسكرية والإدارية(٥). يذكر ابن خرداذبة(٦): أن المشرق ربع المملكة، وأن خراسان كانت تحت يدي إصبهبذها بادوسبان، وأربعة مرازبة إلى كل مرزبان ربُع من خراسان، فربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها، وربع إلى مرزبان بلخ وطخارستان، وربع إلى مرزبان هراة وبوشنج وباذغيس وسجستان، وربع إلى مرزبان ما وراء النهر. وتثير رواية ابن خرداذبة شكوكاً في ذهن الباحث، فقد عرف في زمن الفتوحات العربية بأن نهر المرغاب كوّن الحدود الشرقية للإمبراطورية الساسانية، أو بعبارة أخرى أن خراسان الساسانية تكونت في ذلك الوقت من مقاطعة نيسابور والتي تشتمل على منطقة قوهستان ومدينتي مرو الشاهجان ومرو الروذ وما يتبعها من مقاطعات غرب المرغاب، وفي الحقيقة إن مرو ومرو الروذ كانتا تمثلان المراكز الخارجية للحدود الشرقية(٧)، ويظهر على رواية ابن خرداذبة نوع من الارتباك، فهو يتكلم عن أرباع خراسان في العصر الساساني، ولكنه في الوقت نفسه أهمل نيسابور التي كانت مقراً لإدارة الإقليم في ذلك العصر، هذا بالإضافة إلى أنه يذكر الإصبهبذ بادوسبان وكانت التسمية الأولى قد أقرت بعد أن ارتقى كسرى أنوشروان عرش الساسانيين، بينما كانت

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٨، ٧٧. العلي، تقسيمات خُرَاسان الإدارية، ص٧٧٢.

(٢)- العلي، إدارة خُرَاسان، ص٣١٥.

(٣)- ابن الفقيه، مختصر، ص٣١٦.

(٤)- كريستنس، إيران، ص٧٧. العلي، إدارة خُرَاسان، ص٣١٤.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٢، ص٩٩-١٠٠. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٦)- المسالك والممالك، ص١٨.

(7) -Gibb, The Arab, p. 10.

التسمية الثانية قبل عهد أنوشروان، فقد كانت مهمة البادوسبان والذي يعرفه اليعقوبي "دافع الحدود"[١]، مهمة عسكرية واجبها حماية الحدود الشرقية للدولة الساسانية.

أما التقسيم الإداري الذي أوجده أنوشروان فهو يقوم على تقسيم مملكته إلى أربعة أقسام وجعل كل قسم منها تحت يدي إصبهبذ الذي أصبح واجبه ليس دفع الأعداء فقط وإنما الإشراف الكامل على الإدارة[٢]، ولذلك أكد كريستنسن[٣] على أن العظماء الذين يتردد ذكرهم في الطبري هم "الضباط الكبار" وهم أعلى ممثلي الإدارة في الدولة الساسانية. كما أن ابن خرداذبة جعل ما وراء النهر من أرباع خراسان التي لم تعرف حاكماً أجنبياً أو ولاة يمثلون ملكاً أجنبياً منذ سقوط دولة الكوشان، وعلى نقيض ما تذكره الروايات التاريخية فإنه لم يحدث أن حكم ولاة الساسانيين بلاد ما وراء النهر[٤]، لكن تأثير المدنية الإيرانية في العهد الساساني قد بدأ يحل محل المدنية الهندية في آسيا الوسطى[٥]. ومما يدعم هذا الرأي، ما يذكره صاحب كتاب حدود العالم "أن ملك خراسان في الزمن القديم كان مميزاً عن ملوك ما وراء النهر"[٦]. وفي النهاية لا بد من الأخذ برأي بارتولد الذي قال فيه: "إن تقسيم خراسان إلى أربع مرزبانيات إنما يتفق مع تقسيم آخر للمنطقة سيتم التعريف به في العصور الإسلامية تحتل فيه نيسابور مكان بلاد ما وراء النهر"[٧]، وهذا يدعم الاعتقاد بذكر ابن خرداذبة[٨] بأن مرو الشاهجان تمثل الربع الأول من خراسان، ومعنى ذلك أنها قصبة الإقليم، ولم تكن مرو تحتل هذه الصفة إلا في صدر الإسلام واستمرت إلى زمن الدولة الطاهرية.

وعندما قام الساسانيون بتقسيم إدارة خُرَاسان إلى أربعة أقسام إدارية يحكم كل قسم منها مرزبان، أسندت إدارة كل ربع من هذه الأرباع إلى هيئة محلية تتألف من عدد من الموظفين بمناصب إدارية مختلفة منها:

---

(١)– تاريخ، ج١، ص٢٠٣.

(٢)– اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٠٢.

(٣)– إيران، ص٩٨.

(٤)– بارتولد، تركستان، ص٣٠١.

(٥)– بارتولد، تاريخ الترك، ص٤٠.

(٦)– مؤلف مجهول، ص٧٨.

(٧)– بارتولد، تركستان، ص٣٠١ الهامش ٢٤.

(٨)– المسالك والممالك، ص١٨.

١- **منصب المرزبان:** المرزبان كلمة فارسية تعني: صاحب الثغر وهي تتألف من مقطعين: "مرز" وتعني الثغر أو الحد، و"بان" وتعني القيِّم على الحد أو صاحبه[١]، فقد عين الساسانيون على كل ربع من الأرباع المذكورة مرزبان مسؤول عن إدارته، وهو يعين بموافقة الأكاسرة[٢]. ويختار هؤلاء المرازبة من بين أفراد الأسر المعروفة ممن ينتمون إلى طبقة النبلاء والأشراف ويحمل كل منهم صفة ملك (شاه) إلا أنهم لا يتوارثون الحكم، وكان لكل منهم لقب خاص فملك نَيْسابور كان يلقب بـ"كنار"، وملك مَرْو "ماهويه"، وملك مرو الروذ "كيلان"، وملك نسا وأبيورد "بهمنة"، وملك سرخس "زاذويه"، وملك كابل بـ"كابل شاه"، وكلك بخارى بـ"بخارخداه" وملك ما وراء النهر بـ"كوشان شاه"[٣]. وتمتع مرازبة خُرَاسان بسلطات عسكرية واسعة، وذلك لأن أكثر مدن خُرَاسان وأهمها تعد من المدن الحدودية؛ مما يتطلب من مرازبة تلك المدن القيام بواجب حماية الحدود من الأعداء[٤]، وغالباً ما كان مرازبة خُرَاسان يعملون في الجيش تحت رئاسة الإصبهبذ في أثناء الحروب، إذ كان لكل من هؤلاء الملوك المحليين جيش وبلاط يتناسب وأوضاعه ومسؤولياته في ضبط الأمن وتنظيم وإدارة شؤون القضاء وجباية الأموال وتنظيم أمور الري[٥].

٢- **منصب الشهَّرَج:** كان هناك الشهارجة الذين يساعدون المرازبة في الإدارة، ويتولى مهمة رئاسة الكور، إذ كان لكل كورة رئيس يدعى الشهرج وهو ينتخب من بين الدهاقين[٦].

٣- **منصب الديهيك** (الدهقان)**:** مهمته رئاسة القرية[٧]، ومما هو ملاحظ كثرة الدهاقين في قرى ومدن خُرَاسان وقد ذكر البلدانيون ذلك في معرض حديثهم عن سكان تلك المدن، فقد وصف اليعقوبي سكان مدينة مرو بقوله: "وأهلها أشراف من دهاقي العجم"، كما وصف سكان مدينة هراة بقوله: "وأهلها أشراف من العجم"[٨]. ووصف ابن حوقل سكان الجوزجان بقوله: "وفي أهلها دهقنة"[٩].

---

(١)- المسعودي، التنبيه، ص١٩١. شير، الألفاظ الفارسية، ص١٤٥. الباشا، حسن: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٤٦٩.

(٢)- ابن خرداذبة، المسالك، ص١٨. العلي، تقسيمات خُرَاسان الإدارية، ص٧٨٢.

(٣)- ابن خرداذبة، المسالك، ص٣٩. البيروني، الآثار، ص١٠٠-١٠١.

(٤)- شعبان، الثورة، ص٣٩.

(٥)- العلي، إدارة خُرَاسان، ص٣١٤.

(٦)- اليعقوبي، تاريخ، ج١، ص٢٠٣. كريستنس، إيران، ص١٢٩.

(٧)- كريستنس، إيران، ص١٢٩.

(٨)- البلدان، ص٤٨-٤٩.

(٩)- صورة، ص٣٧٠.

وكان هؤلاء الدهاقين يمتلكون العقارات والأراضي الزراعية الواسعة، وكانوا يتمتعون بنفوذ إداري كبير في خُرَاسان، من خلال سعيهم لحصر إدارة الإقليم المحلية بأيديهم[١]، ولم يقتصر نفوذهم الإداري على رئاسة القرى، أو الرساتيق والكور، بل كان منهم رؤساء للأقاليم[٢]، وأمراء للمدن الكبيرة، لهم ألقاب خاصة، منها صاحب وعظيم[٣].

كما كان الدهاقين يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للإدارة المحلية، وكان هؤلاء الدهاقين كعجلات لا غنى عنها في آلات الدولة قليلاً ما يظهرون في الحوادث التاريخية الخطرة، ومع ذلك كانت لهم قيمة لا تقدر من حيث إنهم أساس متين للإدارة وبناء الدولة. وقد كانوا همزة الوصل بين الفلاحين وممثلي الحكومة المركزية، وكانوا مسؤولين أمام الإدارة عن جباية الضرائب، وكان شأنهم شأن رجال الدين وقادة الجيش والكتاب معفيين من ضريبة الرأس (الخراج) والتي يقع العبء منها على المهنة وهم الزراع والتجار وسائر أهل الحرف[٤].

ب- الأوضاع الإدارية في خراسان بعد الفتح العربي:

ولما كانت خراسان قد فتحت عنوة فإن العرب كان لهم بحق الفتح أن يفرضوا على البلاد المفتوحة ما يرتؤونه من النظم والتنظيمات[٥]، ويبدو أن العرب أبقوا تقسيم خراسان إلى أرباع منذ بداية الفتح العربي، وأصبح هذا النظام هو السائد طيلة العصر الأموي، وحاول ولاة خراسان الأوائل إرساء بعض الأسس في إدارة خراسان، تماشياً مع مراحل الفتح، ومع طبيعة البلاد نفسها، فقد أجمعت المصادر التاريخية إن إدارة إقليم خراسان في عهد الخليفة عثمان بن عفان قد جمعت إلى قيس بن الهيثم السلمي الذي استمر عمله على خراسان حتى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ[٦]. لكن المصادر اختلفت حول التقسيمات الإدارية التي أوجدها عبد الله بن عامر في إقليم خراسان بعد أن أتم عملية فتحه وقبل أن تجمع إدارته إلى قيس ابن الهيثم، فبينما يذكر البلاذري أن عبد الله بن عامر قبل خروجه من خراسان وتوجهه إلى عثمان بن عفان ﷺ جعل إدارة خراسان بين ثلاثة وهم الأحنف بن قيس وحاتم بن النعمان وقيس بن الهيثم[٧]، ويشير

---

(١)- كريستنس، إيران، ص٩٩. الريس، الخراج، ص٦٩. فلوتن، السيادة، ص٤٥.

(٢)- ابن الأثير، اللباب، ج١، ص٥١٩.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٣٩٥-٣٩٦.

(٤)- بيرنيا، تاريخ إيران، ص١٨٢. كريستنس، إيران، ص٩٩.

(٥)- الصالح، صبحي: النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣١٢. الحديثي، أرباع، ص٥١. الحديثي، التقسيمات الإدارية في خراسان منذ الفتح العربي وحتى نهاية القرن الرابع للهجرة، مجلة آداب المستنصرية، ع ١٦، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٣٠٢. العلي، إدارة، ص٣١٣.

(٦)- ابن الكلبي، جمهرة، ٤٠١. ابن خياط، تاريخ، ص١٧٩. البلاذري، فتوح، ص٣٩٩. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٦.

(٧)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٤٤.

اليعقوبي[١] "أن عبد الله بن عامر انصرف إلى عثمان بن عفان ﷺ وكان قد صيّر خراسان أرباعاً، وولى قيس بن الهيثم السلمي على ربع، وراشد بن عمرو الحديدي على ربع، وعمران بن الفضيل البرجمي على ربع، وعمرو بن مالك الخزاعي على ربع، يبدو أن هذا التوزيع الرباعي كان الغرض منه ضبط إدارتها، كما أن هذه التقسيمات الإدارية استلزمت إبقاء قوات عربية بجانب كل من الولاة الأربعة، إلا أن الراجح أن هذه القوات كانت حاميات مؤقتة ولم تستوطن في خراسان نظراً لإجماع المؤرخين على أن الاستيطان جرى بعد ذلك[٢]. وتم ذكر نظام الأرباع في خراسان في عهد معاوية بن أبي سفيان، يروى أن معاوية بن أبي سفيان عيّن على البصرة سنة ٤٥هـ/٦٦٥م زياد بن أبي سفيان وضم إليه خراسان، وعين على كل ربع منها ولاة أكفاء قادرين على أداء مهمتهم في إدارة خُرَاسان وضمان أمنها واستقرارها؛ فاستعمل على "مَرْو الشاهجان" الأمير "أمَيْر بن أحمر اليشكريّ" الذي كان أول من أسكن العرب فيها، واستعمل على "نيسابور" خُلَيداً بن عبد الله الحنفيّ، وعلى "مَرْو الرُّوذ والفارِياب والطالَقان" قيس بن الهيثم السُّلمي، وعلى "هراة وباذغيس وبوشنج" نافع بن خالد الطاحِيّ الأزدي[٣]. ويبدو أن هذا التقسيم كان الهدف منه تسهيل إدارة إقليم خُرَاسان الواسع، وللقضاء على الاضطرابات التي تحدث في الإقليم، وضبط أحوال خُرَاسان وأحوال العرب فيها، وتنظيمها تنظيماً ثغرياً، استعداداً لجعلها منطلقاً للفتوح في بلاد ما وراء النهر، ولاسيما بعد نقل مركز الإقليم من نيسابور إلى مرو، ومع ذلك سرعان ما تخلى عنه بعدما أدرك خيانة من الأمير نافع بن خالد الذي عاقبه على ذلك، فقد كان من شيم زياد أن يعاقب من يظهر خيانة وضعفاً، ويكافئ من يجده قوياً أميناً بأن يزيده في عمله ويرفع له ذكره ويكثر ماله، وحتى لا يثير نقمة رجال القبائل أبقاهم في مناصبهم، لكنه حصر عملهم بجباية الخراج[٤].

ومنذ ذلك الحين لم يعين على خراسان إلا أميراً واحداً يكون مسؤولاً عن الناحية الإدارية فيها، يدعى أحياناً عامل خراسان، وأحياناً أخرى والي خراسان، إذ إن استخدام كلمة عامل على إقليم خراسان شاعت خلال العصر الراشدي، ويفيد معناها أن صاحبه ليس مطلق السلطة، ومن ثم فإن ذلك يشير إلى طبيعة النظام المركزي في الإدارة، أما كلمة الوالي فهي تدل على مدى النفوذ الذي يتمتع به الولاة، وتشير إلى

---

(١)- تاريخ، ج٢، ص١٦٧. ١٩٢. ١٤٤.

(٢)- العلي، استيطان، ص٣٦.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٦٤. قدامة، الخراج، ص٤٠٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٤. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٩. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢٢٩.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٤. شعبان، الثورة، ص٧٥. فلهوزن، تاريخ، ص٣٩٦. الريس، الخراج، ص١٦٤ومابعدها. خماش، خُرَاسان، مج٨، ص٧٧٣.

S.Khuda Bukhsh: The orient under the Caliphs, p. 192

حالة اللامركزية في الإدارة، وهو يمتد بجذوره إلى عهد الخليفة عثمان الذي منح ولاته سلطات واسعة(١)، ثم طبقه الأمويون في إدارة خراسان، وتعود أسباب أتباع الأمويين لمثل هذه السياسة الإدارية في خراسان إلى تطور أوضاع الدولة من الناحية السياسية والاجتماعية ولاسيما الناحية المالية التي كان أكثر ما ينطبق عليها النظام اللامركزي للإدارة، كما يعد النظام اللامركزي حلاً جيداً لإعادة الاستقرار والنظام إلى المناطق البعيدة عن مركز الخلافة كخراسان(٢)، وتقدير ذلك يتوقف على مدى معرفة الوالي لواجباته ومسؤولياته ومعرفة العامة بكل شؤون ولايته، وكان العرب المسلمون قد اتخذوا من مدينة مرو مركز الحكم والإدارة منذ بداية الفتح العربي الإسلامي لخراسان، وأشار اليعقوبي إلى ذلك بقوله: إن مرو كانت منازل لولاة خراسان(٣)، وأكد ذلك ابن حوقل بقوله: وكانت دار الإمارة بخراسان في قديم الأيام بمرو(٤)، كما اتخذ العرب من مدينة بلخ مركزاً للإدارة والحكم وذلك في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م عندما نقل أسد بن عبد الله القسري الدواوين إليها كما ذكر سابقاً(٥)، لضرورات عسكرية، ثم عاد الولاة العرب إلى مرو وبقيت مركزاً إدارياً حتى عهد الطاهريين(٦).

وذكر الطبري عن سيف بن عمر(٧) أن عبد الله بن عامر بعد أن أتم فتح خراسان قسمها بين ستة أنفار: الأحنف بن قيس على المروين، وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمير بن أحمر اليشكري على طوس، وقيس بن الهيثم السلمي على نيسابور وعبد الله بن خازم، ثم أن عثمان بن عفان جمعها قبل موته فمات وقيس على خراسان. ألا أنه لا يمكن الاعتماد على رواية الطبري هذه وذلك لأن الطبري قد وضع هذه الأحداث في السنة الثالثة من خلافة عثمان بن عفانﷺ في حين أن إقليم خراسان قد تم فتحه بعد أكثر من ست سنوات من خلافته، كما أن الطبري لم يذكر المنطقة التي كلف عبد الله بن خازم بإدارتها، وتذكر روايات أخرى أنه تولى إدارة إقليم خراسان بعد أن خرج منها قيس بن الهيثم بسبب الاضطرابات التي حدثت في خراسان عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بعد أن أخذ عبد الله بن خازم عهداً بتولية خراسان على لسان عبد الله بن عامر(٨)، فتولى

---

(١)- حسن، حسين الحاج: النظم الإسلامية، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م، ص١٧٠. فوزي، الإدارة، ص١١٨.

(٢)- فوزي، الإدارة، ص١١٨.

(٣)- البلدان، ص٤٣.

(٤)- صورة، ص٣٦٣.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١١.

(٦)- ابن حوقل، صورة، ص٣٦٣.

(٧)- تاريخ، ج٤، ص٢٦٥.

(٨)- البلاذري، فتوح، ص٣٩٩. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٢٦٦. السوداني، جبهة البصرة، ص١١٠.

إدارتها واستمر فيها إلى أن عزله الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ. ويبدو أن رواية اليعقوبي أقرب إلى الواقع من رواية البلاذري، فقد كان إقليم خراسان كما ذكر سابقاً مقسماً وحسب النظام الإداري الساساني إلى أربع مناطق إدارية كبرى قبل الفتح العربي الإسلامي له[١]، ولعل هذا ما دفع عبد الله بن عامر إلى أن يجعل على كل ربع من هذه الأرباع الإدارية شخصاً يتولى إدارته. وإن أبرز ما يلاحظ في رواية سيف ابن عمر هو عدَّه طوس منفصلة عن نيسابور[٢]، وهو ما لم تؤيده المصادر الأخرى.

ويتضح أن العرب قد أبقوا تقسيم خراسان إلى أربعة أرباع على ما كانت عليه في العهد الساساني، بسبب الظروف والأحوال السائدة في أوائل عهد تكوين الدولة الإسلامية التي فرضت عليهم الاهتمام بالدرجة الأولى بأمر توسيع رقعة الدولة وحماية حدودها وضبط الأمن وإقرار السلام في أرجائها، وتنظيم علاقة الخلافة في الأقاليم المفتوحة في الأمور المالية والإدارية بصورة خاصة، وقد قضت الضرورة بالتسامح مع المجتمعات التي ضمتها الدولة الإسلامية الواسعة، فاحتفظت تلك المجتمعات بمنظوماتها وتقاليدها التي لا تهدد أمن الدولة وسلامتها، ولا تتحدى الدين الإسلامي وكلمة الله العليا[٣]. ثم ذكر ياقوت تفاصيل تقسيم خُرَاسان إلى أربعة أرباع بنص أورده البلاذري، ولكنه لم يذكره في كتبه ومصادره بل ورد عند ابن فقيه الهمداني، إذ أشار إلى أن خُرَاسان مقسمة إلى أربعة أرباع أقسام رئيسة كل منها يضم العديد من المدن:

١. الربع الأول: إيران شهر، وهي نيسابور، وقُهِسْتان، والطَّبَسَان، وهُراة، وبُوشَنْج، وباذَغِيس، وطُوس، واسمها طابران.

٢. الربع الثاني: مرو الشاهجان، وسرخس، ونَسَا، وأبيورد، ومرو الرُّوذ، والطالقان، وخوارزم، وآمُل.

٣. الربع الثالث: وهو غربي النهر، وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، ويضم الفارياب، والجُوزجان، وطُخارِسْتان العليا، وخَسْت، وأَنْدَرَابة، والباميان، وبِغْلان، ووالِجُ، وهي مدينة مُزاحم بن بِسْطام، ورستاق بيل، وبَذَخشان وهي مدخل الناس إلى التبَّت، ومن أَنْدَرَابة مدخل الناس إلى كابُل، والترمذ، والصَّغَانيان، وطخارستان السُّفلى، وخُلْم، وسِمِنْجان.

٤. الربع الرابع: ماوراء النهر، بُخارى، والشاش، والطُّرَابَنْد، والصُّغْد، وكش، ونَسَف، والروبستان، وأُشْرُوسنة، وسَنام، قلعة المُقَنَّع، وفرغانة، وسمرقند[٤].

---

[١]- لسترنج، بلدان، ص٤٢٤. العلي، استيطان، ص٣٧.

[٢]- اليعقوبي، البلدان، ص٢٧٧. الاصطخري، المسالك، ص١٤٦. المقدسي، أحسن، ص٣٠٠.

[٣]- العلي، إدارة خراسان، ص٣١٣.

[٤]- ابن الفقيه، مختصر، ص٣٢١. معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٠-٣٥١. ابن الفقيه قسم خُرَاسان إلى أرباع مع بعض الاختلافات البسيطة عن ياقوت. فقد ذكر زم في الربعين الثاني والثالث بينما لم يذكرها ياقوت في كل الأرباع، وكانت مدن ما وراء النهر ملحقة إدارياً بخراسان، فذكر ابن الفقيه بخارى في الربعين الثاني والرابع، في الوقت الذي ذكرها ياقوت في

ويذكر المقدسي[١] فيما نقله عن البلاذري خراسان أربعة أرباع:

١. الربع الأول: إيرانشهر وهي نيسابور وقهستان وهراة وطوس.
٢. الربع الثاني: المروان (مرو الشاهجان ومرو الروز)، وسرخس ونسا وأبيودر، والطالقان وخوارزم.
٣. الربع الثالث: الجوزجان وبلخ والصفانيان.
٤. الربع الرابع: ما وراء النهر.

ويلاحظ أن نص ياقوت يطابق نص ابن الفقيه، مما قد يدل على أن ياقوت نقل النص عنه، وتختلف رواية المقدسي عن روايتي ابن الفقيه وياقوت من حيث رواية المقدسي التي تحذف من الربع الأول الطبسين وبوشنج وباذغيس وطابران، وتحذف من الربع الثاني زم وآمل وبخارى، وتختصر الربعين الثالث والرابع اختصاراً كبيراً. ولا يعلم فيما إذا كان ما حذفه المقدسي راجعاً إلى عدم دقته في النقل، أم أن ما حذفه هو غير موجود من الأصل، وبذلك يكون زيادات مقحمة من ابن الفقيه وياقوت، كما أن ذكر البلاذري لنيسابور في الربع الأول يدل على أنه كان يصف أحوال خراسان في العصر العباسي الأول، حيث أصبحت نيسابور قصبة الإقليم عندما نقل الطاهريون إليها دار الإمارة[٢]. وقد علق ياقوت[٣] على نص البلاذري بقوله: "وإنما ذكر البلاذري هذا لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموماً إلى والي خراسان، وكان اسم خراسان يجمعها. هذا ويعدّ البلاذري أقدم مؤرخ ذكر أرباع خُرَاسان، وما تشتمل عليها من مدن، ولعله وضّح لنا واقع خُرَاسان وتقسيماتها الإدارية إبان القرنين الأول والثاني للهجرة، هذا وإن العرب ألغوا التقسيم الرباعي منذ مطلع القرن الثالث الهجري، وبدأت المصادر تذكر نظام الكور الذي نفذ في زمن الطاهرين[٤]. وأشار الى ذلك أحد الجغرافيين الذين جاؤوا بعد البلاذري ومنهم المقدسي بقوله: «وهذا يخالف مذهبنا»[٥].

=الربع الرابع فقط. بينما اليعقوبي جعل جرجان أيضاً جزءاً من خُرَاسان، وينفرد بذلك عن غيره، كما أنه لا يذكر أقاليم ما وراء النهر عند حديثه عن ممالك الفرس؛ أي أنه يلحقهم ضمنياً بخُرَاسان. انظر: تاريخه، ج١، ص٢٠١. الحديثي، أرباع، ص٢١. كما عدَّ ابن رسته بعض مدن بلاد ما وراء النهر جزءاً من إقليم خُرَاسان، ويبدو أنه وجدها حين ذاك تتبع خُرَاسان إدارياً. الأعلاق، ص١٠٥. فامبري، تاريخ بخارى، ص٧٣.

(١)- أحسن، ص٣١٣.

(٢)- العلي، تقسيمات خراسان، ص٧٩٣.

(٣)- معجم، ج٣، ص٣٥١.

(٤)- ابن رسته، الأعلاق، ص١٠٥. الحديثي، أرباع، ص٢٢ .

(٥)- أحسن، ص٣١٣. الحديثي، أرباع، ص٢٢.

٢- الولاة والعمال في إقليم خراسان

أ- تبعية خراسان إدارياً للعراق:

كان في العراق بعد تحريره مصران مهمان هما البصرة والكوفة، وكان لكل منهما عامل، وفي عصر الدولة الأموية جمع المصران تحت إدارة والٍ واحد، وأول من جمع له المصران زياد بن أبيه في سنة ٥٠هـ/٦٧٠م بعد موت المغيرة بن شعبة والي الكوفة. وجمع المصران كذلك تحت إدارة كل من عبيد الله ابن زياد في سنة ٥٤هـ/٦٧٤م، وبشر بن مروان في سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، والحجاج بن يوسف في سنة ٧٥هـ/٦٩٤م، ويزيد بن المهلب في سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م، ومسلمة بن عبد الملك في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، وعمر بن هبيرة الفزاري في سنة ١٠٣هـ/٧٢١م، وخالد بن عبد الله القسري في سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م، ويوسف بن عمر في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز في سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م، ويزيد بن عمر بن هبيرة في سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م، ولم يجمع المصران لأحد بعد هؤلاء[١]. وكانت خراسان تابعة إدارياً إلى البصرة منذ فتحها، واستمر الوضع الإداري فيها على حاله إلى عهد الدولة الأموية، وفيها جرى تعديل تبعيتها الإدارية، فكانت ترتبط إدارياً خلال بعض الحقب بالخليفة مباشرة، فهو المسؤول عن تعيين والي خراسان، وفي حقب أخرى ارتبطت خراسان بأمير العراق، الذي أصبح مسؤولاً عن تعيين واليها والإشراف على إدارته[٢].

وبدأت تبعية خراسان الإدارية للعراق منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ففي سنة ٧٩هـ/٦٩٨م كان الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق، وعامله على خراسان المهلب بن أبي صفرة[٣]، ثم من بعده يزيد بن المهلب في سنة ٨٣هـ/٧٠٢م[٤] لكن الحجاج عمد إلى انتزاع خراسان من أيدي المهالبة، فعزل يزيد سنة ٨٥هـ/٧٠٤م وولاها أخاه المفضل بن المهلب[٥]، ثم عزله ليحل مكانه قتيبة بن مسلم الباهلي ٨٦هـ/٧٠٥م الذي كان له دور كبير في تثبيت السيادة العربية في خراسان وإقليم ما وراء النهر[٦]، وفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م ضم يزيد بن عبد الملك العراق وخراسان إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك، فعين مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحارث الملقب بـ(سعيد خذينه) فشكاه المجشر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن عمير الليثي إلى عمر بن هبيرة فعزله وولى سعيد بن عمرو الحرشي، ويذكر

---

[١]- ابن رسته، الأعلاق، ص١٩٥. المقدسي، البدء، ج٦، ص٢.

[٢]- العلي، إدارة خراسان، ص٣١٧.

[٣]- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٥٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢٤.

[٤]- البلاذري، فتوح، ص٥٨٦. الدينوري، الأخبار، ص٢٥٦.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤١٦.

[٦]- الدينوري، الأخبار، ص٢٥٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص٢٠١.

المدائني أن يزيد بن عبد الملك هو الذي كتب إلى ابن هبيرة وأمره بتولية الحرشي خراسان[١]. غير أن عمر بن هبيرة عزله في سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م وعين مسلم بن سعيد بن أسلم الكلابي[٢]، وفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م استعمل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري على العراق وضم إليه خراسان، فعين خالد القسري أخاه أسد ابن عبد الله القسري سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م غير أن أسد تعصب وأفسد الناس بالعصبية فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القسري أن يعزله فعزله في سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م وعين أشرس ابن عبد الله[٣]، غير أنه أعاد تعينه سنة ١١٧هـ/٧٣٥م بناء على أمر هشام بن عبد الملك[٤]. كما ضمت خراسان إلى يوسف بن عمر في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م وكان عامله على خراسان جديع بن علي الكرماني، ومن ثم نصر بن سيار[٥].

وكانت خُرَاسان في عهد الخليفة الوليد بن يزيد تابعة ليوسف بن عمر عامل بني أمية على العراق، وكان قد كتب الوليد للأمصار أن يبايعوا لابنيه الحكم وعثمان من بعده الواحد تلو الآخر، فرد عليه نصر طامعاً في رضاه: "نبايع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين، والحكَم بن أمير المؤمنين إن كان من بعده، وعثمان بن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة، وإن حَدَث بواحد منهما حدث فأميرُ المؤمنين أملك في ولده ورعيته، يقدّم من أحبَّ، ويؤخّر مَنْ أحبّ، عليك بذلك عهد الله وميثاقه"[٦]، وامتناناً من الخليفة لما بذله نصر من جهود في سبيل ذلك، كتب إليه بالاستقلال عن ولاية العراق وفصل خُرَاسان عن تابعية يوسف بن عمر عامله في العراق وولّى خُرَاسان كلها لنصر بن سيَّار، فأقره الخليفة الجديد في منصبه وأفرد له خُرَاسان، وجعلها مباشرة تحت مسؤوليته مثلما كانت في عهد الخليفة هشام، إلا أن قرار الخليفة هذا، كان مخالفاً لرغبة يوسف بن عمر والي العراق، فقد كانت خُرَاسان لا تزال تحت إشراف الخليفة هشام مباشرة، لكن أمير العِراقَيْين ظل دائماً يحاول استرجاعها، فكتب إلى الخليفة طالباً منه ضمَّ خُرَاسان إلى ولاية العراق مرشحاً لها والياً جديداً وهو "الحَكَم بن الصَّلت" الذي كان عاملاً على الفارياب في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن، لكن الخليفة جمع معلومات لم تَسُرَّه عنه فكتب إلى يوسف: "خلِّ الكنانيّ في عمله". ورغم ذلك ظل يوسف يبحث دائماً على ثغرة تساعده على فصل نصر عن خُرَاسان، وعندما لم يجد فكر في الحيل التي بدأها مع أبي مَغْراء بن أحمر النميري[٧]، الذي بعثه نصر

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٢٠. المقدسي، البدء، ج٦، ص٤٨.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥.

[٣]- البلاذري، فتوح، ص٦٠١. الدينوري، الأخبار، ص٢٥٧. الطبري، تاريخ٧، ص٥٢.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧-٤٩.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤. المقدسي، البدء، ج٦، ص٤٨.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٤.

[٧]- يسميه ابن الأثير: "معن بن أحمر النميري". الكامل، ج٤، ص٤٦٠.

على رأس وفد يبشر الخليفة بنجاح غزوة فرغانة الثانية التي تمت في سنة ١٢٣هـ/ ٧٤١م، فطلب منه أن يعيب نصراً عند الخليفة هشام وعندما لم يتحمس أبو مغراء للأمر قائلاً: "كيف أعيبه مع بلائه وآثاره الجميلة عندي وعند قومي؟ فلم يزل به قال: فبِمَ أعيبه؟ أعيب تجربته أم طاعته أم يُمن نقيبته أو سياسته". وَعَدَه يوسف بولاية السند، وقال له: "عِبْهُ بالكِبَر". فعابه أبو المفراء لِكِبَر سِنه عند الخليفة. إلا أن شبيل بن عبد الرحمن المازني طمأن الخليفة قائلاً: "كذب والله إنه ليس بالشيخ الذي يُخشى خَرفَه، ولا الشابّ الذي يُخشى سفهه بل هو المجرِّب المجرَّب، وقد ولّى عامَّة ثغور خُرَاسان وحروبها قبل ولايته". فأخفقت الحيلة ويبدو أن نصراً صُدم كثيراً في "مفراء" وهو الذي كان يؤثره ويُعلي مِن منزلته ويشفعه في حوائجه، إلا أن يوسف أمير العراقيين وفد على الوليد واشترى منه نصر وعماله في خُرَاسان بالمال فرَّد إليه الوليد ولاية خراسان كما كانت أيام هشام وأن يكون نصر ونوَّابه تحت يده، وهنا بدأت المتاعب تواجه نصراً، فبعد إقرار الوليد له، وإعطائه مطلق الحرية تراجع عن إفراده بها وضمها ليوسف بن عمر، فبادر يوسف أمير العراقيين إشرافه على خُرَاسان بعزل نصر بن سيار، لكنه خاف أن يعلن نصر تمرده لو عزل عن منصبه، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه في وجوه أهل خُرَاسان حاملاً معه ما قدر عليه من الأموال والهدايا وأن يأتي بعياله أجمعين إلى دمشق، ويبدو أن المصادر قد وقعت في اضطراب في عرض هذا الخبر إذ أنها تذكر مرة أن يوسف بن عمر هو الذي كاتب نصراً بالقدوم، ثم تذكر في الوقت نفسه أن الخليفة الوليد بن يزيد هو الذي كاتب نصراً يستعجله ويأمره بأن يسرِّح الهدايا ويبعث إليه برابط وطنابير ومُغنِّيات، وذلك لأن الوليد كان يهوى الغناء، وقال المنجَّمون لنصر بن سيَّار: "إن الفتنة قريباً ستقع في الشام". ومن هنا نتصور أن قرار عزل نصر جاء من يوسف بن عمر أمير العراقيين الذي أصبح يشرف على خُرَاسان، لكن حبّ نصر لها جعله يرفض، ففكر في إرسال وفد ليتظلم له عند الخليفة، ورأى أنه من اللائق أن يبعث معه بعض الهدايا فأمر بصنع أباريق الذّهب والفضّة وتماثيل الظباء ورؤوس السّباع والأيائل وغير ذلك[١].

في هذه الأثناء وصل نصر خبر مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك في سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م، ومبايعة يزيد بن الوليد خليفة جديداً، الذي لم يعترف به لأنه ثار على الخليفة الوليد بن يزيد وقتله[٢]، فعزل يوسف بن عمر عن العراق واستعمل عليه منصور بن جمهور، فعزل منصور نصر عن خراسان، وأرسل أخاه منظوراً ليحل محله، لأن نصراً لم يأخذ البيعة ليزيد بن الوليد، فامتنع نصر عن تسليم عمله

---

[١]- ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٤-٢٢٥. المقدسي، البدء، ج٦، ص٥١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٠-٤٧١. أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٢٥٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٤.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣١. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٤٩٤. ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٦٨.

بخُرَاسان لمنظور بن جمهور ولم يسمح له بدخول خراسان، وهدد بقتله قائلاً: "إن جاءنا أميرٌ ظنين قطعنا يداه ورجلاه"[١]، فوصل منصور إلى الريّ وكتم وجهته إلى خراسان، فبلغ ذلك نصراً فصرف الهدايا التي كان أعدَّها إلى أمير المؤمنين واعتق ما كان منها من الرقيق وقسّم الجواري في ولده وخاصته ووزع التحف في وجوه الناس، وغيَّر العمال وأمرهم بحسن السيرة وأشرك معه في الأمر رجالاً من ربيعة واليمن[٢]. إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، لأن عبد الله بن عمر والي العراق الجديد الذي عينه الخليفة يزيد خلفاً لمنصور بن جهور بادر بكتابة عهد لنصر، أقره فيه على خراسان[٣]. فاحتفظ نصر بولايته على خراسان، مدة خلافة كل من يزيد بن الوليد وإبراهيم بن الوليد، وعندما تولى يزيد بن عمر بن هبيرة ولاية العراق من قبل مروان بن محمد، أقر نصراً على ولاية خراسان[٤].

أما أسباب تبعية خراسان إدارياً للعراق، فتكمن ببعد خراسان عن مركز الخلافة في دمشق، مما يجعل الخلافة غير قادرة على تأدية التزاماتها لها كافة، ولاسيما الالتزامات التي تتعلق بحاجة خراسان إلى إمدادات عسكرية سريعة ومستمرة، نظراً لما ساد فيها من أوضاع سياسية وداخلية وعسكرية معقدة، وكان عاصم بن عبد الله قد كتب إلى هشام بن عبد الملك سنة ١١٧هـ/٧٣٥م كتاباً جاء فيه: "إن خراسان لا تصلح إلَّا أن تضمَّ إلى صاحب العراق لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غياثه عنها"، فعزله عن خراسان وعين عليها أسد بن عبد الله القسري ليصلح ما أفسده عاصم[٥]، وكان لارتباط خراسان بالعراق أهمية كبيرة لأنه يخفف من أعباء إشراف الخليفة على الأقاليم البعيدة، ويعطي أمير العراق أهمية ودوراً رئيساً، لكنه في الوقت نفسه قد يولد خطراً من حيث أن والي العراق قد يصدر أحكاماً وقرارات غير ملائمة مصلحة الخليفة، وتجلى ذلك بوضوح في ولاية نصر بن سيار على خراسان، إذ كان ابن هبيرة لا يوصل كل أخبار خراسان إلى الخليفة[٦].

---

(١)- الدينوري، الأخبار، ص٣٤٩. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧٧. الجهشياري، الوزراء، ص٤٩. مجهول، أخبار، ص٢٤٩. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص ٢٠٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧٧-٢٧٨. أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٢٥٧. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص١٧٣. النص، العصبية، ص٣٣٠. الخليلي، موسوعة، ص٨٤.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٧.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٠. مجهول، العيون، ج٣، ص١٦٠.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٣. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٦٧.

(٦)- العلي، إدارة خراسان، ص ٣١٧

ب- أهم الولاة وأعمالهم في خراسان

واجه العرب كثيراً من المشاكل في خراسان لذا وضعوا فيها حاميات عسكرية وأبقوا الكثير من الأمراء والمتنفذين[١]، فاهتم الخلفاء بتعيين الولاة الأكفياء، وعزل من لم يحسن الإدارة والقيادة؛ حفاظاً على استقرار المسلمين في خراسان، فلم يكن اختيارهم قائماً على أساس شروط مكتوبة يتطلب توافرها فيمن يُختار، بل كانت تعتمد بالدّرجة الأولى على بصيرة الخليفة فهو المسؤول الأوّل عن الاختيار، ولذلك كان معظم خلفاء بني أمية لا يستعملون إلا من تثبت كفايته في تأييد سلطان الدولة، والإخلاص لها[٢]. ففي سنة ٤٥هـ/٦٦٥م ترك زياد بن أبي سفيان الإدارة المحلية بأيدي الدهاقين كما عين بعض الرؤوساء القبليين إلى جانب الحكام المحليين، ولكن بعد مدة أدرك زياد خطر ترك الحرية للقومية الفارسية في الشرق فعاد ووحدها تحت أمرة الحكم بن عمر الغفاري[٣]. هذا وكانت خراسان بحاجة إلى ولاة ذوي كفاءة عسكرية وإدارية لذلك من تم اختيارهم لولاية خراسان ولم تكن تجمعهم صفة خاصة واحدة يشتركون فيها سوى كونهم جميعاً عرباً، أما فيما عدا ذلك فقد كانوا متباينين في أصولهم وخبراتهم، وكانوا من قبائل متفرقة فمنهم: عبيد الله بن زياد، وسعيد بن عثمان، وسلم بن زياد وقد أثبت الثلاثة كفاءة في الإدارة والتوسع الحربي[٤]. كما اختير بعض الولاة بناء على ما قاموا به من إنجازات عسكرية وإدارية سابقة كشفت عن مواهبهم في الإدارة، مثل المهلب بن أبي صفرة وابنه يزيد الذين أظهروا كفاءة في قتال الخوارج مدة طويلة[٥]. فقد كانت العلاقة المتوترة بين الحجاج والمهلب منذ أيام حروب الأزارقة، ثم تعيين المهلب على خراسان بأمر مباشر من عبد الملك، جعل الحجاج يفصل عمل الخراج عن عمل المهلب، وقام بتعيين ابنه المغيرة عاملاً على خراج خراسان[٦]، وكان السبب وراء ذلك أن يبرز الحجاج نفسه كسلطة أعلى من المهلب، أو لقلة ثقته به بسبب كسره خراج فارس أيام حربه مع الأزارقة، وكان المهلب ذكياً بما يكفي لتجنب الصدام مع الحجاج، فقد تفهم منذ انتهاء حربه مع الخوارج معنى تبعيته للحجاج، ولم يحاول

---

[١]- فوزي، طبيعة الدعوة، ص٣٩٤. العلي، إدارة خراسان، ص٣١٥.

[٢]- أمين، فجر الإسلام، ص٩٥.

[٣]- شعبان، الثورة، ص٨٠.

[٤]- ابن خياط، تاريخ، ص٢٠٦-٢١٢. البلاذري، فتوح، ص٤٠٢-٤٠٣.

[٥]- شعبان، الثورة، ص١١١. الخيرو، رمزية عبد الوهاب: التحديات الفارسية على الأمة العربية عبر التاريخ وخاصة في أواخر الدولة الأموية "مروان بن محمد"، مجلة آداب المستنصرية، ع ١٣، ١٩٨٥م، ص٣١٦. العلي، إدارة خراسان، ص٣١٦-٣١٧.

[٦]- الدينوري، الأخبار، ص٢٥٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢٤. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): المقفى الكبير، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج٣، ص١٨٨.

أن يوسع سلطته على حساب سلطة الحجاج[١]، كما اختير كل من قتيبة بن مسلم الباهلي وأسد بن عبد الله القسري بعد أن ولي كل منهما مناصب إدارية الأول على الري والثاني على خراسان أثبتت خلال ذلك كفاءة رشحته مرة ثانية لولاية خراسان[٢].

وفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م ولىّ هشام نصر بن سيار على خراسان[٣]، وحين جاء عهد الوليد بن يزيد أقرّ نصر بن سيار على خراسان[٤]، وصار الأمر إلى يزيد بن الوليد فأقر نصر على خراسان أيضاً، وفي سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م صار الأمر إلى مروان فأرسل إلى نصر بن سيَّار فأقره على أرمينية وأذربيجان[٥]، واستمر الوضع في خراسان على هذه الصورة حتى مجيء مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية، وكان مروان رجل حرب من الطراز الأول وقائداً من أعظم القواد توفرت لديه عناصر القيادة وجرب الميدان وخاض المعارك فكان فارسها وقائدها كما أن لديه مرونة في التخطيط الحربي يختار ما يناسب في كل معركة، كل هذه الصفات أكسبته صفة القائد العظيم، وقد كثرت في أيام مروان الفتن والحروب فواجه فيها أعنف التحديات للأمة العربية، ولاسيما من الأقاليم الشرقية، وقد قام بصد تلك التحديات كما أنه لم يهمل الداخل حيث حاول إصلاح الأوضاع الإدارية والمالية في الدولة، فقد عين مروان يزيد بن عمر بن هبيرة لإدارة العراق وكان مركزه في واسط وكان من الشخصيات القيادية، أما خراسان فقد كان واليها نصر بن سيار الذي اعترف بخلافة مروان بن محمد[٦].

وتمتاز خراسان في العصر الأموي بوضع خاص من حيث وجود حركات مناهضة للحكم الأموي التي اتخذت من خراسان مركزاً لها، كما أنها تأتي الثالثة من حيث أهميتها الاقتصادية إذ كان مقدار ما يدخل من واردها إلى بيت مال الدولة لا يفوقه إلا السواد ومصر[٧]، إن هذا الوضع انعكس على حرية الخلفاء الأمويين في انتقاء الأشخاص الذين يمكن أن تُسند إليهم المسؤولية الإدارية فيها، والذي أهَّل نصر بن سيار الذي يتميز بخبرته الطويلة وأعماله القيادية والإدارية، وقد أجرى نصر بن سيار في المرحلة الأولى من ولايته بعض التغييرات الإدارية، لعله أراد بها تثبيت سلطته في الولاية، فأول عمل قام به هو العودة بمرو عاصمة للحكم العربي الإسلامي في خراسان، فقام بنقل مركز الإدارة من بلخ إلى مرو، ويبدو إن

---

[١]- ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص٥٣. المقريزي، المقفى، ج٣، ص١٨٧.

[٢]- البلاذري، فتوح، ص٤٠٩، ٤١٧.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٤.

[٤]- ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٣٩.

[٥]- ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٤١-١٤٢.

([٦]) أبو حبيب، مروان بن محمد، ص٨٤-٨٥.

[٧]- عاقل، ملاحظات حول نمط الحكم في ولايات التخوم في الدور العباسي الأول، مجاة دراسات تاريخية، دمشق، ١٩٨٤م، ص٩٠.

لهذا العمل دوافعه السياسية، فمرو كانت مكان نصرته وقوته، فهي مستقر العرب الأول، وكانت قرى تميم وسائر أحياء مضر تنتشر على أطرافها(١)، وفضلاً عن ذلك فإن نقل مقر الحكومة من بلخ وإعادتها إلى مرو له أهميته العسكرية ففي مرو يكون مقر الإدارة العربية لهذا الإقليم في الوسط، ومن المؤكد أن موقع مرو المتوسط بين مدن خراسان كان له كبير الأثر في تفضيلها على غيرها من المدن، وهذا الوضع يكسب الإدارة قوة من حيث القدرة على تحصنها بظهير جغرافي واسع تكون السيادة فيه للعرب(٢). وبقيت مرو المركز الإداري الأول للمسلمين وعاصمة خراسان إلى أن نقلها أسد بن عبد الله إلى مدينة بلخ في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م خلال ولايته الثانية، حيث اتخذها داراً ونقل إليها الدواوين كما تم الحديث عنه سابقاً بشكل مفصل(٣). وعندما تولى خُرَاسان عمل أيضاً على عزل العمال الذين عينهم سلفه وعدوَّه أسد بن عبد الله القَسْريّ، ولكن من غير أن يعذِّبهم وعين مكانهم عمَّالاً من أصدقائه وأنصاره ارتبطت أسماؤهم قديماً مع نصر ومعظمهم من مُضر ولاسيما من تميم، ثم أخذ يخطط لإصلاح السياسة الداخلية وحل مشاكل خُرَاسان(٤).

ويعد نصر بن سيار من الشخصيات المتميزة في تاريخ الدولة الأموية ومن الولاة الأمويين الأكفاء، فقد أثبت أيام ولايته على خراسان أنه قائد كبير وإداري حازم يضاف إلى هذا أنه الوحيد الذي ولي إدارة خراسان وهو من عربها(٥)، إلا أن الأزمة السياسية التي انفجرت على أثر مقتل الخليفة الوليد بن يزيد كانت لها آثار خطيرة على الوضع السياسي العام لأقاليم الدولة العربية ومنها خراسان، حالت دون أن تأتي جهوده ثمارها، ويتضح من سيرة هذا الوالي، أنه بالرغم من خبرته الطويلة في مجال الإدارة والسياسة وكفاءته، لم يكن مستبداً في رأيه، فغالباً ما كان يستشير أصحابه فيما يعرض له من قضايا حتى يتجنب الوقوع في الخطأ، فعندما أجمع رأيه على إخراج جديع الكرماني من خراسان بعد أن تمرد عليه كما ذكر سابقاً، استشار أصحابه لكنهم أبوا عليه ذلك. فامتنع عن تنفيذ ما كان قد عزم عليه، لكن إذا وجد أن أراء مستشاريه تتعارض ومسؤوليته تجاه الدولة، كان لا يلتزم بقبولها، فلما وجد أن مصلحة الدولة تقتضي الصلح مع الصغد والقبول بشروطهم، لم يتورع عن قبولها بالرغم من معارضة أمراء خراسان، لأنه كان يعرف قدراتهم العسكرية التي أرهقت المسلمين وشدة نكايتهم(٦).

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٠٦. مجهول، أخبار، ص٣١١. شعبان، الثورة، ص٢١٠.

(٢)- ابن الفقيه، مختصر، ص٦١٢. الاصطخري، المسالك، ص٢٥٨. ابن حوقل، صورة، ص ٣٦٤-٣٦٥. المقدسي، أحسن، ص ٣٩٩. الحموي، معجم، ج٥، ص١١٢. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥١. النعيمي، الخلافة الأموية، ص١٧٤.

(٣)- ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص ١٨٦. ابن الاثير، الكامل، م٤، ص ٤٢١. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص ١١٧.

(٤)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥١.

(٥)- الخيرو، التحديات، ص٣١٧.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص ١٩٢. ابن الأثير ، الكامل، ج٣، ص٢٥٠. ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٥٢.

هذا وتمتع ولاة خراسان بصلاحيات إدارية لمعالجة أمورها الداخلية[١]. وكان من واجبات والي خراسان تعيين أو عزل الموظفين التابعين له، أي ما يقع ضمن سلطة الوالي وحقوقه وواجباته على الرغم من أن المصادر لم تقدم صورة واضحة ودقيقة عن هذه المسألة، تفيد في فهم واضح لمكانة ولاة خراسان[٢]، ولا تذكر المصادر شيئاً حول رواتب ولاة خراسان، ولا شك أن الأمويين منحوهم راتباً ثابتاً، إضافة إلى بعض الامتيازات ليضمنوا ولاءهم، فكان قتيبة قد خصص لنفسه جزءاً من الأموال إثر كل حرب، ويذكر النرشخي أنه اشترط في صلحه مع ملك بخارى أن يؤدي إليه الأخير عشرة آلاف درهم سنوياً[٣].

وكان خلفاء بني أمية يحرصون على أن يكون على رأس الولايات الكبرى رجال إما من البيت الأموي نفسه، أو من أشد المخلصين لدولتهم، والمشهورين بالحزم والدهاء والمقدرة السياسية والإدارية[٤]، وكانوا يمنحونهم سلطات واسعة بحيث كان الوالي مطلق التصرف تقريباً في ولايته يعمل ما يراه محققاً لمصلحة الدولة، وذلك يختلف عما كان عليه الحال في عهود الخلفاء الراشدين، حيث كانت سلطات الولاة مقيدة إلى حد بعيد، فقد حرص الخلفاء الراشدون على الفصل بين السلطات العسكرية والسياسية والإدارية وبين السلطات المالية، حيث كانوا يعينون إلى جانب الوالي ـ الذي كان يسمى أمير الحرب والصلاة ـ والياً آخر على بيت المال، وكان يسمى صاحب الخراج ويكون مسؤولاً أمام الخليفة مباشرة ولا سلطان عليه[٥]. أما الغالب في العصر الأموي فكان الوالي يشرف على الشؤون المالية، وإذا شئنا المقارنة بين أسلوب الخلفاء الراشدين وأسلوب بني أمية في الإدارة، قلنا: إن طابع إدارة الراشدين كان المركزية الشديدة التي كانت تتطلبها الظروف؛ فقد كانت المرحلة مرحلة تأسيس الدولة، وكان الخلفاء الراشدون يشرفون بأنفسهم تقريباً على معظم الأمور، أما طابع الإدارة الأموية فكان اللامركزية؛ حيث كانت الدولة قد اتسعت وبعدت المسافات بين العاصمة دمشق وبين الولايات في المشرق، فلو أن كل أمير في كل ولاية أخذ يراجع الخليفة في كل صغيرة أو كبيرة لتعطلت مصالح الناس، وقد كره عمر بن عبد العزيز أن يراجعه أحد

---

(١)– كيرك جورج: موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، تر: عمر الإسكندري، مر: سليم حسن، دار الطباعة الحديثة، ط٣، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٣٢.

(٢)– العلي، إدارة خراسان، ص٣١٨.

(٣)– النرشخي، تاريخ بخارى، ص٨٠. الجهشياري، الوزراء، ص٢٦. عياش، حسن حسين عبد الله: الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام " منذ فترة الرسول ﷺ وحتى نهاية الدولة الأموية" ١–١٣٢هـ/٦٢٢–٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب– الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١٤٧–١٥٢.

(٤)– كرد علي، محمد: الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م، ج٢، ص١٥٠–١٦٤. الصالح، النظم الإسلامية، ص٣١٠.

(٥)– عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص٤٦٥.

الولاة في كل الأمور، وكتب إليه يؤنبه على ذلك[١]. وليس معنى ذلك أن الولاة في العصر الأموي كانوا يفعلون ما يشاؤون دون رقابة أو محاسبة من الخلفاء، فقد كان معظم الخلفاء الأمويين يراقبون أعمال الولاة عن طريق عيونهم من رجال البريد وغيرهم فإذا ظهر منهم التقصير، أو تجاوز في تقاضي الخراج والجزية، لا يترددون في عزله[٢]، فالذي كان يهمهم في الدرجة الأولى استتباب الأمن ومصالح الناس وسلامة الدولة والمحافظة على هيبتها، والحق أنه لولا دقة الخلفاء الأمويين في اختيار ولاتهم وقادتهم وعمالهم، ولولا كفاءة هؤلاء الولاة والقادة والعمال الإدارية والسياسية والعسكرية، ومقدرتهم الفائقة لما أمكنهم من حكم وإدارة هذه البلاد الواسعة، وبسط النظام والأمن فيها، هذا وإن نجاح الأمويين في إدارة الدولة بواسطة ولاتهم الأفذاذ يدل على عبقرية فذة في فن الحكم والإدارة وسياسة الناس ويعد من أعظم أمجادهم، غير أن منصب الإمارة ضعف نتيجة لضعف النظام الإداري في أواخر العصر الأموي، عندما سمح الخلفاء المتأخرون لولاة الأقاليم أن يقيموا في العاصمة بعيداً عن ولاياتهم وينيبون عنهم ولاة يحكمون الولاية باسمهم.

ج- العمال على الأقاليم الإدارية في خراسان

لقد تم الحديث عن أهم ولاة خراسان في العصر الأموي وأهم أعمالهم وفتوحاتهم، وكان هؤلاء الولاة قد عينوا عدداً من العمال على بعض المدن الخراسانية وذلك في أثناء الأحداث التي وقعت فيها، وسيتم ذكر هؤلاء العمال بحسب الأقاليم الإدارية في خراسان على النحو التالي:

١- **نيسابور:** يذكر أن قتيبة بن مسلم الباهلي عين على نيسابور سنة ٩٣هـ/٧١١م المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي[٣]. وكان العامل عليها لنصر بن سيار والي خراسان سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م ضرار ابن عيسى العامري، وعين أبو مسلم الخراساني على نيسابور زياد بن زرارة القشيري[٤]، كما أن ولاة خراسان عينوا عمالاً على سرخس ونسا وأبيورد، فكان حفص بن عبَّاد التميمي عاملاً على سَرَخس سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م، وعبد الله بن قيس بن عُبَّاد على سرخس سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، وعاصم بن قيس السلمي على نسا سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م، وجاء بعده بسام بن إبراهيم عاملاً عليها لأبي مسلم الخراساني سنة

---

(١)- المسعودي، مروج، ج٣، ص١٩٤.

(٢)- كاشف، سيدة إسماعيل: الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، ص٥٦.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٨٠.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٤٤١.

١٣٠هـ/٧٤٧م[١]. واستعمل نصر بن سيار المغيرة بن شعبة الجهضمي على قهستان سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م[٢].

٢- **هراة:** كان الرقّاد بن زياد بن همام الأزدي من العتيك عاملاً على هراة سنة ٨٣هـ/٧٠٢م ليزيد بن المهلب[٣]، واستعمل سعيد خذينة والي خراسان سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م على هراة معقِل بن عروة القشيري ثم عزل عنها، فأعاد عمر بن هبيرة والي العراق تعيينه على هراة سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م[٤]. واستعمل الجنيد ابن عبد الرحمن سنة ١١١هـ/٧٢٩م على هراة الوليد بن القعقاع العبسيّ[٥]. وأن أسد بن عبد الله القسري استعمل على هراة سنة ١١٩هـ/٧٣٧م إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي[٦]. واستعمل نصر بن سيار على هراة سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المغيرة الجدعي[٧]. وأن مغلّس بن زياد العامريّ كان عاملاً لنصر بن سيار على هراة سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، ولكنه لم يستمر في عمله فعزله نصر ابن سيار[٨]، كما أن عيسى بن عَقيل الليثيّ كان على هراة سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م عاملاً لنصر بن سيار، فبعث إليه أبو مسلم الخراساني النَّضْر بن نعيم الضبي فطرده عنها[٩].

٣- **بلخ:** أما مدينة بلخ فيذكر أن قتيبة بن مسلم الباهلي عين عليها سنة ٩١هـ/٧٠٩م عمرو بن مسلم الباهلي، وفي سنة ١٠٩هـ/٧٢٧ كان العامل عليها لأسد القسري عبد الرحمن بن صبح، واستعمل الجنيد ابن عبد الرحمن سنة ١١١هـ/٧٢٩م على بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلي ثم عزله وحل محله يحيى بن ضبيعة المري، فعزله عاصم بن عبد الله والي خراسان سنة ١١٦هـ/٧٣٤م وعين عليها التُّجيبيّ بن ضُبَيعة المري، وفي ولاية نصر بن سيار كان عليها سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م زياد بن عبد الرحمن القُشيريّ[١٠]. كما عين ولاة خراسان عمالاً على الطالقان والفارياب والجوزجان[١١].

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٥؛ ٢٢٨؛ ٣٥٤؛ ٣٨٦.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧٨.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٣٧١.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦٠٧. ج٧، ص١٦.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٩.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٣٩.

[٧]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤١. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٢٣.

[٨]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٩. الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٥٦. مجهول، أخبار، ص ٢٤٤.

[٩]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٥.

[١٠]-الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٦٢. ج٧، ص١٤٧. ج٧، ص١٦٩. ج٧، ص٩٥. ج٧، ص٣٨٦.

[١١]-الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٩٥. ج٧، ص٢٣٠. ج٦، ص٤٥٤.

٤- **مرو:** واستعمل نصر بن سيار على مرو الروذ سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م وشاح بن بكير بن وشاح ثم عزله عنها وعين محله بشر بن جعفر السعدي، الذي قتل سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م على يد أتباع أبي مسلم الخراساني[١]. ويذكر أن الأشهب بن عبيد التميمي كان على السفن بمدينة "آمل" وهي أعظم معابر خراسان ومجمع الطرق إلى بلاد ما وراء النهر. وفي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م كان العامل عليها خالد بن عبد الله الهجري، وهو الذي كان مناصراً للحارث بن سريج المرجئي، فعزله أسد القسري وعين مكانه يحيى بن نعيم الشّيبانيّ [٢]. وفي ولاية نصر بن سيار كان العامل على مدينة آمل في سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م مُقاتل ابن عليَّ السُّغديَّ[٣].

٥- **ما وراء النهر:** ولما اجتاز العرب نهر جيحون شرقاً وتم لهم إخضاع بلاد ما وراء النهر إلى السيادة العربية أصبحت هذه البلاد تابعة من الناحية الإدارية لوالي خراسان. ويذكر أن ولاة خراسان عينوا على المدن الواقعة في إقليم ما وراء النهر عدداً من العمال، فقد استخلف قتيبة بن مسلم الباهلي أخاه عبد الله بن مسلم على سمرقند بعد أن أخضعها للسيادة العربية، وخلف عنده جيشاً كثيفاً وآلة من آلات الحرب. وفي ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي على خراسان سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م كان العامل عليها علباء بن حبيب العبدي، فعزله عنها سعيد خزينة سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م وعين عليها شعبة بن ظهير النهشلي فلم يلبث طويلاً حتى عزله وحل مكانه عبد الله بن مطرف بن الشخير[٤]. وكان العامل على سمرقند في ولاية أشرس بن عبد الله السلمي ١١٠هـ/٧٣٨م الحسن بن العمرطة الكندي، فعزله أشرس واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي[٥]. وفي ولاية الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١٢هـ/٧٣٠ م، كان العامل على سمرقند سورة بن الحر الدارمي[٦]. وفي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م يذكر أن نصر بن سيار استعمل على سمرقند حسان الأسدي، وولى موسى بن ورقاء الناجي الشاش[٧].

لقد جاء ذكر هؤلاء العمال الذين عينوا من قبل ولاة خراسان عرضياً وضمن الكلام عن الحوادث، ولذلك لا يمكن القول إن المصادر التاريخية قد ذكرت كل العمال في المدن كافة والأماكن، ولذا يمكن

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٥١. ج٧، ص٣٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤١-٤٤٢. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٩٥-٩٦. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٢١. فلهوزن، تاريخ، ص٤٥١-٤٥٢.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧. ج٧، ص١٠٩.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٦.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٨٠. ج٦، ص٦٠٦-٦٠٧.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٥.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٢.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٢. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٣٠.

الجزم بأن المدن المذكورة أعلاه كانت مراكز إدارية[١]، ومن الراجح أن ولاة خراسان عينوا عمالاً على المدن أكثر من الذين أوردنا ذكرهم، ولكن المصادر اقتصرت على ذكر من كان لهم دور مهم في أحداث خراسان.

٣- المؤسسات الإدارية:

كان أغلب سكان خراسان من الأعاجم الذين كانت لهم نظم ومؤسسات قديمة، لكن العرب بعد الفتح اسكنوها جالية عربية كبيرة موزعة على أغلب المدن، ولذلك قضت متطلبات الحياة أن تقوم في خراسان منذ أوائل الفتح العربي، مؤسسات إدارية يسري عملها على العرب والأعاجم وتلائم أوضاعهم ومكانتهم[٢].

وعند تتبع دراسة هذه المؤسسات، فلا بدَّ من وجود صعوبة بالغة، ولعل ذلك يعود إلى أن المصادر ركزت اهتمامها بالدرجة الأولى على الأوضاع السياسية والفعاليات العسكرية وأغفلت الجوانب الإدارية، ولذا فإن دراسة المؤسسات في هذا الإقليم تعاني من قلة النصوص التي يمكن من خلالها أن يظهر واقع الإدارة بصورة واضحة، ومع ذلك فإن المعلومات التي أوردها الطبري، وهو مصدرنا الأساسي لدراسة الإدارة في خراسان، تقدم صورة عن حال الإدارة في حقبة الدراسة، فقد بقيت الأوضاع في خراسان قلقة وغير مستقرة في السنوات الأولى من الفتح العربي على أثر حدوث الفتن الداخلية في خلافة علي بن أبي طالب ﷺ، وبعد أن انتهت الحرب الأهلية الأولى، وارتقى معاوية بن أبي سفيان سُلم الخلافة، اقتضى الوضع السياسي والاجتماعي في العصر الأموي تنظيماً جديداً اضطلع بوضع أسسه معاوية بن أبي سفيان، الذي كان "مربي دول وسائس أمم وراعي ممالك ابتكر في الدولة أشياء لم يسبقه أحد إليها"[٣]، فعمد معاوية إلى اتخاذ اللامركزية في الإدارة وذلك لإعادة الاستقرار في الدولة العربية معتمداً على عمال أكفاء من أهل بيته أو من غيرهم من رجال دولته وأنصار دعوته فكان لا يستعمل إلا من ثبتت كفاءته ونجدته في تأييد سلطانه[٤].

أ- الدواوين وتدوينها ومراحل تطورها

وتعد الدواوين بمنزلة المؤسسات الإدارية التي تساعد الوالي في إدارة شؤون الولاية، والديوان يعني السجل الذي يحفظ فيه أسماء المقاتلين وعيالهم ومقدار أعطياتهم ثم صار المكان الذي يحفظ فيه السجل، وهو موضع لحفظ ما يتعلَّق بحقوق السَّلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال[٥]،

---

[١]- العلي، تقسيمات خراسان، ص٧٨٤.

[٢]- العلي، إدارة خراسان، ص٣١٨.

[٣]- ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٦.

[٤]- كرد علي، الإدارة الإسلامية في عز العرب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م، ص٦٧.

[٥]- الماوردي، الأحكام، ص٢٥٩. أبو يعلى، الأحكام، ص٢٣٦. حسن، النظم الإسلامية، ص١٨٦.

وقد ظهرت الدواوين في الدولة العربية كبقية المؤسسات نتيجة لحاجة العرب إلى التنظيم العسكري والإداري والمالي، واختلف في أصل كلمة ديوان، فذهب قوم إلى أنه عربي، وذهب آخرون إلى أنه أعجمي[١].

وأول من وضع الديوان في الإسلام عمر بن الخطاب ﷺ[٢]، وكان السبب في تدوين عمر ﷺ للدواوين، أن أبا هريرة قدم على عمر بن الخطاب ﷺ من البحرين بخمسمائة ألف درهم فاستكثرهم عمر، ثم صعد المنبر وقال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير فإن شئتم كلنا لكم كيلاً، وإن شئتم عددنا[٣]. وكان أيضاً من الأسباب التي دعت الخليفة عمر بن الخطاب إلى تدوين الدواوين بأنه لم يكن على عهد الرسول ﷺ وعهد أبي بكر الصديق ﷺ ديوان لإحصاء الأموال وضبط العطاء، فلما كان عهد ﷺ عمر اتسعت الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى دخول الكثير من القبائل العربية في جيش المسلمين واستقرارهم في الأمصار كما أدت إلى تزايد الموارد المالية على الأمصار، فكان لا بد من إيجاد نظام إداري ومالي وعسكري يتولى مهمة تنظيم الأعداد الكبيرة من المقاتلين وتنظيم الأمور المالية لهم، ولعل من جملة الأسباب الأخرى التي دعت إلى تدوين الدواوين هو رغبة عمر ﷺ في أن يجعل من العرب أمة عسكرية يوجهها للجهاد في سبيل سيادة الإسلام، فأراد أن يخصص للمقاتلين رواتب وأعطيات من بيت المال، وأراد أن يحفظ سجلاً بأسماء هؤلاء المقاتلين ورواتبهم وقبائلهم وأهلهم[٤]. وقد قيل إن عمر ﷺ استشار المسلمين في تدوين الديوان وكان من رأى علي بن أبي طالب أن يقسم عمر كل ما اجتمع إليه من مال، أما عثمان بن عفان ﷺ فقد رأى إنشاء الديوان وأخيراً تم تدوين الدواوين في شهر المحرم سنة٢٠هـ/٦٤١م[٥]. ولما تولى عثمان بن عفان ﷺ الخلافة، أقر الأوضاع الإدارية السائدة التي وضعها الخليفة عمر ﷺ من قبل، وسار علي بن أبي طالب ﷺ على النمط الإداري نفسه لأنه لم ير موجباً لتغييره أو الإضافة عليه، خاصة وأنه كان مشغولاً بما ساد من مشاكل داخلية في عهده.

---

[١]- للتفاصيل في معنى الديوان انظر: الصولي، أدب الكتاب، تح: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م، ص١٨٧. الجوهري (إسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٥، ص٢١١٥. الماوردي، الأحكام، ص٢٥٩. أبو يعلى، الأحكام، ص٢٣٧. القلقشندي، صبح ج١، ص١٢٣. خماش، الإدارة، ص٢٥٥.

[٢]- أبو يوسف، الخراج، ص٤٥. ابن سلام، الأموال، ص٣١٩. العسكري، الأوائل، ص١٦٤.

[٣]- أبو يوسف، الخراج، ص ٤٥. الجهشياري، الوزراء، ص ١٦. الماوردي، الأحكام، ص ٢٥٩.

[٤]- الدوري، النظم، ص١٨٧. الهاشمي، رحيم كاظم محمد؛ شنقارو، عواطف محمد العزي: الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د.ت، ص٣٩. شلبي، تاريخ الحضارة، ص١٠٨.

[٥]- البلاذري، فتوح، ص٤٥٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص١٦٢-١٦٤. الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣٦. كرد علي، الإدارة العربية، ص٤٤.

ويلاحظ أن الدواوين بدأت بسيطة محدودة ثم نمت وتعددت وتفرعت حسب الضرورات والأحوال(١)، فقد جرى نظام الدواوين في الدولة الأموية بما يتفق والنظام الإداري اللامركزي وذلك من حيث الاستقلال الذاتي للولايات مع دعم أسباب الإشراف عليها في الوقت نفسه من قبل عاصمة الخلافة في دمشق، واقتضى هذا الارتباط أن يكون في الدولة نوعان من الدواوين، الأول دواوين مركزية مقرها العاصمة دمشق، والثانية دواوين إقليمية مقرها حواضر الولايات، وقد انتظم العمل في هذين النوعين من الدواوين وفق قواعد واحدة في إدارتها وأهدافها حتى صار كل منهما صورة صادقة عن الأخرى في مؤسساتها(٢). ويجب التمييز بين الدواوين المركزية والدواوين المحلية في الولايات والأمصار "فالأولى أنشأها العرب أنفسهم وكانت تستعمل اللغة العربية وحدها، والثاني هي استمرار للدواوين المحلية التي كانت قبل الإسلام وقد أبقاها العرب على وضعها أول مرة وفق سيرتهم العامة"(٣)، ولذلك بقيت تستعمل اللغات الأجنبية المحلية المستعملة فيها كالفارسية في العراق، والإغريقية في بلاد الشام، والقبطية في مصر حيث تم تعريبها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنيه الوليد وهشام (٤).

فقد أتيح للأمويين الاتصال بالفرس أكثر مما أتيح للراشدين، فاتسعت في عصرهم رقعة الدولة مما أدى إلى اتساع مرافق الدولة تبعاً لذلك، واحتاجت إلى دواوين جديدة تنظم إدارتها وتساعد الخليفة في واجباته، كما خطا معاوية خطوة متقدمة في توحيد النظم المالية والإدارية بين المركز والأطراف، ولما كانت الدولة العربية أشبه باتحاد يتألف من ولايات كثيرة فقد تمتعت هذه الولايات، ولاسيما الشرقية منها بدرجة كبيرة من الاستقلال المحلي فيما يتعلق بشؤون إدارتها(٥). فقد أشار الطبري(٦) إلى ذكر الدواوين في خراسان خلال العصر الأموي، فذكر أن عمر بن هبيرة والي العراق دعا جميل بن عمران سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م وقال له: بلغني أشياء عن سعيد بن عمرو الحرشي أمير خراسان، فاخرج إلى خراسان وأظهر أنك قدمت تنظر في الدواوين. وذكر المدائني(٧) الدواوين في خراسان سنة ١١٨هـ/٧٣٦م عندما اتخذ أسد القسري مدينة بلخ داراً ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع. كما ذكر المدائني الدواوين في سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م

(١)- الدوري، النظم، ص١٨٦.

(٢)- خماش، الإدارة، ص٢٥٥

(٣)- الدوري، النظم، ص١٨٧.

(٤)- الجهشياري، الوزراء، ص٢٤. الصولي، أدب، ص١٩٦.

(٥)- حسيني، مولوي س.أ. ق: الإدارة العربية، تر: إبراهين أحمد العدوي، مر: عبد العزيز عبد الحق، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، ص٢٥٠.

(٦)- تاريخ، ج٧، ص١٥. المقدسي، أحسن، ص٣٠٢.

(٧)- البلاذري، فتوح، ص٤٦٧. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١١.

عندما اشتد النزاع بين نصر بن سيار والحارث بن سريج المرجئي، فحول نصر السلاح والدواوين إلى القلعة. ومن خلال هذه النصوص يتبين وجود الدواوين التالية في خراسان في العصر الأموي.

ب- أهم الدواوين في خراسان في العصر الأموي

١- ديوان الجند:

وهو أقدم ديوان عرفه المسلمون، أسسه عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢٠هـ/٦٤١م [١]، فعندما استقر رأي عمر ﷺ على تدوين الديوان طلب من بعض كتَّاب قريش أن يكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا على ترتيب الأنساب معتمدين على القرابة من النبي ﷺ أساساً في فرض العطاء حيث يبدأ عادة بالهاشميين فالقرشيين، وتليهم قبائل مضر فعدنان ثم قبائل اليمن، أما العجم فكانوا يرتبون بحسب أنسابهم، أو بحسب بلادهم كالترك والفرس وغيرهم[٢]. وكان يعرف باسم الديوان لأنه لم يكن يوجد غيره فلم يحتاجوا إلى تمييزه بلفظ آخر يضاف إليه[٣]. وكان الديوان يسجل به أسماء كل من فرض له العطاء، وعلى رأسهم أصحاب السابقة في الإسلام والجهاد، والجند الذين اشتركوا في فتح الأمصار، وكانوا يمثلون الكثرة الغالبة ممن فرض له العطاء ومن هنا جاءت تسميته بديوان العطاء وبديوان الجند[٤]. كانت مهمة الديوان هو القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الداخل والخارج وإحصاء العساكر بأسمائهم حسب قبائلهم التي ينتمون إليها وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم[٥]. كما كان الانضمام إلى الديوان اختيارياً من حيث المبدأ، فلم تفرض الدولة على الفرد الانضمام إلى الديوان إلا وقت الضرورة[٦].

هذا وإن ديوان الجند في العصر الأموي هو استمرار متطور لديوان الجند زمن الخلفاء الراشدين لتحديد العطاء لجميع المسلمين ولاسيما الجند منهم، غير أنه قد مر بتطورات عديدة على أيدي الأمويين، لما اقتضته الظروف الجديدة للحياة الإسلامية في العصر الأموي، نتيجة ازدياد عدد الجند، واحتكاك المسلمين بحضارات أخرى، وتشعب المسائل المالية وما شابه ذلك من نظرة الجند إلى العطاء على أنه معاش أكثر منه راتباً لقاء خدمة حربية أمر بها الإسلام وهذا خاضع لظروف الدولة من الناحيتين المالية

---

[١]- الماوردي، الأحكام، ص٢٥٩-٢٦٤. الصولي، أدب، ج٢، ص١٩٠. السلومي، عبد العزيز: ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسام الدين السامرائي، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص١٠٠-١٠٥.

[٢]- قدامة، الخراج، ص٢١. الماوردي، الأحكام، ص٢٦٧-٢٦٩. الحاج حسن، حسين: حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص١٦٣. الدوري، النظم، ص١٦٩.

[٣]- خماش، الإدارة، ص٢٥٦.

[٤]- الريس، الخراج، ص١٥٦.

[٥]- ابن خلدون، تاريخ، ج٢، ص٦٢٦. كاشف، الوليد بن عبد الملك، ص١٧٣.

[٦]- ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢٣٤.

والعسكرية فاختلف عطاء الجند ومقدار أعطياتهم باختلاف الخلفاء والولاة وتبعاً للظروف الاقتصادية والاجتماعية[١]. وكان يتولى شؤون هذا الديوان كاتب، ويساعده مجموعة من الموظفين يطلق عليهم اسم النقباء أو المناكب، وكان كل نقيب أو منكب يرأس مجموعة من العرفاء، ويتولى كل عريف قسماً معيناً من الجند، وكان اختيار العرفاء والنقباء يتم بناء على خبرتهم وأمانتهم، ومن مهامهم إعلام الأمير بأحوال الجند، ومراقبة المقاتلين وتسجيل الجدد منهم في الديوان والإخبار عن الوفيات، حيث يذكر الطبري بأن عرفاء الديوان كانوا يرافقون الجيش حين يخرج للغزو، ويساعدون الأمير في إعادة فرز وتنظيم المقاتلين حين يستدعي الأمر ذلك[٢].

ولما كانت خراسان قد ارتبطت من الناحية الإدارية بالبصرة، فمن المحقق أن أوضاع خراسان الإدارية قد انفصلت عن البصرة بعد الاستقرار العربي الذي جرى سنة ٥١هـ/٦٧١م، حيث تطلب الأمر قيام التنظيمات الإدارية. وعلى الرغم من أنه لا يوجد روايات تحدد بدء تنظيم الدواوين في خراسان إلا أنه من المرجح أن زياد بن أبي سفيان هو الذي وضع دواوين خراسان. ويأتي أول ذكر لديوان الجند في خراسان سنة ٦١هـ/٦٨٠م عندما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان "فكان الناس يكلمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم، وكان صلة بن أشيم يأتي الديوان فيقول له الكاتب يا أبا الصهباء ألا أثبت أسمك"[٣]. ويبدو أن الديوان المركزي كان في مرو، ولم توجد له دواوين فرعية في مدن خراسان، حيث يشير الطبري إلى ذلك في روايتين، تفيد الأولى بأن استعراض قتيبة لجند خراسان وتفقده لسلاحهم ومؤنهم كان يتم في مرو، وتذكر الثانية أن المسلمين كانوا يتجهزون بالأسلحة والعتاد والمؤن في مرو[٤].

٢ً- ديوان الخراج:

ويعد من أهم الدواوين في الدولة الإسلامية لأنه مصدر جميع الأموال للأقاليم والدولة، ويتولى جمع الخراج وجبايته والنظر في مشكلاته والإنفاق من موارده على شؤون الدولة، وهو عماد المالية[٥]. وجدت دواوين الخراج منذ عهد عمر بن الخطاب ﷺ[٦]. كان الخليفة عمر ﷺ قد تبنى اتجاهاً خاصاً في النظرة إلى البلاد المفتوحة " فعدها فيئاً موقوفاً للمسلمين عامة وهذا يعني أنه ألغى فكرة تقسيم الأرض وإبقاءها

---

[١]- الخربوطلي، الحضارة العربية، ص٢١٢.

[٢]- ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٩٦. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٧٤. الجهشياري، الوزراء، ص٢٣. ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص٧٦٩ -٧٧٢. ج٩، ص٢٣٨ . السلومي، ديوان الجند، ص١٤٨.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٢.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٢٥، ٤٣٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص١٤٥.

[٥]- الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٩٥.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٣، ص١٠٨. العسكري، الأوائل، ص٢٤٢-٢٤٤. الماوردي، الأحكام، ص٢٥٩-٢٦٤.

في أيدي أصحابها مقابل دفع ضريبة الخراج[١]. وكان معاوية هو أول من أمر بتسجيل أو حفظ سجلات بمقادير الجزية والخراج لكل منطقة أو إقليم، وميز تمييزاً واضحاً بين دخل أرض الخراج ودخل أرض الصوافي، وكان كل ما يرد يسجل في ديوان الخراج، واتبع الخلفاء الأمويون القاعدة نفسها، فكان يسجل في ديوان الخراج كل ما يرد من أموال الفيء أما أموال الصدقات فقد كانت تسجل في ديوان خاص بها يسمى ديوان العشر[٢]. وكان زياد ينتقي كتاب الخراج من رؤوساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج، كما استخدم الموالي والدهاقين في جباية الأموال[٣]، وكذلك فعل عبيد الله بن زياد الذي استخدم الدهاقين لأنهم أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون في المطالبة من عمال العرب، ورغم ذلك كان الولاة يعينون أمناء من قبلهم على أعمال الدهاقين وتصرفاتهم خشية أن يتمادوا في ظلم الناس[٤].

وقد أشار المدائني[٥] في مواضع متعددة إلى "الخراج" في إقليم خراسان، ففي ولاية الحكم بن عمرو الغافري ٤٧هـ/٦٦٧م جعل زياد بن أبي سفيان رجالاً معه على كور فكانوا على جباية الخراج. غير أن دواوين الخراج في خراسان احتفظت بلغتها المحلية شأنها شأن بقية الولايات، وكان يتولاها كتّاب متحدرون من أصول غير عربية [٦]، هذا بالإضافة إلى أن العرب الفاتحين استعانوا بالدهاقين الذين كانت لهم خبرة واسعة في تقدير وفرض الضرائب، ذلك أن معاملات الخراج متصلة بالفلاحين وتتطلب اتباع التقاليد القديمة[٧].

وكان مقر الديوان المركزي لخراج خراسان في مرو، وأشرف عليه عادة عامل يعينه الوالي، وتفرعت دواوين فرعية عن الديوان المركزي في المدن الرئيسة، أشرف عليها إما عامل المدينة نفسه، أو عامل مستقل عنه يعينه الوالي، ولم تكن مهمة العمال العرب تتعدى الإشراف على تحصيل الأموال، فقد كانت الحسابات في الديوان باللغة الفارسية، وتولى كاتب من العجم إدارة الديوان، تساعده مجموعة من الموظفين يسمى واحدهم: الضيزن أو البندار[٨].

---

[١]- خزنة كاتبي، غيداء: الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م، ص٨٩.

[٢]- الجهشياري، الوزراء، ص٣. الماوردي، الأحكام، ص٢٠٧. خماش، الإدارة، ص٢٧٤.

[٣]- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٣٤.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٢٣.

[٥]- العلي، التدوين وظهور الكتب المصنفة في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٣١، ج٢، ١٩٨٠م، ص١١.

[٦]- الجهشياري، الوزراء، ص١١.

[٧]- العلي، التدوين، ص١١.

[٨]- الجهشياري، الوزراء، ص٤٣. ابن منظور، لسان، ج١٣، ص٢٥١. عيزوقي، أوضاع، ص١١٨.

ويبدو أن استعمال العرب على الخراج في خراسان وغيرها كان لا يخلو من مخاطر قبلية، فقد استعمل قتيبة عبد الله بن الأهتم على الخراج، لكنه قام بسرقة الأموال حين هرب من قتيبة عام ٩١هـ/٧٠٩م[١]، وأدى انتقام قتيبة من أقارب ابن الأهتم إلى تعصب تميم وانحيازها إلى الجانب المعادي لقتيبة، ويظهر أن ذلك جعل قتيبة يميل إلى استعمال الموالي على الخراج، ويذكر الطبري أن قتيبة استعمل ثابتاً الأعور على خراج مرو، كما استعمل على خراج خوارزم أحد موالي أسرته[٢]، وقد أحيا قتيبة بذلك عادة قديمة استنها آل زياد بن أبيه في العراق وخراسان، حيث كانوا يستعملون الموالي على الخراج لأن هؤلاء أبصر بالجباية وأوفى بالأمانة وأهون بالمطالبة، إذ ليس لهم عشيرة تدعمهم[٣].

إن مسألة التجاوزات التي تسجلها المصادر لبعض ولاة خراسان، وسرقتهم لأموال الخراج[٤]، استمرت في عهد الحجاج، فقد انكسر خراج خراسان أيام المهالبة لاختلاسهم منه، وكان قتيبة حريصاً على أموال الخراج، حيث يذكر اليعقوبي أنه سرعان ما عزل عامله على سجستان لأنه اختلس المال، وأمر بتعذيبه واستخلاص ذلك المال منه[٥].

٣ً- ديوان الخاتم:

وهو من أكبر الدواوين أهمية لم تزل السنة جارية به إلى أواسط دولة بني العباس فاسقط لتحويل الأعمال إلى الوزارة والسلاطين[٦]. وهو من النظم الإدارية التي استحدثها الأمويون لضبط المعاملات المالية وصيانة الوثائق الهامة[٧]. وكان بنو أمية لا يولون ديوان الخاتم إلا أوثق الناس عندهم، وأول من أنشأ هذا الديوان الخليفة معاوية بن أبي سفيان بعد أن اكتشف تزويراً في أمر مالي بعث به إلى والي العراق[٨]. فأنشأ معاوية هذا الديوان لتحقيق السرية والأمان لمراسلات الدولة، ولمنع التزوير والتلاعب في الكتب التي يصدرها الخليفة، فتحزم بخيط، وتختم بالشَّمع، وتختم بخاتم صاحب هذا الدِّيوان. ثم أصبح الديوان بمنزلة سجل للكتب الصادرة، وصارت الدولة تعتمد عليه في تدقيق الأوامر، والمراسلات التي

---

(١)- أبو عبيدة، نقائض، ج١، ص٣٤٩.

(٢)- تاريخ، ج٦، ص٤٧٠.

(٣)- البلاذري، أنساب، ج٦، ص٢٢. الجهشياري، الوزراء، ص١٨. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٢٢.

(٤)- المقدسي، البدء، ج٢، ص٢٣٨. الجهشياري، الوزراء، ص١٨. الدوري، النظم، ص١٣١.

(٥)- اليعقوبي، البلدان، ص٦١.

(٦)- ابن طباطبا، الفخري، ص ١٠٧. متز، الحضارة، ج١، ص١٥٣-١٥٤. شلبي، تاريخ الحضارة، ص١١٢-١١٣.

(٧)- خماش، الإدارة، ص ٢٨٧.

(٨)- الجهشياري، الوزراء، ص٢٤-٢٥. الصولي، أدب، ص١٤١. حسيني، الإدارة، ص١٩٩. خماش، الإدارة، ص٢٨٧.

تتعلق بالصرف والحسابات بين مقر الخلافة والأقاليم الإسلامية الأخرى[١]. فصار ديوان الخاتم يتولى تسجيل الأوامر الصادرة من الخلافة، وذلك بأن يختم الأصل ويرسله[٢]، ولم يقتصر حفظ النسخ الإدارية وختم الأوامر على الخليفة وحده وإنما اتبع الولاة أسلوب الخلفاء ويذكر المدائني[٣] أن زياد بن أبي سفيان كان أول من اتخذ من الولاة ديوان زمام وخاتم. وكان زياد قد أمر الكتَّاب بنسخ المكاتبات بعد ختمها، وأقام على هذا الديوان موظفين من العرب والعجم[٤].

وأما وجود ديوان الخاتم في خراسان فقد ورد ذكره في رواية واحدة يذكرها المدائني[٥] في سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م، عندما كتب مسلم بن سعيد أمير خراسان إلى ابن هبيرة والي العراق يطلب منه أن يوجه عليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر، فكتب ابن هبيرة إلى عامله بالبصرة: احمل إلي توبة بن أبي أسيد، فحمله فقدم ... فلما دخل على ابن هبيرة، قال ابن هبيرة: مثل هذا فليول، ووجه به إلى مسلم، فقال له مسلم: هذا خاتمي فاعمل برأيك؛ فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله؛ فأراد توبة أن يشخص مع مسلم، فقال له أسد: أقم معي فأنا أحوج إليك من مسلم. فأقام معه، فأحسن إلى الناس.

٤ً- ديوان الرسائل:

ويسمى أيضاً بديوان الإنشاء[٦]. وتشير المصادر التاريخية إلى أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو الذي استحدث هذا الديوان[٧]. وكانت مهمته تحرير رسائل الخليفة إلى الولاة والعمال كافة. وهناك من يرجع هذا الديوان إلى زمن الرسول (ص) ذلك أنه كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة[٨]، إلا أن هذه المكاتبات لم تأخذ شكل الديوان حتى جاء معاوية فوضع أسسه. وكان صاحب ديوان الرسائل في العصر الأموي يدعى بالكاتب[٩]. وقد تطور هذا الديوان بشكل خاص في عهد الخليفة عبد الملك بن

---

(١)- قدامة، الخراج، ص٣١-٣٢. شاهين، المصنفة في العهود الإسلامية الأولى، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٣١، ج٢، ١٩٨٠م، ص٤٣٣. الصلابي، معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره، دار الأندلس، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٤٦.

(٢)- ابن طباطبا، الفخري، ص١٠٧.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص ٤٥٠. أنساب الأشراف، ج٤، ص٢٠٢.

(٤)- الهوني، فرج محمد: النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية منذ قيام دولة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية، دار الحقيقة، بنغازي، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص١٩٧-١٩٨.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥.

(٦)- القلقشندي، صبح، ج١، ص١٢٣.

(٧)- ابن خياط، تاريخ، ص٢١٨. ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٧. الجهشياري، الوزراء، ص٢٤.

(٨)- القلقشندي، صبح، ج١، ص١٢٥.

(٩)- خماش، الإدارة، ص٢٨٠.

مروان[١]. وفي زمن الوليد بن عبد الملك اتخذ هذا الديوان شكله المتميز واستكمل نضجه فقد اهتم الوليد بجودة القراطيس وجمال الخط وفخامة المكاتبات[٢]. وكتب هذا الديوان باللغة العربية منذ وجوده، فالرَّسائل التي وجهها رسول الله ﷺ كتبت بالعربية. وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يكتب الرسائل بيده، ولكن لما تشعبت أمور الدَّولة، أخذ الخليفة يعتمد على كُتَّابه شيئاً فشيئاً، وأصبح الكاتب مؤتمناً على ما يكتب، ولا يفعل الخليفة أكثر من أن يوقع فقط، ولذلك كان الكُتَّاب كثيراً ما يتلاعبون بالأمور، وقبل أن ينقضي العصر الأموي، كانت الكتابة قد أصبحت صناعة ذات قواعد وأصول، وأصبح الكاتب كأنه وزير له رأي في أمور الدَّولة، وله سلطة عظيمة في تسييرها[٣]. وكان الكاتب في خلافة بني أمية يدعى أحياناً بصاحب ديوان الرسائل أو متولي ديوان الرسائل وربما قيل له صاحب ديوان المكاتبات[٤]. وكانت الرسائل الصادرة عن هذا الديوان تختم بخاتم الخليفة، وقد اتخذ معاوية خاتماً نقش عليه عبارة "لكل عمل ثواب"، ثم اتخذ من بعده خلفاء بني أمية الخواتم التي تحمل نقوشاً مختلفة[٥]. ويفهم من هذا أن الولاة اتخذوا كتاباً للرسائل وديواناً لغرض حفظ ما يرد إليهم من دار الخلافة، وما يصدر عنهم من مراسلات إلى مقر الحكومة المركزية، فلما قلد يزيد بن معاوية سلم بن زياد خراسان، كان يكتب له اسطفانوس كاتب أخيه[٦]. وكان يكتب ليزيد بن المهلب في خراسان يحيى بن يعمر العدواني، والمغيرة بن أبي قرة مولى سدوس[٧]. وكان يكتب لسعد بن عمرو الحرشي في خراسان حسان النبطي[٨]. وأن كاتب قتيبة كان يدعى ثابت بن أبي ثابت[٩]. ولما وليّ نصر بن سيار استكتب البحتري بن مجاهد[١٠]. وكانت مهام هؤلاء تقضي بإنشاء الرسائل حول أحداث الفتح وأوضاع خراسان، كما يبدو أنهم تولوا إنشاء معاهدات الصلح التي كانت تعقد بين المسلمين وغيرهم[١١].

---

[١]– بطاينة، محمد ضيف: في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٤٥.

[٢]– الجهشياري، الوزراء، ص٤٧.

[٣]– شعبان، صدر الإسلام، ص٢١٣. أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، ط١، دمشق–بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣٢٠.

[٤]– القلقشندي، صبح، ج١، ص١٠٣.

[٥]– قدامة، الخراج، ص٣. الهوني، النظم الإدارية، ص٢٠١–٢٠٢.

[٦]– الجهشياري، الوزراء، ص٣١.

[٧]– الجهشياري، الوزراء، ص٤١، ٤٩.

[٨]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣٥. الجهشياري، الوزراء، ص٦١.

[٩]– ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص١٦٢.

[١٠]– الجهشياري، الوزراء، ص ٦٦.

[١١]– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٨٧. ابن عساكر، تاريخ، ج١٢، ص١٥١. الجهشياري، الوزراء، ص٢٥.

٥ً- ديوان البريد:

البريد هو الرسول على الدواب[١]، فقد اختلف فيه فقيل: إنه عربي[٢]. وذهب آخرون إلى أن لفظة بريد فارسية أصلها "بريدة دم" وتعني مقطوعة الذنب، لأن أذناب خيل الرسل كانت مقطوعة لتميزها عن الخيل الأخرى، ولتميز راكبها بأنه رسول الدولة[٣]. وتختلف المصادر في تحديد المسافة بين مركزي البريد، فالقلقشندي يحددها بأربعة فراسخ أو اثني عشر ميلاً[٤]. أما المقدسي فيذكر أن بريد خراسان كان على فرسخين أو ستة أميال، ولكنه لا يحدد إن كانت تلك مسافة البريد أيام الأمويين، أم أنه تطور فيما بعد[٥]. ويبدو أن حيوانات البريد لم تقتصر على الخيل فقط، بل استخدمت كذلك الجمال والبغال، ولذلك فقد اختلفت سرعة وصول البريد باختلاف الطرق ووسائل النقل[٦]. وكان البريد نظاماً معمولاً به في الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، وبظهور الإسلام واتجاه العرب إلى الفتوح، استدعت الظروف إلى إيجاد الرسل الذين ينقلون تعليمات الخلافة وأوامرها إلى جبهات القتال. ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: أنا لا أخس بالعهد ولا احبس البريد[٧]. وعرف البريد في العصر الراشدي فيذكر البلاذري[٨]: كان عمر ﷺ إذا أبرد بريداً إلى موضع نادى مناديه: من له حاجة إلى بلد كذا.

أما في العصر الأموي، فتؤكد أغلب المصادر التاريخية على أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو أول من أدخل نظام البريد في الدولة الإسلامية وأصدر أوامره بوضع الخيول في عدة أماكن وقام بتنظيمه[٩]. لكي يؤمن نقل الأخبار والرسائل بين دار الخلافة والولايات، بغية إطلاع الخليفة على ما يجري في الدولة[١٠]، ولا شك في أن دوافع هذا الاهتمام كانت عسكرية وأمنية وسياسية لحاجة الدولة

---

[١]- ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٣٦٧.

[٢]- القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٤١٢.

[٣]- الزبيدي، تاج العروس، ج٧، ص ٤١٨. حسني، الإدارة، ص١٧٠.

[٤]- صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٦٦.

[٥]- أحسن، ص٦٦.

[٦]- القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٦٧. زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الأسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، مج١، ج١، ص٢٣٢.

[٧]- أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبو داؤود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت، ج٣، ص١١.

[٨]- أنساب الأشراف، ج٥، ص ٣٩٧.

[٩]- العسكري، الأوائل، ص١٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٦٣. الصلابي، معاوية شخصيته، ص٢٤٧.

[١٠]- الدوري، النظم، ص١٧٠. شاهين، الدولة الأموية، ص٤٣٤.

إليها، وكان الذي يشرف على ديوان البريد يقال له "صاحب البريد"(١)، وأصبحت وظيفة هذا الشخص من أهم الوظائف الإدارية في العصر الأموي، إذ كان يتمتع بنفوذ كبير، فقد كان صاحب البريد يتولى تنفيذ ما يصدر عن الخليفة إلى عمال الأقاليم ويتلقى ما يرد منهم إلى دار الخلافة، ثم يراقب العمال والموظفين التابعين لديوان البريد في الولايات المختلفة، لهذا كان الخلفاء يختارون صاحب البريد من ذوي الأمانة والإخلاص حتى يتحرى الصدق في أخباره لأن مهمته لم تكن قاصرة على تصدير الرسائل إلى الجهات المرسلة إليها وتسلم الوارد منها، وإنما كانت مهمته أيضاً الإشراف على أعمال الولاة وغيرهم من الموظفين الكبار في الولايات، إذ كان يعين صاحب البريد عمالاً له في الأمصار المختلفة يبعثون إليه بالأخبار(٢).

وفي عهد عبد الملك تقدم نظام البريد تقدماً ملموساً فلم يعد نظاماً يعتمد على طريقة تبادل الخيل في المحطات البريدية فقط ولنقل الرسائل بل أصبح يستفاد منه في الحملات العسكرية والرحلات السريعة فقد كانت عربات البريد تستخدم أحياناً في نقل القوات العسكرية على وجه السرعة، فكانت تستطيع أن تحمل مابين خمسين ومائة رجل في الرحلة الواحدة(٣)، فقد استعمل عبد الملك البريد لنقل الجنود إلى العراق إبان ثورة ابن الأشعث، كما استعمل لنقل الأفراد في خراسان، فقد سار حبيب بن المهلب إلى خراسان على البريد، كما أرسل يزيد بن المهلب كاتبه يحيى بن يعمر إلى الحجاج على البريد(٤). ويفهم من الروايات أن الخليفة عبد الملك بن مروان هو الذي أحكم أعمال البريد وأدخل إليه بعض التحسينات(٥). وبلغ من اهتمام عبد الملك بالبريد بأنه أوصى صاحبه أن لا يمنع عامل البريد من الدخول عليه ليلاً أو نهاراً لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة(٦). وقد أشار الطبري والبلاذري إلى وجود البريد في خراسان وفي إقليم ما وراء النهر فيذكر المدائني(٧) " أن قتيبة بعث عبد الله بن مسلم فمضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة فدس إلى إياس فأنذره فتنحى". وذكر البلاذري: أن الحجاج بعث كتاباً إلى قتيبة بن مسلم " فجاء الرسول حتى نزل السكة بمرو"(٨).

(١)- المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٦٠.

(٢)- قدامة، الخراج، ص٣٣. زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص٢٣١.

(٣)- النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٣٦. حسيني، الإدارة، ص١٧١. الشطشاط، علي حسين: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م، ص٣٩.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٢١، ٣٨٧. الجهشياري، الوزراء، ص٢٥.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٩٤. العسكري، الأوائل، ص١١١.

(٦)- القلقشندي، صبح، ج١٤، ص٣٦٧-٣٦٨. خماش، الإدارة، ص٢٨٤. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٧٤.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٨٠.

(٨)- فتوح، ص٤١٤.

وذكر الطبري[١] في أحداث سنة ١٠٤هـ/٧٢٤م "أن عمرو بن سعيد الحرشي، والي خراسان كان يستخف بأمر ابن هبيرة فكان البريد والرسول إذا ورد من العراق قال له: طيف أبو المثنى يقصد بذلك ابن هبيرة، ويذكر المدائني[٢] أن هشام بن عبد الملك استعمل الجنيد بن عبد الرحمن على خراسان سنة ١١١هـ/٧٢٩م. فحمله على ثمان من البريد، ويذكر الواقدي[٣] أن سعيد بن عمرو الحرشي اقترح على الخليفة هشام أن يبعث به على أربعين دابة من دواب البريد، بعد أن وصل الخليفة مقتل الجراح بن عبد الله الحكمي في سنة ١١٢هـ/٧٣٠م. وذكر المدائني[٤] أن الحارث بن سريج المرجئي وصل إلى الفارياب فوجه إليه عاصم بن عبد الله منصور بن عمر وهلال بن عليم التميمي والأشهب الحنظلي وجماعة منهم فلما انتهوا إليه بالفارياب قيدهم وحبسهم ووكل بهم رجلاً يحفظهم، فأوثقوه وخرجوا من السجن فركبوا دوابهم وساقوا دواب البريد. وفي رواية ثانية للمدائني[٥] يذكر فيها أن أسد بن عبد الله القسري وجه سيفاً بن وصاف العجلي من بلخ، فسار حتى نزل الشبورقان، وفيها إبراهيم بن هشام مسلحاً فحمله منها على البريد حتى قدم العراق. ويذكر الطبري[٦]: أن حميد مولى نصر بن سيار كان على سكة نيسابور. ومن هذا العرض يتبين أن البريد أصبح نظاماً معمولاً به في العهد الأموي على مستوى الولايات والأقاليم إضافة إلى ارتباطه بمقر الخلافة.

ويبدو أن كتبة ديوان البريد في خراسان كانوا من العرب والعجم، وتشير المصادر إلى مرافقة هؤلاء الكتاب لأمراء الجيوش العرب منذ الفتوح الأولى[٧]، وكان هناك طرق بريد تربط العاصمة دمشق بعواصم الأمصار الإسلامية، فكان هناك طريق يربط الشام بخراسان، وقد اعتنى به عمر بن عبد العزيز عناية كبيرة، وأنشأ خانات البريد على جوانب الطرق الرئيسة ولاسيما طريق خراسان ليبيت فيها الناس، وأمكنة تقيم فيها الدواب من خيل وجمال، ووفر بها الأحواض للشرب. وكان البريد يحمل العمال إلى ولاياتهم عند التولية، فقد ذكر عن الخليفة هشام بن عبد الملك إنه عندما عين الجنيد عاملاً على خراسان حمله على ثمان من دواب البريد. وبعد أن قامت الدولة الأموية بتعريب النقود عمدت إلى تعريب الدواوين وتنظيم البريد تنظيماً جيداً[٨].

---

(١)- تاريخ، ج٧، ص١٥.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٦٧.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٠.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٤.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٢٥.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٠.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٧.

(٨)- قدامة، الخراج، ص٣٤. الهوني، النظم الإدارية، من ص١٩٨-٢٠١.

ج- تعريب الدواوين:

كانت السمة الغالبة على الدواوين السمة الأجنبية البعيدة عن المظاهر العربية، إلى أن تولى عبد الملك بن مروان فأمر بتعريب الدولة، سواء من الناحية المالية (تعريب النقود التي سيتم الحديث عنها لاحقاً) لتحقيق الاستقلال الاقتصادي عن الأنظمة النقدية الفارسية، أو من الناحية الإدارية الخاصة بتعريب الدواوين لإكمال صبغ الدولة عربياً. و بعد أن قام بتعريب النقود وإصلاحه النقدي الشهير رغب في تعريب الإدارة والدواوين، إذ إن تعريب الدواوين كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتعريب النقود كضرورة من الضرورات الواجب اتخاذها لإرساء قواعد الدولة على أسس متينة قوية، وكانت لغات الدواوين لا تزال إلى أيامه تكتب بلغات أهلها، ويتولاها أشخاص من أهل البلاد المفتوحة ورأى عبد الملك أن هذا الوضع يتناقض مع سيادة الدولة العربية، فرأى أن ثقته بالإدارة لا يمكن أن تتم ما دام موظفوها ليسوا عرباً ومسلمين، وما دامت لغتها غير العربية، لذا أمر بتعريب لغة الدواوين، وكان طبيعياً أن يعقب تغيير لغة الكتابة تغيير الموظفين(١). هذا ويعد الخليفة عبد الملك بن مروان مؤسس النهضة العربية الأولى، بسبب حركة التعريب في مرافق الدولة، صحيح أن معاوية كان له فضل في إدخال بعض الأنظمة الإدارية في الدولة، إلا أن عبد الملك هو الذي صقلها وأضاف عليها وبلورها ومن ثم عربها، ويرى ابن خلدون أن سبب تعريب عبد الملك للدواوين هو أن العربية أصبحت في متناول كثير من الكتاب في البلاد المفتوحة وهم الذين كانوا يملؤون الدواوين ولاسيما الموالي الذين أسلموا(٢)، ومن الأسباب التي جعلت عبد الملك يقوم بتعريب الدواوين أيضاً الاختلاف الواضح منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بين أحكام الجزية والخراج وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في الشام ومصر، وكان من العسير على عمر بن الخطاب ﷺ أن ينقل هذه الدواوين إلى العربية، ويستخرج منها نظاماً موحداً يفرضه على الدولة العربية كلها(٣).

ويذكر البلاذري أن تعريب دواوين الشام في سنة ٨١هـ/٧٠٠م، أما تعريب دواوين العراق فبعد سنة ٨٢هـ/٧٠١م، أما خراسان فقد ظلت اللغة الفارسية فيها حتى سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م إذ كان أكثر كتاب خراسان مجوساً، وكانت الحسابات تكتب بالفارسية، فكتب يوسف بن عمر الذي كان يتقلد العراق في سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م إلى نصر بن سيار كتاباً أنفذه مع رجل يعرف بسليمان الطيار، يأمره نقل الدواوين إلى

(١)- الريس، عبد الملك، ص٢٨٤. حتي، تاريخ العرب، ص٢٧٩-٢٨٠. حلاق، حسان: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، الحياة المالية والاقتصادية والإدارية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص١٩٣. ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص١٦٤.

(٣)- أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية، ص٤٢٨. سالم، تاريخ الدولة العربية، ص٥٢٤.

العربية، وألا يستعين بغير المسلمين في أعماله وكتابه، ويبدو أن نصر بن سيار أسند إلى إسحق بن طليق وهو رجل من عرب بني نهشل بنقل الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان(١). وقد يكون ذلك بإيعاز من الخليفة هشام بن عبد الملك الذي عُرف عنه اهتمامه بالدواوين، قال عبد الله بن علي: "جمعت دواوين بني أمية فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام(٢). وكانت دواوين الخليفة هشام مثال الدقة والعناية في معاملة الرعية ومحاسبة العمال، وكان يختار العاملين عليها من ذوي الأمانة والاستقامة والنزاهة(٣).

وكان استمرار التدوين باللغة الفارسية في خراسان وما جاورها، وتأخر حركة التعريب هناك أمراً طبيعياً، لأن الفارسية كانت لغة السكان الأصلية يتداولونها منذ آلاف السنين، بالإضافة إلى أنها لغة الدين المجوسي، ولا يعقل أن تذوب هذه اللغة في الدواوين في سنين قليلة، بل إن ذلك يحتاج إلى مراحل زمنية لا بد من قطعها، وقد تم ذلك فيما بعد. وكان الفرس يتباهون ويتفاخرون أمام العرب في تنظيماتهم، ولغتهم السائدة في الدواوين، إذ قال أحدهم لأحد رجال العرب: "ما احتجنا إليكم قط في عمل ولا تسمية، ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم حتى أن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سميناه ما غيرتموه، كالأسفيداج والسكباج والدغباج....". ولكن بعد حركة التعريب تغير هذا المنطق نتيجة لحركة عبد الملك بن مروان واستمرار من خلفه في تحقيق هذه الحركة، فقد أجرى التعريب على العبارات والألفاظ الفارسية(٤). وكان لنقل الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية فإنه عندما أصبحت العربية لغة الدواوين ساعد ذلك على تقلص نفوذ أهل الذمة وغير العرب من المسلمين بعد أن انتقلت مناصب هؤلاء إلى أيدي المسلمين من العرب، كما ساعد على ظهور طبقة من الكتاب العرب ونقل كثير من المصطلحات الفارسية إلى العربية(٥)، كما ساعد التعريب على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالي فأصبحت اللغة العربية لغة التدوين كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الإدارة فضلاً عن أنها صارت لغة الثقافة بالإضافة إلى أنها لغة السياسة والدين(٦).

---

(١)- الجهشياري، الوزراء، ص٦٧. الهاشمي، الحضارة، ص٤١.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٠٣. ابن كثير، البداية، ج٩، ص٢٥٣.

(٣)- أبو النصر، الأيام الأخيرة، ص١٥١.

(٤)- الصولي، أدب، ص٤٧.

(٥)- حسن، النظم الإسلامية، ص٢٢٠. التاريخ الإسلامي، ص٥١٩. الهاشمي، الحضارة، ص٤١.

(٦)- الدوري، النظم، ص١٩٨. كاشف، الوليد، ص١٨٦. حلاق، تعريب النقود، ص١١١.

د-الشرطة

جهاز الشرطة من أقدم الأجهزة في الدولة الإسلامية، وكان على شرطة الخليفة عثمان بن عفان ﷺ عبد الله بن قنفذ[١]. ولما قامت الدولة الأموية ازدادت أهمية جهاز الشرطة للظروف التي كانت تعيشها وكثرة الخارجين عليها، وأعطى الخلفاء الأمويون والولاة جانب الأمن أهمية كبيرة، فعملوا على تأمين الطرق وحماية القرى ونشر الطمأنينة في نفوس الناس، لذلك ازدادت مهمات صاحب الشرطة، فكان من أهم وظائفهم العسس أو الطواف بالليل لتتبع أهل الريب وأطلق على صاحب الشرطة اسم صاحب الليل لأن من مهام صاحب الشرطة المحافظة على الأمن ليلاً[٢]، وارتبطت الشرطة أول الأمر بنظام القضاء، فكانت هي السلطة الإجرائية لقرارات القاضي في إثبات الذنب على مرتكبه، وتعقب الجناة والمفسدين في الأرض والقبض عليهم، كما كان رجال الشرطة يقومون بتنفيذ الأحكام والعقوبات التي يحكم بها القضاة، والإشراف على سجن الولاية ولذلك يعد جهاز الشرطة من ألزم الأجهزة للدولة بصفة عامة وللقضاء بصفة خاصة[٣]. وكان صاحب الشرطة يرافق الوالي دائماً، ويخرج معه للغزو، وكانت مهامه حراسة الوالي، ومساعدته في قمع أي تمرد يظهر بين المسلمين[٤]. ويذكر اليعقوبي أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أقام الحرس والشرط في الدولة الأموية[٥]. ولم يقتصر نظام الشرطة على العواصم فحسب وإنما قوي واشتد في الولايات أيضاً، وتظهر النصوص التاريخية زياداً بن أبي سفيان محاطاً برجال الشرطة، وقد جعل عددهم أربعة آلاف[٦]. ويذكر البلاذري أنه أي زياد أنشأ لنفسه حرساً خاصاً عدد أفراده خمسمائة رجل، وأسند قيادتهم إلى شيبان بن عبد الله[٧]. ويبدو أن الصفات المطلوبة من صاحب الحرس كانت غير تلك المطلوبة من صاحب الشرطة فكان صاحب الحرس يفضل أن يكون مسناً عفيفاً مؤتمناً[٨].

---

[١]- ابن خياط، تاريخ، ج١، ص١٧٩؛ ١٩٥. ابن حبيب، المحبر، ص٣٧٣. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٧٤.

[٢]- المقدسي، البدء، ج٦، ص٥١. المقريزي، المواعظ، ج٣، ص٦٦. المقري (أحمد بن المقري ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ج١، ص٢١٨.

[٣]- زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص٢٤٣. علي، مختصر تاريخ العرب، ص١٨١. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٧٥. عبد اللطيف، العالم الإسلامي، ص٤٩٤.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥١٣. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص١٧٨.

[٥]- تاريخ، ج٢، ص٢٢١.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٢.

[٧]- أنساب الأشراف، ج٤، ص ١٦٢.

[٨]- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٣٤.

وقد اتخذ ولاة خراسان الحرس والشرطة، ويذكر أن عبد الله بن خازم استعمل على هراة ابنه محمداً وجعل على شرطته بكير بن وشاح[١]. وعندما عين عبد الملك بن مروان أمية بن عبد الله، عزل بحير بن ورقاء عن شرطته وولاها عطاء بن السائب، وكان على شرطة قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٩٩هـ/٧١٤م شريك بن الصامت الباهلي[٢]. وفي ولاية أشرس بن عبد الله السلمي استعمل على شرطته عميرة أبا أمية اليشكري ثم عزله وولى السمط. واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على شرطته حبيب بن مرة العبسمي، وكانت الشرطة في خراسان تشترك إلى جانب الحرس في القتال ضد الترك[٣]. وكان سليم بن أحوز المازني على شرطة نصر بن سيار، وصاحب حرسه عبيد الله بن بسام[٤]. ويبدو أن الشرطة لم تقتصر في خراسان على قصبة الإقليم في مرو، وإنما كانت موجودة في كل المدن الرئيسة في خراسان إلى جانب العمال، ومما يؤكد ذلك رواية المدائني[٥] التي يذكر فيها أن عاصم بن قيس السلمي كان عامل نصر على (نسا) وكان على شرطته المفضل بن الشرقي السلمي.

هـ– القضاء

القضاء منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع عملاً بالأحكام الشرعية المنتقاة من الكتاب والسنة[٦]. لذا يعد القضاء من المناصب الإدارية المهمة في الدولة العربية الإسلامية وأهميته تكمن في نشر العدالة وتوفير الطمأنينة لأفراد المجتمع ليأمنوا على أرواحهم وحقوقهم، ولما كان للقضاء مثل هذه الأهمية لذا فقد أولى الخلفاء وكذلك ولاتهم عناية فائقة في اختيار قضاتهم، فعندما تولى أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة أسند شؤون القضاء إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وظل لسنتين لا يأتيه متخاصمان لما عرف به من الشدة والحزم، ولما ولي عمر ﷺ الخلافة وانشغل بالفتوح وتوسعت حدود الدولة الإسلامية وازدادت مشاكل الناس وتنوعت دعت الحاجة إلى فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية لعدم قدرة الخليفة والولاة على الجمع بين السلطتين، لذلك عين عمر ﷺ القضاة في كل الولايات، وأسند تعيين القضاة إلى الولاة أحياناً[٧]. وقد امتاز القضاء في البداية بسهولته وبساطته لعدم وجود قضايا معقدة، فلم ترد إشارات عن وجود كاتب أو سجل للقاضي تدون فيه الأحكام القضائية لأن

---

(١)– الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٢٢. ج٦، ص٣١٦.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٢.

(٣)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٩. ج٧، ص١٢٦.

(٤)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٨٨.

(٥)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٣٥.

(٦)– الماوردي ، الأحكام، ص٦١. ابن خلدون، تاريخ، ج١، ص٢٥١.

(٧)– الهاشمي، الحضارة العربية، ص٥٧.

العقوبات القضائية كانت تنفذ عقب صدورها مباشرة، وكان القضاء يعد من الأعمال الشاقة الخطرة بسبب علاقته بالدين، فكثيراً ما كان العلماء ورجال التقوى يأبون ولايته[١].

تطور القضاء في العصر الأموي عما كان عليه في العصر الراشدي لتطور نظام الدولة ولكثرة القضايا والمشاكل وتعقد بنيتها الاجتماعية فأدى ذلك إلى تطورات مهمة منها تسجيل الأحكام في سجلات خاصة. فقد بقيت ملامح القضاء الأساسية كما كانت زمن الراشدين فلم تكن لديهم قوانين موضوعة، بل كانوا يقضون تبعاً لأحكام الكتاب الكريم أو السنة النبوية، إضافة إلى أرائهم واجتهاداتهم الخاصة، كما صار العرف في أيام الأمويين أحد مصادر التشريع القضائي، ونظراً لاختلاف الأعراف بين منطقة وأخرى، إلى جانب اختلاف اجتهادات القضاة التي بلغت حد التناقض أحياناً، فقد اختلفت أحكامهم بين بلد وآخر، لذلك فمن العبث الحديث عن نظام موحد للقضاء في العصر الأموي[٢].

وكانت السلطة القضائية في الولايات بين قطبين (الأمير والقاضي) مع العلم أن سلطة الأمير في الولاية تفوق سلطة القاضي، فهو ممثل الخليفة والمسؤول المباشر عن حفظ الأمن والنظام، وكان الخلفاء الأمويون يختارون هم أنفسهم القضاة في عاصمة الخلافة ويتركون اختيار القضاة في الأمصار إلى أمرائهم[٣]. وكانت سلطة القاضي مقتصورة على مجتمع المسلمين، أما الأقوام الأخرى فقد احتفظت بتقاليدها القضائية، وكان رجال الدين عادة ما يقومون بهذه المهمة، ولم يكن للمسلمين حق في التدخل بشجاراتهم وخصوماتهم إلا إذا ترافعوا من تلقاء أنفسهم أمام قاض مسلم، فكان حينها يقضي بينهم وفقاً لأحكام الإسلام[٤]، أما إذا كان الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين فقد كان يحكم بينهم قاض مسلم، ولم يكن من حقه أن ينحاز للمسلمين، وقد حفظ الطبري إحدى هذه الحالات، فذكر أن عتاب اللِّقوة استدان مالاً من تجار الصغد ليجهز نفسه في حملة مع بكير بن وشاح، ولكن الحملة لم تخرج، ولم يكن بحوزة عتاب مالاً ليرده للتجار، فحكم القاضي عليه بالسجن حتى سدد بكير المال عنه[٥].

---

[١]- زيدان، تاريخ التمدن، ص٢٣٧.

[٢]- ابن أبي خيثمة (أحمد بن زهير بن حرب ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): التاريخ الكبير، تح: صلاح الدين هلال، الفاروق الحديثة للطباعة، ط١، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، مج٣، ص١٥٠. وكيع (محمد بن خلف بن حيَّان بن صدفة الضبيّ البغداديُّ ت٣٠٦هـ/٩١٨م): أخبار القضاة، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ج١، ص٧٠. الزحيلي، محمد: تاريخ القضاء في الإسلام، دار الفكر، ط١، دمشق-بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٩١، ٢١٣. الحسيني، الإدارة العربية، ص٢١١. حسن، التاريخ الإسلامي، ص٢٥٩.

[٣]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٨٩-٤٢٠. البلاذري، أنساب، ج١، ص٢٠٥. وكيع، أخبار القضاة، ص١١٨، ١١٩، ١٣٤.

[٤]- عبد القادر، علي: الفقه الإسلامي القضاء والحسبة، دار المعارف للطباعة، تونس، د.ت، ص٦٦. بروي، تاريخ الحضارات العام، مج٣، ص١١٦. كريستنسن، إيران، ص١٠٤.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٢. عيزوقي، أوضاع، ص١٣٠.

كان تعيين القضاة في خراسان بيد الولاة، وكان للشخص المرشح لمنصب القاضي أن يرفض توليه، أو أن يعتزله متى شاء، ويبدو أن الولاة عينوا لكل منطقة قاضياً خاصاً بها، ومستقلاً عن القضاة الآخرين، وقد حفظت كتب التراجم بعض القضاة أيام قتيبة، فكان يحيى بن يعمر على قضاء مرو، وعبد الرحمن ابن عمر على قضاء نيسابور، وزيد بن الحواري على قضاء هراة[١]. ويبدو أن ميل القاضي السياسي أو المذهبي لم يكن يحول دون توليه هذا المنصب، ويذكر أن الحجاج أمر قتيبة باستعمال يحيى بن يعمر على القضاء على الرغم من أن يحيى كان شيعياً[٢]. كما أن القاضي لم يحدد مجلساً معيناً يجلس فيه للحكم في خراسان، ولكن كما يبدو من الروايات أن القاضي كان يجلس في بيته أو يعقد جلساته في المسجد[٣]. وكانت مرتبات القضاة كافية ومحترمة بحيث تكفيهم وتفيض عنهم وتمنعهم من الرشوة[٤]، ولا تذكر المصادر مقدار رواتب القضاة في خراسان، ويكتفي ابن عساكر بالقول إن عبد الله بن بريدة كان يأخذ رزقاً على القضاء[٥]. ويأتي أول ذكر للقضاء في خراسان سنة ١٠١هـ/٧١٩م عندما كتب عمر بن عبد العزيز إلى سليمان بن أبي السري: "أن أهل سمرقند قد شكوا إليَّ ظلماً أصابهم، وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي، فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا، قال: فأجلس لهم سليمان جُمَيْع بن حاضر القاضي الناجيَّ فقضى[٦]، وقد جاء في تاريخ الطبري أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب إلى عقبة بن زرعة الطائي وكان على خراج خراسان يقول: "إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي ركنٌ، والقاضي ركنٌ، وصاحب بيت المال ركنٌ، والركن الرابع أنا"[٧]. وذكر المدائني[٨] قاضي خُجَندة في سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م، وعندما عين أشرس بن عبد الله السلمي والياً على خراسان سنة ١١٠هـ/٧٢٨م استقضى على مرو أبا المبارك الكنديّ، فلم يكن له علم بالقضاء، فعزله واستقضى محمد بن زيد فلم يزل قاضياً حتى عزل أشرس[٩]. وذكر

(١)– وكيع، أخبار، ص١٤١. السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٢٥٨. ابن عساكر، تاريخ، ج١٩، ص٣٨٣. ج٢٧، ص١٣٦. الشالجي، عبود: الرواتب في الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ع٢٦، د.ت، ص٢٦٨.

(٢)– ابن عساكر، تاريخ، ج١٢، ص١٥١. الذهبي، تاريخ، ج٦، ص٣١٩. ابن خلكان، وفيات، ج٦، ص١٧٤.

(٣)– البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ت٢٥٦هـ/٨٦٩م): التاريخ الكبير، طبع تحت رقابة: محمد عبد المعيد خان، حيدر أباد– الدكن، دائرة المعارف العثمانية، د.ت، ج٢، ص٣٥٣. وكيع، أخبار، ص١٠٨. حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٩٧.

(٤)– الخربوطلي، الحضارة، ص٥٢.

(٥)– تاريخ دمشق، ج٢٧، ص١٣٧.

(٦)– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨.

(٧)– تاريخ، ج٦، ص٥٦٨.

(٨)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩.

(٩)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٢

المدائني[١] قاضي مرو ولم يصرح باسمه، غير أنه ذكر اسم جده عثمان بن شباب الهمذاني. ويذكر وكيع[٢] أن أبا عبد الله بن بريدة كان يطوف القرى ويقضي بين الناس، وذكر الحسين بن واقد وأبو عثمان عمرو بن سالم بأنهما كانا يقضيان في مرو، وكان يحيى بن يعمر يجلس للقضاء في المسجد. ويفهم من هذه الروايات أن ولاة خراسان في العهد الأموي عينوا قضاة على المدن والقصبات الرئيسة في خراسان وفي إقليم ما وراء النهر، مع العلم أنه لاترد أية روايات عن القضايا التي نظر فيها هؤلاء القضاة.

ثانياً: السياسة المالية في إقليم خراسان في العصر الأموي

إن دراسة السياسة المالية لإقليم خراسان خلال العصر الأموي أمر بالغ الصعوبة، فليس من الممكن تقديم صورة واضحة، أو إعطاء أحكام قطعية، وذلك لتعذر الحصول على المعلومات الدقيقة من المصادر الإسلامية القديمة عن السياسة المالية في ذلك العصر، فكل ما حُصل عليه في هذا الصدد ليست إلا مجرد أخبار متفرقة مبعثرة في بطون الكتب تفتقر إلى الشمول والتكامل ولا تفي بالغرض المطلوب، مما يصعب القدرة على التصور الواضح وتبين الحقائق كما ينبغي بل إن الأمر يزداد غموضاً لعدم الدقة في إيراد تلك الأخبار واضطرابها وتناقضها أحياناً.

١- بيت المال

البحث في بيت المال يشمل النظر في كل ما يتعلق بأموال الدولة من خراج وصدقة وأعشار وأخماس وجزية وغير ذلك، ويسمى الديوان السامي، وهو أصل الدواوين ومرجعها عندهم، ووظيفته أن يثبت جميع أصناف الأموال من عين وغلال وفيء وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك ويتخذ بيوتاً لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرساً[٣]، استحدث بيت المال منذ وقت مبكر، ليكون مؤسسة تقوم على حفظ الأموال ريثما تنفق في وجوه الصرف المختلفة، وذلك بسبب الثروة التي انهالت على المسلمين[٤]. نتيجة لاتساع حدود الدولة وحركة الفتوح وأثر ذلك في زيادة مواردها المالية وتنظيم توزيعها بحيث يضمن للدولة استقراراً مالياً وإدارياً على المدى البعيد، فأنشأ عمر بن الخطاب ﷺ بيت المال في المدينة لإيداع الأموال الواردة من الغنائم والجزية والخراج والصدقات[٥]. كما وجد بيت المال في كل ولاية من الولايات العربية، فيذكر ابن سعد[١]: عين الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عمار بن ياسر على الكوفة

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١١٤.

[٢]- وكيع، أخبار، ج٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

[٣]- زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص٢١٢.

[٤]- الدجيلي، خولة شاكر: بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٥ .

[٥]- أبو يوسف، الخراج، ص٥٧. العسكري، الأوائل، ص٢٢٩. الدوري، النظم، ص ١٩٤. خزنة، الخراج، ص٢٦٠.

وبعث معه عبد الله بن مسعود على بيت المال، ويبدو أن اختيار الخليفة لعبد الله بن مسعود كان مبنياً على الأمانة والكفاية والعدل والورع. وتندر الإشارات إلى أصول بيت المال أو كيفية تطوره في العصر الأموي، أو متى بدأ يظهر في الولايات، فالبلاذري يذكر أنه كان لعبد الملك بيت مال(٢)، كما يذكر البلاذري(٣): أن زياد بن أبي سفيان كان والياً على الديوان وبيت المال، من قبل عبد الله بن عامر، وعبد الله يومئذ على البصرة من قبل عثمان بن عفان ﷺ؛ وكانت دواوين الخراج في الولايات تقوم مقام خزائن الدولة(٤)؛ إذ كانت تستوفي من مال الخراج أعطيات الجند ومرتبات الموظفين ثم تحمل ما يتبقى إلى بيت المال العام(٥). ومن الصعب تحديد مهام بيت المال ومسؤولياته في الحقبة الأموية المبكرة، لانعدام الإشارة إلى أصوله آنذاك(٦)، فالجهشياري لا يشير إليه إلا عند الحديث عن سليمان بن عبد الملك، فيقول: " وكانت يكتب على النفقات وبيوت الأموال والخزائن والرقيق عبد الله بن عمرو بن الحارث"(٧)، ولا تستعمل المصادر كلمة بيت المال في أخبار خراسان قبل ولاية قتيبة، وتقتصر إشارتها على الخراج وعامل الخراج، مما يوحي أن ضريبة الخراج كانت المورد الرئيس والأكثر وضوحاً لمالية خراسان آنذاك(٨). وترد أول إشارة إلى بيت المال عند الطبري الذي يذكر أن المفضل لم يكن له بيت مال حين غزا باذغيس، بل كان يعطي الناس كلما جاءه شيء ويقسم الغنائم بينهم كلما غنم شيئاً، وقد أكد ابن أعثم رواية الطبري حيث يذكر أن المهلب كان كذلك يقسم الغنائم بين جنده بعد أن يرسل الفيء للحجاج، دون أن يذكر وجود بيت مال للمهلب(٩). ذكر المدائني(١٠) بيت المال في خراسان سنة ١١١هـ/٧٣٧م كما ذكر أن أبا مجلز لاحق بن حميد بن سدوس كان على بيت المال في خراسان(١١). ويبدو أن المؤسسات الإدارية الموجودة في خراسان هي المؤسسات نفسها الموجودة في مركز الخلافة والولايات الأخرى، وهذا يعني أن الأمويين

---

(١)– الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٥٥.

(٢)– أنساب الأشراف، ج٢، ص١٣٩.

(٣)– فتوح، ص٣٥٦. الجهشياري، الوزراء، ص٢٢.

(٤)– كان الديوان مركزياً في العاصمة في بادئ الأمر، في حين استمرت دواوين الخراج تتولى زمام النظام المالي للولايات المختلفة، ومن هنا فقد أشكل الأمر على بعض المؤرخين حتى عدوا بيت المال وديوان الخراج شيئاً واحداً. النويري، نهاية، ج٨، ص١٥٠. حلاق، تعريب النقود، ص٣٦.

(٥)– الدجيلي، بيت المال، ص٧٨

(٦)– خزنة كاتبي، الخراج، ص٢٦٠.

(٧)– الوزراء، ص٣٠، ٤٩.

(٨)– عيزوقي، أوضاع، ص١٢٠.

(٩)– الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٩٧. ابن أعثم، الفتوح، ج٧، ص٥٤.

(١٠)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٢٦–١٢٧.

(١١)– ابن قتيبة، المعارف، ص٤٦٦. السمعاني، الأنساب، ج٣، ص٤٨٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٤، ص٢٧.

عملوا منذ عهد معاوية على إيجاد نوع من التوحيد في الأنظمة الإدارية، وبذلك هيأوا الأساس الذي بنى عليه العباسيون إدارتهم فأخذت من بعد ذلك صبغة موحدة.

كان بيت المال مختصاً بكل الواردات والنفقات، وتحدد وارداتها على أنها الجزية والخراج والعشور والزكاة والفيء والصدقة إضافة إلى الغنائم، أما نفقاته فكانت أعطيات الجند وأرزاق العمال والولاة والموظفين، إضافة إلى الإنفاق على المصالح العامة وعلى فقراء المسلمين[١]. وتعد واردات بيت المال ملكاً مشتركاً للمسلمين يشرف عليها مسؤول سمي فيما بعد "كاتب بيت المال" ومهمته مراقبة المال الوارد لبيت المال والخارج منه، والتوقيع على الصكوك المتعلقة بذلك كافة، وكان من واجباته الصرف على ذوي الحاجة والعجزة وأهل الذمة[٢].

٢- موارد إقليم خراسان في العصر الأموي

كان لكل ولاية من ولايات الدولة الإسلامية إدارتها الخاصة بها منذ عهد الخلفاء الراشدين، إلا أن النظام الإداري اللامركزي للأمويين تطلب منح الأمراء على الولايات سلطاناً واسعاً، ليس في شؤون الإدارة فحسب بل وفي شؤون المال أيضاً، وقد حاول الأمويون في بعض الأحيان فصل الشؤون الإدارية عن الشؤون المالية بغية دعم سلطانهم على الولايات، إلا أن تحويل بعض الولايات إلى قواعد للفتح اقتضى ضم شؤون المال في الولاية إلى الأمير أو تفويضه تعيين عمال الخراج من قبله. فقد وجدت في خراسان منذ الفتح الإسلامي ضريبة واحدة كانت تدفع نقداً تنفيذاً لعهود الصلح بين أمراء المقاطعات والمدن في خراسان، فقد تعهدوا بدفع ضريبة سنوية معينة للقادة والولاة العرب، وتسمى هذه الضريبة خراجاً أحياناً وجزية أحياناً أخرى، ولكنهما لا يمكن أن تعدَّا أتاوة بل هما مجموع ما يجبى من الولاية. هذا وأن أهم مقومات أي دولة منذ فجر التاريخ هي مواردها المالية التي تعد مصادر دخل الدولة وهي متنوعة، ومن أهم الأموال التي كانت تجبى في العصر الأموي:

أ- الجزية والخراج

---

[١]- الصولي، أدب، ج٣، ص١٩٨. قدامة، الخراج، ص٣٦. الماوردي، الأحكام، ص٢٧٧-٢٧٩. الراوي، ثابت إسماعيل: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، مكتبة الأندلس، ط٢، بغداد، ١٩٧٠م، ص٦٩. حسن، تاريخ، ج١، ص٣٧٦-٣٨٧. عيزوقي، أوضاع، ص١٢١.

[٢]- العقيلي، محمد أرشيد: التنظيمات المالية في المشرق الإسلامي منذ الفتح حتى عهد عمر بن عبد العزيز، مؤتة للبحوث والدراسات، مج٩، ع٢، ١٩٩٤م، ص١٣٣.

مبلغ من المال يفرض على الفرد من أهل الكتاب ولا يتوجب إلا على الرجال الأحرار الأصحاء العقلاء ذوي المقدرة المالية، ويعفى منها سواهم وتسقط الجزية بإسلام صاحبها[١]. والجزية هي الضريبة المفروضة على الرأس، أما الخراج فضريبة الأرض، ويبدو أن كلمة الجزية كانت هي الأغلب والأكثر استعمالاً في بدء عهد الإسلام بدليل كثرة ورودها في الأحاديث، فكانت تستعمل بالمعنيين، ولكن بعد الفتوحات وفي خلافة عمر بالذات أخذ يتحدد لكل لفظ معناه، وتختص كلمة خراج في الأكثر بما يرد من الأرض والجزية بما يدفعه الشخص، كما أنه بعد الفتوحات وأخذ عدد أهل الذمة يقلّون بالدخول في الإسلام، وأخذت كلمة خراج تنمو حتى صارت هي الأكثر شيوعاً، لأن مدلولها صار عماد موارد الدولة[٢]. ويمثل الخراج مع الجزية أكبر موردين لبيت مال المسلمين، خصوصاً بعد استقرار الدولة وتوقف حركة الفتوح تقريباً، والتي كانت تدر على بيت المال في أوجها الكثير من الأموال.

ب- ضريبة التجارة والعشور

مورد آخر من موارد الدولة الإسلامية، وهي عبارة عن مقدار من المال فُرض على جميع الأموال التجارية الداخلية والخارجية وكان أول من فرضها من خلفاء المسلمين الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فكان يؤخذ من التجار المسلمين نسبة العشر تجار أهل الذمة بنسبة نصف العشر[٣]، كان على جباية هذه الضريبة موظف يسمى العاشر وقد اشترط الخليفة عمر بالعاشر أن يكون من أهل الصلاح والدين وأن لا يتعدى على الناس ويأخذ منهم أكثر مما يجب[٤]، فرضت هذه الضريبة على جميع الأموال بما في ذلك الأموال المحرم على المسلمين بيعها أو شراؤها مثل الخمر والخنازير وغيرها، وقد كره بعض الخلفاء أخذ ضريبة الخمر والخنازير ومنهم عمر بن عبد العزيز[٥]، أما بالنسبة لانتقال التجارة داخل الأراضي الإسلامية فليس عليها عشور وقد أشار الماوردي إلى ذلك بقوله: "وأما أعشار الأموال المتنقلة في دار الإسلام من بلد إلى بلد فمحرمة، لا يبيحها شرع ولا يسوغها اجتهاد، ولا هي من سياسات العدل ولا قضايا الصفة"[٦]. ولم تكن الضريبة تؤخذ من التاجر إلا مرة واحدة كل سنة إذا انتقل من بلده إلى بلاد أخرى،

---

[١]- الماوردي، الأحكام، ص١٨١. شير، الألفاظ، ص١٢٣. أبو الذهب، أشرف طه: المعجم الإسلامي، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٠٠.

[٢]- خماش، الإدارة، ص١٦٧. الريس، الخراج، ص١٣٦-١٣٧.

[٣]- أبو يوسف، الخراج، ص١٣٥. ابن سلام، الأموال، ص٤٧٥. ص٧١٣. الدجيلي، بيت المال، ص١٠٧. حسين، فالح: العشور وضرائب التجارة في صدر الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، آذار-حزيران، ١٩٨٨م، ص٣٥.

[٤]- أبو يوسف، الخراج، ص١٣٢، ٢٧١. الدجيلي، بيت المال، ص١٠٨.

[٥]- ابن سلام، الأموال، ص٥١.

[٦]- الأحكام السلطانية، ص٢٠٨.

وكان العاشر يكتب كتاباً بما يأخذه[١]، ويعلق المقريزي أن أخذ العشر مرة واحدة من التاجر لم يطبق إلا في عهد عمر بن عبد العزيز فيقول: "وليس العمل عندنا على قول عمر بن عبد العزيز وإنما العمل على أن يؤخذ منهم العشر، وإن خرجوا في السنة مراراً من كل ما اتجروا به قل أو كثر"[٢]. وليس هناك دلائل تفيد أن تلك العشور فرضت على تجار خراسان، بل يبدو أن معاهدات الصلح التي حافظت على الوضع القائم في خراسان، حفظت للمرازبة والأمراء المحليين سيطرتهم على تجارة وأسواق خراسان مع تحصيل ضرائبها[٣]. فلم يتدخل ولاة خراسان بالتجارة والأسواق، فكانت ترتفع قيمة السلاح إلى مقدار كبير أثناء الحملات فلم يتدخل الولاة على الرغم من حاجة جيشهم للأسلحة، ويذكر الطبري ارتفاع قيمة السلاح والعتاد في أسواق مرو بشكل كبير في غزوة بيكند[٤]. كما يذكر الطبري أن مرزبان مرو كان يسيطر على التجارة والأسواق وأسعار السلع، وكان العرب مستائين من ذلك، مما دفع وكيع بن أبي سود إلى تهديد المرزبان بالقتل إذا لم يقم بتخفيض أسعار القمح[٥].

ج- الزكاة والصدقات:

الزكاة مورد هام في الدولة الإسلامية لارتباطه الوثيق بالدين والشريعة، ومن أهم المصادر للدخل في الدولة الإسلامية والممول الرئيس لها وأجمع المسلمون على وجوبها كونها أحد أركان الإسلام الخمسة، وأمر الله المسلمين بأدائها بشروط معينة ومحددة، وقد جاء ذكر الزكاة في القرآن الكريم مقترنة عادة بالصلاة[٦]، قال تعالى: ﴿ومَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخلِصِين لهُ الدِّينَ حُنَفَاء ويُقِيمُوا الصَّلاة ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ وذلِكَ دِينُ القيِّمة﴾[٧]. وفرضت الزكاة والصدقة على المسلمين، وكانتا تؤخذان من الميسورين لتنفقا على الفقراء والمساكين[٨]، وفرضت على المال والذهب والفضة والسوائم والزروع والثمار والتجارة والمعادن والركاز أي المال المدفون[٩]. هذا وفرض الزكاة على المسلمين بخراسان على العطاء، وكانت زكاة العطاء تؤخذ في خلافة الراشدين من المسلمين المسجلين في العطاء وكانت تدفع بإرادة الشخص في آخر

---

(١)- أبو يوسف، الخراج، ص١٦٠. خماش، الإدارة، ص٢٠١.

(٢)- الخطط، ج٢، ص٥٠٨.

(٣)- عيزوقي، أوضاع، ص١٢٦.

(٤)- تاريخ، ج٦، ص٤٣٢. ابن أعثم، ج٧، ص١٤٥. النرشخي، تاريخ بخارى، ص٧١.

(٥)- تاريخ، ج٦، ص٥١٨.

(٦)- ابن قدامة المقدسي (موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): المغني، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، ط٣، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٤٣٤.

(٧)- سورة البينة، الآية ٥.

(٨)- ابن سلام، الأموال، ج١، ص٣٧١. ابن زنجويه، الأموال، ج٢، ص٥٩١.

(٩)- أبو يوسف، الخراج، ص٢٥. الصولي، أدب، ج٣، ص١٩٩. الريس، الخراج، ص٢٧١.

العام، ولكن معاوية فرض أخذ الزكاة من العطاء مباشرة، أي أن يقتطع عمال الديوان زكاة المرء قبل أن يقبض عطاءه[١].

وقد فصلت المصادر في قيمة الزكاة بحسب نوع الشيء التي استوجب الزكاة، فكانت زكاة عشرين مثقالاً[٢] من الذهب نصف مثقال، وكانت زكاة الركاز الخمس، وزكاة التجار العشر، وزكاة التجارة تقبل نقداً أو عيناً، واختلفت زكاة السوائم بحسب نوعها من خيل وأبل وبقر وغنم، حيث قدرت مبالغ محددة لكل منها بحسب قيمتها النقدية أو عددها، أما زكاة الزروع والثمار فلم تؤخذ من المسلمين المشتغلين بالزراعة في خراسان آنذاك، ذلك لأنهم دفعوا ضريبة الخراج بدلاً منها[٣].

واضطر الأمويون أن يمدوا أيديهم إلى أموال الصدقة التي كانت تنفق لفقراء المسلمين، خلافاً لسائر أموال الدولة كالفيء والغنيمة والجزية فإنها تنفق في المقاتلين والجند، فكان بنو أمية كثيراً ما يعطون جوائز الشعراء وغيرهم من أموال الصدقة[٤].

وكانوا إذا احتاجوا المال يعملون على بيع الولايات بالرشوة، ولاسيما أيام ضعفهم وفساد دولتهم، فإن الوليد بن يزيد لما تولى الخلافة زاد أعطيات الناس ترغيباً لهم في طاعته، فلم يجد مالاً يكفيه، ولم يكن عنده العمال الأشداء ممن يوافونه بالأموال، فكان من جملة ما استعان به على جمع الأموال أنه باع ولاية خراسان وأعمالها ليوسف بن عمر، وصارت الولايات أيامه بالرشوة للخليفة وأصحابه[٥].

د- الفيء والغنيمة:

الفيء ما اجتبي من أموال أهل الذمة مما صولحوا عليه من جزية رؤوسهم ومن خراج الأرض التي افتتحت عنوة، ومن وظيفة أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صولحوا على خراج مسمى، ومنه ما يأخذه العاشر من أموال أهل الذمة على تجارتهم ومنه ما يؤخذ من أهل الحرب، إذا دخلوا بلاد الإسلام للتجارة[٦].

---

(١)- ابن أنس (مالك ت١٧٩هـ/٧٩٥م): الموطأ، تح: محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٢٤٥. ابن سلام، الأموال، ص٣٥٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٠٧. خماش، الإدارة، ص٢٠٧.

(٢)- كان المثقال العربي هو الدينار نفسه ويساوي ٤،٢٥غ. الريس، الخراج، ص٣٦٥.

(٣)- ابن سلام، الأموال، ج٢، ص٥، ٢٧، ٣٨، ٧٠. الصولي، أدب، ج٣، ص١٩٩-٢٠١. قدامة، الخراج، ص٢٢٧-٢٥٥. عيزوقي، أوضاع، ص١٢٢.

(٤)- الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص١٥٦.

(٥)- زيدان، تاريخ التمدن، ج٢، ص٣٦٢.

(٦)- خماش، الإدارة، ص١٦٨-١٦٩.

وتعد الغنائم من أهم الموارد المالية للمسلمين، وقد ذكرت المصادر قواعد هامة حول قسمة الغنائم، فأشارت إلى أن خمس الغنيمة كان يقتطع لصالح بيت المال، ثم توزيع أربعة أخماسها الباقية على المقاتلين، ولا يقتصر توزيعها على الجند المسجلين في الديوان فقط، بل كان للمتطوعين حصة فيها، كما شمل توزيعها النساء والفعلة الذين يرافقون الجيش، أما المرتزقة فلم يكن لهم حصص نظامية فيها، وإنما يعطون شيئاً منها ثمناً لجهودهم[١]، وكانت الغنائم أحد موارد الرزق المهمة في خراسان للعرب المسلمين، حتى أن حصة الفرد كانت تتجاوز أحياناً مقدار عطائه السنوي بعدة أضعاف[٢]، وصارت في عهد قتيبة تساوي أو تجاوز أحياناً مجموع الضرائب الأخرى المحصلة في خراسان. ويبدو أن توزيع الغنائم أيام المهالبة كان يتم عقب الحرب مباشرة، ويتولى قسمتها الوالي نفسه، أما في عهد قتيبة فقد صارت الغنائم تقسم في مرو بعد عودة الجند إليها، ويتولى قسمتها عمال بيت المال، الذين يخرجون منها النقود وأسلاب الفضة والذهب، فيعيدون ضربها وفق السكة الإسلامية الجديدة، قبل أن يقسموها على الجند[٣]. وقد كان الخلفاء الأمويون منذ عهد معاوية يشجعون ولاة خراسان على إرسال نفائس الغنائم لهم، مما يثير المشاكل أحياناً بين السلطة المركزين والعمال، كما حصل بين معاوية والحكم بن عمرو الغفاري[٤].

وكان تقدير الخمس يعتمد إلى حد كبير على أمانة قائد الحملة ودقته في تسجيل الغنائم أو رغبته في التباهي كما فعل يزيد بن المهلب عندما كتب إلى سليمان بن عبد الملك مفاخراً بفتحه جرجان وطبرستان، وإن خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد أن صار إلى كل ذي حق حقه من الفيء والغنيمة ستة آلاف وأنه حامل ذلك إلى أمير المؤمنين، وقد نصحه كاتبه المغيرة بن أبي قرَّة ألا يكتب إليه بقيمة المبلغ لأنه عند ذلك سوف يضع نفسه في موقف حرج فأما أن يستكثر سليمان المبلغ ويطلب إليه أن يحمله إليه وأما أن يسوغه المبلغ فلا بد من أن يقدم له هدية "فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقله، ولم يقع منه متوقعاً"، وبين له الكاتب أنه إذا عين قيمة المبلغ فإن ذلك سوف يدون في الديوان وعند ذلك يمكن للوالي أن يأخذه بها، وأن ولي من يتحامل عليه فقد يطالبه بأضعافه، وأنه من الأفضل أن يكتب له بالفتح وأن يسأله القدوم ثم يشافهه مشافهة[٥]، وقد حدث هذا بالفعل، فإنه عندما أصبح عمر بن عبد العزيز خليفة طالب

---

[١]- أبو يوسف، الخراج، ص٢١، ٨٠، ٢٣٥. الشيباني (محمد بن الحسن ت١٨٩هـ/٨٠٥م): **الآثار**، تح: خالد العواد، دار النوادر، ط١، دمشق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مج٢، ص٨٢٥. ابن آدم، الأموال، ص٥٩. قدامة، الخراج، ص٢٣٥-٢٣٧. الماوردي، الأحكام، ص١٧٩. طلس، تاريخ العرب، مج١، ج٣، ص١٥٠.

[٢]- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٢.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٩٧-٤٣٢، ٤٧٢.

[٤]- البلاذري، أنساب، ج٥، ص٢٢٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٥١. ياسين، نجمان: الاتجار بغنائم الحرب في عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ع٤٤، ج٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٢٣٣.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٤٤-٥٤٥.

يزيد بن المهلب بالمبلغ كما سلف ذكره فأخبره أنه إنما فعل ذلك لكي يسمع الناس به، فاضطر عمر بن عبد العزيز إلى حبسه لأنه عجز عن دفع المبلغ الذي هو حق من حقوق المسلمين[١]، ويمكن الاستنتاج من هذه الرواية أموراً عدة منها أن الخمس كان يسوغ أحياناً للولاة، وكان يرسل للخليفة أحياناً أخرى، وإنه كان بإمكان الوالي أو القائد بالاتفاق مع كاتبه أن يسجل الرقم الذي يريده، وكان من سوء حظ يزيد أن رغبته في التباهي قد أوقعته في السجن. ومن هذه الرواية يُلاحظ أيضاً أن الأمويين لم يكونوا يطبقون في الخمس القواعد المطبقة في عهد الرسول ﷺ، إذ كان الخمس يوزع على خمسة أسهم: لله والرسول سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم، ثم قسمه أبو بكر وعمر عثمان وعلي رضي الله عنهم على ثلاثة أسهم وسقط سهم الرسول وسهم ذوي القربى وقسم على الثلاثة الباقيين[٢].

هـ- **الضرائب الإضافية:**

ظهرت في العصر الأموي ضرائب عدة لم تكن معروفة زمن الراشدين؛ فعدها المؤرخون القدماء والمعاصرون ضرائب غير شرعية لم يقرها الإسلام، وكان ذلك بسبب تناقص الموارد المالية وتزايد نفقات الأمويين لتهدئة الثورات، إضافة إلى حياة الترف والبذخ في البلاط الأموي كانت من الأسباب الرئيسة في عجز ميزانية الدولة[٣]. ولم تقتصر الضرائب في خراسان على الجزية المشتركة، فقد وجدت ضرائب على الأرض، والصناعة والتجارة، كما استمرت منذ العصر الساساني ضرائب كهدايا النيروز والمهرجان[٤]، ومن هذه الضرائب:

- أنهم فرضوا ضرائب موحدة على الأراضي المزروعة وغير المزروعة.
- تحصيل ثمن الورق المستخدم في الطلبات الرسمية والأجور التي تدفع للعمال المشتغلين في دور ضرب النقود.
- فرض ضرائب على البغايا وعلى بعض البيوت.
- اشترط العمال تحصيل الضرائب لعملات ذات وزن معين بدلاً من العملات المتوفرة لدى الأهالي والاستيلاء على فروق النقد بينهم.

---

[١]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٧.

[٢]- أبو يوسف، الخراج، ص٢١.

[٣]- محمد، قطب إبراهيم: السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص٢٣-٢٨. عياش، العمال والولاة، ص١١٧.

[٤]- ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله ت ٢١٤هـ/٨٢٩م): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تح: أحمد عبيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ١٣٦. الطبري، تاريخ، ج٨، ص ١٣٩.

ـ تحصيل ضرائب إضافية بعضها كان إحياء لرسوم ساسانية كهدايا النيروز والمهرجان، وقد قال الجاحظ في التاج[١]: "من حق الملك هدايا المهرجان والنيروز والعلة في ذلك أنهما فصلا السنة، فالمهرجان دخول الشتاء وفصل البرد، والنيروز إذن بدخول فصل الحر"، وقد اعتاد أهالي الأقاليم الشرقية على تقديم الضرائب إلى حكامهم الفرس قبل الإسلام، فلما فتح المسلمون تلك المناطق قدموها للمسلمين كعادتهم، فأبوها، ومع أنه لا يوجد عرضاً صريحاً للتقاليد الساسانية في الضرائب إلا أننا نجد إشارات تشعر بوجودها، وأول ما ورد ذكر لهذه الهدايا في أثناء الفتوح كان في عهد عثمان ﷺ وذلك أنه في سنة ٣٢هـ/٦٥٣م صالح الأحنف بن قيس أهل بلخ على أربعمائة ألف، وأناب ابن عمه وهو أسيد بن المتَشمَّس ليأخذ منهم ما صولحوا عليه، وقد قبض أسيد ذلك، ووافق وهو يجيبهم المِهْرجان، فأهدوا إليه هدايا من آنيةِ الذهب والفضَّة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب، فقال ابنُ عمَّ الأحنف: هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا لا، ولكنَّ هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن ولَينا نستعطفه به، قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المِهْرجان، قال: ما أدري ما هذا؟ وأنّي لأكره أن أردّه؛ ولعله من حقِّي، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمَّه، فحمله إلى ابن عامر وهو الأمير، فأخبره عنه، فقال: اقبِضه يا أبا بحر، فهو لك، قال: لا حاجة لي فيه، فأمر ابن عامر أحد رجاله أن يقبضه، قال الحسن وهو يقص الحادث: "فضمَّه القرشيَّ وكان مِضَمًّا"[٢]. وفي سنة ٤٣هـ/٦٦٣م عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم عن خراسان لأنه استبطأ قيساً بالخراج ولأنه أمسك عنه الهدية[٣]، ويبدو أن معاوية طالب ولاته بتلك الضريبة، فقد أعاد هدايا النيروز والمهرجان في القسم الشرقي من أرض الخلافة وهذه ضرائب عرفية في العصر الساساني، ثم جاء الحجاج ليجدد مطالبته للعمال بها فغدت ضريبة واجب أداؤها إلى جانب الخراج[٤]، فظل النيروز كما في العهد الساساني أول السنة المالية طوال حكم الخلفاء الراشدين والأمويين، فكان النيروز هو موسم جباية الخراج وضرب العملة،

---

[١]– التاج، ص١٤٦.

[٢]– الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٣–٣١٤. خزنة كاتبي، الخراج، ص١٧٤. الدوري، نظام الضرائب، ص٨٠–٨١.

[٣]– الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٠٩.

[٤]– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢١٨. الجهشياري، الوزراء، ص١٥. الصولي، أدب، ج٣، ص٢١٩. العسكري، الأوائل، ص٣٠. الهوني، النظم الإدارية، ص٢٥٤. زكريا، ماجدة فيصل: عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، مكتبة الطالب الجامعي، ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٩٣–١٩٦. كرد علي، الإدارة الإسلامية ، ص٩٨.

وتولية العمال[١]. وظل بنو أمية يجبون هذه الضرائب حتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فألغاها وأبطل غيرها من الضرائب الضارة بالرعية[٢].

ومن الضرائب التي أمر عمر بن عبد العزيز بإلغائها إلى جانب النيروز والمهرجان، الآيين وأجور الفيوج، وأجور البيوت، وأجور الضرابين، وثمن الصحف، ودراهم النكاح، كما أبطل المائدة والصغر.

فقد حدد عمر أن يؤخذ الخراج على وزن الدرهم الإسلامي بعد أن عربه عبد الملك، لأن الخراج كان يقبض أحياناً من النقود القديمة التي تقل أو تزن عن وزن درهم عبد الملك، وكان ذلك يترتب على دافعي الضرائب تسديد الكسور نظراً لاختلاف الأوزان، ويؤدي ذلك إلى تلاعب الجباة وقبضهم زيادة على المستحق من أموال الخراج[٣]. والآيين: ضريبة فارسية قديمة تتعلق إما بأجور ماسحي الأرض لتحديد خراجها، أو بأجور موظفين مختصين بفحص النقود والتأكد من أوزانها[٤]. أما آجور الضرابين: ارتبطت بتعريب النقد، ووجدت على يد الحجاج، حيث يذكر البلاذري أن الحجاج أنشأ دوراً لضرب السكة حسب التقاليد الساسانية، وفرض تلك الضريبة على التجار والناس، ويحدد المقريزي مقدار الضريبة، فيذكر أن عمال الحجاج كانوا يأخذون عن كل مئة درهم درهماً واحداً عن ثمن الحطب وأجور الضراب والعمال[٥].

ويبدو أن عمال الأمويين قبضوا ثمن الصحف والقراطيس المستخدمة في ديوان الخراج، نظراً لارتفاع ثمنها في ذلك الوقت، أما أجور البيوت فهي ضريبة أضيفت إلى أموال الخراج نظير أجرة بعض المخازن التي استأجرتها الحكومة لخزن غلاتها. وتشير أجور الفيوج إلى رواتب رسل السلطان وعمال البريد، أما دراهم النكاح فيفسرها ابن سلام بأنها دراهم كانت توجد من البغايا كالخراج[٦]. وفي ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: "... وأمرتك ألا تحمل خراباً على عامر، ولا عامر على خراب، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق ولا من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض وأمرتك أن لا تأخذ

---

(١)- الجاحظ، التاج، ص١٤٨. البيروني، القانون المسعودي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١، ص٢٦١.

(٢)- أبو يوسف، الخراج، ص١٠٢. ابن سلام، الأموال، ج١، ص١٠٣. البلاذري، أنساب، ج٨، ص١٤٧. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٩. العقيلي، التنظيمات المالية، ص١٣٥

(٣)- عيزوقي، أوضاع، ص١٢٧.

(٤)- خزنة كاتبي، الخراج، ص١٧٢. كريستنسن، إيران، ص١١٣.

(٥)- البلاذري، فتوح، ص٤٥٤. قدامة، الخراج، ص٥٩. المقريزي، النقود الإسلامية (رسائل المقريزي)، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ص٦.

(٦)- ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص١٦٠. ابن سلام، الأموال، ج١، ص١٠٤. ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٧٤. مجهول، العيون، ج٣، ص٧. ابن منظور، لسان، ج٢، ص٣٥٠ . كاتبي، الخراج، ص١٧٦. الدوري، النظم، ص١٢٤.

في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها أسس ولا أجور الضرابين ولا إذابة الفضة، ولا هدية النيروز والمهرجان، ولا ثمن الصحف، ولا أجور البيوت ولا دراهم النكاح"[١].

فلما تولى يزيد بن عبد الملك أمر بإعادتها، إذ يقول اليعقوبي عند ذكره كتاب يزيد إلى عمر بن هبيرة بمسح السواد: "وأعاد السخر والهدايا، وما كان يؤخذ من النيروز والمهرجان"[٢]. ويذكر الطبري أن عامل هرات وخراسان إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي، ودهقان هرات قدما على أسد بن عبد الله القسري أمير خراسان فقدما هدية قدرت بمليون درهم، وكان فيما قدما به تمثالان لقصرين أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأباريق من ذهب وفضة، وصحان من ذهب وفضة[٣].

ولم يقف يزيد عند حد إعادة الضرائب القديمة بل استحدث أخرى جديدة يقول اليعقوبي أيضاً[٤]: ووضع على التاننة، وهي ضريبة بدل خدمة عسكرية كما يبدو، وضعت على مسلمي البلاد المفتوحة الذين لا يشاركون في الفتح. وهناك إشارات أخرى إلى أخذ الهدايا، مثل الهدايا النفيسة التي قدمت إلى أسد بن عبد الله ١٢٠هـ/٧٣٨م[٥].

٣- نفقات إقليم خراسان

اتبع الأمويون نظام اللامركزية فكانت كل ولاية تصرف إيراداتها على مرافقها الخاصة وترسل الباقي إلى بيت المال العام المعد للمصالح العامة. وكان من أهم وجوه صرف مال الفيء عطاء الجند وعطاء المسلمين اللذان كانا يسيران جنباً إلى جنب في أيام عمر بن الخطاب ﷺ حين كان المسلمون كلهم جنداً، ولكن سرعان ما افترق هذان النوعان عن بعضهما خلال الحكم الأموي حين زاد عدد المسلمين وتوقفت حركة الفتح واشتغل المسلمون بالحرف المختلفة واختلف عدد الجند ومقدار عطائهم باختلاف الخلفاء والولاة وتبعاً للظروف السياسية والاقتصادية.

أ- العطاء:

العطاء هو عبارة عن مقدار معين من المال كانت الدولة الإسلامية تقوم بصرفه للمقاتلين المسلمين لسد حاجاتهم المعيشية، ويعد العطاء من أهم أبواب الصرف في الدولة، فهو يعتمد على وضعها المالي ومقدار مواردها السنوية ولما كانت هذه الموارد في بداية الأمر محدودة وغير ثابتة أصبح ما يعطى

(١)- أبو يوسف، الخراج، ص١٣٠. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٠٥. خماش، الإدارة، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢)- تاريخ، ج٢، ص٣١٣.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص ١٣٩.

(٤)- تاريخ، ج٢، ص٣٠٦.

(٥)- الدوري، نظام الضرائب، ص٨٠-٨١.

للأفراد غير ثابت أيضاً[١]. فالعطاء من أكبر العوامل التي ساعدت بني أمية في اصطناع الرجال وكسر شوكة أعدائهم، لأن العطاء رواتب الجند أو رواتب المسلمين، وكانوا في صدر الإسلام كلهم جنداً[٢]. وكانت الرواتب للمسلمين على اختلاف طبقاتهم حتى النساء والأولاد، وهناك طبقة أخرى من المسلمين لا يستطيعون الحرب، منهم الفقراء يأخذون أعطياتهم من أموال الصدقة وهي الزكاة، وكان العطاء يمنح للعرب في مختلف أقاليم الدولة العربية الإسلامية بكونهم عماد الجيش الأموي ولم يكن عطاء المقاتلة بنسبة واحدة في العهد الأموي، فقد كان هناك حد أعلى من العطاء يدعى شرف العطاء، وبينما كان محدداً بألفين وخمسمائة درهم في عهد عمر بن الخطاب ﷺ ومن تبعه من الخلفاء الراشدين[٣]، فإنه انخفض في خلافة بني أمية إلى ألفي درهم[٤]، وكان بإمكان الوالي أو الخليفة زيادة العطاء إذا استلزم الأمر ذلك، كما فعل الحجاج حين جهز جيش الطواويس، وغالباً ما كانت زيادة العطاء ترتبط بغايات سياسية، كما فعل سليمان بن عبد الملك حين زاد عطاء جند خراسان مئة درهم ليثيرهم ضد قتيبة[٥]. وذكر الطبري العطاء في خراسان في أحداث سنة ١١٠هـ/٧٢٨م عندما عرض خاقان الترك على بعض المقاتلين العرب أن يكونوا معه ويزيد عطاءهم "إني أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة ألفاً، ومن كان عطاؤه ثلاثمائة ستمائة"[٦].

وكان عطاء الفرد في الأسرة الأموية الحاكمة مائتي درهم، ودرج الولاة في الأقاليم على إرسال الأموال الفائضة من الأعطيات إلى بيت المال في دمشق[٧]. والعطاء لم ينحصر في الخلفاء بل تعداه إلى بعض الولاة أمثال المهلب بن أبي صفرة بهدف تعزيز علاقتهم بالجند والرعية[٨]. كما أن الخليفة يزيد بن عبد الملك سخر العطاء في خدمة أهدافه السياسية العامة، متأثراً في ذلك بظروف الدولة في عهده، فلم يلتزم بالقاعدة التي اتخذها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في توزيع العطاء[٩]. ولم يتبع نهج سلفه عمر بن

[١]- العلي، العطاء في الحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٠م، مج٢، ص٣. السوداني، جبهة، ص١٣٨.

[٢]- زيدان، تاريخ التمدن، ج٢، ص٣٥٣.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٧٥.

[٤]- خماش، الإدارة، ص٢٦٢.

[٥]- عيزوقي، أوضاع، ص٦٣، ١١٠.

[٦]- تاريخ، ج٧، ص٦١.

[٧]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٦٣.

[٨]- البلاذري، أنساب، ج٤، ص٤٢٣.

[٩]- كانت طريقة الخليفة أبو بكر ﷺ في توزيع العطاء، المساواة في القسمة بين الناس، السابقين والمتأخرين في الإسلام، الكبير والصغير، والحر والمملوك، والذكر والأنثى، أما عمر فاتبع طريقة المفاضلة بين الناس حسب السبق إلى الإسلام، لكنه شمل به الناس جميعاً حتى الموالي، وفرض للموالي كالعرب. الهوني، النظم الإدارية، ٧٩-٨٠، ٨٨-٩٦. السلومي، ديوان الجند، ص٩٢-٩٣، ١١٠-١٤٢.

عبد العزيز، الذي عمل على تقديم العطاء لمستحقيه وتوزيعه بين الناس على أساس من الحق والعدل، بعد أن خرج بنو أمية قبله عن سيرة الخلفاء الراشدين في ذلك[١]

كما سكتت المصادر عن تنظيم ولاة خراسان لعطاء الموالي، ولكن من كان له أدنى معرفة بالنظام المالي في العصر الأموي يعلم أن ديوان الجند في هذا العصر امتداد لديوان الجند الذي رسمه عمر بن الخطاب ﷺ. فمن المؤكد أن بني أميَّة لم يفرقوا بين العرب والموالي في العطاء؛ لأن عمر بن الخطاب ﷺ لم يفرق بين العرب والموالي"[٢]. ولم تكن مواعيد توزيع العطاء موحدة في كل أنحاء الدولة، حيث تذكر المصادر أن العطاء كان يوزع مرة أو مرتين في السنة، وربما كان على رأس الشهر، وأغلب الظن أنه كان سنوياً في خراسان، وذلك لأنه كان يقتطع من أموال الخراج التي تدفع سنوياً هناك[٣].

ب- الأرزاق:

هو مقدار معين من المواد العينية توزع على سكان المصر شهرياً بالإضافة إلى العطاء، وكان العطاء كل سنة، والأرزاق كل شهر[٤]، وقد فرضت الأرزاق في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عندما قرر إعطاء جريبين من الحنطة شهرياً لكل فرد، وكان يوزع إلى جانب الحنطة الزيت والخل[٥]. ولكي توفر الدولة أرزاق مقاتليها في الأمصار، فقد كانت تعتمد على الموارد والمحاصيل الزراعية للمناطق التي يتمركز بها المقاتلون سواء كانت حبوباً أو غيرها من مواد أخرى[٦]، بالإضافة إلى ما كان العرب يفرضونه على أهالي البلاد المفتوحة من مواد عينية[٧]، وكان توزيع الأرزاق لا يقتصر على المقاتلين فقط وإنما يشمل الناس عامة، حتى العبيد كان لهم نصيب من الرزق[٨]. ولم تكن كمية الرزق ثابتة في كل الأحوال والظروف وإنما كانت تتغير تبعاً لتغير الأحوال السياسية والظروف الاقتصادية، فعندما تسود البلاد الاضطرابات كان لا بد وأن تقل واردات الأراضي الزراعية لانشغال الناس بالأمور السياسية

---

[١]- أمر عمر بن عبد العزيز بالتسوية بين الناس في العطاء، وجعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والعطاء سواء، فألغى سياسة من سبقه من بني أمية في تفضيل العرب وحرمان الموالي من العطاء، فساوى بين الناس في فرض العطاء، لكنه أوجد فروقاً في توزيعه. زكريا، عمر بن عبد العزيز، ص١٥٤-١٥٩.

[٢]- أبو يوسف، الخراج، ص٤٤.

[٣]- ابن سلام، الأموال، ج١، ص٣٧١. ابن زنجويه، الأموال، ج٢، ص٥٩١. الماوردي، الأحكام، ص١٦١، ٢٦٩.

[٤]- الأحمد، أيوب عبد الحميد مخيلف: خُرَاسان من٩٩هـ-١٣٢هـ/٧١٧-٧٥٠م دراسة في الإدارة والأوضاع العامة، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: صالح موسى درادكه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٨م، ص٦١.

[٥]- البلاذري، فتوح، ص٤٤٧. السوداني، جبهة، ص٤٣.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٣٨.

[٧]- ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٧٨-٧٩.

[٨]- البلاذري، فتوح، ص٤٤٧. الطبري، تاريخ، ج٣، ص٦١٥.

وانصرافهم عن الزراعة مما يؤدي ذلك إلى قلة الرزق الذي يوزع على الناس وعلى العكس من ذلك فإن الرزق يزداد في أوقات الرخاء[١]. كما كان للأرزاق دار تسمى دار الرزق ويلحق بها مخزن يتسلم منها الناس أرزاقهم شهرياً، بموجب صكوك عليها أسماؤهم[٢]، ولم ينشأ عن توزيع الأرزاق مشكلات لأن عائدات الدولة الأموية مما تدره الأراضي الزراعية الخصبة كانت كثيرة جداً[٣].

ج- نفقات أخرى

بالإضافة إلى ما كانت تنفقه الدولة على مقاتليها وعيالاتهم من عطاء وأرزاق، فقد كانت هناك مصروفات أخرى تنفقها الدولة في الأمصار وأهم هذه المصروفات هي رواتب الموظفين والجند والولاة فكانت مرتباتهم تصل إلى خمسة وعشرين ألف درهم سنوياً في حين كانت مرتبات صغار الموظفين أربعين درهماً شهرياً[٤]. وكان ينفق من أموال الفيء على مصالح الدولة فيصرف منها على مشاريع الري وإقامة المنشأت وشراء ملابس الجند وأسلحتهم ودفع رواتب الولاة والقضاة والموظفين على اختلاف مهامهم[٥]، فقد اهتم عمر بن عبد العزيز بتوفير الراحة للمسافرين من المسلمين فأمر ببناء الخانات إذ كتب إلى عامله على سمرقند سليمان بن أبي السريّ: أن اعمل خانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فأقروهم يوماً وليلة، وتعهّدوا دوابهّم، فمن كانت به علة فأقْرُوه يومين وليلتين، فإن كان منقطعاً به فقوّوه بما يصل به إلى بلده[٦]. وهو بعمله هذا طور ما فعله عمر بن الخطاب ﵁ عندما بنى دار الدقيق، فجعل فيه الدقيق والتمر والزبيب وما يحتاج إليه يعين به المنقطع والضيف[٧] .

٤- تعريب النقود

لم يكن سك النقود في عهد الخلفاء الراشدين من المهمات الإدارية الأساسية كما أصبح في العصر الأموي ولاسيما في خلافة عبد الملك بن مروان ومن أتى بعده من الخلفاء، فقد عرف العرب قبل الإسلام الدراهم الساسانية وكانوا قد حصلوا عليها من تجارتهم الخارجية مع العراق وسواحل الخليج العربي، وعندما فتح العرب المسلمون العراق ثم إيران كان في أيدي الناس نقود يزدجرد الثالث (٦٣٢-٦٥١م) وخسرو

---

[١]- السوداني، جبهة، ص١٤٣.

[٢]- اليعقوبي، تاريخ، ص٢٩.

[٣]- العقيلي، التنظيمات المالية، ص١٣٦.

[٤]- الجهشياري، الوزراء، ص٢٦.

[٥]- أبو يوسف، الخراج، ص٢٢١. خماش، الإدارة، ص٢١٢.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٧.

[٧]- الكتاني (محمد عبد الحي الإدريسي): نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط٢، بيروت، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ج١، ص٤٥٣.

الثاني الساسانية[١]. وكانت الدراهم الساسانية على الوجه منها يُزين بصورة الملك، ومركز الظهر يُزين بنقش يمثل معبد النار مع الحارسين أو الخادمين، هذا بالإضافة إلى كتابات ورموز، ويظهر أن هذه الرسوم تشير إلى الواقع الديني للدولة، مع كتابات بتاريخ السك واسم رأس الدولة ومكان السك[٢].

وأقدم درهم إسلامي هو الدرهم الذي ضربه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عام ٢٠هـ/٦٤١م على الطراز الساساني، غير أنَّه زاد في بعضها "الحمد لله"، وفي بعضها "محمَّد رسول الله"، وفي بعضها "لا إله إلا الله وحده"[٣]. وقد سك معاوية أيضا في خلافته الدراهم والدنانير، وضرب عبد الله بن الزبير دراهم مستديرة في مكة، وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق[٤]، غير أن هذه المسكوكات لم تكن تُعد رسمية في الدولة الإسلامية إذ بقيت أكثر معاملاتهم بالنقود الفارسية[٥]، ويجمع المؤرخون على أن عبد الملك بن مروان هو أول من ضرب الدراهم والدنانير العربية في الإسلام، وإن كان المؤرخون يختلفون في السنة فإن عدداً كبيراً يؤكد أن ذلك تم سنة ٧٦هـ/٦٩٥م[٦]، ويعود السبب في تأخر هذه النماذج النقدية القديمة إلى الرقابة على التجارة[٧]، ويفسر ابن الأثير أسباب ضرب العملة بأن عبد الملك كتب في صدر كتبه إلى الروم "قل هو الله أحد"، فهدد ملك الروم بأنه سينقش على الدنانير ما يكره، أما ابن خلدون فيعلل ضرب العملة كان بسبب انتشار التزييف في الدنانير والدراهم[٨]. فلما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة ومهدت له الأمور في الدولة بعد القضاء على منافسيه والخارجين عليه أراد أن يصلح النقود ويوحدها في جميع الدولة العربية الإسلامية ويستغني عن النقود الأجنبية وكانت على مراحل لاسيما أن الدرهم الفارسي كان متدني القيمة، وقد أدى تدني قيمة النقد إلى فوضى وصعوبات أثناء جمع الخراج والجزية[٩]. فالدراهم التي ضربها تشبه الدراهم السابقة بإضافة كلمات عربية إلى طوق الدرهم، والنوع الآخر حملت كلمات بالفهلوية مثل "عبد الملك أمير أورشكنان"، وتعني "عبد الملك أمير المؤمنين"، ونقود أخرى ضربت في

---

[١]- خماش، الإدارة، ص٢٣٨.

[٢]- النقشبندي، ناصر السيد محمود: الدرهم الأموي المضروب على الطراز الإسلامي، دار الوثائق للدراسات والطبع، ط٢، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١٥.

[٣]- المقريزي، النقود، ص٣٢. الكرملي، أنستس ماريُّ: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص٣٢.

[٤]- المقريزي، النقود، ص٣٣.

[٥]- زيدان، تاريخ التمدن، ج١، ص٩٩.

[٦]- ابن قتيبة، المعارف، ص٢٤١. الدينوري، الأخبار، ص٣١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٥٤. القلقشندي، صبح، ج١، ص٤٢٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٣٧.

[٧]- لومبار، الإسلام في فجر عظمته، ص١٣٢.

[٨]- الكامل، ج٤، ص١٧٢. تاريخ، ج١، ص٨٢.

[٩]- خماش، الإدارة، ص٢٣٩.

مرو، نقشت عليها "عبد الملك بن مروان" ضربت في المدن مثل مدينة أردشير خرة سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، وبيشابور سنة ٧١هـ/٦٩٠م، وبعدها أضاف سنة ٧٣هـ/٦٩٢م على الطوق بالحروف الكوفية: "بسم الله لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله مدينة الضرب دمشق"[١].

وفيما يلي سنرد أسماء مدن الضرب الوارد ذكرها على الدراهم الأموية في خراسان:

أبرشهر: كانت تسمى أحياناً "إيران شهر" والمقطع الأول من المدينة "أيرش أو ايرس" وجد منقوشاً على السكة الساسانية، كما استمر ذلك على الدرهم الإسلامي المضروب على الطراز الساساني الذي ضربه الولاة العرب من عام ٥٤-٦٩هـ/٦٧٤-٦٨٨م، وقد ظهر اسم أبرشهر على الدراهم المضروبة قبل حركة الإصلاح النقدي وقد جاء ذكر أسماء بعض الولاة الأمويين مثل زياد بن أبي سفيان وأولاده عبيد الله وسلم، وكذلك عبد الله بن خازم منقوشة على الدراهم المضروبة في هذه المدينة، ثم لم يلبث الاسم أن اختفى وظهر مكانه نيسابور[٢].

بلخ: ضربت بها دراهم عربية ابتداءً من سنة ١١٤هـ/٧٣٢م.

سرخس: ظهرت سرخس كدار للسك أول مرة سنة ٩٠هـ/٧٠٩م.

قومس: ظهرت قومس كدار للضرب على الدراهم الأموية فقط، فيما بين سنة ٩١-٩٥هـ/٧١٠-٧١٤م.

مرو: وقد ضُربت بها دراهم عربية على الطراز الساساني، وضربت بها دراهم عربية صرفة منذ سنة ٧٩هـ/٦٩٨م.

هراة: وقد ضربت في هراة منذ فجر الإسلام سكة فضية من الدراهم العربية على الطراز الساساني، كما ضربت بها دراهم عربية خالصة[٣].

وهكذا يمكننا القول إن عبد الملك هو أول من أوجد النقد العربي للدولة الإسلامية، وقد بقي عمله لأنه قام على أساس علمي إذ حدد عياراً ثابتاً للنقد وأصبحت النقود عربية خالصة، وقد كانت الدولة شديدة العناية بجودة العملة، وتنافس الولاة في البلوغ بالجودة إلى أكمل درجة، وكان هذا ولا شك عملاً عظيماً إذ قضى على المفاسد التي كانت موجودة وأفادت منه الرعية كما أفادت الدولة، بل كان بمنزلة حجر الأساس للنهضة التجارية الإسلامية[٤].

---

[١]- الشيخ، علي كاظم عباس: المسكوكات البيزنطية والساسانية المتداولة في العراق حتى أواخر عهد عبد الملك بن مروان، جامعة القادسية، قسم الآثار، مج ٢، ع٢، ٢٠١٢م، ص٢٤٠-٢٤١.

[٢]- النقشبندي، الدرهم الأموي، ص٢٠.

[٣]- النقشبندي، الدرهم الأموي، ص٢٦-٣٤.

[٤]- الريس، الخراج، ص٢٣٦.

وبذلك كان إصدار العملة العربية الإسلامية خطوة على جانب كبير من الأهمية في تحرير الدولة الأموية الاقتصادي من ناحية، وفي اتساع نطاق عملية التعريب بوجه عام، إذ تخلصت الدولة الأموية من التبعية النقدية الخارجية، وأعطتها قدراً كبيراً من الرقابة على شؤونها المالية، والجدير بالذكر أن الدولة لن تتاح لها فرصة الرقابة التامة إلا بعد استكمال عملية التعريب، وحين تكتسب الدولة خبرة أكبر وفهماً أعمق للنظام المالي الذي كان معمولاً به في الأمصار المفتوحة قبل الفتح الإسلامي[(١)].

٤- الإجراءات الإصلاحية لنظام الضرائب في خراسان:

أ- نظام الضرائب في خراسان في العصر الراشدي

لم تكن الإدارة المالية في خراسان في صدر الإسلام واضحة، لقلة المعلومات من جهة ولطبيعة الإدارة من جهة ثانية، فقد كانت اتفاقات الصلح التي عُقدت مع أمراء المقاطعات وممثليها لا تتضمن إلا إشارات غامضة من نظام الضرائب[(٢)]، ففي بداية الفتح العربي لإقليم خراسان، أدرك أمراء المقاطعات والمدن الخراسانية، أن قوة الساسانيين قد تحطمت بسبب هزائمهم ولم يعد هناك ثمة أمل في أن تدّب فيها الحياة مرة أخرى، ولذلك أسرعوا إلى عقد الصلح، وعقدوا بين "عظيم، ومرزبان، وصاحب"، اتفاقيات مع العرب الفاتحين تعهد هؤلاء الأمراء بموجبها بأن يدفعوا ضريبة سنوية مشتركة تسمى (جزية، أو وظيفة، أو خراجاً، أو أتاوة)[(٣)]، ولم تنص هذه الاتفاقية على خراج وجزية أو على معدل لتقدير ضريبة الأرض وضريبة الرأس، وإنما نصت على مقدار مسمى من المال يؤدي في كل سنة لا يزيد ولا ينقص[(٤)].

وعلى الرغم من التداخل الحاصل بين "الجزية والخراج" في المشرق إلا أن المصادر العربية كانت تفصل بين المفهومين من حيث المبدأ، ويشير البلاذري[(٥)] إلى ذلك موضحاً إجراءات عمر بن الخطاب ﷺ بالسواد وتعامله مع الأرض فيقول: "فعلى رقاب أهلها الجزية، وعلى الأرض"، فهو قد استعمل الجزية ليدل بها على ضريبة "الرؤوس" كما استعملها للدلالة على ضريبة الأرض "الخراج"، كما يذكر الطبري[(٦)] كلمة "الجزية" و"الجزاء" في مواضع مختلفة ويعني بها ضريبة الرأس، فقد جاء في الصلح مع قومس "على أن يؤدُّوا الجزية عن يد، عن كلّ حالم بقدر طاقته، وعلى أن ينصحوا ولا يغشّوا، وعلى أن يدولُّوا وعليهم نُزْل

(١)- الدينوري، الأخبار، ص٣٢٢. عاقل، نبيه: تاريخ خلافة بني أمية، سلسلة تاريخ العرب والإسلام /٢/، دمشق، ١٩٧٢م، ص١٩٠. الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي، ص٣١.

(٢)- الدوري، نظام الضرائب، ص٧٦.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص ٥٧٠، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٨٦.

(٤)- دينيت، الجزية، ص ١٨٤.

(٥)- فتوح، ص٤٣٢.

(٦)- تاريخ، ج٤، ص١٥٢.

من نزل بهم من المسلمين يوماً وليلة من أوسط طعامهم، وأن بدَّلوا واستخفُّوا فالذمَّة بريئة منهم"، ويوضح الطبري[١] نصوص الصلح مع أهل أذربيحان وهو يشير إلى الجزية "على أن يؤدُّوا الجزية على قَدْر طاقتهم، ليس على صبيٍّ ولا امرأة ولا زمن ولا متعبَّد متخلٍّ ليس في يديه من الدنيا شيء، لهم ذلك ولمن سكن معهم وعليهم قرى المسلم من جنود المسلمين يوماً وليلة ودلالته، ومَنْ حُشِر منهم في سنة وضع عنه جِزاء تلك السنة، ومن أقام فله مثل ما لمن يقم ذلك".

ويذكر الدوري[٢] أن الأمر يبدو أكثر تعقيداً في استعمال كلمة "خراج"، فالطبري[٣] يذكر الاتفاق مع أهل جرجان، ويشير إلى دخول سويد بن مقرن إليها، وعسكر بها حتى جبي إليه الخراج، فرفع الجزاء عمَّن أقام بمنعها، وأخذ الخراج من سائر أهلها وكتب بينهم وبينه كتاباً جاء فيه "لكم الذِّمة، وعلينا المنعة، على أنَّ عليكم من الجِزاء في كلِّ سنة على قَدْر طاقتكم؛ على كلّ حالم؛ ومن استعنَّا به منكم فله جزاؤه"، ويوضح هذا النص أن من ينفر مع المسلمين إلى قتال عدوهم يوضع عنه جزاء تلك السنة وبذلك فقد استعمل تعبير "الخراج" ليعني به الجزية المشتركة التي فرضت على أهل جرجان.

وتتداخل كلمة الجزية مع الخراج في مواضع متعددة فقد استعمل "تعبير الخراج، ليدل على الجزية المشتركة[٤]" التي فرضت على أهل مرو الروذ، وقد أشار الطبري[٥] إلى ذلك عندما تقدم مرزبان مرو الروذ يعرض الصلح على الأحنف بن قيس، "على أن أودِّيَ إليكم خراجاً، ستين ألف درهم"، في الوقت الذي ضمن له الأحنف أن لا يدفع من المبلغ شيئاً "ولا تأخذوا من أهل بيتي شيئاً من الخراج" فوافق الأحنف على ذلك "على أن تؤدِّي عن أكَرتِك وفلَّاحيك والأرضين ستين ألف درهم إليَّ، ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام"[٦]، ومن هنا نرى أنه فرض على مرو "خراج" ستين ألف درهم يدفعها المرزبان عن "أكرته وفلاحيه والأرضيين". وقد يعني تعبير "الأرضيين" الضريبة على الأرض أو على سكان منطقة مرو[٧].

حيث جاء في صلح عبد الله بن عامر مع عظيم هراة وبوشنج وباذغيس على مناصحة المسلمين، وإصلاح ما تحت يديه من الأرضين، وصالحه عن هراة سهلها وجبلها، على أن يؤدي الجزية على ما

---

(١)– تاريخ، ج٤، ص١٥٥.

(٢)– نظام الضرائب، ص ٧٧.

(٣)– تاريخ، ج٤، ص١٥٢.

(٤)– الدوري، نظام الضرائب، ص٧٧.

(٥)– تاريخ، ج٤، ص٣١٠–٣١١. ابن الزبير (القاضي الرشيد ت في القرن الخامس الهجري): كتاب الذخائر والتُّحف، تح: محمد حميد الله، مر: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م، ص ٣٤٦.

(٦)– الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢.

(٧)– الدوري، نظام الضرائب، ص٧٩.

صالحه عليه، وأن يقسّم ذلك على الأرضين عدلاً بينهم، فمن منع ما عليه فلا عهد له ولا ذمَّة، وهذا يدل على أن الوظيفة المفروضة هي جزية مشتركة، وأن تعبير الأرضين يعني سكان الأرياف[١]. كما ويذكر الطبري: "فإنما خراج خراسان على رؤوس الرجال[٢]". يفهم من ذلك أن الجزية المشتركة تجبى من الأفراد على رؤوسهم[٣]، ونلاحظ في معاهدة عبد الله بن عامر مع عظيم هراة وبوشنج وباذغيس رفع الجزية عمن يستعين بهم العرب "ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً عن جزائه"[٤].

وقد كلف الدهاقين بجباية الضرائب منذ البدء، لخبرتهم الواسعة في الجباية ومسك السجلات الخاصة بها وبأهلها، مما جعلهم مؤهلين للاستمرار في عملهم بالإدارة بعد فتح المسلمين لخراسان[٥]، وعلى ما يبدو إن الدهاقين حصلوا على إعفاءات لأنفسهم ولأهل بيتهم من الجزية المشتركة منذ البدء كما فعل مرزبان مرو فقد عرض على الأحنف بن قيس: "على أن نؤدي لكم خراجاً ستين ألف درهم... ولا تأخذوا من أهل بيتي شيئاً من الخراج" فأجاز الأحنف ذلك وأعفاه وأهل بيته[٦]، فتحالفوا مع الفاتحين وعاونوهم، وجعلوا هذه الضريبة على الناس عامة، وأنقذوا أنفسهم منها[٧]. ويقول بارتولد: "رضي الدهاقين في العصور الإسلامية الأولى في إيران بزوال خطورتهم السياسية نظير ما نالوا من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية"[٨]، فقد كانوا يجمعون الضرائب بالطريقة التي يرونها، ولا يعطون المسلمين إلا المبالغ التي اتفق عليها، ويحتفظون بالباقي لأنفسهم[٩].

ولما استخلف عثمان بن عفان ﷺ، غزا عبد الله بن عامر خراسان، حيث استعان بدهقان من دهاقين خراسان فكان له عوناً في هذه المهمة، مقابل تعهد عبد الله بن عامر أن يحط عنه خراجه وخراج أهل بيته إلى يوم القيامة، ويرجح أن القائد عبد الله بن عامر أوفى بعهده هذا، وكان في مقدمة جيش عبد الله ابن عامر الأحنف بن قيس الذي أقر صلح الطبسين، على أن يلتزموا بدفع ستمائة ألف درهم ألف درهم

---

[١]- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠-٥٧١. ابن أعثم، االفتوح، ج١، ص٣٣٨. قدامة، الخراج، ص٤٠٢. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. الدوري، نظام الضرائب، ص ٧٨.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٤.

[٣]- الدوري، نظام الضرائب، ص٧٨.

[٤]- خماش، الإدارة، ص١٧١. حميد الله، مجموعة الوثائق، ص٣٦١.

[٥]- دينيت، الجزية، ص١٨٥. الصوفي، دور الدهاقين، ص١٠٣.

[٦]- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٨١.

[٧]- الدوري، نظام الضرائب، ص٧٢.

[٨]- بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٦٥. الدوري، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والمالي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م، ص١٥.

[٩]- دينيت، الجزية، ص١٨٥. بطاينة، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، دار طارق، دار الكندي، عمان، د.ت، ص١٦٠.

التي سبق لهم أن تعهدوا بدفعها(١)، ومن ثم تقدم الأحنف نحو قوهستان، فحاصرها، وضيق عليها الحصار، ثم قدم ابن عامر فطلبوا الصلح، فصولحوا على ستمائة ألف درهم، كما صالح عبد الله بن عامر أهل نيسابور وما جاورها على ألف ألف درهم، ويقال: سبعمائة ألف درهم(٢). وصالح أيضاً صاحب مدينة نسا على ثلاثمائة ألف درهم، وصالح عظيم أبيورد بهمنة عبد الله بن عامر على أربعمائة ألف درهم، وأتاه مرزبان طوس فصالحه على ستمائة ألف درهم (٣) . ووجه ابن عامر إلى مدينة مرو حاتم ابن النعمان الباهليَّ فصالحه على ألفي ألف ومائتي ألف درهم(٤)، وفي كل سنة ثلاثمائة ألف درهم كجزية يؤدونها عن أنفسهم فأجابه عبد الله بن عامر على ذلك(٥). ويذكر البلاذري أن معاهدة الصلح هذه نصت على أن يوسِّعَ سكان مدينة مرو للمسلمين في منازلهم، وأنَّ عليهم قسمة المال، وليس على المسلمين إلَّا قبض ذلك(٦).

كما أن الأحنف بن قيس كان قد صالح أهل طخارستان على ثلاثمائة ألف درهم(٧). وأورد البلاذري وقدامة رواية أبي عبيدة التي تقول أن الأحنف بن قيس مضى إلى مرو الروذ واجتمع له أهل الجوزجان، والطالقان، والفارياب ومن حولهم، فاشتبك معهم بقتال عنيف حتى اضطرهم إلى مصالحته على ستمائة ألف درهم، في حين قال البلاذري: صالحهم على ستين ألفاً، وأضاف البلاذري "وقال المدائني: إنه

---

(١)- ابن قتيبة، المعارف، ص٨٤. قدامة، الخراج، ص٤٠٠. ابن الفقيه، مختصر، ص٣٢٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص١٩. دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص١٠٢.

(٢)- الواقدي، فتوح، ص١٣٣. البلاذري، فتوح، ص٥٦٩. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥١. ابن أعثم، الفتوح، ج٢، ص٣٣٧. قدامة، الخراج، ص٤٠٠.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٥٦٩-٥٧٠. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٨. قدامة، الخراج، ص٤٠١-٤٠٢. المقدسي، البدء، ج٥، ص١٩٨. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠.

(٤)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٠٢-٣٠٣. شاكر، موسوعة الفتوحات، ص١٠٥. فقال بعضهم ألف ألف درهم ومائتي ألف جريب من برٍّ وشعير. البلاذري، فتوح، ص٥٧٠. قدامة، الخراج، ص٤٠٢. دحلان، الفتوحات الإسلامية، ص١٠٣. وقيل غير ذلك "يؤدي أربعمائة ألف درهم نقداً وكل عام يدفع ألف درهم وخمسمائة حمل من القمح وأخرى من الشعير" ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٤١.

(٥)- ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٩. يذكر الواقدي: أن أهل مرو صالحوا ابن عامر على ألف ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم في كل سنة، فقبل عبد الله بن عامر ذلك منهم، وأرسل إليهم عبد الله بن عوف الحنظلي أميراً عليهم. فتوح الإسلام، ص١٣٤.

(٦)- البلاذري، فتوح، ص٥٧٠. ابن أعثم، الفتوح، ج١، ص٣٣٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠.

(٧)- البلاذري، فتوح، ص٥٧١. قدامة، الخراج، ص٤٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠.

صالحهم على ستمائة ألف درهم"[١]. كما صالحه أهل الطالقان وأهل بلخ على أربعمائة ألف درهم، ويقال سبعمائة ألف درهم، في حين تم دخول الجوزجان والفارياب عنوة وبعد مجهود قتالي عنيف[٢].

ولما بلغ أهل ما وراء النهر خبر الانتصارات الباهرة التي حققها جيش عبد الله بن عامر طلبوا إليه أن يصالحهم، فبعث من قبض ذلك، فانته الدوابُّ والوصفاء، والوصائف والحرير والثياب، وبعدئذ قدم على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بعد أن استخلف قيس بن هيثم السلمي الذي عمل على تعزيز وجود سلطة الدولة في شرقي النهر، وإبان خلافة الإمام على بن أبي طالب ﷺ، وقدم إليه "ماهويه" مرزبان مرو وهو بالكوفة؛ فكتب له إلى الدهاقين والأساورة بأن يؤدوا إليه الجزية[٣]، غير أن أهل خراسان ما لبثوا أن تمرودا على الدولة وقطعوا ما سبق أن تعهدوا بدفعه للمسلمين من الأموال والدواب والمواد العينية.

ب- نظام الضرائب في خراسان في العصر الأموي

بقي نظام الضرائب في خراسان كما كان في العصر الساساني، إذ كان يؤدي ضريبة أرض وضريبة تجارية وضريبة رأس "جزية"، فقد كانت جميع الضرائب بيد الأمراء والرؤساء المحليين يجمعونها بالطريقة التي يرونها ويحتفظون لأنفسهم بما يشاؤون، ولا يعطون للعرب إلا المبالغ المتفق عليها. وهكذا لم يكن هناك فرق بين أنواع الضرائب في السواد وبينها في خراسان[٤]. فقد كان الدهاقين مسؤولين عن جباية الأموال في قريتهم بعد إحصاء عدد السكان، وأن متوسط ما يجب أن يدفعه الشخص هو أربعة دراهم وأن الدهقان بعد ذلك يوزع المبلغ على الأشخاص، حسب يسارهم وفقرهم، وهذا دليل على أن عمر بن الخطاب ﷺ استعان بالدهاقين لأن لديهم الخبرة التي تساعدهم على القيام بهذا العمل على الوجه الأكمل ولأنهم أعرف بسكان منطقتهم وبأوضاعهم المادية[٥]. إلا أن معاوية بن أبي سفيان استطاع أن يرغمهم على الإيفاء بدفع ما سبق أن فرض عليهم من الأموال، إذ أعاد تعيين قيس بن الهيثم السلمي على أهل خراسان؛ وضم إقليم خراسان إلى عبد الله بن عامر الذي كان حينذاك والياً على البصرة، فاستطاع أن يعيد بعض هيبة الدولة إلى تلك البلدان. ففي عهده ضاعف عامله على أهل مرو الخراج[٦]، أي زاد في الوظيفة التي حددها الصلح. وكان عبيد الله بن زياد قد صالح أهل بخارى على ألف ألف درهم، ودخل

---

(١)- فتوح، ص٥٧٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٠-٣١١. الخراج، ص٤٠٣. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢٠. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٢٤٢.

(٢)- ابن خياط، تاريخ، ص١٦٥. البلاذري، فتوح، ص٥٧٣-٥٧٤. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣١٣. قدامة، الخراج، ص٤٠٣-٤٠٤. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٢١. النويري، نهاية، ج١٩، ص٢٦٤.

(٣)- البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٧٤. قدامة، الخراج، ص ٤٠٤.

(٤)- دينيت، الجزية، ص١٨٠-١٩٠.

(٥)- خماش، الإدارة، ص١٧٤.

(٦)- المقدسي، البدء، ج٦، ص١.

المدينة دخول المنتصرين[١]. ثم ولى الخليفة معاوية سعيد بن عثمان مكان عبيد الله بن زياد، وقطع النهر، فأقبل عليه أهل السند والترك وأهل كش، ونسف، يحملون مائة وعشرون ألف درهم[٢]. وفي عهد يزيد بن معاوية عين مسلم بن زياد على خراسان فصالحه أهل خوارزم على أربعمائة ألف درهم وحملوها إليه. والذي يؤسف في هذا الشأن أن المصادر أحياناً أهملت ذكر مقدار الأموال التي دفعت للدولة من قبل أهل بعض المدن التابعة لإقليم خراسان إدارياً، ولاسيما تلك التي انتفضت وتمردت على سلطة الدولة الإسلامية. ففي هذا الشأن ذكر قدامة أن مسلم بن زياد أتى سمرقند فأعطاه أهلها الفدية[٣]، ولم يذكر قدامة كم هو مقدار الفدية.

كما يوضح المدائني شكوى بكير بن وشاح فيقول: وأخذ أمية الناس بالخراج، واشتد عليهم فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم، فذكروا شدة أمية على الناس، فذموه وقالوا: سلط علينا الدهاقين في الجباية، ولما كان الدهاقين مسؤولين عن الجباية منذ بداية الفتح واستمروا كذلك بعد إمارة أمية[٤]. كما لم يذكر قدامة مقدار المال الذي تحتم على أهل "الختل" دفعه إلى والي خراسان أمية بن عبد الله فأخضع "الختل" بعد أن نقضوا العهد الذي قطعوه للدولة على أنفسهم[٥]. ولم يذكر البلاذري وقدامة مقدار المال الذي دفعه أهل الختل للمهلب بن أبي صفرة الذي كلفه الحجاج بن يوسف الثقفي بإعادة فتح الختل و"خجندة" والصغد وكش ونسف[٦]. ويذكر المدائني أن يزيد بن المهلب بعد أن أكمل فتح جرجان سنة ٩٨هـ/٧١٦م رجع إلى خراسان واستخلف عليها جهم بن زحر فوضع الجزية والخراج عن أهلها[٧]. وصالح يزيد بن المهلب أهل جرجان على مائتي ألف درهم[٨]، وصالح يزيد أهل طبرستان عندما توجه إليهم على نقد أربعة آلاف درهم وعلى سبعمائة ألف درهم مثاقيل[٩]، ولم يذكر البلاذري وقدامة أيضاً مقدار المال الذي دفعه أهل باذغيس وشومان اللذين أعاد فتحهما المفضل الذي كلفه الحجاج الثقفي بذلك بعد أن انتفضتا. واكتفى قدامة بقوله: "وأصاب غنائم قسمها بين الناس"[١٠]. ولم يُشر قدامة إلى مقدار

(١)- البلاذري، فتوح، ص٥٤٤. قدامة، الخراج، ص٤٠٥.

(٢)- قدامة، الخراج، ص٤٠٥.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٤١٨-٤١٩. قدامة، الخراج، ص٤٠٦.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣١٦.

(٥)- الخراج، ص٤٠٧.

(٦)- فتوح البلدان، ص٤٢٣. الخراج، ص ٤٠٧.

(٧)- البلاذري، فتوح، ص٣٣٣. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٤٣.

(٨)- البلاذري، فتوح، ص٣٣٠.

(٩)- البلاذري، فتوح، ص٣٣٣.

(١٠)- فتوح البلدان، ص٤٢٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٩٧. الخراج، ص٤٠٧.

المبالغ التي حصل عليها قتيبة بن مسلم الباهلي الذي ولاه الحجاج الثقفي إقليم خراسان وخرج يريد شومان فتلقاه دهاقين بلخ فعبروا معه النهر فأتاه ملك الصفانيان وملك كفيان وسلما إليه بلديهما[١]. كما لم ترد إشارة إلى المبالغ التي صالح بها قتيبة بن مسلم الباهلي "طرخون ملك الصُغد"[٢]. لكن البلاذري وقدامة لم يلبثا أن أوردا نصوصاً تشير إلى حصول القائد قتيبة على موارد مالية، لاسيما حين ذكرا أن قتيبة بن مسلم الباهلي تقدم نحو سمرقند فصالحه "غوزك" على ألفي ألف ومائتي ألف درهم في كل عام[٣]. وذكر الطبري أن القائد قتيبة غزا "بيكند" سنة ٨٧هـ/٧٠٥م، فدخلها عنوة بعد قتال شديد "فأصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى، فولى الغنائم عبد الله بن وألان العدوي، وإياس بن بيهس الباهلي"، كما غنموا كميات كبيرة من آلات السلاح[٤]. وفي سنة ٩٣هـ/٧١١م انتفض أهل سمرقند ونقضوا العهد الذي قطعوه للمسلمين، فغزاهم القائد قتيبة بن مسلم الباهلي، واضطرهم إلى طلب الصلح ثانية وتعهدوا بدفع " ألفي ألف ومائتي ألف درهم في كل عام"[٥].

وذكر الطبري[٦] أن سعيدا خذينة لما قدم خراسان سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م دعا قوماً من الدهاقين، فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكور، فأشاروا إليه بقوم من العرب، فولاهم فشكوا إليه، فقال للناس يوماً: "إني قدمت البلد، وليس لي علم بأهله، فاستشرت فأشاروا علي بقوم، فسألت عنهم فحمدوا، فوليتهم، فأحرج عليكم لما أخبرتموني عن عمالي، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري: فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بما لا يخالفهم وبأشباههم فهذا علمنا فيهم". وهذا النص يوضح لنا "وجود عمال من العرب جنب الدهاقين وعلى أنهم يكلفون بالجباية في الكور، وهذه جباية لا يمكن أن تتعلق بالجزية المشتركة التي هي مسؤولية الدهاقين[٧]".

١ً- إصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧١٩م)

استخلف عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ/٧١٧م، وتجلت غايته في سياسته ولاسيّما المالية المطابقة لأحكام الشريعة الإسلامية، فهو لم يكن راضياً عن التنظيمات المالية التي خلفها سلفه من الخلفاء الأمويين، ولا عن تجاوزاتهم لأحكام الشريعة الإسلامية[٨]، فحاول التوفيق بين مصلحة الخزينة والمبادئ

---

[١]- الخراج، ص٤٠٨.

[٢]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٤٥.

[٣]- فتوح البلدان، ص٤٢٧. الخراج، ص ٤٠٨.

[٤]- تاريخ، ج٦، ص٤٣٢.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٧٥.

[٦]- تاريخ، ج٦، ص٦٠٧.

[٧]- الدوري، نظام الضرائب، ص٥٦.

[٨]- قطب، السياسة المالية، ص٥٩. الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص٧١.

الإسلامية، وحافظ من هذا الوجه على المبدأ القديم الذي يقضي بأن المسلم ليس عليه أن يدفع جزية الرأس(١)، ولكن يجب عليه أن يدفع الخراج، وبهذا يكون قد ألغى الفروض المالية التي لم يقرها الشرع(٢)، فكتب إلى عماله: "من شهد شهادتنا واستقبل القبلة واختتن فلا تأخذوا منه الجزية، كما ألغى ضرائب النيروز والمهرجان كما تم الحديث سابقاً(٣).

وأمر عمر بن عبد العزيز عامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي أن يدعو أهلها للإسلام، فإن قبلوا رُفعت عنهم جزية رؤوسهم وأصبح لهم ما للمسلمين، وذُكر أنه اتخذ هذا الإجراء حين وصلت إليه الشكوى التي جاءت من أهل خراسان، وكان الجراح بن عبد الله أوفد إليه وفداً ضمّ ثلاثة رجال: رجلين من العرب، ورجلاً من الموالي من موالي بني ضبّة، يُكنى أبا الصيداء ـ اسمه صالح بن طريف، كان فاضلاً في دينه ـ فتكلَّم العربيان والآخر جالس لم يتكلم، فقال عمر: " أما أنت من الوفد؟ قال: بلى، قال: فما يمنعك من الكلام؟ قال: "يا أمير المؤمنين! عشرون ألفاً من الموالي يَغزون بلا عطاء ولا رزق لهم، ومِثْلُهم قد أسلموا من أهل الذمة يُؤْخذون بالخراج، وأميرنا الجراح عَصَبِيٌّ جاف، يقوم على منبرنا فيقول: أَتَيْتُكم حَفِيّاً، وأنا اليوم عَصَبيٌّ! والله لرجلٌ من قومي أحبُّ إليّ من مائة من غيرهم، وبلغ من جفائه أنَّ كُمّ درعه يبلغ نصف ذرعه، وهو يعدَّ سيفاً من سيوف الحجاج، قد عمل بالظلم والعدوان"(٤).

كان الجراح خير من بين لعمر أوضاع الموالي في خراسان كونه منهم يعاني ما يعانون، وأخبره عن الحيف والظلم الذي أُلحق بهم، وعدم شملهم بنظام العطاء مع أنهم يقاتلون إلى جانب المسلمين، فضلاً عن استمرار أخذ الجزية منهم وهم مسلمون، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله ما يلي: "انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية"(٥)، وكان من نتيجة هذه السياسة ازدياد اعتناق الناس للإسلام، وقد ارتعب الدهاقين من هذا الإجراء، لأنهم كانوا يتحملون مسؤولية جباية الضرائب من جزية وخراج، ويتوجب عليهم تسليم المقدار المتفق عليه للمسلمين، لذا حاولوا عرقلته مستخدمين مختلف الأساليب للحد من انتشار الإسلام، فسعوا إلى إثارة الشكوك حول معتنقي الإسلام الجدد، مصورين للجراح ابن عبد الله كثرة اعتناق الإسلام بأنه تهرب من الجزية(٦)، وأشاروا عليه أن يمتحنهم بالختان، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه بذلك لكي يختبر مصداقية إسلامهم، لكن عمر بن عبد العزيز رفض ذلك

(١)- ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٧٦.

(٢)- ابن سلام، الأموال، ص٢٨.

(٣)- ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص١٣٦. أبو يوسف، الخراج، ص٨٦. الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٣٩.

(٤)- اليعقوبي، التاريخ، ج٣، ص٤٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢١. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٧-٤٢٨. الدوري، نظام الضرائب، ص٨٣-٨٤.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢١.

(٦)- الدوري، العصر العباسي، ص١٦. فوزي، الإدارة العربية، ص١٢٠. الصرفي، دور الدهاقين، ص١٤٨.

رفضاً قاطعاً، وكتب إليه كتاباً جاء فيه: "إن الله بعث محمداً داعياً، ولم يبعثه خاتناً[(١)]، غير أن الجراح لم يستمر في ولايته على خراسان فقد عزله عمر بن عبد العزيز عنها وسبب ذلك فيما يذكر اليعقوبي[(٢)] "وبلغ عمر عن الجراح أموراً يكرهها من أنه يأخذ الجزية من قوم قد أسلموا، وأنه يُغزي موالي بلا عطاء وأنه يظهر العصبية"، وأقرب الروايات إلى القبول في سبب عزل الجراح عن خراسان رواية المدائني[(٣)] التي يذكر فيها استقبال الجراح لجَهْم بن زَحْر الجعفي، ذلك أن يزيد بن المهلب ولى جهم بن زحر جرجان حين شخص عنها، فلما كان من أمر يزيد ما كان، وجّه عامل العراق من العراق والياً على جرجان، فأخذه جهم فقيّده وقيد رهطاً قدموا معه، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان، فأطلق أهل جرجان عاملهم، فقال الجرَّاح لجهم: لولا أنك ابنُ عمِّي لم أسوّغك هذا، فقال له جَهْم: ولولا أنك ابنُ عمي لم آتك. ومن المحقق أن عمر قد عزل الجراح عن خراسان لأنه أظهر العصبية لابن عمه، وأشار البلاذري إلى ذلك "ثم بلغ عمر عن الجراح عصبية لأن الخليفة كان يسعى إلى تأكيد فكرة الدولة[(٤)]".

وتحتاج هاتان الروايتان إلى فحص دقيق، ذلك أن اليعقوبي[(٥)] يمتدح الجراح في موضع آخر فيقول: وحسنت سيرة الجراح وقدمت عليه وفود التبت يسألونه أن يبعث إليهم من يعرض عليهم الإسلام، ويشير المدائني[(٦)] إلى نزاهة الجراح، كما أن المصادر التي بين أيدينا لا تعطينا معلومات عن الظلم والعدوان الذي ارتكبه الجراح في خراسان، ويبدو أن روايتي اليعقوبي والمدائني يراد بهما أن توحيا للقارئ بأن الخليفة لا يمتلك أي تصور عن إقليم خراسان وهو الذي يقول: وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إلي ولا أعظم من ثغر خراسان[(٧)]، كما أننا نعلم من المدائني أن عدد الموالي عند مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي يقدر بسبعة آلاف عليهم حيان النبطي، ولم يطرأ أي تحول في خلافة سليمان على أوضاعهم الاجتماعية. ولذلك يجب أن تؤخذ هذه الرواية بشيء من الحذر[(٨)].

---

(١)- ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٣٤. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٩-٥٦٠. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٨. خليل، ملامح الانقلاب، ص٨٥.

(٢)- تاريخ، ج٢، ص٢٠٢.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥٨-٥٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٠

(٤)- فتوح، ص٤١٥. الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٨٧. الأحمد، خراسان، ص٩٦-٩٧.

(٥)- تاريخ، ج٢، ص٣٠٢.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٠.

(٧)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨. القمصات، دلال عزت قاسم: جباية الضرائب في صدر الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: فالح حسين، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٠م، ص١٥.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٨١.

هذا وعزل الخليفة عمر الجراح عن خراسان، وعين عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وضم إليه على الخراج عبد الرحمن بن عبد الله القشيري[١]. ثم عين عقبة بن زرعة الطائيّ والياً على الخراج بعد القُشَيْري[٢]، إن الإصلاح في الضرائب الذي قام به عمر بن عبد العزيز لم يؤد إلى ضائقة مالية في موارد الدولة، لأنه فصل بين الجزية والخراج، فعدَّت الجزية متعلقة بالشخص فلا تقع إلا على غير المسلمين، وكانت تسقط عن رؤوسهم إذا دخلوا الإسلام. أما الخراج فصار متعلقاً بالأرض المزروعة ويجب أن يدفعه المسلمون أيضاً ولذا "فإن إسقاط الجزية عن الداخلين في الإسلام لم يكن مشقة"[٣] ونظراً لأهمية الخراج كتب عمر بن عبد العزيز إلى عقبة بن زرعة ما يلي : "إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها، فالوالي ركنٌ، والقاضي ركنٌ، وصاحب بيت المال ركنٌ، والركن الرابع أنا، وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمَّ إليَّ، ولا أعظم عندي من ثغر خُراسان، فاستوعب الخراج وأحرِزْه في غير ظلم، فإن يك كفافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلا فاكتب إليّ حتى أحمل إليك فتوفر لهم أعطياتهم"، فلما قدم عُقبة خراسان وجد خراجهم-أي الجزية والخراج- يفضل عن أعطياتهم، فكتب إلى عمر: فأعلمه، فكتب إليه عمر: أن اقسم الفضل في أهل الحاجة[٤]. وهذا دليل واضح على أن خراج خراسان في عهده كان فائضاً عن حاجتها، ينفي وبوضوح إدعاءات كثير من الباحثين المحدثين مثل فلوتن الذين شككوا في إصلاحات عمر وذهبوا إلى أنها كانت سبباً في ضائقة مالية عانت منها الدولة وأن سياسته كانت عاملاً أساسياً في وهن العرش الأموي الذي قال: "أن إلغاء الجزية في خراسان أثر في موراد الدولة تأثيراً محسوساً[٥]"، وذلك أن عمر بن عبد العزيز كان قد عوض النقص الناتج عن إسقاط الجزية عن طريق موارد أخرى، فقد أكد أن الإسلام يعفي من الجزية ولكنه لم يعفِ من الخراج[٦]، وانتهج المبدأ القانوني القائل إن أرض الخراج حق للأمة كلها، وبذلك بقي وارد الخراج ثابتاً للخزينة لا يتأثر بانتشار الإسلام[٧]، وأمر بمنع بيع الأراضي الخراجية، لتفادي نقص الخراج الناشئ عن تحويل هذه الأراضي إلى عشرية، فهو عندما أسقط الجزية عمن أسلم

---

(١)- البلاذري، فتوح، ص٤١٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٥٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٣٢٢.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٣٩. ولم يذكر سبب عزل عبد الرحمن بن عبد الله القشيري عن الخراج.

(٣)- فلهوزن، تاريخ، ص٢٧٢.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٨.

(٥)- فلوتن، السيادة العربية، ص٥١- ٥٩.

(٦)- ابن آدم، الخراج، ص١٣٦. فلهوزن، تاريخ، ص٢٧١. الراوي، العراق في العصر الأموي، ص١٦٥.

(٧)- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٧٢.

أسقط جزية الرؤوس فحسب، ولم يسقطها عن الأرض[١]. يذكر ابن سعد: أن عمر بن عبد العزيز جعل العرب والموالي في الرزق والكسوة والمعونة والعطاء سواء[٢].

لقد نجح عمر بن عبد العزيز في إجراءاته لأنه وضعها في إطار المفاهيم الإسلامية حين رفع الجزية عن المسلمين وحين عدَّ الخراج إيجاراً لأرض موقوفة على الأمة لا يجوز التجاوز عليه، وذهب فريق آخر ممن كتبوا عن عمر بن عبد العزيز يصورونه في العادة بأنه كان صادقاً في عقيدته، ولكنه لم يكن شخصاً عملياً، بل كان مثالياً محدود الأفق وعلى استعداد للتضحية من أجل أهدافه الدينية بجميع مصالح الدولة[٣]. وفي هذه الآراء مبالغة كبيرة في تقويم سياسة عمر، وإننا نرى العكس من ذلك، فإصلاحات عمر بن عبد العزيز هي التي أوجدت نوعاً من الاستقرار والهدوء، وأعطت للدولة الأموية فرصة أكبر في الاستمرار بسيادتها.

وعلى أية حال فإن ثقافة عمر بن عبد العزيز الواسعة هي التي مكنته من رؤية نقاط الضعف في سياسة البيت الأموي، ولعل ذلك يرجع إلى معاصرته إلى ثلاثة خلفاء وقربه من مركز صنع القرار الذي كان يتصدى دائماً إلى كبح جماح الفتن والاضطرابات بالقوة دون أن يترك لها مجالاً للحوار [٤].

وخلاصة القول: إن عمر بن عبد العزيز "كان سياسياً عبقرياً وضع خططاً مالية وسياسية عملية هدفت إلى إنقاذ الدولة من محنتها المالية وحفظ كيانها من التصدع[٥]. وقد أصبحت إصلاحاته المالية قاعدة سار عليها الخلفاء بعده، إذ استمرت الأراضي الخراجية بدفع الخراج حتى لو تملكها مسلم، غير أن الخلاف كان في أخذ الجزية ممن أسلم[٦]، لذلك قامت عدة محاولات إصلاحية أساسية ارتكزت عليه، تمثلت بإصلاحات أشرس بن عبد الله السلمي، ونصر بن سيار.

٢ـ الإجراءات الإصلاحية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م

كان الخليفة هشام من أكثر الخلفاء عناية بالناحية المالية، يتفقد الأمور بنفسه، وكان رقيباً دقيقاً على عماله في الدخل والصرف، ويحاسب من يخطئ، أو يتجاوز في صرفه، أو يبذر أموال الدولة، وقد نظم

(١)- بطاينة، الحياة الاقتصادية، ص١٦٠. قطب، السياسة المالية، ص١٠٧.
(٢)- الطبقات الكبرى، ج٥، ص٣٧٥.
(٣)- الدوري، مقدمة في التاريخ، ص٣٤.
(٤)- الأحمد، خراسان، ص٩٩-١٠٠.
(٥)- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص١٤.
(٦)- الراوي، العراق في العصر الأموي، ص٣٠. قطب، السياسة المالية، ص٢٢١.

الدواوين، وضبط الحسابات بعناية فائقة، ولذا كانت إدارته دقيقة ومنتظمة[١]، وورد عند الطبري: "لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أمر أصحابه ودواوينه، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام"[٢].

فانتظمت ميزانيته، ولم يعد هناك مجال لضياع أي مبلغ مستحق لبيت المال، وفي الوقت الذي انتظمت فيه موارد بيت المال، كانت النفقات قليلة؛ لأن الخليفة هشام كان ممسك اليد حسن التدبير، ولم يحصل عجز في ميزانيته[٣]. ويقول المسعودي: "كان هشام يجمع الأموال ويعمر الأرض ويستجيد الخيل والكسي والفرس"[٤]. ويقول الكتبي: "كان يوصف بالحرص والبخل، وجمع الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله"[٥].

وهناك ما يدل على أن الإدارة الأموية حاولت أن تعتمد في الجباية أحياناً على عمال يختارهم أهل المنطقة. يقول الطبري في سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م: " قال عمر بن هبيرة لمسلم بن سعيد حين ولاه خراسان: وعليك بعمال العذو، فقال وما عمال العُذْو؟ قال : مُرْ أهلَ كلِّ بلد أن يختاروا لأنفسهم، فإذا اختاروا رجلاً فولِّه، فإن كان خيراً كان لك، وإن كان شرًّا كان لهم دونك وكنت معذوراً"[٦]. وهذه وإن كانت محاولة لتجنب الشكوى إلا أنها تشير إلى جباية الأرض وإلى أن مسؤوليتها لم تكن بيد الدهاقين.

وهناك شكاوى تبين مسؤولية العرب عن أموال الجباية، فقد أخذ مسلم بن سعيد جماعة من أشراف العرب بخراسان بتهمة احتجان أموال بيت المال، فحذره البعض من ذلك قائلين "إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار لأن هؤلاء الذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي، وقبلنا قوم قدموا علينا من كل فج عميق فجاؤا على الحمرات فولوا الولايات فاقتطعوا الأموال فهي عندهم موفرة جمة"[٧]. وهذا يشعر بوضوح بوجود عمال من العرب مسؤولين عن الجباية.

وكان والي خراسان يُلزم من يأخذ العطاء بالجهاد، فعندما غزا مسلم بن سعيد بن زرعة الكلابي سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م، "فقطع النَّهر، فتباطأ الناس، فردَّ إليهم نصر بن سيار، فأرسل نصر إلى أهل بلخ: قد أخذتم أعطياتكم، فالحقوا بأميركم، فقد قطع النهر"[٨]. وعندما خفت حركة الجيوش والفتوحات أبطل

---

[١]– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٨. الريس، الخراج، ص٢٣٤. شلبي، التاريخ الإسلامي، ج٢، ص٩٢.

[٢]– تاريخ، ج٧، ص٢٠٣.

[٣]– الجاحظ، البخلاء، ص١٥. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٨. المسعودي، مروج، ج٣، ص٢١٠.

[٤]– مروج الذهب، ج٣، ص٢١٠.

[٥]– الكتبي (محمد بن شاكر ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت، ج٤، ص٢٣٨-٢٣٩.

[٦]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥.

[٧]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦.

[٨]– البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٣٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٠. قدامة، الخراج، ص٤١٠.

الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الأعطيات لمن لا يقوم بالعمل العسكري بنفسه أو يبعث مكانه نائباً عنه، وألغى أسماء الذين يستنكفون عن الجندية، وبذلك حدد الأشخاص الذين يأخذون أعطيات مقدرة ومقررة من ديوان الجند، فلم يأخذ أحد عطاء حتى ولو كان أميراً أموياً ما لم يؤد الخدمة الحربية بنفسه أو يرسل من ينوب عنه في أدائها[١].

- **إصلاحات أشرس بن عبد الله السلمي (١١٠هـ/٧٢٨م)**

من أهم ما حدث في عهد الخليفة هشام تجدد وضع الجزية عمن أسلم، ذلك أن هشاماً عين والياً على خراسان سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م هو أشرس بن عبد الله السلمي وكان رجلاً فاضلاً خيراً، وكانوا يسمونه الكامل، لفضله عندهم[٢]، وقامت محاولات لإصلاح الوضع المالي في خراسان في خلافة هشام بن عبد الملك، حيث وعد واليه أشرس بن عبد الله بإعفاء من أسلم من سكان ما وراء النهر من الجزية[٣]، وقد أراد أشرس نشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر لأسباب سياسية وعسكرية، محاولاً بذلك تهدئة ثائرة الصُّغد المعاندين[٤].

ومن أجل تهدئة الصغد وضع حداً لخروجهم عن الدولة الأموية بنقضهم المتواصل للصلح، آثر أن يسلك معهم الطريق الذي كان قد سلكه معهم الخليفة عمر بن عبد العزيز، وشجعه على ذلك كاتبه المولى "عميرة اليشكري"[٥]، ذُكِر أن أشرس قال في عماله بخراسان: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوجهه إلى ما وراء النهر فيدعوهم إلى الإسلام، فأشاروا عليه بأبي الصَّيْداء؛ الذي كان قد اختاره الوالي الجَراح ابن عبد الله الحكمي ضمن الوفد الذي أوفده إلى الخليفة عمر في سنة ١٠٠هـ/٧١٨م، فقال: لست بالماهر بالفارسية فضموا معه الربيع بن عمران التميمي ليكون مترجماً له، فقال أبو الصيداء: أخرج على شرط أن من أسلم لم تؤخذ منه الجزية؛ فإنما خراج خراسان على رؤوس الرجال، فوافق أشرس على شرطه، وانطلق أبو الصيداء لينفذ مهمته مصطحباً معه قوماً من العرب على رأيه وطريقته، وجعله رئيس الوفد وطلب منه أن ينشر الإسلام بين الصغد ممن لا يزالون على دينهم على أن تُلغى الجِزْية على كل من يدخل الإسلام منهم، فتوجه إليهم وبدأ في نشر الدعوة الإسلامية وساعده في ذلك عامل سَمَرْقند

---

[١]– فلهوزن، تاريخ، ص٣٤٨. حسيني، الإدارة العربية، ص١٦٦–١٦٧.

[٢]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٢. الخضري، تاريخ الأمم، ج٢، ص١٩١.

[٣]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٤. قدامة، الخراج، ص٤١١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٤. الريس، الخراج ، ص٢٤٠–٢٤١.

[٤]– فلهاوزن، تاريخ، ص ٤٣٤. شعبان، الثورة، ص١٨٦. الدوري، نظام ضرائب، ص٥٧.

[٥]– يذكر البلاذري في فتوح البلدان، ص٦٠٢: "أن عميرة اليَشكُري يُكنَّى أبا أميَّة كان كاتباً نبطيا للأشرس" في حين يذكر الطبري ج٧، ص٥٢: "أنه كان على شرطته ثم عزله وولى السمط عليها".

"الحسن بن أبي العَمَرَّطة الكِنْدِي" الذي كان قد ولاه عليه الوالي السابق أسد بن عبد الله القَسْرِيِّ، فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند، ومن حولهم إلى الإسلام على أن توضع عنهم الجزية فسرعان ما نجحا في مهامهما فدخلوا في الإسلام أفواجاً وأنشئت المساجد الكثيرة وأخذ الوثنيون يدخلون في الدين زرافات، ولكن من العجيب أن الدهاقين الذين كانت الحكومة العربية قد تركتهم على سلطانهم لم يكونوا راضين بذلك، لأنهم كانوا هم المسؤولون عن تحصيل الجزية، وكان من العسير أن يحصلوا على الأموال الكبيرة كما في السابق، لأن عليهم تأدية المقدار المقرر الذي لا يجب أن ينقص، لهذا ضجوا من هذا الإجراء وتذمروا، وكان على رأسهم غوزك المسؤول عن تقدير وجمع الحصة المحددة في الصلح وتسليمها لابن أبي العمرطة، فخشي ألا يستطيع تدبير كل الحصة المطلوبة في الوقت الذي كان هذا العدد الكبير يدخل الإسلام، وبالتالي توضع عنهم جزية رؤوسهم[(١)]، وقد أفضى بشيء من مخاوفه إلى أشرس، فكتب إليه قائلاً: "إنَّ الخراج قد انكسر" لكثرة الداخلين في الإسلام، فهبط الخراج وأضحى من العسير تدبير المال اللازم لتصريف شؤون الحكم، وشعر الوالي بذلك، فكان لا بد من عمل شيء لإعادة التوازن إلى الخزينة، فكتب الوالي إلى عامله على "سمرقند" يطلب منه التّحقّق في الأمر قائلاً: "إنَّ في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أنَّ أهل الصُّغْد وأشباهَهم لم يُسلموا رغبة، إنما دخلوا الإسلام تعوَّذاً من الجِزْية، فانظر من أخْتَتن، وأقام الفرائض، وحَسُن إسلامه، وقرأ سورة من القرآن فارفَعْ عنه خَراجه"[(٢)]. ويبدو أن أشرس اقتنع برأي غوزك السالف الذكر، فكتب إلى ابن أبي العمرطة كتاباً أمره فيه بعدم رفع الجزية إلا لمن حسن إسلامه وأدى الفرائض وقرأ سورة من القرآن واختتن، وكان هذا الأمر نذيراً بفشل المحاولات الإصلاحية حيث تراجع أشرس شيئاً فشيئاً عن المسير بهذه السياسة أمام ما أدلى به غوزك من الحجج على فسادها، وما تجره على بيت المال من الخراب[(٣)].

ثم عزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الخراج، وصيَّره إلى هانئ بن هانئ ليكون مسؤولاً على خراج المدينة، وضم إليه الأشيحذ الفارسي مساعداً له، وكان الهدف من تعيين هذين العاملين القضاء على ما قام به أبو الصيداء من ضروب الإصلاح[(٤)]. ويبدو أن هانئاً ومساعده شرعا في أخذ الجزية ممن أسلم، ومنعهم أبو الصيداء من ذلك، كما واجهتهما مقاومة عنيفة من الناس، مع أن نص الطبري لا يذكر ذلك

(١)- دينيت، الجزية، ص١٨٩. فلوتن، السيادة العربية، ص٥٣. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٥.

(٢)- أبو يوسف، الخراج، ص١٢٢. ابن آدم، الخراج، ص١٠-٦١. ابن سلام، الأموال، ص٢٨-٥٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٥٤-٥٥. قدامة، الخراج، ص٤١١. الماوردي، الأحكام، ص١٤٥. الكبيسي، حمدان عبد المجيد: موارد بيت المال في إقليم خراسان، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ع٤٧، ج٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٢. الدوري، نظام الضرائب، ص٨٤.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٩٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٤. فلوتن، السيادة العربية، ص٥٣.

(٤)- فلوتن، السيادة العربية، ص٥٣.

صراحة حيث يقول: "وكتب هانئ إلى أشرس إن الناس قد أسلموا، وبنوا المساجد فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس فقالوا: ممن تأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عرباً، فكتب أشرس إلى هانئ وإلى العمال: خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على من أسلم فامتنعوا، وقد ألح هانئ والعمال في الجباية، حتى أنهم استخفوا بعظماء العجم وتسلطوا على الدهاقين، وعاملهم بشدة وعنف لترددهم في المخاطرة بوضعهم أمام الناس بزيادة ما يُفرض على كل فرد من الجزية(١)، وهذا واضح من عبارة البلاذري: "فزاد أشرس في وظائف خراسان واستخف بالدهاقين(٢)"، واعتزل من أهل الصغد سبعة آلاف، ونزلوا على عدة فراسخ من سمرقند، واستجاشوا الترك، وخرج إليهم أبو الصيداء على رأس جمع من المسلمين لينصرهم(٣)". وكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى نشوب حروب عنيفة بين المسلمين في خراسان وبين الترك وأهل بخارى والصغد(٤).

وهنا نرى أن بلاد ما وراء النهر كانت تدفع الخراج أو الجزية المشتركة، وأن دخول الإسلام لم يكن يؤدي بالضرورة إلى إعفاء الشخص من جزية رأسه (أو نصيبه من هذا الخراج) وأن العمال كان لهم إشراف عام على الجباية. وجاء أشرس فوعد بإعفاء من يسلم من "خراجه" أو جزيته، فدخل الكثيرون في الإسلام، وواضح أن كلمة خراج في النص جاءت بمعنيين متوازيين، فهي بالنسبة للفرد جزية رأسه، وهي بالنسبة للمنطقة الجزية المشتركة أو الوظيفة. هذا ولا بد أن نبين أن أسباب موقف أشرس تعود لحد ما إلى شكه في الدوافع لدخول الإسلام، كما أن موقف الأمراء المحليين مثل غوزك في مقاومة المشروع يعود إلى طموحهم وأملهم في الانفصال(٥). ويفضح فشل محاولة أشرس الإصلاحية بشكل واضح دور الدهاقين في عرقلة الإصلاح ونشر الإسلام من خلال عدم استعدادهم لإسقاط الضرائب عن المسلمين الجدد، وإن سبب انفجار الثورة في بلاد الصغد بسبب السياسة التي اتبعها والي خراسان أشرس الذي يتحمل قيام هذه الثورة ضد السيادة العربية والتي كبدت العرب خسائر جسيمة(٦).

(١)- الدوري، نظام الضرائب، ص٥٩.

(٢)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٢. قدامة، الخراج، ص٤١١.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٥٥-٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٤-٣٨٥. مسكويه، تجارب، ج٢، ص٣٦٢-٣٦٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٨٥. النويري، نهاية، ج٢١، ص٢٤٧-٢٤٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٤٠. بارتولد، تركستان، ص٣٠٩. زيدان، تاريخ التمدن، ج٢، ص٣٦٠. الريس، الخراج، ص٢٥١-٢٥٣. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٤-٤٣٥.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧١-٨٦.

(5)- Gibb; The Arab, P.69,

(٦)- بارتولد، تركستان، ص٣٠٩.

ومهما يكن من أمر فقد اصطدمت عملية إصلاح النظام الضريبي في خراسان بمصالح الدهاقين، الذين كانوا يجمعون الضرائب بالطريقة التي يرونها، ويحتفظون منها بما يشاؤون ولا يعطون للعرب إلا المبالغ التي صولحوا عليها[١]، كما أن انتشار الإسلام قلل موارد الجزية المشتركة ويعقد مسؤولية الدهاقين في الجباية ويتعارض مع مصالحهم المادية، ولذا فإنهم كانوا يشككون في دخول الناس في الإسلام[٢]. وبقيت الأوضاع العامة في بلاد ما وراء النهر مضطربة حتى ولاية نصر بن سيار.

- **إصلاحات نصر بن سيار (١٢١هـ/٧٣٩م)**

تميزت سياسة نصر بن سيار الداخلية بالبرنامج الإصلاحي الذي قام به سنة ١٢١هـ/٧٣٩م لمعالجة الأوضاع المالية في خراسان وحل مشكلة الموالي فيها، منتهجاً بذلك الطريق الذي سلكه الخليفة عمر بن عبد العزيز لتنظيم نظام الضرائب بطريقة عادلة[٣].

ولا بد لنا أن نشير في هذا الصدد إلى أن إجراءات الوالي أشرس بن عبد الله بشأن جمع الضرائب، ومن بعده الوالي نصر بن سيار توحي أن الدهاقين أعفوا من مسؤولية والي الإقليم الذي يعاونه موظفون أنيطت بهم هذه المهمة، هذا فضلاً عن ضرائب أخرى لم تكن من مسؤولية الدهاقين؛ كضريبة العشور المفروضة على التجار، وضريبة المعادن وضريبة العشور المفروضة على إنتاج الأراضي الزراعية التي استثمرها العرب المسلمون والتي امتلكوا رقبتها عن طريق الشراء، أو استصلحوها، أو قطعت لهم، أو ألجأت إليهم[٤].

كان نصر بن سيار مطلعاً على أمور خراسان المالية بحكم إشغاله منصب الخراج سابقاً، فأدرك دور الدهاقين في عرقلة الإصلاح، لهذا عمل على إزالة شكاوى المسلمين المقيمين في خراسان من جور النظام الضريبي المفروض عليهم من دهاقينها ووضع حداً لتدخلات الدهاقين فيه، فقد لاحظ أنهم كانوا يستغلون سلطتهم في فرض الضرائب وجمعها لصالح جماعتهم[٥]، وقد أعلن برنامجه الإصلاحي في خطبته التي ألقاها في مسجد مرو بعد عودته من غزو ما وراء النهر سنة ١٢١هـ/٧٤٠م[٦]،وقد أدرك نصر الغاية المشتركة القائمة بين الدهاقين ورؤساء الطوائف (المجوس، النصارى، اليهود)، وهي منع

---

(١)- الدوري، نظام الضرائب، ص٨٣.

(٢)- دينيت، الجزية، ص١٨٥.

(٣)- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٧٣.

(٤)- قدامة، الخراج، ص٢١٤. الاصطخري، المسالك، ص٢٦٩. ابن حوقل، صورة، ص٢٦٥. التنوخي (الحسن بن علي ت٣٨٤هـ/٩٩٤م): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، ج٨، ص ٧٦.

(٥)- شعبان، الثورة، ص٢١٢-٢١٣.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٨. الريس، الخراج، ص٢٤٢-٢٤٣.

انتشار الإسلام ومحاربته[١]، فهذا بهرامسيس يقدر الضرائب على المجوس، فإذا أسلم أحد من قومه كان يلزمه بدفع الجزية والخراج، ثم أن أشيداد جريجور الذي يقوم بتقدير ضرائب النصارى، وجمعها كان يعامل من ينكرون النصرانية بالطريقة ذاتها، وكذلك فعل عقيبة اليهودي مع من دخل الإسلام من اليهود[٢]، فكانت النتيجة أن عُمِلَ ثلاثون ألف مسلم بغير عدل، يؤدون ضريبة رؤوسهم في الوقت الذي كان فيه ثمانون ألف مشرك قد ألقيت عنهم[٣]، وعمد الدهاقين لمنع انتشار الإسلام إلى مختلف الأساليب لمضايقة من يُسلم حتى أن دواب العرب المسلمين لم تسلم من أذاهم وحقدهم، فقد استضعف دهقان أصحاب نصر بن سيار قبل ولايته، فأخذ دوابهم وقطع جحافهم وأذنابهم، وبعد مدة يسيرة ولي خراسان، فأمر بضرب الدهقان وحبسه[٤]، وكان غرض الدهقان من هذا التصرف إظهار نفوذ الدهاقين وتسلطهم والإمعان في التشهير بالعرب المسلمين وبأمرائهم[٥].

لذا قرر نصر تصحيح هذه الممارسات الخاطئة التي تنطوي على الظلم بقوله: "ألا أني مانح المسلمين، أمنحهم وأدفع عنهم وأحمل أثقالهم على المشركين" محاولاً إصلاح طرق الجباية التي كان يتبعها الدهاقين، وإنهاء تلاعبهم بجبايتها حسب أهوائهم[٦]، فإنه لم يعفهم من مسؤولية جباية الضرائب نهائياً، لكنه قلص من سلطتهم وحدَّ من نفوذهم من خلال مراقبة أعمالهم بأن استعمل منصور بن عمر بن أبي الخرقاء عاملاً لشؤون الخراج، ومنحه سلطة واسعة ليعيد الأمور إلى نصابها، ولمراقبة توزيع الضرائب، وقد قام منصور بمهمته خير قيام فرفع الجزية عن المسلمين وحوّلها إلى المشركين[٧]، ويروى أنه "لم تأت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم، فلم يجد صعوبة في إلغاء جزيتهم، لأنه وجد مقابل ذلك ثمانين ألف مشرك كانت قد رفعت عنهم الجزية، فرفعها من المسلمين وجعلها على المشركين[٨]. وبذلك أصبحت الجماعات الدينية غير الإسلامية هي التي تدفع

---

[١]- الصوفي، دور الدهاقين، ص١٥٤.

[٢]- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٤. دينيت، الجزية، ص١٩٤.

[٣]- بارتولد، تركستان، ص٣١٢.

[٤]- ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): التذكرة الحمدونيَّة، تح: أحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، م٨، ص٦٧-٦٨.

[٥]- الصوفي، دور الدهاقين، ص١٤١.

[٦]- دينيت، الجزية، ص١٩٤. الدوري، نظام الضرائب، ص٥٩.

[٧]- دينيت، الجزية، ص١٩٤. شعبان، الثورة، ص٢١٣. الخيرو، التحديات، ص٣١٧-٣١٨.

[٨]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٤٨. الريس، الخراج، ص٢٤٢-٢٤٣.

الجزية، وكان ربّان اليهود يأخذ الجزية من اليهود، وأسقف النصارى يأخذها من النصارى، والمُرزبان يأخذها من المجوس الذين كانوا بطبيعة الحال الغالبية العظمى[١].

ويحصل تطور جديد على موارد خراسان خلال ولاية نصر بن سيار لإقليم خراسان. وذلك أن هذا الوالي فصل بين ضريبة الخراج المفروضة على الإنتاج الزراعي وضريبة الجزية المفروضة على رؤوس الذميين، حيث أعفى كل من أسلم من الذميين من ضريبة الرأس[٢]. والمنصف لا يستطيع أن يعد نصر بن سيار مبدعاً لنظام جديد، ذلك أن كل ما قام به هو تصحيح لأخطاء متبعة في إقليم خراسان، وتطبيق ما هو معمول به في أقاليم الدولة الأخرى التي فصلت بين ضريبة الخراج، وضريبة الجزية، على وفق نهج الدولة في هذا الشأن[٣].

وتسهم إجراءات الوالي نصر بن سيار المالية مرة أخرى في انخفاض موارد بيت المال من إقليم خراسان. ذلك أن هذا الوالي أمر في سنة ١٢١هـ/٧٣٩م أن تخفف الضرائب على المسلمين وترفع عنهم الجزية التي كانت تؤخذ من بعضهم على الرغم من دخولهم الإسلام. وقد شملت إصلاحات نصر بن سيار أموراً مالية أخرى، حيث صنف الخراج ووضعه مواضعه، أي : أنه جعل ضريبة الأرض تؤخذ على مقدار المساحة ونوع السقي ونوع الزرع أياً كان مالك الأرض مسلماً أو غير مسلم[٤]. فكتب قائمة للخراج وفق النظام الجديد يقضي بأن تجبى بمقدار ثابت تقرر على المدن والنواحي كل منها على حدة، وهكذا حُدد مقدار الخراج من جديد وصار يؤخذ من جميع مُلاك الأرض بحسب ما يملكونه سواء أكانوا مسلمين أو غير المسلمين فلم يكن في ذلك ما يشعر بالصِّغار، لأن الخراج يؤخذ عن عين الأرض لا عن الشخص الذي يملكها[٥]، وهكذا فرض الخراج على جميع أرض خراسان، كان نصر يراعي حال الإعسار الذي يواجهه الفلاحون، فلا يحملهم ما لا طاقة لهم به[٦]. وقد جاءت عملية تعريب ديوان الخراج في خراسان خطوة مكملة لإجرائه هذا، لأنها سهلت له مهمة الاطلاع على حسابات الخراج ومراقبتها من طرفه وطرف عماله[٧].

---

(١)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٣.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٣.

(٣)- ابن سلام، الأموال، ص٣٨.

(٤)- جب، هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام، تر: إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٧٩م، ص ١٢.

(٥)- فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٦. الدوري، نظام الضرائب، ص٥٩.

(٦)- الثعالبي، خاص الخاص، ص٨٩.

(٧)- الجهشياري، الوزراء، ص٤٣.

أما ضريبة الرأس "الجزية" فقد كانت تختلف في المقدار، وكان ما يتحصل منها يقل عاماً بعد عام، كلما زاد عدد الداخلين في الإسلام، وصار باباً يمكن الاستغناء عنه في وجود الخراج الثابت للدولة، أما نقص ما يدخل إلى بيت المال بسبب دخول العديد في الإسلام وسقوط الجزية عنهم فقد حسب حسابه مقدماً، ولم ير هناك بأس من أن تكون ضريبة الخراج وحدها الدخل الضروري الثابت لبيت المال(١). فلما وضع الخراج على الأرض كان لا بد له أن يفرض المبالغ المتبقية عليه والمعينة في شروط الصلح، إضافة لما يأخذه من أموال الجزية ليفي بالتزاماته المالية للدولة حسب شروط الصلح المتفق عليه سابقاً، فكان يؤخذ من مرو في أيام بني أمية مائة ألف سوى الخراج(٢)، وقد شملت إصلاحات نصر المالية أنحاء خراسان كافة بما فيها بلاد ما راء النهر(٣).

إن هذه الإصلاحات وجدت مقاومة عنيفة ولاسيما من قبل الدهاقين ورجال الدين الزرادشت لأنهم أخذوا يدفعون ضريبة الخراج لكونهم أصحاب الملكيات والإقطاعيات الكبيرة وكانوا سابقاً معفيين منها مقابل قيامهم بوظيفة الجباية كما أن هؤلاء جميعاً لم يكن من مصلحتهم انتشار دين مثل الدين الإسلامي فيه روح المساواة لذلك كان تحديهم لنصر بن سيار عنيفاً(٤)، وهذه الإصلاحات لم تغير شيئاً في نفسية المجتمع الخراساني(٥)، حيث كان يكثر الغلاة وأتباع بقايا الحركات الاجتماعية الفارسية فقد كانت مرتعاً خصيباً لأعداء الدولة الأموية(٦).

علماً أن المصادر التاريخية لم توضح الأسس التي اتبعها العرب في تحديد العطاء بخراسان، إلا أنها أشارت إلى مقدار العطاء وأنَّه كان يزداد بأمر من الخليفة فقد كانت الشجاعة والإقدام في الحرب هي التي يتقرر العطاء بموجبها(٧). فقد روى المدائني: أن نصر بن سيار قال ليحيى بن الحُضين عندما أشار عليه بالمضي في غزوته الثالثة لما وراء النهر: يا يحيى تكلمت ليالي عاصم بكلمة؛ فبلغت الخليفة فحظيت بها، وزيدَ في عطائك وفُرض لأهل بيتك وبلغت الدرجة الرفيعة"(٨).

---

(١)– فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٧. عطوان، حسين: الدعوة العباسية تاريخ وتطور، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٧٢.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٣–١٧٤.

(٣)– فلهوزن، تاريخ، ص٤٥٧.

(٤)– البلاذري، فتوح، ص٦٠٥.

(٥)– أبو حبيب، مروان بن محمد، ص٥٤.

(٦)– الدوري، الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة للطباعة، ط١، بيروت، ١٩٦٢م، ص٨.

(٧)– الأحمد، خراسان، ص٦١.

(٨)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٧٥.

ونستخلص من ذلك أن الضرائب التي فرضت في بداية الأمر على أهل إقليم خراسان نوعان رئيسان، هما ضريبة الخراج، وضريبة الرأس (الجزية)، وأن هاتين الضريبتين كانتا مندمجتين معاً، إلا أن إجراءات الوالي نصر بن سيار الذي تلمس أنه لا بد من إجراء تعديل ضريبي يتلاءم مع روح الشريعة الإسلامية، وما سبق أن اتخذه الخليفة عمر بن عبد العزيز، فميز بين الضريبتين وخفف بذلك عن كاهل دافع ضريبة الرأس الذي دخل الإسلام[١]. واستنتج دينيت أن نصر بن سيار كان منظماً مصلحاً ولم يكن مبدعاً أو مبتكراً، لأنه لم يأتِ بنظام جديد أو يبتدع فروقاً وتميزات، أو يقلب مبادئ ونظم الإدارة الإسلامية[٢]، وهذا صحيح فهو لم يكن سوى مطبق لسياسة عمر بن عبد العزيز المالية، لأن مسعاه كان إعادة الأمور المالية إلى نصابها.

وكان من جراء إصلاح نصر أن عمرت خراسان في ولايته عمارة لم تعمر مثلها قبل ذلك، فوضع الخراج وأحسن الولاية والجباية، فقال سوار بن الأشعر مشيداً بنصر، ومبيناً الأمن والاستقرار الذي نعموا به في ولايته:

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة   من ظلم كل غشوم الحكم جبار

لما اتى يوسفاً أخبار ما لقيت   اختار نصراً لها نصر بن سيار [٣]

وكان هدف نصر بن سيار من إصلاح النظام المالي في خراسان تطبيق العدالة والمساواة، ورفع الظلم الذي أجحف بالعجم المسلمين، وقد استطاع تحقيق إجراءاته الإصلاحية التي جاءت منسجمة مع منهج عمر بن عبد العزيز في إصلاح النظام المالي، ولكن إصلاحاته هذه جاءت متأخرة لاستفحال الدعوة العباسية[٤]، إذ أنه من غير المعقول أن إجراءً كهذا يتكلل بالنجاح في تلك الفترة العصيبة قبل سقوط السلطة الأموية.

أما بالنسبة لموقف الخليفة هشام بن عبد الملك من إصلاحاته، فقد كان داعماً ومشجعاً، دليل ذلك أن الإجراءات الإصلاحية التي قامت في خراسان والممثلة بإصلاحات أشرس بن عبد الله سنة ١١٠هـ/٧٢٨م، وإصلاحات نصر بن سيار سنة ١٢١هـ/٧٣٩م كانت في خلافته.

ومن كل هذا نخلص إلى أن نصر بن سيار قام بإصلاح تنظيمي عادل، بأن أعفى المسلمين من الجزية وأعاد فرضها على المشركين الذين أعفاهم الدهاقين أو الجباة من أهل الذمة لأسباب اجتماعية أو سياسية، كما أنه نظم ضريبة الأرض بأن صنفها وفرضها بشكل عادل على أصحاب الأراضي.

---

[١]- الكبيسي، موارد بيت المال، ص٥٤.

[٢]- دينيت، الجزية، ص١٩٤.

[٣]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص ١٥٨. ابن كثير، البداية، ج٩، ص٣٢٩.

[٤]- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص٢٠.

الفصل الخامس

أثر خراسان في انهيار الدولة الأموية ودورها في قيام وانتشار الدعوة العباسية

أولاً: الدعوة العباسية في خراسان (١٠٠-١٢٩هـ/٧١٨-٧٤٧م)

١- بدايات الدعوة العباسية في خراسان

٢- دور أبي مسلم الخراساني في الدعوة العباسية وموقف نصر من الدعوة وإجراءاته ضدها

ثانياً: الثورة العباسية ونهاية الدولة الأموية

١- إعلان الثورة العباسية

٢- إجراءات نصر بن سيّار ضد الثورة العباسية

٣- السيطرة على خراسان ونهاية الدولة الأموية

سيتم الحديث في هذا الفصل عن الدور الكبير لخراسان في قيام الدعوة العباسية ومراحل هذه الدعوة وأهم دعاتها والدور الذي شغله أبو مسلم الخراساني في إعلان هذه الدعوة وجلب الكثير من الأتباع للانضمام إليها، وكيف تمت السيطرة على مدن خراسان، وأثر سقوط هذه المدن في سقوط الدولة الأموية.

فقد مضى القرن الأول الهجري على الدولة الإسلامية وهو يحمل في أواخره أسوأ الأوضاع التي يعاني منها المسلمون، من عصبيات قبلية، وحركات للموالين وثورات الشيعة والخوارج، فضلاً عن الانقسامات التي دبت بين أفراد البيت الأموي. وفي وسط هذه الفتن والاضطرابات والثورات ظهر ما يدل على أن هناك شرارة قوية سوف تندلع منها نيران الحقد التي تكمن في صدور المطالبين بالخلافة لآل البيت(١)، أو في صدور الموالي الذين ضاعت حقوقهم التي أحقها لهم الإسلام فقد أخذوا يتطلعون إلى المساواة مع العرب تحت لواء أية حركة أو ثورة ضد بني أمية.

وكان بنو هاشم يستغلون كل حركة أو ثورة تقوم في وجه بني أمية ليجنوا منها ما يرتجونه للوصول إلى الخلافة التي تنازل عنها الحسن بن علي ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان حقناً لدماء المسلمين، وأملاً في عودتها إليهم بعد وفاته بمقتضى الصلح الذي أبرم بينهما(٢). فلم تهدأ نفوس شيعة علي ﷺ بهذا التنازل فقد كانت ترى أحقية آل البيت من أبناء علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنهما في تولي الخلافة، وهذه المطالبة من كل الشيعة كانت الحافز القوي لآل البيت في خروجهم على بني أمية، وفي محاولتهم لتولى الخلافة، وكان أول من استجاب لهذا النداء الحسين بن علي ﷺ، الذي استشهد في كربلاء بعد أن خذله أهل الكوفة وشيعتها(٣)، وبمقتل الحسين ﷺ نشطت الدعوة بأحقية الخلافة لآل البيت وبالانتقام من قتلته، ولما فشلت حركة التوابين في العراق في الأخذ بثأر الحسين، استغل المختار بن أبي عبيد الثقفي هذا الفشل، وأخذ يدعو لإمامة محمد بن الحنفية، وكان المختار يخفي تحت هذه الدعوة أطماعه ومآربه الشخصية(٤).

أولاً: الدعوة العباسية في خراسان (١٠٠-١٢٩هـ/٧١٨-٧٤٧م)

استفاد العباسيون من الأوضاع السائدة بخراسان واحتدام الصراع داخلها، حيث كانت الأحوال السياسية تنبئ عن حدوث انقلاب كبير في الدولة الإسلامية، كما استفادوا من ارتباك أوضاع الخلافة الأموية

(١)- أمين، ضحى الإسلام، ج٣، ص٢٧٨.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٥٩. نصير بك، محمد: أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك، مطبعة خلف، ط٢، القاهرة، ١٩٤٤م، ص١٥٢.

(٣)- المسعودي، مروج، ج٣، ص٧٠. نصير، أبطال، ص١٥٨. الخطيب، عبد الكريم: الخلافة والإمامة ديانة..وسياسة، دراسة مقارنة للحكم والحكومة، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٣٣.

(٤)- المقدسي، البدء، ج٦، ص٢٠. فوزي، طبيعة الدعوة، ص١٠٨.

نتيجة الثورات المتتالية التي حدثت في الشام والعراق بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م وانشغالها المتواصل بالقضاء عليها، فنشروا مبادئهم، ونظموا دعوتهم، وكسبوا العديد من المؤيدين دعوا بالشيعة العباسية(١).

١- بدايات الدعوة العباسية في خراسان:

بالرغم من أن الشيعة في العراق كانوا لا يرون في محمد بن الحنفية صاحب حق في الخلافة، وأن هذا الحق محصور فقط في أبناء علي من السيدة فاطمة رضي الله عنهم إلا أنهم وقفوا وراء المختار بن أبي عبيد الثقفي في محاربته لعبيد الله بن زياد للأخذ بثأر الحسين ﷺ، فقد كان انتصار المختار ومقتل عبيد الله بن زياد في موقعة عين الوردة سبباً في ازدياد أتباع المختار، وقد بايعت الفرقة الكيسانية، إثر وفاة محمد بن الحنفية في سنة ٨١هـ/٧٠٠م ابنه عبد الله المكنّى بأبي هاشم الذي أصبح إمامها الشرعي، فنظم دعوة سرية للوصول إلى الخلافة التي أكسبته المزيد من المناصرين الذين يؤتونه ويؤدون له الخراج، ويُذكر أن الخليفة سليمان بن عبد الملك استدعاه وأكرمه فتخوف منه لما رآه من علمه وفصاحته، فوضع عليه من وقف على طريق عودته إلى المدينة وسمه في لبن(٢)، ولما أحس أبو هاشم بدنو أجله عرج إلى الحميمة حيث كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي سبق لهما أن اجتمعا معاً، وأخبره أنه ميت لا محالة وسلم له زمام الدعوة الكيسانية وتنازل له عن حقه في الخلافة وأوصاه بمواصلة الدعوة وأفضى إليه بأسرارها وأماكن وجودها وعرَّفه على شيعته، كما أنه أخبر شيعته بذلك أيضاً، الذين ما إن مات حتى وفدوا إلى محمد وبايعوه(٣)، وذكر أن سبب ذلك هو الصلة الوثيقة التي كانت تجمع بينهما، بالإضافة إلى أن العباسيين كانوا أكثر نشاطاً وكفاية من الناحية السياسية من العلويين، كما أنه لم يجد بين أفراد البيت

(١)- كان اصطلاح "شيعة" في ذلك الوقت يعني الأتباع. فوزي، طبيعة الدعوة، ص١٠٧.

(٢)- ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢١٨-٢١٩. الأصفهاني، مقاتل، ص١٢٦. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص١٩٤. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٣١٢-٣١٥. ابن طباطبا، الفخري، ص١٤٣. الباشا، حسن: دراسات في تاريخ الدولة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٥. علبي، أحمد: العهد السري للدعوة العباسية، دار الفارابي، ط٢، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٦٢-٦٣. العمرو، هشام، ص١٨٥. أبو النصر، محمد عبد العظيم: الدولة العباسية والعلاقات الخارجية، مطبعة الزهراء، د.م، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٨-٩.

(٣)- ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٧. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٢٠. المقدسي، البدء، ج٦، ص ٥٨. ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص٣٢٦. العش، يوسف: محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية، مطبعة رياض، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٦. العشماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٢١. هناك من ذكر أن أبا هاشم تنازل لعلي بن عبد الله وليس لابنه محمد الذي كان صغير السن، وأن أبا هشام لم يكن له خلفٌ ذكرا من صلبه، فخلفته كانت كلها بنات، وكان صديقاً لمحمد ومحباً له وأن الصلة بين آل هاشم جميعاً كانت قوية وودية. عطوان، الدعوة، ص١٦٦.

العلوي من يستطيع النهوض بأعباء الإمامة بسبب اختلاف اعتقاد الشيعة الكيسانية عن اعتقادات الشيعة الإمامية الذين ظلوا متمسكين بعقائدهم، وقاموا في وجه العباسيين بعد قيام دولتهم[١]، فكان هذا سبباً في تحول الدعوة حيث انتقلت من بيت علي بن أبي طالب ﷺ إلى بيت العباس عم النبي ﷺ[٢]، فقد ولد محمد بن علي في سنة ٦٢هـ/٦٨٢م[٣]، وكان قد تجاوز الثلاثين من عمره عند وفاة أبي هاشم في سنة ٩٩هـ/٧١٨م، وبقيام محمد بن علي بأمر الدعوة يبدأ دور البيت العباسي في نشر هذا الأمر بين الناس[٤].

هذا ولم يقتنع بعض المحدثين أبداً بصحة هذا التنازل وعدّوه موضوعاً من العباسيين لكسب الحق الشرعي لخلافتهم، والظاهر أن رواية الوصية موضوعة فعلاً من قبل العباسيين لإثبات شرعية خلافتهم[٥]، ومهما يكن فقد استطاع محمد بن علي كسب ثقة دعاة أبي هاشم وبالأخص رئيسهم سَلَمة بن بُجَير من بني مُسْليه وهو رأس شيعة أبي هاشم ومستودع سرِّه، الذي كان محمد يخاطبه قائلاً: " أنت أخي دون الإخوة، ولست أقطع أمراً دونك، ولا أعمل إلا بك"[٦]، ومن هنا نقول إن وفاة أبي هاشم هي التي تحكمت في وقت بدء الدعوة العباسية وليس مثلما يُذكر أن محمداً كان ينتظر حلول رأس المائة الهجرية قائلاً: "هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك، لانقضاء مائة من التاريخ، فإن لم تنقض مائة سنة على أمة قط إلا أظهر الله حق المحقين، وأبطل باطل المبطلين"[٧].

وظهر نشاط الدعوة العباسية بطورها السري في حدود سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م، فقد أخذ محمد عبرة مما مضى لآل علي وأدرك أن المواجهة المباشرة للحكم الأموي لن ينجح فيها أبداً إلا بعد أن يعد عدته

---

(١)- حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص ١٥. دراوشة، مروان بن محمد، ص٨٨.

(٢)- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص١٤٨-١٥٠. المسعودي، التنبيه، ص٢٩٢. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨١. أمين، ضحى، ج٣، ص٢٧٩.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨١. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٤٥٤.

(٤)- مجهول، أخبار، ص١٧٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣١٦. محمود، حسن أحمد؛ الشريف، أحمد إبراهيم: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط٥، القاهرة، د.ت، ص١٣. محمد، بدر عبد الرحمن: الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية من أوائل القرن الثاني الهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩. حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٤.

(٥)- علي، مختصر تاريخ العرب، ص ١٣٦. الدوري، مقدمة في تاريخ، ص ٧٦. مصطفى، شاكر: دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت، ١٩٧٣م، ج١، ص١١٤. البيلي، محمد بركات: الدعوة العباسية ثورة بني العباس على الحكم الأموي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١١-١٢.

(٦)- مجهول، أخبار، ص ١٨٢ وما بعدها. علبي، العهد السري، ص٦٦.

(٧)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٢.

ولاسيما أن الشيعة الذين اعتمد عليهم آل علي خذلوهم مراراً وتكراراً(١)، فبعد أن أخذ البيعة من دعاة وشيعة عبد الله بن محمد بدأ بتنظيم أمور الدعوة من حيث اختيار أماكنها ودعاتها، فقد جعل الحُمَيْمَة(٢) والكُوفة وخراسان محور دعوته، فأما الحميمة فتكون محل التدبير والتنظيم، وأما الكوفة(٣) فتكون نقطة الاتصال يلتقي فيها الذين يحملون الأوامر والتوجيهات من الحميمة مع الدعاة الذين عادوا من خراسان لينقلوا إلى القادة نتائج كفاحهم وليتلقوا التعليمات الجديدة، أما خراسان فهي الهدف الحقيقي للدعوة، ولاسيما أن خراسان بعيدة عن مركز الخلافة وحاضرتها(٤)، حيث يذكر ابن عبد ربه أن أبا هاشم هو الذي أوصى محمداً بخراسان حيث قال له: "ولتكن دعوتك خراسان، ولا تعدُها، ولاسيّما مرو، واستبطِنَّ هذا الحيّ من اليَمَن، فإن كَلَّ مُلك لا يقوم به فمَصيره إلى انتقاض(٥)، بينما يذكر مؤلف مجهول أن بكير بن ماهان هو الذي نصح محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بنشر الدعوة بخراسان، حيث أشار إلى ذلك قائلاً: "فلمَّا تهيَّأ لبكير انصرافه إلى العراق قال لمحمد بن علي: إني قد تجوّلتُ الآفاق ودخلت خراسان وشهدت فتح جرجان مع يزيد بن المهلب، فما رأيت قوماً أرقَّ قلوباً عند ذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلَّم من أهل الشرق..." فقال محمد: يا أبا هاشم دعوتنا مشرقية وأنصارنا أهل المشرق وراياتنا سود، وقد أذنت لك في بثَّ الدعوة في خراسان(٦).

لقد أسرع محمد في تعيين الدَّعاة الذين أشار إليهم رأس دعوته سلمة بن بجير، وخاطبهم قائلاً: "أمَّا الكوفة وسَوَادُها فهناك شِيعَة عليّ وولده، وأمَّا البصرة وسوادها فعثمانيَّة تدين بالكفّ فليس بها من شيعتنا إلا القليل، وأمَّا الجزيرة فحروريَّة مارقة، وأَعْرَابٌ كَأَعْلاجٍ ومُسْلِمُون في أَخْلَاق النصارى، وأمَّا أهلُ الشام فلا يعرفون إلَّا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعَدَاوةٌ لنا راسخة، وجهلاً متراكماً، وأما أهلُ مكَّةَ والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن عليكم بخراسان فإنَّ هناك العدد الكثير

(١)- علبي، العهد السري، ص ٤٥.

(٢)- كان اختيار محمد بن علي لموقع إقامته الحميمة ينم عن ذكاء وبعد نظر، حيث إنه من هذه القرية الصغيرة كان ينظم الدعوة ويدير الأمور، وهي قرية صغيرة في ظاهرها، ولكنها في الواقع لها موقع جغرافي هام حيث كانت تشرف على القوافل التجارية، وتقع على مقربة من ملتقى طرق الحج. العمرو، هشام، س١٨٨.

(٣)- كانت الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ وقت طويل، وكان أهل خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة، ويعتقدون بنظرية الحق الملكي المقدس التي كانت سائدة في بلاد الفرس أيام آل ساسان، بالإضافة إلى شعور الفرس بالقهر والظلم من الأمويين. حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ص١٥-١٦. دراوشة، مروان بن محمد، ص٨٩.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٣٠٨. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٣٢٢. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٦٦٨. شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٣١. فوزي، الثورة، ص١٤٩.

(٥)- ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢١٩

(٦)- أخبار، ص ١٩٨-٢٠٠.

والجَلَد الظاهر، وهناك صدورٌ سليمة وقلوب فارغة لم تَتَقسَّمها الأهواء ولم تَتَوزَّعها النِّحَلُ، ولم تشغلها ديانةُ، ولم يتقدَّم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولِحى وشَوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجوافُ منكرة"[١].

بدأت الدعوة العباسية في خراسان لعدة أسباب يمكن إجمالها بما يلي: ضعف النشاط الحزبي فيها، فلم تقم بها أي ثورة عقائدية تنتمي لحزب شيعي أو خارجي باستثناء المرجئة، غير أن نشاطها كان بطيئاً وضعيف التأثير، ولكونها موطن المقاتلين العرب الذين مرَّستهم الحروب الطويلة في بلاد ما وراء النهر، والذين عبروا مراراً عن تذمرهم من السياسة الأموية المالية والعسكرية، ولهذا كان اختيار خراسان هو الأفضل، لأن بقية الأمصار كانت منشغلة بالصراعات من أجل الوصول إلى الخلافة، وهذا الصراع لم يكن موجوداً بخراسان فكان من السَّهل كسبهم ولاسيما أن أكثريتهم شيعة لآل عليّ وأن الدعوة قامت "للرضا من أهل البيت"[٢]، فكان محمد بن علي موفقاً في اختياره لخراسان، حيث لقيت الدعوة فيها قبولاً منقطع النظير شاع بين أهلها على السواء من عرب وعجم، ويعود الفضل له في تنظيم أمور الدعوة العباسية فقد حرص على ترتيبها بكل حيطة وحذر وعين لها دعاة من أكفأ الرجال ثقافة وأوسعهم معرفة في العلوم الإسلامية واللغة، وجعل لكل واحد منهم اثني عشر نقيباً يختارهم الداعي بنفسه أو يعينهم الإمام بنفسه دون أن يتصل بهم، ولهذا لم يكن النقباء يعرفون إمام العصر، وكان هذا من أبرز الفروق بين الدعاة والنقباء، وكان لكل نقيب مجموعة من الأتباع أو "المريدين" يصل عددهم إلى سبعين، ولهؤلاء المريدون أيضاً مجموعاتهم كذلك تنتشر في خلايا سرية تعم جهات خراسان[٣]. فقد أوصاهم بكتمان اسمه على أن تقتصر دعوتهم للرضا من آل محمد، ذلك اللفظ الذي يشمل أبناء علي وأبناء العباس وكل الهاشميين، وأمرهم بالتقرب من اليمانية والربعية وحذرهم من المضرية، فلا يتقربوا إلا من ثقاتهم، كما أمرهم بإغماد السيف إلى أن يأذن لهم، لذلك سميت هذه الحقبة بـ "الكفيَّة"، وشمل هذا الاسم شيعة بني العباس إلى إعلانهم الثورة[٤]، وقد التزم الدعاة بوصيته إذ حاولوا ستر حقيقتهم بكل وسيلة، فكانوا يجولون أنحاء خراسان ظاهر أمرهم التجارة ويحتجون بذلك، وقد كان بنو هاشم يعلمون أن الشيعة لا يبايعون ولا يسلمون بالإمامة إلا لآل علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء رضي الله عنهم، فكانت سمات الحيطة

(١)- الجاحظ، رسائل (مناقب الترك)، ج١، ص١٦-١٧. ابن قتيبة، عيون، ج١، ٢٠٤-٢٠٥. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٠٨-١٠٩. مجهول، أخبار، ص٢٠٦-٢٠٧. ابن الفقيه، مختصر، ص ٣١٥. المقدسي، البدء، ج٦، ص٥٩. ابن طباطبا، الفخري، ص١٤٤. فلوتن، السيادة، ص٩٣-٩٤. دراوشة، مروان، ص٨٩.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٥٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص ٣٢٢. فوزي، طبيعة الدعوة، ص١٥٦. الزعبي، نصر، ص١٢٩.

(٣)- شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٣، ص٣٨. محمود، الشريف، العالم الإسلامي، ص١٤-١٥.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٣. حسن، تاريخ، ج٢، ص١٦. الزعبي، نصر، ص١٢٩.

والحذر من أقوى المقومات التي اتخذها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس لإنجاح هذه الدعوة، حينما أكد على دعاته أن تكون الدعوة للرضا من آل محمد دون تحديد شخصية صاحب الدعوة(١).

لقد كان أول ما عين الإمام محمد من الدعاة الداعية مَيْسرة العَبْديّ الذي وجهه إلى الكوفة، والداعية محمد بن خُنَيْس، وأبا عِكْرِمة السَرّاج الذي يلقب بأبي محمد الصادق، وحيَّان العَطَّار إلى خراسان، الذين دخلوها في عهد الوالي الجراح الحكميَّ فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب فيها أسماء من استجاب للدعوة وأسماء النقباء الإثني عشر الذين اختارهم أبو عكرمة وسلموها إلى ميسرة القائم بالكوفة الذي سلمها بدوره إلى الإمام(٢). فلم يكن الأمر سهلاً على الشيعة بانتقال الإمامة من البيت العلوي إلى البيت العباسي، وكان الأمر يقضي في الوقت نفسه كسب الشيعة إلى جانب الدعوة العباسية، ومن ثم حرص محمد بن علي على سرية الدعوة على أن يسند هذا الأمر إلى من يثق به من أهل بيته ليقوم بنشرها في خراسان، فأوكل أمر الدعوة وهي في طورها السري إلى أبي عكرمة لثقته بموالاته له، ولإدراكه بأن ثقة الخراسانيين فيه ستزداد أكثر فأكثر حينما يشعرون بأن داعية هذه الدعوة هو أحد الموالي الذي سيعمل على تحقيق مطالبهم في المساواة، فضلاً عن اعترافهم بعلمه(٣).

بدأ الدعاة بالانتشار في القرى والمدن والبلدات الخراسانية بالدعوة لآل البيت، وكان فكرة الدعوة ومهمة الدّعاة والنّقباء في خراسان يقوم على التذكير بظلم بني أمية وطغيانهم واغتصاب الأمويين لحق الهاشميين في الحكم وقيادة الأمة، وترديد بعض الشعارات وهي المساواة والعدل وحق آل البيت في الخلافة، مبرزين أخطاء خلفاء آل أمية وولاتهم وقد عدّوهم جميعاً حكاماً دينيويين لا يهتمون بالإسلام وروحه وفلسفته، فتفاءل هؤلاء الدعاة الأوائل الذين دخلوا إلى خراسان بنجاح دعوتهم فيها، وكسبوا ثقة سبعين من أهم رجالاتها، وغرسوا فيها غرساً وكانوا يقومون بأعباء نشر الدعوة في مدن خراسان(٤)، وقد ساعد انشغال ولاة خراسان المتواصل بفتوحاتهم لبلاد ما وراء النهر الدعاة على نشر مبادئهم، فانتشر نفوذهم الخفي في أنحاء عديدة منها، فلم تكن الظروف في بادئ الأمر مهيأة للدعاة لكي يعملوا بحرية تامة، فما زالت السلطة الأموية في خراسان قوية، لذلك فقد عمل الدعاة بغاية السرية والكتمان، ومع ذلك

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٢. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٠. الخربوطلي، علي حسني: الدولة العربية الإسلامية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، ص٣١٠.

(٢)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٢. عن أسماء النقباء انظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٣٠٨. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٦٢. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٢. الباشا، دراسات، ص٦.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٠٨-٣٠٩. المقدسي، البدء، ج٦، ص٥٩. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٢١٤. شلبي، موسوعة، ج٣، ص٣٨. فلوتن، السيادة، ص٩٤-٩٥. ضيف: شوقي: العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٩-١١. ماجد، التاريخ السياسي، ص٣٢٦. محمد، الدولة العباسية، ص١١.

فقد واجهوا صعوبات شتى كانت تقف حجر عثرة في وجه دعوتهم، فلما خرجوا منها تركوا النقباء والأتباع في نشاط دائم إلى أن بعث ميسرة القائم بالدعوة في الكوفة رجالاً إليها في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠ م وقد أوصوهم بالتركيز على مرو التي جعلها عاصمة للدّعوة حيث اصطدموا ببعض عَرَبها، فقد جاء رجل من بني تميم وهو عمرو بن بحير بن ورقاء السعدي إلى سعيد بن عبد العزيز "خُذينه" واشياً: "إنّ ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح"، فبعث إليهم الوالي بالحضور فأُتِيَ بهم لكنهم أقنعوه أنهم تجار مشغولون بتجارتهم فَأَخْلى سبيلهم بعدما ضمنهم رجال أكثريتهم من ربيعة واليمن، فشهدوا فيهم شهادة حسنة وكفلوهم عند الوالي، وقالوا له: نحن نعرفهم، وهم علينا إنْ أتاك منهم شيء تكرهه(١). وفي سنة ١٠٣هـ/٧٢١م جمع بكير بن ماهان الشيعة في خراسان بمنزل سليمان بن كثير، واتفقوا على تسمية نقباء الدعوة العباسية ودعاتها ومجالسها المختلفة حيث كان سليمان أحد النقباء الاثني عشر(٢).

وفي سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م كلف محمد بن علي بن عبد الله بُكَيْر بنُ مَاهَان بمهمة الدعوة، وكان بكير ترجماناً للجُنَيْد بن عبد الرحمن في السِّنْد وقدم معه إلى العراق، وظلَّ دعاة بني العباس يفدون إلى خراسان من الكوفة، واشتهر يحيى بن عُقيل الخزاعي الأزدي بتلقي القادمين من الدعاة، وكانت دور آل الرَّقاد الأزديين منزلاً لهم(٣)، هذا فإن الدعوة العباسية أصبحت تتمركز في يد بكير بعد موت ميسرة فبعث في سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م مجموعة من الدعاة(٤) إلى خراسان لكن الوالي أسد بن عبد الله القسري سمع بأمرهم فقتل عِكْرِمة، وقطع أيدي وأرجل البعض ممن قبض عليهم، أما من استطاع الهرب فقد أبلغوا بكير الذي أخبر الإمام بدوره فأجابه: "الحمد لله الذي صدَّق دعوتكم ومَقَالَتكم وقد بقيت منكم قَتْلى سَتُقْتل"(٥). لم يستغرب محمد بن علي حدوث ذلك لدعاته فإنه توقع أن يُنكل ببعضهم، لكنه تريث في إرسال الدعاة إليها بعد هذه الحادثة، لانكشاف أمر الدعوة فيها(٦)، فلم تَزِد هذه الأحداث بكير بن مَاَهان سوى إصراراً

---

(١)- الدينوري، الأخبار، ص ٣٣٣. الطبري، تاريخ، ج٨، ص٦١٦-٦١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٥٣. البستاني، معارك العرب، ص٨١.

(٢)- مجهول، أخبار، ص٢١٣- ٢١٥.

(٣)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٠. البستاني، معارك، ص٨١. محمود، الشريف، العالم الإسلامي، ص ١٥. شلبي، موسوعة، ج٣، ص٣٧. العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م، ص٢٣.

(٤)- وهم أبو عِكْرِمة وأبو محمد الصَّادق ومحمد بن خنيس وعمار العباديَّ وزياد الأزرق في عدة من شيعتهم. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٥)- الدينوري، الأخبار، ص٣٣٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠. الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١٨٩-١٩٠. المقدسي، البدء، ج٦، ص٥٩-٦٠. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٧٧-٣٧٨.

(٦)- ذكر البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٦٩: "أنه مكث لا يبعث أحداً سنة".

على المواصلة فقد بعث مجموعة أخرى من الدعاة والشيعة في سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م التي لم يُخف أمرها على الوالي أسد الذي قطع أطراف بعض رجالها أيضاً[١]. وفي ولاية أسد أيضاً قدم زياد أبو محمد مولى همدان يدعو إلى العباسيين فأحدث فتنة عظيمة لا بسبب الدعوة لبني العباس فحسب بل بالجدل الذي أثاره بشأن علي بن أبي طالب ﷺ وآل العباس وأيهما أفضل[٢]. واستغل هؤلاء الدعاة الأوضاع القائمة في خراسان بحكمة فظهر سليمان بن كثير الخزاعي ومن معه في سنة ١١١هـ/ ٧٢٩م منتهزين فرصة انشغال الجنيد بحروبه مع الترك، واستجاب لهم عدد كبير، وكثر أنصارهم، وانتشرت الدعوة في ولايته[٣]، مما ساهم بازدياد نشاطهم كما أن الأمويين لم يدركوا خطورة وأهمية الدعوة العباسية في البداية، فلم يعيروها الاهتمام اللازم، فقد أخطأ هشام بن عبد الملك في تقدير خطر العباسيين، وكان لا يُبالي بما ينقل إليه من أخبار سعيهم للخلافة، لثقته بثبات سلطانه وقوة جنده، فعندما أخبره الجنيد بن عبد الرحمن المريّ بأمر الدعوة تساهل معهم طالباً منه الاقتصار على نفيهم لرغبته في عدم إراقة الدماء، لكن الجنيد لم يمتثل لأمره حيث تتبع دعاتهم وهدر دماءهم وذلك سنة ١١٣هـ/٧٣١م حيث يذكر أن جماعة من الدعاة دخلوا خراسان فأخذ الجنيد بن عبد الرحمن رجلاً منهم فقتله وقال مهدداً: "من أصيب منهم فَدَمُه هَدَر"[٤].

لكن عودة أسد بن عبد الله إلى خراسان أميراً للمرة الثانية أدت إلى إضعاف الدعوة، فقد أوقع بحق دعاتها أشد العقوبات وقتل عدداً منهم ومثّل بهم[٥]، وعلى الرغم من كشف أمرهم في بعض المراحل إلا أن الدعاة كانوا يستغلون الصراع القبلي من أجل الخلاص مما يقعون فيه كما حصل سنة ١١٧هـ/٧٣٥م عندما قبض على جماعة من رجال الدعوة منهم: سليمان بن كَثِير، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، ولاهِز بن قريظ، وخالد بن ابراهيم، وطلحة بن زُرَيق، فتحدث سليمان بن كثير قائلاً: " أيَّها الأمير، إنا أناس من قومك، وإن هذه المضريَّة، إنما رفعوا إليك هذا لأنّا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم، وإنما طلبوا بثأرهم"، وأشار عليه أصحابه أن يمنَّ بهم على عشائرهم، فعفا عن سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وطلحة بن زريق لأنهم من القبائل اليمَّانية، وعن خالد بن إبراهيم لأنه من ربيعة، أما موسى بن

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٣٨٠.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٩-٥١.

(٣)- البلاذري، فتوح، ص٦٠٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣١٩.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٨٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٠٥. لكن يفهم من الدينوري فيما يخص هذا الحدث أن الجنيد تعاطف مع هؤلاء الدعاة لأنهم كانوا يَمَنِيين مثله وأطلق سراحهم فانتشروا في جميع نواحي الإقليم" وغرسوا في هذه البلاد غرساً كثيراً" فندم الجنيد على فعلته وكتب إلى أمير العِراقَيْن خالد بن عبد الله القسري الذي أخبر الخليفة هشام الذي رد قائلاً: "ألَّا يرغب في الدماء، وأن يكفَّ عمن كفَّ عنه، ويُسكِّن الناس بجهْده، وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يجدهم فينفيهم". الأخبار الطوال، ص٣٣٦.

(٥)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣١٩.

كعب التميمي فقد ألجمه بلجام حمار ثم جذب اللجام حتَّى حطَّم أسنانه، وضرب لاهز بن قريظ التميمي ثلاثمائة سوط(١)، وبقي أنصار الدعوة على وجل منه وخوف حتى توفي، ولعل هذه الحادثة تفسر لنا توجه محمد بن علي إلى تغيير دعاته من الموالي إلى العرب بعد مقتل محمد بن خُنيس وزياد بن درهم سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م(٢).

ثم جاب هؤلاء الدعاة جميع أرجاء خراسان يبشرون بالدعوة الجديدة فانتقلوا من مَرْو إلى بخارى، ومنها إلى سمرقند، ثم إلى كش، ونَسَف، ثم عطفوا إلى الصَغانيان، وجازوا منها إلى ختَّلان، وانصرفوا إلى مرو الرُّوذ، والطالقان، وهراة، وبوشَنْج، حتى وصلوا إلى سجستان، فاستجاب لهم عدد كبير من الناس(٣). ولم تشر المصادر التاريخية في حديثها عن الحقبة المتقدمة إلى المحيط الذي انتشرت فيه الدعوة، إذ لم يذكر اسم العرب أو الموالي صراحة، وإنما ذكرت إشارات بسيطة مثل: انضم إلى الدعوة "خلق كثير" أو "أناس كثير" أو "غرسوا غرساً"(٤).

وفي سنة ١١٧هـ/٧٣٥م رفع الحارث بن سريج شعار الدعوة إلى تحكيم كتاب الله وسنة نبيه وإلى الرضا وسوَّد راياته، ولم تكن حركته عباسية إلا أنها أفادت الدعوة بما أحدثته من انشقاق في صفوف أهل خراسان وتصدَّع في كلمة القبائل العربية والموالي(٥). وسارت الدعوة العباسية بخراسان في بدايتها ببطئ، ولم تتسع إلا في سنة ١١٨هـ/٧٣٦م التي شهدت صرامة من أسد في معاقبة الدعاة، فقد أخذت الدعوة العباسية منعرجاً جديداً وذلك حينما بعث بكير بن ماهان عمَّار بن يزيد داعية على خراسان ووالياً على شيعة آل البيت، فنزل مرو، وغيّر اسمه وتسمَّى بخدَّاش وبدأ الدعوة، فأقبل عليه الناس "وقَبِلوا ما جاءهم به، وسمعوا له وأطاعوا"، فانتعشت بذلك الدعوة لكنه سرعان ما ابتعد عن مبادئ الدعوة العباسية حيث أظهر الخُرَّميَّة وأحل المنكرات ودنس المحارم والمصاهرات، فسمع بأمره الوالي أسد بن عبد الله القسري

---

(١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٧–١٠٨. الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص٢٠٨. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص١٧٤–١٧٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤١٥. ابن طباطبا، الفخري، ص١٤٣. ذكر الدينوري ان هذه الحادثة كانت زمن الجنيد بن عبد الرحمن، الأخبار، ص٣٣٥–٣٣٦، ولكن على الأرجح أنها كانت زمن أسد بن عبد الله لأن الجنيد يعود نسبه إلى مضر، فهو من بني مرة بن عوف من غطفان بن سعد بن قيس عيلان. الكلبي، جمهرة، ج٢، ص٤١٧، وليس من اليمن مثل أسد بن عبد الله القسري. ابن دريد، الاشتقاق، ج٢، ص٥١٦.

(٢)– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٠. الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص١٩٠.

(٣)– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٦.

(٤)– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٠٨، ٣١٩.

(٥)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٩٧.

فأمر يحيى بن نُعيم الشّيبانيّ البكري عامل آمل أن يقتل خداشاً الذي انحرف بالدعوة وصلبه، فقال: "الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما منك"(١).

في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م أصبحت الدعوة العباسية في موقف سيء بسبب "الخداش" الذي أساء إلى مبادئها وأبعد الكثير من مناصريها، وكانت النتيجة أن انقطع الاتصال بين أصحابها، فاختار النقباء سليمان بن كثير الخزاعي الأزدي زعيماً لهم وكلفوه بمهمة الاتصال بالإمام، فذهب إليه متنكراً واخبره بما وصل إليه الحال في الإقليم، فأنكر محمد ما ظهر من بدعة خدَّاش بخراسان وعمل على إصلاح ما أفسد، فسلمه الإمام كتاباً مختوماً ثم صرفه إلى أصحابه في خراسان، وفي طريق عودته مرّ على بكير بالكوفة الذي سلم له هو أيضاً كتاباً يحاول فيه إقناع الأنصار بالعودة إلى الطاعة، لكن الكتابين لم يغيرا الوضع فذهب بكير إلى الإمام الذي أعطاه مجموعات من العصيّ المضبّبة بعضها بالحديد والبعض الآخر بالنحاس ليدفع لكل واحد من النقباء والشيعة واحدة، فأدركوا عندها أنهم مخالفون للإمام فأطاعوه من جديد، وأعاد تنظيم أمور الدعوة تنظيماً محكماً(٢).

وفي سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م التقى سليمان بن كثير، ومالك بن الهَيْثم، ولاهِز بن قُريظ، وقَحطبة بن شَبيب أبا مسلم الخراساني في واسط أثناء خروجهم إلى مكة للقاء الإمام هناك، وكان حينئذ مملوكاً لبني إدريس ابن عيسى العِجْلي، وعندما علم الإمام محمد بقصته وبحماسه الشديد للدعوة أمرهم أن يشتروه من العجليين وأن يعتقوه، ففعلوا ذلك وهم في طريق عودتهم، وأرسلوا به إلى الإمام الذي جعله الرسول بينه وبين شيعته في خراسان، وكان له أكبر الأثر في قيام الدولة العباسية(٣).

ومع ذلك يبدو أن نشاط الدعوة العباسية في خراسان قد تراجع، إن لم نقل قد توقف قليلاً، إلى أن مات الإمام محمد بن علي في شهر ذي القعدة سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م وتولى أمر الدعوة بعده وفق وصيته ابنه إبراهيم الذي ساهم مساهمة وافرة في تنظيم الانقلاب العباسي على الأمويين(٤). وبلغ وفاة الإمام جميع من

---

(١)- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٥٩-١٦٠. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٠٩. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦١. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٢٠. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٨١. محمود ، الشريف، العالم الإسلامي، ص١٨. العمرو، هشام، ص١٩٢-١٩٣.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٤١-١٤٢. مجهول، أخبار، ص٢١٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٣٥-٤٣٦.

(٣)- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص١٥٦. الدينوري، الأخبار، ص٣٣٨. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٧. مجهول، العيون، ج٢، ص١٨٢. المسعودي، التنبيه، ص٢٩٣. ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت٥٨٠هـ/١١٨٤م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٥٧.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣١٩. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٢٧. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٣. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٧٤. أمين، ضحى، ج٣، ص٢٧٩. يذكر كل من ابن خياط والبلاذري أن وفاته سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م، تاريخ، ص٣٥٦. أنساب، ج٤، ص١١٥. أما مؤلف مجهول يذكر وفاته سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م: أخبار الدولة، ص٢٣١.

بايع في أقطار خراسان، فَسوَّدوا ثيابهم حُزناً عليه، وكان أوَّل من سوّد منهم ثيابه حُريش مولى خُزاعة، وكان عظيم أهل نسا، ثم سَوَّدها من بعده قُحطبة بن شبيب، ثم سوَّد القوم جميعاً، وكثرت الشيعة بخراسان كلها، فكان أبرز ما قام به إبراهيم هو اختيار اللون الأسود شعاراً للعباسيين، وذلك تيمناً بالرسول ﷺ لأن رايته كانت سوداء، لذلك كان الأتباع العباسيون يسمون بالمسودة، وكانت الدولة العباسية تسمى دولة المسوِّدَة، فبدأ إبراهيم مساره بأن بعث في سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م بكير بن ماهان إلى خراسان، فقدم مَرْو، وجمع النقباء ومَنْ بها من الدَّعاة، ونعى الإمام محمداً، ودعاهم إلى إبراهيم، فقبلوا ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة التي أسرع إلى تقديمها إلى الإمام، وكان بكير بن ماهان خير قائم بهذه الدعوة وخير وسيط[١]، وحينما أحس بكير بقرب وفاته سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م كتب إلى إمامه يعلمه أنه قد استخلف في رئاسة الدعوة زوج ابنته أبي مسلمة حفص بن سليمان "أبو سلمة الخلَّال"، ويظهر أن بكيراً توفي سريعاً بعد هذا الكتاب فسرعان ما أسند إبراهيم أمر الدعوة لحفص الذي دخل خراسان بكتاب مختوم من إمامه حتى يصدق، وأصبح قائماً بأمر الشيعة قابضاً على نفقاتهم[٢].

هذا وازداد نشاط الدعوة العباسية في النصف الثاني من ولاية نصر بن سيار نتيجة انشغاله المتواصل من سنة ١٢٦–١٢٩هـ/٧٤٤–٧٤٧م بالقضاء على حركات المعارضة التي قام بها كل من جديع بن الكرماني، والحارث بن سريج، وعلي بن جديع الكرماني، إذ عمل رجالات الشيعة العباسية على استغلال هذه الأوضاع لصالح دعوتهم، فقد هيأت النزاعات المحتدمة فيها الجو المناسب لهم، وساعدهم على تنظيم أمور الدعوة، واستقطاب الأتباع، فاستفاد أبو سلمة الخلال من الاضطرابات التي حدثت بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م[٣]، واستفاد أثناء زيارته لخراسان في سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م من الصراع القائم بين نصر والكرماني، فقدم معظم مناطقها يحث شيعتهم فيها على الاجتهاد بأمرهم، والاستعداد لإعلان الثورة، ودفع إليهم كتاباً من إبراهيم بن محمد العباسي يبشّرهم فيه بعلّو كلمتهم ونصر الله إيَّاهم، ويأمرهم فيه بالاجتماع والاستعداد إلى الوقت الذي وقَّته لهم"[٤].

---

(١)– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٩. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٤–٢٩٥. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٣. المسعودي، مروج، ج٢، ص٣٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٤٩٧.

(٢)– الدينوري، الأخبار، ص٣٣٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣١٩. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٢٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٦. ابن طباطبا، الفخري، ص١٤٦. حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص٣٢٧.

(٣)– مجهول، أخبار، ص٢٤٨.

(٤)– مجهول، أخبار، ص٢٦٧.

٣- دور أبي مسلم الخراساني في الدعوة العباسية وموقف نصر من الدعوة وإجراءاته ضدها:

أخذت جذور الدعوة العباسية تتعمق في سهول خراسان وشعابها واتسعت خلاياها، وأصبح لا بد من وجود رئيس للدعوة يشرف عليها، ويصرف أمورها، وينظم تحركاتها، ويكون على مستوى جيد وقدر كبير من الكفاءة والجزم والصرامة، لأن المرحلة القادمة مرحلة بالغة الخطورة، فهي مرحلة المواجهة مع الخصوم ومحاولة الوصول إلى الغاية، وهي الإطاحة بالخلافة الأموية، ونقل السلطة من البيت الأموي إلى البيت العباسي، هذا وأن الدعوة العباسية انتابها بعض الفتور في سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م وذلك لكثرة الشُّرور المنتشرة والفتن الواقعة بين الناس في الإقليم[١]، وفي سنة ١٢٨هـ/٧٤٦م قرر الإمام إبراهيم بن محمد الإعداد للثورة على حكم بني أمية فاختار رجلاً يدعى أبو مسلم الخراساني لقيادة الدعوة العباسية في خراسان وأرسله إليهم، ولم تكن هذه زيارة أبي مسلم الأولى لخراسان، فقد قام بعدة زيارات إليها قبل توليه هذه المهمة كان أولها في سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م برفقة أبي سلمة الخلال دامت أربعة أشهر، اطلع خلالها على تنظيمات الدعوة عن كثب، الأمر الذي أفاده في تأدية مهمته[٢]، حيث يذكر أن الإمام محمد قد أوصى به قبل موته، فجعله موضع عنايته وراح يثقفه ويفقهه، فقد وصل نشاط الشيعة العباسية ذروته بتسليم أبي مسلم قيادة الدعوة العباسية بخراسان[٣]، ولعل سبب اختيار الإمام إبراهيم أبا مسلم كان نتيجة الصراع القبلي الدائر في خراسان، لأن أبا مسلم لا ينتمي إلى هذه القبائل، وحتى يتجنب العديد من الموالي للمشاركة في الثورة العباسية، ومع ذلك فإن هذا الاختيار ما كان ليكون لو أن إبراهيم وجد شخصية هاشمية أو عباسية مناسبة تمثله في الإقليم ولهذا جعله دائماً تحت مراقبة سليمان بن كثير الخزاعي الذي كانت له إمامة الصلاة أيضاً، كما أمر أبا مسلم عدم مخالفة سليمان بن كثير، إلا أن أبا مسلم واجه معضلة كبيرة في عدم تقبل النقباء والأنصار له، وذلك خوفاً على أنفسهم من أي تصرف طائش قد يودي بالثورة ورجالها الذين بذلوا الغالي والثمين من أجل تهدئة الأجواء وكسب الأتباع للتنظيم السياسي العباسي، وعلى الرغم من أنه كان يحمل معه كتاباً من إمامه إبراهيم الذي جاء فيه: "إني قد أمرته بأمري فاسمعوا منه، واقبلوا قوله فإني قد أمَّرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك"، فقد رفض

(١)- ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٣.

(٢)- الدينوري، الأخبار، ص٣٤٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٤. مجهول، أخبار، ص٢٦٧. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٤٧.

(٣)- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٦٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٤. المسعودي، التنبيه، ص٢٢٣. ابن طباطبا، الفخري، ص١٤٤. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤١٠. الباشا، دراسات، ص٩. حسن، التاريخ الإسلامي، ص٣٢٧.

سليمان بن كثير أن يسلم القيادة لأبي مسلم الخراساني مدعياً أن أبا مسلم صغير السن لا يتجاوز الحادية والعشرين عاماً وقليل التجربة، فخرج أبو مسلم بعد هذا الرفض للقاء إمامه بمكة وأخبره بما حدث، لكن الإمام أصرّ عليه معترفاً أنه لم يجد له بديلاً، ذلك لأنه سبق أن عرض الأمر على عدة من القائمين بالدعوة مثل سليمان بن كثير الخزاعي وإبراهيم بن سلمة لكنهما لم يوافقا[١]، ولهذا أمر بطاعته وسرحه من جديد إلى خراسان، وأوصى أبا مسلم بعد أن وافق الدعاة على ولايته بقوله: "يا عبدَ الرحمن، إنَّك رجلٌ من أهلَ البيتِ، فأحفظ وصيتَّي، وانظر هذا الحيِّ من اليمن فأكرمْهم، وحُلَّ بين أظْهُرهم، فإن اللهَ لا يُتِمَّ هذا الأمْرَ إلا بهم، وانظر هذا الحيّ من ربيعة فاتّهِمهم في أمرهم، وانظر هذا الحيَّ من مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل مَنْ شككت في أمره، ومن كان في أمره شبهة أو مَنْ وقع في نفسك فيه شيء، وإن استطعْتَ ألَّا تدعَ في خراسان لساناً عربيَّاً فافعَلْ، فأيَّ غلام بلغ خمسةَ أشبارٍ تتَّهمه فاقْتُلْه، ولا تخالف هذا الشيخ، يعني سليمان بن كثير، ولا تعصِه وإذا أشكل عليك أمر فاكتفِ به مني"[٢]، لا شك أن هذه الوصية تُظهر تناقضات كثيرة فكيف يأمر الإمام بقتل كل العرب وهو يدرك أهميتهم في دعوته، كما أن من يتتبع سياسة أبي مسلم يدرك أنها لا تتفق مع وصيته فلقد تقرَّب من اليمانيين والربعييّن وإن كان قد قتل علياً وعثمان ابني الكرماني فذلك خوفاً من التنافس[٣]. فقد عدّ بعض المُحدَثِين[٤] هذه الوصية موضوعة من قبل الأمويين على العباسيين لإفساد دعوتهم وتلطيخ حركتهم بالقسوة والدّماء، أو من الفرس لإثبات أن الدّولة العباسيّة لم تقم إلا على أكتافهم ، ومهما يكن أمر هذه التوصية، فيبدو أن الغرض منها كان دفع أبي مسلم لإحكام قبضته على أمور الدَّعوة في خراسان.

هذا ونجح أبو مسلم بشكل كبير في نشر الدعوة فقد استثمر الصراع الدائر بين نصر بن سيَّار والكرماني بأن اتخذ من قرى خُزاعة في ضواحي مرو مركزاً له، ومنها بدأ بإرسال الدعاة إلى مختلف

(١)- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص١٥٦. عيون الأخبار، ج١، ص٢٣٠. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٦٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢١. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٤. فوزي، طبيعة الدعوة، ص١٦٧. دراوشة، مروان بن محمد، ص٩٢-٩٣. الدليمي، طارق فتحي سلطان: أبو مسلم الخراساني (١٠٠-١٣٩هـ/٧١٨-٧٥٥م)، دراسة تاريخية تحليلية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج ٢، ع ٣، ٢٠٠٥م، ص١٠٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٤٤. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢١. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢١٩. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٤. المقريزي، النّزاع والتّخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٩٥-٩٦. بدر، الدولة العباسية، ص٢٢. دراوشة، مروان بن محمد، ص٩٣. عرفة، ثريا حافظ: الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد السيد دراج، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٨-٣٩.

(٣)- عطوان، الدعوة العباسية، ص٣٠٣. سرور، الحياة السياسية، ص١٧٦.

(٤)- محمود، الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٤٨. محمد، الدولة العباسية، ص٢٢-٢٣.

نواحي خراسان من أجل الاستعداد لإعلان الثورة في الوقت المحدد لها في ١ محرم ١٣٠هـ/١١ أيلول ٧٤٧م [١]، فكانوا يدورون بها قرية قرية، وبلداً بلداً في زيّ التجار فاتبعه كثير من الناس، وولي على كل من بايعه رجلاً من أهلهم، حتى بلغ عدد أتباعه مالم يصله أحد قبله، فاستطاع إيجاد أنصار في كل أنحاء خراسان، فدخل الناس أفواجاً مع دعاته[٢]، كما استغل أبو مسلم تذمر الموالي من سلوك الارستقراطية العربية الاجتماعية وتذمرهم من وضعهم الاقتصادي البائس من كثرة الضرائب والتي ارتفعت مجدداً لكثرة الحروب واستمرارها فجذبهم إلى معسكره نهائياً، فاندفعوا من الرساتيق والكور والقرى يلتفون حول الرايات السود التي ظهرت في سماء العاصمة مرو[٣]، وواصل الدعوة سراً باسم " آل محمد" أو آل البيت[٤]، وأصبح يطلق عليه لقب "أمين آل محمد"[٥]، وتمكن بذلك من جمع كل شيعة علي ظناً منهم أنه يدعو إلى أحد العلويين، ولاسيما أنه حدث أن اجتمع العلويون والعباسيون بمكة خلال العهد الأخير من الدولة الأموية المضطربة الأحوال وتباحثوا أمر الخلافة وقرروا جميعاً على مبايعة محمد ذي النفس الزكية ـ حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺـ خليفةً[٦].

ولم يُمنح نصر بن سيَّار فرصة التفرغ لقتال أبي مسلم الذي ازداد خطره، فقد تابع علي بن جديع الكرماني قتاله بمساعدة الرّبعية وشيبان الحروري[٧]، وهذا بالتالي وفّر حرية العمل لأبي مسلم ورجالات الدعوة حيث جدّوا بدعوتهم، ووصف المقدسي ذلك بقوله: "فأصاب أبو مسلم الفرصة وجدَّ في إقامة الدعوة، ونصرُ بن سيَّار يُناوش ابن الكرمانيّ لا يتفرّغ لأبي مسلم، وقد بثّ الدُّعاة في الأقطار، فدخل الناس أفواجاً أفواجاً، وفشت الدعوة"[٨]، وأشار بعض المؤرخين إلى كثرة الأعاجم من الفلاحين الذين انضموا تحت لواء أبي مسلم[٩]، وانضم العديد من العرب إلى الدعوة فكان جلهم من اليمانية والربعية، أما المضرية فكان عددهم قليلاً، نتيجة استيائهم من النزاعات المستمرة التي شهدتها خراسان في النصف الثاني من ولاية نصر، لأنهم ملّوا القتال غير المجدي بينه وبين ابن الكرماني، "وجعلت نفوسهم تطلّع إلى

---

(١)– مجهول، أخبار، ص٢٧٣-٢٧٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٥. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣٥٩.

(٢)– الدينوري، الأخبار، ص٣٤٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٢.

(٣)– سرور، الحياة السياسية، ص١٦٧. الخطيب، ديوان نصر، ص٢٢.

(٤)– مجهول، أخبار الدولة، ص١٩٤ و٢٠٤.

(٥)– اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٥٢. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٢٠.

(٦)– علبي، العهد السري، ص٤٣. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٢٠.

(٧)– البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٥. مجهول، أخبار، ص٢٨١. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٦.

(٨)– المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٢.

(٩)– الدوري، العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والمالي والإداري والمالي، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م، ص٢٧.

غير ما هم فيه وإلى أمرٍ يجمعهم، فتحركت الدعوة: يدعو اليمانيُّ من الشيعة اليمانيَّ، والربعيُّ الربعيَّ، والمضريُّ المضريَّ حتى كثر من استجاب لهم، وكفّوا بذلك عن القتال في العصبية"[١]، أملاً في أن تحقق الدعوة لهم الاستقرار الذي يصبون إليه، وكان عدد من الداخلين في دعوته، إما طامع بثأر يرجو أن يدرك ثأره، أو مؤمن بدعوته وكاره ظلم بني أمية[٢].

وقد عقد رجالات الشيعة العباسية اجتماعاً لاختيار مكان إعلان الثورة، ووقع اختيارهم على مرو الشاهجان التي رأوا أنها المكان الأنسب لإعلانها فيها، لوجود عدد كبير من شيعتهم فيها، ولتأجج نار الفتنة داخلها، وإن هم سيطروا عليها دانت لهم البقية، وكان أبو صالح كامل بن المظفر من أشدّ المؤيدين في أن يتمَّ إعلان الثورة فيها[٣].

وقد تابع نصر بن سيار أخبار رجالات الشيعة رغم انشغاله بمحاربة ابن الكرماني، فكان جواسيسه الذين بثَّهم داخل صفوفهم يزودوه بتحركاتهم أول بأول، وما إن وصله أنباء اجتماعهم حتى جمع ثُقاته لأخذ مشورتهم، فكان رأي الأغلبية حازماً إذ اقترحوا عليه اقتحام قرى خزاعة لأخذ رجالهم ورؤوسائهم قبل تفاقم أمرهم، لكن عقيل بن معقل الليثي رأى هذا الإجراء سوف يؤلِّب اليمانية والرّبعية ضدهم، ولم يستبعد أن ينخرطوا كلياً في الدعوة لاسيما بعد دخول عدد لا بأس به من اليمانية والرّبعية بدعوتهم، فقال: "ما أهون شوكة هؤلاء إن كفّت عنهم اليمن وربيعة"، وهكذا انفضَّ مجلسهم دون أن يتوصلوا إلى حلٍ يُذكر[٤]، فلم يقم نصر بأي إجراء ضدهم، وواصل رجالات الدعوة استعدادتهم لنقلها من السرية إلى العلنية بإعلانهم الثورة.

ثانياً: الثورة العباسية:

١- إعلان الثورة العباسية:

في سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م اشتدت فتن العصبية القبلية في خراسان ولم يكن سليمان بن كثير مقتنعاً بأبي مسلم ورأى أن الوقت المناسب للنجاح قد حان وأن الأمر أصبح يتطلب رجلاً من أهل بيت إبراهيم لكسب عرب الإقليم وليس لمولى مثل أبي مسلم الخراساني فكتب إلى أبي سلمة الخلال القائم بالدعوة في الكوفة يطلب منه إخبار الإمام إبراهيم بذلك، الذي اقتنع بالرأي سريعاً وكتب إلى أبي مسلم يطلب منه القدوم إليه في موسم الحج وأن يحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال التي بلغت ثلاثمائة ألف وستين درهماً، فسار

---

(١)- مجهول، أخبار، ص٢٤٨. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٣. فوزي، طبيعة، ص١٧٣. خصاونة، القبائل، ص٩٨.

(٢)- عطوان، الدعوة، ص٣٥٠.

(٣)- وكان البعض قد رشح خوارزم لبعدها عن نصر بن سيَّار، كما رشح البعض الآخر مرو الروذ لتوسطها بين مرو وبلخ. مجهول، أخبار، ص٢٧٣-٢٧٤.

(٤)- مجهول، أخبار، ص٢٧٥. الزعبي، نصر بن سيار، ص١٣٤-١٣٥.

إليه مأموراً مع سبعين من النقباء وبعض شيعته، بعدما حول الأموال إلى متاع التجار مظهراً أنه ذاهب إلى الحج، ويظهر أن الإمام إبراهيم لم ينجح في إيجاد بديل عن أبي مسلم من أهل بيته، فتراجع عن رأيه وبعث يقول له وقد حلَّ بقُومس: "إني قد بعثْتُ إليك برايةِ النصرِ، فارْجِعْ من حيث لقيك كتابي، ووجَّه إليَّ قحطبة بما معك يوافيني به في الموسم"(١).

وتحدد إعلان الثورة العباسية في ١محرم ١٣٠هـ/١١أيلول ٧٤٧م منذ زيارة أبي سلمة الخلال لخراسان سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م(٢)، وعندما قدمها أبو مسلم في مطلع سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م أعاد تأكيد إعلان الثورة الذي حُدد لها(٣)، وقد رأى إبراهيم بن محمد العباسي أن في صراع خراسان الدامي بين نصر بن سيَّار وابن الكرماني فرصة سانحة لا يجب عليهم تفويتها، وأنه لا بدَّ من تفجير الثورة، لذلك بعث إلى أبي مسلم كتاباً آخر يسلمه إلى سليمان بن كثير يأمره فيه بإظهار الدعوة قائلاً: "أن أظهر دعوتك، ولا تربص، فقد آن ذلك"(٤)، وفي غمرة انشغال نصر بن سيَّار بمحاربة ابن الكرماني استجدت أمور هامة على الدعوة العباسية حيث تقرر تقديم موعد إعلان الثورة إلى ١شوال ١٢٩هـ/١٥حزيران ٧٤٧م، ذلك أن أبا مسلم ورجالات الدعوة لم يأمنوا من قيام نصر بهجوم مفاجئ ضدهم، فقد بلغهم أنه قد أجمع على البعثة إليهم والتقاطهم قبل خروجهم"(٥)، لكن الموعد الفعلي لإعلان الثورة كان قبل هذا التاريخ بخمسة أيام، فقد أعلنت يوم الخميس الموافق ٢٥ رمضان ١٢٩هـ/١١حزيران٧٤٧م(٦)، والسبب في ذلك عائد إلى تجمُّع الشيعة العباسية عند رؤيتهم اشتعال النار في إحدى قرى خزاعة ظناً منهم أنها الإشارة المتفق عليها لإعلان ثورتهم، وبعد معرفتهم أنها ليست لشيء مما ظنوا أرادوا التفرق والالتزام بالموعد المحدد لهم في ١شوال ١٢٩هـ/١٥حزيران ٧٤٧م لكن أبا صالح كامل بن المظفّر نصحهم بالاستمرار لانكشاف أمرهم، لأنهم لو تفرقوا سيكونون لقمة سهلة لنصر بن سيَّار، فوافقه أبو مسلم وسليمان بن كثير الرأي، ونزل أبو مسلم قرية تدعى "قنين" بضواحي مرو وجمع الدعاة النقباء والأنصار وأخبرهم للتأهب لإظهار الدعوة وقرروا إعلانها

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٣-٣٥٥. المقدسي، البدء، ج٣، ص٦٣. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٧-٢٨. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢)- مجهول، أخبار، ص٢٦٧.

(٣)- مجهول، أخبار، ص٢٧٣.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٥. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٣. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٨. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٦. فقد أورد الطبري ثلاث روايات بهذا الخصوص وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات فيها أجمعت على أن إبراهيم بن محمد طلب لقاء أبي مسلم في موسم الحج.

(٥)- مجهول، أخبار، ص٢٧٤.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٥. مجهول، أخبار، ص٢٧٧.

في ٢٥ رمضان ١٢٩هـ/١١حزيران٧٤٧م ولبسوا السواد[١]، وعقد أبو مسلم اللواء والراية، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإنَّ الله على نَصْرِهِمِ لَقَدِيرُ﴾[٢]، وظل شيعتهم يتوافدون عليهم من أرجاء خراسان كافة حتى عيد الفطر[٣]، ووجه من يخبر أتباعه بذلك في المناطق البعيدة كمرو الروذ وطخارستان والطالقان وخوارزم"[٤].

وعندما حلّت الليلة الموعودة عاد أبو مسلم إلى قرية "سفيدنج" بضواحي مرو حيث كان ينزل سليمان ابن كثير الخزاعي وعقد لواء الإمام إبراهيم الملقب بالظلّ: على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ورايته أيضاً التي تدعى السَّحاب: على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً[٥]، وسود مع سليمان وأهل بيته ومواليه تيمناً بالرسول ﷺ الذي دخل مكة وعلى رأسه عمامة سوداء، ثم أوقد ناراً عظيمة رُئيت على بعد قرى بعيدة فما أن حلّ الصبح حتى وافاه أهل ستين قرية لمبايعته وهم ينادون "محمد يا منصور" ليأتيه بعد ذلك شيعته من كل جهة من خراسان وما يتبعها[٦]، وفي هذا يقول الدينوري[٧]:" انجفل الناس على أبي مسلم من هَرَاة، وبُوشَنْج، ومَرْو الرَّوذ، ومَرْو، ونَسَا، وأبيورد، وطوس، ونيسابور، وسرخس، وبلخ، والصغانيان، وطخارستان، وخُتَّلان، وكش، ونسف، وكانوا زهاء مائة ألف رجل"، ولما حلّ العيد نصب أبو مسلم منبراً وطلب من سليمان بن كثير الخزاعي إقامة صلاة العيد[٨] لتكون أول صلاة يجتمع فيها شيعة آل محمد

---

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٦. مجهول، أخبار، ص٢٧٧. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٧. اتخذ العباسيون شعاراً لهم، فسودوا راياتهم وثيابهم، حول سبب اختيارهم للسواد انظر: مجهول، أخبار، ص٢٤٥-٢٤٧. الدوري، العصر العباسي، =ص٢٨. فوزي، فاروق عمر: الألوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي الأول، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠-١٩٧١م، ع ١٧، مج٣، ص٨٢٨-٨٢٩.

(٢)- سورة الحج، آية ٣٩.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٥-٣٥٦. مجهول، أخبار، ص٢٧٧.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣٥٣-٣٦٠. الأزدي، تاريخ، ج١، ص٢٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٨. الخليلي، موسوعة، ص١٠٥.

(٥)- يرمز الظلّ أن الأرض لا تخلو من الظلّ أبداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسي أبد الدهر، ويرمز السحاب إلى عالمية دعوة بني العباس مثل السحاب الذي يطبق الأرض. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٢٥. فوزي، طبيعة الدعوة، ص١٧٣. الدوري، العصر العباسي، ص٢٨.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٥. مجهول، أخبار، ص٢٤٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٧.

(٧)- الأخبار، ص٣٦١.

(٨)- أمر أبو مسلم سليمان الخزاعي أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، بغير أذان ولا إقامة ـ وكان بنو أميَّة يبدؤون بالخطبة قبل الصلاة وبالأذان والإقامة، وأمر أبو مسلم أيضاً سليمان بن كثير بست تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسادسة ويفتح الخطبة بالتكبير ثم يختمها بالقرآن، وكان بنو أمية

ﷺ في خراسان، ويظهر أن الأنصار ظلوا يوافونه حتى ضاقت بهم قرية "سفيدنج" مما جعل أبا مسلم يرتحل بهم إلى الماخوان وذلك ٨ ذي القعدة سنة ١٢٩هـ/ ٢١تموز سنة٧٤٦م، واحتفر بها خندقاً حصيناً وجعل له بابين[١]، وعمل على إرساء قواعد دولة آل هاشم فوزع المهام والمسؤوليات، وجعل أحد الأعيان من شيعته، وهو القاسم بن مجاشع إماماً وقاصاً يقص قصصاً يذكر فيها فضل بني هاشم ومعايب بني أمية يومياً بعد صلاة العصر، هذا وركزت الدعوة العباسية منذ بدايتها في خراسان على المدن التي كان يكثر فيها استقرار العرب، بل على الحاميات العسكرية العربية أيضاً[٢]، ذلك لأن العباسيين أدركوا أن العنصر العربي في خراسان هو القوة الضاربة الرئيسة التي يجب كسبها إذا ما أريد للثورة العباسية أن تنجح[٣]، فالمصادر الإسلامية الأساسية تشهد أن أتباع الدعوة العباسية الأوائل كانوا عرباً ينتسبون إلى خزاعة وطيء وتميم وبكر بن وائل اختار منهم الداعية ثمانية نقباء وأضاف إليهم أربعة من مواليهم تأكيداً لشعار العدل والمساواة بين العرب والموالي الذي كانت تنادي به الدعوة العباسية[٤]. وجاء إلى أبي مسلم بعض العبيد لمشاركته في ثورته فقبلهم ورحب بهم إذ فرّ إليه العديد منهم هاربين من أسيادهم، وخصَّ لهم داعية يدعوهم باسمه قائلاً: "أيما عبد أتانا راغباً في أمرنا قبلناه وكان له ما لنا وعليه ما علينا"، ولما كثر انضمامهم إليه بنى لهم خندقاً خاصاً ونظّمهم كفرقة تحت قيادة داود بن كرَّاز الباهلي، فكانوا أول جند أمدَّ بهم أهل أبيورد ونسا، فغضب منه بعض رؤوس الشيعة ووجوههم[٥]، فلقد كان عدد العبيد الذين انضموا إلى أبي مسلم عظيماً جداً، ويظهر أن بعض المؤرخين[٦] عدوا هذا الخندق خندقاً للموالي الأحرار فذكروا أن: "أكثر من انضم إلى أبي مسلم كانوا من الموالي المزارعين"، لإثبات مدى قهر آل أمية لهذه الطبقة متجاهلين أن أغلبية العرب في نهاية الدولة الأموية صاروا مزارعين أيضاً، مما جعل البعض[٧] يرى أن أسباب انضمام العرب للدعوة العباسية كانت اقتصادية، فقد قَلَّت العطايا بعد انتهاء الغزوات مما اضطرهم

=يكبرون في الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، وفي الثانية ثلاث تكبيرات. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٧. ابن الأثير الكامل، ج٥، ص ٢٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٢٦. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٧.

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٨. مجهول، أخبار، ص٢٧٨-٢٧٩. الخليلي، موسوعة، ص١٠٥-١٠٦.

(٢)- فوزي، العباسيون الأوائل٩٧هـ/٧١٦-١٧٠هـ/٧٨٦م، دار الإرشاد، ط١، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ج١، ص٥٥.

(٣)- عمر، بحوث في التاريخ العباسي، ص٤٢-٤٣.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧٩-٣٨٠. مجهول، أخبار، ص٢١٦-٢١٧. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٣-٤٤.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٦. مجهول، أخبار، ص٢٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦. دراوشة، مروان، ٩٥.

(٦)- الخربوطلي، تاريخ العراق، ص١٨٦. ماجد، التاريخ السياسي، ج٢، ص٣٢٧. محمد، الدولة العباسية، ص١٧. فلهوزن، تاريخ، ص٥٠٣. هدَّارة، اتجاهات الشعر العربي، ص٤٢. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٦٧.

(٧)- الدوري، مقدمة في تاريخ، ص١٨.

إلى الاهتمام بالزراعة متجاهلين أن الغزوات لم تتوقف إلا عندما غلبت الفتن والمعارضات على الدولة الأموية.

واكتسب أبو مسلم خلال هذه الحقبة الكثير من الأتباع "فما زال عسكره يزداد بكل وجه ويقوى وتأتيه الناس، وقد كفَّ عن القتال وفتح الله عليه كثيراً من البلاد بالصبر والدعاء والمداراة خمسة أشهر"(١)، وكانت مرو الروذ أولى المناطق التي سقطت بأيديهم، فتحها خازم بن خزيمة التميمي في ٩ ذي القعدة ١٢٩هـ/٢٢ تموز ٧٤٧م مستغلاً طاعة قبيلته له بأنه رجل منهم، أن سيطروا عليها فهي لهم، وإن قُتل كفاهم أمره، فسيطروا عليها بعد قتل عاملها بشر بن جعفر السَّعدي(٢)، كما سيطروا على نسا والطالقان وآمُل وزم(٣).

٣- إجراءات نصر بن سيَّار ضد الثورة العباسية:

حققت الثورة العباسية خلال فترة وجيزة نجاحاً منقطع النظير، فاستقطب أبو مسلم ورجالات الشيعة الكثير من الأتباع من اليمانية والربعية وبعض المضرية، وقد قام نصر بن سيَّار باتخاذ عدة إجراءات ضدها تتمثل بدعوة القبائل العربية للتوحد، وبحملة من التشهير ضدهم، وسعى لموادعة ابن الكرماني وأتباعه، فشعر نصر بن سيَّار بعد إعلان الشيعة العباسية ثورتهم بأن الأمور أخذت تنفلت منه لاسيما أن صراعه مع القبائل اليمانية والربعية تحت زعامة ابن الكرماني لم يمنحه فرصة التفرغ لقتالهم، وأن عليه طلب المساعدة من الخليفة مروان بن محمد، وقد أرسل إليه يستنجد به غير مرة، غير أن نداءاته ذهبت هباءً، فلم يستجب مروان لاستغاثاته إلا متأخراً في وقت لم تعد تجدي نفعاً(٤). وكان أول استنجاد أرسله نصر بن سيار إلى مروان بن محمد بعد إعلان الشيعة العباسية الثورة في سنة ١٢٩هـ/٧٤٧م، فأرسل إليه يخبره بأمر أبي مسلم الخراساني، وكثرة من تبعه لاسيما من القبائل اليمانية والربعية، ومدى تردي الأوضاع في خراسان، وما ينتظر الدولة من مخاطر طالباً منه المساعدة قبل تفاقم الأمر، وضمَّن كتابه الأبيات المشهورة التي كانت النذير بسقوط الدولة الأموية(٥)، ووصل كتاب نصر لمروان وهو في غمرة

---

(١)- مجهول، أخبار، ص٢٨١.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٩، ص٨٦.

(٣)- مجهول، أخبار، ص٢٨٩.

(٤)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٩. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٣. الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص٢٩٤. المسعودي، مروج، ج٣، ص٢٥٦. مجهول، العيون، ج٢، ص١٨٩.

(٥)- جاءت هذه الأبيات في العديد من المصادر التاريخية والأدبية مع بعض الاختلافات انظر: ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٦-٣٩٧. الجاحظ، البيان والتبيان، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٧، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص١٥٨. ابن قتيبة، عيون، ج١، ص١٢٨. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٨. الدينوري،

انشغاله بحروب الخوارج، فقدَّر مروان خطورة الوضع بخراسان، ولم يتجاهله وحث نصراً على الصمود، ووعده بالإمداد ريثما ينهي قادته الذين أوكلهم بتتبع الخوارج مهمتهم[١]، وأمره أن يتخذ الإجراءات اللازمة ضدهم، إذ كتب إليه: "إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم الثؤلول قِبَلك"، وقد أدرك نصر مدى تشاغل مروان عن خراسان، فأخبر أصحابه بذلك قائلاً: أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصرة عنده"[٢]، كما أرسل إلى يزيد بن هبيرة يخبره بخروج أبي مسلم، وكثرة عدد من معه وخطرهم على الدولة الأموية، وأرسل له رسالة على شكل أبيات يستمده ويستنصره[٣]، وكان يزيد مشغولاً بحرب الخوارج، فأرسل له "لا غلبة إلا بكثرة؛ وليس عندي رجل" علماً أن يزيد بن هبيرة كان كارهاً لنصر بن سيار مبغضاً له، لأن نصراً ليس تابعاً له وكان يود أن يكون مكانه رجل من أتباعه[٤].

ولما تأزم الموقف بنصر بن سيار سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م بعد تزايد خطر أبي مسلم نتيجة اتفاقه مع ابن الكرماني ضده، وتطلُّعه إلى السيطرة على مرو، أرسل يستنجد بمروان للمرة الثانية يصف له خطورة الأمر، ومع ازدياد خطر العباسيين على نصر بن سيار كتب نصر إلى مروان بن محمد مرة أخرى: "لو أن غايتهم كانت السيطرة على خراسان وحدها لهانت شوكتهم، ولكنهم يريدون الغاية الكبرى من التملك على الآفاق في جميع بلاد المسلمين، وأن أكثر ما يحضون عليه الطلب بثأر آل محمد من بني أمية، يتذاكرون ذلك في أحاديثهم، ويدعون به إذا قضوا صلاتهم"، فرد عليه مروان بن محمد أنه أرسل عامر ابن ضبارة، وحنظلة الكلبي لنصرته، ولعل مروان استجاب لطلب نصر بسبب معرفته بنوايا الشيعة في

=الأخبار، ص٣٥٧. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٩. ابن عبد ربه، العقد، ج١، ص٨٦، ج٥، ص٢٢١. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٩. الخطيب، ديوان نصر، ص٤٠–٤١.

(١)– مجهول، أخبار، ص٣٠٥.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣٦٩. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٢١. الأزدي، تاريخ الموصل، ج١، ص٢٩٤. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٤. الثعالبي، خاص، ص١٢٨. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٣. مجهول، العيون، ج٣، ص١٨٩. المكي (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت١١١١هـ/١٦٩٩م): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوَّض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٣، ص٣٤٤. حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي ٤٠–١٣٢هـ/٦٦١–٧٥٠م، دار النفائس، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥٣٢.

(٣)– انظر هذه الأبيات: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٩–٣٧٠. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٤–٣٥. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣٠. حمادة، الوثائق، ص٥٣٢–٥٣٣.

(٤)– الدينوري، الأخبار، ص٣٦٠. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٩–٣٧٠. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص٣١٧–٣١٨. ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٢١. مجهول، أخبار، ص٣١٣. المسعودي، مروج، ج٢، ص٢٢٢. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٢٣–٢٤. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣٠.

القضاء على بني أمية، والاستيلاء على أرجاء الدولة(١)، ولكن ملاحقة عامر بن ضبارة لفلول عبد الله بن معاوية وشيبان اليشكري آخرته عن الوصول إلى خراسان حتى عام ١٣٠هـ/٧٤٨م(٢)، وكان في هذه الفترة جيش الدولة العباسية قد انطلق من خراسان إلى العراق بقيادة قَحْطبة بن شَبِيب الطائي، فبلغ عامر ابن ضُبارة فتصدى له فقتل عامر وقتل حنظلة، وتفرق شمل جيشه، وظل نصر ينتظر الإمداد أن يأتيه، وفي الوقت نفسه زاد قتال اليمانية والربعية لنصر بن سيار، وقويت شوكة أبي مسلم، وعظم جيشه، فازداد نصر بن سيار ضعفاً وعجزاً في مواجهته الأمور (٣).

ثم قام باتخاذ إجراءات عسكرية ضد الشيعة العباسية، فعندما رأى نصر بن سيَّار أن صراعه مع ابن الكرماني خدم بدرجة كبيرة رجالات الشيعة العباسية، دعا القبائل اليمانية والرَّبعية للاتحاد والتضامن والتكاتف وتناسي الخلافات، ليكونوا يداً واحدة من أجل محاربة أبي مسلم وأتباعه(٤)، وبعد فشل نصر في توحيد القبائل العربية ضد الشيعة العباسية لجأ إلى اتخاذ إجراء آخر هو التشهير بأهل الدعوة، حيث شنَّ حملة دعائية ضدهم مروجاً بين الناس لاسيما الفقهاء والمتنسكين منهم أنهم خليط من الناس لا ذمم ولا أصول لهم، يتبعون ملة مخالفة للإسلام، وبأنهم دُخلاء غُرباء ولا ينتمون إلى العرب المذكورين، فلا يعبدون الله ولا يقيمون الصلاة، ويسعون لسبي نسائهم، وهتك أعراضهم وانتهاك حرماتهم(٥).

وطلب من الأتقياء الذين اعتزلوا الحرب وكفّروا من شارك فيها مساندته، واعداً إياهم العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وحثهم على ذلك بقوله: "هذه المسَّودة وهي تدعو إلى غير ملّتنا وقد أظهروا غير سُنتنا، وليسوا من أهل قبلتنا يعبدون السنانير ويعبدون الرؤوس، علوج وأغتام وعبيد وسُقاط العرب والموالي، فهلمّوا فلنتعاون على إطفاء ثائرتهم وقمع ضلالتهم"، وقال أيضاً(٦):

أبلِغْ ربيعة في مَرْوٍ وإخْوَتَها ... أن يَغْضَبُوا قَبلَ أن لا يَنْفَعَ الغَضَبُ
ولينصبوا الحرب أن القومَ قد نَصبت ... حرباً يُحرَّق في حافاتها الحطبُ

(١)- مجهول، أخبار، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٣)- الدينوري، الأخبار، ص٣٦١. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٩١-٣٩٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٢٣٦. دراوشة، مروان، ص٩٦-٩٧.

(٤)- الدينوري، الأخبار، ص٣٦١. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٢١.

(٥)- الدينوري، الأخبار، ص٣٦١. ابن أعثم، الفتوح، ج٤، ص٣٤٧. مجهول، أخبار، ص٢٩٠.

(٦)- ينظر الأبيات عند: البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٧-١٧٨. الدينوري، الأخبار، ص٣٦١-٣٦٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٦٢-١٦٣.

إلا أن أحداً لم يستجب له، كما رفض الربيعة نداء نصر بترك اليمانية، واستمروا يساندون ابن الكرماني، ويقاتلون المضرية معه[١]، ولكن نصراً لم ييأس فعاد مرة أخرى بالتشهير بأبي مسلم وأتباعه، وظل يرد ذلك حتى استجاب البعض له وأيقنوا بكلامه، ثم بعث إلى القراء والفقهاء الذين اعتزلوا الحرب، ورفضوا المشاركة فيها، فأقنعهم بدور أبي مسلم وأتباعه، وأنهم عبارة عن مجموعة من العجم لا يعرفون كتاب الله وسنة نبيه، فأوجد نصر عندهم الاستجابة والموافقة على الانضمام إليه[٢].

وبعدما علم أبو مسلم الخراساني بتعاقد العرب مع الوالي نصر بن سيار، انتقل سريعاً إلى قرية "آلين" لكن نصراً ألحق به بعض الجيوش التي لم توفق في مهامها مما جعل أبا مسلم يحس بالغلبة وبخاصة أن أنصاره كانوا قد تمكنوا من السيطرة على بعض المدن المهمة مثل هراة ومرو الروذ، فكتب إلى نصر مبتدئاً بنفسه: " أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه عيَّر أقواماً في القرآن فقال: " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً. واستكباراً في الأرض ومكر السيئ إلا بأهله، فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً"[٣]، فغضب نصر وبعث له جيشاً إلى " آلين" لكنه فشل وقتل الكثير منه وقبض على قائده – يزيد– الذي أحسن أبو مسلم معاملته ليكون حجة على نصر"[٤].

وحرص أبو مسلم على جذب القبائل العربية إلى الدعوة مستغلاً الفتنة التي وقعت بخراسان بين جديع الكرماني ونصر بن سيار، وحاول أن يفكك عرى التحالف القائم في خراسان بطرق ملتوية، فكان أبو مسلم يرسل رسائل على لسان نصر بن سيار إلى اليمانية يعدهم ويمنيهم، ويطعن بالخوارج، ويأمر حامل الرسالة بالمرور عبر معسكر الخوارج، فيقوم الخوارج بالشك بالشخص الغريب الداخل في معسكرهم، فيفتشوه فيجدون عنده الرسالة التي كتبت على لسان نصر بن سيار، وفيها ذمهم والطعن بهم، والتوعد بالانتقام منهم، ويفعل كذلك مع الخوارج كما فعل باليمانية، حيث يرسل رسالة على لسان نصر بن سيار إلى الخوارج، يمدحهم فيها ويذم اليمانية وزعيمهم وأفكارهم، ويأمر حامل الرسالة بالمرور على معسكر اليمانية، فيشك اليمانية بالشخص الغريب الذي في معسكرهم، فيفتشوه ويجدون عنده الرسائل التي تطعن بهم[٥]. فأصبح هوى الفريقين معه، ثم أرسل إلى الكرماني أنني معك فتحالفا على نصر بن سيار[٦].

---

(١)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٤.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٤.

(٣)– سورة فاطر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٤)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٥٩–٣٦١. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣١.

(٥)– ابن خياط، تاريخ، ص٤١١–٤١٢. الدليمي، أبو مسلم الخراساني، ص١٠٩.

(٦)– ابن قتيبة، الإمامة، ص٢٧١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٣.

وبقيت أحوال خراسان تنذر بالهلاك وخاصة عندما تمكن أبو مسلم من فتح هراة وطرد عاملها عيسى بن عقيل بن معقل الليثي عنها الذي سرعان ما وصل نصراً مهزوماً[١]، لكن نصراً مع ذلك عمل كل ما وسعه من أجل أن يعقد هدنة مؤقتة مع علي بن الكرماني وشبيان الحروري لكي يتفرغ على الأقل للشيعة العباسية[٢]، ساعده على ذلك يحيى بن نعيم بن هبيرة أحد سادات بكر بن وائل الذي اجتهد كثيراً في تقريب العرب إلى نصر فقد دعا شيبان الحروري وعلي الكرماني إلى مؤازرة نصر بن سيار والتحالف معه وحذرهما من أن أبا مسلم أشد مكراً وخطراً من نصر بن سيار، وأن أبا مسلم لن يقتل المناهضين له من المضرية، ويترك المناهضين له من اليمانية والربعية، بل سيقتلهم جميعاً ولن يفرق بين أحد منهم، ودعاهم أن يهادنا نصر والمضرية، وأن تتعاون قبائل العرب على محاربة أبي مسلم، لأنه رأى أن السبيل الوحيد لنجاة القبائل العربية هو في مؤازرة الحكومة المركزية، فنجحت وساطة يحيى بن نعيم بن هبيرة بين المتخاصمين وقد تمكنت الأطراف الثلاثة المتنازعة مضر وربيعة والأزد من عقد هدنة لمدة سنة[٣]، لقد فزع أبو مسلم الخراساني من اتحاد كلمة العرب في خراسان ووجد قادة الدعوة العباسية أنفسهم في مأزق بعد الهدنة آنفة الذكر، ذلك لأن إستراتيجية الدعوة العباسية ارتكزت على خراسان لأنها بقيت في الغالب بعيدة عن الدعوات الحزبية[٤]، مما ترك المجال مفتوحاً لقبول أراء الدعوة العباسية ومبادئها والتي لاقت نجاحاً وقبولاً فيها أكثر من أي مكان آخر في الدولة الأموية.

واتفق نصر وخصومه على مواجهة أبي مسلم بجيش واحد، واحتشد الفريقان نصر والمضرية والربعية من جهة، وأبو مسلم وشيعته من جهة أخرى، والتقى الفريقان في سنة ١٣٠هـ/٧٤٨م فأحس سليمان بن كثير وأبو مسلم الخراساني بالخطر، فنشطا كثيراً في كسر هذا الاتفاق الذي حدث بين نصر وعرب اليمن وربيعة، وكان سليمان بن كثير يقف مقابل علي بن الكرماني فقال له: "أما تأنف من مصالحة نصر، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه، ما كنت أظنك تجتمع معه في مسجد واحد وتصليان فيه" وظل بإزائه حتى أقنعه أن نصراً هو قاتل أبيه فنقض الصلح بين قبائل العرب وبذلك أنهى تحالف العرب وانسحب نصر من المعركة، وكاتبه يقول: إني ما صالحتُ نصراً إنما صالحه شيبان، وأنا لذلك كاره وأنا موتور بقتله أبي ولا أدعُ قتله". فتنفس أبو مسلم الصُّعداء وبعث إليه يذكره بمناصرته ومساعدته، ولكن عليّاً ـ على ما يبدو

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٥٧ و٣٦٨. الخليلي، موسوعة، ص١٠٦.

(٢)- سعى نصر بن سيار لعقد تحالف وموادعة مع ابن الكرماني وشيبان الحروري وعمل على الضغط عليهم أكثر من مرة. للتوسع في ذلك ينظر: ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٠. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٧. مجهول، أخبار، ص٢٨٩-٢٩٧. الزعبي، نصر، ص١٤٢-١٤٤.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٥-٣٦٧. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٨. ابن كثير، البداية، ج١٣٠، ص٣١. فلهوزن، تاريخ، ص٤٦٤.

(٤)- الدوري، مقدمة في التاريخ، ص٥٥.

ـ ظل دائماً يشك في هذا الرجل الغريب مما جعله يبعث إليه بطلب لقاءه، فأتاه أبو مسلم وأظهر طاعته لعليّ وسلّم عليه بالإمارة خدعة وأقام عنده يومين[١].

وبهذا قضى أبو مسلم الخراساني على أي أمل لنصر بن سيار بتوحيد جبهة خراسان ضده، كما حاول أبو مسلم أن يكسب علياً بن جديع الكرماني نهائياً إلى صفه، فأعلن أنه تابع له وصلى خلفه لمدة من الزمن، وبذلك تعرف على أتباعه وعرفهم وميز بين الذي يخشى منه وبين غيره، فضلاً عن إرضاء الغرور لدى علي، لحبه للزعامة والسيطرة، كما حاول أبو مسلم الخراساني وضع شيبان الحروري زعيم الخوارج في وضع يلهيه عما يحدث في خراسان، فأمره بأن يجبي خراج مناطق مختلفة في خراسان، وبذلك شغله هو وأتباعه في أمور إدارية حتى يتفرغ هو للسيطرة على خراسان[٢].

وهنا يئس نصر كثيراً ولم يبقَ له إلا محاولة كسب العدو الأول أبا مسلم، فأخذ الجميع يتسابقون إلى الانضمام إلى صفوف الدعوة، فقد أرسل نصر بن سيار إلى أبي مسلم يطلب منه انضمام قبائل مضر إلى الدعوة، وبعثت ربيعة واليمن بمثل ذلك. فأمر أبو مسلم أن يرسل كل فريق منهم وفداً حتى يختار أحدهما، ففعلوا، وكان قد أمر الشيعة أن يختاروا ربيعة واليمن لأن السلطان في مضر، وهم عمال مروان ابن محمد، فلما اجتمعوا كان مع أبي مسلم سبعون رجلاً من الشيعة فاختاروا ربيعة واليمن، لقد بات أبو مسلم يدرك أن النصر قادم لا محالة، فقرر العودة إلى معسكره الأول ماخون بعد أن أقام في آلين زهاء ثلاثة أشهر وذلك في نصف صفر لسنة ١٣٠هـ/٧٤٧م، وهنا راسله عليّ بن الكرماني يطلب منه الاتحاد ضد نصر والعزم على دخول مرو العاصمة قائلاً: أن أدخل الحائط من قبلك وأَدخلُ أنا وعشيرتي من قِبَلي، فتغلب على الحائط"، لكن يقظة أبي مسلم جعلته يحتمل الغدر دائماً في عرب خراسان، فبعث إلى عليّ قائلاً: "أن لست آمن أن تجتمع يدك ويد نصر على محاربتي، ولكن أدخل أنت فأنشب الحرب بينك وبينه وبين أصحابه". فدخل علي بن الكرماني حائط مرو وأنشب الحرب على نصر، وهنا بعث أبو مسلم جيشاً تحت إمرة النقيب أبي علي شبل بن طهمان لمراقبة الوضع الذي سرعان ما استسهل أمر مرو وبعث إلى أبي مسلم يطلب منه دخول المدينة فدخلها والفريقان يقتتلان، فأمرهما بالكف، ونزل قصر الإمارة الذي كان ينزله ولاة خراسان في التاسع من جمادى الأولى سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م[٣]، ثم قام بدعوة

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٦٥. مجهول، أخبار، ص٢٨٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٥.

(٣)- ذكر مجهول، أخبار، ص٣١٥ أن دخوله مرو كان يوم الأحد الموافق ٧ربيع الآخر ١٣٠هـ/٥كانون الأول٧٤٧م، غير أن يوم الأحد يوافق ٩ربيع آخر ١٣٠هـ. وذكر الطبري، ج٧، ص٢٧٧. برواية المدائني أن دخوله مرو كان ٧أو٩ ربيع الآخر، وذكر في موضع آخر برواية أبي الخطاب أن دخوله كان يوم الخميس الموافق ٩جمادى الآخر ١٣٠هـ/١٤شباط٧٤٨م.

أهلها لمبايعته فلم يتخلَّف عنها إلَّا قلة منهم ظلوا يُساندون نَصراً رغم أنه قد خيَّرهم بين البقاء معه أو الانضمام لأبي مسلم قائلاً: "هذا يومٌ قد نُعيت إليكم فيه أنفسكم، كونوا مع الناس"، وصفت له مرو كاملة في صبيحة اليوم الثاني عندما هرب نصر بن سيار [١].

٣– السيطرة على خراسان ونهاية الدولة الأموية:

أضحى أبو مسلم القوة الضاربة بمرو بعد سيطرته عليها، بينما اندحر نصر بن سيَّار إلى داخل معسكره بباب سرخس، وقام أبو مسلم بعدة محاولات سعى فيها إلى استدراجه للقدوم عليه بحجة المبايعة حتى يفتك به، لكن نصراً لم يمنحه فرصة تحقيق ذلك حيث رفض لقاءه رغم الجماعات التي أرسلها أبو مسلم إليه، معلَّلاً رفضه في المرة الأولى أنه لا يأمن سفهاء اليمن وربيعة أن يكمنوا له في الأزقة ليقاتلوه، وردَّ عليه في المرة الثانية أنه يود لقاءه بقصره بماشان، فحضر أبو مسلم وتباطأ هو، لذلك أرسل إليه سليمان بن كثير في جماعة، ثم أرسل إليه لاهز بن قريظ في جماعة يدعوه إلى البيعة على كتاب الله وسنة نبيه والرضا من آل محمد[٢]، فأخبره أن أبا مسلم ضمن له عدم الغدر بناءً على الكتاب الذي أرسله الإمام إليه، فطلب نصر منهم قراءة الكتاب عليه، وقد أبدى لهم موافقته على إجابة أبي مسلم قائلاً: "أنا صائر معكم إلى الأمير أبي مسلم". وأوردت بعض المصادر أن سبب هروب نصر بن سيَّار كان نتيجة تحذير لاهز بن قريظ له للنجاة بنفسه[٣]، فقد أحسَّ لاهز بخديعة أبي مسلم لنصر بن سيار فشدته عصبيته ولاسيما أنه مضري، فقال له وهو يبلغه الرسالة قوله تعالى: "إنَّ المَلأَ يأتَمرون بِكَ لِيَقْتُلُوك فاخرج إنّي لكَ من النَّاصحين"[٤] فتظاهر بالخروج إلى الوضوء وهرب من خلف حجرته ومعه تميم ابنه والحكم ابن نميلة النميري –أحد مقربيه– وحاجبه وزوجته المرزبانة. لقد اتجه نصر بن سيار إلى مدينة "سرخس"

---

(١)– ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٠. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٥. الدينوري، الأخبار، ص٣٦٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٧٧–٢٧٨. مجهول، أخبار، ص٣١٥–٣١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٧٩. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص١٥٠. محمد بديع شريف، الصراع بين الموالي والعرب، [وهو بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة الشرقية]، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٤م، ص٢٧.

(٢)– البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨١. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٦٨. مجهول، أخبار، ص٣١٧–٣١٨. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨١. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٣٤.

(٣)– ابن قتيبة الإمامة، ج٢، ص٢٩١. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٦. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٩، ص٩٩. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٦٩. ابن حزم، جمهرة، ص٢١٤. وقد انفرد الدينوري، الأخبار، ص٣٦٣ بذكره أن نصراً طلب الأمان من أبي مسلم، فأمر أبو مسلم قحطبة بن شبيب بالتوقف عن قتاله، فاستغل نصر انشغال قحطبة وهرب.

(٤)– سورة القصص، الآية ٢٠.

مع ثلاثة آلاف من المضرية الذين كانوا قد اجتمعوا إليه في الطريق، ويبدو أن الرحلة كانت صعبة وسريعة لدرجة أن زوجته المرزبانة لم تقدر على المواصلة وبقيت بقرية تدعى "نصرانية" حيث قبض عليها أبو مسلم لكنها اختارت الموت على الأسر، فانتحرت في الليلة نفسها التي أسرت فيها[١].

وسعى أبو مسلم إلى بسط نفوذه على خراسان، وكانت سرخس أولى المناطق التي أخضعها بعد مرو، عندما أرسل خازم بن خزيمة التميمي وبسام بن إبراهيم (مولى بني الليث) على رأس قوة عسكرية لفتحها، فعمل أبو مسلم على تصفية حلفاء الأمس فالتقوا بشيبان الحروري زعيم الخوارج الذي رفض مبايعة الإمام العباسي، فاقتتلوا قتالاً شديداً انتهى بمقتل شيبان وعدد كبير من أصحابه من قبيلة ربيعة وشتت شملهم في شعبان ١٣٠هـ/نيسان ٧٤٨م، ولما سمع نصر بسقوط سرخس بيد الشيعة العباسية اشتدَّ جزعه من تفاقم خطرهم، فقال: "اليوم استحكم الشرُّ على مروان"[٢]، وازداد قلقه على كون أن أهل سرخس كانوا يداً واحدة على قتال الشيعة، وأن سقوطها يعني سقوط المقاومة في مجابهة أبي مسلم، وقد تفرَّق أتباع شيبان الحروري بعد مقتله، فانضم بعضهم إلى نصر بن سيار وهو بنيسابور لرغبتهم في القتال إلى جانبه[٣]. وعلى أية حال فقد أصبحت مرو في قبضة أبي مسلم الخراساني فأعلن الأحكام العرفية فيها، ثم سار على معسكر نصر وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم[٤] وأمر بقتلهم كلهم وضرب أعناقهم، ونصب رؤوسهم، ليُدخل الرعب في قلوب أهل مرو ولاسيما المضريين منهم، وقد أصاب غايته فحين رآهم الناس "هالهم ذلك ودخلهم رعب عظيم، وعَظُم أبو مسلم في نفوسهم وانكسرت مضر"[٥]، وهرب من المعسكر من تمكن من ذلك، ودخل البعض الآخر في الدعوة، أما الذين أبوا الدخول فيها فكان مصيرهم القتل[٦]،

---

(١)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ١٦٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨١-٣٨٢. النويري، نهاية، ج٢٢، ص٢٢. المقريزي، النزاع، ص٩٦. محمد، الدولة العباسية، ص١٨. علبي، العهد السري، ص٥٣. محمود، الشريف، العالم الإسلامي، ص٥٠.

(٢)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٠. البلاذري، أنساب، ج ٨، ص١٣١-١٣٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٥-٣٨٦. مجهول، أخبار، ص٣٢١-٣٢٢. مجهول، العيون، ج٣، ص١٦٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٢-٣٨٣. الدليمي، أبو مسلم الخراساني، ص١١٠.

(٣)- مجهول، أخبار، ص٣١٩.

(٤)- كان منهم سلم بن أحوز المازني صاحب شرطة نصر، والبختري كاتبه وابنان له، ويونس بن عبد ربه، ومحمد بن قطن، ومجاهد بن يحيى بن حصين وغيرهم، كانت عدتهم أربعة وعشرين رجلاً. ابن خياط، تاريخ، ص٣٩١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٥. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٨٢.

(٥)- المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٤. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧٦.

(٦)- مجهول، أخبار، ص٣١٨.

وقام أبو مسلم بانتهاب دار نصر بن سيَّار ثم أمر بإحراقها، وأمر بالاحتفاظ بمعسكره لكي لا يُنتهب[١]، كما عدّ أبو مسلم أن ما اقترفه لاهز بن قريظ عصياناً عظيماً فشتمه قائلاً: "يا لاهز تدغل في الدين" وأمر بقطع رأسه حتى يكون عبرة للجميع[٢]، ولم يشفع له انضمامه المبكر للدعوة وجهاده فيها، فهو أحد نقبائها الذين عملوا على النهوض بها، وكان رسول أبي مسلم إلى نصر في بعض المراسلات[٣]. مطبقاً لنصيحة أصحابه القائلة: "اجعل سوطك السيف وسجنك القبر" النصيحة التي طبقها أيضاً مع كل زعماء المعارضة الخراسانية الذين عاصروه وهم علي وعثمان ابنا جديع الكرماني فرَّق بينهما ثم قتلهما، وذلك خوفاً من منافستهم له[٤]. وقد كتب أبو مسلم إلى إبراهيم بن محمد العباسي بفتح مرو وهروب نصر بن سيَّار منها، فحمد الله على نصرهم، وتمثَّل بقول خداش بن زهير العامري في قوم عكاظ:

فـمـا بـرحـت بـكـرٌ تثـوبُ وتـدَّعـي ويـلـحـقُ مـنـهـا أوَّلـون وآخـر
لـدن غـداوةٍ حتـى أتـى الليـلُ وانجـلـت عـمـايـةُ يـرمٍ شـرَّه مـتـطـايـر[٥]

بعد السيطرة على مرو توجه نصر بن سيار بعد هروبه منها إلى نيسابور ليُجمع حوله مؤيديه من جهة، وأملاً بقدوم أمداد مروان بن محمد من جهة أخرى، وأثناء مسيره إليها انضم إليه مؤيدوه الذين رفضوا التخلي عنه، واجتمعت إليه قيس قاطبة، كما انضم إليه الهاربون من أبي مسلم، فما إن وصل إلى سرخس حتى انضم ألف وخمسمائة، وظلوا يتوافدون عليه إلى أن بلغت جموعه ثلاثة آلاف، وبعد يومين أمضاها بسرخس ارتحل إلى طوس حيث بقي بها خمسة عشر يوماً، ثم لجأ إلى نيسابور وأقام بها[٦]، وهنا يتضح من ذلك مدى التأييد الذي تمتع به نصر بن سيار حتى بعد فقدانه سلطانه بخروجه من العاصمة مرو. ويظهر أن أبا مسلم لم يهتم كثيراً بملاحقته بل اهتم بتثبيت دولة آل هاشم في خراسان وما تبعها ووزع عماله عليها، فاستعمل سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند، وأبا داود خالد بن ابراهيم على طخارستان، ومحمد بن الأشعث على الطبسين وجعل مالك بن الهيثم على الشرطة[٧].

---

(١)- ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٦٩. مجهول، أخبار، ص٣١٨.

(٢)- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٧٦. الدينوري، الأخبار، ص٣٦٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٤. الدوري، العصر العباسي، ص٥٩-٦١.

(٣)- الزعبي، نصر، ص١٥٤.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٢. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٣. الخطيب، ديوان نصر، ص٢٣.

(٥)- مجهول، أخبار، ص٣١٩. الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر "صاحب الكشاف" ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م): ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ج١، ٥٤٨-٥٤٩.

(٦)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٥. مجهول، أخبار، ص٣١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٢.

(٧)- ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٦.

واستمر أبو مسلم في السيطرة على مدن خراسان والاستيلاء عليها، وأرسل الجيوش العباسية إلى مختلف مدن خراسان، وسيطر عليها الواحدة تلو الأخرى، فيما عدا مدينتي بلخ وجرجان، اللتين قاومتا الجيش العباسي، ولم تخضعا إلا بعد جهود مضنية، وبذلك تم لأبي مسلم السيطرة على كل ولاية خراسان(١). كما انتهج سياسة القتل مع من لم يبايعه ويعطيه الطاعة والولاء(٢)، فقد ذكرت بعض المصادر قتل أبي مسلم المضرية من شيعة بني أمية، وقتل الحرورية من الربعية من أتباع شيب بن سلمة، أما سائر اليمانية والربعية الذين بايعوه وانتظموا في دعوته فإنه لم يمسهم بسوء(٣)، كما ذكرت بعض المصادر أن من قتل على يد أبي مسلم الخراساني من العرب في خراسان حوالي مئة ألف من شيعة بني أمية(٤)، وقيل ستمائة ألف(٥)، وعندما استطاع تطهير خراسان من كل من ينافسه على الحكم من القبائل وأهل خراسان بسط أبو مسلم سيطرته على جزء كبير منها(٦).

وفي غمرة نجاح أبي مسلم الخراساني وسيطرته على مرو بعث الإمام إبراهيم بن محمد سنة ١٣٠هـ /٧٤٨م قحطبة بن شبيب الذي كان قد ذهب للقائه في موسم الحج لتقديم حمولات خراسان إلى مرو عاقداً له لواء يجعله على مقدمة أبي مسلم فسلم أبو مسلم كتاب إبراهيم وضم إليه الجنود وسلَّمه قيادة العمليات العسكرية، وجعل له العزل والاستعمال وأمر الجنود بالسمع والطاعة له(٧). ويبدو أن ما فعله الإمام كان طبيعياً لأنه كان دائماً يبحث عن رجل عربي مناسب للقيام بالدعوة في خراسان بدلاً من أبي مسلم ولم يجده إلا في قحطبة بعدما أتاه(٨). ولم تذكر المصادر الأساسية أن أبا مسلم عارض أمر الإمام بل يفهم

(١)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٥-٣٨٦. مجهول، أخبار، ص٣١٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٢)- المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٥. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩٣.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٣.

(٤)- اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٦٥.

(٥)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٩١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٧٦. ابن كثير، البداية، ج١٠، ص٧٢. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٤٨.

(٦)- مجهول، أخبار، ص٣٢٢.

(٧)- ابن قتيبة، المعارف، ص٣٧٠. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٤٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٩٢. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٧٧. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٥. البستاني، معارك العرب ، ص ٨٨. فلهوزن، تاريخ، ص٥٠٩. فوزي، طبيعة الدعوة، ص٢٢٦-٢٢٩.

(٨)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٧. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٤٨.

منها أنه طبق كل أوامر الإمام بصدر رحب، لكنه من المؤكد أنه أحس بخيبة كبيرة ولّدت عنده حقداً جعله يتصادم فيما بعد بالعباسيين، الذين اختاروا تصفيته في آخر الأمر(١).

وقد أخذت المدن الخراسانية تتساقط المدينة تلو الأخرى، فتلا سقوط سرخس سقوط طوس، وخطط أبو مسلم بتطويقها من أعلاها وأسفلها بأن أمر قحطبة بقدومها من أعلاها، كما كتب إلى القاسم بن مجاشع بسرخس أن يأتيه من أسفلها، وأمدهم بعدة قوَّاد منهم: أبو عون عبد الملك بن يزيد، ومقاتل بن حكيم العكي، وخازم بن خزيمة، وكان النابي بن سويد العجلي عامل نصر بن سيَّار على طوس قد أرسل إليه طالباً منه الإمداد، لإدراكه أن طوس ستكون محطة الشيعة العباسية التالية، فسارع نصر لتلبية استغاثته موجهاً إليه ابنه تميم على رأس قوة قُدِّرت بألفين من مضر ومن انضم إليه من أهل نيسابور(٢)، وقيل إنهم كانوا قرابة ثلاثة آلاف(٣).

واصل نصر بن سيَّار مراسلته لابن هبيرة طالباً الإمداد منه، ومبيناً مدى حاجته لهم إذ "لم يبقَ لهم جمع يعتمدون عليه"، في مقاومة القوات العباسية، فقد تابع قحطبة مسيره إلى طوس، وتمكَّن من هزيمة قوات نصر فيها، حيث حشرهم إلى مضيق مات فيه بالزحام أكثر مما قُتل، ثم صار إلى معسكر تميم والنابي الذي كان بقرية السوذقان قرب نيسابور، وقبل احتدام القتال بينهما حاول قحطبة استمالة أتباعهم سلمياً داعياً إياهم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى الرضا من آل رسوله، فرفضوا دعواه، ودارت بينهما معركة عنيدة أسفرت عن هزيمة قوات نصر ومقتل ابنه تميم في عدد كبير، تبعهم مقتل النابي الذي هرب من المعركة وتحصَّن داخل طوس، ولم ينجُ سوى قلة قليلة منهم: عاصم بن عمير السمرقندي، وسالم بن رواية السعدي، وكتب قحطبة بفتح طوس إلى أبي مسلم، وبعث إليه برأس تميم والنابي، وكان نصر بن سيَّار قد خرج من نيسابور إلى قرية تُدعى موروشك وعسكر بها في زهاء عشرة آلاف رجل من قيس ومن انضم إليه من مؤيدي بني أمية، وفيها أتاه الخبر بهزيمة قواته بطوس ومقتل ابنه تميم والنابي(٤)، فكان

---

(١)– ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص٢٣٧. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٩. المسعودي مروج، ج٣، ص٣٠٢. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٨. ابن طباطبا، الفخري، ص١٣٤.

(٢)– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٨. مجهول، أخبار، ص٣٢٣. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩٠–١٩١.

(٣)– ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٠.

(٤)– ذكر الدينوري، الأخبار، ص٣٥٥: أن تميماً قتل خلال صراع أبيه مع ابن الكرماني، وأن قاتله محمد بن المثنى. كما ذكر ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٦٧: أن ابن الكرماني هو الذي قتل تميماً ثأراً لأبيه.

مصابه بذلك كبيراً، قَتْل ابنه تميم من جهة، وخسرانه قوات عوَّل عليها لمجابهة قوات العباسيين من جهة[١].

وأحدثت هزيمة أهل طوس اضطراباً شديداً داخل معسكر نصر بن سيار الأمر الذي اضطره إلى الانسحاب لقومس ـ على حدود جرجان- مع جموع من عرب خراسان من قبائل تميم وبكر وقيس[٢]، وقد تفرق عنه أصحابه، وعلى الرغم أن نصر بن سيار فقدَ غرَّة قواده إلا أنه استمر في مقاومة القوات العباسية الزاحفة، ونظراً لنداءات نصر بن سيَّار المتكررة للخلافة الأموية كتب الخليفة مروان بن محمد إلى أميره على العراقين يزيد بن عمر بن هبيرة يطلب منه أن يوجه عامله على جرجان نُباته بن حنظلة الكلابي (أحد بني أبي بكر بن كلاب) إلى نصر بن سيار، فقد أدرك أن الوضع في خراسان لا يقل خطورة عمَّا هو الحال عليه في العراق والحجاز، لاسيما بعد سماعه بانتصارات الشيعة العباسية فيها واستفحال خطرهم، فقدم نباتة خراسان عن طريق فارس وأصبهان ثم سار إلى الريَّ وانطلق منها إلى جرجان[٣]، وكان نصر قد انسحب بعد سقوط نيسابور إلى جرجان[٤]، لكن نباتة لم يتعاون مع نصر كما يجب، لذلك كتب نصر إلى ابن هبيرة يطلب منه الكتابة إلى نباتة بطاعته وقبول رأيه في الحرب، غير أن هذه كانت رغبة ابن هبيرة، وقد ساءت العلاقة بينهما بعد سماع نصر إسقاط نُباتة اسمه وأسماء مؤيديه من جند خراسان، وأغضبه هذا التصرف كثيراً، فعاد إلى قومس[٥].

وقد أدرك قحطبة بن شبيب أن وجود القوات الأموية بجرجان يشكل خطراً كبيراً يُهدد وجودهم، لذا قرر تأجيل عملياته العسكرية ضد نصر بن سيَّار حتى يُنهي قتالهم، وقد خالف بذلك رغبة أبي مسلم الذي أمره بالتوجه إلى قومس لقتال نصر، لكنه تمكّن من إقناعه، واتجه إليها في ذي القعدة ١٣٠هـ/تموز ٧٤٨م، جاعلاً ابنه الحسن على مقدِّمته، فكانوا في عدة لم يرَ الناس مثلها، فلما رآهم أهل خراسان هابوهم، وقُبيل اقتتالهم أرسل قحطبة إليهم يدعوهم إلى الرضا من آل محمد (ص)، وعندما جُوبه عرضه بالرفض شجَّع الناس على قتالهم بقوله: "يا أهل خراسان إنَّ النصر مع الصبر، والتنازع فشل، وإنكم

---

[١]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٠-٣٩١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٩. مجهول، أخبار، ص٣٢٣-٣٢٥. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩١-١٩٢. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٨٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٣٦. ابن خلدون، تاريخ، ج٣، ص٢٦٧. فلهوزن، تاريخ، ص٥٠٩.

[٢]- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩١. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٨٩. مجهول، أخبار، ص٣٢٥. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٨٦. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٣٦.

[٣]- البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٨٠. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٩٢. مجهول، أخبار، ص٣٢٨. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩٢. ابن الأثير، ج٥، ص٣٨٧.

[٤]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٩٢. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩٢.

[٥]- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٩٢. مجهول، أخبار، ص٣٢٣، ٣٢٨. الزعبي، نصر، ص١٥٨.

تُقاتلون بقية قوم حرقوا بيت الله، واغتصبوا هذا الأمر، فانتزوا عليه بغير حق"، واستطاع تفريق جموع نباتة حين منح الأمان لمن كفَّ عن قتالهم من أهل جرجان، فأحدث شرخاً في صفوفه إذ تخلى الكثيرون عنه، وهكذا تيسر لقحطبة هزيمته فقتله وابنه حيَّة وقتلوا من أهل الشام عشرة آلاف، بينما هرب الباقون وتبدد شملهم، واستولى قحطبة على جرجان في ٣ ذي الحجة ١٣٠هـ/٥ آب ٧٤٨م، وبسقوطها فقد نصر ابن سيار الأمل في مقاومة أبي مسلم الذي وضع يده على أهم مناطق خراسان، لذلك آثر الارتحال من قومس متجهاً نحو العراق(١).

لقد وصلت أخبار موت نباته وسيطرة قحطبة على جرجان إلى نصر بن سيار وهو "بقومس" فكاتب من جديد يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده قائلاً: "إني قد كذبت أهل خراسان حتى ما أحد منهم يصدقني، فأمدني بعشرة لآلاف قبل أن تمدني بمائة ألف" لكنه لم يصله منه شيء، فكاتب الخليفة مروان بن محمد يائساً: "... إنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ثم أخرج من حجرته إلى داره ثم أخرج من داره إلى فناء داره وتبقى له وإن اخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء". فكاتب الخليفة أميره على العراقين يطلب منه المدد إلى نصر فجهز جيشاً في ثلاثة آلاف وجعل رئيسه ابن غطيف وسيره إلى خراسان(٢).

وفي أول محرم سنة ١٣١هـ/ آخر تموز ٧٤٨م وجّه قحطبة بن شبيب ابنه الحسن إلى نصر في قومس ووجه إليه مجموعة من القادة على رأس سبعمائة من الرجال، لكن أحدهم وهو أبو كامل انحاز إلى نصر بن سيار الأموي وأعلمه مكان أصحابه فوجه إليهم نصر جنداً، فهرب جند قحطبة وخلفوا شيئاً من متاعهم وفي هذه الأثناء كان قد وصل ابن غطيف في ثلاثة آلاف رجل وأقام بالري، حيث يذكر الطبري أن ابن غطيف كان يتحاشى لقاء نصر "فقد خرج من الري حين قدمها نصر وتوجه إلى همذان واختار التوجه في الأخير إلى أصفهان"(٣).

لقد مكث نصر بن سيار يومين بالري مرض فيهما مرضه الأخير، ويظهر أنه كان يريد اللجوء إلى العراق فحُمل حملاً حتى وصل إلى ساوة، حيث لفظ أنفاسه الأخيرة وذلك يوم الأحد ١٢ ربيع الأول سنة

---

(١)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩١. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٧٠. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٨٠. الطبري، ج٧، ص٣٩٢. ابن أعثم، الفتوح، ج٨، ص١٧١. المسعودي، التنبيه، ص٢٨٣. مجهول، أخبار، ص٣٢٨-٣٣١. مجهول، العيون، ج٣، ص١٩٢. الخليلي، موسوعة، ص١٠٨.

(٢)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٩٣ - ٣٩٥.

(٣)- الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٣٩٤. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٩٥. مجهول، أخبار، ٣٣١-٣٣٤. الزعبي، نصر، ص١٦٠-١٦١.

١٣١هـ/١٠تشرين الثاني ٧٤٨م، وهو شيخ في خمس وثمانين من عمره[١]. فدفن بساوة بكل حيطة وحذر، وقال مولاه قُزعة: "مات نصر بساوة في أرض الريّ فدفناه وأجرينا الماء على قبره"، وذلك لإخفاء مكانه عن العباسيين حتى لايستخرجوه فيشهروا به، ويبدو أن نصراً كان ينوي الذهاب إلى الشام حاضرة الأمويين لأنه قُبيل وفاته أوصى بنيته بالذهاب إليها[٢]. واستولى أبو مسلم على متاعه وزوجته المرزبانة وهي أم بَلْج بنت قديد بن منيع المنقري فتزوجها من بعد نصر بن سيار [٣].

وقد أدرك أبو مسلم أن مهمة ابن الكرماني زعيم اليمانية انتهت بعد الانتصارات التي حققها العباسيون في خراسان، فلا ضرورة لبقائه بعد استنفاد منافعه، وأن الفرصة قد حانت للتخلص منه، لذلك دبّر مؤامرة لاغتياله وأخيه في آنٍ واحد، فقتل ابن الكرماني في أثناء مسيره لنيسابور، وقتل أبو مسلم خاصته، وقتل أخاه عثمان بهراة حيث كان والياً عليها[٤]، وهكذا انتهت حياة ابن الكرماني الذي لعب دوراً كبيراً في ترجيح كفة العباسيين على كفة الأمويين عندما انضم إليهم، وأسدى عليهم خدمات لا تقدر بثمن، لكن من الواضح أنه لم يكن على علم بأن الدعوة كانت باسم البيت العباسي، لأن معرفته اقتصرت على أنها للرضا من آل البيت، ولم يتمَّ كسبه إلى جانبهم إلَّا بإثارته ضد نصر بن سيَّار قاتل أبيه، وتذكيره بأحقية ولايته على خراسان، وأشبعوا رغبته المتعطشة إلى ذلك حين اعترفوا به أميراً على خراسان وصلُّوا وراءه[٥].

واتجهت أنظار العباسيين إلى السيطرة على أصبهان التي كانت آنذاك مركزاً للمقاومة الأموية، فجرت بينهم معركة فاصلة بجابلق في ٢٣ رجب ١٣١هـ/١٦ آذار ٧٤٩م حسمت الموقف لصالحهم[٦]، وقد ترقب أبو مسلم ورجالات الشيعة العباسية نتيجة هذه المعركة كونها الفيصل بينهم وبين أهل الشام، كما ترقبها أهل العراق، وجعلوا يقولون: إن ظفر ابن ضبارة ثبت الملك في بني أمية، وإن ظفر قحطبة تمَّ الأمر لبني هاشم"[٧].

---

[١]– ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧٩. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٤. أبو الفداء، المختصر، ج١، ق١، ص٢٠٩. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٣٦. ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٥٠. يذكر المسعودي، مروج، ج٣، ص ٣٥٨: أن نصراً مات "كمداً" على ما يحدث في خراسان بعدما بذل كل جهده للوقوف أمام كل المعارضين.

[٢]– ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٦. الأزدي، تاريخ الموصل، ص١١٦.

([٣])– ابن حبيب، المحبر، ص٤٥٠.

[٤]– الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٧٧.

[٥]– مجهول، أخبار، ص٣٠١.

[٦]– انظر تفاصيل ذلك عند: البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٨٦. الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٩٦. مجهول، أخبار، ص٣٤٣–٣٤٦. الأزدي، تاريخ الموصل، ص١١٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٧، ص١٩٤.

[٧]– مجهول، أخبار، ص٣٤٩–٣٥٠.

وبعد أن دانت خراسان للعباسيين اتجهوا للسيطرة على العراق، فزحفت قواتهم إليها بقيادة قحطبة بن شبيب، ولكي يضمنوا نجاح عملياتهم العسكرية فيها عملوا على التنسيق مع عناصرهم داخلها، فتولى أبو سلمة الخلال هذه المهمة[١]، وقد سيطروا في بداية الأمر على الكوفة إثر الهزيمة التي ألحقت بابن هبيرة في معركة الفالوجة على شواطئ الفرات في ٨ محرم ١٣٢م/٢٧ آب ٧٤٩م[٢]. وكان الجيش العباسي يعمل على أكثر من صعيد، حيث تولى قسم منه محاربة ابن هبيرة[٣]، وأخيراً تولى محاربة مروان بن محمد، وفي الزاب حدثت معركة التقى فيها الجيشان الأموي والعباسي، انتهت بهزيمة مروان وانسحابه مفلولاً باتجاه الموصل[٤]، لكنه لم يحظَ بنصرتهم مما اضطره إلى الانسحاب نحو الشام، لكنهم لم يكونوا بأفضل من أهل الموصل بل ازدادوا سوءاً حين هاجموه بغرض النهب والسرقة، وقد انتهى به المطاف بمصر حيث تمَّ قتله على يد العباسيين ببوصير يوم الأحد ٢٧ذي الحجة سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وبعث برأسه إلى أبي العباس، فتفرق الناس وعمت الفوضى في البلاد[٥]. تعد معركة الزاب آخر المعارك التي حدثت في حكم الخلافة الأموية، فبمجرد أن انتهت تلك المعركة، وهُزم الخليفة مروان، انتهت الخلافة الأموية وسقطت أركانها، وانقض على حكم الدولة الإسلامية أصحاب الرايات السوداء[٦]، ليطووا بذلك صفحة مشرقة للحكم الأموي، استمرت قرابة إحدى وتسعين عاماً، وانطلق العباسيون بعد سيطرتهم على العراق نحو الشام حاضرة الأمويين، فاستطاعوا بسط نفوذهم عليها وعلى غيرها من مناطق الخلافة الأموية[٧]. وفي ١٧ ربيع الأول من سنة ١٣٢هـ/ تشرين ثاني ٧٤٩م بويع لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[٨]. وبذلك طويت صفحة الدولة الأموية التي استمرت لمدة تزيد عن تسعين عاماً، وابتدأت الخلافة العباسية.

---

(١)- مجهول، أخبار، ص٣٥٥.

(٢)- تفاصيل ذلك عند: الدينوري، الأخبار، ص٣٦٢. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٥٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٩٨. المقدسي، البدء، ج٦، ص٦٥. أبو الفداء، المختصر ج١، ق١، ص٢١٠. فلهوزن، تاريخ، ص٥١١. محمود، الشريف، العالم الإسلامي، ص٥٠.

(٣)- حول مقاومة ابن هبيرة للقوات العباسية ونهايته. البلاذري، أنساب، ج٤، ص١٩٥-١٩٦. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤١٠. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٠٦. فلهوزن، تاريخ، ص٥١٢-٥١٣.

(٤)- تفاصيل ذلك عند: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٢٠.

(٥)- تفاصيل ذلك: ابن خياط، تاريخ، ص٤٠٤. ابن قتيبة، المعارف، ج١، ص٣٧٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٥٣٧. فوزي، طبيعة، ص١٥٤. أبو حبيب، مروان بن محمد، ص١٦٥.

(٦)- ابن قتيبة، الإمامة، ج٢، ص٢٩٤. ابن عبد ربه، العقد، ج٤، ص٤٣٧.

(٧)- تفاصيل ذلك: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٢٥.

(٨)- ابن خياط، تاريخ، ص٣٩٩-٤٠١. المسعودي، التنبيه، ص٢٨٣.

وهكذا سقطت دولة بني أمية وقامت دولى بني العباس، ويتضح لنا من هذا العرض للأحداث منذ قيام العباسيين بالدعوة لأنفسهم مدى الدور الكبير الذي قام به الخراسانيون في نصرة الدعوة وفي إقامة الخلافة العباسية.

قام أبو مسلم بالدعوة في خراسان بحزم وعزم وكفاءة، حتى قويت شوكته، وضرب خصومه واحدا بآخر، وقضى عليهم واحد بعد الآخر، ومما ساعد أبا مسلم في نجاح أمره اشتعال نار العصبية في خراسان، واختلاف رأي الجماعة، والنزاع الحاد بين الوالي الأموي نصر بن سيار، وزعماء المعارضة هناك مثل الحارث بن سريج، وجديع الكرماني، وقد تحولت الدعوة العباسية إلى ثورة متأججة شملت كل أنحاء خراسان والعراق، وقد قضت على الدولة الأموية. وتولى بنو العباس الخلافة الإسلامية، ونجح بنو العباس فيما فشل بنو عمومتهم العلويون سنين طويلة وذلك بإعلان قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.

-كان أبو سلمة الخلال قد عمل على نقل الخلافة إلى الفرع العلوي من بني هاشم، فعلم الحسن بن قحطبة بمكان أبو العباس ومن معه، فأخرجهم من دار أبي سلمة وبايعه الناس في مسجد الكوفة. التنوخي، الفرج بعد الشدة، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج٤، ص٢٧٢-٢٧٤.

خاتمة

بعد هذا العرض لإقليم خراسان في العصر الأموي ودراسة هذا الإقليم بشكل عميق تم التوصل من خلال البحث والتقصي ومتابعة الأحداث إلى عدة استنتاجات وتساؤلات، وسيتم الإشارة في البداية إلى أنه عند دراسة إقليم خراسان في العصر الأموي لاسيما الفتوحات كان لا بد من الحديث عن نقطتين لا يمكن البدء بالحديث عن هذا إقليم دون التطرق لهما:

أولاً: أوضاع خراسان قبل الفتح الإسلامي لمعرفة الأوضاع التي كانت سائدة في الإمبراطورية الساسانية قبل الفتح الإسلامي من الناحية السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية، فقد تم التطرق إلى هذه الأوضاع بشكل مطول قليلاً قياساً لهذا البحث لكن في الوقت نفسه جاءت المعلومات قليلة قياساً لهذه الإمبراطورية الكبيرة والتي يتطلب الحديث عنها وقت كبير ومجلدات كثيرة، فهنا تم الوقوع في متاهات ومصاعب كثيرة حول هذا الموضوع لصعوبته وعدم التمكن من الإحاطة في جميع جوانبه، لذا فإن هناك الكثير من الأمور لم يتم التطرق إليها ولاسيما التوسع في المجالات العسكرية والجيش والمعارك التي حدثت ولاسيما مع البيزنطيين، وكذلك عند الحديث عن ملوك الدولة الساسانية فإنه من الصعب التطرق إليهم جميعاً فلذلك تم الحديث عن أهمهم وأكثرهم دوراً وأهمية في الحياة السياسية.

ثانياً: الفتوحات في العصر الراشدي وذلك إنه من غير الممكن الحديث عن الفتوحات في إقليم خراسان في العصر الأموي دون الحديث عنها في العصر الراشدي، وهنا تم الوقوع أيضاً في متاهات ومصاعب وتساؤلات كثيرة ولاسيما كيف يتم الحديث عن بداية هذه الفتوحات دون التطرق إلى العراق وإقليم فارس والأحداث التي مهدت لفتح خراسان، وإن التطرق لذلك يحتاج بذل جهد ووقت ومعلومات كثيرة لإيرادها تثقل هذا البحث، لذا تم الحديث بشكل مختصر عن هذه النقطة، كما إن هناك جوانب عدة تم الحديث عنها بشكل مختصر قدر الإمكان بحيث يتناسب مع البحث.

الغاية من توضيح ذلك ألا يتم الحكم على هذه الأمور بالتقصير أو قلة المعلومات أو السقوط في الهفوات من قبل المختصين في هذا المجال، لذا فإن بدا أي تقصير يكون السبب فيه ضيق مجال البحث وعدم إمكانية التوسع أكثر من ذلك، وطبيعة البحث تطلبت ذلك لأن التركيز سيتم على العصر الأموي موضوع البحث.

حيث تم الحديث في هذا البحث عن محورين متداخلين الأول عسكري أي عمليات القوات الإسلامية في صد الهجمات أو إخضاع إقليم خراسان، والثاني محور الإدارة وأسلوب معالجتها لدى الخلفاء الأمويين.

فإن الدارس لإقليم خراسان يخلص إلى أنه لم يكن هناك أيُّ استقرار في حدود هذا الإقليم بشكل واضح، فقد اختلف الجغرافيون العرب في تحديدهم لخراسان وهذا ما يرجح مقولة ياقوت الحموي بأن جميع البلاد التي

تقع ما وراء النهر هي مضمومة إلى أمير خراسان، وأن خراسان في الواقع إنما هي جميع البلدان التي تقع دون نهر جيحون، وقد ساعد في الوصول إلى هذه النتيجة دراسة التقسيمات الإدارية في العصرين الساساني والإسلامي، ومقارنة بما توصل إليه الجغرافيون، كما أن تقسيمات خراسان الإدارية كانت قد تغيرت من حقبة لأخرى وذلك لارتباط هذا الجانب بعمليات الفتوح، ونشاط ممالك ما وراء النهر.

وعندما بدأ الفتح الإسلامي لإقليم خراسان في عصر الخلفاء الراشدين اتجهت أنظارهم إلى منع أي هجوم محتمل على الدولة الإسلامية، ولقد أشارت المصادر التاريخية إلى حملات مبكرة لإقليم خراسان في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وذلك عندما أمر الأحنف بن قيس بالتوجه إلى خراسان، ففتح هراة ومرو وبلخ، وتتابعت الحملات في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ، ففي عام ٣١هـ/٦٥١م اتجه عبد الله بن عامر بن كريز لفتح نيسابور ففتحها، ولقد تم الفتح الإسلامي لإقليم خراسان في نهاية عهد عثمان بن عفان ﷺ، إلا أن هذا الفتح والسيطرة الإسلامية لم تكن ثابتة لاسيما بعد مقتل عثمان بن عفان ﷺ، وتولية علي بن أبي طالب ﷺ وما تبعه من انتفاضة أهل خراسان. كما إن المعارك التي خاضها المسلمون اشترك فيها الهياطلة إلى جانب السكان المحليين، وبعد خضوع خراسان الساسانية بدأ العرب يوجهون حملاتهم إلى أقاليم الهياطلة، فأخضعوا العديد من المدن مثل هراة وبوشنج وباذغيس ولكنهم عندما حاولوا التقدم شرق نهر المرغاب واجهوا مقاومة شديدة أدركوا إنهم يخوضون معارك مع حكام وربما مع أقوام يختلفون كلياً عن سكان المنطقة الغربية عن ذلك النهر، كما لمسوا أيضاً في معركة مرو الروذ ٣٢هـ/٦٥٢م إن هناك ارتباطا وربما تحالفاً بين القوات الطخارية التي قدمت من الصغانيان والفارياب الذين اشتركوا بالمعركة إلى جانب هياطلة باذغيس وهراة الذين حاربوا المسلمين بالأمس في قوهستان، وحاول الطخاريون والهياطلة في معركة فاصلة القضاء على العرب المسلمين ولكنهم هزموا بعد معركة مرو الروذ، وقد أخضعت الجوزجان بمدنها والفارياب والطالقان، ثم أخضعت بلخ، فما أن ظهرت حركة قارن التمردية حتى أزرته قوات من هياطلة باذغيس وهراة وبوشنج وقد تم القضاء على هذا التمرد.

بعد انتهاء الخلافة الراشدة وانتقال الحكم إلى معاوية بن أبي سفيان بدأ عهد جديد للسياسة الإسلامية في أراضي الفتح شرق الدولة الإسلامية وذلك بتولي زياد بن أبي سفيان إدارة البصرة والشرق الإسلامي فبدأت سلسلة من التحولات الإدارية والعسكرية تظهر في هذا الإقليم.

فمنذ أن تولى معاوية بن أبي سفيان الحكم عام ٤١هـ/٦٦١م استقرت الأوضاع وقويت الجبهة الإسلامية، وبدأ يوجه عناية خاصة لخراسان، ووضع خطة محكمة لضبط الأوضاع المضطربة هناك، وذلك بتثبيت أقدام المسلمين في المشرق والدفاع عن الحدود هناك. وأهم الأخطار التي ظهرت في عهده؛ الهياطلة وقد بدأ خطرهم منذ بداية عمليات الفتوح الإسلامية في خراسان في مناطق قوهستان ومدن وقرى كنج رستاق ومرو

الروذ وفي ثورة قارن المسلحة، وكذلك الطخاريون الذين قادوا حروباً شرسة ضد العرب، ففي مرو الروذ خاضوا معركة اشترك فيها طخاريو الصغانيان لهذا وضع معاوية بن أبي سفيان خطة اعتمدت على الأسس الآتية: تعيين ولاة على البصرة أكفاء لارتباطها المباشر مع خراسان، تثبيت الاتفاقات المعقودة بين قادة الفتح في خراسان والحكام المحليين، واختبار ولاة خراسان والقادة العسكريين من هم على مستوى المسؤولية، وتهجير القبائل العربية إلى خراسان ودفعها شرقاً إلى ما وراء نهر جيحون، وضرب الهياطلة والطخاريين وعبور نهر جيحون إلى الصغانيان لإظهار قوة المسلمين لتتخلى الصين عن دعمها للطخاريين وتنفيذاً لذلك فقد عين معاوية، زياد بن أبي سفيان عام ٤٥هـ/٦٦٥م والياً على البصرة وقد ضم إليه خراسان وسجستان.

وكان العصر الأموي عصراً عاصفاً في التغيرات والتوسعات، الأمر الذي أفرز أوضاعاً إدارية متنوعة مختلفة، ولم تعد سلطة الخليفة تغطي أنحاء الخلافة لذا بدأت المراكز السياسية الفرعية وتوابعها بالظهور كما هي الحال في مركز الفتوحات الشرقية. وبدأ التمثيل العربي يظهر في شخصية الولاة العرب، وبدأت عمليات إخضاع خراسان وسكانها إلى السلطة العربية الإسلامية، فضلاً عن عرض للفوضى القبلية التي سادت خراسان، بعد موت يزيد بن معاوية، وتم إخضاع خراسان بواسطة بني تميم، لاسيما في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٢هـ/٦٩١م، وظهرت علائم اندماج العرب المسلمين مع السكان في خراسان، ولكن هذا لا يعني الاستقرار التام للأوضاع فيها، بسبب انعكاس الأوضاع الداخلية في العالم الإسلامي على الوضع في خراسان، كما حدث عند ثورة عبد الله بن الزبير، إذ انقسم الكثيرون في خراسان بين مؤيد ومعارض، وعلى العموم فأن سياسة معاوية وعبد الملك بن مروان في أحكام السيطرة على خراسان كانت تحتاج إلى مدة طويلة، وليست على المدى القصير.

وتعد حقبة الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق حالة لها مميزاتها الخاصة في الإدارة والعمليات العسكرية إذ تمكن الحجاج من السيطرة على هذا الجزء في عهد عبد الملك بن مروان ٦٥- ٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م وأيام الوليد بن عبد الملك ٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥- ٧١٥م واتسمت فترته بالصرامة والعنف، واستطاع قمع كل المعارضين في العراق وفي خراسان باستخدام القوة، وفي كل هذه الأحوال كان الهياطلة والناقمون على العصر الأموي يشكلون تحالفات متعددة لمقاومة الحكم الأموي، ومن الهياطلة كان نيزك أمير باذغيس الهيطلي هو مركز هذه التحالفات .

وكان قتيبة بن مسلم الباهلي القائد العسكري الأكثر نجاحاً في ترتيب الأوضاع العسكرية والإدارية والمالية طيلة مدة وجوده في خراسان، وينتسب قتيبة بن مسلم الباهلي إلى مدرسة الحجاج بن يوسف الثقفي العسكرية، التي ترى أن استخدام القوة كفيل بالسيطرة على الأوضاع الداخلية والخارجية، وعليه فقد اعتمد الحجاج في اختياره لولاته على خراسان البراعة العسكرية والكفاية الحربية أولاً، فضلاً عن التفوق الإداري،

واتجه قتيبة للأعمال الحربية كما تم استعراضه ونجح في ذلك إلى حد بعيد، واتسمت عملياته العسكرية فيما وراء النهر بالاكتفاء بالغزوات من دون الاستيطان، وكان هذا سبب في انتفاضات مستمرة هناك، وسلك قتيبة سلوكاً عسكرياً جديداً يتمثل بتجنيده الموالي من غير المسلمين في أعماله العسكرية، وشكل قتيبة ذراعاً سياسياً وعسكرياً للحجاج بن يوسف، وبدأت أهدافها المشتركة تظهر للعيان، ثم عاد الى سياسة جديدة تمثلت في إضعاف سكان ما وراء النهر، وبدأ عمليات الاستيطان هناك.

هذا وحققت نجاحات قتيبة المستمرة نوعاً من الشعور بالاستقلالية العسكرية والسياسية حتى بعد موت الحجاج عام ٩٦هـ/٧١٤م، وإن الولاء القبلي لم يكن تاماً لقتيبة، وكان من بين القبائل من يطمع في إزاحته عن خراسان لطول مدة ولايته التي دامت عشر سنوات ٨٦هـ-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م، ودفعته هذه الروح الاستقلالية إلى التمرد على الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك، فاستفادت القبائل المناوئة له وقامت بقتله، ولا نستطيع تفسير أمر قتله لسبب شخصي كأن يقول وكيع التميمي قد قتله بسبب عزله، وإنما الأمر أكبر من ذلك، فمدرسة الحجاج العسكرية قد انتهت بمجيء سليمان بن عبد الملك، ولم يكن يروق لقتيبة أن ينتظر أمر عزله وهو القائد الذي أخضع خراسان عشر سنوات، ولكن موت قتيبة بن مسلم أثر في سير الأمور في خراسان بعد أن ثبت قواعد مهمة في إدارة خراسان، ومهد سليمان بن عبد الملك الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز الذي غيَّر الكثير من أساليب الإدارة المالية والإدارية والعسكرية نحو اللين والتخفيف. وهنا يرد تساؤل مهم كيف تم لعمر بن عبد العزيز خلال فترة خلافته التي لم تتجاوز السنتين أن يقوم بهذه الإصلاحات الكثيرة لدرجة تم وصف عهده بأنه أزهى عهود الدولة الأموية؟ هل كان لعمر بن عبد العزيز معرفة مسبقة عن أوضاع وأحوال خراسان من العاصمة دمشق؟ لربما يكون الجواب على ذلك بأن البريد وسرعته وتطوره في ذلك الوقت سبب في ذلك، أو أن الدولة الأموية قد احتفظت بأرشيف مفصلاً ودقيق بأحوال خراسان وماليتها مما أتاح له التعرف الدقيق على الأوضاع المالية والإدارية فيها.

وبانتقال الحكم إلى يزيد بن عبد الملك ١٠١- ١٠٥هـ/٧١٩- ٧٢٣م لوحظ تميز في عهد حكمه تمثل بتشديد قبضه الحكم المركزي على يد ولاته؛ وهم سعيد الحرشي ومسلم بن سعيد. وحاول الترك جمع قوتهم وتهيئتها للمقاومة، وخاض العرب المسلمون معركة لم يكسبوها ضد الترقش حدت من التوسع العربي الإسلامي هناك.

وفي عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ١٠٥هـ /٧٢٣م. عين خالد القسري على العراق، إذ كانت حركات الترك قد نشطت في بلاد الصغد، وجرت في عهد الخليفة هشام محاولات للتحالف مع الهياطلة ضد الترك لكنها فشلت. ثم حدثت تمردات أشهرها وأقواها هو تمرد الحارث بن سريج عام ١١٦هـ/٧٣٤م، وتحالفه مع الهياطلة في محاولة لصد العرب وإخراجهم من بلاد ما وراء النهر، وحقق الحارث انتصارات، حتى إنه

قرر مهاجمة مرو. وخذل الهياطلة الحارث بعدما شعروا إنه لن يستطيع مقاومة جيش الخلافة، مما دفع بالحارث لمحاولة الصلح، وتنوعت التحالفات بين الأمويين والهياطلة حسب ظروف المعارك التي تدور، وتعد معركة "خريستان" من المعارك الخطيرة، إذ اشترك فيها هياطلة الجوزجان إلى جانب العرب وأخذت مدن إقليم الجوزجان تندمج وبشكل نهائي مع الإدارة في الدولة العربية وكانت نقطة تحول بالنسبة للعرب للنصر الذي حققوه على خاقان الترك وهروبه مع الحارث بن سريح ومن ثم قتل الخاقان على يد أحد رجاله فدب الخلاف بين الأتراك. وبعد هذا لم يشكل الهياطلة خطراً على المسلمين، بل بالعكس، إذ انضموا إلى صفوف المقاتلين العرب، وذابوا في الإسلام وانتهى بذلك عهد التحالفات للهياطلة مع أية جهة تحقق مصالحهم.

هذا وقد حمل العرب المسلمون لواء الإسلام في قلوبهم قبل سيوفهم فخاضوا الصعاب وتحملوا الكثير في سبيل نشر الإسلام فلم تقف تلك الصعاب وغيرها عائقاً أمام مسؤوليتهم التي تشرفوا بها فحملوها أمانة صادقة إلى تلك المناطق البعيدة، وقاموا بعمليات فتوح كبرى لإقليم خراسان شارك بها مقاتلو الكوفة والبصرة. فبالرغم ما واجهه المسلمون من المقاومة المستمرة والصعاب التي اعترضتهم، والعراقيل التي وضعت في طريق انتشار الإسلام تمكنوا في باذغيس من فتح قلعتها، وفتح مدن الجوزجان، والمدن الأخرى التي تقع ضمن نفوذ الهياطلة ومنها هراة وبوشنج ودمجها مع دولة الإسلام وقد استوطنت القبائل العربية هذه المناطق في وقت مبكر، كما في مدينة هراة فذكر المؤرخون أن في هراة قوم من العرب وفي بوشنج عرب يسير، ولاسيما من بني تميم وبكر بن وائل. وقد أسهمت هذه القبائل بنشر الإسلام بين أهاليها. أما المناطق الجبلية في غورستان وغرجستان، التي تمتد من هراة إلى الباميان وكان يسكنها العناصر البدوية من الهياطلة، فقد أسلم قسم من سكانها، وبقي الكثير على ديانتهم، علماً بأن الإسلام كان يحيط بها من كل جانب، وأخذ الإسلام ينتشر بين سكان هذه المناطق وتلاشت أمامه كل المعتقدات الوثنية. أما مدن طخارستان، فقد كانت معبراً للقوات الإسلامية التي كانت تعمل على فتح بلاد ما وراء النهر، فقد سكنتها الأسر العربية ويقدر عددها بخمسين ألف عائلة مع ذراريهم وأقامت دون النهر، وكانت مدينة بلخ من المدن التي استقر بها العرب إذ كانت البروقان مركز استيطان العرب وولاتهم. ولم يستطيعوا السيطرة التامة عليها بالرغم من الجهود التي بذلوها، وذلك لكثرة الأمراء المحليين الذين وقفوا بوجه الفتح الإسلامي أضف إلى ذلك وعورة المنطقة دفعهم لنقل قواتهم العسكرية إلى داخل بلخ. فكان لاستقرار العرب أثره الكبير في انتشار الإسلام بين سكان هذه المناطق، لأن هذه القبائل العربية الإسلامية في إقامتها لشعائر الدين الإسلامي وانقطاع جماعة منها للدعوة إلى الإسلام، كان يترك دون شك أثراً بعيداً في تقبل الإسلام والانضمام إليه، وهذه القبائل لم تكن لتعيش في نطاق ضيق محصور، بل إنها كانت مناطق كثيرة ومتسعة، ولم يكن لها أن تعيش منعزلة بل أخذت تشارك في كل مظاهر الحياة، وألوان النشاط في إطار من سلوكها الإسلامي وإنها كانت عاملاً مكن من نجاح

الدعوة الإسلامية وانتشارها في تلك المناطق وأخذ سكانها يذوبون في الإسلام بمرور الزمن، وظهر منها علماء لهم مساهمات كبيرة في خدمة الإسلام .

ولم يتمكن العرب من توطيد فتوحاهم في هذا الجانب من الدولة الإسلامية إلا بعد أن تمت عملية الاستقرار والاستيطان العربي التي تعود إلى سنة ٤٥هـ/٦٦٥م عندما أسكن أمير بن أحمر اليشكري العرب في مدينة مرو، ثم تلاحقت بعد ذلك الهجرات العربية واستمرت حتى نهاية العصر الأموي، ومن أشهر القبائل العربية التي استوطنت خراسان قبائل تميم وسليم المضرية وخزاعة والأزد اليمانية وبكر بن وائل وعبد القيس من ربيعة. ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن الفتوح في الجانب الشرقي من دولة الخلافة الإسلامية كانت قد وقعت على كاهل أبناء القبائل العربية الذين استوطنوا خراسان، كما كان لهم دور بارز في تثبيت قواعد الحكم الأموي، وانقسمت هذه القبائل إلى ثلاث مجموعات رئيسة هي: القبائل المضرية واليمانية والربعية، التي لم تلبث أن نشبت بينها العديد من الخلافات والصراعات منها تلك الحروب التي وقعت بين القبائل المضرية من جهة والقبائل الربعية واليمانية من جهة أخرى، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد انقسمت القبائل المضرية على نفسها، كما ظهرت في خراسان العديد من حركات المعارضة وأهمها حركتا الحارث بن سريج وجديع الكرماني.

وتعود العصبية القبلية وحركات المعارضة التي شهدتها خراسان إبان الحكم الأموي إلى عدة أسباب كان أهمها: تعصب بعض أمراء خراسان إلى قبائلهم، بالإضافة إلى التنافس الذي كان ينشأ بين القبائل العربية للسيطرة على خراسان، كما كان التنافس على الرئاسة بين زعماء القبائل من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث الخلافات بين أفراد القبيلة الواحدة، ويُعدّ الجانب الاقتصادي من أهم العوامل، فقد حرصت كل قبيلة على الحصول على أكبر قدر من المكاسب من أرض خراسان.

وتمخضت عن العصبية القبلية وحركات المعارضة في خراسان نتائج عدة، كان أهمها: تلك الأعداد الكبيرة من القتلى خلال المعارك التي نشبت بين العرب هناك، كما استغل الأتراك فيما وراء النهر مدد الخلاف هذه فقاموا بمهاجمة خراسان، كما كان لهذه الحروب الدور الكبير في إعطاء الفرصة لرجال الدعوة العباسية لنشر مبادئها وإنجاحها وبالتالي القضاء على الحكم الأموي، ولم يتوقف دور عرب خراسان عند هذا الحد، فقد كان لهم نشاط بارز في الدعوة العباسية، إذ إنهم انضموا إليها منذ فترة مبكرة فكانت نسبتهم في مجالس الدعوة تزيد عن النصف بكثير، ومما يؤكد ذلك حرص أبي مسلم على استقطاب القبائل اليمانية والربعية إلى الدعوة بالإضافة إلى القبائل المضرية.

كما شغل إقليم خراسان دوراً هاماً في إنجاح الدعوة العباسية، حيث كان مقر هذه الدعوة حينما زادت أعداد الناقمين على الدولة الأموية في خراسان وغيرها، فقد اشتعلت في الوقت نفسه نيران العصبية القبلية

التي استغلها دعاة بني العباس في خراسان بذكاء نادر، فسقطت الخلافة الأموية عام ١٣٢هـ/٧٤٩م بعد أن أصبحت غير قادرة على مواجهة الزحف القادم من شرق الدولة بقيادة أبي مسلم معلناً الولاء لبني العباس.

ويظهر من استعراض تاريخ خراسان أن أول استقرار نسبي شهدته خراسان كان في أوائل حكم نصر ابن سيار فقد عمرت خراسان في ابتداء إمارته عمارة لم تعمر قبل ذلك في أيام من سبقوه من العمال وقد وضع نصر الخراج عن الناس وأحسن الولاية والجباية، ومع ذلك لم يخلُ حكمه من قسوة فقد غزا ما وراء النهر وأسر كورصول وقتله ثم صب النفط عليه وأحرقه. نصر هذا القائد الذي احتلَّ في تاريخ النضال الإسلامي مكانةً لا تقلّ عن مكانة قتيبة، فهو الذي حمى خراسان وما وراء النهر من الأتراك الشرقيين، وصار تراث العرب في هذه البلاد.هذا وكان فتح خراسان وما وراء النهر وإسلام أهلها انتصارا عظيم للعرب المسلمين فقد تمكنوا من إقامة دولة الإسلام بعد أن أجهزوا على لديانات الوثنية وغرسوا مكانها تعاليم الإسلام.إنه انتصار لجيوش الإسلامية التي قضت على الشرك وأقبلت تلك الأقوام على الإسلام أفواجاً إذ وجدوا في تعاليمه الحرية والإخاء والمساواة والتعاون، بعد أن تبين لهم أن المسلمين لم يفتحوا بلادهم للسلب والنهب بل لنشر رسالة التوحيد وإقامة العدل وقد بدأت العلاقات تتوثق بين هذه الشعوب وبين العرب المسلمين وأصبح لشعوب هذه البلاد شأن عظيم لاسيما في مضمار العلم مثل نيسابور ومرو وبلخ، أما من حيث إمارتها فتارة تلحق بأمير البصرة وتارة أخرى تلحق بإمارة العراق وكذلك في فترات تستقل عن العراق والبصرة وترتبط مباشرة بالخليفة، وكثيراً ما كان ولاة خراسان هم قادة الفتوحات الإسلامية في المشرق التي تهدف إلى نشر الدين الإسلامي، كذلك يقوم الولاة بجمع أموال الخراج وتقديمها للخليفة، لقد تميز خلفاء بني أمية بحسن اختيار الولاة والعمال الذين عرفوا بالحنكة والحزم والقوة، فكانوا درعاً حصيناً للدولة وخاصة العراق وخراسان حيث كانتا مركزاً للثورات والاضطراب فكانت مصدر خوف يهدد الخلافة الأموية وكما تميز خلفاء بني أمية بمتابعة أخبار أولئك الولاة ولعمال أول بأول وهذا يدل على أهمية ذلك الإقليم لديهم.

ومما يؤلم في مضمار هذا الأمر هو قتل بعض القادة والولاة لأبسط الأمور وأدناها والتشهير بهم. كما شغل إقليم خراسان الدولة الأموية كثيراً، وكان عامل قلق واضطراب، ومأوى المعارضين للدولة الأموية الراغبين في زوالها وإنهاء الحكم الأموي فيها، ويمكننا تقسيم تلك المعارضة إلى الفرس الذين زالت دولتهم العظمى من الوجود، والترك الطامعين في إقامة حكمهم وإنشاء دولة لهم والثالث والأشد وطأة على الأمويين والذي تمثل بآل البيت (بني علي وبني العباس) وكذلك بني الزبير وقد انتهى هذا الصراع بانتصار بني العباس.

وعلى الرغم مما وقع بين المسلمين من وقائع على أساس مذهبي وقبلي، فإن القرآن الكريم أشار إلى ما وقع بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وقد سماهم بالمؤمنين فلم يخرجهم عن وصف الإيمان، قال

تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما"[(١)]، وقد نهى القرآن الكريم المسلمين الخوض في ذلك، قال تعالى: "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون"[(٢)] والحكمة من ذلك لكي نجنب الأمة ما يثير من فتنة بين المسلمين وحقن دمائهم.

ولابد لنا من إنصاف الأمويين فعلى الرغم من تلك الاصطدامات المسلحة لم يشغلهم عن مهمة مواصلة نشر الإسلام في أرجاء الأرض فعلى الرغم من الثورات والأحداث الداخلية الجسام وكان عهدهم امتداد للعهد الراشدي في الفتوحات ونشر الإسلام وما شيده من عمران حضاري كان حجر الأساس لحضارة بني العباس.

لقد كانت خراسان مركز المشرق الإسلامي فهي بحق مركز علم ودعوة ومركز للفتوحات صوب الصين والهند واتضح ذلك في مواطن كثيرة في هذا البحث.

وكذلك من أسباب الأضطرابات أن العرب المسلمين الفاتحين الذين استوطنوا في خراسان وغيرها من الأقاليم لم يتفاعلوا مع غيرهم من المسلمين من غير العرب بل الأكثر من ذلك أن الذين استوطنوا من العرب ثم وفق المعيار القبلي فكل قبيلة يخصص لها حيَّ تنفرد به دون غيرها من قبائل العرب فكان ذلك مدعاة للتفاخر والتناحر فيما بينهم وعلى الأغلب يؤدي إلى اصطدام مسلح.

وبعد هذا العرض لحركة الفتوح الشرقية، نجد أنها قد اتسمت بعدم الاستقرار، ويعود ذلك إلى أن سكان هذه المناطق ليسوا من العرب كما في الشام ومصر والعراق. وإنما اقتصر تواجد العرب فيها على مراكز الأقاليم والمدن الرئيسية. كما أن انتشار الإسلام بين سكان تلك البلاد بدا ضعيفاً في بداية الأمر ولم يدخل أهل ما وراء النهر في الإسلام إلا في ولاية أشرس بن عبد الله السلمي ـ سنة ١١٠هـ/٧٢٨م ـ أي في نهاية العصر الأموي. بالإضافة إلى سوء معاملة أمراء خراسان للسكان، لاسيما في أثناء عملية جمع الضرائب منهم.

هذا ويخرج الدارس لفصول هذا البحث بمجموعة من الاستنتاجات تعكس واقع إقليم خراسان الجغرافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي في العصر الأموي، وما وقع فيه من معارضات أدت إلى نجاح الدعوة العباسية فيه، وتتمثل في النقاط التالية:

لم تلقَ القوات الإسلامية التي شاركت في فتح خراسان مقاومة حقيقية من قبل سكانها من الطبقات الدنيا الذين تنفسوا الصعداء للفتح الإسلامي، بل عدّوا ذلك تحريراً من الظلم الساساني لهم، على عكس الطبقات الأرستقراطية، وعلى رأسها الملك يزدجرد الثالث فقد واجهت الفاتحين، وكان يزدجر الثالث في سنواته الأخيرة مطارداً فحاول محاولة أخيرة في جمع جيشاً من أجزاء المملكة المتداعية فأشتبك مع العرب المسلمين في

(١)- الحجرات آية ٩.

(٢)- سورة البقرة الآية ١٣٤.

معركة نهاوند وقتل قائده في المعركة، وبهذا يكون يزدجرد فقد جيشاً كاملاً وترك الإدارة للمرازبة الذين أصبحوا ولاة محليين، وبدأت حالة التراجع ليزدجرد والتداعي فبدأ بالتفكير للبحث عن ملاذ له يجعل منه مستقراً ، فأختار إصطخر فتركها ولم يبق له من لقب الملك إلا الاسم وأصبح الهرب صفة ملازمة له، وكان يبحث عمن يدافع عنه ويستعيد له ملكه الزائل إلى أن قتل، وبمقتله تم القضاء نهائياً على الكيان السياسي للدولة الفارسية في خلافة عثمان بن عفانﷺ. هذا وإن الفتح الإسلامي لخراسان لم يتمَّ دُفْعة وواحدة بل تم عبر مراحل شملت عهوداً كثيرة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ واستمراراً بعهد الخليفة عثمان ومعاوية بن أبي سفيان والكثير من الخلفاء الأمويين بعده وذلك لأن بعض مناطق الإقليم ولاسيما الشرقية منها ظلَّ مَرازِبانُتُّها الذين أبقتهم الدولة الأموية في وظائفهم التي كانوا يستغلونها أيام الدولة الساسانية، على أساس الاعتراف بوالي خراسان، يتمردون كلما وجدوا الفرصة سانحة لذلك.

لم تعرف خراسان استقراراً واضحاً منذ بداية الفتوحات الإسلامية لها إلى نهاية القرن الهجري الأول وذلك لعدة أسباب منها كثرة نقض المرازبة للصلح الذي كان يعقد فيما بينهم وبين الولاة الفاتحين ولاسيما منطقة طخارستان التي لم يثبت الحكم الأموي فيها وبلخ والجوزجان وباذغيس. وكون خراسان منطقة ثغرية جعلت ولّاتها يصبون اهتمامهم الكامل في طرد الأعداء الأتراك عنها بفتح إقليم ما وراء النهر الذي كان تحت إشرافهم والذي لم تَثْبت مدنه أبداً على صلح مما جعل هؤلاء الولاة يعيدون فتحها في كل سنة مرة على الأقل فأعطت هذه الفتوحات للتاريخ الخراساني في هذه العهود الصبغة العسكرية الواضحة، وإن كان ولّاة بني أمية في خراسان في القرن الأول الهجري ٤١-٩٩هـ/٦٦١-٧١٨م قد تمكنوا من حلّ مشاكل الإقليم، فإن الولاة الأمويين في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري ولاسيما المتأخرين منهم، لم يتمكنوا من ذلك برغم حنكتهم ومحاولاتهم الجادة وذلك لأن مشاكل الإقليم لم تعد بسيطة كتلك البساطة التي كانت عليها في القرن الأول الهجري، بل أصبح مجمعاً للمعارضين وأرضاً خصبة لأصحاب الدعاوى وملتقى الثورات الناتجة عن العصبية القبلية، فقد أصبحت الأوضاع تنذر بسقوط الدولة الأموية وذلك لكثرة العصبيات القبلية والمعارضات المذهبية بين عرب خراسان التي وإن كانت قد بدأت بسيطة فقد تفاقمت أخطارها كلما اقتربنا من تاريخ الدعوة العباسية في الإقليم.

إن العرب ورثوا نظاماً إدارياً في خراسان مكنهم من توحيد خراسان ثم إدارتها إدارة ناجحة استوعبت كل متطلبات الحياة، ودحضت هذه الدراسة أيضاً الفكرة الشائعة التي تؤكد إن همَّ الدولة العربية من الفتوح كان جمع الضرائب بأي صورة كانت، فقد أثبتت هذه الدراسة خطأ هذا الرأي وعدم موضوعيته ولم يكن سوى بقايا فكرة الحركات الفارسية القديمة التي زاحمها الإسلام، وأشارت الدراسة إلى أن الأمويين قد أجروا تغييرات جوهرية على النظام الإداري الذي ساد في العصر الراشدي، لاتساع حركة الفتوح، وازدياد أعداد الداخلين في

الدين الإسلامي، ورغبتهم في إعطاء نظامهم الإداري بعداً جديداً، يعطي العرب تميزاً في دورهم السياسي والإداري على حد سواء، ونلاحظ هنا إن الأمويين كانوا يهتمون اهتماما كبيراً باختيار ولاتهم على خراسان وفق شروط محددة مكتوبة، وكان للخليفة رأي مباشر بذلك وهي: القرابة والعلاقات الاجتماعية التي تربط الخلفاء بالولاة والعمال كما لعبت المصاهرة والشرف الاجتماعي والكفاية والشجاعة دوراً مهماً في ذلك، وبينت أن سياسة الولاة والعمال لم تصبُّ في مصلحة السكان والدولة وأولوياتها السياسية والاقتصادية، لذا فقد اتسمت سياستهم بالقسوة بهدف الحصول على مستحقات الدولة المالية بغض النظر عن إمكانات السكان وقدراتهم، ويمكن عدّ هذه السياسة من أهم الأمور التي تشير إلى بعض المآخذ على سياسة الولاة والعمال الإدارية، ويلاحظ ذلك من خلال الشكاوى التي بعثها الناس إلى الخلفاء، يستنكرون فيها أعمال ولاتهم وعمالهم.

لم تختلف سياسة آل أمية المالية عن سياسة الخلفاء الراشدين وإن كانت هناك بعض الزيادات في الضرائب، شرّعها الفقهاء، كما لم تكن هناك سياسة مالية أموية خاصة بإقليم خراسان، كما أشيع، تُبقي الجزية على من أسلم ولا تفرق بين الجزية والخراج. مع العلم أن النظام المالي للدولة الأموية في كل ولاياتها كان موحداً، اتبعته –فيما بعد– الدولة العباسية. كما أنه لم تكن هناك سياسة أموية تهدف إلى احتقار الموالي الفرس وإبعادهم عن الوظائف السامية في الدولة، بل بالعكس، فقد احتكروا الوظائف المالية والكتابة – بخاصة– وتخصصوا فيها، فكيف، إذن ، يبعدون الموالي الفرس –المسلمين– في الوقت الذي كانوا فيه يقربون أصحاب الكفايات من أهل الذمة؟

وأبرز النتائج التي تمخض عنها البحث ألا وهي أن الموالي بصفة عامة، والموالي الخراسانيين بصفة خاصة كانوا يتمسكون بأحبال أية حركة مناوئة للخلافة الأموية، كما أن الحركات الثورية في خراسان، مثل حركة الحارث بن سريج، كانت تعتمد على هؤلاء الموالي الساخطين على حكم بني أمية، والذين كانوا يتطلعون إلى تحقيق مساواتهم مع العرب في الحقوق كافة، وفي الوقت نفسه فقد لعبت العصبية القبلية في خراسان بين العرب اليمانية والعرب المضرية دوراً هاماً في نجاح الدعوة العباسية في خراسان. فقد كانت خراسان أرضاً خصبة للدعوة العباسية، وكيف كان الخراسانيون مهيئين للقيام بالثورة على الأمويين، هذا ويتضح من الدور الذي قام به الدعاة في نشر الدعوة العباسية في خراسان، ثم في الدور الذي قام به الخراسانيون بقيادة أبي مسلم الخراساني الذي قاد الثورة العباسية منذ عام ١٢٩هـ/٧٤٧م، حيث حقق إنجازات كبيرة للدولة العباسية وذلك بالقضاء على نصر بن سيار آخر والٍ على خراسان من قبل الأمويين، كما تمكن من السيطرة على مرو، ثم مطاردة الخراسانيين القوات الأموية عبر فارس وفي العراق حتى قامت الخلافة

العباسية بمبايعة عبد الله بن العباس بالخلافة في مسجد الكوفة في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م وأخيراً في المشاركة في تحقيق النصر على الخليفة الأموي مروان بن محمد في موقعة نهر الزاب ١٣٢هـ/٧٥٠م.

أما الاعتقاد السائد -لدى الكثير من المؤرخين- بأن نجاح الدعوة العباسية يعود إلى عبقرية أبي مسلم الخراساني فإنه اعتقاد أثبت التحليل التاريخي عكسه، وذلك لأن دعاة العباسيين الذين سبقوه في الدعوة كانوا قد غرسوا غرساً وكادوا أن يقطفوا ثماره، وجاء أبو مسلم إلى خراسان، بعد أن كانت الدعوة قد قضت أكثر من سبع وعشرين سنة في الإقليم ثبتت فيه ووصلت إلى الجهر بعد السرية.

وأخيراً أرجو أن أكون قد وُفقت في هذا البحث المتواضع، وإزاحة بعض الغبار عن حقائق في تاريخنا.

الملاحق

أولاً: الأعلام

ثانياً: الأمكان

ثالثاً: المصطلحات

أولاً: الأعلام

* **إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي:** أبو إسحاق، وأبوه أدهم بن منصور إمام زاهد التقى ببعض الصحابة وروى عنهم، ويروى عن إبراهيم قصصاً كثيرة في الزهد ويذكر أنه كان متمكناً من الفصحى لا ينطق إلا بها، توفى في صور. البستي، مشاهير، ص٢١٤. ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٤٩٤. حسن، حسين: أعلام تميم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٩-٤٠.

* **إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس:** أرفع إخوته مكانةً، تقياً ورعاً عهد إليه أبوه بالإمامة فسعى في بعث الدعوة ونشرها وجد في تقويتها وترسيخها حتى استطاعت أن ترى النور عام ١٢٩هـ/٧٤٧م، قتل في سجنه عام ١٣٢هـ/٧٥٠م. الجاحظ، البيان، ج١، ص٨٥. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٧٦. الآزدي، تاريخ الموصل، ص١٢٢.

* **أردوان** (أرطبان الخامس): هو آخر ملوك الدولة الفرثية أو الأشكانية حكم بين عامي ٢١٧-٢٢٤م وقتل على يد أردشير الساساني. بيرنيا، تاريخ إيران، ص٢٠٧.

* **أبو الأعور السلمي:** هو عمرو بن سفيان من بني ثعلبة بن بُهثة بن سليم. المنقري، وقعة صفين، ص٢٠١.

* **الأقرع بن حابس التميمي:** وفد على رسول الله ﷺ وشهد فتح مكة وحنين والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، شهد حرب اليمامة مع خالد بن الوليد، وشهد مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل، وشهد مع خالد حرب أهل العراق وفتح الأنبار، واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان بن عفانﷺ، ولكنه تغلب على العدو في النهاية، واسمه الأصلي: فراس، وإنما قيل له: الأقرع، لقرع كان برأسه، ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٢٧. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بيروت، ط١، دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١، ص١٠٣. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص١٠٧.

* **أفرودين** خامس ملوك الطبقة الفشدادية. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ٦٣.

***أنس بن هلال النمري:** كان ممن أمد به عمر بن الخطاب ﷺ المثنى بن حارثة الشيباني في فتوح العراق، واستشهد مع أخيه مسعود بن حارثة. الطبري، تاريخ، ج٣، ص٤٦٤-٤٦٧. الإصابة (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الإصابة في تمبيز الصحابة، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، د.ت، ج١، ص ٤١٥.

***أوس بن ثعلبة بن رقي:** بن زفر بن الحارث ابن أوس بن وديعة بن مالك بن تيم اله بن ثعلبة، نسبه أبو القاسم الزجاجي، شاعر مخضرم ورد مع سعيد بن عثمان خراسان، ثم وجهه سعيد إلى هراة. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٤٠٥. ابن الأثير، أسد الغابة، ج١، ص١٦٦. العسقلاني، الإصابة، ج١، ص٢٨٨-٢٨٩.

* **باذان:** هو آخر والٍ فارسي على اليمن، ولّاه الملك كسرى عليها، وارتبط اسمه بظهور الدعوة الإسلامية ذلك لأنه أسلم بعد أن تحقق من نبوة محمد ﷺ وهو من أقارب مرزبان مرو الروذ. البلاذري، فتوح، ص٥٧١. عطية الله، القاموس، ج١، ص٢٤٩.

***بُريدة بن الحُصيب ت٦٣هـ/٦٨٣م:** بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجراً بالغميم، وسكن البصرة لما فتحت. غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة. غزا خراسان في زمن عثمان ﷺ، ثم تحول إلى مرو، فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية. ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٧٠. العسقلاني، الإصابة، ج١، ص٥٣٣-٥٣٤.

***بشر بن جُرْمُوز الضبي ت١٢٨هـ/٧٤٦م:** أحد الأشراف الشجعان، خرج مع الضحاك بن قيس، خالعاً طاعة بني أمية بخراسان، وقاتل معه، ثم اعتزله في خمسة آلاف وعاد إليه بعد ذلك، فلم يزل معه إلى أن قتلا في وقعة واحدة على أبواب مرو. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٢٩. الزركلي (خير الدين): الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، الأعلام، ح٢، ص٥٤.

* **ثابت قطنة:** وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من الأزد، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك، وقيل هو مولى لهم، ولقب قطنة لأن سهماً أصاب إحدى عينيه فذهب بها فكان يحشوها قطنة. من شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني، شهد الوقائع في خراسان سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. البغدادي، خزانة الأدب، ج٩، ص٥٧٩. الأعلام، الزركلي، ج٢، ص ٩٨.

* **جديع الكرماني:** هو جديع بن علي الأزدي الكرماني، من أعيان خراسان، ولد بكرمان فنسب إليها، اتصلت سيرته بإمارة نصر بن سيار على خراسان الذي أثار الأزد بحسبه جديعاً لكن جديعاً جمع عليه قومه وتملك جرجان ومرو غير أن نجاحه لم يدم طويلاً إذ إنه قتل عام ١٢٩هـ/٧٤٧م. عطية الله، القاموس الإسلامي، ج١، ص٥٨٧.

* **جعدة بن هبيرة** بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي، أمَّه أم هانئ بنت أبي طالب. البلاذري، فتوح، ص٥٧٥.

* **الحارث بن عبد الله المخزومي:** يعرف بـ "القُباع" وهو أخو الشاعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وكان خطيباً من وجوه قريش ورجالهم. ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٧٨.

* **حارثة بن النعمان** بن عبيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم، أمه جعدة بنت عبيد، شهد بدراً وأحداً والخندق وهو من المئة الصابرة. ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص٤٨٧.

***حارثة بن بدر بن حُصَيْن التميمي ت٦٤هـ/٦٨٤م:** تابعي، من أهل البصرة. وقيل أدرك النبي ﷺ له أخبار في الفتوح، وأخبار مع زياد وغيره في دولة معاوية وولده. وأُمر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز) فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣، ص٤٣٠. العسقلاني، الإصابة، ج١، ص٣٧١. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص١٥٨.

* **الحريش بن هلال القريعي:** من بني أنف الناقة من بني عوف بن سعد بن تميم، شاعر وفارس رهيب، مات في سفوان في العراق أثناء فتنة ابن الأشعث. ابن حزم، جمهرة، ص٢١٩. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٣٩١.

* **حسكة بن عتاب** الحيطي ينسبون إلى حبطان من عمرو من تميم. المبرد، نسب عدنان وقحطان، تصحيح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف، الهند، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م، ص١٥. السيوطي، لب اللباب، ص٧٥.

* **حفص بن سليمان = أبو سلمة الخلال**

***الحكم بن الصلت:** بن مخزمة بن المطلب بن عبد مناف، وقيل حكيم وقيل الصلت بن حكيم. كان من رجال قريش. شهد خيبر، واستخلفه محمد بن أبي حذيفة على مصر لما خرج إلى العريش. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج١، ص٣٥٦. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٢، ص٣٦. العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٥٩١.

* **الحكم بن عمرو الغافري ت٥٠هـ/٦٧٠م:** هو الحكم بن عمرو بن مجدع بن حذيم بن الحارث بن نعيلة بن مليك بن ضهرة بن بكرة بن عبد مناة، صحب الرسول ﷺ حتى وفاته ثم توجه إلى البصرة فنزلها، فولَّاه زياد بن أبي سفيان خراسان، وتوفي بمرو. الذهبي، تاريخ الإسلام،ج٤، ص٤١. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٦٧.

* **حُكيم بن جَبَلَة بن حصين** من بني غنم بن وديعة بن لُكيز: حُكيم وقيل حَكيم، شجاع، ثائر، وابنه أبو بكر من الرواة العلماء. ابن حزم، جمهرة، ص٢٩٥.

* **حميد بن قحطبة:** قائد عسكري للأوائل من بني العباس، وكان والي خراسان وإقامته في طوس. الكرديزي، زين الأخبار، ص١٥٥.

* **حوثرة بن سهيل الباهلي ت ١٣٢هـ/٧٤٩م:** أصله من قنسرين وولي مصر سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م لمروان بن محمد إثر فتنة قامت بها، فجاءها وقتل كثيراً من الزعماء والرؤساء بتهمة الاشتراك فيها، فلم يرض مروان عن عمله، فصرفه سنة ١٣١هـ/٧٤٨م ووجهه إلى العراق مدداً ليزيد بن عمر بن هبيرة، فجعله يزيد على مقدمة جيشه، ثم استسلم مع ابن هبيرة فقتلهما أبو العباس السفاح. الزركلي، الأعلام، ج٢، ص ٣٢٦.

* **حيَّان النبطي:** زعيم جيش الموالي في خراسان الذي كان عدده سبعة آلاف مجاهد، وهو من الدَّيْلم، وقيل من خراسان، إنما قيل له نبطي لكُنيته. الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٠٨. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٥.

* **ربعي بن عامر التميمي:** صحابي جليل كان عمر بن الخطاب ﷺ أمد به المثنى بن حارثة الشيباني، وكان من أشراف العرب، شهد نهاوند. العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص١٩٤.

* **الربيع بن زياد بن أنس الحارثي ت٥٣هـ/٦٧٣م:** أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، كان على البحرين في خلافة عمر ﷺ ثم ولاه عبد الله بن عامر على سجستان في عام ٢٩هـ/٦٤٩م، ثم ولاه زياد على خراسان توفى في سنة ٥٣هـ/٦٧٣م. ابن خياط، طبقات، ص٤٧٩. البخاري، التاريخ، ج٢، ص٢٦٨. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤١.

***زفر بن الحارث بن عبد عمر بن معاذ الكلابي ت٧٥هـ/٦٩٥م:** أبو الهذيل، أمير من التابعين، شهد صفين مع معاوية، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري، وقتل الضحاك، فهرب زفر إلى قرقيسيا ولم يزل متحصناً فيها حتى مات في خلافة عبد الملك. البغدادي، خزانة، ج١، ص٣٩٣. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٤٥.

***زيد بن الحواري:** يقال إنه مولى زياد بن أبيه، وفد على سليمان بن عبد الملك، وشهد وفاته بمرج دابق، وكان قاضياً بهراة في ولاية قتيبة بن مسلم. ابن عساكر، ج١٩، ص ٣٨٢ وما بعدها. العسقلاني، تهذيب التهذيب، تح:

إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢، ص٢٣٨. الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: محمد رضوان عرقسوسي، دار الرسالة العالمية، ط١، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٢، ص١٠٢.

* **زيد بن علي:** أسس المذهب مذهب والاعتقاد اقتبس ذلك من أستاذه واصل بن عطاء رأس المعتزلة. الكتبي، فوات الوفيات، ج٢، ص٣٥. طلس، تاريخ العرب، ج١، ص١٥٤.

* **سابور الأول** هو ابن أردشير تولّى الحكم في عام ٢٤١م، هو ووالده الذي جعلا من الأسرة الساسانية عظيمة في نظر العالم ووضعا دعائم راسخة للدولة الساسانية، وتوفى في عام ٢٧١م. بيرينا، تاريخ، ص٢٢٩.

* **سابور الثاني:** سابور ذو الأكتاف ويلقب بشابور العظيم، ثاني ملوك الساسانيين الفرس المتوفى في عام ٣٧٩م. الطبري، تاريخ، ج٢، ص٥٨. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٥٤. لسترنج، بلدان، ص٤٢٤. بيرينا، تاريخ، ص٣٥٠.

* **سعيد بن العاص** بن أمية الأموي القرشي ولد في ٣هـ/٦٢٤م، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين ولّاه عثمان على الكوفة وولّاه معاوية المدينة، فتح طبارستان وتوفي في ٥٩هـ/٦٧٩م. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٤٩.

* **سعيد بن عبد العزيز** بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. ابن الكلبي، جمهرة، ج١، ص٤١. الطبري، تاريخ، ج ٨، ص١٦٠. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٩٠.

* **سعيد بن عمرو الحرشي ت بعد ١١٢هـ/٧٣٠م:** قائد من الولاة الشجعان من أهل الشام، ولَّاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣هـ/٧٢١م، وولاه هشام غزو الترك سنة ١١٢هـ/٧٣٠م فأصاب منهم جموعا وأنقذ أسرى المسلمين من أيديهم. الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٦٨. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٠٣. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٥٢.

* **أبو سلمة الخلال (ت١٣٢هـ/٧٥٠م):** كبير دعاة الكوفة، تسلم هذا المنصب بعد موت بكير بن ماهان سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م، وقد أطلق عليه فيما بعد وزير آل محمد، قتل في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م من قبل العباسيين نتيجة ميوله العلوية. ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٣١٢. ابن خلكان، ج٢، ص١٩٥. أبن طباطبا، الفخري، ص١٢٣.

* **سليمان بن كثير الخزاعي:** كبير الدعاة في خراسان ونقيبهم حتى عام ١٢٧هـ/٧٤٥م، وله الفضل الأكبر في نشر الدعوة العباسية في خراسان، قتل على يد أبي مسلم لأنه كان يود أن تكون الخلافة من نصيب العلويين، وقيل إن أبا مسلم كان ينتظر سليمان بن كثير في خطأ كهذا نتيجة حقده عليه. مجهول، أخبار، ص٢٧١. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٣٦. ابن العماد، شذرات، ج١، ص١٩٠.

سورة بن الحر الدارامي التميمي ت١١٢هـ/٧٣٠م: أمير سمرقند وأحد رؤوس تميم، انتدبه الجنيد لنجدته وهو يقاتل الترك، فجاءه من سمرقند باثني عشر ألفاً، فاعترضه الترك، فقاتلهم حتى كشفهم، وكانوا قد أوقدوا ناراً خلفهم، فلما أغار سورة وأصحابه سقطوا في اللهيب، فقتل مع أكثرهم. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٧٦-٧٧.

* **سويد بن مقرّن المُزني، أبو عائد:** شهد فتح العراق، وحضر القادسية والمدائن، قاتل تحت لواء أخيه النعمان في نهاوند، وتحت لواء أخيه نعيم في الري وهمدان ثم قاد فتح طبرستان وجرجان، وسكن الكوفة ومات فيها. ابن سعد، طبقات، ج٦، ص٢٠. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٦٨٠. ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٣٠.

* **شيبان بن سلمة السدوسي الحروري،** أحد زعماء الخوارج الحرورية من الثعالبة وإليه تنسب فرقة الشبانية، عاصر نهاية الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ويعتبر أول من قال بالتشبيه أي تشبيه الله بخلقه لهذا كفره الخوارج من الزيانية وغيرهم، قتل في عام ١٣٠هـ/٧٤٨م على أبواب سرخس وهو يقاتل ضد الجيش الذي أرسله أبو مسلم بعد أن امتنع عن بيعة العباسيين وادعى البيعة لنفسه. عطية الله، القاموس، ج٤، ص١٩٠.

***صلة بن أشيم:** أبو الصهباء العدوي، تابعي مشهور، ذكره البخاري في التابعين. قتل في أول ولاية الحجاج على العراق سنة ٧٥هـ/٦٩٤م. وقيل في خلافة يزيد بن معاوية. ابن سعد، طبقات، ج٧، ص١٣٤. البخاري، التاريخ الكبير، ج٤، ص٣٢١. ابن حبان، كتاب الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر أباد الدكن- الهند، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ج٤، ص٣٨٣. العسقلاني، الإصابة، ج٥، ص٣١٢-٣١٣.

* **أبو الصيداء:** هو صالح بن طريف الظبي، من موالي بني ضبة بخراسان. الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٣٤. فلهوزن، تاريخ، ص٤٢٧. عطية الله، القاموس، ج٤، ص٢٧٧.

* **الضَّحَّاك بن مُزاحِم ت١٠٥هـ/٧٢٣م:** الهلاليُّ البلخي الخراساني أبو القاسم، مُفسر من معلمي الصبيان، عده البستي من أتباع التابعين وأنكر أن يكون سمع من ابن عباس أو أحد من الصحابة، مات بخراسان. مشاهير علماء، ص٢٢٧. المزي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف ت٧٤٢هـ/١٣٤٣م): تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال، تح: بشار عوَّاد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١٣، ص٢٩١. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢١٥.

***عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان التميمي:** من فرسان بني تميم وشعرائهم، يقال أن له صحبة. شهد فتح دومة مع خالد بن الوليد وغير ذلك من أيام العراق، وقال في ذلك وفي غيره أشعاراً. ابن عساكر، تاريخ، ج٢٥، ص٢٨١.

* **عامر بن ضبارة الغطفاني** ثم "المرّي أبو الهيذام": ومن أهل حوران، وجهه ابن هبيرة في خمسين ألفاً لقتال قحطبة بن شبيب فنزل بأصبهان، وقاتله قحطبة فتقهقر جيش عامر وثبت هو في عدد قليل حتى قتل. ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج٧، ص١٥٨-١٥٩.

***عباد بن الحصين** بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي ت٨٥هـ/٧٠٥م: فارس تميم في عصره، ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير، وكان مع مصعب أيام قتل المختار، وشهد فتح كابل مع عبد الله ابن عامر، وأدرك فتنة ابن الأشعث، رحل إلى كابل فقتله العدو هناك. ابن قتيبة، المعارف، ص١٨٢. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص٢٥٧.

***عبد الرحمن بن سمرة:** بن حبيب بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أبو سعيد العبشمي. صحابي من ساكني البصرة، غزا سجستان أميراً من قبل عبد الله بن عامر، وشهد غزوة مؤتة، وكانت

له بدمشق دار، ومات بالبصرة ويقال بمرو. الخطيب البغدادي، تاريخ، ج١، ص١٨١. ابن عساكر، تاريخ، ج٣٤، ص٤٠٤-٤٠٥.

***عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ت١١٥هـ/٧٣٣م:** قاض، من رجال الحديث. أصله من الكوفة. سكن البصرة، وولي القضاء بمرو، فثبت فيه إلى أن توفي. ابن عساكر، تاريخ، ج٧، ص٣٠٦. العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج٥، ص١٥٧. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٧٤.

***عبد الله بن بسطام** الأزدي **ت١١٢هـ/٧٣٠م:** أحد الشجعان الأشراف، من الأزد. كان مع الجنيد، رئيساً للأزد، في قتال الترك، بقرب سمرقند، وقتل هناك. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٦١. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٧٤.

* **عبد الله بن الحارث الهاشمي** المعروف ببّه وقد أمره ابن الزبير على هذه إمارة البصرة، ثم عزله في وقت اضطرمت فيه نار الفتنة بين القبائل في البصرة وخراسان. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٢٩.

* **عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب أبو هاشم ت٩٩هـ/٧١٨م:** إمام فرقة الهاشمية أمه أم ولد وتدعى "نائلة" كان ليناً خصماً عالماً، وكانت طائفة من الشيعة ترى أن علياً ﷺ أوصى بالإمامة بعده إلى ابنه محمد بن الحنفية، وأنها انتقلت من محمد إلى ابنه عبد الله الذي قام بأمرهم. ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٢٧. البلاذري، أنساب، ج٤، ص٨. مجهول، أخبار، ص١٨٤. الأصفهاني، مقاتل، ص١٢٦. البغدادي، الفرق، ص٢٧.

***عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي ت٧٩هـ/٦٩٨م:** أول من قرأ القرآن بالألحان، تابعي من أهل البصرة. ولي سجستان سنة ٥٠-٥٣هـ، وعزل عنها، ثم وليها في إمرة الحجاج. وولي قضاء البصرة. فاشتهر بأخبار من الجود تشبه الخيال، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣، ص١٨٩. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٩١-١٩٢.

***عبد الله بن معمر اليشكري ت٩٨هـ/٧١٦م:** قائد شجاع، من الولاة في العصر المرواني، آخر ما وليه قهستان وأطرافها، ولاه إياها يزيد بن المهلب أمير خراسان، وجعل معه أربعة آلاف مقاتل، فلم يلبث أهل البلاد أن ثاروا، وأكثرهم من الترك فقتلوه وأبادوا جيشه. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١١-١٢. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص١٣٩.

***عبد الملك بن دثار الباهلي ت١١٠هـ/٧٢٨م:** من أشرف العرب وشجعانهم، شهد حروب أشرس بن عبد الله مع أهل سمرقند وغيرهم من سكان ما وراء النهر، وقتل في إحدى هذه الوقائع. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٥٥. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ١٥٨.

***عدي بن حاتم** بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي **ت٦٨هـ/٦٨٧م:** أمير، صحابي، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام، قام في حرب الردة بأعمال كبيرة، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد الجمل وصفين والنهروان مع علي. مات بالكوفة. العسقلاني، الإصابة، ص٥٤٧٧. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٢٠.

* **عدي بن أرطأ الفزاري:** أمير من أهل دمشق، كان من العقلاء الشجعان، ولّاه عمر بن عبد العزيز البصرة سنة ٩٩هـ/٧١٨م فاستمرّ إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب في فتنة أبيه يزيد بالعراق وذلك في سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٨.

* **عطاء بن ميسرة:** يقال اسمه عطاء بن عبد الله بن أبي سلم، ويقال عطاء بن مسلم بن ميسرة، تابعي عالم زاهد، نزيل بيت المقدس، مفسر، كان يغزو ويكثر التهجّد في الليل له كتب في الظاهرية، توفى في خراسان. الذهبي، العبر، ج١، ص١٤٠. ابن العماد، شذرات، ج٢، ص١٥٤. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٣٥.

***العلاء بن الحضرمي ت٢١هـ/٦٤٢م:** صحابي، من رجال الفتوح في صدر الإسلام. أصله من حضرموت، سكن أبوه مكة، فولد بها العلاء ونشأ. ولاه رسول الله ﷺ على البحرين سنة ٨هـ/٦٢٩م، وجعل له جباية الصدقة، وأقره أبو بكرﷺ ثم عمرﷺ، وجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق وقيل أنه أول مسلم ركب البحر للغزو. ابن سعد، الطبقات، ج٤، ص٧٦. النووي (محيي الدين بن شرف ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م): تهذيب الأسماء واللغات، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة النيرية، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج١، ص٣٤١. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٢٤٥.

***عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التميمي القرشي ت٨٢هـ/٧٠١م:** سيد بني تميم في عصره، من كبار القادة الشجعان، كان من رجال مصعب بن الزبير أيام ولايته في العراق، وولي له بلاد فارس وحرب الأزارقة سنة ٦٨هـ/٦٨٧م وكان قبل ذلك على البصرة. وأرسله عبد الملك لقتال أبي فديك سنة ٧٣هـ/٦٩٢م. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٤٧. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٥٤.

* **طهمورث:** مَلَكَ بعد موت "أَوْشَهنج" وهو طهمورت بن بُونْجان، اسمه يعني "خير الأرض"، كان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير، وأول من اتخذ الكلاب لحفظ المواشي وأخذ الجوارح للصيد، وأول من كتب بالفارسية، في عهده ظهر "بيوراسب" ودعا إلى ملَّة الصَّابئين. ابن الأثير، الكامل، ج٣، ص٥١.

* **قحطبة بن شبيب** الطائي، قائد عسكري شجاع من ذوي الرأي والشأن في الدعوة العباسية، صحب أبا مسلم الخراساني، وناصره في إقامة الدعوة العباسية في خراسان وكان أحد النقباء الإثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي، في بداية الدعوة، قاد جيوش أبي مسلم، وكان مظفراً في جميع وقائعه، غرق في الفرات على إثر وقعة له مع ابن هبيرة وذلك سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص١٥١. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٣٠.

* **قطن بن قتيبة** بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أحد قادة خراسان المشهورين. ابن حزم، جمهرة، ص٢٤٦.

* **قيس بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي،** من الخطباء الشجعان ومن أعيان البصرة في صدر الإسلام، كان من أنصار بني أمية ثم قام بدعوة عبد الله بن الزبير، وصحب أخاه مصعب في ثورته إلى أن قتل، فتوجه قيس إلى عبد الملك بن مروان فعفا عنه وأكرمه توفي في البصرة نحو ٨٥هـ/٧٠٤م. ابن الكلبي، جمهرة، ص٢٣٢. ابن سعيد، نشوة الطرب، ص٤٣٢. ابن حجر، الإصابة، ج٧، ص٢١٤. الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٦٢.

* **لاهز بن قريظ بن سري بن الكاهن:** من قبيلة تميم، أحد نقباء بني العباس وقادتهم قبل قيام الدولة قتل عام ١٣٠هـ/٧٤٨م، بعدما عرف عنه أبو مسلم ما قاله لنصر بن سيار. ابن حزم، جمهرة، ص٢٠٣. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٣٨.

* **مالك بن الرَّيب** بن حواط بن قرط المازني التميمي، شاعر، اشتهر في أوائل العصر الأموي، سار مع جيش الفتح، شهد فتح سمرقند، مرض في مرو وتوفي عام ٦٠هـ/٦٨٠م. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢٦١.

* **مجاشع بن مسعود:** صحابي مهاجر استخلف على البصرة في خلافة عمر ﷺ وعلى كرمان في خلافة عثمان ﷺ، ومات قبيل موقعة الجمل. العسقلاني، الإصابة، ج٦، ص٤٢.

* **مسلم بن سعيد بن أسلم** بن زرعة بن عمرو بن خويلد، قيسي من رجال الحجاج بن يوسف الثقفي، ولما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل مسلم الأموال التي كانت تحت يده إلى الشام فازداد شرفاً فولاه ابن هبيرة بعد ذلك خراسان. الطبري، تاريخ، ج٨، ص١٧٦. ابن كثير، البداية، ج٩، ص٢٣١. فلهوزن، تاريخ، ص٤٣٢.

* **مسلمة بن عبد الملك بن الحكم:** أمير قائد من أبطال عصره، من بني أمية في دمشق، يلقب "بالجرادة الصفراء" له فتوحات مشهورة سار في مئة وعشرين ألف لغزو القسطنطينية في دولة أخيه "سليمان" وبنى مسجد مسلمة بها سنة ٩٦هـ/٧١٥م وولّاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية، وغزا الترك والصغد سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م، ومات بالشام في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م. الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، تح: عباس هاني الجراخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م، ص١٦٥. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٢٢.

* **منصور بن جمهور** بن حصن بن عمرو الكلبي من بني كلب بن وبرة، أمير من الفرسان، كان من سكان المزة من ضواحي دمشق، وخرج مع يزيد بن الوليد على ابن عمه الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م فولّاه العراق فحكم فيها أربعين يوماً ثم عزل فسار نحو بلاد السند، تُوفي عطشاً عندما وجهه الخليفة أبو العباس لقتال موسى بن كعب في سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٣٦.

* **وكيع بن عميرة القريعي:** قالوا عن وكيع أنه سعدي من بني أنف الناقة (مُريع) من تميم، وأخواله من الموالي من بلدة تدعى دَوْرق ويقال له لذلك وكيع ابن الدورقية. ابن الكلبي، جمهرة، ص٢٤٠.

* **وهكرت:** هو وهكرت بن فردال بن سيامك بن نرسي بن كيومرث، وكان لوهكرت عشر بنين، وأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين، ويعد الدهاقين أول من تدهقن، فقد منحه شقيقه هوشنك الدهقنة والكتابة وهما شيء واحد، فصار ذلك اليوم عيداً يحتفي به. المسعودي، مروج، ج١، ص٢٨٤. البيروني، الآثار الباقية، ص٢٢١.

* **يحيى بن زيد** بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أمّه ربطة بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنيفة. الأصفهاني، مقاتل، ص١٥٢.

* **يحيى بن نعيم بن هبيرة،** أبو الميلاد الشيباني سيد بكر ورئيس ربيعة في خراسان، كان ضد الدولة الأموية وخالعاً لمروان بن محمد، إلا أنه وقف إلى جانب نصر بن سيار في إقناع الكرماني والقبائل في الاتحاد ضد أبي مسلم ونجحت جهوده، إلا أن الحلف نقض عندما تواجه الطرفان. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٥٢. مجهول، أخبار، ص٢٨٦. ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٦٧.

* **يوسف بن عمر** بن محمد بن الحكم أبو يعقوب الثقفي، كانت منازل أهله في البلقاء بشرقي الأردن ولي اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦هـ/٧٢٤م، ثم نقله إلى ولاية العراق سنة ١٢١هـ/٧٣٩م وأضاف إليه إمرة خراسان، استمرت ولايته إلى أيام يزيد بن الوليد، الذي عزله في أواخر سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م وقبض عليه، وحبسه في دمشق

إلى أن أرسل إليه يزيد بن خالد القسري منْ قَتله فيه ـ ثائراً لأبيه ـ وعمره نيف وستون سنة وذلك في سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٩٨. البلاذري، أنساب، ج٩، ص١٩٣. ابن خلكان، ج٧، ص١٠١-١١١.

ثانياً: الأماكن

* **أخسيكت:** مدينة بما وراء النهر، وهي قصبة فرغانة، وتقع اليوم في جمهورية قرغيزية. الحموي، معجم، ج١، ص١٢١.

***أردشير خُرَّة:_هي أجل كور فارس، ومنها مدينة شيراز. الحموي، معجم، ج١، ص١٤٦.**

* **أَزَاذْوَار:** اسم بليدة، وهي قصبة كورة جُوَين من أعمال نيسابور. الحموي، معجم، ج١، ص١٦٧.

***اشتيخن:** من قرى صُغد سمرقد، بينها وبين سمرقند تسع فراسخ. الحموي، معجم، ج١، ص١٩٦.

* **آشروسنة:** يكتب أيضاً: أَسْرُوْشنة وسَرُوْشَنَة وسَتْرُوْشَنة يقع في شرق "سمرقند" بين الرساتيق الممتدة في محاذاة يمين نهر الصغد والرساتيق التي في يسار نهر جيحون، ولا يدخل هذان النهران ضمن إقليم آشروسنة. الحموي، معجم، ج١، ص١٩٧. لسترنج، بلدان، ص٥١٧.

***أصبهان:** مدينة معروفة من بلاد فارس، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع. الحموي، معجم، ج١، ص٢٠٦. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٦٣.

***اصطخر:** بلدة بفارس من الإقليم الثالث، أنشأها إصطخر بن طهمورث ملك فارس. الحموي، معجم، ج١، ص٢١١.

***أفشينة:** من قرى بخارى. الحموي، معجم، ج١، ص٢٣٢.

***آمل:** مدينة بطبرستان تقع على يسار نهر جيحون، وهي مجمع طرق خُرَاسان إلى ما وراء النهر، عُرفت في العصور الوسطى بأموية، ثم عرفت بجهار جوي (أي الأربعة أنهار) وما زال موضعها يعرف بهذا الاسم. الاصطخري، مسالك، ص٢٨١. ابن حوقل، صورة، ص٣٧٦. الحموي، معجم، ج١، ص٥٧.

* **باخرز:** كورة ذات قرى كبيرة، تشمل على مائة وثمان وستين قرية، قصبتها مالين. الحموي، معجم، ج١، ص٣١٦.

* **البُتَّم:** اسم حصن ببلاد فرغانة، وتقع اليوم في جمهورية قرغيزية. الحموي، معجم، ج١، ص٣٣٥.

* **بُخَارى:** مدينة بجمهورية "أوزبكستان" المعاصرة تقع على نهر "زارفشان" كانت تعدُّ في العصور الوسطى من أجلّ مدن الصَّغد. عطية الله، القاموس، ج١، ص٢٨١. لسترنج، بلدان، ص٥٠٣.

* **البروقان:** قرية من نواحي بخارى. الحموي، معجم، ج١، ص٤٠٥.

* **بُشْتَنْفُرُوش:** كورة من أعمال نيسابور أحدثها بشتاسف الملك، بها مئة ٢٦ قرية. الحموي، معجم، ج١، ص٤٢٦.

بوصير: اسم لأربع قرى بمصر، بها قُتل مروان بن محمد. الحموي، ج١، ص٥٠٩.

* **بيكند:** بلدة بين بخارى وجيحون. وهي أدنى مدائن بُخارى إلى النهر ويقال إنها مدينة التجار الحموي، معجم، ج١، ص٥٢٣. وتقع اليوم في جمهورية تركستان.

* **بيمند:** بلد بكرمان. الحموي، معجم، ج١، ص٥٣٤.

* **التبت:** إقليم جبلي يقع في قلب قارة آسيا، تفصل حدوده الحالية من الجنوب بولاية "كشمير" وجمهورية الهند ومملكة نيبال الحموي، معجم، ج٢، ص١٠. الحموين معجم، ج٢، ص١٠. عطية الله، القاموس، ج١، ص٤٣٤.

***تركِسْتَان:** اسم جامع لجميع بلاد الترك. الحموي، معجم، ج٢، ص٢٣.

* **ترمذ:** مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقي. الحموي، معجم، ج٢، ص٢٦. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٥٠٠.

***تستر:** أعظم مدينة بخوزستان اليوم. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٠.

* **تيماء:** بلدة تاريخية تقع بالقرب من تبوك في وادٍ كثير المياه والزرع بين الأردن وشمال الجزيرة العربية، وكانت مدينة عامرة في العصور القديمة ومركزاً تجارياً على طرق القوافل إلى الشام،. عطية الله، القاموس، ج١، ص٥٢٢.

* **جابلق:** رستاق بأصبهان. الحموي، معجم، ج٢، ص ٩١.

* **جَبَّانة السبيع:** أهل الكوفة والبصرة يسمون المقابر جبانة. الحموي، معجم، ج٢، ص٩٩.

* **جبل الأشَلّ:** جبل في ثغور خراسان. الحموي، معجم، ج١، ص٢٠٠.

* **جرجان:** إقليم في نواحي جنوبي بحر قزوين، يضم في الأغلب السهول العريضة والأودية التي يسقيها نهر جرجان وأترك وهي بين السهل والجبل والبرّ والبحر. سميت بجرجان لأن بناها جرجان بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام. الاصطخري، المسالك، ص١٢٤. السهمي، تاريخ جرجان، صص٤٤. القزويني، آثار، ص٣٤٨.

* **جلولاء:** طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ (٤٢ كم تقريباً). بها كانت الوقعة المشهورة التي تغلب فيها المسلمون على الفرس وذلك سنة ١٦هـ/٦٣٧مـ الحموي، معجم، ج٢، ص ١٥٦.

***جُنْد نيسابور:** مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير. الحموي، معجم، ج٢، ص١٧٠.

***جِيلان:** اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. الحموي، معجم، ج١، ص٢٠١.

حصن أبغر: أبغر من قرى سمرقند. الحموي، معجم، ج١، ص٧٤.

* **حلوان:** بليدة بقوهستان نيسابور. بوابة العراق مما يلي الجبال. الحموي، معجم، ج٢، ص ٢٩٤. لسترنج، بلدان، ص٨٨.

* **حمَّام أعين:** تقع في الكوفة. الحموي، معجم، ج٢، ص٢٩٩.

* **الحُمَيْمَة:** تصغير الحمّة، والحمَّة هي الحجارة السوداء، والحميمة بلد من أرض الشراة من أعمال عمَّان في أطراف الشام، كانت منزل بني العباس. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٠٧. الحميري، الروض، ص١٩٩. عطية، القاموس، ج٢، ص١٦٧.

* **خانقين:** بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد. الحموي، معجم، ج٢، ص ٣٤٠.

* **الخُتَّل:** كورة واسعة كثيرة المدن، منهم من نسبها إلى بلخ وذلك خطأ لأنها خلف جيحون بالقرب من حدود وادي السند من وراء النهر، كانت عاصمتها تعرف باسم "هلبك".الحموي، معجم، ج٢، ص٣٤٦. عطية الله، القاموس، ج٢، ص٢١٧.

***خَتْلان:** بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند، الحموي، معجم، ج٢، ص٣٤٦.

* **خُجَنْدة:** أو خُجَنْد مدينة تاريخية بتركستان ببلاد ما وراء النهر تقع على شاطئ نهر سيحون "شرداريا" وهي متخمة لفرغانة، اشتهرت ببساتينها وأنواع الفاكهة التي تجود فيها. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٤٧. لسترنج، بلدان، ص٥٢٢. عطية الله، القاموس، ج٢، ص٢١٨.

* **الخلج:** موضع قرب غزنة من نواحي زابلستان، وتقع اليوم في أفغانستان. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٨١.

* **خُلم:** بلدة بنواحي بلخ، وتقع اليوم في جمهورية أفغانستان. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٨٥.

* **خوارزم:** اسم كان يطلق على الإقليم الذي يشمل الحوض الأدنى لنهر أموداريا (جيحون) ودلتاه التي تصب بفروعها العديدة في بحر أرال (الخزر)، وهو منقطع عن خُراسان وعمَّا وراء النهر، تحيط به المفاوز من كل جانب، وحدَّها متصل بحد الغزيّة فيما يلي الشمال والغرب، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر. الأصطخري، المسالك، ص١٦٨. الحموي، معجم، ج٣، ص٤٧٤. لسترنج، بلدان، ص٤٨٩. عطية الله، القاموس، ج٢، ص٢٩٢.

* **الخور:** مدينة كبيرة من أعمال الري تقع بينها وبين سمنان. الحموي، معجم، ج٢، ص٣٩٤.

* **دهستان:** بلد مشهور قرب مازندران قرب خوارزم وجرجان، تقع على أربع مراحل من مدينة جرجان بالقرب من بحر قزوين. وتقع اليوم في جمهورية تركمانستان. الحموي، معجم، ج٢، ص٤٩٢. لسترنج، بلدان، ص٤٢٠.

* **الدهناء:** تمتد من الأفلاج شرقاً وتذهب آخذة ما بين الصُّلب شرقاً والعرمة غرباً حتى تجتاز جبلي طيء وتقف قريباً من تيماء تضيق في بعض الأماكن فيبلغ عرضها ٢٢ كيلاً وتتسع فتبلغ ٩٩ كيلاً أحيانا. ابن خميس، عبد الله بن محمد: معجم اليمامة، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٤٣٨.

* **الدبوسية:** بليد من أعمال الصُّغد من ما وراء النهر. الحموي، معجم، ج٢، ص٤٣٧.

* **راميثن:** هي قرية من قرى بخارى. الحموي، معجم، ج٣، ص١٨. وتقع اليوم في جمهورية تركمانستان.

* **رينجن:** مدينة في ضفة الصغد، تقع بين بخارى وسمرقند وتسمى أيضاً "أربنجن". لسترنج، بلدان، ص٥١١.

* **الرَّيّ:** من أمهات البلاد وأعلام المدن، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، عرفت بأسماء مختلفة إبان العصور القديمة منها راغا وأرساكيا وأزاي وفيروز، كما عرفت أيام الخلافة العباسية باسم المحمدية. الحموي، معجم، ج٣، ص١١٦. عطية الله، القاموس، ج٢، ص٦١٠.

***زابُلستان:** كورة واسعة قائمة برأسها جنوبي بلخ وطخارستان وهي زابل. الحموي، معجم، ج٣، ص١٢٥.

***زاغُول:** من أعمال مرو الروذ. الحموي، معجم، ج٣، ص١٢٦.

* **زام: أو زم**" إحدى كور نيسابور المشهورة وقصبتها البوزجان، هي التي يقال لها جام، سميت بذلك لأنها خضراء مدورة شبهت بالجام (الزجاج) وهي تشمل على مائة وثمانين قرية. الحموي، معجم، ج٣، ص١٢٧.

* **زَرمان:** مدينة من مدن الصغد، على سبعة فراسخ من مدينة سمرقند. الحموي، معجم، ج٣، ص١٣٨. لسترنج، بلدان، ص٥١٢. وتقع اليوم في جمهورية الأوزبك.

زَرَنْج: مدينة هي قصبة سجستان. الحموي، معجم، ج٣، ص١٣٨.

* **ساوة:** مدينة بين الري وهمدان. الحموي، معجم، ج٣، ص ١٧٩. الحازمي، الأماكن، ج١، ص١. خسرو، سفر نامة، ج١، ص٣٦.

* **سجستان:** سِيستان وسمتها المراجع العربية القديمة "سجستان" من الاسم الفارسي "سكستان" وهي البلاد السهلية حول بحيرة "زرة" وفي شرقها، ويدخل فيها دلتا نهر هيلمند، وهي ولاية كبيرة جنوبي هراة وأراضيها كلها رمال سبخة، عاصمتها زرنج. انظر: ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى): كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، ط١، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٦٢، لسترنج، بلدان، ص٣٧٢.

* **سرخ دره:** بلد بين هراة وسجستان. الحموي، معجم، ج٢، ص٤٥٣.

* **سمرقند:** من أَجَلِّ مدن الصَّغد تقع على نحو ١٥٠ ميلا شرق بخارى على نهر جيحون، وقيل أنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهي الآن تتبع دولة "أزبكستان". القزويني، آثار، ص٣٣٥. عطية الله، القاموس، ج٣، ص٤٩٢.

* **سِمِنجان:** بلدة من طخارستان وراء بلخ وبغلان، وتقع اليوم في أفغانستان. الحموي، معجم، ج٣، ص٣٥٢.

* السِنْج: من أعظم قرى مرو الشاهجان على نهر هناك، يكون طولها نحو الفرسخ إلا أن عرضها قليل جداً. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٦٤.

* **سفيذنج:** هي إحدى قرى مرو في خراسان وتبعد عنها أربعة فراسخ. الحموي، معجم، ج٣، ص٢٩٨.

* **سياه جرد:** قرية عظيمة على طريق الترمذ، ومنها إلى بلخ خمسة فراسخ. قدامة، الخراج، ص١٠٧-١٠٨.

* **الشاش:** هو اسم آخر لنهر "سيحون" وسمي بالشاش لوقوع مدينة مهمة بهذا الاسم في القرب من ضفافه وهو يخرج من بلد الترك ويدخل إقليم فرغانة ويصل على خجندة ثم يجتاز مفاوز الغزو والترك حتى يصب في القسم الشمالي الشرقي من بحر "أرال". الحموي، معجم، ج٣، ص٣٠٨. لسترنج، بلدان، ص٥٢٠.

* **شاه مزغند:** بينها وبين مرو ثلاثة فراسخ. ابن كثير، البداية، ج٨، ص٢٧٦.

الشَبُورقان: مدينة من الجوزجان قرب بلخ، الحموي، معجم، ج٣، ص٣٢٣.

* **شهرزور:** وهي كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمذان، تسمى أيضاً."نيم أزراي" أهلها كلهم أكراد. الحموي، معجم، ج٣، ص٣٤٠. لسترنج، بلدان، ص ٢٢٥-٢٢٦.

* **شُومان:** بلد بالصغانيان من وراء نهر جيحون، تقع اليوم في جمهورية الأوزبك. الحموي، معجم، ج٣، ص٣٧٣.

* **الصَغَانِيَّان:** ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ، تقع إلى غرب نهر "الوخش"، يحدها من جنوبها نهر جيحون سماها العرب "الصغانيان" ويكتب اسمها بالفارسية "جغانيان". الحموي، معجم، ج٣، ص٤٠٨.لسترنج، بلدان، ص٤٧٢.

* **الصُّغْد:** وهو إقليم صغديانا sogdiana القديمة، وكان يشمل الأراضي الخصبة الواقعة بين نهري جيحون وسيحون وقيل هما صُغْدان: صغد سمرقند وصغد بخارى، وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار. الحموي، معجم، ج٣، ص٤٠٩. القزويني، آثار، ص٥٤٣-٥٤٤. لسترنج، بلدان، ص٥٠٣.

* **الطابران:** وهي أكبر مدن طوس، وخرج منها جماعة من العلماء ممن نسبوا إلى طوس. السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٢٥. الحموي، معجم، ج٤، ص٣. أبو الفدا، تقويم، ص٤٤٩.

* **طبرستان:** وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الأسم، مجاورة لجيلان وديلمان معناها بالعربية بلاد الجبل. الحموي، معجم، ج٤ ص١٣. لسترنج، بلدان، ص٤٠٩.

* **الطبسين:** طَبس العُنّان، وطبس التمر ويُقال لهما: باب خراسان، والطَّبس في العربية الأسود من كل شيء، والطِّبس بالكسر الذئب. البلاذري، فتوح، ص٥٦٧.الحموي، معجم، ج٤، ص٢٠.

* **الطواويس:** قريبة من بخارى وهي أكبر خمس مدن مجتمعة في داخل سور كبير. لسترنج، بلدان، ص٥٠٦.

* **العالية:** اسم لكل ماكان من جهة نجد من المدينة. وورد في المصادر أنَّ بلاد نجد قسمان: سافلة وعالية، فالأولى: ما والى العراق من نجد، والثانية: ما والى الحجاز، الحموي، معجم، ج٤، ص٧١.

* **عين التمر:** بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا منها يُجْلب التمر إلى سائر البلد. الحموي، معجم، ج٤، ص ١٧٦.

* **غَرْشِستَان:** هي ناحية واسعة كثيرة القرى وتقع هراة في غربها والغور في شرقها ومرو الروذ في شمالها وغزنة في جنوبها. الحموي، معجم، ج٤، ص١٩٣.

* **غوروان:** من قرى هراة، وقورين من قرى مرو. الحموي، معجم، ج٤، ص٢١٨.

* **فرتنا:** قصر بمرو الروذ. الحموي، معجم، ج٤، ص٢٤٦.

* **فرغانة:** مدينة وكورة واسعة بما وراء نهر جيحون متاخمة لبلاد تركستان، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً. من مدنها قبا وأوزكند ونسا العليا ونسا السفلى، كانت قصبتها في العصور الوسطى مدينة أُخسيكث. الإدريسي، نزهة، ج٢، ص٧٠٦-٧٠٧. الحموي، معجم، ج٤، ص٢٥٣. القزويني، آثار، ص٢٣٥. لسترنج، بلدان، ص٥٢٠.

* **الفيُّوم:** وهي موضعين إحداهما بمصر والآخر موضع قريب من هيت بالعراق. الحموي، معجم، ج٤، ص٢٨٦.

قصر أوس: يقع بالبصرة، ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زفر. الحموي، معجم، ج٤، ص٣٥٦.

* **قلعة نَيْزَك:** في إقليم باذغيس بين مرو وهراة، وهي من أحصن القلاع وأخصبها، وتقع اليوم في أفغانستان. مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص١٣١.

* **قم:** مدينة تذكر مع قاشان، القزويني، آثار، ص٤٤٢.

* **قُنْدُهار:** هي من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح. الحموي، معجم، ج٤، ص٤٠٢.

* **قُومِس:** كورة كبيرة واسعة بين الري ونيسابور يقطعها طريق خراسان، في سفوح جبال طبرستان الجنوبية. تشتمل على قرى ومدن ومزارع، السمعاني، الأنساب، ج٤، ص٥٥٩. الحموي، معجم، ج٤، ص٤١٤.

* **كاشان:** مدينة بما وراء النهر على بابها وادي أخشيكت، وتقع اليوم في جمهورية قرغيزية. الحموي، معجم، ج٤، ص٤٣٠.

كاشغر: مدينة وقرى ورساتيق، وهي في وسط بلاد الترك. الحموي، معجم، ج٤، ص٤٣٠.

* **كرمان:** ولاية مشهورة وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. الحموي، معجم، ج٤، ص٤٥٤. القزويني، آثار، ص٢٤٧. لسترنج، بلدان، ص٣٣٧.

* **الكش ونسف** :مدينتان قريبتان من بخارى، تعرف "كُش" اليوم "بشهر سبز" (أي المدينة الخضراء) وتعرف "نسف" اليوم بـ "بُخشب" . لسترنج، بلدان، ص٥١٢.

كَمَرْجَة: قرية من قرى الصغد. الحموي، معجم، ج٤، ص٤٧٩.

ماجان: نهر كان يشق مدينة مرو. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٢.

* **ماخُون:** إحدى القرى الكبيرة التابعة لمرو. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣.

* **ماشان:** نهر يجري في وسط مدينة مرو. الحموي، معجم، ج٥، ص٤٢.

* **نُخْد:** أو نُخَد ناحية خراسانية بين عدة نواحٍ منها: الفارياب وزم واليهودية وآملُ. الحموي، معجم، ج٥، ص٢٧٦.

* **النُّخَيْلة:** موضع قرب الكوفة على سَمْت الشام. الحموي، معجم، ج٥، ص ٢٧٨.

* **نَسَفُ:** مدينة كبيرة كثيرة الأهل بين جيحون وسمرقند. الحموي، معجم، ج٥، ص٢٨٥.

* **نوش:** ويقال نوج وهي عدة قرى بمرو. الحموي، معجم،ج٥، ص٣١١.

* **نينوى:** ولاية يونس بن متى عليه السلام بالموصل، وبجوار الكوفة ناحية يقال لها تنوي. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٣٩.

* **وخَّاب:** ذكر الحموي وخاب بلد وراء بلاد الخُتَّل وهي للترك. معجم، ج٥، ص٣٦٤.

* **وَرْغَسْر:** تقع بين بنجيكث وسمرقند وعندها مقاسم مياه الصغد، وهي قرية كبيرة رستاقها خصب تسقيه أنهار تأخذ من نهر الصغد. الحموي، معجم، ج٥، ص٣٧٢. لسترنج، بلدان، ص٥٠٩. وتقع الآن في جمهورية الأوزبك.

* **اليمامة:** قلب جزيرة العرب وتسمى قديماً جَوَا. البكري، معجم ما استعجم، ص٨٣.

ثالثاً: المصطلحات

* **الأتراك الخرلخية:** هم أصحاب أغنام كثيرة ينتقلون بحثاً عن الكلأ والمراعي ويوجد كثير من هؤلاء الأتراك في حدود بلخ وطخارستان وبست والجوزجان. مجهول، حدود، ص٨٢.

* **الأتراك الغزية:** لقد قسم الجغرافيون العرب القبائل التركية إلى ستة قبائل هي: القرغُزْ، وألت قُرْغيز، والكيماك، والأوغُوز أو الغُزّ، والقُرْلُق. عطيَّة الله، القاموس، ج١، ص٤٥٨.

* **الأحنف:** الحَنَفُ في القدمين، إقبالُ كل واحدة منها على الأخرى بأبهامها، وكذلك هو في الحافر وفي اليد والرجل، وقيل: رجل أحنف وامرأة حنفاء وبه سمي الأحنف بن قيس. ابن منظور، لسان، ج٩، ص٥٦.

* **الأخماس:** اصطلاح حربي كان يستخدم في تنظيم الجيوش الإسلامية أبان الفتوح الأولى عندما كانت تعتمد على العرب دون سواهم من المسلمين، فكانت الحامية العربية تنقسم إلى خمس فرق تمثل في كل فرقة منها قبيلة من القبائل الكبرى وهي: الأزد وتميم وبكر وعبد القيس وأهل العالية. عطية الله، القاموس، ج١، ص٤٩.

* **الأرض العشرية:** هي الأرض التي بقيت بيد أصحابها بعد أن أسلموا، والتي فتحها المسلمون عنوة وجرى تقسيمها بينهم، أو التي أستأنف المسلمون إحياءها، أو التي اشتراها المسلمون من أهل الذمة، ويدفع صاحب الأرض العشرية ضريبة العشر عنها، ابن سلام، الأموال ج١، ص١١٥. الماوردي، الأحكام، ص١٨٧. عبد الفتاح، صفاء حافظ: ضياع بني أمية في عصر الخلافة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩١م، ص٦.

* **الآري:** اسم اشتهر به فرع من فروع الجنس الأبيض، استولى الآريون في أقدم الزمان على السهول الشرقية الواقعة على نهر الأندوس بالهند وعلى حوض نهر الغانج ثم توسعوا في الأراضي القريبة منها. وجدي، دائرة معارف، ص٢١٨. وآري كلمة "سنسكريتية" مشتقة من "آريا" ومعناها (شريف)، وهم شعب مشكوك في أمره كثيراً. مرحبا، محمد عبد الرحمن: أصالة الفكر العربي، منشورات عويدات، ط١، بيروت، باريس، ١٩٨٢م، ص٥٥.

* **الأزارقة:** هم فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن أزرق، قالوا كفر عليّ بالتحكيم وابن ملجم محق وكفرت الصحابة وقضوا بتخليدهم في النار. الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٠١.

* **الأساورة:** هم الفرسان من أبناء الملوك ممن يضعون الأساور في أيديهم وأقراط اللؤلؤ الكبير في آذانهم. عبد الحميد، سعد زغلول: في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م، ص٢٣١.

* **الاشترغاز:** نبت طويل الشوك ترعاه الأبل، مركب من اشتر أي حمل ومن غاز أي شوك. شير، الألفاظ، ص١٠.

* **الأشكانيون:** هم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، وسموا بالأشكانيين نسبة إلى أشك بن دارا، وحكموا مابين عام ٢٥٠ق.م-٢٢٤م. الخوارزمي، مفاتيح، ص٦٤.

* الأصبهبذ: هو الرئيس أو قائد الجيش. إصبه تعني الجيش، وبَذْ حافظ، وتفسيرها حافظ الجيش. شير، الألفاظ، ص١٠٧.

* أعلاج: علج الرجل الشديد الغليظ، وقيل هو كل ذي لحية، كما قيل أنه الواحد من كفار العجم، والجمع أعلاج، وعلوج ومعلوجي. الرازي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م): مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص١٨٨. ابن منظور، لسان، ج٢، ص٣٢٦.

* **الأغتم:** الذي لا يُفصح شيئاً، والغُتمة: العُجمة في المنطق، الأزهري(أبو منصور محمد بن أحمد ت٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية العامة للتأليف، د.ت، ج٨، ص٨٣.

* **الإمامية:** إحدى مذاهب الشيعة التي انقسمت إلى خمس عشرة فرقة وهي تنادي بإمامة علي بعد النبي محمد ﷺ. البغدادي، الفرق، ص٥١.

* **أهريمن:** كلمة أهريمن مرادفة لروح الشر أو روح الأذى والفساد. حامد: زرادشت الحكيم، ص٨٢.

* أهورامزدا إله الخير عند المجوس، وكلمة آهورا مزدا مكونة من آهو، را، مزدا وتعني أنا خالق الكون أو الوجود. حسنين، قاموس الفارسية، ص٥٦.

* **الأوستا** أو الأفستا: أقدم لغة فارسية استعملت في أيام الدولة الهخمانشية، وكانت القوانين والمراسيم الملكية تكتب بها، ولغة الأفستا هي التي كُتب بها كتاب زردشت الديني حوالي ٦٠٠ق.م. براون، إدوار جرانفيل: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، تر: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص١١.

* **الأيل الإيّل:** الوعل جمع أيايلُ وأيائل. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٤.

* **البازهر:** هو حجر معدني يفوق الجواهر كلها، له قوة غريبة في مقاومة السموم، ولونه أصفر في بياض وصفرة. شير، الألفاظ، ص١٤.

* **البلخش:** حجر كريم مقارب للياقوت، ودونه في المكانة. شير، الألفاظ، ص٢٦.

* **البلور:** حجر أصله من الماء لصفائه، وهو أنفس أنواع الجواهر التي تعمل منها الأواني. البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت، ص١٨١. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٠٨.

***البندار:** معناها الخيال، العجب، الغرور. حسنين، قاموس الفارسية، ص١٤٠.

***البيجاذي:** شبيه بالياقوت، وأينما وجد البيجاذي فمن الممكن أن يكون هناك ياقوت. البيروني، الجماهر، ص٨٨.

* **التجمير:** جمر الجيش، إذا طال حبسهم بالثغر، ولم يؤذن لهم في القفل إلى أهاليهم، وقد استمرت هذه السياسة حتى أيام قتيبة بن مسلم. البلاذري، فتوح، ص٥٢٠. الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص١٠٨.

* **تغلب:** تُنسب إلى جد جاهلي يُدعى تغلب بن وائل بن قاسم من بني ربيعة، يُعرفون أيضاً بالأراقم موطنهم الأصلي نجد والحجاز لكنهم هاجروا منذ عهد بعيد إلى الجزيرة في العراق في الموضع الذي يعرف بديار ربيعة بالقرب من حدود الشام. ومن أشهر بطونها: أوس، غنم، عمران، ومن ديارهم في عصر بني أمية الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصّيبين، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورة الروم. القلقشندي، نهاية الأرب، ١٨٧.عطية الله، القاموس، ج١، ص٤٨٠.

* **توران:** وهم آريون برابرة، كانوا يعيشون على الساحل أو الجانب الآخر من نهر جيحون، يُطلق عليهم العرب اسم الهياطلة وهم الافثلاطيون لدى المؤلفين البيزنطيين ويعرفون أيضاً بالهون الأبيض. لسترنج، ٤٧٦.

* **الثؤلول:** خراج يكون بجسد الإنسان، له نتوء وصلابة واستدارة، وقيل أنها الحبة التي تظهر في الجلد كالحمصة أو دونها، المطرزي (أبو الفتح ناصر الدين ت٦١٠هـ/١٢١٣م): المغرب في تاريخ المعرب، تح: محمود

فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، ط١، حلب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج١، ص١١٢. ابن منظور، لسان، ج١١، ص٨١.

* **الجاثليق:** رئيس ملة النصارى في الدولة الإسلامية، كان ينتخب من قبل أتباع ملته، ويصادق الخليفة على هذا الانتخاب، وكان له زي خاص يعرف به. الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص١١٧.

* **جروم:** الأماكن الشديدة الحرارة، والصرود الأماكن الشديدة البرودة. الاصطخري، مسالك، ص١٣٧.

* **الجريب:** هو ما يؤخذ من الأرض تساوي ١٥٩٢م، أي ما يعادل ٢٧,٧٥ كغ من القمح. هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م، ص٦١.

* **الجَلَد:** القوة والصلابة، ابن زكريا (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥/٩٩٩م): معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ت، ج١، ص٤٧١.

* **حجر الفتيلة:** شيء يشبه البردي، والعامة تظنه ريش طائر يقال له (الطلق)، لا تحرقه النار، يوضع في الدهن ثم يشعل بالنار فيقد كما تقد الفتيلة فإذا اشتعل الدهن بقي على ما كان عليه لم يتغير شيء من صفته، وسمي بذلك لأنه كان يستعمل في ذلك العهد فتيلة للمصابيح وكان ينسج منه غطاء الموائد، فإذا اتسخ وأرادوا غسله طرحوه في التنور فيعود نظيفاً. المقدسي، أحسن، ص٢٣٩. متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٣٢٥.

* **الحنزاب:** نبات وصفه البيروني فقال: يجلب من رمال مفازة مرو يحمل إلى الآفاق، له قشرة سوداء تتقشَّر بالعرض والاستدارة، عريض الورق أبيض الأصل في الأرض كالفجلة يطبخ ويؤكل. البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م): الصيدنة في الطب، تصحي: عباس زرياب، مركز نشر دانشكاهي، تهران، ١٣٧٠، ص٥٦.

* **خاتون:** لقب بمعنى السيدة العظيمة، دخل اللغة العربية بعد اتصال المسلمين بالمغول والترك، وكان يطلق أصلاً على الأميرات المغوليات ثمَّ عمَّ فشمل سيدات الطبقة الخاصة. عطية الله، القاموس، ج٢، ص١٩٥.

* **خاقان الترك:** لقب من ألقاب السادة، أطلق على أباطرة المغول العظام، وخاقان هو اللفظ العربي لكلمة قاغان أو قافان أو قآن. عطية الله، القاموس، ج٢، ص٢٠٠.

* **الخراج:** ما يفرض على الأرض الزراعة التي فتحها المسلمون صلحاً أو عنوة، وهو نوعان: خراج المقاسمة؛ أي جزء مما تنتجه الأرض مقداره الربع أو الثلث أو النصف. وخراج الوظيفة؛ وهو شيء معين من النقد أو المحصول على مساحة محددة، ابن سلام، الأموال، ج١، ص١٣٥. الماوردي، الأحكام، ١٨٦-١٨٩. الريس، الخراج، ص١٠٧-١٠٩. عمارة، محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، ط١، بيروت- القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٨٧.

* **الخرمية:** فرقة اعتقاديه تنسب إلى بلدة "خرم" الفارسية التي تقع بالقرب من "أردبيل" أو كلمة "خرم" الفارسية بمعنى المرح والسرور، ذلك لأن الشائع عن مذهب الخرمية إباحة أنواع المتع لهذا يعتبرهم البعض خلفاء للمزدكية

القدماء، وتنقسم الخرمية إلى طائفتين هما "البابكية والمازيارية"، وهي استمراراً للحركة المزدكية التي ظهرت في العصر الساساني. عطية الله، القاموس، ج٢، ص ٢٢٩. كريستنس، إيران، ص٣٢٤.

* **دُبَيْلة:** تصغير لكلمة دبلة وهي دمل تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً. معجم اللغة، المعجم، ص٢٧٠.

* **الدَّريَّة:** لغة كور فارس، والدرية لغة أهل مدن المدائن وبها كان يتكلم من بباب الملك. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٣٨.

* **دَسْكَرة:** كلمة فارسية تعني قرية وتعني أيضاً المنازل التي تتوفر فيها أسباب العيش، وهي أيضاً بناء كالقصر حوْلَه بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي ويكون للملوك. حسنين، عبد النعيم محمد: قاموس الفارسية، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٥٢. مجمع اللغة، المعجم، ص٢٨٣.

* **الدهاقنة:** نظام إداري كان سائداً في إيران يعرف بنظام الدهقنة، وينسب ظهوره إلى الملك الفارسي منوشهر الذي عين على كل قرية من القرى دهقاناً وأمر أهلها بطاعته، وهو من النظم القديمة التي سادت في إيران، ويمثل السلطة المحلية التي كانت مركزة بأيدي رؤساء القرى التي حافظت على ثباتها لعدم إمكان الاستغناء عنها من قبل أنظمة الحكم التي تعاقبت على حكم إيران حتى نهاية عهد الساسانيين فيها. الطبري، تاريخ، ج١، ص٣٧٩. ابن الأثير، الكامل، ج١، ص١٦٥.

* **الدُّهْقَان:** هو الشخص الثري، أو زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم، أو مقدم القرية وصاحبها، الجواليقي، المعرب، ص٣٠٣. الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص٢٠٦. شير، الألفاظ الفارسية، ص٦٨. التونجي، محمد: المعجم الذهبي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٩م، ص٢٨٥.

* **الديباج:** ضرب من الثياب سُدَاه، ولُحمته حرير. حسنين، قاموس، ص٢٧٢.

* **ذراع:** مقياس من أشهر أنواعه الذراع الهاشمية، وهي ٣٢ إصبعاً أو ٦٤ سنتمراً. مجمع اللغة، المعجم، ص٣١١.

* **الرباطات:** هي منازل لسرايا الخيل مهمتها حماية الثغور من غارات الأعداء. بارتولد، تركستان، ص٣٠٩.

* **ربض المدينة:** ضواحي المدينة ونواحيها. المطرزي، المغرب، ج١، ص٣١٥. حسنين، قاموس، ص٦٤٠.

* **الرساتيق:** مفردها رستاق وهي البساتين المتصلة مع بعضها أو السواد والقرى المتصلة، تعريب رُوستا. الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٨. شير، الألفاظ، ص٧١.

* **الريباس:** نبات ينبت في الربيع على الجبل، قاطع للدم وتسكين الحرارة، ينفع في الطاعون ويحدّ البصر إذا اكتحل بعصارته، نافع في الإسهال الصفراوي، وينفع في الحصبة والطاعون والجدري. ابن سينا (أبو علي الحسين بن علي ت٤٢٨هـ/١٠٣٧م): القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضنَّاوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٦٦٧.

* **السمُّور:** دابّة معروفة تُسّوى من جلودها فراء غالية الأثمان. ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٨٠.

* **السَّنانير:** مفردها السَّنور، الهر. مادة سنر، ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٨١.

* **الشوصة:** وجع في البطن من ريح تنعقد تحت الأضلاع، والشوكة حمرة تعلو الوجه والجسد. ابن الأثير، الكامل، ج٤، ص٢٠٧.

* **ضبة:** ضبّة بن طابخة بن إلياس، قيل منهم باسل بن ضبّة بن أُد أبو الديلم، كما قيل أنهم من أشعر قبائل العرب. المغربي(الحسين بن علي بن الحسين ت٤١٨هـ/١٠٢٧م): الإيناس في علم الأنساب، دار اليمامة، ط١، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٩٧.

* **العرادة:** هي آلة من آلات الحرب القديمة وهي منجنيق صغير. مجمع اللغة العربية، المعجم، ص٥٩٢.

* **العرب المستعربة:** هم بنو قحطان، وبنو عدنان في مقابل العرب العاربة أو العرباء الذين هم عاد وثمود وطسم وجديس البائدون، وقيل أن العاربة إنما هم بنو قحطان والمستعربة بنو عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. ابن حزم، جمهرة، ص٧. القلقشندي، نهاية، ص١٥.

* العصور الميدية: الميدية دولة قديمة أسَّسها قوم من الآريين في بداية القرن السابع قبل الميلاد في أذربيجان وكردستان الحالية، مؤسسها الملك "ديا أوكو ٧٠١-٦٥٥ق.م"، جمعتها مع الدولة الآشورية حروب مستمرة إلى أن حلَّ الضعف بالميديين في سنة ٦٠٥ق.م الذي استمر حتى انقاضها النهائي في سنة ٥٥٠ق.م وظهر حكم الفرس الهخمانش. بيرنيا، تاريخ إيران ، ص٥٨ -٥٩ و٣٥٧-٣٥٨.

* **العلج:** الرجل الشديد الغليظ، وقيل هو من خربت لحيته، واشتد بدنه، أو هو الرجل من كفار العجم. هامش الأخبار الطوال، ص٢٨٠.

* **الغنوصية** نسبة إلى غنوصيص (Conosis) الإغريقية، أي المعرفة، وهي حركة فلسفية ودينية، نشأت في العصر الهلينستي، وعقائدها أن الخلاص يتم بالمعرفة أكثر مما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة، وتؤمن بالثنائية، أي التمييز بين الخير والشر وهما العنصرين الأساسيين للوجود. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية، ص٢٣٣٦.

* **فرسخ:** مقياس قديم من مقاييس الطول يساوي ثلاثة أميال، أو ستة كيلو مترات. ويشير البعض على أن الفرسخ يقدر بثمانية عشر ألف ذراع، والمشهور أنه اثني عشر ألف ذراع. عمارة، قاموس المصطلحات، ص٤٢٦، ٥٧٨. الريس، الخراج، ص٩، هنتس، المكاييل، ص٩٤. الخطيب، معجم، ص٣٣٧، ٤١٦.

* **الفيروزج:** فيروز اسم فارسي يعني جوهراً أزرق هو فوسفات الألومين المائي الطبيعي، وهو أنواع منها فيروزج فحنجي وفيروزج بُسحَاقي. انظر: مجمع اللغة، المعجم، ص٧٠٨.

* **القحطانية:** نسبة إلى قحطان بن عابر بن شالخ، وهو أصل عرب اليمن. السويدي، سبائك، ص١٦.

* **قدم:** وحدة قياس تساوي ثُلث يَاردة، والياردة مقياس طولي يُقدَّر بنسبة ٣٢ إلى ٣٥م. معجم اللغة، المعجم، ص٧٢٠.

***الكسور:** وهي ضريبة تدفع تعويضاً للنقص الموجود بين الوزن الرسمي للدينار، الذي كان وزنه ٤,٢٥ غراماً من الذهب والوزن الرسمي للدَّرهم الذي كان ٢,٩٧٥ جرام فضة. الماوردي، الأحكام، ص٨١، ١٥٥. الريس، الخراج، ص٣٥٢.

* **الكور:** مفردها كورة، لفظ فارسي وهي المدينة أو الصقع أو القرية، ففي اليونانية معناها البلاد الواسعة وهي مأخوذة من لفظة (قرية) العبرانية، ثم نقلت إلى السريانية بلفظة (كورا). الاصطخري، مسالك، ص٢٥٣. ابن منظور، لسان، ج٥، ص١٥٦. حسنين، قاموس الفارسية، ص٥٥٣.

* **الكيسانية:** فرقة شيعية مؤسسها كيسان مولى لعلي بن أبي طالب، وهي فرق كثيرة يرجعوها إلى فرقتين إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حيٌّ لم يمت، وهم على انتظاره، ويزعمون أنه المهدي المنتظر. والفرقة الثانية منهم يقرون بإمامته في وقت وبموته، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه. البغدادي، الفرق، ص ٣٥-٣٧. الخوارزمي، مفاتيح، ص ٢١.

* **اللازورد:** يقول البيروني: الجيد منه يجلب من بذخشان وبنجهير، ويضرب لونه إلى لون النيل، وربما يميل إلى السواد وكان أهل بلخ يستخدمونه في نقوش مبانيهم لكثرته. انظر: الجماهر، ص١٩٥.

*__اللبود:__ من لباد، وهو الثوب المفتوح الطويل الذي يلبس فوق القباء. حسنين، قاموس الفارسي، ص٥٨٩.

* **المحكمة:** هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب حين جرى أمر الحكمين. الشهرستاني، الملل، ج١، ص١١٥.

* **المرازبة:** مفردها مرزبان: حارس الحدود، حاكم الحدود ويسمى أيضاً مرزوان. حسنين، قاموس ا، ص٦٤١.

* **المري:** في الأصل الفارسي آبكامه، وفي مقدمة الأدب أنه المرِّيّ، وفي برهان قاطع آبكامه: خبو معروف في أصفهان يصنع من اللبن الرائب والحليب وحبات الخردل، ثم يترك ليجف ويصنع منه الخل بعد ذلك. انظر: الزمخشري، مقدمة الأدب، مدينة لبسيا المحروسة، ١٨٤٣م، ص٦٠.

* **المفازة:** هي صحراء قليلة العمارة والمدن والقرى، ويكثر بها اللصوص، ويصعب سلوكها بالخيل، وإنما تقطع بالإبل. انظر: الاصطخري، مسالك، ص٢٢٧. ابن حوقل، صورة ص٣٤٠.

* **المسامعة** جدهم ربيعة بن حنيفة صاحب يوم تحلاق الذي انتصرت فيه بكر على تغلب بعد هزائم متوالية كاد أن يفني فيها البكريون. ابن حزم، جمهرة، ص٣٠٧. ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٦٩١. ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٥٦.

* **الملبَّن:** الكلمة في الأصل فلاته، قال ابن منظور: الملبَّن بالتشديد: الفلاتج، ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٣٧٨.

* **الملكانية:** طائفة مسيحية من الطقس البيزنطي، وسموا الملكانيين لأنهم أيدوا قرارات مجمع خلقيدونية الذي انعقد عام ٤٥١م تحت إشراف الإمبراطور مرقيانوس (٤٢٠-٤٥٧م) ونصت قرارات المجمع على أن المسيح إله وإنسان في آن واحد. الشهرستاني، الملل، ج١، ٢٦٧-٢٦٩. ابن حزم، الفصل، ج١، ص٩١. الخطيب، معجم، ص٤٢٢.

* **الموابذة الموبذان:** مفردها موبذ، وهي أعلى مرتبة دينية تعني قاضي المجوس. وهو المرجع الديني لملوك الفرس يطيعونه ولا يخالفون له رأياً. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ٥٦. الشهرستاني، الملل، ج٢، ص٥٣٥.

* **الميدية:** دولة قديمة أسَّسها قوم من الآريين في بداية القرن السابع قبل الميلاد في أذربيجان وكردستان الحالية، مؤسسها الملك "ديا أوكو ٧٠١-٦٥٥ق.م"، جمعتها مع الدولة الآشورية حروب مستمرة إلى أن حلَّ الضعف بالميديين في سنة ٦٠٥ق.م الذي استمر حتى انقاضها النهائي في سنة ٥٥٠ق.م وظهر حكم الفرس الهخمانش. بيرنيا، تاريخ إيران، ص٥٨-٥٩ و٣٥٧-٣٥٨.

* **النرد:** لعبة ذات صندوق وحجارة وفصَّين، تعتمد على الحظ، وتنقل الحجارة فيها على حسب ما يأتي به الفَصّ (الزّهر) وتعرف عند العامة بالطاولة يقال لعب بالنرد. مجمع اللغة، المعجم، ص٩١٩.

* **النّمر بن قاسط** بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد، منهم صهيب الرومي الصحابي. ابن حزم، جمهرة، ٢٣٠٨.

* **هوشنك:** أول ملوك الطبقة الأولى الفشدادية، وكان مع ملكه دهقاناً، وهو يعد أول من ملك الأقاليم وعمر الأرض، وحث الناس على الزرع وحفر الأنهار وغرس الأشجار. الأصفهاني، تاريخ سني ملوك، ١٢-١٣. الثعالبي، غرر السير، ٥-٧.

* **الوستريوشانسالار:** القائم على مصلحة الأموال، ويشمل اختصاصه كافة الأموال المتعلقة بالضريبة العقارية الشخصية، أو ضرائب الصناعات والحرف والتجارات، فهو بمثابة وزير للمالية. كريستنس، إيران، ص١١٠.

* اليشكري ينسب إلى يشكر بن بكر بن وائل. المبرد، نسب عدان، ص٢٧. السيوطي، لب اللباب، ص١٨٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

* ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- **الكامل في التاريخ**، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢-**أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: علي محمد معوَّض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣-**اللباب في تهذيب الأنساب**، بيروت، دار صادر، (د.ت).

* ابن أبي حديد ت٦٥٦/١٢٥٩م:

٤-**شرح نهج البلاغة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

* الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي ت٥٦٠هـ/١١٦٥م):

٥-**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

* ابن آدم القرشي (يحيى ت٢٠٣هـ/٨٠٨م):

٦- **كتاب الخراج**، تح: حسين مؤنس، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م.

* الأزدي (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس ت٣٣٤هـ/٩٤٥م):

٧-**تاريخ الموصل**، تح: أحمد عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

*الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت٣٧٠هـ/٩٨٠م):

٨-**تهذيب اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية العامة للتأليف، د.ت.

*الأسفراييني (أبو المظفر ت٤٧١هـ/١٠٧٨م):

٩-**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، تح: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

*الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م):

١٠-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

*الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

١١-**مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، نسخة مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م.

* الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج ت٣٥٦هـ/ ٩٦٩م):

١٢- **الأغاني**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

١٣-**مقاتل الطالبيين**، تح: أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، ط٢، ١٤١٦.

١٤-**تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

* ابن أعثم (أحمد الكوفي ت٣١٤هـ/٩٢٦م):

١٥-**كتاب الفتوح**، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

* أعشى همدان:

١٦- **ديوان أعشى همدان وأخباره**، تح: حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* ابن أنس (مالك ت١٧٩هـ/٧٩٥م):

١٧-**الموطأ**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

* الأنصاري (شمس الدين أبو عبد الله محمد أبي طالب شيخ الربوة الدمشقي):

١٨-**نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطربورغ، ١٨٦٥م.

* البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي ت٢٥٦هـ/٨٦٩م):

١٩-**التاريخ الكبير**، طبع تحت رقابة: محمد عبد المعيد خان، حيدر أباد- الدكن، دائرة المعارف العثمانية، د.ت.

* ابن بدران (عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الدُّومي الدمشقي الحنبلي ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م):

٢٠-**تهذيب ابن عساكر**، طبعه: أحمد عبيد، المطبعة العربية، ط١، دمشق، ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.

* ابن بطوطة (محمد بن إبراهيم اللواتي ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٢١-**رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢م.

* البغدادي (عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

٢٢-**مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

* البغدادي (عبد القادر بن عمر ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م):

٢٣-**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفرائيني التميمي ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

٢٤-**الفرق بين الفرق**، تح: محمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

* ابن بكَّار بن عبد الله القرشي الزَّبيدي ت٢٥٦هـ/٨٦٩م:

٢٥-**جمهرة نسب قريش**، تح: عباس هاني الجراخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م.

٢٦-**الأخبار الموفقيات**، تح: سامي مكي العاني، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

* البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسيّ ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٢٧-**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تح: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣، بيروت، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

٢٨-**كتاب المسالك والممالك**، تح: أدريان فان ليوفن؛ أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

* البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

٢٩- **فتوح البلدان**، تح: عبد الله أنيس الطبَّاع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٠-**جمل من أنساب الأشراف**، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

* البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

٣١-**الآثار الباقية عن القرون الخالية**، ليبزغ، ١٨٧٨م.

٣٢-**الجماهر في معرفة الجواهر**، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

٣٣-**كتاب القانون المسعودي**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

* التنوخي (الحسن بن علي ت٣٨٤هـ/٩٩٤م):

٣٤-**نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣٥-**الفرج بعد الشدة**، تح: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

* الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م):

٣٦-**غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٣م.

٣٧-**لطائف المعارف**، بريل، ١٨٦٧م.

٣٨-**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٩-**يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٤٠-**خاص الخاص**، شرحه: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤٥-**اللَّطف واللَّطائف**، تح: محمود عبد الله الجادر، دار الشؤون الثقافية، ط٢، بغداد، ٢٠٠٣م.

* الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر ت٢٥٥هـ/٨٦٨م):

٤٦-**رسائل الجاحظ**، تح: علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م.

٤٧-**التبصرة بالتجارة**، نشره: حسن عبد الوهاب، المطبعة الرحمانية، ط٢، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

٤٨-**العثمانية**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٤٩-**كتاب التاج في أخلاق الملوك**، تح: أحمد زكي باشا، د.م، د.ت.

٥٠-**كتاب الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

٥١- **البخلاء**، تح: طه الحاجري، دار المعارف، ط٥، القاهرة، ١٩٩٠م.

٥٢-**البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٥٣- **البيان والتبيان**، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٧، القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

* الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت٣٣١هـ/٩٤٣م):

٥٤- **الوزراء والكتاب**، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ط١، مصر، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

* الجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر ت٥٤٠هـ/١١٤٦م):

٥٥-**المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تح: ف. عبد الرحيم، دار القلم، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

* ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٥٦-المنتظم **في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥٧-**صفة الصفوة**، تح: محمود فاخوري، خرَّج أحاديثه: محمد روَّاس قلعة جي، بيروت، دار المعرفة، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

* الجوهري (إسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م):

٥٨-**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

*الحازمي (محمد بن موسى ت٥٨٤هـ/١١٨٨م):

٥٩-**الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مُسمَّاه من الأمكنة**، تح: حمد الجاسر، دار اليمامة، السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

* ابن حبان البستي (أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي ت٣٥٤هـ/٩٦٥م):

٦٠- **مشاهير علماء الأمصار**، تح: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٦١-**كتاب الثقات**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر أباد الدكن- الهند، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

* ابن حبيب (محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي ت٢٤٥هـ/٨٥٩م):

٦٢- **المحبر**، تح: أبو سعيد الحسن بن الحسين السَّكري، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت.

*ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م):

٦٣-**جمهرة أنساب العرب**، تح: لجنة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٤-**الفصل بين الملل والأهواز والنحل**، تح: عبد الرحمن خليفة، مكتبة السلام العالمية، د.ت.

٦٥-**جوامع السيرة النبوية**، ضبطه وصححه: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

* ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي ت٥٦٢هـ/١١٦٦م):

٦٦-**التذكرة الحمدونيَّة**، تح: أحسان عباس، وبكر عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.

* الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٦٧- **معجم البلدان**، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

٦٨-**المُشترك وضعاً والمفترق صقعاً**، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م.

* الحميري (محمد بن عبد المنعم ت٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

٦٩- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٧٥م.

*ابن حوقل (محمد أبو القاسم النصيبيَّ ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٩م):

٧٠-**صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

* ابن أبي خيثمة (أحمد بن زهير بن حرب ت٢٧٩هـ/٨٩٢م):

٧١-**التاريخ الكبير**، تح: صلاح الدين هلال، الفاروق الحديثة للطباعة، ط١، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

* ابن خرداذبه (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م):

٧٢-**المسالك والممالك**، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٨٨٩م.

* الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

٧٣-تاريخ **مدينة السَّلام وأخبَّار محدثيها المعروف بتاريخ بغداد**، تح: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

* ابن خلدون (عبد الرحمن ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

٧٤-**تاريخ ابن خلدون "مقدمة"**، ضبط المتن: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ/٢٠٠١م.

* ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٧٥-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م.

* الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف ت٣٨٧هـ/٩٩٧م):

٧٦-**مفاتيح العلوم**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٩م.

* ابن خياط، (أبو عمرو خليفة شباب العصفوري ت٢٤٠هـ/٨٥٤م):

٧٧-**تاريخ خليفة**، تح: أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧٨-**كتاب الطبقات**، تح: أكرم ضياء العمري، بغداد، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

* أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني ت٢٧٥هـ/٨٨٨م):

٧٩- **سنن أبو داؤود**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

* ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ت٣٢١هـ/٩٣٣م):

٨٠-**الاشتقاق**، تح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

* ابن أبي الدنيا (أبو بكر عبد الله بن محمد بن سفيان ت٢٨١هـ/٨٩٤م):

٨١-**قرى الضيف**، تح: عبد الله بن حمد المنصور، مكتبة أضواء السلف، ط١، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داؤود ت٢٨٢هـ/٨٩٥م):

٨٢-**الأخبار الطوال**، ضبطه: محمد سعيد الرَّافع، مكتبة السعادة، ط١، مصر، ١٣٣٠هـ/١٩١١م.

* الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م):

٨٣-**سير أعلام النبلاء**، تح: حسَّان عبد المنَّان، بيروت، بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٨٤-**العبر في خبر من غبر**، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٨٥- **دول الإسلام**، تح: حسن إسماعيل مروة، تقديم: محمود الأرناؤوط، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.

٨٦-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٨٧-**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تح: محمد رضوان عرقسوسي، دار الرسالة العالمية، ط١، دمشق، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

* الرازي (فخر الدين ت٦٠٦هـ/١٢١٠م):

٨٨–**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، مر: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

* الرازي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م):

٨٩–**مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

* ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ت٢٩٠هـ/٩٠٣م):

٩٠–**الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل، ١٨٩١م.

* الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

٩١–**تاج العروس في جواهر القاموس**، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الهداية، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

* الزبير بن بكار ت٢٥٦هـ/٨٧٠م:

٩٢–**الأخبار الموفقيَّات**، تح: سامي العاني، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٩٣–**جمهرة نسب قريش**، تح: عباس هاني الجراخ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠م.

* ابن الزبير (القاضي الرشيد ت في القرن الخامس الهجري):

٩٤– **كتاب الذخائر والتُّحف**، تح: محمد حميد الله، مر: صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م.

* ابن زكريا (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥/٩٩٩م):

٩٥–**معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، د.ت.

* الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر "صاحب الكشاف" ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م):

٩٦– **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٩٧–**مقدمة الأدب**، مدينة لبسيا المحروسة، ١٨٤٣م.

* ابن زنجويه (حميد ت٢٥١هـ/٨٦٥م):

٩٨–**كتاب الأموال**، تح: شاكر ذيب فيَّاض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

* الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المتوفى أوساط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي):

٩٩– **كتاب الجعرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.

* ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري ت٢٣٠هـ/٨٤٤م):

١٠٠– **الطبقات الكبير**، تح: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

* ابن سعيد الأندلسي ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م:

١٠١- **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨٢م.

* ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى):

١٠٢- **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة، ط١، بيروت، ١٩٧٠م.

* ابن سلام (أبو عبيد القاسم ت٢٢٤هـ/٨٣٧م):

١٠٣- **الأموال**، تح: محمد عمارة، دار الشروق، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* ابن سليمان (ماري ت القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي):

١٠٤- **أخبار فطاركة كرسي المشرق**، جزء من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٩م.

* السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي ت٥٦٢هـ/١١٦٦م):

١٠٥- **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٠٦- **التحبير في المعجم الكبير**، تح: منيرة ناجي سالم، ط١، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

* سُهراب (أبو الحسن ت٣٣٠هـ/٩٤١م):

١٠٧- **كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة**، تصحيح: هانس فون مزيك، مطبعة آدولف هولزهوزن، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

* السهمي (أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم ت٤٢٧هـ/١٠٣٦م):

١٠٨- **تاريخ جرجان أو كتاب معرفة علماء أهل جرجان**، مطبعة دائرة المعارف، ط١، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

* السويدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م):

١٠٩- **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

* ابن سينا (أبو علي الحسين بن علي ت٤٢٨هـ/١٠٣٧م):

١١٠- **القانون في الطب**، وضع حواشيه: محمد أمين الضنَّاوي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ/١٩٩٩م.

* السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م):

١١١- **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١١٢- **لُبِّ اللُّباب في تحرير الأنساب**، تح: قاسم محمد الرجب، مكتبة المثنى، بغداد.

* الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت٥٤٨هـ/١١٥٣م):

١١٣- **الملل والنحل**، مؤسسة الحلبي، د.ت.

* الشَّيبانيّ (محمد بن الحسن ت١٨٩هـ/٨٠٥م):

١١٤- **الآثار**، تح: خالد العواد، دار النوادر، ط١، دمشق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

* ابن صاعد (صاعد بن أحمد ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م):

١١٥- **طبقات الأمم**، نشر: الأب لويس شيخو السوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

* الصَّريفيني (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر بن أحمد بن محمد ت٦٤١هـ/١٢٤٣م):

١١٦- **المنتخب من السِّياق لتاريخ نيسابور**، تح: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى ت٣٣٥هـ/٩٤٦م):

١١٧- **أخبار أبي تمام**، تح: خليل محمود عساكر وأخرون، تقديم: أحمد أمين، دار الأفاق الجديدة، ط٣، بيروت، ١٤٤هـ/١٩٨٠م.

١١٨- **أدب الكتاب**، تح: محمد بهجة الأثري، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

* ابن الطباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م):

١١٩- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، د.ت.

* الطبري (أبو جعفر بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م):

١٢٠- **تاريخ الرسل والملوك**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٦٣م.

* ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

١٢١- **القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم**، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.

١٢٢- **الأنباه على قبائل الرواة**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٢٣- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، بيروت، ط١، دار الجيل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

* ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله ت ٢١٤هـ/٨٢٩م):

١٢٤- **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، تح: أحمد عبيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ١٩٥٤م.

* ابن عبد ربه (أحمد بن محمَّد الأندلسي ت٣٢٨هـ/٩٣٩م):

١٢٥- **العقد الفريد**، تح: مفيد محمَّد قميحة، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

* ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي ت٦٨١هـ/١٢٦٨م"):

١٢٦- **تاريخ مختصر الدول**، تح: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

* أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت٢٠٩هـ/٨٢٤م):

١٢٧- **نقائض جرير والفرزدق**، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

* ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسيني ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م):

١٢٨- **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، تح: يوسف بن عبد الله، مكتبة جُل المعرفة، ط١، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

* ابن العربي (أبو بكر ت٥٤٣هـ/١١٤٨م):

١٢٩- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)**، تح: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، ط٥، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

* العسقلاني (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر شهاب الدين ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١٣٠- **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، د.ت.

١٣١- **تهذيب التهذيب**، تح: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

* ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت٥٧١هـ/١١٧٥م):

١٣٢- **تاريخ مدينة دمشق**، تح: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن علامة العمري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

* العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م):

١٣٣- **الأوائل**، تح: محمد السيد الوكيل، دار البشير للثقافة، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

* ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ الحنبلي ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

١٣٤- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمد الأرناؤوط، اخرج احاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

* ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت٥٨٠هـ/١١٨٤م):

١٣٥- **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تح: قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

* أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م):

١٣٦- **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ماك كوكين، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٣٧- **المختصر في أخبار البشر**، تح: محمد زينهم عزب ويحيى سيد حسين، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٩٨م.

* ابن فضلان (أحمد بن العباس بن راشد بن حماد ت٣٠٩هـ/٩٢١م):

١٣٨- **رسالة ابن فضلان**، تحقيق: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٠م.

* ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ت٣٤٠هـ/٩٥١م)،

١٣٩- **مختصر كتاب البلدان**، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

* القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي ت٣٥٦هـ/٩٦٧م):

١٤٠- **ذيل الأمالي والنوادر**، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م.

* ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ/٨٨٩م):

١٤١- **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، القاهرة، د.ت.

١٤٢- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٤٣- **عيون الأخبار**، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

* قدامة بن جعفر ت٣٣٧هـ/٩٤٨م:

١٤٤- **الخراج وصناعة الكتابة**، شرح: محمد حسن الزبيدي، دار الرشيد، ١٩٨١م.

* ابن قدامة المقدسي (موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م):

١٤٥- **المغني**، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، ط٣، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

* القرماني (أحمد بن يوسف):

١٤٦- **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، تح: فهمي سعد، أحمد حطيط، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

* القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت٦٨٢هـ/١٢٨٤م):

١٤٧- **آثار البلاد وأخبار العِبَاد**، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٤٨- **عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات**، تح: علي صراط الحق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

* القلقشندي (أبو العباس أحمد ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

١٤٩- **صبح الأعشى وصناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

١٥٠- **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

١٥١- **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* القمي (سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري ت٢٩٩هـ/٩١١م):

١٥٢- **المقالات والفِرَق**، تصحيح: محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

* الكتبي (محمد بن شاكر ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):

١٥٣- **فوات الوفيات والذيل عليها**، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ت.

* ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيِّ الدِّمشقيِّ ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):

١٥٤- **البداية والنهاية**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

* ابن الكلبي (هشام أبو المنذر بن محمد بن السَّائب ت٢٠٤هـ/٨١٩م):

١٥٥- **جمهرة النَّسب**، تح: محمود فردوس العظم، تقديم: سهيل زكَّار، دار اليقظة العربية، ط٢، دمشق، ١٩٨٣م.

١٥٦- **نسب معد واليمن الكبير**، تح: ناجي حسن، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

* ابن ماكولا (الحافظ علي بن هبة الله ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م):

١٥٧- **الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف والكنى والأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٣م.

* الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م):

١٥٨- **كتاب الأحكام السلطانيَّة والولايات الدّينيَّة**، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة، ط١، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

* المبرد (محمد بن يزيد ت٢٨٥هـ/٨٩٨م):

١٥٩- **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٦٠- **نسب عدنان وقحطان**، تصحيح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف، الهند، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

* مجهول:

١٦١- **العيون والحدائق في أخبار الحقائق** من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.

* مجهول كتبه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م:

١٦٢- **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

* مجهول (من القرن ٣هـ/٩م):

١٦٣- **أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده**، تح: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د.ت.

* المزي (جمال الدين أبو الحجاج يوسف ت٧٤٢هـ/١٣٤٣م):

١٦٤- **تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال**، تح: بشار عوَّاد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ/٩٥٧م):

١٦٥- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط٥، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٦٦- **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١٦٧- **التنبيه والإشراف**، إعداد: قاسم وهب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠م.

* مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب ت٤٢١هـ/١٠٣٠م):

١٦٨- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تح: أبو القاسم إمامي، طهران، سرويش، ط٢، ٢٠٠٠م.

* المطرزي (أبو الفتح ناصر الدين ت٦١٠هـ/١٢١٣م):

١٦٩- **المغرب في تاريخ المعرب**، تح: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، ط١، حلب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* المغربي (الحسين بن علي بن الحسين ت٤١٨هـ/١٠٢٧م):

١٧٠- **الإيناس في علم الأنساب**، دار اليمامة، ط١، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

* المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي البشاري ت٣٨٠هـ/٩٩١م):

١٧١- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ط٢، مدينة ليدن، ١٩٠٦م.

* المقدسي البلخي (المطهر بن طاهر ت٣٢٢هـ/٩٣٤م):

١٧٢- **البدء والتاريخ**، المنسوب لأحمد بن سهل البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

* المقري (أحمد بن المقري ت١٠٤١هـ/١٦٣١م):

١٧٣- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

* المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

١٧٤- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٧٥- **كتاب المقفى الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٧٦- **النقود القديمة الإسلامية (رسائل المقريزي)**، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م.

١٧٧- **النّزاع والتّخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.

* المكيّ (عبد الملك بن حسين بن عبد الملك ت١١١١هـ/١٦٩٩م):

١٧٨- **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوَّض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ت٧١١هـ/١٣١١م):

١٧٩- **لسان العرب**، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

* المنقري (نصر بن مزاحم ت٢١٣هـ/٨٢٨م):

١٨٠- **وقعة صفين**، تح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطباعة، ط٢، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

* ابن نباتة (جمال الدين ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

١٨١- **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤.

* النديم (محمد بن إسحاق ت٣٨٠هـ/٩٩٠م):

١٨٢- **كتاب الفهرست**، تح: أيمن فؤاد سيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

* النووي (محيي الدين بن شرف ت ٦٨٦هـ/١٢٨٧م):

١٨٣- **تهذيب الأسماء واللغات**، عنيت بنشره: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة النيرية، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت،

*النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

١٨٤- **نهاية الأرب في فُنون الأدب**، تح: عبد المجيد ترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

*الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي ت٢٠٧هـ/٨٢٢م):

١٨٥- **فتوح الإسلام في بلاد العجم وخُرَاسان**، مطبعة المحروسة، مصر، ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.

* ابن الوردي (عمر بن المظفر ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م):

١٨٦- **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م.

* وكيع (محمد بن خلف بن حيَّان بن صدفة الضبيّ البغداديُّ ت٣٠٦هـ/٩١٨م):

١٨٧- **أخبار القضاة**، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

* اليافعي (عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

١٨٨- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، تح: خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

* اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت٢٨٤هـ/٨٩٧م):

١٨٩- **كتاب البلدان**، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٩٠- **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة ليدن المحروسة، ١٨٨٣م.

* أبو يعلى (محمد بن الحسين الفرَّاء ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م):

١٩١- **الأحكام السُّلطانيَّة**، تصحيح: محمدحامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

* أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم ت١٨٢هـ/٧٩٨م):

١٩٢- **كتاب الخراج**، دار بو سلامة للنشر، تونس، د.ت.

ثالثاً: المصادر الفارسية:

* ابن اسفنديار (بهاء الدين محمد بن حسن ت٦١٣هـ/١٢١٦م):

١- **تاريخ طبرستان**، تر: أحمد محمد نادى، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

* ابن البلخي (ت بعد ٥١١هـ/١١١٧م):

٢-**فارس نامه**، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

* البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م):

٣-**الصيدنة في الطب**، تصحي: عباس زرياب، مركز نشر دانشكاهي، تهران، ١٣٧٠.

* البيهقي (أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير بابن فندق ت٥٦٥هـ/١١٦٩م):

٤- **تاريخ بيهق**، تر: يوسف الهادي، دار إقرأ، ط١، دمشق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

* التبريذي (محمد حُسين خلف مُتخلَّص ببرهان):

٥-**برهان قاطع**، باتمام: محمد معين، بسرماية كتابفروشى ابن سينا، تهران، ١٣٣٣.

* الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م):

٦-**تاريخ نيشابور**، تلخيص الخليفة النيسابوري، تر: بهمن كريمي، كتابخانة ابن سينا، طهران، ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

* خسرو (ناصر ت٤٨١هـ/١٠٨٨م):

٧-**سفر نامة**، تر: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة، ١٩٤٣م.

* أبو دولف (رحالة القرن العاشر):

٨-**الرسالة الثانية**، تح: بطرس بولغاكوف، أنس خالدوف، تر: محمد منير مرسى، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.

* الفردوسي (أبو القاسم حسن بن محمد ت٤١٦هـ/١٠٢٥م):

٩-**الشاهنامة**، تر: سمير مالطي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩م.

* الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود ت٤٤٣هـ/١٠٥١م):

١٠- **زين الأخبار**، تر: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

* مؤلف مجهول (من القرن ٢هـ/٨م):

١١- **نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب**، تصحيح: محمد تقى دانش ثروه، وزارت فرهنك وارشاد اسلامى، انجمن آثار ومفاخر فرهنكى، ١٣٧٥.

* مؤلف مجهول (من القرن ٥هـ/١١م):

١٢- **تاريخ سجستان**، تر: محمود عبد الكريم علي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦م.

* المستوفي (حمد الله القزويني):

١٣-**كتاب نزهة القلوب**، دنياي كتاب، تهران، ١٣٤٢.

* النرشخي (أبو بكر محمد بن جعفر ت٣٤٨هـ/٩٥٩م):

١٤-**تاريخ بخارى**، تر: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥م.

* الطوسي (نظام الملك ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م):

١٥-**سير الملوك أو سياست نامه**، تر: يوسف بكار، مطبعة السفير، ط٣، عمان الأردن، ٢٠٠٧م.

رابعاً: المراجع العربية:

١. إبراهيم، بكر محمد: **الدولة الأموية**، مركز الراية للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢. أحمد، محمد حلمي محمد: **الخلافة والدولة في العصر الأموي**، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.

٣. أحمد، مصطفى أبو ضيف: **دراسات في تاريخ الدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة والراشدين والأمويين (١-١٣٢هـ/٦٢٢-٧٤٩م)**، دار النشر المغربية، ط٢، الدار البيضاء، ص ١٩٨٦.

٤. إسماعيل، محمود: **قضايا في التاريخ الإسلامي**، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤م.

٥. أمين، أحمد: **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، ط١٠، بيروت، ١٩٦٩م.

٦. **ضحى الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م.

٧. أيوب، حسن: **الخلفاء الراشدون القادة الأوفياء وأعظم الخلفاء**، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٨. الباشا، حسن: **الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**، الدار الفنية للنشر، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٩. **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٠. باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، دار الوراق، ط١، بغداد، ٢٠٠٩م.

١١. بخيت، عبد الحميد: **عصر الخلفاء الراشدين التاريخ الدينيي السياسي والحضاري**، دار المعارف، ط٤، مصر، ١٩٧٧م.

١٢. بدر، فاروق حامد: **تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر**، مطبعة حسان، القاهرة، د.ت.

١٣. البستاني، بطرس: **معارك العرب في الشرق والغرب**، دار مارون عبود، بيروت، ١٩٨٧م.

١٤. بطاينة، محمد ضيف: **في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٥. **الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى**، دار طارق، دار الكندي، عمان، د.ت.

١٦. بيضون، إبراهيم: **من دولة عمر إلى دولة عبد الملك دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٧. البيلي، محمد بركات: **الدعوة العباسية** " ثورة بني العباس على الخلافة الاموية"، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٨. الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، سلسلة عالم المعرفة، ع٤٤، الكويت، ١٩٨٤م.

١٩. الثعالبي، عبد العزيز: **سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢هـ/٧٥٠م**، تح: حمَّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٠. الجاسر، حمد: **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، دار اليمامة، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢١. الجميلي، رشيد عبد الله: **تاريخ الدولة العربية الإسلامية** (عصر النبوة والخلافة الراشدية والأمويين)، مكتبة المعارف، ط١، الرباط، ١٩٨٣م.

٢٢. حاتم، نوري: زيد بن علي ومشروعية الثورة عند أهل البيت، مركز الغدير للدراسات، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٣. الحاج حسن، حسين: **حضارة العرب في صدر الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٤. حامد، عبد القادر: **زرادشت الحكيم نبي قدامى الإيرانيين**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

٢٥. أبو حبيب، سعدي: **مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية**، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٦. حتي، فليب وآخرون: **تاريخ العرب**، دار غندور، ط٨، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٧. حسن، حسين إبراهيم: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجليل، بيروت، ط١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٨. حسن، حسين: **أعلام تميم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٩. حسن، ناجي: **ثورة زيد بن علي**، الدار العربية للموسوعات، ط١، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٠. حسن، حسين الحاج: **النظم الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط١، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٧م.

٣١. حسن، علي إبراهيم: **التاريخ الإسلامي العام** /الجاهلية، الدولة العربية، الدولة العباسية/، مكتبة النهضة المصرية، ط٣، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣٢. **تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي**، الحياة المالية والاقتصادية والإدارية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٣. حمادة، محمد ماهر: **الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي ٤٠-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م**، دار النفائس، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٤. حميد الله، محمد: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد الأموي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، ط٥، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٥. الحديثي، قحطان عبد الستار: **أرباع خراسان**، دار الحكمة، البصرة، ١٩٩٠م.

٣٦. الخربوطلي، علي حسني: **تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي والاجتماعي والاقتصادي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م.

٣٧. **الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣٨. **الدولة العربية الإسلامية**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٣٩. خريسات، محمد عبد القادر محمد وآخرون: **العصبية القبلية في صدر الإسلام**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ٢٠٠٥م.

٤٠. **تاريخ الحضارة الإنسانية**، دار الكندي، ط١، إربد، الأردن، ١٩٩٩م.

٤١. خزنة كاتبي، غيداء: **الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٩٧م.

٤٢. الخشاب، يحيى: **التقاء الحضارتين العربية والفارسية**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.

٤٣. الخضري بك، محمد: **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية**، مطبعة الاستقامة، ط٤، القاهرة ، ١٣٥٤هـ/١٩٣٤م.

٤٤. الخضري بك ، محمد: **الدولة الأموية**، تح: محمد العثماني، دار القلم ، بيروت، د.ت.

٤٥. خطاب، محمود شيث: **قادة فتح السند وأفغانستان** " أفغانستان قبل الفتح وأيامه"، دار الأندلس، السعودية، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤٦. **قادة فتح العراق والجزيرة**، دار القلم، القاهرة، د.ت.

٤٧. **قادة فتح بلاد فارس (إيران)**، دار الفتح، ط١، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٤٨. **قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر**، دار الأندلس، السعودية، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤٩. الخطيب، عبد الله: **ديوان نصر بن سيار الكناني** أمير خراسان ٤٦-١٣١هـ/٦٦٣-٧٤٨م، مطبعة شفيق، ط١، بغداد، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٥٠. الخطيب، عبد الكريم: **الخلافة والإمامة ديانة**..وسياسة، دراسة مقارنة للحكم والحكومة، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٣م.

٥١. خليل، عماد الدين: **ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز**، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥٢. أبو خليل، شوقي: **نهاوند فتح الفتوح**، دار الرشيد، ط٢، دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٥٣. **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، دار الفكر، ط١، دمشق-بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٥٤. خماش، نجدة: **الإدارة في العصر الأموي**، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥٥. **دراسات في التاريخ الإسلامي**، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٩٤م.

٥٦. الخيرو، رمزية عبد الوهاب: **إدارة العراق في صدر الإسلام**، الدار الوطنية، د.ت.

٥٧. الدجيلي، خولة شاكر: **بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري**، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٥٨. دحلان، أحمد بن السيد بن زيني: **الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**، المطبعة الميرية، ط٢، مكة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

٥٩. دكسن، عبد الأمير عبد حسين: **الخلافة الأموية** ٦٥–٨٦هـ/٦٨٤–٧٠٥م دراسة سياسية، دار النهضة العربية، ط١، بيروت، ١٩٧٣م.

٦٠. الدوري، عبد العزيز: الأعمال الكاملة للدكتور عبد العزيز الدوري (٦)، **النظم الإسلامية**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨م.

٦١. **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م.

٦٢. مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م.

٦٣. الجذور التاريخية للشعوبية، دار الطليعة للطباعة، ط١، بيروت، ١٩٦٢م.

٦٤. **العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والمالي والإداري** والمالي، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

٦٥. ذنون طه، عبد الواحد: **العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي**، الدار العربية للموسوعات، ط٢، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٦٦. الراوي، ثابت إسماعيل: **العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية**، مكتبة الأندلس، ط٢، بغداد، ١٩٧٠م.

٦٧. رستم، أسد: **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، دار المكشوف، ط١، بيروت، ١٩٥٥م.

٦٨. الريس، محمد ضياء الدين: **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية**، دار التراث، ط٥، القاهرة، ١٩٨٥م.

٦٩. **عبد الملك بن مروان موحد الدولة**، القاهرة، دار الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

٧٠. الزحيلي، محمد: **تاريخ القضاء في الإسلام**، دار الفكر، ط١، دمشق–بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧١. الزركلي (خير الدين): **الأعلام** "قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٧٢. زكريا، ماجدة فيصل: **عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم**، مكتبة الطالب الجامعي،ط١، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٧٣. زناتي، أنور محمود: **موسوعة تاريخ العالم** /تاريخ العرب والمسلمين/ منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر، د.م، د.ت.

٧٤. **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

٧٥. زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٧٦. سالم، السيد عبد العزيز: **دراسات في العرب "تاريخ الدولة العربية"**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٣م.

٧٧. سرور، محمد جمال الدين: **الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٩٥م.

٧٨. **الدولة العربية الإسلامية منذ العام الأول الهجري وحتى نهاية العصر العباسي الأول (١-٢٣٢هـ/٦٢٢-٨٤٨م)**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٧٩. سعفان، كامل: **معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)**، دار الندى، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨٠. سلطان، عبد المنعم عبد الحميد: **آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية**، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٩٠م.

٨١. سيد الأهل، عبد العزيز: **الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٧، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٨٢. أبو سيف، فتحي: **خُرَاسان تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين**، مكتبة سعيد رأفت، ط١، جامعة عين شمس، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٨٣. شاكر، محمود: **التاريخ الإسلامي**، المكتب الإسلامي، ط٧، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٨٤. **خراسان**، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٨٥. شاهين، حمدي: **الدولة الأموية المفترى عليها**، دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٨٦. الشرقاوي، عبد الرحمن: **شخصيات إسلامية**، دار إقرأ، ط١، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٨٧. الشطشاط، علي حسين: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار قباء، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.

٨٨. شعبان، محمد عبد الحي: **صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠م (١٣٢هـ)**، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧.

٨٩. **الثورة العباسية**. تر: عبد المجيد حسين القيسي، دار الدراسات الخليجية.

٩٠. شكري، فيصل: **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول "دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية"**، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٨٢م.

٩١. **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٩٢. شلبي، أبو زيد: موسوعة التاريخ الإسلامي /٢/ **الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها**، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٣. **تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٩٤. صادق، دولت أحمد وآخرون: **جغرافية العالم دراسة إقليمية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

٩٥. صافي، محمد أمان: **أفغانستان والأدب العربي عبر العصور**، المكتبة السلفية، ط١، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٩٦. الصالح، صبحي: **النظم الإسلامية**، نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٨٢م.

٩٧. الصلابي، علي محمد: **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الإنهيار**، جزئين، دار المعرفة، ط٢، بيروت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩٨. **خلافة عبد الملك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية**، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٩٩. **معاوية بن أبي سفيان شخصيته وعصره**، دار الأندلس، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٠. ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٠١. طقوش، محمد سهيل: **تاريخ الدولة الأموية**، ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م، دار النفائس، ط٧، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٠٢. طلس، محمد أسعد: **تاريخ العرب**، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠٣. الطيباوي، عبد اللطيف: **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، دار الأندلس، ط٣، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠٤. العابد، مفيد رائف: **معالم تاريخ الدولة الساسانية** (عصر الأكاسرة٢٢٦-٦٥١م)، دار الفكر، دمشق، ط١، بيروت-دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٠٥. عاقل، نبيه: **دراسات في تاريخ العصر الأموي**، مطبعة الداودي، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

١٠٦. **خلافة بني أمية**، سلسلة تاريخ العرب والإسلام /٢/، دمشق، ١٩٧٢.

١٠٧. العبادي، أحمد مختار: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

١٠٨. عباس، إحسان: **عهد أردشير**، دار صادر، بيرت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٠٩. عبد الحميد، سعد زعلول: **في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.

١١٠. عبد الحكيم، منصور: **الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية**، دار الكتاب العربي، دمشق، ٢٠٠٩م.

١١١. عبد الفتاح، صفاء حافظ: **ضياع بني أمية في عصر الخلافة**، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩١م.

١١٢. عبد القادر، علي: **الفقه الإسلامي القضاء والحسبة**، دار المعارف للطباعة، تونس، د.ت.

١١٣. عبد القادر، محمد فريد: **معارك فاصلة في تاريخ الإسلام**، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١١٤. عبد اللطيف، عبد الشافي محمد: **العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية**، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١١٥. عزب، محمد سعد السيد أحمد: **الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي والخوارزمي**، شركة نوابغ الفكر، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١١٦. عزب، خالد: **بخارى الشريفة تاريخها وتراثها الحضاري**، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

١١٧. العسلي، بسام: **فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين**، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،

١١٨. **قادة فتح بلاد الشام والعراق**، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١١٩. العش، يوسف: **محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية**، مطبعة رياض، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٠. العشماوي، محمد زكي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٢١. عطا، زبيدة، **بلاد الترك في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، د.م، د.ت.

١٢٢. عطوان، حسين: **الدعوة العباسية تاريخ وتطور**، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٢٣. **الشعر في خراسان من الفتح إلى نهاية العصر الأموي**، دار الجيل، ط٢، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٢٤. **المرجئة والجهمية بخراسان في العصر الأموي**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

١٢٥. عكاشة، ثروت: **الفن الفارسي القديم**، دار المستقبل العربي، ط١، القاهرة، ص١٩٨٩.

١٢٦. العلي، صالح أحمد: **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٦٩م.

١٢٧. العمري، عبد العزيز بن إبراهيم العمري: **الفتوح الإسلامية عبر العصور**، دار إشبيليا، ط٣، الرياض، ١٤٢١هـ/١٩٩١م.

١٢٨. العمادي، محمد حسن: **خراسان في العصر الغزنوي**، تقديم: نعمان جبران، مؤسسة حماده للخدمات، الأردن، د.ت.

١٢٩. عُلَبي، أحمد: **العهد السرّيّ للدعوة العباسية**، دار الفارابي، ط٢، بيروت، ٢٠١٠م.

١٣٠. علي، سيد أمير: **مختصر تاريخ العرب**، تر: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٦٧.

١٣١. عماش، صالح مهدي: **قتيبة بن مسلم الباهلي وحركات جيش المشرق الشمالي فيما وراء النهر**، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ١٩٧٨م، ص٩٥.

١٣٢. العمرو، علي عبد الرحمن: **هشام بن عبد الملك والدولة الأموية**، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣٣. عوض الله، الشيخ الأمين محمد: **تاريخ الدولة الأموية**، مكتبة الرشد، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٣٤. عيسى، رياض: **الحزبية السياسية منذ قيام الإسلام حتى سقوط الدولة الأموي**، تقديم: سهيل زكار، ط١، دمشق، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣٥. **النزاع بين أفراد البيت الأموي ودوره في سقوط الخلافة الأموية**، تقديم: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

١٣٦. الغزي، الهادي حمودة: **الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٣٧. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: **الإسلام والمسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى**، دار الأمين، ط١، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٣٨. الفحام، شاكر: **الفرزدق**، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٣٩. فخري، أحمد: **دراسات في تاريخ الشرق القديم**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٤٠. فرزات، محمد حرب: **مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة**، جامعة دمشق، ط٢، دمشق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٤١. فرعون، محمود؛ العلان، أرواد: **دراسات في تاريخ فارس وحضارتها حتى الفتح العربي**، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٤٢. فوزي، فاروق عمر: **الثورة العباسية دراسة تاريخية لمواجهاتها الدينية والسياسية** ولدور العرب في نجاحها ٩٨-١٣٢هـ/ ٧١٦-٧٤٩م، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠١م.

١٤٣. **طبيعة الدعوة العباسية** ٩٨هـ/٧١٦م -١٣٢هـ/٧٤٩م دراسة تحليلية لمواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها، دار الإرشاد، ط١، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

١٤٤. **بحوث في التاريخ العباسي**، دار القلم، مكتبة النهضة، ط١، بيروت-بغداد، ١٩٧٧م.

١٤٥. **العباسيون الأوائل** ٩٧هـ/٧١٦-١٧٠هـ/٧٨٦م، دار الإرشاد، ط١، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

١٤٦. القاضي، النعمان عبد المتعال: **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

١٤٧. قطب، محمد علي: **أبطال الفتح الإسلامي**، دار الدعوة، ط١، الإسكندرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٤٨. كاشف، سيدة إسماعيل: **الوليد بن عبد الملك** ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١٤٩. **كتاب الأفستا**: تر: خليل عبد الرحمن، روافد للثقافة والفنون، ط٢، دمشق، ٢٠٠٨م.

١٥٠. الكتَّاني (محمد عبد الحي الإدريسي): **نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتيب الإدارية**، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، ط٢، بيروت، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

١٥١. الكعبي، نصير: **الدولة الساسانية دراسة في التاريخ السياسي في ضوء المصنفات الإسلامية**، دار رسلان، دمشق ٢٠١٥م.

١٥٢. كرد علي، محمد: **الإسلام والحضارة العربية**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

١٥٣. كرد علي، **الإدارة الإسلامية في عز العرب**، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٤م.

١٥٤. الكرملي، أنستس ماريُّ: **النقود العربية وعلم النميات**، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م.

١٥٥. كمال، أحمد عادل: **سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية**، دار النفائس، ط١، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٥٦. ماجد، عبد المنعم: **التاريخ السياسي للدولة العربية** "عصر الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين"، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٥٧. متز، آدم: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري** أو عصر النهضة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، ط٥، بيروت، د.ت.

١٥٨. محمد، بدر عبد الرحمن: **الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية** من أوائل القرن الثاني الهجري حتى ظهور السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.

١٥٩. محمد، قطب إبراهيم: **السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

١٦٠. محمود، حسن احمد: **الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ٢١-٤٤٧هـ**، دار الفكر العربي، بيروت، د.ت.

١٦١. محمود، زيادة: **الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه**، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٦٢. محمود، حسن أحمد؛ الشريف، أحمد إبراهيم: **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، ط٥، القاهرة، د.ت.

١٦٣. مرحبا، محمد عبد الرحمن: **أصالة الفكر العربي**، منشورات عويدات، ط١، بيروت، باريس، ١٩٨٢م.

١٦٤. المصري، جميل عبد الله محمد: **أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري**، مكتبة الدار، ط١، المدينة المنورة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٦٥. **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

١٦٦. مصطفى، نادية محمود: **الدولة الأموية –دولة الفتوحات** ٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٦٧. مصطفى، مسعود أحمد: **أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية**، تقديم: جاد الحق علي جاد الحق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٦٨. مصطفى، شاكر: **دولة بني العباس**، وكالة المطبوعات، ط١، الكويت، ١٩٧٣م.

١٦٩. مظهر، سليمان: **قصة الديانات**، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٧٠. ملحم، محمد فيصل: **صفحات من تاريخ الدولة الاموية والأندلس**، دار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠٤.

١٧١. الناطور، شحادة: تجديد **الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان** ٦٩هـ/٦٨٥م-٨٦هـ/٧٠٥م، دار الكندي للنشر، الأردن، د.ت.

١٧٢. أبو النصر، عمر: **سيوف أمية في الحرب والإدارة**، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ١٩٦٣م.

١٧٣. **الأيام الأخيرة للدولة الأموية**، منشورات المكتبة الأهلية، ط١، بيروت، ١٩٦٢م.

١٧٤. أبو النصر، محمد عبد العظيم: **تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى وبلاد القوقاز**، شركة نوابغ الفكر، ط١، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٧٥. أبو النصر، محمد عبد العظيم: **الدولة العباسية والعلاقات الخارجية**، مطبعة الزهراء، د.م، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٧٦. النص، إحسان: **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار اليقظة العربية، القاهرة، د.ت.

١٧٧. نصير بك، محمود: أبطال الفتح الإسلامي من العرب والترك، مطبعة خلف، ط٢، القاهرة، ١٩٤٤م.

١٧٨. النقشبندي، ناصر السيد محمود: **الدرهم الأموي المضروب على الطراز الإسلامي**، دار الوثائق للدراسات والطبع، ط٢، دمشق، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٧٩. الهاشمي، عبد المنعم: **الخلافة الاموية**، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨٠. الهاشمي رحيم كاظم محمد؛ شنقارو، عواطف محمد العزي: **الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د.ت.

١٨١. هدّارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٨٢. الهوني (فرج محمد): **النظم الإدارية والمالية في الدولة العربية الإسلامية** منذ قيام دولة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية، دار الحقيقة، بنغازي، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

١٨٣. الوكيل، محمد السيد: **الأمويين بين الشرق والغرب** "دراسة وصفية تحليلية للدولة الأموية، دار القلم، ط١، دمشق ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

خامساً: المراجع المعربة:

١. آربري، ا.ج: **تُراث فارس**، تر: محمد كفافي، أحمد الساداتي، السيد يعقوب بكر، محمد صقر خفاجة، مر: يحيى الخشاب، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.

٢. أرنولد، سير توماس. هـ: **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، تر: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل البحراوي، مكتبة النهضة المصري، القاهرة، ١٩٧٠م.

٣. بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش، **تاريخ الحضارة الإسلامية**، تر: حمزة طاهر، قدم له عبد الوهاب عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

٤. **تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٦٣م.

٥. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، تر: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦. **تذكرة جغرافياى تاريخى ايران**، تر: حمزة سردادور، طهران بهمن، ١٣٠٨.

٧. بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، تر: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٧٣، الكويت، ١٩٩٣م.

٨. براون، إدوار جرانفيل: **تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي**، تر: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٩. بروي، إدوار: **تاريخ الحضارات العام** /القرون الوسطى/، تر: يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، ط٢، بيروت، ١٩٨٦.

١٠. بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م.

١١. بلَّات، شارل: **الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء**، تر: إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة، دمشق، ١٩٦١م.

١٢. بيرنيا، حسن: **تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني**، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، مر: يحيى الخشاب، دار الثقافة للنشر، ط٢، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٣. جب، هاملتون: **دراسات في حضارة الإسلام**، تر: إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٧٩م.

١٤. جلوب، جون باجوت: **الفتوحات العربية الكربى**، تح: خيري حماد، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٥. حبيبي، عبد الحي: **تاريخ أفغانستان بعد از اسلام**، مركز تحقيقات رايانهاي قائميه اصفهان، د.ت.

١٦. حسيني، مولوي س.أ. ق: **الإدارة العربية**، تر: إبراهين أحمد العدوي، مر: عبد العزيز عبد الحق، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

١٧. **دائرة المعارف الإسلامية**، تر: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورسيد، عبد الحميد يونس، دار المعررفة، بيروت، ١٩٣٣م.

١٨. دينيت، دانييل، **الجزية والإسلام**، ترجمه وقدم له فوزي جاد الله، مراجعة إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٠م

١٩. ديورانت، ول وايريل: **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود، محمود بدران وآخرون، دار الجيل ، بيروت، د.ت.

٢٠. دياكوف، كوفاليف؛ ف،س: **الحضارات القديمة**، تر: نسيم واكيم، اليازجي، دار علاء الدين، ط١، دمشق، ٢٠٠٠م.

٢١. ريسر، جاك: **الحضارة العربية**، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط١، بيروت-باريس، ١٩٩٣م.

٢٢. زيهنير، ر.س: **المجوسية الزرادشتية** الفجر- الغروب، تر: سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٣. سايكس، سربرسى: **تاريخ إيران**، تر: فخر داعي كيلاني، سيد محمد تقي، دنياى كتاب، تهران، ١٣٧٠.

٢٤. سميث، هوستن: **أديان العالم**، تر:سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط٣، حلب، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٥. شير، السيد أدي: **الألفاظ الفارسية المعربة**، دار العرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

٢٦. عطية، عزيز سوريال: **تاريخ المسيحية الشرقية**، تر: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة،ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٧. فامبرى، أرمنيوس: **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**، تر: أحمد الساداتي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٨٧٢م.

٢٨. فلهوزن، يوليوس: **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مراجعة: حسين مؤنس، لجنة التأليف والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢٩. فلوتن، فان: **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية**، تر: حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، مطبعة السعادة، ط١، القاهرة، ١٩٣٤م.

٣٠. كاهن، كلود: **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية**، تر: بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، ط٢، بيروت، ١٩٧٧م.

٣١. كريستنسن، أرثر: **إيران في عهد الساسانيين**، تر: يحيى الخشاب، مر: عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، ١٩٩٨م.

٣٢. كولر، جون: **الفكر الشرقي القديم**، تر: كامل يوسف حسين، مر:إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ع١٩٩، ١٩٩٥م.

٣٣. كيرشمن، رومن: **إيران از آغاز تا اسلام**، تر: محمد معين، انتشارات علمي فرهنكي، طهران، ١٩٨٥م.

٣٤. كيرك، جورج: **موجز تاريخ الشرق الأوسط من ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر**، تر: عمر الإسكندري، مر: سليم حسن، دار الطباعة الحديثة، ط٣، القاهرة، ١٩٥٧م.

٣٥. لسترنج، كي: **بلدان الخلافة الشرقية**، تر: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٠٥م.

٣٦. لوبون، جوستاف: **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، تر: عادل زعيتر، دار طيبة، ط١، الجيزة، ٢٠٠٩م.

٣٧. **حضارة العرب**، تر: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط٣، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣٨. لومبار، موريس: **الإسلام في فجر عظمته**، تر: حسين العودات، مر: علي الخش، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٩م.

٣٩. **الإسلام في مجده الأول** من القرن ٢هـ/٨هـ إلى القرن ٥هـ/١١م، تر: إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، ط٢، المغرب، ١٩٩٠م.

٤٠. لويس، برنارد: **العرب في التاريخ**، تر: نبيه فارس، محمود زايد، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٥٤م.

٤١. مجموعة مؤلفين، **موجز تاريخ الفلسفة**، تر: توفيق سلوم، دار الفارابي، ط١، بيروت، ١٩٨٩م.

٤٢. مكاريوس، شاهين: **تاريخ إيران**، مطبعة المقتطف، مصر، ١٨٩٨م.

٤٣. محمد غبار، مير غلام: **أفغانستان دَرْ مَسير تاريخ**، مركز نشر اقلاب باهمكارى جمهورى، بهار١٣٤٨.

٤٤. هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، تر: أحمد محمد رضا، مر: عز الدين فوده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

٤٥. هنتس، فالتر: **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٧٠م.

٤٦. هيرودوت، **تاريخ هيرودوت**، تر: عبد الإله الملاح، مر: أحمد السقاف، حمد بن صراي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

٤٧. نغرين، جيووايد: **ماني والمانوية** دراسة لديانة الزندقة وحياة مؤسسها، تر: سهيل زكار، دار حسان، ط١، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٤٨. ولبر، دونالد: **إيران ماضيها وحاضرها**، تر: عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب، ط٢، القاهرة-بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٩. ويلز (هـ.ج): **معالم تاريخ الإنسانية**، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، القاهرة، ١٩٩٤م.

سادساً: المعاجم والموسوعات والأطالس:

١. التونجي، محمد: **المعجم الذهبي**، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٦٩م.

٢. حسنين، عبد النعيم محمد: **قاموس الفارسية**، دار الكتاب اللبناني، ط١، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣. حنا، نهى وآخرون: **موسوعة كنوز المعرفة**، دار نظير عبود، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.

٤. الخطيب، مصطفى عبد الكريم: **معجم المصطلحات التاريخية**، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٥. الخليلي، جعفر: موسوعة **العتبات المقدسة** /قسم خراسان/، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦. ابن خميس، عبد الله بن محمد: **معجم اليمامة**، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٧. الخوند، مسعود: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، دار رواد النهضة، بيروت، ١٩٩٥م.

٨. أبو الذهب، أشرف طه: **المعجم الإسلامي**، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٩. شاكر، محمود: **موسوعة الفتوحات الإسلامية**، دار أسامة للنشر، ط١، عمان، ٢٠٠٢م.

١٠. عطية الله، أحمد: **القاموس الإسلامي**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

١١. عمارة، محمد: **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، دار الشروق، ط١، بيروت-القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٢. كحالة، عمر رضا: **معجم قبائل العرب**، مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٣. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٤. مجموعة مؤلفين، **موسوعة الأديان الميسرة**، بيروت، دار النفائس، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٥. المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد: **أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (**رضي الله عنهم**)**، مطبعة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

١٦. **أطلس تاريخ الدولة الأموية**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٧. مؤنس، حسين: **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٨. وجدي، محمد فريد: **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة، ط٣، بيروت، ١٩٧١م.

سابعاً: الرسائل الجامعية:

١. الأحمد، أيوب عبد الحميد مخيلف: **خُراسان من٩٩هـ-١٣٢هـ/٧١٧-٧٥٠م دراسة في الإدارة والأوضاع العامة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: صالح موسى درادكه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٨م.

٢. التلاوي، حسين: **دور المهالبة في الحياة السياسية والعسكرية في العصر الأموي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أمينة بيطار، جامعة دمشق، كلية الآداب، د.ت.

٣. خصاونة، حسين أحمد سعيد: **القبائل العربية في خراسان حتى نهاية العصر الأموي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف صالح درادكه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٨.

٤. دراوشة، حسن محمد حسن: **مروان بن محمد** (٧٢هـ/٦٩١م- ١٣٢هـ/٧٤٩م) دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: جمال جوده، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٧م.

٥. الزعبي، نسرين يوسف عيسى: **نصر بن سيار الليثي (**٤٦-١٣١هـ/ ٦٦٦-٧٤٨م**)**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عبد الله منسي العمري، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٦. زوير، علي فرحان: **الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الأموي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: حسين علي الداقوقي، جامعة بغداد، كلية البنات ابن رشد، ٢٠٠٥م.

٧. الزيتاوي، معزوزة على موسى: **الحركات الفارسية غير الإسلامية في المشرق في العصر العباسي الأول**، إشراف: فالح حسين، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٣م.

٨. السلومي، عبد العزيز: **ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: حسام الدين السامرائي، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٩. السوداني، رباب خباز طاهر: **جبهة البصرة دراسة في أحوالها العسكرية والإدارية والاجتماعية والمالية للفترة من (١-٤١هـ/٦٣٢-٦٦١م)**، رسالة ماجستير، إشراف: قحطان الحديثي، جامعة البصرة ، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٠. الشريف، عبد الله بن حسين الشنبري: **الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧١٩-٧٢٣م)**، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد السيد دراج/ جامعة أم القرى، السعودية، جزئين، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١١. الشمري، مها محسن خليفة إبراهيم: **الحركة الفكرية في مرو خلال القرنين ٥-٦هـ/١١-١٢م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: قحطان عبد الستار الحديثي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٢. الشمري، صالح حسن عبد: **الخلافة الأموية** من ١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م والفتنة الثانية، دراسة سياسية، إشراف صالح خلف الحمارنة، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٧م.

١٣. عرفة، ثريا حافظ: **الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول**، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد السيد دراج، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٤. العلان، أرواد: **السياسة الساسانية الإيرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمود فرعون، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠٠٥م.

١٥. **المملكة الفرثية منذ القرن الأول ق.م وحتى القرن الثاني الميلادي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: محمود فرعون، جامعة دمشق، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٦. العفنان، عبد الرحمن فريح: **القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي**، رسالة دكتوراه، إشراف: جميل عبد الله محمد المصري، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ.

١٧. عياش، حسن حسين عبد الله: **الولاة والعمال في الجهاز الإداري في صدر الإسلام** " منذ فترة الرسول ﷺ وحتى نهاية الدولة الأموية" ١-١٣٢هـ/٦٢٢-٧٥٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب- الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٨. عيزوقي، محمود: **أوضاع خراسان أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي** (٧٨-٩٥هـ/ ٦٩٧-٧١٣م) دراسة سياسية-اجتماعية-اقتصادية، إشراف: د، نهى حميد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة دمشق، ٢٠١١.

١٩. الصوفي، حميد مرعي: **دور الدهاقين في الإدارة المالية لخُرَاسان** حتى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: صلاح الدين أمين طه، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٠. طلفاح، معن عدنان صالح، **حركة يزيد بن الوليد وأثرها على الدولة الاموية**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: يوسف حسن كواغة، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢١. أبو الفضل، سميحة: **السامانيون ودولتهم فيما وراء النهر**، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: سهيل زكار، جامعة دمشق، كلية الآداب، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٢. القمصات، دلال عزت قاسم: **جباية الضرائب في صدر الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: فالح حسين، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٠م.

٢٣. مرزوق، سهيلة مرعي: **السياسة الزراعية في خراسان في القرن الأول الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: جاسم صكبان علي، جامعة البصرة، كلية التربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٢٤. النعيمي، وئام عدنان عباس: **الخلافة الأموية** من ١٢٥-١٣٢هـ/ ٧٤٤-٧٥٠م دراسة في أوضاعها السياسية والإدارية، رسالة دكتوراه، إشراف: عبد الأمير دكسن، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ثامناً: المقالات والمجلات:

١. إبراهيم، نجم عيدان: **فتوح بلاد خُرَاسان**، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج١١، ع١، ٢٠٠٦م.

٢. أبو بكر، أحمد عثمان: **الكرد في كتابات المسلمين الأوائل**، ذكر مواطن وطوائف الأكراد، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٢٤، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣. . الجبوري، عبد الستار حمدون: **ولاية نصر بن سيار على إقليم خراسان في العصر الأموي** ٨٦-١٣٢هـ/٧٠٦-٧٤٨م، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج ١٦،ع ٤، نيسان، ٢٠٠٩م.

٤. الحديثي، قحطان عبد الستار، "**عملة خُرَاسان الإسلامية ومراكز سكها حتى سقوط الإمارة السامانية**"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع٤٠، ١٩٩٥م.

٥. الحديثي، قحطان عبد الستار،" **طريق الحرير العظيم وأهميته الاقتصادية** "، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع٤٧، ١٩٩٩م.

٦. الحديثي، **التقسيمات الإدارية في خراسان منذ الفتح العربي وحتى نهاية القرن الرابع للهجرة**، مجلة آداب المستنصرية، ع ١٦، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٧. حسين، فالح: **العشور وضرائب التجارة في صدر الإسلام**، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، آذار-حزيران، ١٩٨٨م.

٨. خماش، نجدة: **خُرَاسان**، الموسوعة العربية، ط١، دمشق، مج٨، ٢٠٠٣م.

٩. الخيرو، رمزية عبد الوهاب: **التحديات الفارسية على الأمة العربية عبر التاريخ وخاصة في أواخر الدولة الأموية "مروان بن محمد"**، مجلة آداب المستنصرية، ع ١٣، ١٩٨٥م.

١٠. داؤود، عصام كاظم: **الأحنف بن قيس ودوره في فتح خراسان**، جامعة البصرة، كلية الدراسات التاريخية، مجلة دراسات البصرة، السنة الثانية، ع١، ٢٠٠٧م.

١٣. الدليمي، طارق فتحي سلطان: **أبو مسلم الخراساني (١٠٠-١٣٩هـ/٧١٨-٧٥٥م)**، دراسة تاريخية تحليلية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج ٢، ع ٣، ٢٠٠٥م.

١٤. الدوري، **نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام**، مجلة اللغة العربية بدمشق، م٤٩، سنة ١٩٧٤.

١٥. رميض، أحمد خضير: **الأحنف بن قيس ودوره في الإسلام**، مجلة آداب الفراهيدي، ع ١٢، أيلول ٢٠١٢م.

١٦. الشالجي، عبود: **الرواتب في الإسلام**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ع٢٦، د.ت.

١٧. الشمري، طالب منعم حبيب: **الزرادشتية ثنوية أم توحيد**، مجلة كلية التربية، واسط، ع١١، د.ت.

١٨. الشيخ، علي كاظم عباس: **المسكوكات البيزنطية والساسانية المتداولة في العراق** حتى أواخر عهد عبد الملك بن مروان، جامعة القادسية، قسم الآثار، مج ٢، ع٢، ٢٠١٢م.

١٩. العبادي، أحمد مختار: **الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية**، مجلة عالم الفكر، مج ١١، ع١، ١٩٨٠.

٢٠. عاقل، نبيه: **ملاحظات حول نمط الحكم في ولايات التخوم في الدور العباسي الأول**، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، ١٩٨٤م.

٢١. العبيدي، عبد الجبار: **الفتوح العربية الإسلامية ودوافعها**، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع ١٤، سنة ١٩٨٠م.

٢٢. العقيلي، محمد أرشيد: **التنظيمات المالية في المشرق الإسلامي منذ الفتح حتى عهد عمر بن عبد العزيز**، مؤتة للبحوث والدراسات، مج٩، ع٢، ١٩٩٤م.

٢٣. علي، جاسم صكبان: **دور البصرة في الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي**، مجلة كلية التربية للبنات، مج ٢٥ (٢)، ٢٠١٤م.

٢٤. العلي، صالح أحمد: **استيطان العرب في خراسان**، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع ٣، حزيران، ١٩٥٨م.

٢٥. العلي، **إدارة خُرَاسان في العهود الإسلامية الأولى**، مجلة كلية الآداب، بغداد، ١٩٧٢م، عدد ١٥.

٢٦. العلي، **العطاء في الحجاز**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٧٠م.

٢٧. العلي، **التدوين وظهور الكتب المصنفة في العهود الإسلامية الأولى**، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٣١، ج٢، ١٩٨٠م.

٢٨. العلي، **تقسيمات خُرَاسان الإدارية في العهود الإسلامية الأولى**، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.

٢٩. العلي، **امتداد العرب في صدر الإسلام**، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٢، ج١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٠. فوزي، فاروق عمر: **الألوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي الأول**، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠–١٩٧١م، ع ١٧، مج٣، د.ت.

٣١. فوزي، **الإدارة العربية لبلاد فارس في القرن الأول الهجري**، مجلة المؤرخ العربي،ع ٣٤، السنة ١٩٨٧م.

٣٢. الكبيسي، حمدان عبد المجيد: **موارد بيت المال في إقليم خراسان**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ع٤٧، ج٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٣. محمد بديع شريف، **الصراع بين الموالي والعرب**، [وهو بحث في حركة الموالي ونتائجها في الخلافة الشرقية]، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٤.

٣٤. نوري، **هدى: ولاة خراسان خلال عصر الخلافة الأموية**، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، ع ١، آذار، ٢٠١٢م.

٣٥. ياسين، نجمان: **الاتجار بغنائم الحرب في عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية**، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ع٤٤، ج٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

تاسعاً: المراجع الأجنبية

1. Asmussen, J.P., **Christians in Iran**, The Cambridge History of Iran, vol 3 (I), the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol.3 (1).
2. Boulger, Dmetrius Charlis: **History of China**, W. Thacker Co., 2, Creed Lane, E.C, London, 1898, vol. 1, p.293.
3. Dhalla, Maneckji Nusservanji, **Zoroastrian Civilization**, From the Earliest Times to the Downfall of the Last Zoroastrian Empire 651 A.D., Oxford University Press, New York, 1922.
4. Dosabhai Framji: **History of Parsia**, Macmillan and Co., London, 1884, vol. 1.
5. Duchesne-Guillemin, j, **Zoroastrian Religion**, The Cambridge History of Iran, vol 3 (I), the Seleucid, **Parthian and Sasanian Periods**, Cambridge university press, vol 3 (I), 1983.
6. Ghirshman. R: **Iran from the Earliest time to the Islamic conquest**, London, 1954, p.312

7. GIBB, H.A.R : **The Arb Conquests in Central Asia**, New yark, 1970.
8. Emmerik, R,E: **Buddahism Among Iranian people**, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, vol. 3 (I),1983.
9. Emmerik, R,E **The Cambridge History of Iran**, Cambridge university press, 1996, vol.3.
10. E. Van Donzel, B.Lewis and Ch. Pellat, **Encyclopaedia of Islam**, E.J. Broll, Leiden, 1997, Third Impression, vol.IV Iran-Kha.
11. Hodgson, Marshall G.S: The Venture if Islam, **Conscience and, History in a warld Civilization.** The University of Chicago, London, 1974, Vol. 1.
12. Neusner, J, **Jews in Iran**, The Cambridge History of Iran, vol 3 (I), the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol.3 (1), (909-923), p.909.
13. S. Khuda Bukhsh, M.A., B.C.L, **The orient under the Caliphs**, Translated from Kremer, von, university of Calcutta, 1920.
14. Sinor, Denis: **The Cambridge History of Early Inner Asia**, Cambridge university, 1990, vol.1, p.301.
15. Skrine, Francis Henry- Denison Ross, Edward: **The heart of Asia**, a history of Russian Turkestan and the Central Asian Khanates from the Earliest times, Methuen, London, 1899, p.46
16. Yarshater, Ehsan: **Mazdakism**, The Cambridge History of Iran, volume 3 (I), the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol.3 (1).
17. Widengren, G: **Manichaeanism** And its Iranian Background, The Cambridge History of Iran, the Seleucid, Parthian and Sasanian Periods, Cambridge university press, 1983, vol. 3 (I),

عرض لأهم المصادر والمراجع المستخدمة في الدراسة وتحليلها

لا يغيب عن الذهن أن العصر العباسي كان العصر الذهبي للكتابة التاريخية، فقد شهدت كتابة التاريخ اهتماماً واسعاً وكبيراً في العصر العباسي الأول، وتكاد تكون أهم المصادر التاريخية الإسلامية قد ظهرت في هذا العصر. ومن هنا يمكن القول إن أغلب الروايات والمؤلفات التي تناولت العصور ما قبل العصر العباسي "عصر الرسول الكريم ﷺ، وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وعصر الخلافة الأموية" قد كتبت في هذا العصر استناداً إلى مصادر لم يصل منها إلا القليل والنادر، لذلك سيتم الاعتماد على هذه المصادر في الكتابة عن التاريخ الأموي، على الرغم من أنها وفي أجزاء كثيرة قد جاءت متحيزة للتاريخ العباسي، وظالمة للعصر الأموي وخلفائه. ونادرا ما يوجد مؤرخ عباسي قدم الثناء أو المدح لخليفة أموي "ما خلا الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز"، فقد صور مؤرخو العصر العباسي الخلفاء الأمويين بأنهم غير متدينين ومستهترين، ولم يسيروا على خطى الخلفاء الراشدين، فحكموا عليهم بالمقاييس نفسها المطبقة في العصر الراشدي، من دون الأخذ بالحسبان من أن الدولة الإسلامية توسعت بشكل كبير في العصر الأموي، وأصبحت الدولة الإسلامية إمبراطورية مترامية الأطراف، ومن الصعب إدارتها بالطرق والأساليب والوسائل نفسها التي كانت موجودة في عصر الخلفاء الراشدين.

إن مصادر الدراسة عن العصر الأموي التي تم الاعتماد عليها في إنجاز هذه الدراسة هي جملة من المصادر الأوليـة المتنوعة، ومنها: مصادر التاريخ العام، والمصادر الجغرافية، ومصادر الأنساب، والمصادر الأدبية، وكتب الخراج والأموال، وكتب التراجم والطبقات، وكذلك العملات والنقود. إن كل فصل من فصول هذه الدراسة يحتوي على مقارنة للروايات المختلفة مع ملاحظات انتقادية، مع جلب الانتباه إلى أن المصادر المتأخرة تعيد الروايات التي تذكرها المصادر المبكرة القريبة من العصر الأموي مختصرة أحياناً ومعاد صياغتها أحياناً أخرى، ولكن أهمية هذه المصادر تكمن في كونها توضح أحياناً بعض الأمور المهمة في المصادر المبكرة.

وقد جرى إعداد هذا الدراسة بالاعتماد على كل ما هو متيسر من المصادر الأولية ذات العلاقة بالموضوع، ولابد من ذكر مسألتين مهمتين تتعلقان بالمصادر، أولهما تتمثل بعدم وجود وثائق ومصادر أولية معاصرة، والثانية تناثر المعلومات المتعلقة بالموضوع في المصادر؛ مما اقتضى قراءة مستفيضة ودقيقة للأحداث التاريخية لغرض الحصول على معلومات ذات فائدة وعلاقة بهذا الموضوع.

وكثيرة هي المصادر والمراجع التي تناولت إقليم خراسان إبان العصر الأموي؛ إذ اهتمت بعض المصادر بتاريخ خراسان وتوسعت، ومصادر أخرى ذكرتها بشكل عرضي، وما ارتبط به من أحداث، فمنها ما كانت مصادر تاريخية، عُنيت بسرد الروايات على اختلاف رواتها، ومنها ما كان مراجع جغرافية، أو كتب رحلات وبينها كتب السيرة، كما لم تخلُ كتب الفتوح والمصادر الأدبية، وكتب الفرق أو

النظم من الإشارة لهذه الحقبة؛ مما أدى إلى تنوع مصادر الدراسة وتعددها؛ ولكثرة المصادر سيتم التعريف بها ودراسة أهمها دراسة نقدية. وفيما يلي تعريف للمصادر التي كانت لها أهمية خاصة للبحث، فأما الذي لم يذكر سيتم ذكره في قائمة المصادر و المراجع .

أولاً: مصادر التاريخ العام:

١– كتاب "**التاريخ**"(١) وكتاب "**الطبقات**"(٢) لخليفة بن خياط: محدث ومؤرخ بصري يمثل تاريخه أقدم الحوليات في التاريخ الإسلامي، وكونه محدثاً فقد تبنى خليفة في تاريخه طريقة المحدثين بذكر سلسلة الرواة، وفي حديثه عن العصر الأموي، لاسيما حقبة عبد الملك بن مروان، ينقل عن رواة عدة، منهم عوانة بن الحكم، وأبو اليقظان، وابن الكلبي، وأبو عبيدة، والمدائني، والأصمعي، وابن عياش، وكذلك جده خليفة، فهو مصدر ثمين يحتوي على قوائم بأسماء الولاة وأصحاب الشرط ورؤساء الدواوين التي ترد في نهاية عصر كل خليفة، كذلك فإن كتابه الطبقات من المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ هذه الحقبة، فيعطي في طبقاته نسب كل شخص من جهة أبيه وأمه، كما يذكر محل إقامته ورحلاته وأسفاره وتاريخ وفاته ومشاركته في الفتوحات والحملات، فضلاً عن المناصب الإدارية التي تقلدها وخاصة إذا كان قاضياً أو والياً.

اتسم كتاب التاريخ بالإيجاز في سرد أخباره، وقدم معلوماتٍ مهمةً عن الأحداث البارزة التي حدثت في خراسان، وفي حديثه عن خراسان ينقل خليفة عن المدائني والوليد وأبي اليقظان، غير أن روايته مقتضبة وأحياناً يهمل الإسناد فيها، وهو من المصادر التاريخية المهمة عن الفتوحات العربية الإسلامية في خراسان زمن الخلفاء الراشدين والأمويين، وقدم معلومات مهمة عن تحرير الجيش العربي الإسلامي لإقليم خراسان، وأنه يفرق بين المناطق التي فُتِحَت عنوة أو صلحاً، وتميز كتاب خليفة بدقة المعلومات الإدارية التي أوردها حتى عدَّ كتابه من المصادر الأولى في الإدارة والقضاء، وتم الاستفادة منه في تحديد مقدار الأموال التي تضمنتها مفاوضات الصلح، كما أورد معلوماتٍ كثيرةً عن خراسان وولاتها من العرب المسلمين، ولكنه لم يتطرق بشكل مباشر إلى الدهاقين وعلاقتهم بالولاة إلا في نص واحد وهو علاقة دهاقين بلخ مع قتيبة بن مسلم، فضلاً عن الكثير من الأخبار عن حركات المعارضة، مثل: حركة الحارث بن سريج وحركة جديع الكرماني الأزدي، كما تناول في أخباره أهم المعارك التي وقعت بين قوات بني العباس والقوات الأموية. كما أنه لا يبدي اهتماماً بالأحداث التي وقعت في بلاد ما وراء النهر،

(١)– ابن خياط (أبو عمرو خليفة شباب العصفوري ت٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة، تح: أكرم ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢)– كتاب الطبقات، تح: أكرم ضياء العمري، بغداد، مطبعة العاني، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

وعندما يروي خليفة عن أبي اليقظان أخبار الفتنة التي قادها "قارن" فإنه يضعها في سنة ثلاث وثلاثين وهو بهذا يخالف المدائني الذي يضعها سنة اثنتين وثلاثين. وعلى الرغم من أن معلوماته مختصرة إلا إن الكتاب من المصادر المهمة جداً في الفتوح والإدارة.

٢– كتاب "**المعارف**"[١] و"**الإمامة والسياسة**"[٢] لابن قتيبة: يتميز كتابه المعارف بطابعه الموسوعي ويحتوي على معلومات مهمة عن خلافة عبد الملك ونشأته الأولى، كما أنه يذكر بإيجاز أهم الأحداث في عصره، ولا يذكر ابن قتيبة في كتابه هذا المصادر التي أخذ منها معلوماته، وقد قدَّم معلومات بسيطة عن بعض الولاة والعمال، والتقسيمات الإدارية في العصر الأموي، فقد استفاد من المصادر المكتوبة ومن الروايات الشفهية، وينفرد من بين المصادر بأنه يذكر أن أبا محلز لاحق بن حميد السدوسي كان على بيت المال وضرب السكة في مرو. كما يوجد في كتابه الإمامة والسياسة المنسوب له روايات مفيدة لا توجد في غيره، إلا أنه استخدم عنصر المبالغة في رواياته.

٣– كتاب "**فتوح البلدان**"[٣] و "**أنساب الأشراف**"[٤] للبلاذري: هو أحد المؤرخين العرب المهمين، وإن كتابه "أنساب الأشراف" كتاب عام للتاريخ الإسلامي في إطار الأنساب وهو مصدر غني وثمين لتأريخ العصر الأموي، وواحد من القلائل ممن عالجوا تاريخ الأمويين بصورة موضوعية، إن رواة البلاذري الأساسيين عن هذه الحقبة هم: هشام بن محمد الكلبي، وابنه عباس بن هشام، والمدائني، وأبو مخنف، وعوانة بن الحكم، والواقدي، وكان أكثر راو يقتبس منه البلاذري في الأنساب عن خلافة عبد الملك بن مروان هو المدائني، ويأتي الواقدي بعد المدائني من حيث كونه المصدر الذي يأخذ عنه البلاذري، كما خصص جزءاً كبيراً من كتابه لخلافة الوليد، ويعطي صورة متكاملة أكثر من الطبري عن حركات المعارضة، كما أعطى معلومات قيمة ومهمة عن العمال والولاة والإدارة، ووردت في كتاب الأنساب معلومات قيمة تكاد لا توجد في مصادر أخرى عن الضرائب وجبايتها في عهد معاوية وعبد الملك وعمر ابن عبد العزيز.

لقد أودع البلاذري في كتابه فتوح البلدان معلومات لا نظير لها في مصدر آخر، ومن المؤسف أن هذه المعلومات جاءت مختصرة، وقد رتب البلاذري كتابه على أساس المقاطعات والأقاليم لكنه قلما يحدد

(١)– ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط٤، القاهرة، د.ت.

(٢)– الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣)– البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ/٨٩٢م): فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطبَّاع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٤)– جمل من أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

مواقع وأهمية الأماكن التي يذكرها، ولقد أمد هذا الكتاب الدراسة بمعلومات جيدة عن أسماء مدن خراسان وقراها وتواريخ فتحها وحكامها، وقد تمت الاستفادة من هذا المصدر في معظم فصول الدراسة والفائدة الأكبر في الفصل الثاني إذ أورد البلاذري معلومات تفصيلية عن فتوح خراسان منذ صدر الإسلام؛ لذا تمت الفائدة منه بشكل كبير في موضوع الفتح والاستقرار؛ لأنه قدم مادة غزيرة عن مفاوضات الصلح التي تمت بين قادة العرب المسلمين من جهة، ومرازبة ودهاقي مدن وقرى خراسان من جهة ثانية، فهو يتناول مفاوضات صلح كل مدينة على حدة بعد فتحها مبيناً مقدار ما كان عليها من فريضة مالية، محدداً واجب الدهاقين بضرورة أدائها للعرب المسلمين في موعدها المحدد، كما تطرق إلى محاولات نقض عهود الصلح من قبل الحكام المحليين وكيفية معالجة هذا الأمر من قبل العرب المسلمين، كما تمت الاستفادة من معلوماته في تحديد بعض أشكال العلاقة بين الولاة العرب المسلمين والدهاقين إيجابية كانت أم سلبية. وقدَّم معلومات غنية عن التقسيمات الإدارية في العهود الإسلامية للأقطار المفتوحة يندر العثور عليها في كتب التاريخ العام، وقدم معلومات وافرة عن أحكام الخراج والدواوين والعطاء والضرائب وظاهرة الإلجاء والإقطاعيات، واستعمال اللغة العربية لغة رسمية وضرب النقود العربية، وحوادث العصبية القبلية وحركات التمرد التي شهدتها خراسان إبان العصر الأموي، كما ذكر بعض الروايات عن الاستيطان العربي في تلك البلاد، وينفرد البلاذري بذكر عبد الله بن علوان رئيس خمس عبد القيس، ودوره في قتل قتيبة بن مسلم الباهلي.

على الرغم من أن هذا الكتاب خاص بالفتوح إلا أنه تناول بإيجاز بعض الديانات الفارسية، فقد أسهم في إثراء الدراسة بمعلومات قيمة عن الديانة المزدكية، في حين تناول باقتضاب الديانة الزرادشتية، وتحدث عن الديانة المانوية وموقف الشعب الفارسي من الملك قباذ لانضمامه إليه.

٤- كتاب "**الأخبار الطوال**"[(١)] للدينوري: يتناول الأحداث التاريخية منذ بداية التاريخ، ويكرس الدينوري معظم اهتمامه إلى الحركات السياسية والدينية في الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية العربية، فتميز باتجاهه المؤيد للموالي وموقفه هذا ناتج عن أصله الفارسي أو إلى أن المصادر التي استفاد منها كانت في أغلبها فارسية، توسع في ذكر المعلومات التاريخية عن الفرس الساسانيين، وسلط الضوء على أحوال الإدارة الساسانية، وإصلاحات كسرى أنوشروان، وذكر التقسيمات الإدارية في تلك الحقبة. وقد تمت الاستفادة منه في كثير من النصوص المتعلقة بالنظم السياسية والاجتماعية للدولة الساسانية، وفي تحديد مكانة الدهاقين في البناء الاجتماعي لتلك الدولة؛ فضلاً عما قدمه من معلومات عن مالية الدولة الساسانية وهي الضرائب ومصادرها. يمثل كتابه نموذجاً للتاريخ العالمي، لكن التاريخ الإيراني هو الغالب

(١)- الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داؤود ت٢٨٢هـ/٨٩٥م): الأخبار الطوال، ضبطه: محمد سعيد الرَّافع، مكتبة السعادة، ط١، مصر، ١٣٣٠هـ/١٩١١م.

وله المكانة الأساسية، ويشير الدينوري إلى خروج المهلب بن أبي صفرة من خراسان بعد أن استخلفه سلم ابن زياد عليها سنة ٦٤هـ/٦٨٤م بأنه كان بناء على أمر عبد الله بن الزبير. يبالغ في رواياته كثيراً، وبخاصة عند حديثه عن الفتوح، ورواياته وعلى الرغم من غموضها فإنها لا تخلو من أصالة.

٥– كتاب "**التاريخ**"[١] لليعقوبي: مؤرخ يجمع بين ثقافة واسعة وخبرة عملية في الإدارة، وقد أمضى كثيراً من أيام شبابه في الأسفار وجمع المعلومات التاريخية والجغرافية، متزن في أخباره، وهو بصورة عامة دقيق فيما أورده من معلومات، وقد جاء أحياناً بمعلومات فريدة. إن رواياته تمتاز بالاقتضاب والتركيز، وتكشف عن شعور معتدل مؤيد للعلويين الذي يتحول أحياناً إلى شعور معاد للأمويين، ورغم تحيزه الواضح فإن بعض ما يورده في تاريخه أصيل وذو قيمةٍ تاريخية، وهو من المصادر التي درست خراسان ابتداء من عملية تحريرها على يد الجيوش العربية والإسلامية التي انطلقت من البصرة والكوفة، وتناول أوضاع خراسان في ظل الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي مثل الاضطرابات في خراسان. وفي كتابه معلومات ذات فائدة كبيرة عن الدولة الساسانية، فقد تناول أخبار ملوكها، وأسهم في إعطاء صورة واضحة عن العقيدة الزرادشتية. أما رواياته عن المانوية فجاءت موجزة، وتناول الحديث عن الضرائب وإنشاء ديوان العطاء، وتطور الدواوين في العصر الأموي وأعطيات الولاة والعمال، وأشار كذلك إلى عمال الخراج والضرائب؛ وذلك من خلال حديثه عن أعمال الخلفاء.

٦– **كتاب "أخبار الدولة العباسية"**[٢] لمؤلف مجهول: وعُدَّ هذا المصدر من المصادر التي تناولت أخبار الدعوة العباسية منذ الطور السري للدعوة مروراً بمرحلة الثورة وقيام الدولة، فقد قدم أخباراً وافية عن مرحلة الدعوة العباسية وأسماء الدعاة؛ فضلاً عن أخبار المعارك التي نشبت بين قوات بني العباس والقوات الأموية، وأسماء مجالس الدعوة، ومناطق استقرار القبائل العربية في خراسان ودورها في الدعوة العباسية.

٧– كتاب "**تاريخ الرسل والملوك**"[٣] للطبري: اهتم الطبري بالأسانيد وأوردها بعناية، واعتمد في معظم رواياته عن خراسان على المدائني، الذي بدوره أخذ عن شهود عيان أمثال "محمد بن المثنى الأزدي" و" إياس ابن زهير بن حيان التميمي" وكلاهما من القادة العرب الذين استوطنوا خراسان، وفي بعضها الآخر يعود إلى "مصعب بن حيان النبطي"، عن أخيه "مقاتل بن حيان النبطي" الذي كان رئيساً للموالي في

(١)– اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): تاريخ اليعقوبي، مطبعة ليدن المحروسة، ١٨٨٣م.

(٢)– مجهول (من القرن ٣هـ/٩م): أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تح: عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت، د.ت.

(٣)– الطبري (أبو جعفر بن جرير ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٦٣م.

خراسان زمن قتيبة بن مسلم، وفي أحيان أخرى يذكر أخباراً يُرجِعها إلى "أشياخ من أهل خراسان" ففي حديثه عن استعمال الأحنف بن قيس لبشر بن المتشمس المري على مدينة بلخ يعود إلى "عمر بن محمد المريّ عن أشياخ من بني مرةّ". وفي بعض الأحيان كان يجمع العديد من الروايات ويؤلفها، ومثال ذلك ما ذكره عن قصة غدر نيزك وموقف قتيبة بن مسلم منه، وقد وصلت روايات المدائني إلى الطبري عن طريق عمر بن شبّه، وهو راوٍ بصري مهتم إلى درجة كبيرة بتاريخ مدينته وتاريخ خراسان، ويمثل المدائني درجة أعلى من أسلافه في الدراسة والدقة، ويظهر أنه اتبع أسلوب المحدثين في نقد الروايات وهو رجل ثقة ومع ذلك فهو في بعض رواياته كتلك التي تعالج الصراع القبلي في خراسان الذي أعقب وفاة يزيد بن معاوية يعتمد بصورة واضحة على روايات وأساطير قبلية، ويعتمد الطبري على أبي مخنف في نقل روايته عن حركة يحيى بن زيد في خراسان، وذلك لمعرفته بمدى اهتمام الأخير في أخبار العراق، فضلاً عن ميوله العلوية.

ويعد الطبري من أكثر المؤرخين الذين اهتموا بإقليم خراسان، إلا أن هذا الاهتمام كان في معظمه سياسياً وحربياً عاماً أما المجالات الأخرى الاجتماعية والاقتصادية فلم يرد في هذا المصدر شيءٌ عنها إلا بعض المعلومات القليلة المبعثرة، لكنه يحمل أسماء عمال الخراج في الإقليم وبالأحداث التي وقعت فيها، وهو يعد المصدر الرئيس في موضوع الدراسة حيث جاءت أخباره شاملة ودقيقة في أخبار فتوح خراسان كما تمت الاستفادة منه في موضوع الاستقرار العربي في خراسان وأعداد العرب الذين استقروا في قراها ومدنها، وجهودهم العسكرية في فتح مناطق أخرى من خراسان وما وراء النهر؛ بالإضافة إلى إبراز العصبية القبلية وحركات المعارضة ودور القبائل العربية في الدعوة العباسية.

كما يكاد يكون المؤرخ الوحيد الذي اهتم بالجوانب الإدارية في خراسان، فأشار إلى الدواوين والشرطة وبيت المال، وتناول بشكل واف ظاهرة نقض عهود الصلح والأمان لخراسان وظاهرة كسر الخراج، كما قدم معلوماتٍ وافيةً عن أعمال الولاة العرب في هذه البلاد وجهودهم الإدارية وواجبات عمال الخراج العرب، وعلاقة مالية خراسان بمالية الدولة في العصر الأموي. وتوسع في أخبار الحقبة الأخيرة من العصر الأموي؛ مشيراً إلى دور أبي مسلم الخراساني في إثارة الفتن بين القبائل العربية، وكان هذا المصدر يقع أحياناً في الغموض في ذكره لبعض الأحداث، حتى إنها لا تكاد تُفهم، مثل حديثه عن مراحل الدعوة العباسية في خراسان. كما احتوى على مادة وافية عن تاريخ ملوك الدولة الساسانية وأخبارهم، وأشار إلى تنظيماتها الإدارية والمالية. وتحديد ظهور نظام الدهقنة وواجبات وأعمال الدهاقين منذ ظهورهم وعلاقتهم بالنظام الإقطاعي وأسباب بقاء الدهاقين في الإدارة المالية وأثرهم على الناحية الإدارية، وعملية نشر الإسلام في المنطقة؛ وفضلاً عن ذلك فقد ذكر معلومات عن تحالفات الدهاقين مع

بعض القوى السياسية العربية في خراسان المعارضة للحكم الأموي، كما ذكر تحالفاتهم مع جهات أجنبية كالترك.

فهو يعد من أهم المصادر التاريخية من حيث التسلسل التاريخي للأحداث، والخطب والمراسلات التي كانت بين الخلفاء وولاتهم، وما أورده الطبري من المعلومات كان المصدر الرئيسي لمن تلاه من المؤرخين، ولاسيما ابن الأثير وابن كثير وابن خلدون الذين اكتفوا في الغالب بتلخيص ما جاء في الطبري؛ مضيفين إليه بعض الأخبار مع حذف الروايات المتكررة، ويتميز الطبري بأن حفظ كثيراً من روايات المؤرخين الأولين مع رواتها ومصادرها، كما اهتم بضبط زمن الحوادث، وقد غطى تاريخ الطبري الحقبة المدروسة كاملة، وكانت معلوماته كافية وشاملة على الرغم من تداخل بعض الروايات في الحادثة الواحدة، وتمت الإفادة منه في جميع فصول الدراسة.

٨- كتاب "**الفتوح**"[١] لابن أعثم: ويعد من الكتب التاريخية المهمة التي أرخت للقرنين الأول والثاني الهجريين، يذكر رواته في بداية الجزء الأول من كتابه كالآتي: المدائني والواقدي والزهري وأبو مخنف وهشام الكلبي إضافة إلى آخرين هم أقل أهمية، ولكن ابن أعثم جمع روايات هؤلاء جميعاً ووحَّدها في رواية واحدة، ولهذا السبب لا يذكر أسماء الرواة في أثناء سرده للأحداث، وهو من أقدم الكتب التي تناولت التاريخ الإسلامي، وتمت الإفادة منه في الفصلين الثاني والثالث من الدراسة في أخبار الفتوحات في منطقة ما وراء النهر وخراسان ومعاهدات الصلح، ويحتوي على معلومات مهمة عن استقرار العرب في خراسان وأوضاعهم، وتطرق إلى دفعات المقاتلين التي اتجهت إليه، لكنه يؤكد على المنازعات القبلية هناك. وهو يظهر في كتابه هذا ميلاً علوياً شديداً حينما يرد ذكر العلويين خلال أحداث خلافة عبد الملك ابن مروان، وتكشف رواياته أيضاً شعوراً عدائياً تجاه الحجاج بن يوسف الثقفي، ويبدي اهتماماً بأخبار الشيعة ويتعاطف معهم، ويظهر ذلك واضحاً عندما يتناول حركة يحيى بن زيد في خراسان، فكان من المصادر التاريخية الرئيسة للدراسة، وما جاء في هذه المصادر من معلومات كانت المصدر الرئيس لمن تلاهم من المؤرخين ومنهم ابن الأثير.

٩- كتاب "**البدء والتاريخ**"[٢] للمقدسي البلخي: تأتي أهمية الكتاب في تقديمه صورة واضحة عن الديانة الزرادشتية ومبادئها، في حين تجاهل الحديث عن المانوية، وتناول بإيجاز المزدكية مركِّزاً على طبيعة معتنقي هذه الديانة، ولكن مما يؤخذ عليه هو عداؤه الظاهر لهذه الديانة مما أبعده عن الحياد

---

(١)- ابن أعثم (أحمد الكوفي ت٣١٤هـ/٩٢٦م): كتاب الفتوح، تح: علي شيري، دار الأضواء، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٢)- المقدسي البلخي (المطهر بن طاهر ت٣٢٢هـ/٩٣٤م): البدء والتاريخ، المنسوب لأحمد بن سهل البلخي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

والموضوعية في تناوله لمادته. كما تمت الإفادة منه في حديثه عن الفتوحات في خراسان، ولكن جاءت معلوماته مختصرة وموجزة.

١٠- كتاب "**الوزراء والكتاب**"[١] للجهشياري: أحد الكتاب الإخباريين المترسلين يتناول في كتابه الوزراء والكتاب وقضايا إدارية ومالية. إن قيمة هذا المصدر تتجلى فيما تضمنه من معلومات قيمة عن أنظمة الخراج وجبايته وما قدمه من أسماء مفصلة عن عمال الخراج والدواوين والكتاب وثرواتهم، ويحوي كذلك معلومات عن الأحداث السياسية، وأفادت الدراسة منه في أنه يعطي أسماء ولاة خراسان وكتابهم، كما أنه يشير إلى قضايا اقتصادية في الدولة العربية؛ ولذا فهو مصدر لا يمكن الاستغناء عنه.

١١- كتابي "**مروج الذهب**"[٢] و"**التنبيه والإشراف**"[٣] للمسعودي: مؤرخ وعالم مشهور من القرن الرابع الهجري ينقل أغلب رواياته من ذوي الميول الشيعية، ويظهر شعوراً قوياً موالياً للعلويين، وهو لا يشير إلى مصادره في كتابيه "مروج الذهب" و"التنبيه والإشراف". هذا ولا يخلو المصدران من فائدة على الرغم من قلة المعلومات عن تاريخ خراسان فيهما، فقدم هذان المصدران معلومات تتعلق بموضوع الدراسة، وتمت الإفادة منها في موضوع التقسيمات الاجتماعية والطبقية للدولة الساسانية حيث يولي تاريخ الساسانيين وأنظمتهم عناية خاصة، وبيّن مراتب الطبقات، كما يشير إلى انقسام الدهاقين إلى خمس مراتب ضمن التقسيم الطبقي العام للدولة، ويفصّل فيها؛ فضلاً عن اهتمامه بالفكر الديني. ويتحدث عن الديانات الفارسية القديمة، والتنظيمات الإدارية عند الفرس، وإصلاحات كسرى أنوشروان. ويتحدث عن الولاة والعمال في خراسان في العصرين الراشدي والأموي، كما تمت الإفادة منه في الحديث عن الفتوحات في خراسان.

١٢- كتاب "**تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**"[٤] للأصفهاني: تأتي أهمية هذا الكتاب في كونه من المؤلفات التي تناولت سير ملوك الفرس قبل الإسلام، وبالتالي أظهر عناية بالحديث عن الديانات الفارسية القديمة، وقد حظيت الزرادشتية وتعاليمها وكتابها "الأفستا" بجلِّ اهتمامه، أما في حديثه عن المانوية، فيشير بإيجاز إلى مقتل مؤسسها "ماني"، في حين يتجاهل الحديث عن الديانة المزدكية. تمت الإفادة منه في الفصل الأول عند الحديث عن خراسان قبل الفتح الإسلامي.

(١)- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت٣٣١هـ/٩٤٣م): الوزراء والكتاب، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ط١، مصر، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

(٢)- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط٥، بيروت، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٣)- التنبيه والإشراف، إعداد: قاسم وهب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٠م.

(٤)- الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج ت٣٥٦هـ/ ٩٦٩م): تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

١٣- كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية"[١] للبيروني: يذكر معلومات مهمة عن بعض العادات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة على عهد الساسانيين كالأعياد المعروفة عندهم، وأفادتني هذه المؤلفات في تحديد أسباب العلاقة بين الدهاقين والملوك، كما يحوي أخباراً نادرة حول النظم السياسية الفارسية التي لا توجد في مصادر أخرى، وربما كان البيروني مطلعاً على كتب فارسية قديمة أفادته في تأليف كتابه هذا. تمت الإفادة منه في الفصل الأول.

١٤- كتاب "المنتظم في تواريخ الملوك والأمم"[٢] لابن الجوزي: وهو كتاب في التاريخ العام، وقد رتَّبه صاحبه على السنين، ويعد من المصادر التي تم الاعتماد عليها في الفصلين الثاني والثالث خلال الحديث عن فتوحات خراسان، وأهم الأحداث التي حصلت في مدن خراسان، وكذلك يوجد إشارات إلى القبائل التي شاركت في فتوح خراسان واستيطانها.

١٥- كتاب "الكامل في التاريخ"[٣] لابن الأثير: يُعَدُّ من أعظم مؤرخي المسلمين، تأتي أهمية هذا الكتاب في كونه من كتب التاريخ العام التي تعرَّضت للعديد من الموضوعات التي تتعلق بهذه الدراسة، وتمت الإفادة منه في مختلف فصولها، فتناول فتوحات الدولة الأموية في خراسان في المناطق كافة، كما ركَّز على موقف الدهاقين السلبي من نشر الإسلام، وتلاعبهم بالجباية، وأظهر حرص بني أمية على تحرِّي العدل في حكمهم لمدن خراسان، وتحدَّث عن أبرز إصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية، وجاءت رواياته مطابقة لروايات الطبري في معظمها، فيُعَدُّ كتابُ الكامل مكمِّلاً لكتاب الطبري؛ بل هو على وجه العموم نسخة ثانية منه ملخَّصة، تَخلَّص فيها من ذكر العديد من الخطب والمراسلات والأشعار.

١٦- كتاب "البداية والنهاية"[٤] لابن كثير: هو من أشهر كتب التاريخ الإسلامي وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً، وهو كتاب في التاريخ العام، وقد رتَّبه صاحبه على السنين، على نسق الكامل لابن الأثير، أوجز في عرض بعض الأحداث التاريخية، لكنه تميز بالحديث الموضوعي عن بعض خلفاء بني أمية، وبخاصة منهم معاوية وابنه يزيد.

---

(١)- البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م): الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزغ، ١٨٧٨م.

(٢)- ابن المنتظم (أبو الفرج عبد الرَّحمن بن علي بن محمَّد ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣)- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٤)- ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ الدِّمشقيّ ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ثانياً: المصادر الجغرافية

اعتمدت الدراسة على مجموعة مهمة من المصادر الجغرافية التي كان لها أهمية بالغة في كتابته؛ إذ أغنته ولاسيما في الفصل الأول بمعلومات متنوعة ووافرة عن إقليم خراسان على الرغم من أن معظمها يعود إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فتحدثت عن وصف إقليم خراسان وتحديد موقعه ومدنه وقراه وأنشطته الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والإدارية والمالية، وتفاوتت فيما بينها من حيث حجم المعلومات ومدى الاستفادة منها. ومن أهم تلك المصادر:

١- كتاب "**البلدان**"[١] لليعقوبي: فقد قدم فيه مادة وافية عن إقليم خراسان، لاسيما وأنه يعطي وصفاً لكل مدينة فيها، ذاكراً المسافات بين المدن والأنهار التي تروي أراضيها، كما أنه يعطي قائمة بأسماء ولاة خراسان منذ الفتح العربي وحتى نهاية الدولة الأموية، ويشير إلى نزول القبائل العربية في المدن في أثناء وصفه لها، كما قدَّم وصفاً للسكان المحليين، وتمت الإفادة من نصوصه التي تشير إلى وجود الدهاقين في تلك المدن.

٢- كتاب "**المسالك والممالك**"[٢] لابن خرداذبة: يقدم المؤلف فيه معلوماتٍ جغرافيةً واقتصاديةً كثيرةً عن خراسان، كما أُفيد منه في تبيان صيغة الإدارة في إقليم خراسان في عهد الساسانيين؛ واصفاً للتقسيمات الإدارية الفارسية في خراسان، كما أنه ينفرد بذكر قائمة لملوك خراسان وما وراء النهر في العهد الساساني.

٣- كتاب "**الأعلاق النفيسة**"[٣] لابن رسته: فقد أودع ابن رسته في كتابه معلومات متعلقة بالمدن والأقاليم الإسلامية، استقاها من مصادر أدبية وجغرافية قديمة.

٤- كتاب "**مختصر كتاب البلدان**"[٤] لابن الفقيه: أودع فيه معلومات ثمينة استقاها ممن سبقه مع إضافات من معلوماته الخاصة، وقدم وصفاً للمدن والبحار والأنهار ومواقعها ومصباتها، وتمت الإفادة منه بمعلومات عن خراسان ومدنها واقتصادها، وهو لا يخلو من معلومات تاريخية وسياسية.

---

(١)- كتاب البلدان، دار إحياء التراث، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢)- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت٢٨٠هـ/٨٩٣م): المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٨٨٩م.

(٣)- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ت٢٩٠هـ/٩٠٣م): الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ١٨٩١م.

(٤)- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني ت٣٤٠هـ/٩٥١م): مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م.

٥- كتاب "**المسالك والممالك**"[١] للاصطخري: ويعد من المصادر المهمة، ومن أفضل الكتب الجغرافية التي تناولت إقليم خراسان، قدم فيه معلوماتٍ قيمةً عن إقليم خراسان وموقعه وحدوده وأرباعه، وتعداد مدنه وأشهر رساتيقه، وأيضاً عن أنهار خراسان وخصوبة تربتها ونشاط خراسان الزراعي والصناعي والحرفي.

٦- كتاب "**صورة الأرض**"[٢] لابن حوقل: وهو من المصادر المهمة التي تناولت بلاد ما وراء النهر وخراسان من حيث السكان والمكان والمناخ، ويعد ابن حوقل من الرحالة العرب الذين جابوا الأمصار الإسلامية ومنها خراسان، إذ ذكر أسماء الأمصار و المدن و الكور وحدد مواقعها، ولم يختلف كثيراً عن الاصطخري في عرضه مادة خراسان وهو يكاد ينقل عنه في النص مع بعض الإشارات القليلة التي أهملها.

٧- كتاب "**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**"[٣] للمقدسي: لا تقلُّ أهميةُ هذا الكتاب عن المصادر الأخرى، فهو كتاب جغرافي مهم تضمن معلومات كثيرة عن النواحي الزراعية والصناعية في خراسان، كما أنه يفصل في ذكر المدن الخراسانية التي تقوم بها الفاعليات الاقتصادية، ويشير أيضاً إلى القبائل العربية التي نزلت في هذه المدن. وفيه أخبار عن العادات والتقاليد والأجناس واللغات التي كانت سائدة في خراسان؛ فضلاً عن معلومات عن جغرافية الإقليم.

٨- كتاب "**حدود العالم**"[٤] لمؤلف مجهول: كتاب مهم في جغرافية خراسان والتعريف بالمدن وحدودها.

٩- كتاب "**معجم البلدان**"[٥] لياقوت الحموي: أوسع معجم جغرافي لبلاد الإسلام، يتناول الحديث عن الجغرافية التاريخية، ويشير إلى جوانب من الحضارة في القرون الستة الأولى من الهجرة، ويتضمن معلومات تاريخية مهمة الذي أفاد الدراسة بالرغم من أنه جاء متأخراً عن العصر الأموي من حيث عرضه

(١)- الاصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي ت٣٤٦هـ/٩٥٧م): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، نسخة مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧م.

(٢)- ابن حوقل (محمد أبو القاسم النصيبيُّ ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٩م): صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

(٣)- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الشامي البشاري ت٣٨٠هـ/٩٩١م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط٢، مدينة ليدن، ١٩٠٦م.

(٤)- مؤلف مجهول كتبه سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، ط١، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٥)- الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

لتاريخ الأقاليم والمدن منذ العصور القديمة، مع عرض أهم الأحداث التي وقعت فيه، وكانت له فوائد متعددة؛ فضلاً عمّا ما فيه من معلومات جغرافية، فياقوت لم يكتفِ بالعرض الجغرافي للمدن والأقاليم؛ بل كان يشير إلى فتوح البلدان، وكيف كان فتحها صلحاً أو عنوةً، كذلك تحدث عن ميزات السكان وخصائصهم، وما قيل فيهم مدحاً أو ذماً، وعن المناخ والمياه وأثره في طبيعة البلاد والسكان، ولياقوت كتاب آخر "**المشترك وضعاً والمفترق صقعاً**"(١) ويفيد في دراسة ومعرفة الأماكن التي تحمل أسماء متشابهة. وقلما تتوفر معلومات واسعة عن جميع النواحي في مؤلف واحد كما توفر في كتاب معجم البلدان.

وقد أسهمت هذه المصادر مجتمعة في تكوين مادة أساسية بُني عليها هيكل الدراسة المتعلق بخراسان من خلال ما استعرضوه من وصف أرباع خراسان وأقاليمها وأبرز معالمها وحدودها وأشهر مدنها ورساتيقها والمسافات بين مدنها وأسواقها ومساجدها وأنهارها وآبارها ومحاصيلها الزراعية والحيوانية ونشاطها الصناعي والتجاري وطرقها الرئيسة بين مدنها وجبالها.

ثالثاً: مصادر الأنساب

فقد أوردت مصادر الأنساب معلوماتٍ واسعةً ومهمةً عن القبائل العربية التي استوطنت خراسان، وكونت أهم عناصر سكانها من خلال ذكر أنسابها وعلاقة بعضها ببعضها الآخر، ومواضع سكنى هذه القبائل في الجزيرة العربية قبل نزوحها إلى البصرة والاستقرار فيها، ومن أبرز كتب الأنساب: كتاب "**جمهرة النسب**"(٢) لابن الكلبي الذي نظمه تبعاً للقبائل العربية ذاكراً علاقاتها النسبية وأبرز رجالها ودورهم في السياسة والإدارة، كما أشار إلى مواضع سكنى هذه القبائل، وقد كان هذا الكتاب مصدراً رئيساً لما كتبه عن الأنساب كل من ابن دريد في كتابه "**الاشتقاق**"(٣) الذي اعتمد عليه في الدراسة أيضاً، وابن حزم في كتابه "**جمهرة أنساب العرب**"(٤)، كما أن هناك كتب أنساب أخرى أفادت في الدراسة منها كتاب

(١)- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢)- ابن الكلبي (هشام أبو المنذر بن محمد بن السَّائب ت٢٠٤هـ/٨١٩م): جمهرة النَّسب، تح: محمود فردوس العظم، تقديم: سهيل زكَّار، دار اليقظة العربية، ط٢، دمشق، ١٩٨٣م.

(٣)- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي ت٣٢١هـ/٩٣٣م): الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤)- ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

"**الأنباه على قبائل الرواة**"[١] لابن عبد البر، وهناك كتاب "**الأنساب**"[٢] للسمعاني يتناول معلومات قيمة فيما يتعلق بأسماء الأماكن والأعلام والتراجم الواردة في الكتاب، أفاد الدراسة في معرفة الكثير من الشخصيات، وتحدث بشكل واسع النطاق من حيث الزمان والمكان؛ لأنه اتصف بكثرة الترحال في خراسان وبلاد ما وراء النهر، وتكمن أهميته في مصنفه أنه ذكر معلوماتٍ قيمةً تتعلق بالعلماء الذين وردوا خراسان، وعلماء خراسان الذين زاروا المدن المجاورة، وكتاب "نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب"[٣] للقلقشندي.

رابعاً: المصادر الأدبية

بالرغم أن المصادر الأدبية لم تكن مختصة بالمسائل التاريخية البحتة، إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنها في أي بحث من البحوث التاريخية لما فيها من معلومات قيمة ومهمة في دراسة التاريخ العربي الإسلامي؛ إذ إنها تنقل الكثير من الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تساعد الباحث على استنتاج الكثير من الحقائق التاريخية، وبالرغم من تناثر تلك المعلومات بين طياتها، فقد أسهمت تلك المصادر في إعطاء مادة قيمة عن الجوانب الاجتماعية والإدارية لإقليم خراسان، فتناول بعضها الحديث عن القبائل والضرائب والدواوين، وأهم هذه المصادر التي اعتمد عليها في الدراسة:

١- كتاب "**نقائض جرير والفرزدق**"[٤] لأبي عبيدة: أرخ لصراع القبائل فيما بينها، فيعد من أهم الكتب التي تعالج التعصب القبلي بين القيسية واليمانية، تم الاعتماد عليه في الفصل الثالث من هذا الدراسة، كما يتحدث أبو عبيد بتفاصيل لا يوردها غيره عن خبر مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي.

٢- كتاب "**عيون الأخبار**"[٥] لابن قتيبة: من كتب الأدب المهمة، وهو يشبه إلى حد ما كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، واستفيد منه في فهم العلاقات بين الخلفاء وولاتهم في خراسان، ويورد الكثير من

(١)- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م): الأنباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢)- السمعاني (عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، حيدر آباد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

(٣)- القلقشندي (أبو العباس أحمد ت٨٢١هـ/١٤١٨م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٤)- أبو عبيدة (معمر بن المثنى ت٢٠٩هـ/٨٢٤م): نقائض جرير والفرزدق، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥)- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ/٨٨٩م): عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

الأخبار حول العصبية القبلية، ويمكن استنتاج الكثير من الأحداث من خلال القصائد والأشعار التي يذكرها.

٣- كتاب "**الكامل في اللغة والأدب**"(١) للمبرد: يورد أحداثاً كثيرة عن المهالبة والأحداث السياسية التي مرت بها خراسان في ظل المهالبة، ويورد أخباراً عن عصبية المهالبة القبلية التي شهدتها خراسان، ففي كتابه بعض الإشارات من الخوارج الذين استطاعوا أن يكسبوا بعض الدهاقين إلى حركتهم.

٤- كتاب " **العقد الفريد**"(٢) لابن عبد ربه: يتضمن كتابه هذا الكثير من الأخبار عن إقليم خراسان في العصر الأموي، وكان موضوعياً إلى حد كبير، فلم يتحيز كثيراً للأمويين، ولم يتخذ موقف الدفاع عنهم، ويمكن استخلاص الأخبار المتعلقة بإقليم خراسان من خلال الخطب والمراسلات الواردة في هذا الكتاب، كما يذكر علاقة العرب والموالي، وعلاقة عمال خراسان بالخلفاء في العصر الأموي.

٥- كتاب "**الأغاني**"(٣) للأصفهاني: من المصادر الأدبية التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها، وهي من أفضل المصادر الأدبية لدارسي التاريخ، فإنه يوفر مادة غزيرة عن الحياة السياسية والاجتماعية وكذلك عن النواحي الإدارية للعصر الأموي، يحتوي على حقائق مهمة عن ولاة عبد الملك بن مروان في خراسان، كما يورد معلومات وافية عن حقبة الوليد بن يزيد وأشعاره وأخبار القبائل العربية، وفيه معلومات فريدة عن بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة، وقد أفرد حيزاً من كتابه هذا لشعراء خراسان في العصر الأموي، وله من الكتب أيضاً "**مقاتل الطالبيين**"(٤) يوضح فيه أخبار آل علي بن أبي طالب، وتبدو ميوله واضحة في أثناء تتبعه لحركة يحيى بن زيد، وعلى الرغم من المبالغات التي تبدو واضحة فيه، إلا أننا لا يمكن أن نغفل قيمة المعلومات الكثيرة التي يقدمها.

وهناك كتب أخرى منها: كتاب "**لطائف المعارف**"(٥) للثعالبي.

وكتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**"(٦) للنويري.

---

(١)- المبرد (محمد بن يزيد ت٢٨٥هـ/٨٩٨م): الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢)- ابن عبد ربه (أحمد بن محمَّد الأندلسي ت٣٢٨هـ/٩٣٩م): العقد، الفريد، تح: مفيد محمَّد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

(٣)- الأصفهاني (علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج ت٣٥٦هـ/ ٩٦٩م): الأغاني، دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

(٤)- مقاتل الطالبيين، تح: أحمد صقر، منشورات الشريف الرضي، ط٢، ١٤١٦.

(٥)- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م): لطائف المعارف، بريل، ١٨٦٧م.

(٦)- النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فُنون الأدب، تح: عبد المجيد ترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

وكتاب "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**"(١) للقلقشندي.

خامساً: كتب الخراج والأموال والأحكام السلطانية:

على الرغم من أن الهدف الأساسي لهذه المؤلفات بيان الأحكام الفقهية إلا أنها تتضمن بعض الوقائع التاريخية التي يُستنبط منها الأحكام رغم أن معظمها كان يتناول عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أما تناول عصر الأمويين فكان قليلاً، وكذلك الحال بالنسبة للعباسيين باستثناء أبي يوسف الذي أعطى بعض الظواهر من العصر العباسي، فقد كانت الإفادة منها يسيرة، واقتصرت على بعض النصوص الخاصة بأحكام بعض الضرائب وتعريفها؛ ذلك لأنه لا يوجد فيها نصوص واضحة عن أحكام خراسان وكيفية التعامل معها ولا عن دور الدهاقين في إدارتها، علماً بأنها قد قدمت معلومات كثيرة عن الدهاقين في العراق وعلاقتهم بالأرض ودورهم في الجباية المالية. كما أن هذه المؤلفات قد وضعت في عهد الدولة العباسية، فهي بعيدة من الناحية الزمنية عن الحقبة التي هي موضوع الدراسة؛ لأن كثيراً من النظم الإدارية والمالية كانت قد تبلورت خلال العصر الأموي؛ فضلاً عما تعرضت له الخلافة الأموية من مشكلات سياسية وعسكرية وإدارية ومالية تختلف بطبيعتها وأسبابها عن المشكلات التي تعرضت لها الخلافة العباسية. وتعد كتب الخراج من أهم المصادر الفقهية التي أفادت الدراسة بشكل كبير، وتأتي أهميتها من حيث عنايتها بالشؤون الاقتصادية والإدارية، فقد أوردت معلومات عن النظام المالي من توزيع الغنائم إلى إنشاء الديوان، وفرض العطاء ومقاديره، واعتمد عليها في الفصل الخامس بشكل كبير، ومن هذه الكتب:

١- كتاب "**الخراج**"(٢) لأبي يوسف: من أقدم ما وصل عن الموضوعات المالية، قدم فيه أبو يوسف معلومات غنية عن مقادير الضرائب وأنواعها وكيفية جبايتها وأسس اختيار العمال والولاة، تناول الجزيرة والسواد بشكل مفصل، إلا أنه تناول هذا الإقليم ببعض الإشارات القليلة.

٢- كتاب "**الخراج**"(٣) لابن آدم: يماثل كتاب الخراج لأبي يوسف، ناقش الضرائب والترتيبات الإدارية التي كانت متبعة في خراسان قبل الفتح.

---

(١)- القلقشندي (أبو العباس أحمد ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

(٢)- أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم ت١٨٢هـ/٧٩٨م): كتاب الخراج، دار بو سلامة للنشر، تونس، د.ت.

(٣)- آدم القرشي (يحيى ت٢٠٣هـ/٨٠٨م): كتاب الخراج، تح: حسين مؤنس، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣- كتاب "**الأموال**"(١) لابن سلام: كتاب فقهي شامل يعتمد في روايته على أسانيد مثل أبي يوسف وابن آدم، لكن فائدته في دراسة خراسان قليلة والإفادة منه تكون على أساس قياس الحالات المتشابهة مع السواد وغيره. وقدم معلومات قيمة فيما يتعلق بالولاة والعمال وصلاحياتهم ومحاسبة الخلفاء لهم والضرائب وإجراءات الخليفة عمر بن عبد العزيز الإدارية.

٤- كتاب "**الأموال**"(٢) لابن زنجويه: مصدر مهم لمعرفة الأحوال المالية في خراسان.

٥- كتاب "**الأحكام السلطانية**"(٣) للماوردي: وهو من المصادر الفقهية المهمة التي تناولت بالتفصيل موضوع الخراج والجزية والقطائع والأرض الموات وغيرها. وتمت الإفادة منه في ذكر واجبات الولاة المالية وإرسال الفائض من المال إلى العاصمة دمشق، وذكر معلومات مهمةعن الدواوين. وهناك كتاب آخر باسم "**الأحكام السلطانية**"(٤) لمؤلفه أبو يعلى ويأتي بالدرجة الثانية بعد الماوردي.

٦- كتاب "**الخراج وصناعة الكتابة**"(٥) لقدامة بن جعفر: وهو من المصادر المهمة فقد جمع إلى جانب الفقه الجغرافيا والتاريخ، ونقل قدامة في كتابه هذا عن ابن خرداذبة، كما نقل عن البلاذري وابن سلام، ويحتوي هذا الكتاب على معلومات مهمة عن نظم الدولة، عرض معلومات مهمة عن الدواوين والضرائب قبل الإسلام؛ فضلاً عن التطورات التي أعقبت ظهور الإسلام، مثل: الإقطاعيات وإحياء الأراضي، وحركة الفتوح والتقسيمات الإدارية.

سادساً: كتب التراجم والطبقات

تم الاعتماد على الكثير من كتب التراجم والطبقات التي تمت الإفادة منها في الترجمة لجميع الشخصيات التي وردت في هذا الدراسة:

---

(١)- ابن سلام (أبو عبيد القاسم ت٢٢٤هـ/٨٣٧م): الأموال، تح: محمد عمارة، دار الشروق، ط١، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٢)- ابن زنجويه (حميد ت٢٥١هـ/٨٦٥م): كتاب الأموال، تح: شاكر ذيب فيَّاض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، الرياض، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٣)- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م): كتاب الأحكام السلطانيَّة والولايات الدّينيَّة، تح: أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة، ط١، الكويت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٤)- أبو يعلى (محمد بن الحسين الفرَّاء ت٤٥٨هـ/١٠٦٥م): الأحكام السُلطانيَّة، تصحيح: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥)- قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ/٩٤٨م): الخراج وصناعة الكتابة، شرح: محمد حسن الزبيدي، دار الرشيد، د.م، ١٩٨١م.

١- كتاب "**الطبقات الكبير**"(١) لابن سعد: هو أقدم ما لدينا من كتب التراجم، وقد استقى ابن سعد معلوماته من مصادر أقدم يذكرهم في الغالب كقتادة، وثابت البناني، وعلى الرغم من أن ابن سعد اهتم بالشخصيات الدينية، إلا أن هناك بعض الأخبار تفيد في موضوع الإدارة والقضاء في خراسان.

٢- كتاب "**تاريخ مدينة دمشق**"(٢) لابن عساكر: يترجم المؤلف بشكل وافٍ لجميع الخلفاء الأمويين وغيرهم من الشخصيات المرتبطة بخراسان، ويورد الكثير من الأخبار حول الأحداث في خراسان، وأهمية الكتاب في كون مؤلفه متعدد المصادر، يسوق روايات لا يذكرها الطبري أو غيره من المؤرخين.

٣- كتاب "**تاريخ الإسلام**"(٣) للذهبي: ترجم فيه للشخصيات الدينية والسياسية المهمة، وكما يوضح أحياناً بعض الروايات المبهمة، اعتماداً على مصادر لم تعتمدها المصادر المبكرة، أو على كتب غير متوفرة، أما عن المؤلفات الأخرى للذهبي "**دول الإسلام**"(٤)، و"**سير أعلام النبلاء**"(٥) وغيرها من المصنفات القيمة إذ اعتمد المؤلف فيها منهج الترتيب بحسب السنوات وجمع فيه الحوادث والوفيات، فقد أمدت هذه المصادر بمعلومات قيمة عن أغلب الشخصيات الواردة في الدراسة.

سابعاً: المصادر الفارسية المعربة

عند الحديث عن إقليم خراسان لا بد من الاعتماد على مصادر فارسية تغني الدراسة بالكثير من المعلومات التي لربما تكون أكثر دقة من المصادر الأخرى، وهذه المؤلفات على درجة بالغة من الأهمية؛ لأنها تعطي صورة واضحة عن الديانات الفارسية القديمة والأحوال السائدة في خراسان في تلك الحقبة:

١- كتاب "**تاريخ بخارى**" للنرشخي(٦): يعدَّ هذا المؤلَّف من أهم المؤلفات التي تناولت التاريخ المحلي لمدينة بخارى، وقد أفادت منه هذه الدراسة في الحديث عن محاولات الجيش الأموي لفتح بخارى، كما يستعرض فيه تاريخ مدينة بخارى قبل الإسلام وبعد الفتح من النواحي الجغرافية والاقتصادية

(١)- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري ت٢٣٠هـ/٨٤٤م): الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٢)- ابن عساكر (علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ت٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، تح: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن علامة العمري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣)- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٤)- دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، تقديم: محمود الأرناؤوط، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.

(٥)- سير أعلام النبلاء، تح: حسَّان عبد المنَّان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٦)- النرشخي (أبو بكر محمد بن جعفر ت٣٤٨هـ/٩٥٩م): تاريخ بخارى، تر: أمين عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، دار المعارف، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥م.

والتاريخية والسياسية، ويذكر قضاتها وحكامها وأخبار فتحها وانتشار الإسلام فيها، وهو مصدر مهم يمكن بالاعتماد عليه استنتاج حالة الإمارات التركية فيما وراء النهر لتشابه أنظمتها.

٢- كتاب "**تاريخ نيشابور**" للحاكم النيسابوري(١): أرخ فيه للأحداث التاريخية لأحد أرباع خراسان (نيسابور)، كما ذكر أسماء علمائها و الواردين إليها لغرض نشر الفكر الإسلامي.

٣- كتاب "**الشاهنامة**" للفردوسي(٢): وعرفت بشاهنامة الفردوسي وهي المرجع المهم في تاريخ فارس، وقد عرفوها بكنز اللغة الفارسي وقاموسها، وقد نظم الفردوسي الشاهنامة بالشعر مبتدئاً من أول زمن كيومرث أول ملوك البيشداديين إلى زمن يزدجرد بن شهريار الساساني، والشاهنامة هي المرجع الأكبر لتاريخ إيران وتاريخ خراسان بصورة خاصة، والمتتبع لشاهنامة الفردوسي يرى أن الفردوسي يُرجع أهمية كتابه وتاريخه إلى كتاب يعود تاريخه إلى ألفي سنة من عصره أي ما يقرب من أحد عشر قرناً قبل الميلاد، وفي هذا الكتاب الكثير من الأخبار والقصص التاريخية والحوادث التي اعتمدها الفردوسي في سرد تاريخ إيران القديم وتاريخ ملوك خراسان حيث يذكر فيه أخبار ملوك الفرس وما روى عنهم والحوادث التي وقعت في عصورهم من حرب وسلم وقصص وغيرها، والديانات الفارسية القديمة كالزرادشتية والمزدكية.

٤- كتاب "**غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم**"(٣) للثعالبي: مصدر مهم حيث يذكر معلومات قيمة عن ملوك فارس.

٥- كتاب "**زين الأخبار**" للكرديزي(٤): وهو مصدر مهم لتاريخ خراسان يتناول هذا الكتاب تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف وهو متنوع الاتجاهات، فيه التاريخ والآثار والأعياد والعادات والتقاليد والأنساب والمعارف.

---

(١)- الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م): تاريخ نيشابور، تلخيص الخليفة النيسابوري، تر: بهمن كريمي، كتابخانه ابن سينا، طهران، ١٣٣٧هـ/١٩١٨م.

(٢)- الفردوسي (أبو القاسم حسن بن محمد ت٤١٦هـ/١٠٢٥م): الشاهنامة، تر: سمير مالطي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٧٩م.

(٣)- الثعالبي، غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٣م، ص٥٢٩.

(٤)- الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود ت٤٤٣هـ/١٠٥١م): زين الأخبار، تر: عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٦- وكتاب رحلة ناصر خسرو "**سفر نامه**" لناصر خسرو[١].

٧- كتاب "**سير الملوك أو سياست نامه**" لنظام الملك الطوسي[٢].

٨- كتاب "**فارس نامه**" لابن البلخي[٣]: تأتي أهمية هذا الكتاب في كونه من الكتب المحلية التي اعتنت بالتاريخ القديم لبلاد فارس، وقد أفادت الدراسة منه في الحديث عن الديانتين المانوية والمزدكية.

٩- كتاب "**تاريخ طبرستان**" لابن اسفنديار[٤]: يعد من المؤلفات التي تهتم بالتأريخ لمدينة طبرستان من النواحي كافة.

ثامناً: المراجع والدراسات الحديثة:

كما اعتمد في إعداد هذه الدراسة على عدد من المراجع العربية والمعرَّبة التي تنوعت ما بين مراجع عربية من كتب وبحوث ودوريات، حيث تعددت الدراسات التي تناولت تاريخ خراسان، ومن أهمها:

كتاب "**إيران في عهد الساسانيين**" للمستشرق آرثر كريستنسن[٥] الذي يعد في مقدمة تلك الأبحاث وذا أهمية كبيرة لأي بحث عن تاريخ إيران، ومنها خراسان في العصر الأموي؛ إذ إن النظم الفارسية الإدارية والاجتماعية والاقتصادية استمرت على حالها حتى انهيار الدولة الساسانية، فقد تم الإفادة منه في الفصل الأول من خلال معلوماته الوافية عن تاريخ الدولة الساسانية ونظامها السياسي والإداري والمالي.

كتاب "**بلدان الخلافة الشرقية**" لمؤلفه كي لسترنج[٦] وترجع أهمية المرجع بأنه استقى معلوماته من المصادر الجغرافية الأصلية؛ مما أفاد الدراسة في معرفة إقليم خراسان وأحواله الجغرافية ذات الأهمية الاستراتيجية.

---

(١)- خسرو (ناصر ت٤٨١هـ/١٠٨٨م): سفر نامه، تر: يحيى الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، القاهرة، ١٩٤٣م.

(٢)- الطوسي (نظام الملك ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م): سير الملوك أو سياست نامه، تر: يوسف بكار، مطبعة السفير، ط٣، عمان الأردن، ٢٠٠٧م.

(٣)- ابن البلخي (ت بعد ٥١١هـ/١١١٧م): فارس نامه، تح: يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٤)- ابن اسفنديار (بهاء الدين محمد بن حسن ت٦١٣هـ/١٢١٦م)، تاريخ طبرستان، تر: أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٥)- كريستنسن، آرثر: إيران في عهد الساسانيين، تر: يحيى الخشاب، مر: عبد الوهاب عزام، دار النهضة العربية، ١٩٩٨م.

(٦)- لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٠٥م.

كما تم الاعتماد على كتابات المستشرق الروسي بارتولد، ومنها: "**تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي**"(١) و"**تاريخ الترك في آسيا الوسطى**"(٢)، التي كان لها أهمية خاصة في فهم النظم السياسية والإدارية والاجتماعية للإمارات التركية في منطقة ما وراء النهر، والتي لها علاقة مباشرة بتاريخ العرب المسلمين وفتوحاتهم في تلك المنطقة. والمعلومات التي أفادت منها الدراسة من كتابات بارتولد كثيرة ومفيدة للغاية؛ ذلك لأن الدراسات العربية تخلو تقريباً من أي دراسة علمية للتاريخ التركي القديم.

كتاب "**تاريخ الدولة العربية**" لفلهوزن(٣) الذي تحدث عن العصر الأموي بشكل أقرب إلى الموضوعية، وناقش روايات المصادر مناقشة جيدة، لكنه وقع ضحية التفسير الخاطئ أحياناً بسبب سوء فهمه للروايات القديمة، وتضمن كتابه دراسة القبائل العربية في خراسان والضرائب وتعديلات الخليفة عمر بن عبد العزيز، إلا أنه يصور في كتابه أن العرب في خراسان قد انشغلوا بنزاعاتهم القبلية.

أما فان فلوتن في كتابه: "**السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في خلافة بني أمية**"(٤) فقد صب جام غضبه على العرب في خراسان بتأكيد سوء أحوال الموالي، فيرى أن العرب قد جعلوا من هؤلاء الموالي عبيداً لهم، وهذه حال معظم المستشرقين الذين حاولوا أن يقوموا بتشويه التاريخ العربي الإسلامي باستثناء القليل منهم الذين حاولوا إنصاف العرب ومنهم دانييل دينيت في كتابه "**الجزية والإسلام**"(٥) إذ حاول أن ينقل حقيقة الأوضاع في خراسان في تلك الفترة، وتم الإفادة مما جاء فيه من آراء وأفكار عن معارضة الدهاقين لنشر الإسلام وتشبثهم بمعتقداتهم وتقاليدهم السابقة، وقدم معلومات عن النظام الضريبي الساساني والفرق بينه وبين النظام المالي الإسلامي.

كما تمَّ الاعتماد على الدراسات الحديثة التي أفادت الدراسة كثيراً، ويأتي في طليعتها كتابات عبد العزيز الدوري التي تناولت تاريخ العرب بشكل عام؛ مركزاً على الجوانب الاقتصادية بشكل خاص وعلاقتها بالأوضاع السياسية والاجتماعية، ومنها كتاب "**مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**"(٦)، قدم فيه نظرة شاملة عن تطور الحياة الاقتصادية والمالية عبر التاريخ الإسلامي. كما لا ينسى فضل الدكتور

---

(١)- بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش: إيران من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة، ١٩٦٣م.

(٢)- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تر: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٣)- فلهوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مر: حسين مؤنس، لجنة التأليف والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦٨م.

(٤)- فلوتن، فان: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، تر: حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، مطبعة السعادة، ط١، القاهرة، ١٩٣٤م.

(٥)- دينيت، دانييل، الجزية والإسلام، تر: فوزي جاد الله، مر: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

(٦)- الدوري، عبد العزيز: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م.

عبد العزيز الدوري في مؤلفاته ومنها كتابه "**النظم الإسلامية**"(١) الذي عالج فيه الضرائب وقيام المؤسسات الإدارية في الدولة العربية، وكتابه "**مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**"(٢) الذي يوضِّح فيه معالم الحياة العربية ونشوء الأفكار والتيارات السياسية والحزبية، كما يشير إلى الحركات الفارسية الدينية التي غمرها الإسلام ثم أخذت خيوطها تظهر باتساع الدولة العربية؛ إذ أشار فيه إلى الموالي في خراسان، وعلى الرغم من تطرفه الذي صور فيه تردي حال الموالي إلا أنه قد عدل عن رأيه في ذلك فيما بعد عند كتابته بحثاً مهماً عن "**نظام الضرائب في خراسان**"(٣) حيث غير فيه رأيه السابق الذي يؤكد فيه سوء حال الموالي في خراسان فقد أكد أن شكاوى الموالي، كانت فقط من سوء تصرف الدهاقين في فرض الجزية.

ومن الدراسات الحديثة أيضاً كتاب "**صدر الإسلام والدولة الأموية**"(٤) لعبد الحي شعبان ناقش موضوع العصبية بين القيسية واليمانية، وركَّز على التطور الاجتماعي والاقتصادي لعرب خراسان، وكتابه "**الثورة العباسية**"(٥) الذي اعتمد عليه في الحديث عن الفتوحات والعصبية القبلية، وكذلك قدَّم معلوماتٍ قيمةً عن مراحل الدعوة العباسية، كما قدَّم فاروق عمر فوزي في كتبه "**الثورة العباسية**"(٦) وكتاب "**طبيعة الدعوة العباسية**"(٧) و"**بحوث في التاريخ العباسي**"(٨) تفسيراً جديداً للثورة العباسية، وبيَّن أنها عربية وليست فارسية، ودرس حالة العرب في خراسان.

كما تمت الإفادة من مراجع كثيرة أغنت الدراسة، ومنها كتاب "**التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة**" لصالح العلي(٩)، وكتاب "**أرباع خراسان**" لقحطان الحديثي(١٠) ويعد هذا الكتاب موسوعة عن مدن خراسان وقراها، وقدم محمود شيث خطَّاب كتباً لها قيمة كبيرة وهي "**قادة فتح بلاد فارس**"(١١)، و"**قادة**

(١)- الدوري، النظم الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٨م.

(٢)- الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م.

(٣)- الدوري، نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام، مجلة اللغة العربية، دمشق، م٤٩، ١٩٧٤م.

(٤)- شعبان، محمد عبد الحي: صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠م (١٣٢هـ)، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

(٥)- شعبان، الثورة العباسية. تر: عبد المجيد حسين القيسي، دار الدراسات الخليجية، د.ت.

(٦)- فوزي، فاروق عمر: الثورة العباسية دراسة تاريخية لمواجهاتها الدينية والسياسية ولدور العرب في نجاحها ٩٨-١٣٢هـ/ ٧١٦-٧٤٩م، دار الشروق، ط١، عمان، ٢٠٠١م.

(٧)- فوزي، طبيعة الدعوة العباسية ٩٨هـ/٧١٦م -١٣٢هـ/٧٤٩م دراسة تحليلية لمواجهات الثورة العباسية وتفسيراتها، دار الإرشاد، ط١، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

(٨)- فوزي، بحوث في التاريخ العباسي، دار القلم، مكتبة النهضة، ط١، بيروت-بغداد، ١٩٧٧م.

(٩)- العلي، صالح أحمد: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٦٩م.

(١٠)- الحديثي، قحطان عبد الستار: أرباع خراسان، دار الحكمة، البصرة، ١٩٩٠م.

(١١)- خطاب، قادة فتح بلاد فارس (إيران)، دار الفتح، ط١، بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

الفتح الإسلامي في ما وراء النهر"(١) التي تمَّ الاعتماد عليها في الحديث عن فتوحات خراسان والدور الذي قام به الولاة في عمليات الفتح. وكذلك كانت للمعلومات التي قدمتها نجدة خماش في كتابي "**الإدارة في العصر الأموي**"(٢) و"**دراسات في التاريخ الإسلامي**"(٣) دور كبير في إغناء الدراسة بالحديث عن النظم النظم الإدارية والمالية السائدة في العصر الأموي عامة وفي خراسان خاصة، فضلاً عن المراجع الأخرى التي لا يمكن الحديث عنها كثيراً.

كما اعتمدت الدراسة على عدد من الأطروحات الجامعية التي كان للاطلاع عليها دور كبير وأغنى الدراسة كثيراً، منها: "**الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الأموي**"(٤) الذي أورد معلومات قيِّمة عن الهياطلة، وأطروحة "**القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر**"(٥) التي أغنت البحث بالحديث عن القبائل واستيطانها في خراسان، وأطروحة "**دور المهالبة في الحياة السياسية والعسكرية في العصر الأموي**"(٦) الذي انحاز إلى المهالبة بشكل بعيد عن الموضوعية والحقيقة التاريخية، وأطروحة "**مروان بن محمد**"(٧) التي تم الإفادة منها في الحديث عن أحداث الدعوة العباسية، وأطروحة "**نصر بن سيار**"(٨) أفادت الدراسة في الحديث عن فتوحات نصر بن سيار، وعن سياسته الإدارية والمالية، وعن أهم الصراعات القبلية التي حدثت في ذلك الوقت.

واعتمدت الدراسة على ما كتبه صالح أحمد العلي من مقالات تخص إقليم خراسان، ولعله لفت أنظار الباحثين إليها منذ فترة مبكرة، مثل "**استيطان العرب في خراسان**"(٩) الذي يمكن أن يهتدي الباحث من

(١)- خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار الأندلس، دار ابن حزم، ط١، السعودية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢)- خماش، نجدة: الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٣)- خماش، دراسات في التاريخ الإسلامي، دار طلاس، ط١، دمشق، ١٩٩٤م.

(٤)- زوير، علي فرحان: الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: حسين علي الداقوقي، جامعة بغداد، كلية البنات ابن رشد، ٢٠٠٥م.

(٥)- العفنان، عبد الرحمن فريح: القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف: جميل عبد الله محمد المصري، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٦)- التلاوي، حسين: دور المهالبة في الحياة السياسية والعسكرية في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: أمينة بيطار، جامعة دمشق، كلية الآداب، د.ت.

(٧)- دراوشة، حسن محمد حسن: مروان بن محمد (٧٢هـ/٦٩١م- ١٣٢هـ/٧٤٩م) دراسة تاريخية في أبعاد الصراع على الحكم، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: جمال جوده، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٧م.

(٨)- الزعبي، نسرين يوسف عيسى: نصر بن سيار الليثي (٤٦-١٣١هـ/ ٦٦٦-٧٤٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: عبد الله منسي العمري، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٩)- العلي، صالح أحمد: استيطان العرب في خراسان، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٣، حزيران، ١٩٥٨م.

خلاله إلى المصادر المهمة التي تبحث في موضوع استقرار العرب في خراسان وبالذات في قرى خراسان، و"**تقسيمات خراسان الإدارية**"[١]، و"**إدارة خراسان**"[٢] التي أفادت الدراسة في الحديث عن التقسيمات الإدارية في خراسان قبل الفتح العربي وبعده، وقد أسهمت هذه المقالات في إغناء الدراسة وترصينها.

وبعد فقد حاولت الاستعانة بالكثير من المصادر والمراجع الأخرى التي كانت على جانب مهم في إغناء الدراسة وأعانتني على إعداد رسالتي في موضوع "خراسان في العصر الأموي". راجية أن أكون قد أصبت في عرض الحقائق التاريخية بشكل يفيد القارئ، وما هذا الموضوع إلا دراسة أولية ما زالت بحاجة إلى بحوث معمقة ودراسات مستفيضة وواسعة.

وأخيراً، لا يمكني الإدعاء بالإحاطة بكافة جوانب الموضوع فهذا يحتاج إلى أكثر من بحث ورسالة، وإلى فترة طويلة لإنجازه، ولكن أرجو أن أكون قد وفقت في إيضاح بعض الجوانب المهمة به، كما أرجو أن يكون هذا البحث لبنة تبنى عليها الدراسات المستقبلية للباحثين في هذا الميدان، وتتابع ما يحتاج منه إلى الدراسة والتوسع، والله نسأل أن يوفقنا وهو ولي التوفيق، وله الكمال وحده.

---

(١)- العلي، تقسيمات خُرَاسان الإدارية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.

(٢)- العلي، إدارة خُراسان في العهود الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع١٥، ١٩٧٢م.

Abstract

The study of Arab and Islamic history in the Islamic and Umayyad dynasties is important because it sheds light on many facts that show the efforts of Arab Muslims in liberation and conquest, whether they relate to military achievements or administrative achievements, The conquest of Khorasan province and the organization of its administrative affairs, without being influenced by the systems that prevailed before it was opened. The Muslim Arabs embarked on their conquests to the east to secure the borders of their country. Khorasan and the countries beyond the river were spread and Islam was spread there. Khorasan was a local government, of its satraps; as well as a large number of officials Aldhaqan villages and Alcor and small towns scattered in abundance in the region.

This is due to the fact that this age had witnessed different trends and currents and their differences, the clash of interests and opposition, as well as the contradiction of opinions, which led to hesitation in his studies, Historical studies have given the impression of the Umayyad state that its primary concern was taxation and its collection from the country that was subject to Arab sovereignty during the period of Islam. Some of these studies confirm that most of its attention to finance is at the expense of spreading the Islamic religion. The weight of taxes imposed Was one of the most important factors for the success of the Abbasid call in Khorasan.

Although the framework of the research is specific during the Umayyad period, it was necessary to talk a little about the Khorasan province before the Islamic conquest. It is indispensable because it is an essential and important part of the study of the Umayyad period. It was also necessary for the researcher to study the conquests in the Umayyad period This is the period of research long since before the Islamic conquest until the end of the Umayyad era; with the attempt to shorten and highlight all the important aspects in this study; because this research needs To many folders for Achieve all events in it.

The research consists of an introduction and a critical study of the most important sources on which the research was based, ranked by the oldest of the authors and five chapters:

The first chapter deals with Khorasan before the Islamic conquest. In this chapter, we talk about two aspects: First: general geography of Khorasan province and second: general conditions in Khorasan before the Islamic conquest. Chapter Two: It talks about Fattouh Khorasan in the Rashidi and Umayyad era. Chapter III: Settlement of Arab tribes in Khorasan from the Arab conquest until the end of the Umayyad era and its impact on tribal nerves. Chapter Four: Management and Financial Policy in Khorasan Province. Chapter 5: Khurasan's influence on the collapse of the Umayyad state and its role in the establishment and spread of the Abbasid da'wa.

The study ended with a summary of the most important findings of the study. A list of the supplements was presented at the end of the study, which included the definition of the flags, terms and places included in the research folds arranged in alphabetical order to make it easier for the reader to return to each name. Be careful not to overload the search with footnotes. At the end of the letter, a detailed list of Arabic and Persian sources, Arabic and Arabic references, and research papers and university transcripts were prepared.

Syrian Arab Republic
Damascus university
Faculty of Arts and Humanities
Department of History



Khorasan in The Umayyad Period
(A political and administrative study 41 - 132 e / 662-750m)

A Thesis Prepared for the PhD Degree
in the History of Arabs and Islam

Preparation by
Nahed Mahmoud Hussein
Supervision by
Prof. Shukran Kharbotli

1438 AH / 2017 AD